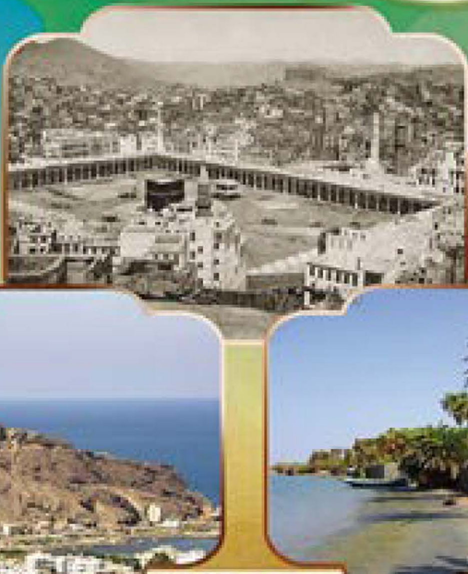
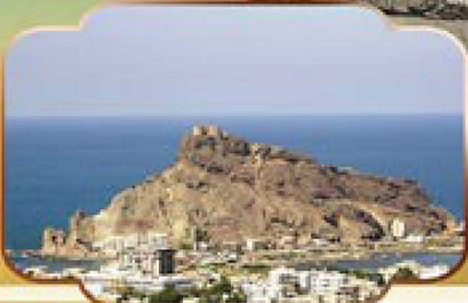
قــرَّة عيون المـؤرِّخين (١)

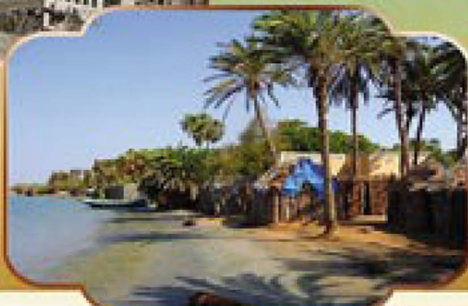
صِفَةُ بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَبَعْضِ الحِجَازِ

المُسَمَّاة

تَارِيخُ المُسْتَبْصِرِ







لِأَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ البَغْدَادِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

الشَّهِيرِ بِابْنِ المُجَاوِرِ المتوفى سنة ٦٩٠هـ رحمه الله

حققه وعلق عليه

وألحق به صورًا لبعض الأماكن المذكورة فيه

أَبُو هَمَّامٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّوْمَعِيُّ البَيْضَانِيُّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ

صِفَةُ
بِلادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَبَعْضِ الحِجَازِ
المُسَمَّاة
تَارِيخُ المُسْتَبْصِر

قُـــرَّة عيون الـمـؤرِّخين (١)

صِفَةُ
بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَبَعْضِ الحِجَازِ
المُسَمَّاة

تَارِيخُ المُسْتَبْصِر

لِأَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ البَغْدَادِيِّ
النَّيْسَابُورِيِّ

الشَّهِير بِابْنِ المُجَاوِر

المتوفى بَعْدَ سَنَة (٦٢٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
وَأَلْحَقَ بِهِ صُورًا لِبَعْضِ الأَمَاكِنِ المَذْكُورَةِ فِيهِ
أَبُو هَمَّامٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّوْمَعِيُّ البَيْضَانِيُّ
عَفَا اللهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَعِنْدَمَا كُنْتُ أَعْمَلُ فِي كِتَابِي «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» مِنْ كِتَابِ «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ»، وَفِي الحَقِيقَةِ فَإِنَّ مَا انْتَخَبْتُهُ مِنْ ذَلِكَ الكِتَابِ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ الاِنْتِخَابِ إِلَىٰ شَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ قَدِيمٍ، أَلَا وَهُوَ الكِتَابَةُ عَنِ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُهَا عُلَمَاءُ عَدَنَ وَمَنْ يَرِدُ إِلَيْهَا مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ مَعَالِمِ عَدَنَ الدِّينِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ - كَانَ مِنْ بَيْنِ المَرَاجِعِ الَّتِي كُنْتُ أَرْجِعُ إِلَيْهَا كِتَابُ «تَارِيخُ المُسْتَبْصِرِ» لِابْنِ المُجَاوِرِ، فَرَأَيْتُهُ كِتَابًا مَاتِعًا، «وَقَدِ اعْتَنَىٰ مُؤَلِّفُهُ بِالكَلَامِ عَنْ مَدِينَةِ «عَدَنَ» اهْتِمَامًا خَاصًّا وَمُتَمَيِّزًا، فَقَدْ خَصَّصَ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ خُمُسِ كِتَابِهِ، وَأَفْرَدَ لَهَا خَارِطَةً خَاصَّةً عَنْ طُبُوغْرَافِيَّتِهَا وَأَبْرَزِ مَعَالِمِهَا، وَتَحَدَّثَ بِتَفَاصِيلَ نَادِرَةٍ وَبِوُضُوحٍ عَنْ نَشَاطِهَا التُّجَارِيِّ وَمُعَامَلَاتِهَا الاِقْتِصَادِيَّةِ»[١]، وَتَكَلَّمَ

---

(١) يُنظَر: «الاِسْتِشْهَادِ بِأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي الكَلَامِ المَنْثُورِ لِابْنِ المُجَاوِرِ» لِمُحَمَّد كَرِيم =

عَنِ اليَمَنِ عُمُومًا وَمَكَّةَ وَالحِجَازِ وعُمَان وَغَيْرِهَا مِنَ البِقَاعِ، بَيْدَ أَنَّهُ أَعْطَىٰ اليَمَنَ وَخَاصَّةً «عَدَنَ» وَ«زَبِيدًا» النَّصِيبَ الأَكْبَرَ، وَلَوْ أَنَّ دَوْلَةً مِنَ الدُّوَلِ كُتِبَ عَنْهَا وَعَنْ جُغْرَافِيَّتِهَا وَمَعَالِمِهَا مِثْلَ مَا كَتَبَهُ ابْنُ المُجَاوِرِ عَنِ اليَمَنِ فِي كِتَابِهِ هَذَا لَاهْتَمَّتْ بِهِ اهْتِمَامًا كَبِيرًا، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تفْعَلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الأَوْطَانَ قَدْ جُبِلَتِ الأَنْفُسُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهَا، وَلِهَذَا يَقُولُ الجَاحِظُ: «وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ حُبِّ الأَوْطَانِ قَوْلُ اللهِ ﷻ حِينَ ذَكَرَ الدِّيَارَ يُخْبِرُ عَنْ مَوَاقِعِهَا فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ فَقَالَ: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[1]، فَسَوَّىٰ بَيْنَ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ وَبَيْنَ الخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ»[2]، فَالكِتَابُ جَدِيرٌ بِالعِنَايَةِ، فَهُوَ كِتَابٌ كَمَا قِيلَ عَنْهُ: «يَزْخَرُ بِثَرْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَأَدَبِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، تَدُلُّ عَلَىٰ ثَقَافَةِ مُؤَلِّفِهِ الوَاسِعَةِ وَبُعْدِ نَظَرِهِ وَطُولِ بَاعِهِ، مِنْ خِلَالِ تَنَوُّعِ مَعْلُومَاتِهِ وَغَزَارَتِهَا وَتَوْزِيعِهَا عَلَىٰ مَعْلُومَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ وَإِثْنُوغْرَافِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ، فَضْلًا عَنْ رَصْدِهِ كَثِيرًا مِنْ ظَوَاهِرِ الحَيَاةِ المُتَنَوِّعَةِ فِي بِلَادِ اليَمَنِ خُصُوصًا، وَبِلَادِ الحِجَازِ وَالهِنْدِ وَالدُّيْبُولِ وَجَاوَةَ وَغَيْرِهَا مِنَ البُلْدَانِ الَّتِي زَارَهَا وَسَجَّلَ لَنَا مُلَاحَظَاتِهِ عَنْهَا، فَكَانَ شَاهِدَ عِيَانٍ مُعَاصِرًا مُدَقِّقًا لِكَثِيرٍ مِنْ شُئُونِ الحَيَاةِ... يُعَدُّ هذَا الكِتَابُ مَصْدَرًا مُهِمًّا عَنْ تَارِيخِ اليَمَنِ وَالحِجَازِ، فِيهِ مَعْلُومَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ مُتَنَاثِرَةٌ ذَاتُ قِيمَةٍ كَبِيرَةٍ عَنْ تَارِيخِ تِلْكَ

=

الشَّمَّرِيِّ «مَجَلَّةُ القَادِسِيَّةِ» المُجَلَّدُ العَاشِرِ العَدَدَانِ ٣ - ٤/ ٢٠٠٧م.

(١) [النِّسَاء، آيَة: ٦٦].

(٢) «الحَنِينُ إِلَىٰ الأَوْطَانِ» (١/ ٨ و١٠ و١١) لِلْجَاحِظِ، نَشْرُ «دَارِ الرَّائِدِ العَرَبِيِّ» ط: الثَّانِيَةُ (١٤٠٢هـ).

البِلَادِ وَمُلُوكِهَا وَأُمَرَائِهَا وَقَادَتِهَا، خُصُوصًا الأَيُّوبِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ فِي اليَمَنِ، وَأَوَائِلِ حُكْمِ الرَّسُولِيِّينَ وَشُرَفَاءِ مَكَّةَ مِنْ بَنِي قَتَادَةَ، وَتَعُودُ أَهَمِّيَّتُهُ إِلَىٰ مُلَاحَظَاتِهِ المُبَاشِرَةِ عَنِ الحَيَاةِ العَامَّةِ، فَقَدْ تَنَاوَلَ بِغَزَارَةٍ التَّفَاصِيلَ المُتَعَلِّقَةَ بِالحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ، مِنْ عَادَاتِ الزَّوَاجِ وَالمَقَايِيسِ وَالنُّقُودِ وَالمَلَابِسِ وَالضَّرَائِبِ الجُمْرُكِيَّةِ»[١]، وَلَمَّا كَثُرَ رُجُوعِي إِلَىٰ هَذَا الكِتَابِ رَأَيْتُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ عَمَلٍ كَبِيرٍ مِنْ ضَبْطٍ لِلنَّصِّ وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْه وَالتَّعْرِيفِ بِالأَمَاكِنِ وَالبِقَاعِ الَّتِي ذُكِرَتْ فيه، فَكَثِيرٌ مِنَ القُرَّاءِ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَا، وَهِيَ أَمَاكِنُ عَرِيقَةٌ قَدِيمَةٌ وَأَثَرِيَّةٌ، لَابُدَّ مِنَ التَّعْرِيفِ بِهَا وَبِمَكَانَتِهَا وَمَكَانِهَا تَعْرِيفًا مُخْتَصَرًا، فَتَوَجَّهَتِ الهِمَّةُ إِلَىٰ ذَلِكَ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ، وَقُمْتُ بِذَلِكَ، فَكَانَ العَمَلُ كَالتَّالِي:

١ - قَابَلْتُ المَخْطُوطَ بِالمَطْبُوعِ.

٢ - عَلَّقْتُ عَلَىٰ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَعْلِيقٍ.

٣- تَرْجَمْتُ لِبَعْضِ الأَعْلَامِ، وَالبَعْضُ الآخَرُ أَحَلْتُ إِلَىٰ مَظَانِّ تَرَاجِمِهِمْ.

٤ - عَرَّفْتُ بِبَعْضِ البُلْدَانِ وَالمَوَاطِنِ المَذْكُورَةِ فِي الكِتَابِ.

٥ - خَرَّجْتُ بَعْضَ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ تَخْرِيجًا مُخْتَصَرًا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَادَّةِ الكِتَابِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ.

---

(١) «الِاسْتِشْهَادُ بِأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ فِي الكَلَامِ المَنْثُورِ» لِابْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ فِي كِتَابِهِ صِفَةُ بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَبَعْضِ الحِجَازِ المُسَمَّاةِ: تَارِيخُ المُسْتَبْصِرِ لِمُحَمَّد كَرِيم إِبْرَاهِيمَ الشَّمَّرِيِّ.

٦- جَعَلْتُ فَهَارِسَ عِلْمِيَّةً لِلْكِتَابِ.

٧- جَعَلت مُلحق صُور لبَعض الأمَاكِن المذْكُورة فيهِ ومَصْدرها «الشَّابِكَة».

٨- تَكَلَّمْتُ عَنِ ابْنِ المُجَاوِرِ وَعَنْ كِتَابِهِ.

٩- تَكَلَّمْتُ عَنْ تَهْذِيبِي لِشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الكِتَابِ لَا تَأْثِيرَ لَهُ عَلَىٰ مَادَّتِهِ.

هَذَا هُوَ خُلَاصَةُ مَا قُمْتُ بِهِ، وَمَعَ هَذَا الَّذِي قُمْتُ بِهِ فَإِنِّي لَا أَدَّعِي لِعَمَلِي الكَمَالَ، فَطَبِيعَةُ أَعْمَالِ البَشَرِ النَّقْصُ وَارِدٌ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ حَسْبِي أَنِّي قَدْ أَفْرَغْتُ مَا فِي وُسْعِي لِخِدْمَتِهِ الخِدْمَةَ الَّتِي أَحْسَبُهَا تَلِيقُ بِهِ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

كَتَبَهُ
رَاجِي رَحْمَةِ رَبِّهِ القَدِيرِ المُعْتَرِفُ بِالعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ
أَبُو هَمَّامٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الصَّوْمَعِيُّ البَيْضَانِيُّ
اليَمَنِيُّ الأَصْلِ المَكِّيُّ مجَاوِرًا فِي بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ
مَكَّةَ زَادَهَا اللهُ شَرَفًا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَنْزِلِي
الكَائِنِ بِـ«مَحَلَّةِ العَزِيزِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ»
فِي ١٠/ ٥/ ١٤٤٣هـ
البريد الإلكتروني: abohammam333@gmail.com

التَّعْرِيفُ بابنِ المُجَاوِرِ

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمُؤَلِّفِ الكِتَابِ فَهُوَ:

أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، هَذَا هُوَ اسْمُ المُصَنِّفِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ اسْمَهُ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ؛ فَهُوَ خَطَأٌ، وَإِيضَاحُهُ كَالتَّالِي:

١ - أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ قَالَ: كَمَا فِي (ص٤٦٦) مِنَ الكِتَابِ: «وَكَتَبَ وَالِدِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ...».

وَقَالَ فِي (ص٢٠٤): «وَقَالَ لِي أَخِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ».

وَقَالَ فِي (ص٤٠٢) فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ عَنِ اسْمِ «بَحْرَانَ»: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا بَحْرَانُ...».

فَنَجِدُ أَنَّ ابْنَ المُجَاوِرِ ذَكَرَ فِي الكِتَابِ اسْمَ وَالِدِهِ وَأَجْدَادَهُ وَنِسْبَتَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا مَا يَجْعَلُنَا نَرْتَابُ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ اسْمَ أَخِيهِ، وَذَكَرَ اسْمَهُ أَوْ كُنْيَتَهُ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَىٰ مَا وَقَعَ مِنَ الخَطَإِ فِي اسْمِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، وَأَوَّلُ مَنْ نَبَّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ الأُسْتَاذُ جَعْفَرٌ الحَسَنِيُّ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي «مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ» بِـ«دِمَشْقَ» (٣٢/ ٣٨٣) عَامَ ١٩٥٧م.

ثُمَّ أَعَادَ نَقْدَ نِسْبَةِ الكِتَابِ إِلَىٰ ابْنِ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيِّ الأُسْتَاذُ حَسَن صَالِح شِهَاب، وَالشَّيْخُ حَمَد الجَاسِرُ ﷺ، وَخُلَاصَةُ مَا قَالُوا هُوَ:

١ - أَنَّ ابْنَ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيَّ كَانَ ابْنَ (١٧) عَامًا لَمَّا قَامَ صَاحِبُ الرِّحْلَةِ بِجَوْلَتِهِ بَدْءًا مِنْ مِينَاءِ الدَّيْبَلِ(١).

٢ - لَمْ يَرِدْ فِي الكِتَابِ أَيُّ إِشَارَاتٍ إِلَىٰ مَدِينَةِ «دِمَشْق» أَوْ أَيٍّ مِنَ البُلْدَانِ الشَّامِيَّةِ الأُخْرَىٰ وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الكَاتِبِ بِهَذِهِ المَنَاطِقِ.

٣ - صَرَّحَ فِي الكِتَابِ أَنَّهُ نَيْسَابُورِيٌّ.

٤ - يَرِدُ فِي الكِتَابِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الأَلْفَاظِ العَامِّيَّةِ وَضَعْفٌ فِي التَّرَاكِيبِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُصَنِّفَهُ لَيْسَ مِثْلَ ابْنِ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيِّ فِي العِلْمِ.

٥ - ذَكَرَ اسْمَ أَبِيهِ وَاسْمَ جَدِّهِ، وَهُمَا يُخَالِفَانِ اسْمَ وَالِدِ وَجَدِّ ابْنِ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيِّ(٢).

وَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ يُضَافَ إِلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مَا يَلِي:

---

(١) وَدَلِيلُ هَذَا أَنَّ أَقْدَمَ تَارِيخٍ ذَكَرَهُ بِمَا يَخُصُّهُ فِي هَذَا الكِتَابِ هُوَ سَنَةَ (٦١٨هـ) قَالَ فِي (ص١٩٣) عَنِ الحِنَّاءِ: «وَأَوَّلُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الدُّيْبُولِ سَنَةَ (٦١٨)»، وَابْنُ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيُّ كَانَتْ وِلَادَتُهُ سَنَةَ (٦٠١هـ) كَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ «الوَافِي بِالوَفَيَاتِ» (٢٩/ ٣٦١) بِرَقْمِ (٣٦١)، وَ«تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٥/ ٦٧٥) بِرَقْمِ (٦٨٠).

(٢) هَذِهِ النِّقَاطُ اسْتَفَدْتُهَا مِمَّا كَتَبَهُ الدُّكْتُورُ حَمَدُ بْنُ صرَاي، وَهُوَ بَحْثٌ فِي شَبَكَةِ الإِنْتَرْنِتِ مَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ جِدًّا.

٦- أَنَّ ابْنَ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيَّ مَنْ نَظَرَ فِي تَرْجَمَتِهِ يَجِدِ المُتَرْجِمِينَ لَهُ مَعَ ذِكْرِهِمْ لَهُ بِالعِلْمِ يَذْكُرُونَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ أَسَانِيدَ وَإِجَازَاتٍ وَرِوَايَاتٍ وَحَدِيثٍ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُعْقَلُ -لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ عَرَفَ طَرِيقَةَ القَوْمِ وَمَسْلَكَهُمْ- أَنْ يَرْحَلَ هَذَا العَالِمُ وَيُدَوِّنَ رِحْلَتَهُ إِلَىٰ تِلْكَ البُلْدَانِ الَّتِي رَحَلَ إِلَيْهَا دُونَ أَنْ يَذْكُرَ عُلَمَاءَهَا وَاللِّقَاءَ بِهِمْ، وَأَخْذَهُ عَنْهُمْ وَاسْتِجَازَتَهُ إِيَّاهُمْ، وَطَرِيقَةَ تَدْرِيسِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا اتَّصَفَ بِهِ أَهْلُ الحَدِيثِ فِي رَحَلَاتِهِمُ الَّتِي دَوَّنُوهَا.

٧- لَوْ كَانَ المُصَنِّفُ هُوَ الدِّمَشْقِيَّ لَذَكَرَ المُتَرْجِمُونَ لَهُ أَنَّهُ رَحَلَ تِلْكَ الرِّحْلَةَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُهْمَلَ وَلَا تُذْكَرَ، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ مِمَّنْ تَرْجَمَ لَهُ يُعَدُّ مِنَ العُلَمَاءِ الحُذَّاقِ، وَمَنْ لَهُ اليَدُ الطُّولَىٰ فِي هَذَا البَابِ، وَيُعَدُّ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي «مُعْجَمِ شُيُوخِهِ الكَبِيرِ» بِرَقْمِ (٩٩٥) وَقَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ سَنَةَ (٦٨٦هـ)، وَأَنَّهُ أَجَازَهُ، وَتَرْجَمَ لَهُ -أَيْضًا- فِي كِتَابِهِ الفَذِّ «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٥/ ٦٧٥) بِرَقْمِ (٦٨٠) وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ كِتَابَ «تَارِيخُ بَغْدَادَ» لِلْخَطِيبِ مِنَ الكِنْدِيِّ أَبِي اليُمْنِ، وَأَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ المِزِّيُّ، فَمِثْلُ هَذَا لَا تَخْفَىٰ رِحْلَتُهُ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ لَوْ كَانَ رَحَلَ.

٨- أَنَّ فِي الكِتَابِ عِبَارَاتٍ يُطْلِقُهَا ابْنُ المُجَاوِرِ فِي الرِّحْلَةِ عِنْدَ ذِكْرِهِ لِبَعْضِ قَبَائِلِ بَعْضِ المُدُنِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصْدُرَ مِنَ ابْنِ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيِّ، لِمَا ذُكِرَ عَنْهُ فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ العِبَادَةِ وَالدِّينِ وَالصَّلَاحِ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الأُمُورِ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَىٰ الِاحْتِيَاطِ وَالتَّوَرُّعِ وَعَدَمِ التَّسَرُّعِ فِي الأَحْكَامِ، لَا سِيَّمَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالأَعْرَاضِ وَنَحْوِهَا.

هَذَا هُوَ خُلَاصَةُ مَا يُقَالُ عَنِ التَّعْرِيفِ بِالمُصَنِّفِ.

سَبَبُ الخَطَإِ فِي نِسْبَةِ الكِتَابِ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِه

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِسَبَبِ الخَطَإِ فِي نِسْبَةِ الكِتَابِ لِغَيْرِ مُؤَلِّفِهِ فَالَّذِي يَظْهَرُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- هُوَ الِاشْتِرَاكُ فِي لَفْظِ «ابْنِ المُجَاوِرِ»، وَكَذَلِكَ كَوْنُهُمَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ، فَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ مُؤَلِّفَهُ هُوَ ابْنُ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيُّ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ.

* * *

تَحْدِيدُ البَلَدِ الَّذِي يَسْكُنُه المُؤَلِّفُ

الَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي هَذَا الكِتَابِ يَظْهَرُ لَهُ أَنَّ أَصْلَ مُؤَلِّفِهِ ابْنِ المُجَاوِرِ مِنْ «خُرَاسَانَ»، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَمْرَانِ:

الأَوَّلُ: أَنَّهُ ذَكَرَ أَبْيَاتًا مِنَ الشِّعْرِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ بِاللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ، وَابْنُ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيُّ لَمْ يَذْكُرْ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ أَنَّهُ يُجِيدُ اللُّغَةَ الفَارِسِيَّةَ وَالشِّعْرَ الفَارِسِيَّ أَبَدًا.

الثَّانِي: أَنَّهُ ذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الكِتَابِ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ «خُرَاسَانَ»، وَهَذَا الأَمْرُ هُوَ أَنَّهُ قَالَ كَمَا فِي (ص٥٥): «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رِزْقِ اللهِ قَال لِي: هَلْ تَرَوْنَ فِي خُرَاسَانَ كَوْكَبَ سُهَيْلٍ...».

فَكَمَا تَرَىٰ أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ قَائِلًا لَهُ: «هَلْ تَرَوْنَ فِي خُرَاسَانَ؟» وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَإِلَّا لَمَا سَأَلَهُ قَائِلًا لَهُ: «هَلْ تَرَوْنَ فِي خُرَاسَانَ؟» وَلَمْ يَقُلْ لَهُ: هَلْ تَرَوْنَ فِي «دِمَشْقَ»؟ وَلَوْ كَانَ دِمَشْقِيًّا مَا سَأَلَهُ عَنْ خُرَاسَانَ، فَكَيْفَ يَسْأَلُهُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ؟! وَبِهَذَا يَزْدَادُ يَقِينُنَا أَنَّ ابْنَ المُجَاوِرِ مُؤَلِّفَ هَذَا الكِتَابِ لَيْسَ هُوَ ابْنَ المُجَاوِرِ الدِّمَشْقِيَّ، وَأَنَّ ذَاكَ آخَرُ، وَالحَمْدُ للهِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

❊ ❊ ❊

قَالُوا عَنِ الكِتَابِ وَعَنْ مُؤَلِّفِه

لَقَدْ تَنَاوَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ البَاحِثِينَ بَعْضَ المَوَاضِيعِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ المُجَاوِرِ، فَكَتَبُوا عَنْهَا وَتَحَدَّثُوا عَنْ أَهَمِّيَّتِهِ وَعَنْ ثَقَافَةِ مُؤَلِّفِهِ وَسَعَةِ اطِّلَاعِهِ وَمَعَارِفِهِ الثَّقَافِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ، وَمِمَّنْ كَتَبَ فِي ذَلِكَ:

١- الأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّد كَرِيم إِبرَاهِيم الشِّمَّرِيُّ عَمِيدُ «كُلِّيَّةِ الآدَابِ» بِـ«جَامِعَةِ القَادِسِيَّةِ» بِـ«العِرَاقِ»، وَمِمَّا كَتَبَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ ابْنِ المُجَاوِرِ «الِاسْتِشْهَادُ بِأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي الكَلَامِ المَنْثُورِ لِابْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ فِي كِتَابِهِ: صِفَةُ بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَالحِجَازِ المُسَمَّاةُ: تَارِيخ المُسْتَبْصِرِ»، وَلَهُ -أَيْضًا- «مَأْثُورُ الكَلَامِ العَرَبِيِّ فِي كِتَابِ: صِفَةِ بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَالحِجَازِ المُسَمَّاةِ: تَارِيخَ المُسْتَبْصِرِ...». وَ«رِحْلَةٌ مَعَ أَشْعَارِ الغُرْبَةِ وَالحَنِينِ إِلَىٰ الأَوْطَانِ وَالتَّغَنِّي بِالمَنَازِلِ وَالدِّيَارِ وَالخِلَّانِ فِي كِتَابِ: (تَارِيخُ المُسْتَبْصِرِ) لِابْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ» وَغَيْرُهَا مِنَ البُحُوثِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الكِتَابِ.

وَمِمَّا قَالَ عَنِ الكِتَابِ وَعَنْ مُؤَلِّفِهِ:

«يَزْخَرُ كِتَابُ «تَارِيخِ المُسْتَبْصِرِ» بِثَرْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ ثَقَافَةِ مُؤَلِّفِهِ الوَاسِعَةِ وَبُعْدِ نَظَرِهِ وَطُولِ بَاعِهِ مِنْ خِلَالِ تَنَوُّعِ مَعْلُومَاتِهِ وَغَزَارَتِهَا وَتَوْزِيعِهَا عَلَىٰ مَعْلُومَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ

وَإِثْنُوغْرَافِيَّةٍ(١) وَاقْتِصَادِيَّةٍ، فَضْلًا عَنْ رَصْدِهِ كَثِيرًا مِنْ ظَوَاهِرِ الحَيَاةِ المُتَنَوِّعَةِ فِي بِلَادِ اليَمَنِ... يُعَدُّ هَذَا الكِتَابُ مَصْدَرًا مُهِمًّا عَنْ تَارِيخِ اليَمَنِ وَالحِجَازِ، فِيهِ مَعْلُومَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ مُتَنَاثِرَةٌ قَيِّمَةٌ كَبِيرَةٌ عَنْ تَارِيخِ البِلَادِ وَمُلُوكِهَا وَأُمَرَائِهَا وَقَادَتِهَا خُصُوصًا الأَيُّوبِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ فِي اليَمَنِ وَأَوَائِلِ حُكْمِ الرَّسُولِيِّينَ وَشُرَفَاءِ مَكَّةَ مِنْ بَنِي قَتَادَةَ، وَتَعُودُ أَهَمِّيَّتُهُ إِلَىٰ مُلَاحَظَاتِهِ المُبَاشِرَةِ عَنِ الحَيَاةِ العَامَّةِ، فَقَدْ تَنَاوَلَ بِغَزَارَةٍ التَّفَاصِيلَ المُتَعَلِّقَةَ بِالحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ...»(٢).

٢- الدُّكْتُورُ عِصَام عَبْد المُنْعِم إِبرَاهِيم لَاشِين أُسْتَاذُ مُسَاعِدٍ بِقِسْمِ التَّارِيخِ بِـ«كُلِّيَّةِ الآدَابِ» بِـ«جَامِعَةِ بَنْهَا» لَهُ بَحْثٌ بِعُنْوَانِ «المُؤَرِّخُ ابْنُ المُجَاوِرِ وَمَنْهَجُهُ فِي كِتَابِهِ: تَارِيخِ المُسْتَبْصِرِ»(٣)، وَمِمَّا قَالَ عَنِ الكِتَابِ: «مِنَ المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الهَامَّةِ عَنْ بِلَادِ اليَمَنِ»، وَقَالَ أَيْضًا: «وَيَذْهَبُ البَاحِثُونَ فِي عِلْمِ الجُغْرَافْيَةِ أَنْ كِتَابَ ابْنِ المُجَاوِرِ يَحْتَلُّ المَكَانَةَ الأُولَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقَ بِمُلَاحَظَاتِهِ الإِثْنُوغْرَافِيَّةِ».

---

(١) الإِنْثُوغْرَافِيَّةُ: هِيَ الدِّرَاسَةُ المَنْهَجِيَّةُ لِلنَّاسِ وَالثَّقَافَاتِ صُمِّمَتْ لِاسْتِكْشَافِ الظَّاهِرَةِ الثَّقَافِيَّةِ، إِذْ يُلَاحِظُ البَاحِثُ المُجْتَمَعَ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ مَوْضُوعِ الدِّرَاسَةِ.

وَهِي عِبَارَةٌ عَنْ وَسَائِلَ لِتَمْثِيلِ ثَقَافَةِ الجَمَاعَةِ بَيَانِيًّا وَكِتَابِيًّا، وَلِمَعْرِفَةِ المَزِيدِ عَنْهَا. ويُنْظَرُ: «مَوْسُوعَةُ وِيكِيبِيدْيَا».

(٢) وَهَذَا فِي مَقَالِهِ «الِاسْتِشْهَادُ بِأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي الكَلَامِ المَنْثُورِ لِابْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِهِ: صِفَةُ بِلَادِ اليَمَنِ وَمَكَّةَ وَالحِجَازِ المُسَمَّاةِ: تَارِيخُ المُسْتَبْصِرِ» طُبِعَ فِي «مَجَلَّةِ القَادِسِيَّةِ لِلْعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ» المُجَلَّدُ العَاشِرُ مِنَ العَدَدِ ٣ - ٤/ ٢٠٠٧م.

(٣) طُبِعَ بِـ«مَجَلَّةِ بُحُوثِ كُلِّيَّةِ الآدَابِ».

وَمِمَا قَالَ -أَيْضًا- فِي خَاتِمَةِ بَحْثِهِ: «يُعْتَبَرُ ابْنُ المُجَاوِرِ مِنْ أَهَمِّ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي الجُغْرَافِيَةِ الإِقْلِيمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، وَتَمَيَّزَ بِالدِّقَّةِ فِي عَرْضِ المُعَامَلَاتِ المَالِّيَّةِ فِي المَوَانِئِ اليَمَنِيَّةِ حَتَّىٰ جَعَلَتْ مِنْهُ أَهَمَّ المَرَاجِعِ الَّتِي رَجَعَ إِلَيْهَا الخَزْرَجِيُّ[(١)] وَبَامَخْرَمَةُ[(٢)] وَالعَيْدَرُوسُ».

* * *

(١) فِي كِتَابِهِ «العِقْدُ الفَاخِرُ الحَسَنُ فِي طَبَقَاتِ أَكَابِرِ أَهْلِ اليَمَنِ».

(٢) فِي كِتَابِهِ «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ».

كِتَابُ ابْنِ المُجَاوِرِ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ وَتَهْذِيبُهُ مِمَّا شَابَهُ

تَقَدَّمَ قَبْلُ الكَلَامُ عَنِ الكِتَابِ وَعَنْ مُؤَلِّفِهِ وَأَنَّهُ يُعَدُّ مَرْجِعًا مُهِمًّا، بَيْدَ أَنَّ مُؤَلِّفَهُ قَدْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْهُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً جِدًّا يَذْكُرُهَا عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ المُدُنِ وَالقُرَىٰ تَتَنَافَىٰ كُلِّيًّا مَعَ أَعْرَافِ وَأَسْلَافِ تِلْكَ القَبَائِلِ وَعَادَتِهِمُ القَبَلِيَّةِ وَشِيَمِهِمُ المَرْضِيَّةِ وَصَوْنِهِمْ لِلْأَعْرَاضِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ فِيهِ بَعْضَ الشَّطَحَاتِ الَّتِي لَا يُقِرُّهَا الشَّرْعُ القَوِيمُ وَلَا العَقْلُ السَّلِيمُ، وَالَّذِي أَوْقَعَهُ فِي ذَلِكَ -وَاللهُ أَعْلَمُ- هُوَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا إِلَّا كَتَبَهُ دُونَ تَمْحِيصٍ لِذَلِكَ الكَلَامِ، يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا مِمَّا يَسُوقُهُ سَمَاعًا عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ.

وَهَذَا فِي ظَنِّي هُوَ مَا جَعَلَ الأُسْتَاذَ المُؤَرِّخَ ابْنَ عَدَنَ -بِحَقٍّ- عَبْدَ اللهِ مُحَيْرِز رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «ابْنُ المُجَاوِرِ مَصْدَرٌ هَامٌّ لَا غِنَىٰ عَنْهُ إِلَّا أَنَّ كَثْرَةَ الشَّطَحَاتِ فِي أَجْزَاءٍ مِنْهُ يَجْعَلُ قَبُولَ مَا جَاءَ فِيهِ عَلَىٰ عِلَّاتِهِ أَمْرًا يَنْطَوِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ المُجَازَفَةِ إِذَا لَمْ تَتَوَفَّرْ إِلَىٰ جَانِبِهِ مَرَاجِعُ أُخْرَىٰ مُسْتَقِلَّةٌ»(١)، مَعَ أَنَّ الأُسْتَاذَ مُحَيْرِز أُعْجِبَ بِدِقَّةِ تَوْصِيفِ ابْنِ المُجَاوِرِ لِبَعْضِ مَعَالِمِ «عَدَنَ» التَّارِيخِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ: «... إِلَّا أَنَّهُ يَضَعُ

---

(١) حَاشِيَةُ كِتَابِ «صِيرَة» (ص٣٨٩) ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لِمُحَيْرِز.

أَوْصَافًا دَقِيقَةً لِـ«عَدَنَ» لَا زَالَ بَعْضُهَا بَاقِيًا وَبَعْضُهَا قَدِ انْدَثَرَ»[(١)].

قُلْتُ: فَالكِتَابُ لَا يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ أَبَدًا، فَهُوَ غَنِيٌّ بِالمَعْلُومَاتِ فِي بَابِهِ، وَأَمَّا مَا شَابَهُ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فَقَدْ هَذَّبْتُ الكِتَابَ مِنْ بَعْضِهَا وَهِيَ يَسِيرَةٌ جِدًّا، وَكَذَلِكَ حَذَفْتُ مَا كَانَ تَابِعًا لِذَلِكَ المَحْذُوفِ مِنَ الشِّعْرِ الفَارِسِيِّ، وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ تَابِعًا لَهُ[(٢)]، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ إِنْشَاءِ المُصَنِّفِ مِنَ الشِّعْرِ فَتَرَكْتُهُ لِأَنَّهُ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ فَارِسِيٌّ، وَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ أَصْلِ الكِتَابِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) حَاشِيَةُ كِتَابِ «صِيرَة» (ص٣٨) ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لِمُحَيْرِزٍ.

(٢) وَكُلُّ ذَلِكَ لَوْ جُمِعَ قَدْ لَا يَصِلُ إِلَىٰ خَمْسِ وَرَقَاتٍ.

عِبَارَاتٌ وَرَدَتْ فِي الكِتَابِ بِاللَّهْجَةِ العَامِّيَّةِ دُونَ مُرَاعَاةٍ لِقَوَاعِدِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

لَقَدْ وَرَدَتْ عِبَارَاتٌ فِي الكِتَابِ لَمْ يُرَاعِ المُصَنِّفُ فِيهَا قَوَاعِدَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَقَدْ أَصْلَحْتُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ اللَّحْنِ فِي هَذَا «المُهَذَّبِ»، وَقَدْ سُبِقْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ أَصْلَحَ مُرَاجِعُهُ مَمْدُوح حَسَن فِي طَبْعَتِهِ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ(١)، بَيْدَ أَنَّ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنَ الكِتَابِ مَا يَتَقَصَّدُ المُصَنِّفُ أَنْ يَذْكُرَهُ بِتِلْكَ اللَّهْجَةِ؛ لِأَنَّهُ يَحْكِيهِ حِكَايَةً عَنْ أَهْلِ تِلْكَ اللَّهْجَةِ، وَمِنْ هَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ المِثَالِ مَا جَاءَ فِي (ص٤٣٦) فَإِنَّهُ ذَكَرَ مِثَالًا عَنْ أَهْلِ «زَبِيدٍ» وَذَكَرَ سَبَبَهُ عِنْدَهُمْ قَال: يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: «وَاللهِ مَا تَصِير إِلَّا تَيْس، فَيَقُولُ عَمْرٌو: وَلِمَ؟ فَيَقُولُ: كَمَا أَعْطَىٰ حَبْ وَأَخَذَ حَيْس»، وَحَبٌّ هُوَ حِصْنُ حَبٍّ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ مُبَيِّنًا السَّبَبَ لِذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ

---

(١) وَدَعَا إِلَىٰ ذَلِكَ الأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّد كَرِيم الشِّمْرِيُّ فِي بَحْثِهِ «الِاسْتِشْهَادُ بِأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي الكَلَامِ المَنْثُورِ لِابْنِ المُجَاوِرِ» فَقَالَ: «... دَعْوَةٌ مُخْلِصَةٌ وَصَادِقَةٌ إِلَىٰ أَبْنَاءِ اليَمَنِ وَغَيْرِهِمْ... إِلَىٰ إِعَادَةِ تَحْقِيقِ وَنَشْرِ هَذَا الكِتَابِ تَحْقِيقًا عِلْمِيًّا رَصِينًا نَظِيفًا خَالِيًا مِنَ الأَخْطَاءِ العِلْمِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَالطِّبَاعِيَّةِ...».

سَيْفَ الدِّينِ سُنْقُرَ عِنْدَمَا عَصَاهُ آخَرُ فِي «حِصْنِ حَبٍّ أَعْطَاهُ حَيْس[1] وَأَخَذَ مِنْهُ حَبًّا، فَبَقِيَ مَثَلًا بَيْنَ عَوَامِّ «زَبِيدٍ». أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ نَصَبَ «حَبًّا» هُنَا، وَعِنْدَمَا حَكَاهُ فِي المِثَالِ لَمْ يَنْصِبْهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَحْكِيَهُ عَنْهُمْ كَمَا يَنْطِقُونَهُ، فَمِثْلُ هَذَا وَنَحْوُهُ لَمْ أَتَطَرَّقْ لِإِصْلَاحِهِ أَبَدًا، وَلِهَذَا جَرَىٰ التَّنْبِيهُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) حَيْس: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ جَنُوبَ «زَبِيدٍ» بِمَسَافَةِ (٣٥) كِيلُو، وَهِيَ -بِشَهَادَةِ الهَمْدَانِيِّ- أَقْدَمُ مَدِينَةٍ تِهَامِيَّةٍ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٤٦).

طَرِيقَةُ المُصَنِّفِ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِهِ

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِطَرِيقَةِ المُصَنِّفِ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِهِ فَمِنَ المُمْكِنِ إِجْمَالُ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

١- بَدَأَ الكِتَابَ بِمُقَدِّمَةٍ قَصِيرَةٍ تَكَلَّمَ فِيهَا عَنْ أَهَمِّيَّةِ فَنِّ التَّارِيخِ، وَأَنَّهُ بَدَأَ الكَلَامَ فِي هَذَا الكِتَابِ بِـ«مَكَّةَ» الَّتِي هِيَ خَيْرُ البِقَاعِ وَأَحَبُّهَا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّهُ ثَنَّىٰ بِأَيْمَنَ مَا حَوْلَهَا مِنَ البُلْدَانِ وَأَبْرَكِهِ وَهُوَ اليَمَنُ مَنْبَعُ الحِكْمَةِ وَمَعْدِنُ الفِقْهِ وَالإِيمَانِ مِنْ سَالِفِ الزَّمَنِ، وَأَنَّهُ خَصَّصَ هَذَيْنِ القُطْرَيْنِ فَذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنْ بَيَانِ البِقَاعِ وَالبِلَادِ وَالمُدُنِ وَالجِبَالِ وَالبِحَارِ، وَشَرْحِ المَنَازِلِ وَالمَغَانِي وَمَقَادِيرِ الأَرْضِ وَالمَسَافَاتِ فِي المَفَاوِزِ وَالمَقَارِّ، وَأَنَّهُ صَوَّرَ كُلَّ بُقْعَةٍ كَأَنَّكَ تَرَاهَا رَأْيَ العَيْنِ، وَتُوَقَّفُ بِهَا عَلَىٰ أَرْجَائِهَا فَيُغْنِيكَ ذَلِكَ عَنِ الأَيْنِ وَالبَيْنِ.

وَقَدْ أَجَادَ فِي ذَلِكَ وَأَفَادَ، فَتَكَلَّمَ عَنْ تِلْكَ المُدُنِ وَالبَوَادِي وَالقُرَىٰ، وَعَنْ أَهْلِهَا وَمَا يَلْبَسُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَعَنْ بَيْعِهِمْ وَشِرَائِهِمْ وَبِنَاءِ مَسَاكِنِهِمْ، وَعَنْ أَجْوَاءِ تِلْكَ البُلْدَانِ، وَعَنْ جُغْرَافِيَّتِهَا وَمَعَالِمِهَا الدِّينِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ، وَتَكَلَّمَ عَنْ سَوَاحِلِ بَعْضِ المُدُنِ وَبَحْرِهَا وَمَرَاكِبِهَا وَمَوَانِيهَا، وَعَنِ المُسَافِرِينَ فِيهَا، وَتَكَلَّمَ عَنِ البَضَائِعِ الَّتِي تَرِدُ إِلَيْهَا مِنْ بُلْدَانِ العَالَمِ، وَتَكَلَّمَ -أَيْضًا- عَنِ الضَّرَائِبِ

وَالمُكُوسِ الَّتِي كَانَتْ تُؤْخَذُ عَلَىٰ تِلْكَ البَضَائِعِ، وَتَكَلَّمَ عَنِ الرَّوَائِحِ الَّتِي تُوجَدُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ تِلْكَ البِقَاعِ كَالرَّيْحَانِ وَالكَاذِي، وَتَكَلَّمَ -أَيْضًا- عَنْ آبَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَحُكَّامِهَا وَقَادَتِهَا، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ بَعْضَ النَّوَادِرِ الَّتِي جَرَتْ فِيهَا مِنَ الأَخْبَارِ، وَأَوْرَدَ جُمْلَةً مِنَ الأَشْعَارِ وَالأَمْثَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَيَجِدُهُ القَارِئُ فِي هَذَا الكِتَابِ.

❊ ❊ ❊

نُسَخُ المَخْطُوطِ المُعْتَمَدَةُ فِي العَمَلِ

أَمَّا وَصْفُ نُسَخِ المَخْطُوطِ المُعْتَمَدَةِ فِي العَمَلِ فَهِيَ كَالآتِي:

الأُولَىٰ: مُصَوَّرَةٌ عَنْ أَصْلِهَا بِـ«مَكْتَبَةِ آيَا صُوفْيَا» بِـ«تُرْكِيَا» بِرَقْمِ (٣٠٨٠) وَكَانَ نَسْخُهَا كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُدَوَّنًا عَلَيْهَا سَنَةَ (١٠٠٣هـ)، وَكَانَ الِانْتِهَاءُ مِنْ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الأَحَدِ المُوَافِقِ لِلثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ نَاسِخُهَا اسْمَهُ، وَخَطُّهَا جَمِيلٌ جِدًّا؛ بَيْدَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الكَلِمَاتِ لَمْ تُنْقَطْ، وَقَدْ رَمَزْتُ لَهَا بِـ«ج»، وَوَصَلَتْنِي عَنْ طَرِيقِ أَخِي فِي اللهِ الدُّكْتُورِ فَوَّازِ بْنِ محمَدٍ العَوَضِيِّ الكُوَيْتِيِّ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

الثَّانِيَةُ: مُصَوَّرَةٌ عَنْ أَصْلِهَا بِـ«جَامِعَةِ أُبْسَالَا»[(١)] بِرَقْمِ (٢٠٨/ ٦٩)، وَنَاسِخُهَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَنَةَ النَّسْخِ سِوَىٰ قَوْلِهِ: (ثَامِنَ شَهْرِ جُمَادَىٰ الآخِرِ) وَخَطُّهَا لَا بَأْسَ بِهِ، وَرَمَزْتُ لَهَا بِـ«ب».

الثَّالِثَةُ: مُصَوَّرَةٌ عَنْ أَصْلِهَا بِـ«المَكْتَبَةِ البِرِيطَانِيَّةِ» بِرَقْمِ (٢٥٦٠٣)، وَتَارِيخُ نَسْخِهَا كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُدَوَّنًا عَلَيْهَا بِآخِرِهَا هُوَ سَنَةَ (١٢٧٩هـ) عَلَىٰ يَدِ نَاسِخِهَا عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ أَحْمَد، وَخَطُّهَا جَمِيلٌ، وَرَمَزْتُ لَهَا بِـ«أ»، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ

---

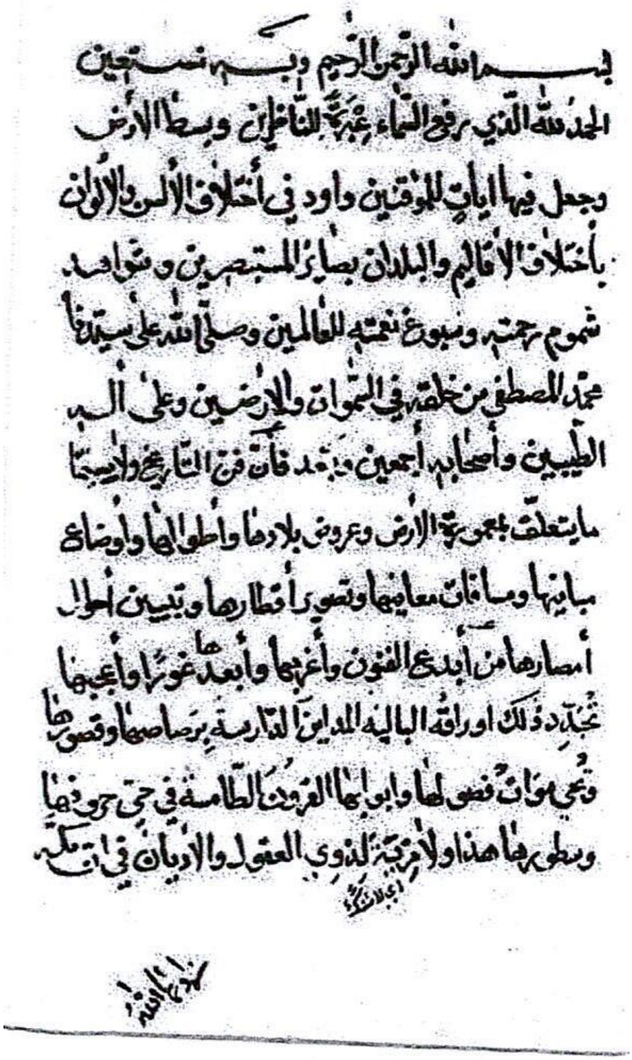
(١) هِيَ جَامِعَةٌ فِي «السُّوَيْدِ» تَأَسَّسَتْ سَنَةَ (١٩٧٧م).

النُّسْخَةَ نُسِخَتْ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي نِهَايَتِهَا اسْمُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ نَاسِخِ تِلْكَ النُّسْخَةِ فِي جَانِبِ الصَّفْحَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ نَاسِخُهَا اسْمَهُ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي مَعَ تَكْرَارِ المُقَابَلَةِ أَنَّ نُسْخَةَ «ب» نُسِخَتْ مِنْ نُسْخَةِ «ج»، فَيَكُونُ مَرَدُّ النُّسْخَتَيْنِ «أ» و«ب» إِلَىٰ «ج»، وَلَكِنِّي اسْتَفَدْتُ مِنْهُمَا مَعْرِفَةَ بَعْضِ الكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ مُهْمَلَةَ النَّقْطِ فِي «ج»، مَعَ أَنَّ النَّاسِخَ لَمْ يُصِبْ فِي بَعْضِهَا.

وَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ النُّسَخَ وَقَابَلْتُ بِهَا مَا طُبِعَ لِأَجْلِ إِصْلَاحِ مَا تَصَحَّفَ أَوْ إِعَادَةِ مَا سَقَطَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا قُمْتُ بِهِ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

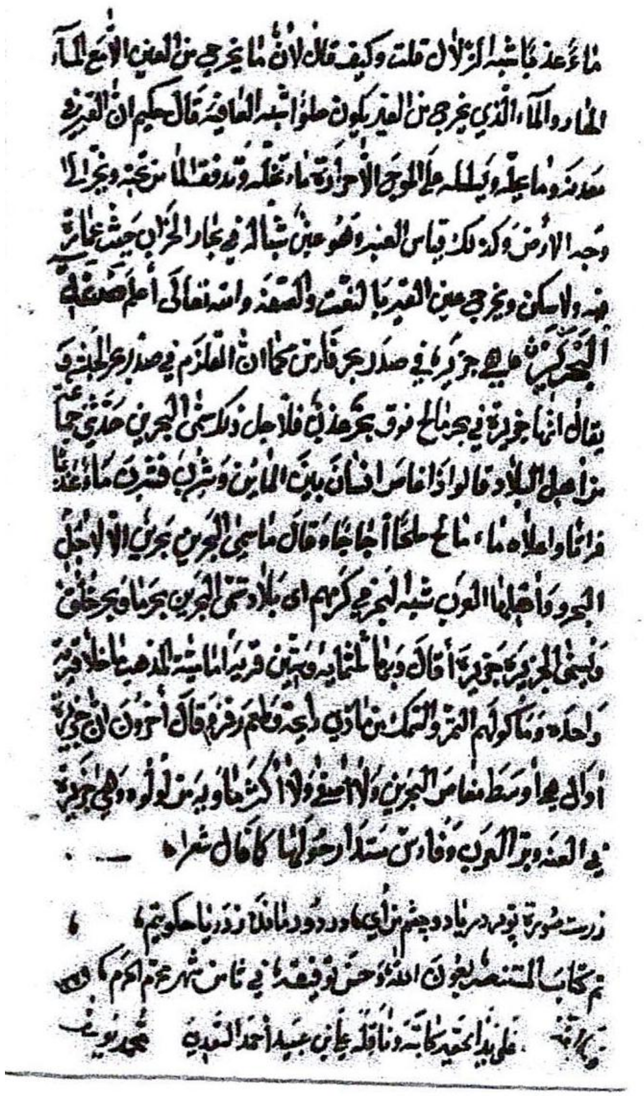
❊ ❊ ❊

صُوَرٌ لِنَمَاذِجَ مِنَ المَخْطُوطَاتِ



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين وبسط الأرض
وجعل فيها آيات للموقنين وأود في اختلاف الألسن والألوان
باختلاف الأقاليم والبلدان بصائر المستبصرين وشواهد
شموم رحمته وسبوغ نعمته للعالمين وصلى الله على سيدنا
محمد المصطفى من خلقه في السموات والأرضين وعلى آله
الطيبين وأصحابه أجمعين وبعد فإن فن التاريخ ولا سيما
ما يتعلق بجغرافية الأرض وعروض بلادها وأطوالها وأوضاع
مبانيها وما فات معانيها وتصوير أقطارها وتبيين أحوال
أمصارها من أبدع الفنون وأغربها وأبعدها غورًا وأعجبها
تجدد ذلك أوراقه البالية الداثرة الدارسة برصاصها وقصورها
وتحيي موات فصولها وأبوابها الغريبة الطامسة في حي حروفها
وسطورها هذا ولا مرية لذوي العقول والأديان في أن مكة

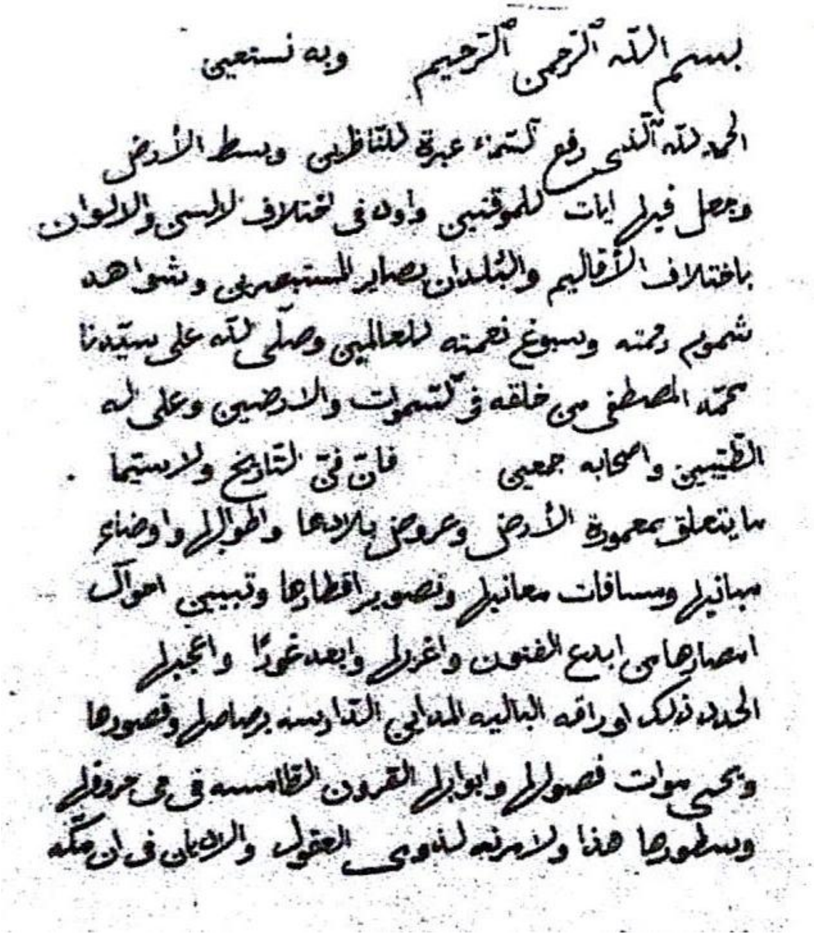
صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأُولَى مِنْ نُسْخَةِ «أ».



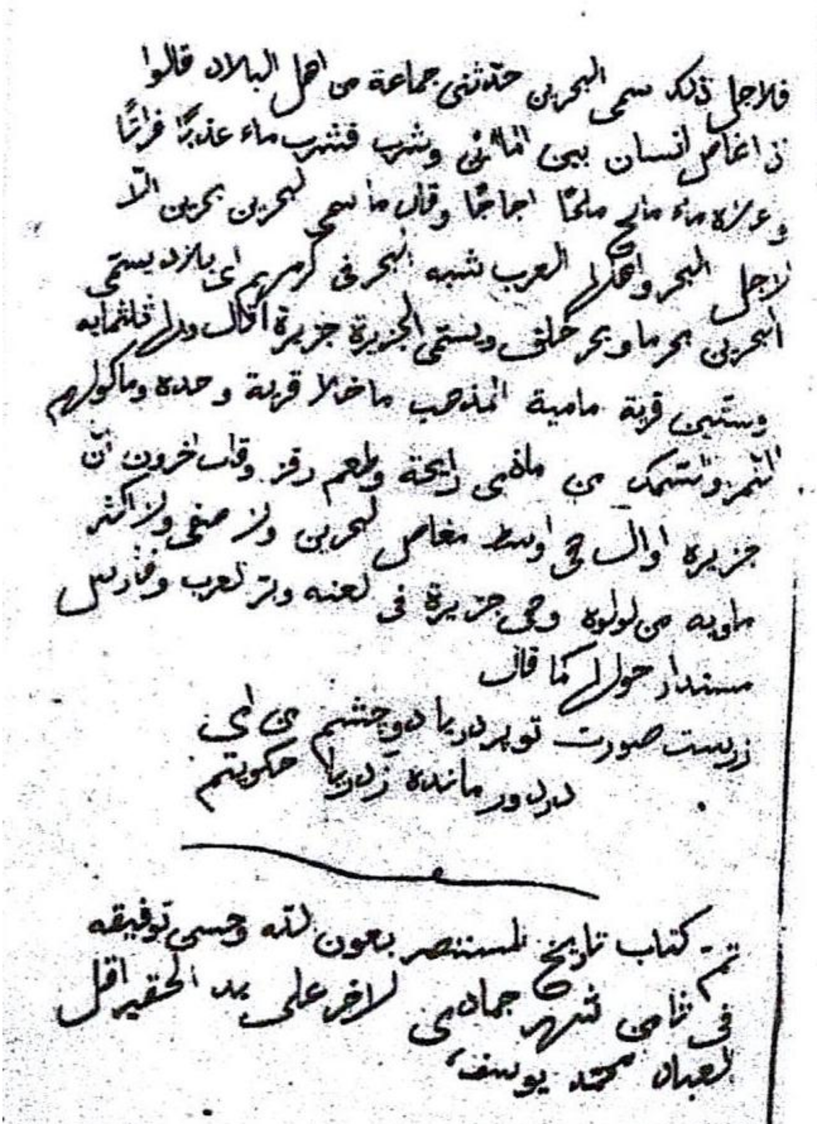
ماء عذبا اشبه الزلال قلت وكيف قال لان ما يخرج من العين الاعم الكا[illegible]
الماء والماء الذي يخرج من العين يكون حلوا اشبه العافية قال حكيم ان العين
معدنه وما عليه ويلبسه على الموج الاحرارة ما تغلبه وتدفعها من تحته ويجري الى
وجه الارض وكذلك قياس العنبر وهو عين شبالة في بحار الحرار حيث غاره
فيه والاسكن ويخرج عين العنبر بالنفث والقذف والله تعالى اعلم صفة
البحرين هي جزيرة في صدر بحر فارس محاذي القلزم في صدر بحر الحبشة و
يقال انها جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب فلاجل ذلك سمي البحرين حدثني جما
من اهل البلاد قالوا اذا غاص انسان بين الماءين وشرب فشرب ماء عذبا
فراتا واعلاه ماء مالح ملحا اجاجا قال ما سمي البحرين بحرين الا لاجل
البحر وما اهلها العرب شبه البحر في كرمهم اي بلاد تسمى البحرين بحرا وبحر خلق
ويسمى الجزيرة جزيرة اوال وبها الحمايه وحيتين قريتا اماسية الذهب خالدية
واحلاه وماكولهم التمر والسمك من مادي [illegible] وطعم رفرفهم قال اخرون ان جزيرة
اوال بها وسط مغاص البحرين ولا اصغر ولا اكثر ماويه من لؤلؤ وهي جزيرة
في العنبة وبر العرب وفارس تستدار حولها كما قال شعراه —

زرت صورة [illegible]
تم كتاب المستبصر بعون الله وحسن توفيقه في ثامن شهر محرم الحرام [illegible]
[illegible] على يد الحقير كاتبه وناقله علي بن عبيد احمد [illegible] محمد يوسف

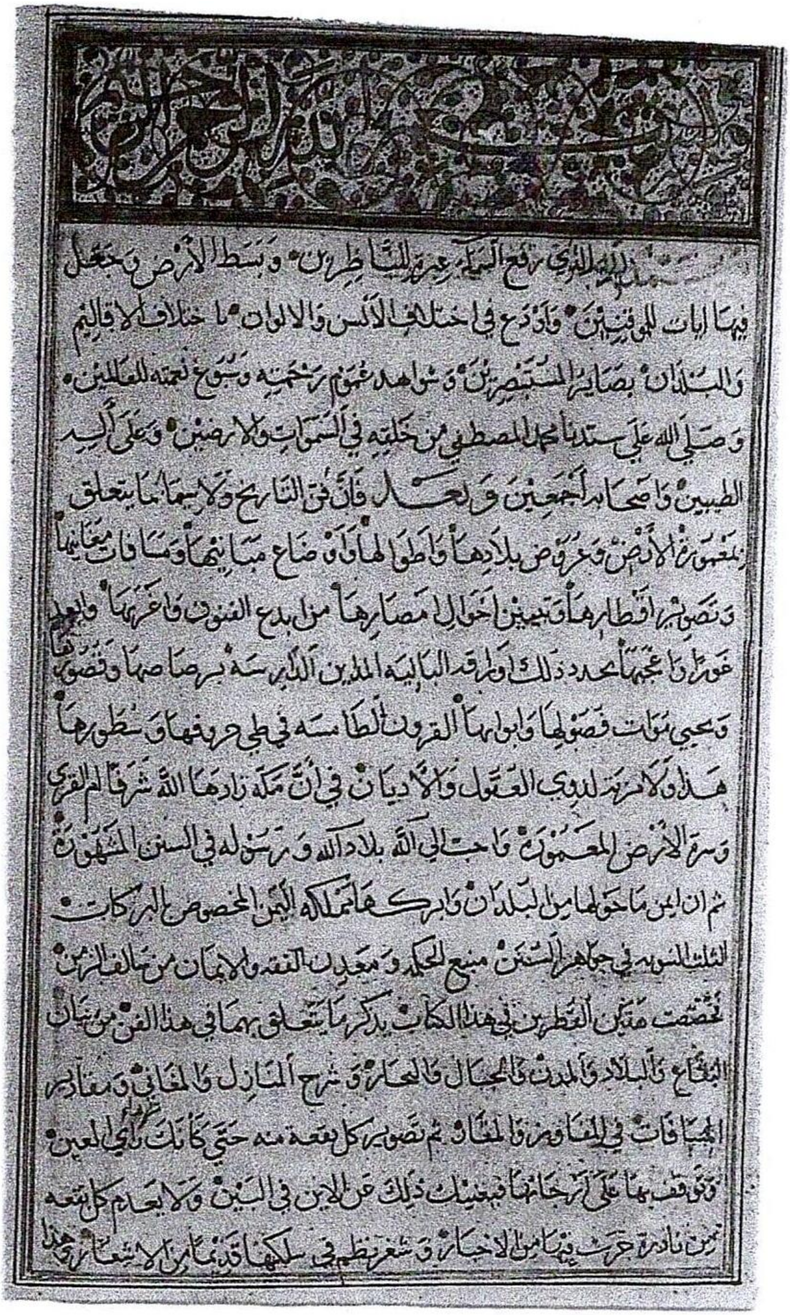
صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ نُسْخَةِ «أ».


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين وبسط الأرض
وجعل فيها آيات للموقنين وأودع في اختلاف الألسن والألوان
باختلاف الأقاليم والبلدان بصائر المستبصرين وشواهد
شمول رحمته وسبوغ نعمته للعالمين وصلى الله على سيدنا
محمد المصطفى من خلقه في السموات والأرضين وعلى آله
الطيبين وأصحابه أجمعين فإن في التاريخ ولا سيما
ما يتعلق بمعمورة الأرض وعروض بلادها وأطوالها وأوضاع
مبانيها ومسافات معالمها وتصوير أقطارها وتبيين أحوال
أمصارها من أبدع الفنون وأغربها وأبعدها غورا وأجملها
الحد ذلك أوراقه البالية المدابي الدارسة بمراحلها وقصورها
ويحيي موات فصولها وأبوابها القرون الطامسة في حروفها
وسطورها هذا ولا مرية لذوي العقول والأذهان في أن مكة

صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأُولَى مِنْ نُسْخَةِ «ب».


فلاجل ذلك سمي البحرين حدثني جماعة من اهل البلاد قالوا
ان غاص انسان بين الماين وشرب فشرب ماء عذبا فراتا
وعلا ماء مالح ملحا اجاجا وقال ما سمي البحرين بحرين الا
لاجل البحر واهل العرب شبه البحرين
البحرين بحر ماو بحر حلق ويسمى الجزيرة جزيرة اوال
ويسمى قرية مامية المذهب ماخلا قرية وحده وماكولهم
التمر وسمك من ماهي رايحة وطعم رفر. وقال اخرون ان
جزيرة اوال هي وسط مغاص البحرين
ماويه من لولوه وهي جزيرة في لعنه دار العرب وفارس
مستدار حول كما قال
زيست صورت تو به دريا دو چشم من اي
درد در مانده زدريا حكويتم
تم كتاب تاريخ المستنصر بعون الله وحسن توفيقه
في ثاني شهر جمادى الاخر على يد الحقير اقل
العباد محمد يوسف

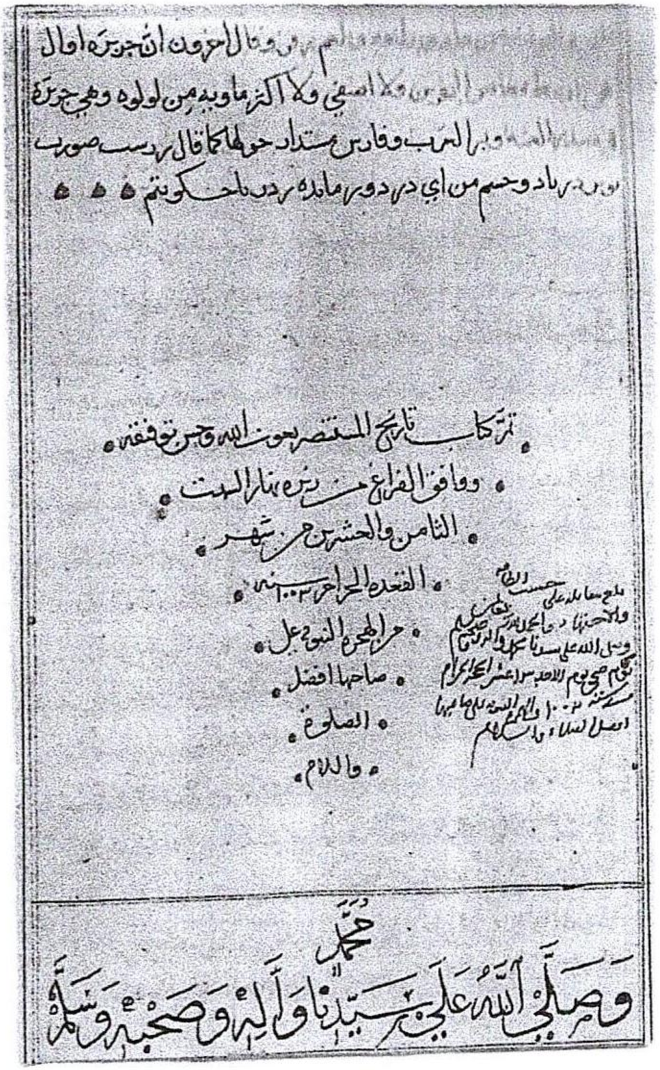
صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ نُسْخَةِ «ب».



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين، وبسط الأرض وجعل
فيها آيات للموقنين، وأودع في اختلاف الألسن والألوان، واختلاف الأقاليم
والبلدان، بصائر المستبصرين، وشواهد عموم رحمته وسبوغ نعمته للعالمين،
وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى من خليقته في السموات والأرضين، وعلى آله
الطيبين وأصحابه أجمعين. وبعد: فإن فن التاريخ ولا سيما ما يتعلق
بمعمورة الأرض وعروض بلادها وأطوالها وأوضاع مبانيها ومسافات معالمها
وتصوير أقطارها وتبيين أحوال أمصارها من بدع الفنون وأغربها وأبعدها
غورًا وأعجبها [illegible] ذلك [illegible] البالية المدن الدارسة برصاصها وقصورها
ويحيي موات فصولها وأبوابها القرون الطامسة في طي حروفها وسطورها
هذا ولا مرية لذوي العقول والأديان في أن مكة زادها الله شرفًا أم القرى
وسرة الأرض المعمورة، وأحب إلى الله بلاد الله ورسوله في السنن المشهورة
ثم إن اليمن ما حولها من البلدان، وأبركها [illegible] اليمن المخصوص بالبركات
الثلاث المنوه في جواهر السنن، منبع الحكمة ومعدن الفقه والإيمان من سالف الزمن،
فخصصت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان
البقاع والبلاد والمدن والجبال والبحار، وشرح المنازل والمغاني ومقادير
المسافات في المفاوز والمغاني، ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك رأي العين،
وتوقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين في البين، ولا يعادم كل بقعة
من نادرة جرت فيها من الأخبار، وشعر نظم في سلكها [illegible] من الأشعار [illegible] هذا

صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأُولَى مِنْ نُسْخَةِ «ج».



تم كتاب تاريخ المستبصر بعون الله وحسن توفيقه . ووافق الفراغ من رقمه نهار السبت . الثامن والعشرين من شهر . القعدة الحرام سنة ١٠٠٣ . من الهجرة النبوية على . صاحبها افضل . الصلوة . والسلام .

محمد

وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم

صُورَةٌ لِلْوَرَقَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ النُّسْخَةِ «ج».

القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِينَ، وَبَسَطَ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا آيَاتٍ لِلْمُوقِنِينَ، وَأَوْدَعَ فِي اخْتِلَافِ الأَلْسُنِ وَالأَلْوَانِ بِاخْتِلَافِ الأَقَالِيمِ وَالبُلْدَانِ بَصَائِرَ المُسْتَبْصِرِينَ، وَشَوَاهِدَ عُمُومِ رَحْمَتِهِ وَسُبُوغِ نِعْمَتِهِ لِلْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَىٰ مِنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ وَلَا سِيَّمَا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْمُورَةِ الأَرْضِ وَعُرُوضِ بِلَادِهَا وَأَطْوَالِهَا، وَأَوْضَاعِ مَبَانِيهَا وَمَسَافَاتِ مَغَانِيهَا، وَتَصْوِيرِ أَقْطَارِهَا وَتَبْيِينِ أَحْوَالِ أَمْصَارِهَا - مِنْ أَبْدَعِ الفُنُونِ وَأَغْرَبِهَا، وَأَبْعَدِهَا غَوْرًا وَأَعْجَبِهَا، تُجَدِّدُ لَكَ أَوْرَاقُهُ البَالِيَةُ المَدَائِنَ الدَّارِسَةَ بِرَصَاصِهَا وَقُصُورِهَا، وَيُحْيِي مَوَاتَ فُصُولِهَا وَأَبْوَابِهَا القُرُونُ الطَّامِسَةُ فِي طَيِّ حُرُوفِهَا وَسُطُورِهَا.

هَذَا وَلَا مِرْيَةَ لِذَوِي العُقُولِ وَالأَدْيَانِ فِي أَنَّ مَكَّةَ -زَادَهَا اللهُ شَرَفًا- أُمُّ القُرَىٰ وَسُرَّةُ الأَرْضِ المَعْمُورَةِ، وَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي السُّنَنِ المَشْهُورَةِ(١)،

(١) مِن ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا =

ثُمَّ إِنَّ أَيْمَنَ مَا حَوْلَهَا مِنَ البُلْدَانِ وَأَبْرَكَهَا مَمْلَكَةُ اليَمَنِ المَخْصُوصِ بِالبَرَكَاتِ الثَّلَاثِ النَّبَوِيَّةِ فِي جَوَاهِرِ السُّنَنِ، مَنْبَعُ الحِكْمَةِ وَمَعْدِنُ الفِقْهِ وَالإِيمَانِ(١) مِنْ سَالِفِ الزَّمَنِ، فَخَصَّصْتُ هَذَيْنِ القُطْرَيْنِ فِي هَذَا الكِتابِ بِذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا فِي هَذَا الفَنِّ مِنْ بَيَانِ البِقَاعِ وَالبِلَادِ وَالمُدُنِ وَالجِبَالِ وَالبِحَارِ، وَشَرْحِ المَنَازِلِ وَالمَغَانِي وَمَقَادِيرِ المَسَافَاتِ فِي المَفَاوِزِ وَالمَقَارِّ، ثُمَّ تَصْوِيرِ كُلِّ بُقْعَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ كَأَنَّكَ تَرَاهَا رَأْيَ العَيْنِ، وَتُوَقَّفُ بِهَا عَلَىٰ أَرْجَائِهَا فَيُغْنِيكَ ذَلِكَ عَنِ الأَيْنِ فِي البَيْنِ، وَلَا يَعْدِمُ كُلُّ بُقْعَةٍ مِنْ نَادِرَةٍ جَرَتْ فِيهَا مِنَ الأَخْبَارِ، وَشِعْرٍ نُظِمَ فِي سِلْكِهَا قَدِيمًا مِنَ الأَشْعَارِ.

وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي مَقْصُودِ الكِتَابِ، وَتَسْهِيلِ الحِجَابِ، وَفَتْحِ البَابِ، وَاللهُ مُيَسِّرُ الأَسْبَابِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ.

* * *

=

خَرَجْتُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٥/ ٤٣٢) وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الحَمْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(١) وَمِمَّا جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ، وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ لَيْسَ هَذَا المَوْضِعُ مُنَاسِبًا لِسَرْدِهَا، وَمَا تَقَدَّمَ يَكْفِي، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ كِتَابُ «القَوْلُ الحَسَنُ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ اليَمَنِ» لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعْكَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

ذِكْرُ أَسْمَاءِ مَكَّةَ وَصِفَاتِهَا

سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: مَكَّةَ، وَالبَلَدِ، وَالقَرْيَةِ، وَأُمِّ القُرَىٰ[(١)].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾[(٢)]، فَإِذًا الكَلَامُ عَلَىٰ هَذَا الِاسْمِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ[(٣)]: «مَكَّةُ لَا تَنْصَرِفُ لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ اشْتِقَاقُهَا (بَكَّةَ)؛ لِأَنَّ المِيمَ تُبْدَلُ مِنَ البَاءِ، كَمَا يُقَالُ: ضَرْبَةُ لَازِبٍ وَلَازِمٍ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ اشْتِقَاقُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: مَكَكْتُ العَظْمَ، إِذَا مَصَصْته مَصًّا شَدِيدًا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ فِيهِ شَيْءٌ، شُبِّهَتْ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ ازْدِحَامِ النَّاسِ فِيهَا»[(٤)].

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ[(٥)]: «مَكَكْتُ العَظْمَ، إِذَا أَخْرَجْتَ مُخَّهُ، وَالتَّمَكُّكُ الِاسْتِقْصَاءُ،

---

(١) وَسَيُدَلِّلُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا سَيَأْتِي.

(٢) [الفَتْح، آيَة: ٢٤].

(٣) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ النَّحْوِيُّ، مَاتَ سَنَةَ (٣١١هـ). «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٦/ ٦١٣) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (١٣٠٧٩).

(٤) «مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (١/ ٤٤٥).

(٥) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا أَبُو الحَسَنِ اللُّغَوِيُّ القَزْوِينِيُّ، مَاتَ سَنَةَ (٣٩٥هـ). «بُغْيَةُ الوُعَاةِ» (١/ ٢٨٩) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٦٨٠).

وَفِي الحَدِيثِ: «لَا تُمَكِّكُوا عَلَىٰ غُرَمَائِكُمْ»(١).

وَفِي تَسْمِيَةِ مَكَّةَ بِهَذَا الِاسْمِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَسَافَةٌ يَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَكَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَجْذِبُهُمْ إِلَيْهَا، مِنْ قَوْلِ العَرَبِ: امْتَكَّ الفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ.

الثَّانِي: مِنْ قَوْلِهِمْ: مَكَكْتُ الرَّجُلَ، إِذَا أَرَدْتَ تُخَوِّفُهُ، فَكَأَنَّهَا تُمَكِّكُ مَنْ ظَلَمَ فِيهَا أَيْ: تُهْلِكُهُ، كَمَا قَالَ:

يَا مَكَّةُ الفَاجِرَ مُكِّي مَكَّا ... وَلَا تُمُكِّي مَذْحِجًا وَعَكَّا

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِجَهْدِ أَهْلِهَا.

وَالرَّابِعُ: لِقِلَّةِ المَاءِ بِهَا(٢).

وَقَدِ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ أَنَّ مَكَّةَ اسْمٌ لِجَمِيعِ البَلْدَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي بَكَّةَ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ اسْمٌ لِلْبُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا الكَعْبَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا مَا حَوْلَ البَيْتِ، وَمَكَّةُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

---

(١) «مُجْمَلُ اللُّغَةِ» (١/ ٨١٦) ط. مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ. وَالحَدِيثُ المُشَارُ إِلَيْهِ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ.

تَنْبِيهٌ: وَقَعَ هُنَا قَوْلُهُ: «المَكُّ» بَدَلَ «التَّمَكُّكُ»، وَصَوَّبْتُهُ مِنْ عِنْدَ ابْنِ فَارِسٍ، فَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ عَنْهُ.

(٢) هَذِهِ الأَقْوَالُ الأَرْبَعَةُ نَقَلَهَا المُصَنِّفُ مِنْ «زَادِ المَسِيرِ» (٧/ ٢١١) لِابْنِ الجَوْزِيِّ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا اسْمٌ لِلْمَسْجِدِ وَالبَيْتِ، وَمَكَّةُ اسْمٌ لِلْحَرَمِ، كَمَا قَالَهُ الزُّهْرِيُّ(١).

وَالرَّابِعُ: أَنَّ بَكَّةَ هِيَ مَكَّةُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وَاحْتَجَّ لِتَصْحِيحِهِ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقَالَ بِأَنَّ البَاءَ تُبْدَلُ مِنَ المِيمِ، وَيُقَالُ: ضَرْبَةُ لَازِمٍ وَلَازِبٍ(٢).

وَأَمَّا اشْتِقَاقُ بَكَّةَ فَمِنَ البَكِّ: يُقَالُ: بَكَّ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَيْ: دَفَعَ(٣).

وَفِي تَسْمِيَتِهَا بَكَّةَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ(٤):

أَحَدُهَا: لِازْدِحَامِ النَّاسِ بِهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ(٥).

وَالثَّانِي: تَبُكُّ أَعْنَاقَ الجَبَابِرَةِ، أَيْ: تَدُقُّهَا، فَمَا قَصَدَهَا جَبَّارٌ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللهُ، قَالَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ(٦).

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالبَلَدِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾(٧) يَعْنِي مَكَّةَ،

---

(١) وَقَعَ هُنَا «الهَرَوِيُّ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالمُثْبَت هُوَ الصَّوَابُ، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَهُ مِنْ «زَادِ المَسِيرِ» وَلَمْ يُحِلْ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الأَثَرُ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَيْضًا مُسْنَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ فِي «التَّفْسِيرِ» (٥/ ٥٩٦ - ٥٩٧).

(٢) وَهَذِهِ الأَقْوَالُ الأَرْبَعَةُ نَقَلَهَا المُصَنِّفُ مِنْ «زَادِ المَسِيرِ» (١/ ٣٤٤ - ٣٤٥).

(٣) يُنْظَرُ: «مَعَانِي القُرْآنِ» (١/ ٤٤٥) لِلزَّجَّاجِ.

(٤) وَسَيَذْكُرُ قَوْلَيْنِ.

(٥) وَهُنَاكَ آخَرُونَ قَالُوا بِقَوْلِهِ، يُنْظَرُ: «زَادُ المَسِيرِ» (١/ ٣٤٤).

(٦) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (١/ ٣٤٤) وَأَمَّا القَوْلُ الثَّالِثُ: لِأَنَّهَا تَضَعُ مِنْ نَخْوَةِ المُتَجَبِّرِينَ يُقَالُ: بَكَكْتُ الرَّجُلَ، أَيْ: وَضَعْتُ مِنْهُ وَرَدَدْتُ نَخْوَتَهُ. «زَادُ المَسِيرِ» (١/ ٣٤٤).

(٧) [البَلَد، آيَة: ١].

وَالبَلَدُ فِي اللُّغَةِ صَدْرُ القُرَىٰ[(١)].

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالقَرْيَةِ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ أَيْ: سَاكِنَةً بِأَهْلِهَا لَا يَحْتَاجُون إِلَىٰ انْتِقَالٍ عَنْهَا لِخَوْفٍ أَوْ ضِيقٍ، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ الرِّزْقُ الوَاسِعُ الكَثِيرُ، يُقَالُ: أَرْغَدَ فُلَانٌ إِذَا أَصَابَ خِصْبًا وَسَعَةً، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: كَذَّبَتْ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[(٢)] وَأَصْلُ الرِّزْقِ بِالنِّعَمِ، وَأَكْثَرُ اشْتِقَاقِهِ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَذَّبَ كُفَّارَ مَكَّةَ بِالجُوعِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّىٰ أَكَلُوا الجِيَفَ وَالعِظَامَ المُحْرَقَةَ، وَكَانُوا يَخَافُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ سَرَايَاهُ.

وَالقَرْيَةُ اسْمٌ لِمَا يَجْتَمِعُ فِيهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الجَمْعِ، يُقَالُ: قَرَيْتُ المَاءَ فِي الحَوْضِ، إِذَا جَمَعْتَهُ فِيهِ، وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ الحَوْضُ مِقْرَاةً.

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِأُمِّ القُرَىٰ، فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[(٣)] يَعْنِي مَكَّةَ.

وَفِي تَسْمِيَتِهَا بِذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لِأَنَّهَا أَقْدَمُهَا.

(١) «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (١/ ١٢٤).

(٢) [النَّحْل، آيَة: ١١٢]، وَيُنْظَرُ تَفْسِيرُ هَذِهِ الآيَةِ مِنْ «تَفْسِيرِ الوَسِيطِ» لِلوَاحِدِيِّ.

(٣) [الأَنْعَام، آيَة: ٩٢].

وَالثَّانِي: لِأَنَّهَا قِبْلَةٌ يَزُورُهَا النَّاسُ.

وَالثَّالِثُ: لِأَنَّهَا أَعْظَمُ القُرَىٰ شَأْنًا.

وَالرَّابِعُ: لِأَنَّ فِيهَا بَيْتَ اللهِ ﷻ[١].

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ[٢]: وَمِمَّا قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الفَاكِهِيِّ [٣] قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ: أَعْطَاهُ كِتَابًا بَعْضُ أَشْياخِهِ فَإِذَا فِيهِ أَسْمَاءُ مَكَّةَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: بكَّة ومَكَّةُ وَبَرَّةُ وَبَسَّاسَةُ وَأُمُّ القُرَىٰ وَالحَرَمُ وَالمَسْجِدُ الحَرَامُ وَالبَلَدُ الأَمِينُ.

وَقَالُوا: وَمِنْ أَسْمَائِهَا صَلَاحِ[٤]، وَقَالَ القَائِلُ فِي ذَلِكَ: [نُورٌ تَلَأْلَأَ لِأَوْسَطِ صِلَاحِ][٥]، وَقَالَ: كَانَتْ تُسَمَّىٰ فِي الجَاهِلِيَّةِ النَّشَّاشَةَ؛ لِأَنَّهَا تنشُّ[٦] مَنْ [بَغَىٰ][٧]

---

(١) يُنْظَرُ: «زَادُ المَسِيرِ» (٣/ ٦٥).

(٢) هُوَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ العَبَّاسِ الفَاكِهِيُّ المَكِّيُّ، مِنْ عُلَمَاءِ القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ، وَكِتَابُهُ المَذْكُورُ هُوَ «أَخْبَارُ مَكَّةَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ»، وَعِنْدَمَا تَرْجَمَ الفَاسِيُّ لَهُ قَالَ عَنْ هَذَا الكِتَابِ: «كِتَابٌ حَسَنٌ جِدًّا لِكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الفَوَائِدِ النَّفِيسَةِ، وَفِيهِ غُنْيَةٌ عَنْ كِتَابِ الأَزْرَقِيِّ، وَكِتَابُ الأَزْرَقِيِّ لَا يُغْنِي عَنْهُ...». «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٢/ ١٠٩) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٩٠).

(٤) «صَلَاحِ» مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الكَسْرِ كَحَذَامِ وَقَطَامِ وَنَظَائِرِهِمَا، وَقَدْ يُصْرَفُ. «شِفَاءُ الغَرَامِ بِأَخْبَارِ البَلَدِ الحَرَامِ» (١/ ٧٩ - ٨٠).

(٥) مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ لَمْ يَظْهَرْ فِي المَطْبُوعِ، وَجَعَلَ مُحَقِّقُهُ نِقَاطًا مَكَانَهُ، وَاسْتَدْرَكْتُهُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» لِلْفَاكِهِيِّ، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَهُ مِنْهُ، وَأَمَّا المَخْطُوطُ فَإِنَّ فِيهِ: (تودىلال شفا سط صلاح).

(٦) الَّذِي فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «البَسَّاسَةُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَبُسُّ مَنْ بَغَىٰ فِيهَا...».

(٧) تَمَّ اسْتِدْرَاكُهُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ مِنْهُ وَالسِّيَاقُ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهِ.

فِيهَا أي: تُخْرِجَهُ مِنْهَا[(١)].

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَحَدَّثَنِي هِنْدِيٌّ بِالهِنْدِ أَنَّهَا تُسَمَّىٰ عِنْدَ الهُنُودِ مَكِّي مَسِير.

وَقَالَ بَعْضُ الفُضَلَاءِ: اسْمُهَا كُوسَا[(٢)]، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

سَأَلْتُ عَمْرًا عَنْ فَتًىٰ اسْمُهُ	**يَحْيَىٰ وَثَانٍ اسْمُهُ عِيسَىٰ**
فَقَالَ: يَحْيَىٰ أَبْصَرْتُهُ جَالِسًا	**بَالْفَجِّ يَحْلِقُ رَأْسَهُ مُوسَىٰ**
وَأَبْصَرْتُ عِيسَىٰ دَاخِلًا قَرْيَةً	**هِيَ الَّتِي قَدْ سُمِّيَتْ كُوسَا**[(٣)]

وَيُسَمُّونَهَا التُّجَّارُ عُرُوقَ الذَّهَبِ، وَيُسَمُّونَهَا البَغَادِدَةُ مُرَبِّيَةَ الأَيْتَامِ.

وَقَدْ ذَكَرَ المَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ «مُرُوجِ الذَّهَبِ» أَنَّ مَكَّةَ مِنَ الإِقْلِيمِ الثَّانِي تُنْسَبُ إِلَىٰ المَرِّيخِ، وَبَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَوَاهَا صَحِيحٌ، وَجَوُّهَا طَيِّبٌ، وَلَيْلُهَا أَطْيَبُ مِنْ نَهَارِهَا؛ لِأَنَّهَا تَنْزِلُ فِي لَيَالِيهَا الرَّحْمَةُ عَلَىٰ مَنْ بِهَا، وَمَاؤُهَا مِنَ الآبَارِ، وَأَطْيَبُهَا مَاءً الشُّبَيْكَةُ[(٤)] وَالوَرْدِيَّةُ وَالوَاسِعَةُ، وَهِيَ بِئْرٌ وَرَاءَ جَبَلِ أَبِي

---

(١) «أَخْبَارُ مَكَّةَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ» (٢/ ٢٨١).

(٢) أَمَّا الفَاكِهِيُّ فَعِنْدَهُ «كُوثَىٰ».

(٣) أَمَّا الفَاكِهِيُّ كَمَا تَقَدَّمَ فَعِنْدَهُ «كُوثَىٰ»، وَالبَيْتُ عِنْدَهُ هَكَذَا:

«وَأَمَّا عِيسَىٰ فَلَقِيتُهُ دَاخِلًا   بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: كُوثَىٰ»

وَيُنْظَرُ مَا ذَكَرَ الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٨٧) عَنْ «كُوثَىٰ».

(٤) الشُّبَيْكَةُ: بِلَفْظِ تَصْغِيرِ شَبَكَةِ الصَّائِدِ، حَيٌّ كَبِيرٌ الآنَ مِنْ أَحْيَاءِ مَكَّةَ يَمْتَدُّ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ غَرْبًا إِلَىٰ رِيعِ الحَفَائِرِ، وَشَمَالًا إِلَىٰ حَارَةِ البَابِ، وَقَدْ أُزِيلَ هَذَا الحَيُّ سَنَةَ (١٤٢٩هـ). «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٥/ ٨٨٤).

قُبَيْسٍ(١)، فِيهَا يَرْبَحُ الفَقِيرُ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ بَنَتْهُ أُمُّ(٢) العَزِيزِ زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُورِ.

وَأَهْلُهَا عَرَبٌ وَأَشْرَافٌ مِنْ نَسْلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(٣)، وَهُمْ رِجَالٌ سُمْرٌ، لِأَنَّ جُلَّةَ مَنَاكِحِهِمُ الجَوَارِي السُّودُ مِنَ الحَبَشِ وَالنُّوبَةِ، طُوَالُ الجُثَثِ، صَحِيحُو اللُّغَةِ، قَلِيلُو المَالِ، كَثِيرُو العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ، ذَوُو قَنَاعَةٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**القَنَاعَةُ غِنًى**»(٤)، وَقَالَ ﷺ: «**القَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَنْفَدُ**»(٥).

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ قُرْصٍ(٦) وَقَلِيلِ سَمْنٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، وَفِي ذَلِكَ أَنْشَدَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ(٧) بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ:

---

(١) هَذَا الجَبَلُ يُشْرِفُ عَلَىٰ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، وَكَانَ يَزْحَمُ السَّيْلَ فَيَدْفَعُهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَنُحِتَ مِنْهُ الكَثِيرُ، وَشُقَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ طَرِيقًا لِلسَّيْلِ وَطَرِيقًا لِلسَّيَارَاتِ، وَهُنَا طُرْفَةٌ؛ وَهِيَ: الوَاقِفُ عَلَىٰ أَبِي قُبَيْسٍ يَرَىٰ الطَّائِفَ فَيَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ أَنَّ المَقْصُودَ مَدِينَةُ الطَّائِفِ فَيُدْهَشُ السَّامِعُ لِهَذَا القَوْلِ، وَالمَقْصُودُ بِذَلِكَ الطَّائِفُ الَّذِي يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٧/ ١٣٥١).

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ، وَالصَّوَابُ: «أَمَةُ العَزِيزِ» وَكُنْيَتُهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ» وَلَهَا تَرْجَمَةٌ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٢٤١) بِرَقْمِ (٦٤).

(٣) أُقْحِمَ هُنَا فِي المَطبوعِ كَلَامٌ لَا يُوجَدُ فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ فَحَذَفْتُهُ.

(٤) هَذَا لَيْسَ بِحَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ، وَالمُصَنِّفُ مِنْ خِلَالِ سَوْقِهِ لِعِدَّةِ أَحَادِيثَ يَظْهَرُ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِعِلْمِ الحَدِيثِ وعِلَلِهِ.

(٥) سَنَدُهُ ضَعِيفٌ، رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ الكَبِيرِ» بِرَقْمِ (١٠٤) وَأَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٦) أَيْ: قُرْصِ خُبْزٍ.

(٧) إِمَامٌ عَلَمٌ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُعَرَّفَ رَحِمَهُ اللهُ.

أَمَــتُّ مَطَــامِعِي وَأَرَحْــتُ نَفْسِــي ... فَــإِنَّ الــنَّفْسَ مَــا طَمِعَــتْ تَهُــونُ

وَأَحْيَيْــتُ القُنُــوعَ وَكَــانَ مَيْتًــا ... وَفِــي إِحْيَائِــهِ عِرْضِــي مَصُــونُ

إِذَا طَمَــعٌ أَحَــلَّ بِقَلْــبِ عَبْــدٍ ... عَلَتْــهُ مَذَلَّــةٌ وَعَــلَاهُ هُــونُ[(١)]

وَمَلْبَسُهم النِّصَافِيُّ[(٢)] النَّيْسَابُورِيُّ الرَّفِيعُ، وَيَتَحَزَّمُ[(٣)] بِنِصْفِهِ الثَّانِي وَيَرْمِي بِمَا فَضَلَ مِنْهَا. وَلِبْسُ نِسَائِهِمُ القُنُوعُ -وَقَدْ تَقَدَّمَ[(٤)] ذِكْرُ القُنُوعِ فِي أَعْمَالِ صَنْعَاءَ[(٥)]- وَالبَرَاقِعُ، وَمَأْكُولُهُمُ اللَّحْمُ وَالسَّمْنُ وَالخُبْزُ، وَأَسَامِيهِمْ: سَالِمٌ وَمُسَلَّمٌ وَغَانِمٌ وَغَنَّامٌ وَفَرَّاحٌ وَفَارِحٌ وَقَاسِمٌ وَهَيَّابٌ وَنَهَّابٌ وَوَثَّابٌ وَمُطَاعِمٌ وَمُطَاعِنٌ وَمُفَرِجٌ وَفَارِجٌ وَقَاسِمٌ وَقَائِمٌ وَضَاحِكٌ وَضَحْكَانُ وَسَلَال وَقِلَالٌ وَسَيَّارٌ وَهَبَّارٌ وَرَاشِدٌ وَرَشَادٌ وَرُشْدٌ[(٦)] وَشَاكِرٌ وَمُشَكِرٌ وَفَاضِلٌ وَفَضَايِلٌ وَطَالِبٌ وَظَالِبٌ وَوَاصِلٌ وَحَاصِلٌ وَرَاجِي وَمُرتَجِي وَرَاجِحٌ وَنَاجِحٌ وَفَاتِكٌ وَمَالِكٌ وَمَهْيُوبٌ وَهَيَّابٌ وَوَهَّاسٌ وَرَعَّاشٌ وَحَوَّاسٌ وَكَنَّاسٌ وَقَادِمٌ وَمُقَدمٌ وَمُشَمِّرٌ وَهَانِي وَمُهَنَّا وَزَاكِي وَطَائِبٌ وَظَافِرٌ وَنَاجِي وَمُنْجِي وَجَابِرٌ وَلَاحِقٌ وَسَيَّارٌ وَصَابِرٌ وَجَابِرٌ وَعَارِسٌ.

* * *

(١) وَهَذِهِ الأَبْيَاتُ هِيَ فِي الدِّيوَانِ المَنْسُوبِ لِلإِمَامِ الشَّافِعِيِّ (ص١١٢) شَامِلَة.

(٢) النِّصَافِيُّ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الأَقْمِشَةِ، وَوَصْفُهُ إِيَّاهُ بِالرَّفِيعِ دَلِيلٌ عَلَىٰ جَوْدَتِه.

(٣) «يَتَحَزَّمُ» أَيْ: يَتَّزِرُ.

(٤) صَوَابُهُ سَيَأْتِي.

(٥) سَيَأْتِي فِي القِسْمِ الثَّانِي مِنَ الكِتَابِ الكَلَامُ عَنْ صَنْعَاءَ وَعَنْ صِفَتِهَا.

(٦) فِي «أ»: «مُرْشِدٌ».

ذِكْرُ زَوَاجِ أَهْلِ مَكَّةَ

فِي العَشْرِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ يَخْطُبُ زَيْدٌ بِنْتَ عَمْرٍو، وَفِي العَاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ يَدْخُلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ عُرْسِهِ بِالنَّظْرَةِ وَالتَّطْهِيرِ. قُلْنَا: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالُوا: لِأَنَّ كُلًّا مِنَّا يَعِيشُ مَعَ الحَاجِّ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ مِنْ حَرَامٍ وَحَلَالٍ(١)، فَإِذَا رَحَلَ الحَاجُّ دَارَ الخِطْبُ وَالنِّكَاحُ وَالأَفْرَاحُ وَالأَعْرَاسُ بَيْنَ النَّاسِ.

فَإِذَا تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَقَطَعَ المَهْرَ وَأَرَادَ الدُّخُولَ عَلَىٰ المَرْأَةِ يَخْضِبُ الرِّجَالُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ تَزَيُّنًا، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَهْلِ اليَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ. وَيَحْضُرُ كُلُّ أَصْدِقَائِهِ مِنَ الأَهْلِ وَالأَقَارِبِ وَبِيَدِهِ قِرْطَاسٌ مَصْرُورٌ(٢) مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ الآتِي مَعَ وَزْنِ المَبْلَغِ وَعَدَدِهِ يُقَدِّمُهُ قُدَّامَ العَرُوسِ كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِ حَالِهِ وَسَعَةِ مَالِهِ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ النِّسَاءُ، وَيَخْرُجُ العَرِيسُ إِلَىٰ الحَرَمِ وَيَطُوفُ سَبْعًا وَيُصَلِّي فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ رَكْعَتَيْنِ وَيُقَبِّلُ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَيَخْرُجُ بِالشَّمْعِ إِلَىٰ بَيْتِ العَرُوسِ

---

(١) أَيْ: أَنَّهُمْ يُحَرِّمُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مَا حَرُمَ عَلَىٰ المُحْرِمِ وَيُحِلُّونَ لَهَا مَا أُحِلَّ لَهُ، وَالمُحْرِمُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَخْطُبَ وَلَا يَتَزَوَّجَ وَلَا يُزَوِّجَ غَيْرَهُ؛ لِمَا ثَبَتَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ (١٤٠٩) مَرْفُوعًا بِلَفْظِ: «لَا يَنْكِحُ المُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ» مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ ﵁.

(٢) أَيْ: مَرْبُوطٌ، وَفِي «مُعْجَمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ» (٢/ ٢٨٨): «مَصْرُورٌ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ صَرَّ: مَوْضُوعٌ فِي صُرَّةٍ وَمَشْدُودٌ عَلَيْهِ» اهـ. وَوَقَعَ فِي «ب»: «مَسْرُورٌ»، وَفِي المَطْبُوعِ: «مَشْرُورٌ»، وَكُلُّهُ خَطَأٌ.

فَتُجْلَىٰ عَلَيْهِ وَيَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَبْقَىٰ عِنْدَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَفِي اليَوْمِ السَّابِعِ يَخْرُجُ يَضُمُّ الطَّرْحَ الَّذِي طُرِحَ لَهُ وَيُدَبِّرُه رَأْسَ مَالٍ فِي يَدِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَفْتَحُ لَهُ دُكَّانًا يَعِيشُ بِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الطَّرْحُ دَيْنًا عَلَيْهِ(١).

وَكُلُّ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ حَضَرُوا العُرْسَ يَرْجِعُ يَرُدُّ إِلَيْهِمُ الَّذِي أَخَذَ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ القَوْمِ مِثْلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ أَوْ أَزْيَدَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ فِي سَائِرِ أَقَالِيمِ اليَمَنِ.

وَيَطْلُعُ بِهَا(٢) مِنْ جَمِيعِ الخُضَرِ مِثْلُ البِطِّيخِ وَالخَيَارِ وَالقِثَّاءِ وَالبَاذِنْجَانِ وَالكُرَّاثِ وَيَأْكُلُونَهُ بِالتَّمْرِ وَالفِجْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَبِهَا الرُّطَبُ الطَّيِّبُ مِنَ البَرْنِيِّ وَالمَكْتُومِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الأَيَّامِ يَجْتَمِعُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ الأَزْهَارِ وَالفَوَاكِهِ وَالثِّمَارِ وَالرَّيَاحِينِ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُزْرَعُ فِي زَهْرَانَ(٣) الزَّعْفَرَانُ، وَكَانَ يُرْفَعُ إِلَىٰ بَغْدَادَ كُلَّ عَامٍ بَعْدَ الخَرْجِ وَالمُؤَنِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَهُوَ الأَصَحُّ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ وَدَخْلِ الأَشْجَارِ

---

(١) أَيْ: المَالُ الَّذِي أُعْطِيَ مِنْ قِبَلِ الدَّاعِمِينَ لَهُ لِلزَّوَاجِ، فَإِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُهُمْ رَدَّ لَهُ مِثْلَهُ.

(٢) أَيْ: بِمَكَّةَ.

(٣) زَهْرَانُ: مِنْ أَكْبَرِ قَبَائِلِ عَسِيرٍ تَقَع دِيَارُهَا بَيْنَ بَنِي مَالِكٍ مِنَ الشَّمَالِ، وَغَامِدٍ مِنَ الشَّرْقِ، وَزُبَيْدٍ مِنَ الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ، وَذَوِي بَرَكَاتٍ وَذَوِي حَسَنٍ مِنَ الغَرْبِ إِلَىٰ مَا يَقْرُبُ إِلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ بِمِقْدَارِ (١٥) مِيلًا، وَتَنْقَسِمُ إِلَىٰ بُطُونٍ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ قَبَائِلِ العَرَبِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَةِ» (٢/ ٢٦) لِعُمَرَ كَحَّالَةَ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١).

وَجَنْيِ الثِّمَارِ وَسَقْيِ الأَنْهَارِ وَمَرَاعِي الإِبِلِ وَدَخْلِ النَّخِيلِ.

فَلَمَّا دَارَ الدَّهْرُ نَقَصَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْنَاهُ لِاخْتِلَافِ النِّيَّاتِ مَعَ قِلَّةِ الأَمَانَاتِ، وَكُلُّ مَنْ بِهَا(١) يَسْتَعْمِلُ الطِّيبَ مِنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ القَوْمِ سَيْفٌ وَلَمْ يَرْمُوا العُدَّةَ(٢) مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا فِي شَهْرِ اللهِ الأَصَمِّ رَجَبٍ، عَظَّمَ اللهُ حُرْمَتَهُ.

وَبِنَاءُ البَلَدِ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ وَبِنَاءُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ(٣) بِالشَّكْلِ، وَهَذَا فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَصَارَتْ بَعْدَهُ فِي أَيَّامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بِاللهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ لَمَّا بَنَىٰ الحَرَمَ الشَّرِيفَ كُلُّ دَارٍ تُشَابِهُ حِصْنًا مِنَ الحُصُونِ لِأَجْلِ إِحْكَامِهَا، وَبَنَىٰ الأَمِيرُ هَاشِمٌ مَدِينَةً ظَاهِرَ مَكَّةَ بَيْنَ دَرْبِ الثَّنِيَّةِ(٤) وَالمَسْفَلِ(٥) تُسَمَّىٰ مُرَبَّعَةَ الأَمِيرِ، فَكَانَ يَسْكُنُ بِهَا جُنْدُهُ وَخَدَمُهُ وَحَشَمُهُ وَبَقِيَ البَلَدُ عَامِرًا، وَخَرِبَتْ فِي دَوْلَةِ الأَمِيرِ عِيسَىٰ(٦) بْنِ فُلَيْتَةَ، وَبَقِيَتْ خَرَابًا إِلَىٰ دَوْلَةِ الأَمِيرِ قَتَادَةَ بْنِ

(١) أَيْ: مَكَّةَ.

(٢) أَيْ: السِّلَاحَ.

(٣) أَيْ: الدَّوْرِ الثَّانِي لِلْبُيُوتِ.

(٤) وَدَرْبُ الثَّنِيَةِ: هُوَ الشُّبَيْكَةُ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، كَمَا فِي «شِفَاءِ الغَرَامِ» (٢/ ٣٨٥) لِلْفَاسِيِّ، وَ«إِفَادَةِ الأَنَامِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ» (٣/ ١٦١)، وَالشُّبَيْكَةُ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٥) وَكَانَ لِلْمَسْجِدِ الحَرَامِ بَابٌ بِهَذَا الِاسْمِ وَذَكَرَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي «رِحْلَتِهِ» (ص٦٩) فَقَالَ: «ثُمَّ بَابُ «المَسْفَلِ» وَهُوَ عَلَىٰ جِهَةِ الجَنُوبِ وَعَلَيْهِ طَرِيقُ اليَمَنِ» اهـ، وَكَرَّرَ ذِكْرَهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المُرَادَ بِهِ «المَسْفَلَةُ» وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ.

(٦) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي: «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٥/ ٤٣٧) بِرَقْمِ (٢٢٩٣).

إِدْرِيسَ بْنِ مُطَاعِنِ[١] بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ، وَجَدَّدَ فِيهَا آثَارًا وَمَوَاضِعَ شَتَّىٰ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْكُنَ فِيهِ الغُرَبَاءُ وَقُرَيْشٌ وَيَسْكُنُ هُوَ وَجَمِيعُ أَهْلِ الشَّرَفِ مَكَّةَ فَمَاتَ عَلَىٰ غَفْلَةٍ وَبَطَلَ جَمِيعُ العَمَلِ مِنْ طُولِ الأَمَلِ.

وَأَدَارَ الأَمِيرُ قَتَادَةُ بْنُ إِدْرِيسَ عَلَىٰ مَكَّةَ سُورًا مِنَ الحَجَرِ وَالطِّينِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَرَكَّبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ: بَابُ دَرْبِ المَعْلَا[٢] يَنْفُذُ إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، وَبَابُ دَرْبِ الثَّنِيَّةِ يَنْفُذُ إِلَىٰ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَيُسَمَّىٰ بَابَ جُدَّةَ، وَبَابُ العُمْرَةِ[٣]، وَبَابُ المَسْفَلَةِ[٤] يَنْفُذُ إِلَىٰ اليَمَنِ، وَبَابُ الصَّغِيرِ يَنْفُذُ إِلَىٰ الصَّفَا الصَّافِي[٥] وَالصَّحِيفَةِ، وَهُوَ وَادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ طَرِيقٌ -عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ- وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

* * *

(١) تَصَحَّفَ فِي المَخْطُوطِ إِلَىٰ «مُطَاعِم» وَالتَّصْوِيبُ مِنْ تَرْجَمَتِهِ، وَتُنْظَرُ مِنْ «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٣/ ٥١٣) بِرَقْمِ (٤٧٢)، وَ«العِقْدُ الثَّمِينُ» (٥/ ٤٦٣) بِرَقْمِ (٢٣٣٧).

(٢) جَاءَ مَذْكُورًا فِي «الدُّرُّ الكَمِينُ» (٣/ ١٦٣٢) مِنَ التَّرْجَمَةِ رَقْمِ (١٧٣٩).

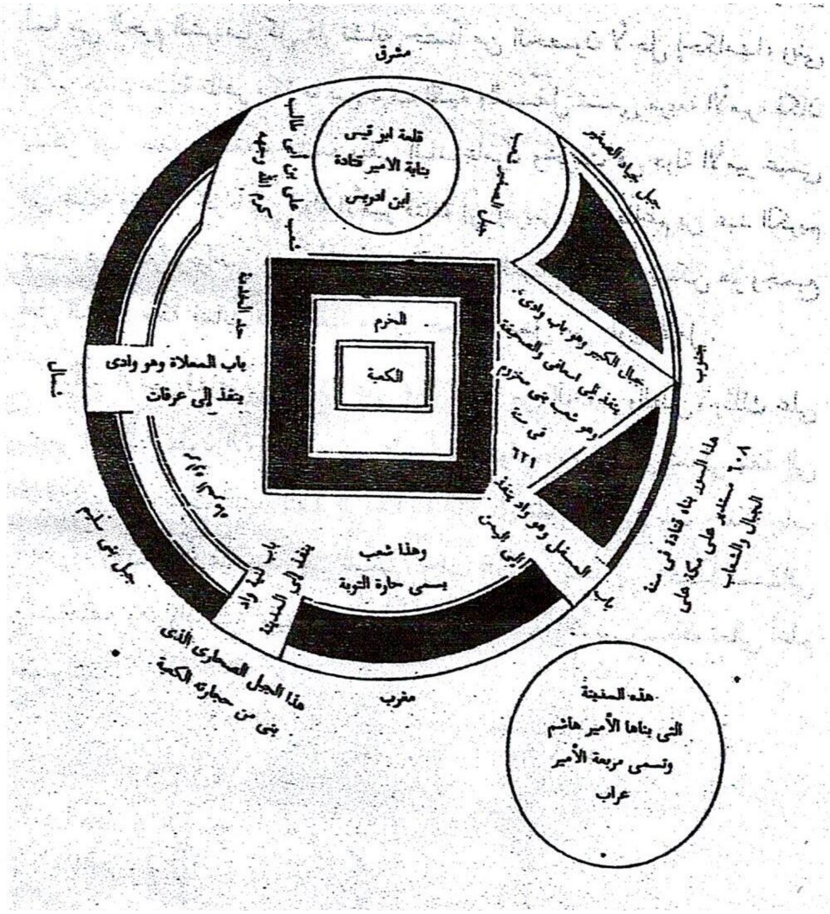
(٣) وَهَذَا البَابُ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا.

(٤) هَذَا يُؤَيِّدُ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ بِـ«بَابِ المَسْفَلِ» المُرَادُ بِهِ «بَابُ المَسْفَلَةِ».

(٥) فِي المَطْبُوعِ: «المَصَافِي» بَدَلَ «الصَّافِي».

صُورَةُ مَكَّةَ

وَصُورَةُ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:



ذِكْرُ وُلَاةِ مَكَّةَ مِنْ آلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[(١)]

الأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ مُكْثِرِ بْنِ عِيسَىٰ بْنِ مُكْثِرِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي هَاشِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ الجَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ دِيبَاجَةَ بَنِي هَاشِمِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالأَمِيرُ حَسَنُ[(٢)] بْنُ قَتَادَةَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ مُطَاعِنِ[(٣)] بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عِيسَىٰ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ الجَوْنِ، وَهَاهُنَا يَرْجِعُ النُّسبَانِ إِلَىٰ فَرْدِ نَسَبٍ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَزَلُوا مَكَّةَ مِنْ أَيَّامِ دَوْلَةِ الإِمَامِ عَبْدِ اللهِ الخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ إِلَىٰ سَنَةِ تِسْعَ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ.

---

(١) قَالَ أَبُو الفِدَاءِ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ غَلَبَ هَذَا فِي عِبَارَةِ كَثِيرٍ مِنَ النُّسَّاخِ لِلْكُتُبِ؛ أَنْ يُفْرَدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَنْ يُقَالَ: «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مِنْ دُونِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَوْ: «كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ»، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ صَحِيحًا لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاوَىٰ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ، فَالشَّيْخَانِ وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ مِنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ» (٦/ ٤٧٨) ط. «دَارِ طَيْبَةَ».

(٢) تُنظر تَرْجَمَتُهُ مِنَ «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٣/ ٤٠٢) بِرَقْمِ (١٠٠٨).

(٣) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «مُطَاعِمٍ».

وَفِي هَذَا التَّارِيخِ مَلَكَهَا السُّلْطَانُ المَلِكُ المَسْعُودُ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو المُظَفَّرِ يُوسُفُ[(١)] بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي[(٢)] بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ.

* * *

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «العِقْدُ الثَّمِينُ» (١/ ١٢٠).

(٢) يُنْظَرُ: «الإِكْمَالُ» (٥/ ٦) بَابُ شَاذِي.

ذِكْرُ المُعَامَلاتِ

وَنَقْدُ البَلَدِ ذَهَبٌ مِصْرِيٌّ، وَبِهَا يُضْرَبُ عَلَىٰ عِيَارِ المِصْرِيِّ، يَسْوَىٰ الدِّينَارُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ عَلَوِيًّا[(١)]، وَيُحْسَبُ كُلُّ عَلَوِيٍّ أَرْبَعَة دَرَاهِمَ كُلُّ دِرْهَمٍ سِتَّةُ فُلُوسٍ، فَلَمَا رَجَعَتِ الدَّوْلَةُ لِآلِ أَيُّوبَ ضَرَبُوا الدَّرَاهِمَ الكِبَارَ، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ هَذَا الدِّرْهَمَ الكَبِيرَ بِهَا المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ[(٢)] بْنُ طُغْتِكِينَ فِي اليَمَنِ، وَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ الكِبَارَ بِمَكَّةَ المَلِكُ المَسْعُودُ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ قَوَانِينِ اليَمَنِ، يَسْوَىٰ الدِّينَارُ المِصْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَنَانِير وَنِصْفَ مَلَكِيٍّ يَصِحُّ ثَمَنُه ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا يُحْسَبُ كُلُّ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ دَنَانِير دِينَار مَكِّيّ، وَكُلُّ دِرْهَمٍ ثَلَاثُ جُوَزٍ كُلُّ جَايِزٍ ثَمَانِيَةُ فُلُوسٍ، وَكُلُّ فِلْسٍ أَرْبَعُ دُرَسٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ[(٣)]: وَكُلُّ مَا كَانَ يَصِحُّ فِي أَوَّلِ العَهْدِ بِعَلَوِيٍّ رَجَعَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِدِرْهَمٍ كَبِيرٍ.

وَالرَّطْلُ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا، وَهُوَ سِتَّةُ أَوْاقٍ يُحْسَبُ كُلُّ أُوقِيَّةٍ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَثُلُثٌ وَبِهِ يُبَاعُ جَمِيعُ الحَوَائِجِ وَالعِطْرِ. وَمِنَ اليَمَنِ ثَلَاثُمِائَةٍ

---

(١) هِيَ عُمْلَةٌ تُسَكُّ بِاسْمِ الخَلِيفَةِ.

(٢) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «السِّيَرِ» (١٩/ ٥٧٥) بِرَقْمِ (٣٢٩)، وَ«قِلَادَةِ النَّحْرِ» (٤/ ١٠١) بِرَقْمِ (٢٢٧٣).

(٣) هُوَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ.

وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَبِهِ يُبَاعُ الثِّيَابُ وَالسُّكَّرُ وَالعَسَلُ وَجَمِيعُ الحَوَائِجِ الحُلْوَةِ، وَمَنُّ اللَّحْمِ أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَبِهِ يُبَاعُ اللَّحْمُ وَالشَّحْمُ وَالهَرِيسَةُ وَالمَجْبَنَةُ وَالأَلْيَةُ، وَمَنُّ السَّمْنِ ثَمَانُمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَبِهِ يُبَاعُ السَّمْنُ وَالزَّيْتُ وَالخَلُّ وَالشِّيرَجُ، وَالذِّرَاعُ اليَدُ فِي أَيَّامِ المَوْسِمِ وَأَيَّامِ الصَّدَقَةِ، وَإِذَا كَانَ بَعْدَ المَوْسِمِ بِمُدَّةِ شَهْرٍ كَامِلٍ زِيدَ فِي الذِّرَاعِ، وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ زِيدَ فِي الذِّرَاعِ وَرَجَعَ الذِّرَاعُ عَلَىٰ ذِرَاعِ مِصْرَ، وَكَانَتْ صِنْجَةُ(١) مَكَّةَ فِي بَغْدَادَ تَصِحُّ المِائَةُ خَمْسَةً وَتِسْعِينَ دِينَارًا.

فَلَمَّا تَوَلَّىٰ مَلِكُ الحِجَازِ طُغْتِكِينُ الكَامِلِيُّ نَقَصَ المِائَة الدِّينَارِ فَصَارَ الآنَ تَصِحُّ المِائَةُ المَكِّيَّةُ بِبَغْدَادَ أَرْبَعَةً وَتِسْعِينَ دِينَارًا، وَجَمِيعُ مَا يُبَاعُ بِمَكَّةَ مُقَايَضَةً كَجٌّ بِكَجٍّ(٢)، وَيُبَاعُ الحِنْطَةُ وَسَائِرُ الحُبُوبِ بِالصَّاعِ وَيُحْسَبُ الصَّاعُ أَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ وَكُلُّ مُدٍّ أَرْبَعَةُ أَرْبَاعِ رَطْلٍ، وَيُبَاعُ الأَدَمُ بِالبَيْعَةِ كُلُّ بَيْعَةٍ مِائَةُ مَنٍّ يَصِحُّ الحِمْلُ بِبَيْعَتَيْنِ وَنِصْفٍ، وَيُحْسَبُ العَوَارُ(٣) ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: عَوَارُ الَّذِي يَكُونُ فِي أَوْسَطِ الطَّاقِ خَدْشٌ بِسِكِّينٍ فِي رَقَبَةِ الطَّاقِ، وَالثَّانِي الشَّعْرَانِيُّ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي الشَّعَرِ، وَالمُقَفَّعُ يَكُونُ قَدْ تَقَفَّعَ الكَيْمُخْتُ(٤) مِنْ عَلَىٰ الجِلْدِ، وَكَذَلِكَ اليَابِسُ مِنَ الدُّهْنِ

---

(١) الصِّنْجَةُ: هِيَ عِيَارٌ يُعَايَرُ بِهِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: سِنْجَةٌ، يُنْظَرُ: «تَوْضِيحُ المُشْتَبِهِ» (٥/ ١٨٤)، وَ«تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ» (٢/ ٦٩٧)، وَيُنْظَرُ تَعْلِيقُ المُعَلِّمِيِّ عَلَىٰ كِتَابِ «الإِكْمَالِ» (٤/ ١٥٣)، وَكَذَا يُنْظَرُ: «عَجَائِبُ الآثَارِ» (٣/ ٣٩٩) لِلْجَبَرْتِيِّ.

(٢) وَالمُقَايَضَةُ هِيَ: بَيْعُ سِلْعَةٍ بِسِلْعَةٍ.

(٣) وَهُوَ مَا فِيهِ عَيْبٌ.

(٤) الكَيْمُخْتُ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَهُوَ جِلْدُ الحِمَارِ أَوِ الفَرَسِ أَوِ البَغْلِ المَدْبُوغِ.

وَالخَفِيفُ وَالأَسْوَدُ، وَالأَدِيمُ الجَيِّدُ وَهُوَ الثَّقِيلُ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ عِنَّابِيُّ الوَجْهِ مُشْتَبِكٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مُبَرَّأٌ مِنَ العُيُوبِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: هَذَا فِي اليَمَنِ وَنَوَاحِيهَا يَكُونُ يَسْوَىٰ كُلُّ مِائَةِ مَنٍّ بِخُوَارِزْم عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا سَبْعِينَ دِينَارًا.

وَيُدْبَغُ الأَدِيمُ فِي جَمِيعِ إِقْلِيمِ اليَمَنِ وَالحِجَازِ وَنَوَاحِيهَا وَيَبِيعُونَهُ طَاقَاتٍ[١] بِالعَدَدِ، وَكَذَلِكَ الحَبَشَةُ وَأَعْمَالُهَا، وَيُسَمِّيهِ العَجَمُ أَدِيم خُوش، وَفِي كَشَكَ مِنْ أَعْمَالِ الهِنْدِ كَذَلِكَ، وَمَا تُدْبَغُ الأَدَمُ إِلَّا بِالقَرَظِ، وَيُدْبَغُ فِي مَكَّةَ جُلُودُ الجِمَالِ وَالبَقَرِ وَالغِزْلَانِ، وَكَانَ مُسَافِرُو خُرَاسَانَ يَشْتَرُونَ جُلُودَ البِغَالِ الفَحُولَةِ مِنْ رُسْتَاقِ[٢] المَوْصِلِ وَسَوَادِ إِرْبِلَ[٣] وَتُدْبَغُ فِي مَكَّةَ، وَقَدْ بَطَلَ جَمِيعُ ذَلِكَ مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ لِظُهُورِ الكَافِرِ بِخُرَاسَانَ وَالرَّيِّ.

وَالأَدِيمُ الخَفِيفُ يَصْلُحُ لِلْعِرَاقِ وَالشَّامِ؛ لِأَنَّهُمْ يَنْشُرُونَ الطَّاقَ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهُ عَلَىٰ الكَيْمُخْتِ، وَمَا يُرِيدُونَ فِي خُوَارِزْمَ وَخُرَاسَانَ إِلَّا الأَدِيمَ الثَّقِيلَ لِأَنَّهُمْ يُبَطِّنُونَ بِهِ الخُفَّ، وَيُقَالُ فِي الأَثْمَانِ: يَسْوَىٰ الخُوَارِزْمِيُّ الصَّا[٤] أَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ[٥] زَنْكِيَّةً[٦]

---

(١) الطَّاقَةُ: هِيَ اللَّفَّةُ مِثْلُ لَفَّةِ القُمَاشِ الَّتِي فِي مَحَلَّاتِ الخِيَاطَةِ وَمَحَلَّاتِ بَيْعِ الأَقْمِشَةِ.

(٢) الرُّسْتَاقُ: مُعَرَّبٌ وَيُسْتَعْمَلُ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي هِيَ طَرَفُ الإِقْلِيمِ. «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص١٣٤).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٧٢).

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «الصَّا» مَعَ تَشْدِيدِ الصَّادِ.

(٥) جَمْعُ «دَانَقٍ» بِفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِهَا: سُدُسُ الدِّرْهَمِ. «مُخْتَارُ الصِّحَاحِ» (ص٢١٢).

(٦) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «زَنْكِيَّةً» وَفِي المَطْبُوعِ: «رَبْكِيَّةً»، وَالزَّنْكِيَّةُ نِسْبَةً إِلَىٰ الدَّوْلَةِ أَوِ الإِمَارَةِ الزَّنْكِيَّةِ =

وَخِفَّةَ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَكَذَلِكَ الرُّومُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الصَّدِيقَ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ، وَالعَدُوَّ بِمَنْزِلَةِ الرِّجْلِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَبَّسَتْ أَهْلُ هَذِهِ النَّوَاحِي أَرْجُلَهُمْ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ مِنَ المَلَابِسِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رِزْقِ اللهِ قَالَ لِي: هَلْ تَرَوْنَ فِي خُرَاسَانَ كَوْكَبَ سُهَيْلٍ؟ قُلت: لَا وَاللهِ، قَالَ: لِهَذَا لَمْ يَصِحَّ لَهُمْ دِبَاغَةُ الأَدَمِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: كُلُّ إِقْلِيمٍ يَطْلُعُ عَلَيْهِ وَفِيهِ سُهَيْلٌ يَصِحُّ فِيهِ دِبَاغَةُ الأَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ [يُخَضِّرُ وَيُصَفِّرُ][(١)] وَيُحَمِّرُ وَيَصِيرُ إِلَىٰ مَا تَرَىٰ مِنَ اللِّيُونَةِ وَالنُّعُومَةِ.

* * *

=

الَّتِي أَسَّسَهَا عِمَادُ الدِّينِ الزَّنْكِيُّ بِالمَوْصِلِ كَمَا فِي «مَوْسُوعَةِ وِيكِيبِيدْيَا».

(١) مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ المَطْبُوعِ.

مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ

عَلَىٰ طَرِيقِ بَنِي عُصَيَّةَ وَهُمُ السِّرْ[1] ومِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَطْنِ مَرٍّ[2] أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ وَهُوَ وَادٍ طَيِّبٌ، وَبَنَىٰ فِيهِ بَعْضُ أُمَرَاءِ مَكَّةَ مِنَ الشَّرْقِ قَصْرًا، وَهُوَ الآنَ خَرَابٌ، وَإِلَىٰ الهَدَىٰ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ بَرْزَةَ[3] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ شَابَةَ[4] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المَدِينَةِ قَدْرُ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ هَجَرَ قَدْرُ سَبْعة فَرَاسِخَ، أَرْضُ عَزَّةَ، وَهِيَ أَرْضُ بَنِي سُلَيْمٍ الَّتِي فَتَحَهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

❋ ❋ ❋

(١) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «السرو» وَالسَّبَبُ هُوَ لُصُوقُ الوَاوِ إِلَىٰ الرَّاءِ مِنْ «السِّر».

(٢) هُوَ مَرُّ الظَّهْرَانِ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٧/ ١٥٥٧).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (١/ ١٨٩).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٥/ ٨١٣).

ذِكْرُ فَتْحِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الجِبَالَ

حَدَّثَنِي عِيسَىٰ بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ بْنِ مُظَفَّرٍ البَغْدَادِيُّ بِمَكَّةَ قَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ أَنَّهُ كَانَ لِبَنِي سُلَيْمٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ نَحْلٌ عَظِيمٌ، فَكَانَ إِذَا جَاءَهُمْ عَدُوٌّ دَخَّنُوا فِي الأَكْوَارَاتِ -يَعْنِي النَّحْلَ- فَكَانَ يَطِيرُ وَيَعْلُو الجَوَّ، فَيَبَانُ[1] لِنَاظِرِهِ شِبْهَ غَمَامَةٍ مِنْ كَثْرَتِهِ، فَإِذَا تَعَلَّىٰ انْحَدَرَ وَنَزَلَ عَلَىٰ خَيْلِ العَدُوِّ وَنَكَّدَ عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْهَزِمُ خَيْلُ العَدُوِّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَ بَنُو سُلَيْمٍ قَدْ قَهَرُوا جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ بِهَذَا الفَنِّ، وبَقُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ إِلَىٰ أَنْ أَظْهَرَ اللهُ ﷻ الإِسْلَامَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَىٰ هَذِهِ الأَعْمَالِ، فَفَعَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَلَّمَا صَعِدَ النَّحْلُ الجَوَّ وَانْحَدَرَ عَلَىٰ عَسَاكِرِ الإِسْلَامِ نَادَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَيْنَ يَعْسُوبُ الدِّينِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَيْنَ أَمِيرُ النَّحْلِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَلَمَّا سَمِعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ- ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ ﷺ جَذَبَ ذَا الفِقَارِ[2] وَحَمَلَ عَلَىٰ النَّحْلِ، فَأَدْبَرَتِ النَّحْلُ عَلَىٰ أَثَرِهَا رَاجِعِينَ عَلَىٰ بَنِي سُلَيْمٍ وَلَدَغَتْهُمْ، فَهَرَبَتْ بَنُو سُلَيْمٍ بَيْنَ أَيْدِي النَّحْلِ إِلَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ

---

(١) أَيْ: يَظْهَرُ.

(٢) اسْمُ سَيْفٍ.

وَفَتَحَ اللهُ جِبَالَ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَىٰ يَدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَلَمَّا اسْتَتَمَّ الفَتْحُ وَاسْتَقَامَ النَّصْرُ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَبَّهْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِاليَعْسُوبِ وَهُوَ النَّحْلَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ كَالنَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا طَيِّبٌ**»(١) فَمِنْ ذَلِكَ الحِينِ والوَاقِعَةِ(٢) لُقِّبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَعْسُوبِ الدِّينِ أَمِيرِ النَّحْلِ.

وَإِلَىٰ الآنَ يُجْلَبُ مِنْ هَذِهِ الجِبَالِ نَحْلٌ، أَيْ عَسَلٌ يَشْتَرِي مِنْهُ الحَاجُّ وَالحِجَازُ وَبَعْضُ أَهْلِ اليَمَنِ.

* * *

(١) هَذِهِ القِصَّةُ فِي عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ- لَا صِحَّةَ لَهَا وَلَا سَنَدَ، إِنَّمَا هِيَ مِمَّا نَسَجَهُ الشِّيعَةُ، سِوَىٰ قَوْلِهِ: «المُؤْمِنُ كَالنَّحْلَةِ...» فَقَدْ وَرَدَ بِسَنَدٍ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ فِيهِ وَكِيعَ بْنَ عُدُسٍ مَجْهُولٌ، وَهُوَ عِنْدَ البُخَارِيِّ فِي «التَّارِيخِ الكَبِيرِ» (٧/ ٢٤٨).

(٢) فِي المَطْبُوعِ: «أو الوَاقِعَةِ».

ذِكْرُ وَادِي انْظُر

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ لَيْلَةَ السَّبْتِ سَادِسِ شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَأَنَّ إِنْسَانًا يَقُولُ لِي: إِنَّ فِي أَعْمَالِ المَدِينَةِ يَثْرِبَ وَادِي مَسْرُوق وَجِبَالًا وَشِعَابًا لَمْ يَفْتَهِمْ أَحَدٌ كَيْفَ دُخُولُهُ. قُلْتُ لَهُ: مَا يُسَمَّىٰ؟ قَالَ: وَادِي انْظُر، قُلْتُ: وَمَا المَعْنَىٰ فيهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ سَأَلَ إِنْسَانٌ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الوَادِي فَقَالَ لَه: مِنْ أَيْنَ الشَّيْخُ؟ فَقَالَ: مِنْ وَادِي انْظُر. قُلْتُ: وَمَا المَعْنَىٰ فِي هَذَا الاِسْمِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ وَادٍ لِلإِسْلَامِ بِهِ عِزٌّ، قُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ سُكَّانُهُ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَوْلَادِ حَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَوْمٌ لَا عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ وَلَا هِنْدٌ وَلَا حَبَشٌ وَلَا تُرْكٌ وَلَا نَبَطٌ، بَلْ لَهُمْ لُغَةٌ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ، قُلْتُ: فَكَمْ يَصِحُّ دَوْرُهُ؟ قَالَ: فَرْسَخَيْنِ أَوْ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ، وَلَا يَزَالُ الأَمِيرُ قَاسِمُ[1] بْنُ المُهَنَّا بْنِ جَمَّازٍ الحُسَيْنِيُّ يَرْعَىٰ إِبِلَهُ وَنَعَمَهُ فِيهِ، وَأَرْضُهُ ذَاتُ مَزَارِعَ وَعُيُونٍ وَأَمْنٍ وَسُكُونٍ، وَقَدْ خَلَتْ مِنَ السَّبَبِ فِي خُلُوِّهَا؟[2] قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَلَبَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ قَتَلَ الأَمِيرُ قَاسِمُ بْنُ المُهَنَّا بْنِ جَمَّازٍ ابْنَ

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٥/ ٤٥٩) بِرَقْمِ (٢٣٢٩).

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وَقَدْ خلت مِنَ السَّبَبِ فِي خُلُوِّهَا» وَكَأَنَّ شَيْئًا سَقَطَ أَمَّا طَبْعَة «مَكْتَبَة الثَّقَافَة» فَزَادَ المُحَقِّقُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

عَمِّهِ شِيحَةَ(١) وَتَوَلَّىٰ بَعْدَ قَتْلِهِ الأَمِيرُ هَاشِمُ بْنُ قَاسِمٍ عَلَىٰ مُلْكِ مَكَّةَ، وَمَعَ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الوَادِي فِي هَذِهِ الأَوْدِيَةِ وَالجِبَالِ وَالشِّعَابِ مَسْرُوقًا لَم يَعْلَمْهُ أَحَدٌ مِنَ الأَعْرَابِ سِوَىٰ السُّكَّانِ(٢) وَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ.

وَإِلَىٰ الخَضْرَاءِ(٣) مِنْ يَثْرِبَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ وَبِهِ أَعْيُنٌ وَنَخيلٌ، وَيَسْكُنُ أَهْلُهَا فِي أَخْدَارِ الشَّعَرِ إِلَىٰ الآنَ، وَإِلَىٰ عَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَهِيَ عَيْنٌ جَارِيَةٌ وَعَلَيْهَا نَخِيلٌ(٤)، وَهِيَ أَوَاخِرُ الجِبَالِ وَالأَوْدِيَةِ وَأَوَّلُ الفَلَاةِ وَالرِّمَالِ، وَإِلَىٰ عُمْقٍ(٥) أَرْبَعة فَرَاسِخَ وَبِهِ أَعْيُنٌ وَنَخِيلٌ، وَأَحْرَقَ نَخْلَهَا الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو عَزِيزٍ قَتَادَةُ(٦) بْنُ إِدْرِيسَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَإِلَىٰ نَجْدٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَتُسَمَّىٰ مَبْرَك، وَهِيَ أَرْضٌ قَفْرٍ وَبِهَا بِرْكَةٌ عَظِيمَةٌ خَلَقَهَا الرَّحْمَٰنُ، وَيُقَالُ: اغْتَسَلَ بِهَا وَمِنْ مَائِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَلَا يَزَالُ بِهَا المَاءُ طُولَ الدَّهْرِ مِنْ بَرَكَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَتَمُرُّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ جِبَالٍ تُسَمَّىٰ البَرَانِين، فَإِذَا كُنْتَ طَالِبًا المَدِينَةَ فَاتْرُكْ جَبَلَيْنِ

---

(١) تُنظر تَرْجَمَةُ شِيحَةَ مِنْ «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٤/ ٢٦٧) بِرَقْمِ (١٣٨٦).

(٢) كَذَا فِي «أ»، وَفِي «ب»: «سُكَّان» وَفِي المَطْبُوعِ: «سُكَّانِهِ».

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٣/ ٥٥٤).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٤/ ٧٣٥) فِي «رُهاط».

(٥) ذَكَرَهُ صَاحِبُ «المَنَاسِكُ وَأَمَاكِنُ طُرُقِ الحَجِّ» (ص٨٦) وَقَالَ: لِبَنِي سُلَيْمٍ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٦/ ١٢٠١).

(٦) تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَىٰ تَرْجَمَتِهِ.

مِنْهَا عَلَىٰ يَسَارِكَ، وَإِنْ كُنْتَ طَالِبًا مَكَّةَ فَاتْرُكْهُمَا عَنْ يَمِينِكَ وَامْشِ بِالقُرْبِ مِنَ الجِبَالِ لِكَيْ لَا تَضِلَّ، لِأَنَّهُ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ أَبْيَضُ يُشَابِهُ دَقِيقَ السَّمِيدِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا مَمَرَّ إِلَيْهِ إِلَّا فِي هَذَا المَكَانِ.

وَإِلَىٰ بِئْرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهِيَ بِئْرٌ عَظِيمَةُ البِنَاءِ يَرْوِي الحَاجُّ مِنْهَا وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الأَعْرَابِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ المَوَاشِي وَغَيْرِهِمْ.

وَإِلَىٰ قُبَاءٍ(١) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَكَانَتْ مَدِينَةً قَبْلَ المَدِينَةِ، وَقِيلَ: بُنِيَتْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي مَسْجِدِهَا قِبْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا إِلَىٰ المَشْرِقِ وَالثَّانِيَةُ إِلَىٰ الكَعْبَةِ، لَمَّا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُوَجِّهَ وَجْهَهُ نَحْوَ الكَعْبَةِ قَالَ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(٢) ثُمَّ إِلَىٰ المَدِينَةِ فَرْسَخٌ بَيْنَ نَخْلٍ بَاسِقَاتٍ شَامِخَاتٍ.

* * *

(١) وَمَا زَالَ هَذَا الحَيُّ يُعْرَفُ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا بِـ«قُبَاءٍ» وَفِيهِ مَسْجِدُ قُبَاءٍ الَّذِي أَسَّسَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» بِرَقْمِ (٣٩٠٦)، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ كِتَابِي «نَثْرُ الجَوَاهِرِ المُضِيَّةِ عَلَىٰ كِتَابِ أَمَالِي فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» (ص١٢٧ - ١٣٠)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢).

(٢) [البَقَرَة، آيَة: ١٤٤]، وَيُنْظَرُ دَلِيلُ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» بِرَقْمِ (٤٠٣)، وَ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (٥٢٦).

وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ

مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ مِنًى فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ المَشْعَرِ الحَرَامِ(١) فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ جَبَلِ عَرَفَاتٍ فَرْسَخٌ، مُبْتَدَىٰ وَادِي نَعْمَانَ(٢)، وَفِيهِ أَرَاكٌ وَسُخَّلٌ(٣).

أَلَا هَلْ لِأَيَّامِ المُحَصَّبِ أَوْبَةٌ ... وَهَلْ لِي بِهَاتِيكَ القِبَابِ حُلُولُ

وَهَلْ لِلَيَالِي الخَيْفِ بِالخَيْفِ مَرْجَعٌ ... وَهَلْ بِمَبِيتٍ بِالجِمَارِ سَبِيلُ

وَهَلْ لِي بِأَعْلَامِ المُعَرَّفِ وَقْفَةٌ ... وَبِالسَّرْحِ مِنْ وَادِي الأَرَاكِ مَقِيلُ

وَإِلَىٰ بُرْقَةَ(٤) ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَبِهِ قَبْرُ الأَمِيرِ شُكْرِ(٥) بْنِ أَبِي الفُتُوحِ الَّذِي اسْتَفْتَحَ جُدَّةَ، وَإِلَىٰ المَرْزَةِ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَالأَصَحُّ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الحِجْرِ(٦)

---

(١) وَهُوَ مُزْدَلِفَةُ، وَهُنَاكَ جَبَلٌ صَغِيرٌ دَعَا عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَمَا صَلَّىٰ فَجْرَ اليَوْمِ العَاشِرِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، عِندَمَا حَجَّ، وَقَدْ بُنِيَ مَكَانَهُ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِـ«مَسْجِدِ المَشْعَرِ»، وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَفْعَلَ الحَاجُّ ذَلِكَ الفِعْلَ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ مُزْدَلِفَةَ، فَمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ وَمَشْعَرٌ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣).

(٢) وَادِي نَعْمَانَ كَانَ قَدِيمًا يَسْكُنُهُ مِنْ جِهَةِ عَرَفَةَ هُذَيْلٌ وَأَسْفَلَهُ قُرَيْشٌ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٩/ ١٧٥٤).

(٣) السُّخَّلُ: الشِّيصُ عِنْدَ أَهْلِ الحِجَازِ يَقُولُونَ: سَخِلَتِ النَّخْلَةُ إِذَا حَمَلَتْ شِيصًا. «النِّهَايَةُ».

(٤) بُرْقَةُ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (١/ ١٩٠).

(٥) كَانَ أَمِيرًا عَلَىٰ مَكَّةَ وَمَاتَ سَنَةَ (٤٥٣هـ)، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٢٦٣) بِرَقْمِ (١٣٧٨).

(٦) الحِجْرُ، يُنْظَرُ لَهُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٢/ ٤١٢).

فَرْسَخَانِ، وَيَكُونُ جَوَازُكَ[1] عَلَىٰ جَبَلٍ عَالٍ يُسَمَّىٰ عَفَرَ[2].

قَالَ ابْنُ الْمُجَاوِرِ: وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُسَمَّىٰ غَزْوَانَ[3]، وَبِهِ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا خِفْتُ يَوْمًا مِنْ أَمِيرٍ عُقُوبَةً ... فَلِي بِاللَّوَىٰ مِنْ رَأْسِ غَزْوَانَ مَنْزِلُ

❊ ❊ ❊

---

(١) أَيْ: طَرِيقُكَ.

(٢) عَفَرُ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٦/ ١١٦٨).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٦/ ١٢٦٠).

بِنَاءُ الطَّائِفِ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الفَاكِهِيِّ[(١)] قَالَ: حَدَّثَنِي الحُسَيْنُ[(٢)] قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الكَلْبِيِّ، عَنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارٍ، وَيُقَالُ: عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ[(٣)]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّخَعُ وَثَقِيفٌ رَجُلَيْنِ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارٍ يُقَالَ لِأَحَدِهِمَا: ثَقِيفٌ، وَهُوَ قَسِيُّ بْنُ مُنَبِّهٍ ابْنُ بِنْتِ أَفْصَىٰ بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ إِيَادِ بْنِ نِزَارٍ، وَالآخَرُ: النَّخَعُ بْنُ عَمْرٍو[(٤)] بْنِ طَهْمَانَ[(٥)] بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ يَقْدمَ بْنِ أَفْصَىٰ بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ إِيَادِ بْنِ نِزَارٍ، فَخَرَجَا وَمَعَهُمَا غُنَيْمَاتٌ لَهُمَا فِيهَا عَنْزٌ لَبُونٌ وَهُمَا يَشْرَبَانِ مِنْ لَبَنِهَا، فَعَرَضَ لَهُمَا مُصَدِّقُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِمَا الصَّدَقَةَ. فَقَالَا: خُذْ مِنْ أَيَّتِهِنَّ شِئْتَ، فَقَالَ: آخُذُ صَاحِبَةَ اللَّبَنِ، فَقَالَا[(٦)]: إِنَّمَا مَعِيشَتُنَا وَمَعِيشَةُ هَذَا الجَدْيِ مِنْ لَبَنِهَا. فَأَبَىٰ إِلَّا أَخْذَهَا فَقَتَلَهُ أَحَدُهُمَا، فَقَالَ لَهُ

---

(١) تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٢) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «حَسَنُ بْنُ حُسَيْنٍ».

(٣) يُقَارَنُ بَيْنَ مَا هُنَا وَبَيْنَ مَا فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» لِلْفَاكِهِيِّ.

(٤) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «عُمَرَ».

(٥) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «الطَّمْثَان» قَالَ مُحَقِّقُهُ: وَفِي الأَصْلِ «الطَّمْيَان»، وَصَحَّحَهُ مِنْ «جَمْهَرَةِ النَّسَبِ» لِابْنِ حَزْمٍ. وَيُنْظَرُ لَهُ: «المُؤْتَلِفُ وَالمُخْتَلِفُ» (٢/ ١٤٩٠) لِلدَّارَقُطْنِيِّ مِنْ «طَمْثَانَ».

(٦) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «فَقَالُوا» وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» وَالمُؤَلِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ وَهُوَ خَطَأٌ وَاضِحٌ.

صَاحِبُهُ: لَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ بَلَدٌ وَلَا تَحْوِينَا أَرْضٌ، فَإِمَّا أَنْ تَصْعَدَ وَأَنْحَدِرَ، وَإِمَّا أَنْ تَنْحَدِرَ وَأَصْعَدَ، فَقَالَ النَّخعُ: أَنَا أَصْعَدُ.

فَأَتَىٰ النَّخعُ[(١)] بِيشَة[(٢)] فَنَزَلَهَا، وَمَضَىٰ ثَقِيفٌ إِلَىٰ وَادِي القُرَىٰ[(٣)]، فَكَانَ يَأْوِي إِلَىٰ عَجُوزٍ يَهُودِيَّةٍ يَكْمُنُ عِنْدَهَا بِاللَّيْلِ وَيَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اتَّخَذَتْهُ وَلَدًا وَاتَّخَذَهَا أُمًّا، فَلَمَّا حَضَرَهَا المَوْتُ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِذَا أَنَا مِتُّ فَخُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَهَذِهِ القُضْبَانَ مِنَ الكَرْمِ، فَإِذَا نَزَلْتَ بَلَدًا فَاغْرِسْ هَذِهِ القُضْبَانَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمُ مِنْهَا رِزْقًا.

فَفَعَلَ ثَقِيفٌ ذَلِكَ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّىٰ نَزَلَ مَوْضِعًا قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ، فَإِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ حَبَشِيَّةٍ عَلَىٰ ظَهْرٍ تَرْعَىٰ مِائَةَ شَاةٍ لِمَوْلَاهَا. فَأَسَرَّ طَمَعًا فِيهَا وَقَالَ: أَقْتُلُهَا وَآخُذُ الغَنَمَ، فَأُلْقِيَ فِي نَفْسِهَا مَا أَرَادَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا هَذَا، كَأَنَّكَ طَمِعَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْتُلَنِي وَتَأْخُذَ غَنَمِي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ لَهُ: لَقَدْ عَدَلْتَ[(٤)] وَلَوْ قَتَلْتَنِي وَأَخَذْتَ الغَنَمَ مَا نَجَوْتَ، فَأَنَا جَارِيَةُ عَامِرِ[(٥)] بْنِ الظَّرِبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِيَاذِ[(٦)] بْنِ يَشْكُرَ بْنِ

---

(١) لِأَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اسْمُهُ النَّخَعُ وَالآخَرُ ثَقِيفٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي المخطوط بِدَايَةِ الخَبَرِ مَا يَلِي: «كَانَ بِالنَّخَعِ وَثَقِيفٍ» وَصَوَابُهُ: «كَانَ النَّخَعُ وَثَقِيفٌ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ مِنْهُ.

(٢) وَهِيَ مَوْجُودَةٌ الآنَ عَامِرَةٌ بِالسُّكَّانِ، وَهِيَ مُحَافَظَةٌ تَابِعَةٌ لِمَنْطِقَةِ عَسِيرٍ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ رَقَمُ (٩٠).

(٣) وَادِي القُرَىٰ بَيْنَ المَدِينَةِ وَالشَّامِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٤٥)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ رَقَمُ (٧).

(٤) أَيْ: عَنِ الصَّوَابِ.

(٥) كَانَ حَكَمَ العَرَبِ فِي زَمَانِهِ، وَيُتَخَاصَمُ إِلَيْهِ فِي المُعْضِلَاتِ وَيُصْدَرُ عَنْ رَأْيِهِ. «المُؤْتَلِفُ وَالمُخْتَلِفُ» (٢/ ١٥٢٧) لِلدَّارَقُطْنِيِّ.

(٦) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «عَبَّاد».

عَدْوَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ، وَهُوَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، وَأَنَا أَظُنُّكَ غَرِيبًا خَائِفًا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَت: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِمَّا أَرَدْتَ؟ قَالَ: بَلَىٰ.

قَالَتْ: إِنَّ مَوْلَايَ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ يَأْتِي إِلَىٰ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَيَضَعُ ثِيَابَهُ وَقَوْسَهُ وَجَفِيرَتَهُ[(١)] عِنْدَهَا وَيَنْحَدِرُ فِي هَذَا الوَادِي يَقْضِي حَاجَتَهُ وَيَتَوَضَّأُ مِنَ العَيْنِ الَّتِي فِي الوَادِي ثُمَّ يَرْجِعُ وَيَأْخُذُ مَا تَرَكَ وَيَنْصَرِفُ إِلَىٰ رَحْلِهِ وَيَأْمُرُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا مَنْ أَرَادَ العَيْشَ وَالتَّمَجُّعَ[(٢)] فَلْيَأْتِ دَارَ عَامِرِ بْنِ الظَّرِبِ، فَيُقْبِلُ جَمِيعُ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ، فَاكْمُنْ لَهُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ وَخُذْ ثَوْبَهُ وَقَوْسَهُ وَجَفِيرَتَهُ فَإِذَا رَآكَ وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْ: غَرِيبٌ فَأَنْزِلْنِي، وَخَائِفٌ فَأَجِرْنِي، وَكُفْؤٌ فَزَوِّجْنِي، إِنْ كُنْتَ بَرًّا شَرِيفًا[(٣)].

فَقَالَ: أَنَا أَفْعَلُ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ كَعَادَتِهِ فَاسْتَخْفَىٰ لَهُ ثَقِيفٌ، فَلَمَّا دَخَلَ الوَادِيَ فَعَلَ ثَقِيفٌ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ الجَارِيَةُ، فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقَ مَعَهُ فَانْحَدَرَ إِلَىٰ قَوْمِهِ. وَنَادَىٰ مُنَادِيهِ فَأَقْبَلَتِ النَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيْه، فَأَكَلُوا وَتَمَجَّعُوا[(٤)]. فَقَالَ لَهُمْ عَامِرٌ: أَلَسْتُ سَيِّدَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ! قَالَ: وَقَدْ أَجَرْتُمْ مَنْ أَجَرْتُ، وَأَمَّنْتُمْ مَنْ أَمَّنْتُ، وَزَوَّجْتُمْ مَنْ زَوَّجْتُ؟ قَالُوا: بَلَىٰ! فَقَالَ عَامِرٌ: هَذَا قَسِيُّ بْنُ مُنَبِّهٍ، فَزَوَّجَهُ فِي الحَالِ ابْنَتَهُ، فَوَلَدَتْ لِثَقِيفٍ عَوْفًا

---

(١) الجَفِيرُ: الكِنَانَةُ، وَالجُعْبَةُ الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا السِّهَامُ. «النِّهَايَةُ» (١/ ٢٧٢).

(٢) تَصحَّف إِلَىٰ «التَّجمُّع»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَ«التَّمَجُّعُ» هُوَ: أَكْلُ التَّمْرِ بِاللَّبَنِ، وَهُوَ أَنْ يَحْسُوَ حَسْوَةً مِنَ اللَّبَنِ وَيَأْكُلَ عَلَىٰ إِثْرِهَا تَمْرَةً. «النِّهَايَةُ» (٢/ ٦٣٦) مَادَّةُ «مَجعَ».

(٣) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «إِنْ كُنْتَ عَرَبِيًّا شَرِيفًا».

(٤) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «تَجَمَّعُوا»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَتَقَدَّمَ تَعْرِيفُ التَّمَجُّعِ.

وَدَارِسًا[١] وَسَلَامَة، ثُمَّ تَزَوَّجَ بِأُخْتِهَا بَعْدَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ جُشَم[٢]، وَأَقَامَ بِالطَّائِفِ وَغَرَسَ تِلْكَ القُضْبَانَ مِنَ الكُرُومِ فَنَبَتَتْ وَأَطْعَمَتْ. وَبُنِيَ المَكَانُ فَسُمِّيَ الطَّائِفَ لِأَنَّهُ طَافَ البِلَادَ وَسَكَنَ بِهَا.

وَقِيلَ: مَا سُمِّيَ ثَقِيفًا إِلَّا لِأَنَّ أَبَاهُ مَا ثَقِفَ حَتَّىٰ ثَقِفَ عَامِرًا حِينَ أَمَّنَهُ وَزَوَّجَهُ، وَثَقِفَ الكَرْمَ حِينَ غَرَسَهُ فَسُمِّيَ ثَقِيفًا[٣].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ[٤] عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٥] قِيلَ:

القَرْيَتَانُ مَكَّةُ وَالطَّائِفُ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَقِيلَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَكَانَ رَيْحَانَةَ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، وَقَالُوا: بَلْ هُوَ مَسْعُودُ بْنُ مُعَتِّبٍ[٦].

---

(١) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «عَوْف وَدَارِس»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ، وَهُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ النَّصَّ مِنْهُ.

(٢) كَذَا فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «جُشَم»، وَوَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «قَاسِم»، فَلَعَلَّهُ مِنَ النَّاسِخِ كَتَبَ (قَاسِم) بَدَلَ (جُشَم) وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٣) «أَخْبَارُ مَكَّةَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ» (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠)، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ أَحْيَانًا بِالمَعْنَىٰ وَلَا يَتَقَيَّدُ بِاللَّفْظِ وَكَذَا لَا يَتَقَيَّدُ بِالنَّحْوِ.

(٤) تَصَحَّفَ إِلَىٰ (شَعْبَان بْن جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ)، وَهُوَ خَطَأٌ، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وابْنُ أَبِي عُمَرَ هُوَ العَدَنِيُّ، وَشَيْخُهُ هُوَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَشَيْخُ ابْنِ عُيَيْنَةَ هُوَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَلَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ لَدَيْهِ مَعْرِفَةٌ بِعِلْمِ الحَدِيثِ، وَمَنْ نَظَرَ أَسَانِيدَ الفَاكِهِيِّ عَرَفَ ذَلِكَ.

(٥) [الزُّخْرُف، آيَة: ٣١].

(٦) كَذَا عِنْدَ الفَاكِهِيِّ، وَالصَّوَابُ: (عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُعَتِّبٍ) كَمَا فِي «تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِير» (٢٠/ ٥٨٢)، =

ذِكْرُ حِصْنِ الهُجُومِ(١)

حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ آدَمَ اليَزَنِيُّ قَالَ: كَانَ حِصْنُ الهُجُومِ جَبَلًا مُدَوَّرًا فِي وَسَطِ قَاعٍ صَفْصَفٍ، فَجَاءَ الأَنْبَاطُ، وَهُمْ مِنْ نَسْلِ اليُونَانِيِّينَ النَّصَارَىٰ، وَيُقَالُ: الرُّومُ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ تَذَاكِيرِهِمْ(٢) طَيُّ القَنَوَاتِ وَمَجَارِي الأَعْيُنِ وَحَجَرُ الطَّوَاحِينِ الَّتِي يُطْحَنُ عَلَيْهَا القَرَظُ لِأَجْلِ دِبَاغَةِ الأَدَمِ.

قَالَ الرَّاوِي: وَدَوْرُ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا ثَمَانِيَةُ أَذْرُعٍ فِي الِارْتِفَاعِ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عَمَلِ العَرَبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَدَبَّرُ لَهُمْ فِيهِ عَمَلٌ وَلَا يَسْتَدِيرُ لَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي خَوَاطِرِهِمْ، بَلْ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ عَمَلِ الجَبَابِرَةِ وَحِكْمَةِ الأَوَائِلِ.

وَمَا ذَكَرْتُ تِلكَ الأَحْكَامَ إِلَّا لِمَا نَذْكُرُهُ مِنْ بِنَاءِ الحِصْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَنْبَاطَ جَاءُوا وَبَنَوْا حَوْلَ الجَبَلِ الحَجَرَ المَنْقُوشَ المُرَبَّعَ، طُولُ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهُ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ، وَلَا زَالَ القَوْمُ فِي بِنَائِهِ إِلَىٰ أَنْ حَاذَىٰ البِنَاءُ ذِرْوَةَ الجَبَلِ،

=

وَقَدْ صَوَّبَهَا مُحَقِّقُ كِتَابِ الفَاكِهِيِّ (٣/ ١٩١)، إِلْحَاقًا مِنْ كِتَابِ «تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ» وَغَيْرِهِ مِنَ المَصَادِرِ، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَهُ عَنْهُ.

(١) وذَكَره بهذَا الفَاسِي فِي «العقد الثمين» (٣/ ٣٨٢)، وَسَيَأْتِي قَرِيبًا عَنِ المُصَنِّفِ أَنَّ أَهْلَهُ يُسَمُّونَهُ «حِصْنَ الغُرَابِ».

(٢) أَيْ: مِنْ آثَارِهِمْ.

فَلَمَّا اسْتَتَمَّ البِنَاءُ بِهِ عَلَىٰ حَسَبِ المُرَادِ بِمَا أَرَادَ الفِكْرُ بَنَوْا بَعْدَهُ الأَسْوَارَ وَالأَبْرَاجَ، وَهُوَ عَلَىٰ وَضْعِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَرُكِّبَ عَلَيْهِ بَابٌ وَاحِدٌ وَحُفِرَ فِي دَاخِلِ القَلْعَةِ بِئْرٌ عَظِيمٌ عَمِيقٌ، فَظَهَرَ فِي البِئْرِ مَعَ تَمَامِ الحِصْنِ الوَافِرِ مَاءٌ يُحَاكِي الشَّهْدَ فِي حَلَاوَتِهِ وَالمَاوَرْدَ فِي رَائِحَتِهِ وَعَيْنَ الحَيَاةِ فِي صَفَائِهِ.

فَلَمَّا دَارَ الدُّهُورُ بِالسِّنِينَ وَالشُّهُورِ ارْتَدَمَ مَا بَيْنَ الأُمَّةِ مِنَ التَّقَارُبِ وَالِاتِّصَالِ وَتَقَارَبَتْ بِهِمُ الآجَالُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُمُ الأَحْوَالُ إِلَىٰ أَنْ أَظْهَرَ اللهُ ﷻ الإِسْلَامَ فَفَتَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِالسَّيْفِ، وَبَقِيَ الحِصْنُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ مُلْكُ الحِجَازِ إِلَىٰ الأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَبِي عَزِيزٍ قَتَادَةَ بْنِ إِدْرِيسَ فَأَمَرَ بِهَدْمِ الحِصْنِ فَهُدِمَ خَوْفَ أَنْ لَا يَعْصِيَهُ فِيهِ أَحَدٌ(١) مِنَ الأَعْرَابِ، وَبَقِيَ الحِصْنُ خَرَابًا إِلَىٰ الآنَ، وَيُسَمَّىٰ عِنْدَ أَهْلِهَا حِصْنَ الغُرَابِ.

❊ ❊ ❊

(١) وَقَتَادَةُ بْنُ إِدْرِيسَ مَاتَ مَقْتُولًا سَنَةَ (٦٦٩هـ) كَمَا فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٣/ ١٧٦) لِلْفَاسِيِّ، إِلَّا أَنَّ الفَاسِيَّ ذَكَرَ كَذَلِكَ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٣/ ٣٨٢) أَنَّ هَذَا الحِصْنَ خُرِّبَ سَنَةَ (٨٢٢هـ)، وَأَنَّ الَّذِينَ خَرَّبُوهُ هُمْ عَسْكَرُ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ بْنِ رُمَيْثَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ، وَعَلَىٰ هَذَا فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الخَرَابُ الَّذِي لَحِقَهُ سَنَةَ (٦٦٩هـ) لِلْحِصْنِ لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ كُلِّهِ، وَإِنَّمَا بَقِيَ بَعْضُهُ فَخَرَّبَهُ عَسْكَرُ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ، وَإِمَّا أَنَّهُ عُمِرَ مَرَّةً أُخْرَىٰ وَفِي سَنَةِ (٨٢٢هـ) لَحِقَهُ مَا لَحِقَهُ مِنَ الخَرَابِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ذِكْرُ الوَهْطِ[١]

حَدَّثَنَا سَعِيدُ[٢] بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ[٣] عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: كَتَبَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ فِي وَصِيَّتِهِ وَذَلِكَ فِي الوَهْطِ، وَجَعَلَهَا صَدَقَةً لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ: وَهِيَ لِلأَكْبَرِ مِنْ أَوْلَادِي[٤] وَالمُتَّبِعِ فِيهَا عَهْدِي وَأَمْرِي، فَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِعَهْدِي وَلَا أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ وَلَاءٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ الوَهْطَ، حَتَّىٰ يَرِثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ قَائِمًا عَلَىٰ أُصُولِهِ[٥].

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: غَرَسَ[٦] عَمْرُو بْنُ العَاصِ فِي الوَهْطِ مِائَةَ أَلْفِ عُودٍ كُلُّ عُودٍ بِدِرْهَمٍ[٧].

---

(١) هِيَ أَرْضٌ زِرَاعِيَّةٌ عَلَيْهَا قَرْيَةٌ يَغْمُرُ قِسْمًا مِنْهَا مَاءُ سَدِّ عِكْرِمَةَ، تَقَعُ فِي قُرْبِ وَادِي وَجٍّ جَنُوبَ الطَّائِفِ عَلَىٰ سِتَّةِ أَكْيَالٍ، وَسُكَّانُهَا الهَيَافِيَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ. «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٩/ ١٨١٤).

(٢) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «مَعْبَد»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ كَمَا فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» لِلْفَاكِهِيِّ، وَهُوَ القَائِلُ: (حَدَّثَنَا سَعِيد)، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٣) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «شُعَيْب»، وَالمُثْبَتُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» لِلْفَاكِهِيِّ. وَسُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ.

(٤) يُنْظَرُ كَلَامُ وَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ الوَهْطِ فِي «تَقْيِيدِ العِلْمِ» بِرَقْمِ (١٥٦) لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ بِتَحْقِيقِي.

(٥) «أَخْبَارُ مَكَّةَ» (٣/ ٢٠٥) بِرَقْمِ (١٩٧٧) كَمَا سَاقَهُ المُصَنِّفُ هُنَا.

(٦) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «عرش»، وَالمُثْبَتُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» لِلْفَاكِهِيِّ، وَهُوَ عِنْدَهُ بِنَفْسِ السَّنَدِ.

(٧) «أَخْبَارُ مَكَّةَ» (٣/ ٢٠٥) بِرَقْمِ (١٩٧٨).

وَالوَهْطُ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الطَّائِفِ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، فَكَانَ كُلُّ فَاكِهَةِ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ مِنْ ذَلِكَ الوَهْطِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ القَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَجَّاجِ الثَّقَفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الطَّائِفُ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فَلَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ [عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ](١): ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾(٢) قَالَ: فَرَفَعَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مَوْضِعَهَا إِلَىٰ الطَّائِفِ فِي مَوْضِعِهَا(٣).

قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الفَارِسِيُّ القُرَشِيُّ قَالَ لِي: مَا بَقِيَ فِي الوَهْطِ مِنَ الشَّجَرِ سِوَىٰ شَجَرَةِ تُوتٍ وَهِيَ إِلَىٰ الآنَ وَقْفٌ عَلَيْهِمْ.

* * *

---

(١) زِيَادَةٌ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ».

(٢) [إِبْرَاهِيم، آيَة: ٣٧].

(٣) «أَخْبَارُ مَكَّةَ» (٣/ ٢٠٦) بِرَقْمِ (١٩٧٩)، وَعِنْدَهُ: «رَفَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا»، وَلَا ذِكْرَ لِلطَّائِفِ.

ذِكْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَخُرُوجِهِ إِلَى الطَّائِفِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ البَلْخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَكِّيٌّ(١) بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فَأَصَابَنَا مَطَرٌ شَدِيدٌ وَرِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ إِلَىٰ الطَّائِفِ فَأَصَابَهُمْ نَحْوٌ مِنْ هَذَا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، فَهَالَهُمْ ذَلِكَ وَخَافُوا، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ، وَكَانُوا إِذَا خَافُوا شَيْئًا أَرْسَلُوا إِلَىٰ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ: أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ، فَكَيْفَ بِصَوْتِ عَذَابِهِ!.

وَخَرَجَ سُلَيْمَانُ إِلَىٰ الطَّائِفِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ إِلَيْهَا لَقِيَهُ أَبُو زُهَيْرٍ، أَحَدُ بَنِي ثَقِيفٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، اجْعَلْ مَنْزِلَكَ عِنْدِي، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ مِنَ الصُّدَاعِ(٢)، فَقَالَ: كَلَّا، إِنَّ اللهَ قَدْ رَزَقَنِي خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَ: فَنَزَلَ وَرَمَىٰ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ البَطْحَاءِ فَقِيلَ لَه: الوِطَاءَ، فَقَالَ: لَا، البَطْحَاءُ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَزِمَهُ بَطْنُهُ فَأُتِيَ بِخَمْسِ رُمَّانَاتٍ فَأَكَلَهُنَّ، وَأَتَوْهُ بِخَمْسٍ أُخَرَ فَأَكَلَهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: أَعِنْدَكُمْ غَيْرُهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ،

---

(١) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «مُحَمَّد»، وَالمُثْبَتُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، كَذَلِكَ مَكِّيٌّ يَرْوِي عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ كَمَا فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ مِنْ «تَهْذِيبِ الكَمَالِ» (١٨/ ١٣٨).

(٢) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «أَخَافُ أَنْ أَفْدَحَكَ».

فَجَعَلُوا يَأْتُونَ بِخَمْسَةٍ خَمْسَةٍ حَتَّىٰ أَكَلَ سَبْعِينَ رُمَّانَةً، ثُمَّ أُتِيَ بِخَرُوفٍ وَسِتِّ دَجَاجَاتٍ فَأَكَلَهُنَّ، وَآتَوْهُ نَصِيبًا مِنَ الزَّبِيبِ يَكُونُ فِيهِ قَدْرُ مَكُّوكٍ[١] عَلَىٰ نِطْعٍ[٢] فَأَكَلَهُ جَمِيعًا ثُمَّ نَامَ، وَانْتَبَهَ فَدَعَا بِالغَدَاءِ فَأَكَلَ مَعَ أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِالمَنَادِيلِ فَكَانَ فِيهَا قِلَّةٌ مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ المَنَادِيلِ مَا يَسَعُهُمْ، فَقَالَ: كَيْفَ الحِيلَةُ يَا أَبَا زُهَيْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو زُهَيْرٍ: أَنَا أَحْتَالُ، فَأَمَرَ بِالضُّرْمِ[٣] وَالخُزَامِي[٤] وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنَ الشَّجَرِ، فَأُتِيَ لَهُ بِمَا يَمْسَحُ بِهِ سُلَيْمَانُ يَدَهُ، ثُمَّ شَمَّهُ فَقَالَ: يَا أَبَا زُهَيْرٍ، دَعْنَا وَهَذَا الشَّجَرَ وَخُذْ هَذِهِ المَنَادِيلَ فَأَعْطِهَا العَامَّةَ، ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ: يَا أَبَا زُهَيْرٍ، هَذَا الشَّجَرُ الَّذِي يَنْبُتُ عِنْدَكُمْ أَشَجَرُ الكَافُورِ هُوَ؟ قَالَ: لَا، فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ فَأَعْجَبَ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ الكِنْدِيُّ:

كَأَنَّ المُدَامَ وَصَوبَ الغَمَامِ ... وَرِيحَ الخُزَامِي وَنَشْرَ القُطُرْ[٥]

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ[٦]

---

(١) المَكُّوكُ: اسْمٌ لِلْمِكْيَالِ، وَيَخْتَلِفُ مِقْدَارُهُ بِاخْتِلَافِ اصْطِلَاحِ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي البِلَادِ. «النِّهَايَةُ» (٢/ ٦٧٢).

(٢) يُتَّخَذُ مِنَ الأَدِيمِ.

(٣) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «الصَّرح»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَالضُّرْمُ: شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيحِ. «القَامُوسُ» (ص١١٣١) مَادَّةُ «ضَرَمَ».

(٤) الخُزَامِيُّ: نَبْتٌ زَهْرُهُ أَطْيَبُ الأَزْهَارِ نَفْحَةً، وَالتَّبْخِيرُ بِهِ يُذْهِبُ كُلَّ رَائِحَةٍ مُنْتِنَةٍ. «القَامُوسُ» (ص١١٠١) مَادَّةُ «خَزَمَ».

(٥) المُدَامُ: الخَمْرُ. وَالنَّشْرُ: الرِّيحُ. وَالقُطُرُ: العُودُ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ.

(٦) يُعَلُّ: يُسْقَىٰ. المُسْتَحِرِ: المُؤَذِّنُ فِي السَّحَرِ. وَهَذَانِ البَيْتَانِ هُمَا فِي «دِيوَانِ امْرِئِ القَيْسِ» (ص١٠٦) ط. =

فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ أَبُو زُهَيْرٍ: افْتَحُوا الأَبْوابَ، فَفُتِحَتْ وَدَخَلَ سُلَيْمَانُ مَعَ النَّاسِ فَأَصَابُوا بُسْتَانًا ذَاتَ أَكْمَامٍ وَأَتْمَامٍ مِنَ الخَيْرِ وَالفَوَاكِهِ فَأَصَابُوا الفَاكِهَةَ، فَأَقَامَ سُلَيْمَانُ يَوْمَهُ وَمِنَ الغَدِ ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّا قَدْ أَضْرَيْنَا بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَرَحَلَ وَنَظَرَ إِلَىٰ الوَادِي وَخُضْرَتِهِ مَعَ طِيبِ رَائِحَتِهِ فَقَالَ: للهِ دَرُّ قَسِيٍّ[(١)]، أَيَّ وَادٍ نَزَلَ! وَنَظَرَ إِلَىٰ عَنَاقِيدِ عِنَبٍ يَظُنُّهَا الحِرَارَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَذِهِ عَنَاقِيدُ العِنَبِ، فَأَقَامَ سَبْعًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ[(٢)].

وَوَصَفَ بَعْضُهُمُ النَّارَنْجَ[(٣)] فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَرَوْضَةٍ يَتْرُكُنِي زَهْرُهَا ... بِالحُسْنِ وَالنُّضْرَةِ مَبْهُوتَا
أَنْعَتُ مِنْهُ حُسْنَ نَارَنْجِهَا ... وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ مَنْعُوتَا
وَصِحْتُ فِي النَّاسِ: أَلَا مَنْ يَرَىٰ ... زَبَرْجَدًا يَحْمِلُ يَاقُوتَا

وَقَالَ فِي السَّوْسَنِ:

سُقْيًا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نِمْتُ يُنْبِهُنِي ... قَبْلَ الهُجُوعِ بِهَا صَوْتُ النَّوَاقِيسِ

=

«دَارِ المَعْرِفَة» عِنَايَة عَبْدِ الرَّحْمَنِ المصْطَاوِيِّ.

(١) هُوَ قَسِيُّ بْنُ مُنَبِّهٍ، وَهُوَ ثَقِيفٌ المُتَقَدِّمُ قَرِيبًا.

(٢) هَذِهِ القِصَّةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ هُنَا نَقَلَهَا المُصَنِّفُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٢/ ٣٠٠ - ٣٠٢)، وَتَصَرَّفَ فِي بَعْضِ العِبَارَاتِ مَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ جِدًّا.

(٣) النَّارَنْجُ: شَجَرَةٌ مُثْمِرَةٌ دَائِمَةُ الخُضْرَةِ، تَسْمُو بِضْعَةَ أَمْتَارٍ، أَوْرَاقُهَا جِلْدِيَّةٌ خُضْرٌ لَامِعَةٌ، لَهَا رَائِحَةٌ عِطْرِيَّةٌ، وَأَزْهَارُهَا بِيضٌ، عَبِقَةُ الرَّائِحَةِ، تَظْهَرُ فِي الرَّبِيعِ، وَتُسْتَعْمَلُ أَزْهَارُهَا فِي صُنْعِ مَاءِ الزَّهْرِ. «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (٩٥١).

كَـأَنَّ سَوْسَـنَهَا فِـي كُـلِّ سَـاقِيَةٍ ... عَلَـىٰ المَيَـادِينِ أَذْنَـابُ الطَّـوَاوِيسِ(١)

وَقَالَ فِي المَنْثُورِ:

وَمَنْثُـورٍ حَطَطْـتُ إِلَيْـهِ رَحْلِـي ... وَقَـدْ طَلَعَـتْ لَنَـا شَـمْسُ النَّهَـارِ

كَشِـبْهِ دَرَاهِـمٍ مِـنْ كُـلِّ فَـنٍّ ... يُخَالِطُـه كِبَـارٌ مَـعْ صِـغَارِ

وَقَالَ فِي اليَاسَمِينِ:

وَيَاسَـمِينٍ آتَـاكَ فِـي طَبَقِـهْ ... قَـدْ أَسْـكَرَ النَّـاسَ مِـنْ عَبَقِـهْ

قَـدْ نَفَـضَ العَاشِـقُونَ مَـا صَـنَعَ الْـ ... ـبَـيْنُ بِـأَلْوَانِهِمْ عَلَـىٰ وَرَقِـهْ

وَقَالَ فِي اللِّينُوفَرِ(٢):

وَلَازَوَرْدِيَّـةٌ تَاهَـتْ بِزُرْقَتِهَـا ... بَـيْنَ الرِّيَـاضِ عَلَـىٰ زُرْقِ اليَوَاقِيـتِ

كَأَنَّهَـا فَـوْقَ طَاقَـاتٍ لَهَـا صُـبِغَتْ ... ذُبَائِـلُ النَّـارِ فِـي أَطْـرَافِ كِبْرِيـتِ(٣)

وَقَالَ فِي النَّرْجِسِ:

وَأَحْـدَاقٍ مُسَـهَّدَةٍ عَـوَانِي ... سَـرَقْنَ السِّـحْرَ مِـنْ حَـدَقِ الغَـوَانِي

عَلَـىٰ قَضَـبِ الزَّبَرْجَـدِ شَاخِصَـاتٍ ... حَـوَيْنَ صِـفَاتِ نُـورِ الأُقْحُـوَانِ

بِأَحْـدَاقٍ مِـنَ الكَـافُورِ صِـيغَتْ ... مُكَحَّلَـةَ الجُفُـونِ بِزَعْفَـرَانِ

---

(١) هَذِهِ الأَبْيَاتُ مَذْكُورَةٌ فِي «أَمَالِي القَالِي» (١/ ٢٦٨)، وَغَيرِهِ مِنْ كُتُبِ الأَدَبِ.

(٢) **اللِّينُوفَرُ**: شَجَرٌ يَنْبُتُ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ، لَهُ وَرَقٌ عِرَاضٌ كِبَارٌ يَعْلُو فَوْقَ المَاءِ فَيُغَطِّيهِ، وَهُوَ شَجَرٌ يُشَمُّ زَهْرُهُ، وَيُتَّخَذُ مِنْهُ الدُّهْنُ، وَمِنْ يَابِسِهِ الطِّيبُ، وَلَوْنُهُ أَصْفَرُ، يَتَفَتَّحُ زَهْرُهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَإِذَا غَرَبَتِ انْضَمَّ. «النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ المَذْهَبِ» (١/ ١٩٣) لِبَطَّالِ الرَّكْبِيِّ «المَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ» بِـ«مَكَّةَ» تَعْلِيقُ مُصْطَفَىٰ عَبْدِ الحَفِيظِ.

(٣) نَسَبَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ أَبُو هِلَالٍ العَسْكَرِيُّ فِي «دِيوَانِ المَعَانِي» (٢/ ٢٤) لِابْنِ المُعْتَزِّ.

صِفَةُ الطَّائِفِ

الطَّائِفُ سَامِيَةٌ بَارِدَةُ المَاءِ، وَالهَوَاءُ صَحِيحٌ، كَثِيرَةُ الفَوَاكِهِ، زِرَاعَتُهُمُ الحِنْطَةُ اللُّقِمِيَّةُ الَّتِي تُشَابِهُ اللُّؤْلُؤَ، وَأَهْلُهَا مِنْ ثَقِيفٍ وَقُرَيْشٍ عَلَىٰ زِيِّ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الأَكْلِ وَاللِّبْسِ، وَأَهْلُهَا يَرِثُونَ البِنْتَ عِنْدَ المَوْتِ وَلَمْ يُوَرِّثْ أَحَدُهُمْ بِنْتَهُ الدَّرَاهِمَ، وَكَذَلِكَ بَنُو هُذَيْلٍ وَمُضَرُ وَبَجِيلَةُ وَجَمِيعُ أَهْلِ السَّرَاةِ(١) وَجَمِيعُ العَرَبِ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانٌ بِأَرْضِ الحِجَازِ وَمَا حَوْلَ مَكَّةَ.

وَلِلْقَوْمِ عَصَبِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، إِذَا مَاتَ بِهَا أَحَدٌ لَم يَحْمِلْ جَنَازَتَهُ إِلَّا الشُّبَّانُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ: سَلِّمْ سَلَّمَكَ اللهُ، هَذَا مَا وَعَدَ اللهُ نِعْمَ القَاضِي، وَهُمْ يَتَدَاوَلُونَ بِالنَّعْشِ إِلَىٰ الجَبَّانَةِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَحْفُرُونَ القَبْرَ.

حَدَّثَنَا(٢) الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ(٣) بْنُ أَبِي بَكْرٍ المُؤَمَّلِيُّ (٤)

---

(١) وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ السَّرَاةُ بِاعْتِدَالِ هَوَائِهَا وَوُجُودِ المَصَايِفِ فِيهَا الجَمِيلَةِ فِي جَنُوبِهَا خَاصَّةً مِثْلَ هَدَأَةِ الطَّائِفِ، وَشَفَا بَنِي سُفْيَانَ، وَشَفَا هُذَيْلٍ وَبَجِيلَةَ وَسَرَاةِ غَامِدٍ وَزَهْرَانَ وَغَيرِهَا، أَمَّا فِي الشَّمَالِ فَتَقِلُّ مِثْلُ هَذِهِ الأَمَاكِنِ؛ لِأَنَّ رُءُوسَ الجِبَالِ هُنَاكَ مُحَدَّدٌ وَالحَرَارَةُ شَدِيدَةٌ. «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٤/ ٨٠٠)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤) و(٥).

(٢) القَائِلُ: حَدَّثَنَا، هُوَ الفَاكِهِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٣) مَتْرُوكٌ، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «المُغْنِي فِي الضُّعَفَاءِ» (٢/ ١١٠) بِرَقْمِ (٤٤٣٠).

(٤) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «الرَّمْلِيِّ»، وَالمُثْبَتُ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ» هُوَ المَوْجُودُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ رَوَىٰ عَنْهُ وَتَرْجَمَ لَهُ، =

قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: مَا اسْتَنَّ(١) لِلنَّوَائِحِ «وَاحَرْبَاهُ» إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَوْتِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ فَنَاحَتْ نَوَائِحُهُ «وَاحَرْبَاهُ»، فَجَعَلْنَ(٢) النَّوائِحُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ يَقُلْنَ: «وَاحَرْبَاهُ»(٣) مِنْ ذَلِكَ العَهْدِ.

وَبِهِ(٤) قَبْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَجَمِيعُ عَمَلِهِمْ دِبَاغُ الأَدَمِ، وَيُدْبَغُ بِهَا الأَدِيمُ المَلِيحُ الثَّقِيلُ المَعْرُوفُ بِهَا وَهُوَ الَّذِي يَصْلُحُ لِخُوَارِزْمَ. وَكُلُّ نَبْقٍ يُغْرَسُ فِي هَذِهِ البِلَادِ يَطْلُعُ مُكْتَسَبِيّ، وَبِهِ يُطْحَنُ السِّدْرُ وَهُوَ سَوِيقُ النَّبْقِ مِنْ نَبْقِ العِرَاقِ لَيْسَ لَهُ شَوْكٌ، وَكَذَلِكَ شَجَرَةٌ فِي زَبِيدٍ مِمَّا يَلِي القُرْتُبَ(٥).

* * *

=

وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي نِسْبَتِهِ: «المَوْصِلِيُّ» كَمَا فِي «لِسَانِ المِيزَانِ» (٥/ ٢٨٠) بِرَقْمِ (٦١١٠) فَتَحَرَّر.

(١) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «مَا اشْتَقَّ» بَدَلَ: «مَا اسْتَنَّ».

(٢) فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: «فَجَعَلَهَا».

(٣) رَوَاهُ بِهَذَا الإِسْنَادِ المُسَاقِ هُنَا الفَاكِهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٣/ ٢١٨) بِرَقْمِ (٢٠٠٤).

(٤) أَيْ: وَبِالطَّائِفِ.

(٥) هُوَ بَابُ القُرْتُبِ أَحَدُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ زَبِيدٍ. وكذلك في زبيد قرية تسمىٰ بـ«القرتب».

مِنَ الطَّائِفِ إِلَى جَبَلِ بَدْرٍ

مِنَ الطَّائِفِ إِلَىٰ المَعَدِّيِّ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَبِهِ تُنْحَتُ قُدُورُ البُرَمِ[١] الَّتِي يَفْخَرُ حَجَرُهَا عَلَىٰ سَائِرِ الأَحْجَارِ.

حَدَّثَنِي شَيْخٌ قُدُورِيٌّ [٢] بِهَذَا قَالَ: إِنَّ الحَجَرَ الأَمْلَسَ لَا يَعْمَلُ فِيهِ الحَدِيدُ إِلَّا الفُولَاذَ.

وَإِلَىٰ خَبْتِ عَنْتَرٍ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَهُوَ عَنْتَرُ بْنُ زَبِيبَةَ العَبْسِيُّ، وَهِيَ أَرْضٌ ذَاتُ شِعَابٍ وَمُكَسَّرَاتٍ، وَبِهَا بِئْرٌ عَذْبٌ فُرَاتٌ، وَإِلَىٰ حُدَّانَ سِتَّةُ فَرَاسِخَ. وَإِلَىٰ بَحْرَىٰ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَبِهِ تُزْرَعُ الحِنْطَةُ فِي العَامِ مَرَّتَيْنِ، بَعْدَ كُلِّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً، وَهَذَا خِلَافُ كُلِّ العَالَمِ فِي الزُّرُوعِ. وَإِلَىٰ الدَّرْبِ فَرْسَخَانِ. وَإِلَىٰ أَرْضِ لَيْلَىٰ العَامِرِيَّةِ وَقَيْسِ بْنِ المُلَوَّحِ، وَيُقَالُ: إِنَّ لَيْلَىٰ العَامِرِيَّةَ وَقَيْسَ بْنَ المُلَوَّحِ كَانُوا فِي هَذِهِ الأَرْضِ وَمَاتُوا بِهَا، وَفِي قَبِيلَتِهَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَيْتَ أُمِّي بِالمُنَا عَامِرِيَّةٌ ... إِذَا صَابَهَا ضَيْمٌ دَعَتْ يَا لَعَامِرِ

وَإِلَىٰ نَوَا فَرْسَخٌ، أَوَّلُ مُعَامَلَةِ بَجِيلَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ السَّرْوَ[٣].

---

(١) البُرَمُ جَمْعُ بُرْمَةٍ، وَهِيَ القِدْرُ، وَهِيَ فِي الأَصْلِ المُتَّخَذَةُ مِنَ الحَجَرِ المَعْرُوفِ بِالحِجَازِ وَاليَمَنِ، «النِّهَايَةُ» (١/ ١٢٨)، وَيُقَالُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ: قُدُورِيٌّ، كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا.

(٢) نِسْبَةً إِلَىٰ قُدُورِ البُرَمِ. وَتَقَدَّمَ تَعْرِيفُهَا، وَيُنْظَرُ: «الأَنْسَابُ» (١٠/ ٣٥٢) لِلسَّمْعَانِيِّ.

(٣) نِسْبَةً إِلَىٰ جِبَالِ السَّرَوَاتِ.

ذِكْرُ السَّرْوِ

فَأَمَّا السَّرْوُ فَإِنَّهُمْ قَبَائِلُ وَفُخُوذٌ مِنَ العَرَبِ لَيْسَ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ بَلْ مَشَايِخُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ، وَهُمْ بُطُونٌ مُتَفَرِّقُونَ.

وَغَايَةُ حَجِّ القَوْمِ عُمْرَةُ أَوَّلِ رَجَبٍ، وَقَدْ ضَمِنَ لَهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تِلْكَ العُمْرَةَ بِحَجَّةٍ كَامِلَةٍ مَقْبُولَةٍ[(١)]. فَإِذَا دَخَلُوا مَكَّةَ مَلَأُوهَا خَيْرًا مِنَ الحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالسَّوِيقِ وَالسَّمْنِ وَالعَسَلِ وَالذُّرَةِ وَالدُّخْنِ وَاللَّوْزِ وَالزَّبِيبِ وَمَا يُشَابِهُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ مَكَّةَ: حَاجُّ العِرَاقِ أَبُونَا نَكْسِبُ مِنْهُ الذَّهَبَ، وَالسَّرْوُ أُمُّنَا نَكْسِبُ مِنْهُمُ القُوتَ.

يُقَالُ: إِنَّ مُعَامَلَةَ نَوَا مِائَتَا قَرْيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَمِنْ جُمْلَةِ القُرَى المِائَتَيْنِ المُسلمُ وَعقْدَةُ وَالنَّفُوعُ وَحدَا وَالرَّاهِنُ وَسَعْمُومُ وَتَرِيفُ، وَبِهَا وَقْعَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ

---

(١) لَمْ يَرِدْ عَنْهُ ﷺ شَيْءٌ يَثْبُتُ فِي فَضْلِ العُمْرَةِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، وَالَّذِي وَرَدَ هُوَ فَضْلُ العُمْرَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةٌ مَعِي**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَالعُمْرَةُ جَائِزَةٌ فِي أَيِّ وَقْتٍ، بَلْ مُسْتَحَبَّةٌ؛ لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (١/ ٢٥) و(١/ ٣٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أَمَّا فَضْلُهَا تَحْدِيدًا فِي شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مِثْلِ رَجَبٍ فَلَمْ يَرِدْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ سِوَى رَمَضَانَ كَمَا تَقَدَّمَ.

أَبِي طَالِبٍ مَعَ الأَفْعَىٰ فَقَتَلَهُ.

وَبِهِ جَبَلُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْهُورٌ وَالعَرَوَاتُ وَالشِّعْبِينُ[1] وَاللّقَاعُ وَحُرَق[2] وَالرَّجْعِينُ، وَهِيَ قُرَىٰ جَمَاعَة، وَبِهَذِهِ الأَعْمَالِ كَانَتْ وَقْعَةُ بَنِي تَمِيمٍ وَبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَفِي حَرْبٍ مِنْهَا هَلَكَ لَقِيطُ بْنُ زُرَارَةَ أَخُو حَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ وَحَسَنٍ.

وَإِلَىٰ الفَرْدَاءِ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المَلْحَاءِ[3] سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَهُوَ جَبَلٌ عَظِيمٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٣٤٨).

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ.

(٣) سَيَأْتِي قَرِيبًا الكَلَامُ عَنْ جَبَلِ المَلْحَاءِ.

ذِكْرُ جَبَلِ المِلْحَاءِ

حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ آدَمَ اليَزَنِيُّ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ تُبَّعٌ جَزِيرَةَ اليَمَنِ وَأَرْضَ حَضْرَمَوْتَ وَبِلَادَ الأَحْقَافِ وَالحِجَازَ وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ العِرَاقِ، فَجَاءَ إِلَىٰ هَذَا الجَبَلِ وَأَرَادَ أَنْ يَحْفُرَ فِيهِ سِرْبًا عَظِيمًا، فَجَهَّزَ تَحْتَ الأَرْضِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَقِلًّا مُنْحَدِرًا[(١)]، فَلَمَّا حَفَرَ هَذَا القَدْرَ أَمَرَ أَنْ يُحْفَرَ فِي أَوَاخِرِ السِّرْبِ بَلَدًا عَظِيمًا، وَالأَصَحُّ سُوقًا عَظِيمًا، بِدَكَاكِينَ مُتَقَابِلَةٍ مُصْطَفَّةٍ عَلَىٰ خَيْطٍ وَاحِدٍ مَا مِقْدَارُهُ أَلْفُ دُكَّانٍ، وَنَقَرَ مِنْ وَرَاءِ الدَّكَاكِينِ الدُّورَ وَالأَمْلَاكَ.

فَلَمَّا تَمَّ عَمَلُهُ مَلَأَ كُلَّ دُكَّانٍ مِنَ الدَّكَاكِينِ صِنْفًا مِنَ الأَمْتِعَةِ وَالأَطْعِمَةِ وَمِنَ الحَوَائِجِ وَالعَقَاقِيرِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ ثَقِيلٍ وَخَفِيفٍ ذَخِيرَةً لَهُ، وَحَفَرَ فِي وَسَطِ السُّوقِ بِئْرًا وَاسِعًا عَمِيقًا فِي الطُّولِ وَالعَرْضِ، وَجَمَعَ جَمِيعَ الأَمْوَالِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَكَنَزَهَا فِي البِئْرِ وَجَعَلَ الذَّهَبَ يَبَانُ[(٢)] لِأَنَّهُ قَدْ نَصَبَ عَلَىٰ خَرَزَةِ البِئْرِ عُودًا مُعَرَّضًا وَفِيهِ طِلَّسْمٌ إِذَا أَنْزَلَ إِنْسَانٌ رِجْلَهُ عَلَىٰ العُودِ المُعَارِضِ دَارَ العُودُ، وَفِي العُودِ سَيْفٌ مَصْنُوعٌ قَاطِعٌ يَضْرِبُ الإِنْسَانَ نِصْفَيْنِ يَرْمِيهِ فِي البِئْرِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا أَظُنُّ السَّيْفَ أَصْلَهُ إِلَّا مِنَ الصَّاعِقَةِ الَّتِي ضَرَبَهَا يَافِثُ بْنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ.

(٢) أَيْ: يَظْهَرُ.

ذِكْرُ سُيُوفِ الصَّوَاعِقِ

حَدَّثَنِي عِيسَىٰ بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ بْنِ مُظَفَّرٍ البَغْدَادِيُّ قَالَ: أَمَّا سُيُوفُ الصَّوَاعِقِ فَثَلَاثَةٌ، وَقِيلَ: سَبْعَةٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ سَيْفًا، ضُرِبَتْ فِي أَيَّامِ يَافِثِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَعَ الخُلْفُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ فِي طَلَبِ الرِّئَاسَةِ فَتَفَرَّقُوا، فَطَلَبَ يَافِثُ المَغْرِبَ وَبَنَىٰ بِهَا مَدِينَةَ جَابَلْقَاه[1]، وَطَلَبَ أَخُوهُ حَامٌ المَشْرِقَ وَبَنَىٰ بِهَا مَدِينَةَ جَابَرْسَا[2]، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ يَافِثَ فَإِنَّهُ جَمَعَ الأَمْوَالَ أَمْوَالَ الرَّبْعِ المَسْكُونِ وَعَبَّاهَا خَزَيْنَ وَعَمِلَ عَلَيْهَا طِلَّسْمًا وَرَكَّبَ السُّيُوفَ عَلَىٰ الطِّلَّسْمَاتِ، وَبَقِيَتِ الكُنُوزُ عَلَىٰ حَالِهَا إِلَىٰ أَيَّامِ ذِي القَرْنَيْنِ، فَحِينَئِذٍ أَبْطَلَ الخَضِرُ عَمَلَ الطِّلَّسْمَاتِ وَأَخَذَ ذُو القَرْنَيْنِ تِلْكَ الكُنُوزَ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَإِحْدَىٰ تِلْكَ السُّيُوفِ فِي جَبَلِ المَلْحَاءِ فِي البِئْرِ الَّتِي فِيهَا الكَنْزُ الَّذِي أَوْدَعَه تُبَّعٌ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ يُسْبَكُ مِنَ الصَّاعِقَةِ وَزْنُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ عَلَىٰ الفُولَاذِ وَيُضْرَبُ مِنْهُ سَيْفٌ لَمْ يَحْمِلْ لِغِمْدٍ بَلْ يُوضَعُ فِي جِرَابِ خَزَفٍ، وَقِيلَ: إِذَا وَقَعَتِ الصَّاعِقَةُ لَمْ تَسْكُنْ إِلَّا

---

(١) وَكَذَا يُقَالُ: جَابَلْق، وَهِيَ مَدِينَةٌ بِأَقْصَىٰ المَغْرِبِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩١).

(٢) وَيُقَالُ كَذَلِكَ: جَابَرْسُ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بِأَقْصَىٰ المَشْرِقِ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩٠).

إِذَا أُفْلِتَ عَلَيْهَا الخَلُّ، وَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتِ المَاءَ وَقَفَتْ وَإِذَا لَمْ يُفْلَتِ الخَلُّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَخْرِقُ تُخُومَ الأَرْضِ. وَالأَصْلُ فِيهِ أَنَّهُ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدِ جَهَنَّمَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا.

فَصْلٌ: قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[١]. قَالَ بَعْضُهُمْ: الحُقَبُ[٢] أَرْبَعَةُ آلَافِ سَنَةٍ، وَالسَّنَةُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ شَهْرٍ، وَالشَّهْرُ أَرْبَعَةُ آلَافِ يَوْمٍ، وَاليَوْمُ أَرْبَعَةُ آلَافِ سَاعَةٍ، وَالسَّاعَةُ مِقْدَارُ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا.

قَالَ ابْنُ سَلَّامٍ: مَسَاكِينُ أَهْلُهَا، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِيذَنَا مِنْ شَرِّهَا، وَيُؤْخَذُ قِيَاسُ نَارِهَا وَحَدِيدِهَا مِنْ قِيَاسِ أَيَّامِهَا وَسَاعَاتِهَا.

وَيُقَالُ: إِنَّ السُّيُوفَ المَذْكُورَةَ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ:

الصَّنْعَانِيُّ: يُضْرَبُ[٣] فِي صَنْعَاءَ، مُتَقَدِّمٌ قَصِيرٌ، لِأَنَّهُ سَيْفُ الرَّجَّالَةِ، يَقْطَعُ اليَابِسَ وَالرَّطْبَ، وَعَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ فِي وَسَطِهِ مَرَازِبُ، وَيُقَالُ: مَرَازِبُ[٤] وَاحِدٌ، وَكَثِيرٌ مَا تُوجَدُ هَذِهِ السُّيُوفُ فِي جِبَالِ اليَمَنِ عِنْدَ العَرَبِ.

وَالكَرْمَانِيُّ: قَدِيمٌ ضُرِبَ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ مُلُوكِ العَجَمِ بِكَرْمَانَ[٥]، وَهُوَ قَضِيبٌ

---

(١) [النَّبَأ، آية: ٢٣].

(٢) ويُنْظَرُ: «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» ص (٨٧) مَادَّةُ «حَقَبَ».

(٣) أَيْ: يُصْنَعُ.

(٤) كَذَا، وَلَعَلَّهُ: «مرزَابٌ وَاحِدٌ».

(٥) كَرْمَانُ: قَالَ يَاقُوتُ: وِلَايَةٌ مَشْهُورَةٌ وَنَاحِيَةٌ كَبِيرَةٌ مَعْمُورَةٌ، ذَاتُ بِلَادٍ وَمُدُنٍ وَقُرًى وَاسِعَةٍ، بَيْنَ فَارِسَ وَمُكْرَانَ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٥٤).

مَادٌّ، مَا بَيْنَ القَصِيرِ وَالطَّوِيلِ، وَأَصْلُ هَذِهِ السُّيُوفِ مِنَ الفُولَاذِ هَرَاة.

وَقِيلَ: بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ مَعْدِنٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الحَدِيدُ، وَغَايَةُ مَا تُوجَدُ هَذِهِ السُّيُوفُ عِنْدَ الأَكْرَادِ الشَّارُونِيَّةِ، وَالبَلُوجِ وَالكُوشَانِ وَالأَوْغَانِ وَالسَّرْهَدِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ غَزْنَةَ[١].

وَالإِفْرِنْجِيُّ: سَيْفٌ طَوِيلٌ مَادٌّ بِالمَرَّةِ وَمَا يُطَوِّلُونَهُ إِلَّا لِأَجْلِ الفُرْسَانِ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَكَاسِيرِ نِعَالِ الخَيْلِ، وَيُسْقَىٰ مِنْ نَدَاوَةِ زَرْعِ بِلَادِهِمْ، لَيِّنٌ بِالمَرَّةِ، وَيَقْطَعُ فِي اللَّيِّنِ دُونَ اليَابِسِ، وَلَرُبَّمَا قَطَعَ اللَّحْمَ فِي البَدَنِ وَسَلِمَ العَظْمُ، وَغَايَةُ مَا تُجْلَبُ هَذِهِ السُّيُوفُ المَعْرُوفَةُ عِنْدَهُمْ فِي عُلَبِ الخَشَبِ، وَعَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ كَفُّ إِنْسَانٍ فَهُوَ الجَيِّدُ، وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي نَقَشَ عَلَىٰ سُيُوفِهِ ذَلِكَ ضَرَبَ[٢] أَرْبَعَمِائَةِ سَيْفٍ لَمْ يُضْرَبْ مِثْلُهَا فِي الرَّبْعِ المَسْكُونِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ مَلِكُ الرُّومِ هَذِهِ الصَّنْعَةَ الشَّرِيفَةَ أَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ اليُمْنَىٰ، فَلَمَّا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ارْتَحَلَ مِنَ المَدِينَةِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا وَنَزَلَ بِمَدِينَةٍ أُخْرَىٰ فَضَرَبَ بِيَدِهِ اليُسْرَىٰ أَرْبَعَمِائَةِ سَيْفٍ آخَرَ وَنَقَشَ عَلَيْهَا الكُفُوفَ، فَمَا جُرِّبَ سَيْفٌ مِنْ تِلْكَ السُّيُوفِ إِلَّا تَرَاهُ وَهُوَ حَدِيدٌ أَبْيَضُ وَفِي وَسَطِهِ مَرَازِبُ.

---

(١) غَزْنَةُ: قَالَ يَاقُوتُ: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ، هَكَذَا يَتَلَفَّظُ بِهَا العَامَّةُ، وَالصَّحِيحُ عِنْدَ العُلَمَاءِ «غَزْنِينُ»، وَيُعَرِّبُونَهَا فَيَقُولُونَ: «جَزْنَةُ»، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَوِلَايَةٌ وَاسِعَةٌ فِي طَرَفِ خُرَاسَانَ، وَهِيَ الحَدُّ بَيْنَ خُرَاسَانَ وَالهِنْدِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٢٠١).

(٢) أَيْ: صَنَعَ.

وَالهِنْدِيُّ: أَصْنَافٌ شَتَّىٰ، فَمِنْ جُمْلَتِهَا البَاخَرِيُّ، يُضْرَبُ فِي السِّنْدِ، وَأَصْلُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَبُولَاد هَرَاة، وَعَلَامَتُهُ أَخْضَرُ اللَّوْنِ كَأَنَّهُ السِّلْقُ[(١)]، وَشَيْءٌ مِنْهُ أَحْمَرُ يُشْبِهُ لَوْنَ النَّارِ يَرْفَعُ الدِّرْهَمَ وَيَبْرِي مَرْسَغَ الجَمَلِ، وَصِنْفٌ ثَانٍ مِنَ الرُّوهِينِيَا يُضْرَبُ فِي بَعْضِ الأَقَالِيمِ يَتَلَوَّىٰ وَهُوَ قَضِيبٌ مَادٌّ فِيهِ جَوْهَرٌ شِبْهُ الغُبَارِ وَهُوَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا، وَالصِّنْفُ الثَّالِثُ فِيهِ أَهِلَّةٌ يُضْرَبُ فِي خَوْرِ فَوْفَلٍ[(٢)] وَيُقَالُ: بِحَارُ يَدَيْهَا سُيُوفٌ طِوَالٌ عِرَاضٌ بِالمَرَّةِ ذَاتُ جَوْهَرٍ عَالٍ لَا غَلِيظٌ وَلَا دَقِيقٌ إِلَّا وَسَط، وَهُوَ يَقْطَعُ فِي اللَّيِّنِ لَا غَيْرُ، وَمِنْهُ فَلَالَكُ الشَّاهِيِّ يَضْربُ فِي الكُوزِ، وَيُقَالُ: فِي سَرْهَبٍ[(٣)] سُيُوفٌ طِوَالٌ عِرَاضٌ بِالمَرَّةِ، الوَاحِدُ خَفِيفٌ مُرْهَفٌ وَعَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرُهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ، وَهُوَ غَلِيظٌ خَشِنٌ كَخُشُونَةِ خُضْرَةِ الكُرَّاثِ أَوَّلَ مَا يَنْبُتُ، قَدِ اشْتَبَكَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ شِبْهَ ثَعَابِينَ مُلْتَفِّينَ، وَأَرْبَعُ أَصَابِعَ مِنْهُ شِبْهُ جَمْعِ الذَّرِّ عَلَىٰ الشَّيْءِ حُلْوٍ[(٤)]، وَيَبَانُ الجَوْهَرُ فِي أَرْضِ السَّيْفِ شِبْهَ فِضَّةٍ شُبِكَتْ مَعَ الحَدِيدِ، يَبَانُ جَوْهَرُهُ أَبْيَضُ صَافٍ وَالأَرْضُ مِنْهُ زَرْقَاءُ سَمَاوِيٌّ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ أُهْدِيَ إِلَىٰ المَلِكِ قُطْبِ الدِّينِ أَيْبَكَ الأَبْتَلُ مِنْ هَذِهِ السُّيُوفِ سَبْعِينَ بَنْدًا إِلَىٰ سَبْعِينَ سِلْسِلَةً.

---

(١) السِّلْقُ: نَبْتٌ.

(٢) قَالَ يَاقُوتُ: خَوْرُ فَوْفَلٍ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ الهِنْدِ يُجْلَبُ مِنْهُ القَنَا السِّبَاطُ وَالسُّيُوفُ الهِنْدِيَّةُ الفَائِقَةُ فِي الجَوْدَةِ، وَلَيْسَ فِي الهِنْدِ أَجْوَدُ مِنْ سُيُوفِ هَذَا الخَوْرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٠٠).

(٣) وَقَع فِي المَطبُوع «مرهب».

(٤) أَيِ: الحُلْو.

وَيُرَى فِيهَا مَائِيَّةٌ وَنَدَاوَةٌ شِبْهُ مَاءِ الزُّلَال، إِذَا رَفَعْتَهُ انْحَدَرَ وَإِذَا حَطَطْتَهُ صَعِدَ، يَابِسٌ يَقْطَعُ فِيمَا يَرْطَبُ، وَبِهِ يُضْرَبُ أَعْنَاقُ الجَوَامِيسِ قُدَّامَ البُيُوتِ فِي يَوْمِ عِيدٍ لَهُمْ، وَخَاصِّيَّتُهُ إِذَا مَعَصَ فُؤَادُ إِنْسَانٍ يَغْسِلُ سَيْفًا مِنْ هَذِهِ السُّيُوفِ وَيَشْرَبُ مَاءَهُ يَزُولُ عَنْهُ مَا يَشْتَكِي مِنَ المَعَصِ(١).

وَأَمَّا السُّيُوفُ فِي العَالَمِ فَكَثِيرَةُ الأَصْنَافِ، وَتُضْرَبُ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَإِقْلِيمٍ إِلَّا هَذِهِ الأَرْبَعَةَ الأَصْنَافِ الَّذِينَ ارْتَفَعُوا دُونَ غَيْرِهِمْ وَعُرِفُوا مِنْ بَيْنِ جِنْسِهِمْ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

❊ ❊ ❊

(١) أَيْ: الأَلَمِ، وَهَذَا مِنَ الأَسَاطِيرِ العَجِيبَةِ.

وَلْنَرْجِعْ إِلَى الحَدِيثِ الأَوَّلِ(١)

فَصَارَ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ يُدْخِلُونَ كُبَبَ غَزْلِ الوَبَرِ وَيَصْطَحِبُونَ مَعَهُمْ سِرَاجًا وَمِقْدَحَةً(٢) وَخُطَّافًا وَفِتَلَ وَبَرٍ يُشَدُّ خَيْطُ الوَبَرِ فِي رَأْسِ بَابِ الغَارِ، وَكُلَّمَا مَشَىٰ أَحَدُهُمْ نَشَرَ الغَزْلَ وَالخُطَّافَ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ الدَّكَاكِينِ رَأَوْا فِيهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمْتِعَةِ وَالأَقْمِشَةِ وَقَدْ تَهَرَّتْ مِنْ طُولِ المَدَىٰ وَالحَدِيدُ قَدْ عَلَاهُ الصَّدَأُ، وَالصُّفْرُ قَدْ تَزَنْجَرَ، فَيَأْخُذُ جَمِيعَ مَا يَرَىٰ لَهُ فِيهِ رَمَقٌ، وَيَجِدُ بَعْضُ القَوْمِ ذَهَبًا وَفِضَّةً وَدَرَاهِمَ.

وَإِذَا رَجَعَ القَوْمُ لَا يَزَالُونَ يُكَبِّبُونَ(٣) غَزْلَ الوَبَرِ وَهُمْ رَاجِعُونَ إِلَىٰ فَمِ السِّرْبِ، فَذَلِكَ العَمَلُ دَأْبُ القَوْمِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ بِهَا ثَلَاثَ طُرُقٍ؛ إِحْدَاهَا تَنْفُذُ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَالثَّانِيَةُ إِلَىٰ جَبَلِ المَلْحَاءِ، وَالثَّالِثَةُ تَنْفُذُ إِلَىٰ بَرِّيَّةِ فَيْدٍ، وَهِيَ أَقْرَبُهُنَّ مَسَافَةً.

حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيِّ بْنُ آدَمَ اليَزَنِيُّ قَالَ: كَثِيرٌ مِنَ الرُّعَاةِ مِمَّنْ يَحْمِلُ الذِّئْبُ عَلَىٰ غَنَمِهِ فَيَقُومُ الرَّاعِي يُطَارِدُ الذِّئْبَ يُرِيدُ يَقْتُلُهُ فَيَقَعُ عَلَىٰ المَطْلَبِ، وَهُوَ طَرِيقٌ تَنْفُذُ إِلَىٰ

---

(١) عَنْ جَبَلِ المَلْحَاءِ.

(٢) المِقْدَحَةُ: الحَدِيدَةُ الَّتِي يُقْدَحُ بِهَا النَّارُ.

(٣) أَيْ: يُجَمِّعُونَ وَيَلُفُّونَ.

وَسَطِ البِئْرِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَطَرِيقٌ وُسْطَىٰ وَهِيَ الَّتِي بِجَبَلِ المَلْحَاءِ، وَالبَعِيدَةُ الَّتِي تَلِي سُوقَ عُكَاظٍ، وَالمَكَانُ إِلَىٰ الآنَ بَاقٍ يَنْزِلُهُ مَنْ أَرَادَ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

وَإِلَىٰ أَبِيدَةَ[١] فَرْسَخٌ، وَهِيَ قَرْيَةٌ حَصِينَةٌ فِي وَادٍ نَزِهٍ، وَإِلَىٰ العَقِيقِ[٢] سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَهُوَ بَلَدٌ يُدْبَغُ فِيهِ الأَدَمُ وَمِنْهُ يُجْلَبُ القَرَضُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَبِهَا الأَمِيرُ أَبُو الحَسَنِ بْنُ المُعَلِّمِ يَقُولُ:

قُـــلْ يَـــا رَفِيـــقُ المُسْـــتَهَا ... مُ مَتَـــىٰ يُفِيـــقُ المُسْـــتَهَامْ

هَـــذِي المَنَـــازِلُ وَالعَقِيـــ ... ـــقُ فَـــأَيْنَ لَيْلَـــىٰ وَالخِيَـــامْ؟

وَقَالَ أَيْضًا:

قِفْ بِالخِيَامِ المُشْرِفَاتِ عَلَىٰ الحِمَا ... وَامْـزُجْ دُمُوعَـكَ فِـي مَغَانِيهَـا دَمَـا

وَإِذَا مَـرَرْتَ عَلَـىٰ العَـذِيبِ فَقُـلْ لَـهُ ... هَلْ شَرْبَةٌ تَرْوِي الصَّدَىٰ مِنَ الظَّمَا[٣]

إِنِّـي نَـدِمْتُ عَلَـىٰ الَّـذِينَ تَرَحَّلُـوا ... يَـوْمَ الغُـوَيْرِ وَحُـقَّ لِـي أَنْ أَنْـدَمَا[٤]

فَـوَدِدْتُ لَـوْ سَـمَحُوا عَلَـيَّ بِعَـوْدَةٍ ... يَبْرَا بِهَا الطَّرْفُ القَرِيحُ مِنَ العَمَا[٥]

يَـا عَـيْنُ لَا يَـذْهَبْ بِنَـاظِرِكِ العَمَـا ... فَلَرُبَّمَـــا دَنَـــتِ الـــدِّيَارُ وَرُبَّمَـــا

---

(١) أَبِيدَةُ: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَانِيهِ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَدَالٍ مُهْمَلَةٍ: مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ أَزْدِ السَّرَاةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٨٥)، وَيُقَالُ لَهُ اليَوْمَ: «بِيدَة»، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨).

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ١٤٠).

(٣) الصَّدَىٰ: الطَّائِرُ.

(٤) الغُوَيْرُ: مَوْضِعٌ.

(٥) الطَّرْفُ: اسْمٌ لِمَا يَتَحَرَّكُ مِنْ أَشْفَارِ العَيْنِ.

إِنْ بَاتَ جِسْمِي فِي سُهَامٍ فَإِنَّ لِي قَلْبًا يَتِيمًا بِالعَقِيقِ مُتَيَّمَا

وَإِلَىٰ تَبَالَةَ[1] ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الجَبَلِ ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَهُوَ جَبَلُ بَنِي بَدْرٍ وجَمِيعُ مَنْ بِهَا يَهُودٌ، وَالحِصْنُ حِصْنٌ مَكِينٌ فِي طَرَفِ جَبَلٍ عَالٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) تَبَالَةُ بَلْدَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أَرْضِ تِهَامَةَ فِي طَرِيقِ اليَمَنِ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩).

ذِكْرُ نَهْرِ السَّبْتِ

قَالَتْ أَهْلُ الذِّمَّةِ: إِنَّهُ فِي أَرْضِ التِّيهِ، وَحَدَّثَنِي يَهُودِيٌّ صَائِغٌ بِعَدَنَ قَالَ: إِنَّ نَهْرَ السَّبْتِ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: صيُونُ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ فِي الحِجَازِ ظَهَرَ، وَهُوَ نَهْرُ رَمْلٍ سَيَّالٌ يَجْرِي مِنْ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ إِلَىٰ غَدَاةِ يَوْمِ السَّبْتِ، لَمْ يَقْدِرِ الإِنْسَانُ يَعْبُرُهُ مِنْ شِدَّةِ جَرَيَانِهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَيَسْكُنُ بَاقِي الأُسْبُوعِ، وَوَرَاءَ هَذَا النَّهْرِ مِنَ اليَهُودِ مِائَةُ أَلْفِ أَلْفِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَهُمْ زَائِدُونَ عَلَىٰ العَدِّ خَارِجُونَ عَنِ الحَدِّ، وَالقَوْمُ عَرَبٌ يَعْقِدُونَ القَافَ الأَلِفَ فِي لُغَتِهِمْ، وَفِي جُمْلَةِ القَوْمِ أَوْلَادُ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا حُصِّلُوا هَؤُلَاءِ اليَهُودُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ وَالأَعْمَالِ إِلَّا مِنْ غَزْوَةِ بُخْتُنَصَّرَ[1] البَابِلِيِّ لِلْيَهُودِ بِأَرْضِ الشَّامِ وَدِيَارِ مِصْرَ، وَالأَصَحُّ لِإِظْهَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ مِنْ خَيْبَرَ وَوَادِي القُرَىٰ وَسَكَنُوا هَذِهِ الأَرَاضِيَ، وَإِلَىٰ الآنَ إِذَا تَاهَ بَعْضُ الحُجَّاجِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَوَصَلَ إِلَىٰ القَوْمِ فَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُهُ وَآخَرُونَ يَقْبَلُونَهُ وَيَرُدُّونَهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ حَالٍ.

فَصْلٌ: مِمَّا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ[2] بْنُ عُمَرَ بْنِ الحَسَنِ[3] الرَّازِي

---

(١) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ» (١/ ٦٧) لِابْنِ حَجَرٍ.

(٢) المَعْرُوفُ بِابْنِ الخَطِيبِ، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ» (٤/ ٢٤٨) بِرَقْمِ (٦٠٠)، وَ«طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» (٤/ ٢٨٣) بِرَقْمِ (١٠٨٩).

(٣) كَذَا هُوَ هُنَا، وَكَذَا فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ»، وَالصَّوَابُ: «الحُسَيْنِ».

فِي كِتَابِ «مَعْرِفَةِ الأَدْيَانِ»: مَسْأَلَةٌ شَرْعِيَّةٌ، قَالَ:

إِنَّ لِلْيَهُودِ يَوْمًا إِذَا عَمِلَ فِيهِ إِنْسَانٌ شُغْلًا حَلَّ دَمُهُ، فَإِنْ لَم يَعْمَلْ فِيهِ الشُّغْلَ حَلَّ دَمُهُ، قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِذَا وُلِدَ لِلْيَهُودِيِّ طِفْلٌ فَفِي سَابِعِ يَوْمِ الطِّفْلِ يُطَهَّرُ - أَيْ يُخْتَنُ- فَإِذَا اتَّفَقَ سَابِعُ الطِّفْلِ يَوْمَ السَّبْتِ وَخُتِنَ الطِّفْلُ حَلَّ دَمُهُ لِكَسْرِ سنَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُخْتَنْ حَلَّ سَفْكُ دَمِ وَالِدِهِ مُخَالَفَةَ وَالِدِهِ الشَّرْعَ، وَذَلِكَ شَرْعُهُمْ لِأَنَّهُ قَالَ بِتَرْكِ الأَوَامِرِ.

فَصْلٌ: قَالَ بَعْضُ النَّصَارَىٰ: إِنَّ الإِسْلَامَ عَجِيبٌ! قُلْتُ: وَمَا رَأَيْتَ مِنَ العَجَبِ؟ قَالَ: إِنْ تَنَصَّرَ الإِنْسَانُ حَلَّ قَتْلُهُ، يَعْنِي لِامْتِنَاعِهِ فِي دُخُولِ الدِّينِ الحَنِيفِيِّ، وَإِنْ أَسْلَمَ قُطِعَ -أَيْ خُتِنَ- فَجَرَيَانُ الدَّمِ فِي الحَالَتَيْنِ حَاصِلٌ، وَكَذَلِكَ اليَهُودِيُّ قَتْلُهُ فِي الحَالَتَيْنِ حَاصِلٌ عَلَىٰ الخَبَرِ الأَوَّلِ(١)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) مَعْنَىٰ هَذَا هُوَ أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ خُتِنَ، وَمَنِ ارْتَدَّ سُفِكَ دَمُهُ لِأَنَّهُ بَدَّلَ دِينَهُ، أَمَّا قَوْلُهُ: «لِامْتِنَاعِهِ فِي دُخُولِ الدِّينِ» فَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ بَاقِيًا عَلَىٰ دِينِه يَهُودِيًّا كَانَ أَوْ نَصْرَانِيًا لَا يَأْمُرُ الإِسْلَامُ بِقَتْلِهِ، وَلِذَلِكَ أَحْكَامٌ لِبَقَائِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ الكَلَامِ عَنْهَا، وَقَدْ طَرَقَ أَئِمَّةُ الإِسْلَامِ هَذِهِ المَسَائِلِ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمُ الفِقْهِيَّةِ.

ذِكْرُ شُهُورِ اليَهُودِ

قَمَرِيَّةٌ وَأَوَاسِطُ المَسِيرِ: تَشْرِي وَمَرْحَشُون وَكَسِلْيُو وَطَيْبَث وَشَفْط وَآذَار وَنَيْسَن وَإِير وَسِيُون وَتَمُّز وَأَوْب وَإِيلُل، وَيَعْمَلُ عَلَىٰ هَذِهِ الشُّهُورِ جَمِيعُ يَهُودِ الرَّبْعِ المَسْكُونِ.

مَا الفِسْحُ؟ فِي أَعْيَادِ اليَهُودِ خَرَجَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ هَارِبِينَ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَخَلَّصُوا مِنَ العُبُودِيَّةِ وَقَرَّبُوا القَرَابِينَ كَمَا مُثِّلَ لَهُمْ، وَهِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ تُسَمَّىٰ الفَطِيرَ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَكْلُ اللَّحْمِ وَلَا إِمْسَاكُهِ فِي الرَّحْلِ، وَفِي اليَوْمِ الآخَرِ مِنْهَا غَرِقَ فِرْعَوْنُ فِي بَحْرِ سُوفٍ، وَهُوَ القُلْزُمُ[1] وَيُعْرَفُ هَذَا اليَوْمَ بِالكَسِّ.

مَا العَنْصَرَةُ؟ هُوَ السَّادِسُ مِنْ سِيُونَ يُسَمَّىٰ عشر مُشْتَقٌّ مِنَ الِاجْتِمَاعِ وَهُوَ حَجٌّ مِنَ الحُجُوجِ لِإِدْرَاكِ الغِلَالِ.

مَا الكَفُورُ؟ هُوَ اليَوْمُ العَاشِرُ مِنْ تَشْرِي، وَهَذَا رُبَّمَا يُسَمَّىٰ العَاشُورَاءَ، وَأَمَّا الكَفُورُ فَهُوَ مِنْ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، وَهَذَا اليَوْمُ فَقَطْ هُوَ الَّذِي فُرِضَ عَلَىٰ اليَهُودِ صَوْمُهُ وَالقَتْلُ عَلَىٰ مَنْ لَا يَصُومُهُ، وَمُدَّةُ الصَّوْمِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً يُبْتَدَأُ بِهَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي اليَوْمِ التَّاسِعِ، وَيُخْتَمُ بِمُضِيِّ سَاعَةٍ بَعْدَ غُرُوبِهَا فِي اليَوْمِ العَاشِرِ، وَلَا

---

(١) البَحْرُ الأَحْمَرُ.

يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ الكَفُورُ فِي يَوْمِ الأَحَدِ وَلَا فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ أَوْ يَوْمِ الجُمُعَةِ.

مَا المَظَلَّةُ؟ هِيَ بِلُغَتِهِمْ مُصَلَّىٰ، وَهِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، أَوَّلُهَا الخَامِسَ عَشَرَ مِنْ تَشْرِي، وَكُلُّهَا أَعْيَادٌ يَجْلِسُونَ فِيهَا تَحْتَ الظِّلَالِ مِنَ الأَغْصَانِ وَالخِلَافِ وَالعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَسْكُنُوا فِيهَا تَذْكَارًا لِإِظْلَالِ اللهِ إِيَّاهُمْ فِي أَرْضِ التِّيهِ بِالغَمَامِ.

مَا العَرْبَا؟ تَفْسِيرُهُ مَا الخِلَافُ؟ وَهُوَ آخِرُ عِيدِ المُصَلَّىٰ أَعْنِي بِذَلِكَ الحَادِي وَالعِشْرِينَ مِنْ تَشْرِي، وَهُوَ -أَيْضًا- حَجٌّ لَهُمْ.

مَا التَّبْرِيكُ؟ هُوَ عِيدٌ مُشْتَقٌّ مِنَ البَرَكَةِ، وَهُوَ بَعْدَ عَرَابَا بِيَوْمَيْنِ.

مَا الحَنُكَّةُ؟ هُوَ عِيدٌ مُشْتَقُّ الِاسْمِ مِنَ التَّنْظِيفِ، وَهُوَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ، أَوَّلُهَا الخَامِسُ وَالعِشْرونَ مِنْ كَسِلِيُو، يُسْرِجُونَ فِيهَا عَلَىٰ أَبْوابِ دُورِهِم فِي اللَّيْلَةِ الأُولَىٰ سِرَاجًا وَاحِدًا، وَفِي الثَّانِيَةِ اثْنَيْنِ، إِلَىٰ أَنْ تَتِمَّ الثَّمَانِيَةُ الأَيَّامِ ثَمَانِيَةَ سُرُجٍ، وَذَلِكَ تَذْكَارٌ لَهُمْ مِنْ أَصْغَرِ ثَمَانِيَةِ إِخْوَةٍ قَتَلُوهُمْ بِمُتَغَلِّبٍ عَلَيْهِمْ، كَانَ يَفْرَعُ مِنْ عَدَاوَتِهِمْ(١) وَيَطُوفُ بِبَيْتِ المَقْدِسِ عَلَىٰ بَغْلَةٍ.

مَا البُورِيُّ؟ اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الِاقْتِرَاعِ وَالفَأْلِ، وَهُوَ الرَّابِع وَالعِشْرونَ مِنْ آذَارَ يَتْلُوهُ نَيْسَن، وَيُعْرَفُ -أَيْضًا- بِعِيدِ المجلة، أَيْ مغلا، وَسَبَبُهُ أَنَّ هَيْمُونَ وَزِيرَ احْشَوِيرْشَ أَيْ أَبْرَوِيزَ بْن أَنُوشُرْوَانَ كَانَ يُكَايِدُهُمْ أَيَّامَ كَانُوا بِبَابِلَ، فَدَبَّرَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَأْذَنَ فِي صَلْبِهِمْ فَانْقَلَبَ الأَمْرُ عَلَيْهِ فِي هَذَا اليَوْمِ فَصُلِبَ، وَلِهَذَا يَعْمَلُونَ

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «عَدَاوَتِهِمْ».

تَمَاثِيلَ مَصْلُوبَةً وَيُحَرِّقُونَهَا وَيَفْرَحُونَ بِذَلِكَ، وَلِلْيَهُودِ فِي شَهْرِهِ صِيَامٌ وَنَوَافِلُ، وَأَسْبَابُهَا أُمُورٌ حَدَثَتْ فَحَرَّمَتْهُ وَأَوْجَبَتْ الِامْتِنَاعَ عَنِ الطَّعَامِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا حَاضَتِ المَرْأَةُ عِنْدَهُمْ يُسْكِنُونَهَا وَحْدَهَا وَتُعْزَلُ لَهَا آنِيَةٌ تَأْكُلُ فِيهَا وَتَشْرَبُ مِنْهَا وَلَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ(١) حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ طَمْثِهَا، أَيْ حَيْضِهَا، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ غَدَتْ إِلَىٰ الحَمَّامِ فَغُسِّلَتْ وَامْتَشَطَتْ وَتَجِيءُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ بَيْتِ بِئْرٍ تُسَمَّىٰ طُومَىٰ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَلَهُمْ بِبَغْدَادَ بِئْرٌ تُسَمَّىٰ بِئْرَ طُومَىٰ فِي مَحَلَّة خَرَابَة بَيْنَ خَرَزَةَ، وَهُوَ بِئْرٌ مُدَرَّجٌ، وَقَدْ عُرِّضَ فِي وَسَطِ البِئْرِ عُودٌ عَلَىٰ خَرَزَةِ البِئْرِ، وَقَدْ ضُرِبَ فِي الخَشَبَةِ سِلْسِلَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَىٰ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ آخِرِ السِّلْسِلَةِ ثُمَّ إِلَىٰ قَرَارِ المَاءِ، فَتَخْلَعُ المَرْأَةُ مَا عَلَيْهَا مِنَ الأَثْوابِ وَتَلْزَمُ السِّلْسِلَةَ، وَلَا تَزَالُ تَسْقُطُ فِي المَاءِ، أَيْ تَغُوصُ، وَتَنْبُعُ إِلَىٰ أَنْ تَقُولَ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ أَعْلَىٰ البِئْرِ: نَظِفْتِ، أَيْ تَطَهَّرْتِ، فَإِذَا سَمِعَتِ المَرْأَةُ ذَلِكَ عَلِمَتْ أَنَّهَا طَهُرَتْ مِنْ نَجَسِ الحَيْضِ، فَحِينَئِذٍ تَلْبَسُ جَمِيعَ ثِيَابِهَا، وَجَمِيعُ اليَهُودِيَّاتِ يَلْقَيْنَهَا حِينَ تَطْهُرُ المَرْأَةُ.

وَيُقَالُ فِي الأَمْثَالِ: شَاوِرِ المُسْلِمِينَ، وَنَمْ عِنْدَ النَّصَارَىٰ، وَتَعَشَّ عِنْدَ اليَهُودِ. وَيُقَالُ: إِنَّ لِلْمُسْلِمِ فَرْجَهُ، وَلِلنَّصْرَانِيِّ مَالَهُ، وَلِلْمَجُوسِيِّ رِئَاسَتَهُ، وَلِلْيَهُودِيِّ بَطْنَهُ.

---

(١) وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ لَنَا مَكَانَةُ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّىٰ فِي أَيَّامِ حَيْضِهَا، فَإِنَّهَا تُخَالِطُ وَتُؤَاكِلُ وَتَنَامُ مَعَ زَوْجِهَا فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ، وَلَهُ أَنْ يُقَبِّلَهَا، وَيَحِلُّ لَهُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ، أَمَّا اليَهُودُ فَالمَرْأَةُ عِنْدَهُمْ تُحَاصَرُ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهَا.

مِنَ الطَّائِفِ إِلَى صَعْدَةَ[١]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكَلِ بْنِ الحُسَيْنِ الكَرْمَانِيُّ قَالَ: إِنَّ مِنَ الطَّائِفِ إِلَىٰ المَعْدِنِ[٢] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الرَّانِ ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ مَحْرَىٰ ثَمَانية فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ الدُّرُوبِ[٣] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ يَافِعَ[٤] ثَمَانية فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ عَدًّا ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ رَانَ كَيْسَهْ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهُوَ جَبَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ وَعَلَيْهِ مَجَازُ الخَلْقِ، وَإِلَىٰ صَفىٰ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهُوَ سُوقٌ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَإِلَىٰ خفن أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَيَلِي مَدَرَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهُوَ سُوْقٌ يَلْتَامُّ فِيهِ الخَلْقُ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، وَإِلَىٰ عَضَّة عَرِين أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ بِلَادِ بَنِي قَرْنٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ بِلَادِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ عِشْرُونَ فَرْسَخًا، وَإِلَىٰ ذَهْبَانَ[٥] سَبْعة فَرَاسِخَ.

---

(١) صَعْدَةُ: مَدِينَةٌ تَارِيخِيَّةٌ عُرِفَتْ قَبْلَ أَلْفِ سَنَةٍ بِهَذَا الاِسْمِ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٠٧)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٠).

(٢) المَعْدِنُ: وَيُعْرَفُ بِـ«مَعْدِنِ البِرَامِ» قَرْيَةٌ جَنُوبَ الطَّائِفِ، ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٢٣٣)، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٨/ ١٦١٨-١٦١٩).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٠٩).

(٤) يَافِعُ: قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ تَقَعُ مَنَازِلُهَا فِيمَا بَيْنَ «الضَّالِعِ» وَ«لَحْجَ» فِي المَنْطِقَةِ المَعْرُوفَةِ قَدِيمًا بِاسْمِ «سَرْوِ حِمْيَرٍ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٩٤)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١١).

(٥) سَيَأْتِي كَلَامُهُ عَلَىٰ «ذَهْبَانَ» قَرِيبًا.

صِفَةُ هَذِهِ الأَعْمَالِ

وَحَدَّثَنِي الرَّاوِي قَالَ: جَمِيعُ هَذِهِ الأَعْمَالِ قُرًى مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي الكِبَرِ وَالصِّغَرِ وَكُلُّ قَرْيَةٍ مِنْهَا مُقِيمَةٌ بِأَهْلِهَا، كُلُّ فَخِذٍ مِنْ فُخُوذ العَرَبِ وَبَطْنٍ مِنْ بُطُونِ البَدْوِ فِي قَرْيَةٍ، وَمِنْ جَوْرِهم لَا يُشَارِكُهُمْ فِي نُزُلِهَا وَسُكْنِهَا أَحَدٌ سِوَاهُمْ، وَقَدْ بُنِي فِي كُلِّ قَرْيَةٍ قَصْرٌ مِنْ حَجَرٍ وَجَصٍّ، وَكُلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ سَاكِنٌ فِي القَرْيَةِ لَهُ مَخزِنٌ فِي القَصْرِ يَخْزَنُ فِي المَخْزِنِ جَمِيعَ مَا يَكُونُ لَهُ مِنْ حَوْزِهِ وَمِلْكِهِ، وَمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا قُوتُ يَوْمٍ بِيَوْمٍ، وَيَكُونُ أَهْلُ القَرْيَةِ مُحْتَاطِينَ بِالقَصْرِ مِنْ أَرْبَعِ تَرَابِيعِهِ.

وَيَحْكُمُ عَلَىٰ كُلِّ قَرْيَةٍ شَيْخٌ مِنْ مَشَايِخِهَا كَبِيرُ القَدْرِ وَالسِّنِّ، ذُو عَقْلٍ وَفِطْنَةٍ، فَإِذَا حَكَمَ بِأَمْرٍ لَمْ يُشَارِكْهُ وَلَا يُخَالِفْهُ أَحَدٌ فِيمَا يُشِيرُهُ عَلَيْهِمْ وَيَحْكُمُهُ فِيهِمْ.

وَجَمِيعُ مَنْ فِي هَذِهِ الأَعْمَالِ لَمْ يَحْكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَلَا يُؤَدُّونَ خَرَاجًا وَلَا يُسَلِّمُونَ قِطْعَةً إِلَّا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فَلِهَذَا لَا يَزَالُ القِتَالُ دَأْبَهُمْ، وَيَتَغَلَّبُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ مَالِ بَعْضٍ وَيَضْرِبُ قَرَابَةُ زَيْدٍ عَلَىٰ أَمْوَالِ عَمْرٍو، وَهُمْ طُولَ الدَّهْرِ عَلَىٰ هَذَا الفَنِّ، وَجَمِيعُ زَرْعِهِمُ الحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ، وَشَجَرُهُمُ الكُرُومُ(١)

(١) أَيْ: العِنَبُ.

وَالرُّمَّانُ(١) وَاللَّوْزُ، وَيُوجَدُ عِنْدَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الفَوَاكِهِ وَالخَيْرَاتِ، وَأَكْلُهُمُ السَّمْنُ وَالعَسَلُ، وَهُمْ فِي دَعَةِ اللهِ وَأَمَانِهِ، وَهُمْ فُخُوذٌ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ قَحْطَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الأَنْسَابِ.

* * *

(١) وَإِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا وَتِلْكَ البِلَادُ مَشْهُورَةٌ بِزِرَاعَةِ العِنَبِ وَالرُّمَّانِ.

وَأَمَّا ذَهْبَانُ[(١)]

فَهِيَ أُمُّ القُرَىٰ بِلَادُ عِزٍّ، وَيُقَالُ: إِنَّ دُورَ أَعْمَالِهَا أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا، وَهِيَ نَجْدُ اليَمَنِ، وَالأَصَحُّ أَطْرَافُ أَعْمَالِ نَجْدِ اليَمَنِ مِنْ شَرْقِيِّ تِهَامَةَ، وَهِيَ قَلِيلَةُ الجِبَالِ مُسْتَوِيَةُ البِقَاعِ.

وَنَجْدُ اليَمَنِ غَيْرُ نَجْدِ الحِجَازِ، غَيْرَ أَنَّ جَنُوبَ نَجْدِ الحِجَازِ يَتَّصِلُ بِشَمَالِ نَجْدِ اليَمَنِ.

وَإِلَىٰ بِلَادِ قَحْطَانَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ رَاحَةِ بَنِي شَرِيفٍ فَرْسَخَانِ وَادٍ فِيهِ وُضِعَتْ مَدِينَةُ البَصْرَةِ وَيُسَمَّىٰ دَرْبَ العَقِيقِ، وَإِلَىٰ صَعْدَةَ عِشْرُون فَرْسَخًا وَهِيَ مَدِينَةٌ ذَاتُ عِمَارَةٍ وَأَرْضٍ نَزِهٍ وَدَرْبِ أَمْنٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الأُمَمِ وَالبِلَادِ وَالمُدُنِ وَالقُرَىٰ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَىٰ وَلَا تَحْوِيهِ أَقْلَامُ الدَّوَاوِينِ، أَيْ فِي صَنْعَةِ الحِسَابِ.

وَشُرْبُ أَهْلِ البِلَادِ مِنْ أَنْهُرٍ سَائِحَةٍ، وَبَعْضُهُمْ يَشْرَبُ مِنْ آبَارٍ مَاؤُهَا خَفِيفٌ عَلَىٰ الفُؤَادِ ذَاتُ هَضْمٍ وَلَذَّةٍ.

---

(١) أَمَّا الآنَ فَلَا نَعْرِفُ سِوَىٰ ذَهْبَانَ الَّتِي قَدِ اتَّصَلَ عُمْرَانُهَا بِصَنْعَاءَ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٥٣).

مِنَ الطَّائِفِ إِلَى مَكَّةَ

رَاجِعًا مِنَ الطَّائِفِ إِلَىٰ حَدْبِ الرَّنْجِ فَرْسَخَانِ، وَهُوَ كَهْفُ جَبَلٍ، وَإِلَىٰ الطَّوْدِ الأَعْظَمِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ جَبَلٌ طَوِيلٌ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّىٰ الحِجَازَ.

❊ ❊ ❊

ذِكْرُ الحِجَازِ

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ الحِجَازُ لِأَنَّهَا احْتُجِزَتْ بِالحِرَارِ الخَمْسِ، مِنْهَا حَرَّةُ بَنِي سُلَيْمٍ وَحَرَّةُ وَاقِمٍ[١]، وَيُقَالُ: احْتَجَزَ الرَّجُلُ بِإِزَارٍ أَيْ شَدَّهُ عَلَىٰ وَسَطِهِ، وَمِنْهُ قِيلَ: حُجْزَةُ السَّرَاوِيلِ، وَقَوْلُ العَامَّةِ: «حُزَّةٌ» خَطَأٌ[٢].

وَقَالَ الخَلِيلُ: لِأَنَّهُ فَصَلَ مَا بَيْنَ الغَوْرِ[٣] وَالشَّأْمِ[٤] وَبَيْنَ البَادِيَةِ[٥].

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ: إِنَّهَا حَجَزَتْ بَيْنَ نَجْدٍ وَالغَوْرِ[٦].

---

(١) وَهِيَ إِحْدَىٰ حَرَّتَيِ المَدِينَةِ، وَهِيَ الشَّرْقِيَّةُ، سُمِّيَتْ بِرَجُلٍ مِنَ العَمَالِيقِ كَانَ نَزَلَهَا وَاسْمُهُ وَاقِمُ، وَقِيلَ: وَاقِمُ اسْمُ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ إِلَيْهِ تُضَافُ الحَرَّةُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٤٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٢).

(٢) وَيُنْظَرُ لِذَلِكَ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ وَغَرِيبُهَا.

(٣) وَهُوَ غَوْرُ تِهَامَةَ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: قَدْ أَغَارَ إِذَا دَخَلَ تِهَامَةَ، قَالَ الأَعْرَابِيُّ:

أَرَانِي سَاكِنًا مِنْ بَعْدِ نَجْدٍ ... بِلَادَ الغَوْرِ وَالبَلَدَ التِّهَامَا

فَرُبَّتَمَا مَشَيْتُ بِحَرِّ نَجْـدٍ ... وَرُبَّتَمَا ضَرَبْتُ بِهِ الخِيَامَا

وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٢١٦).

(٤) المُرَادُ بِالشَّأْمِ هُنَا شَامُ تِهَامَةَ.

(٥) كِتَابُ «العَيْنِ» (٣/ ٧٠) لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، ط: «دَارِ مَكْتَبَةِ الهِلَالِ».

(٦) «الصِّحَاحُ» (٣/ ١٦) لِلْجَوْهَرِيِّ.

وَقَالَ أَهْلُ اليَمَنِ: مَكَّةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ بُرْهَانِهِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ [حِينَ] وَقَفَ عَلَى المُتَّكَأِ وَقَالَ: «هَذَا شَأْمٌ وَهَذَا يَمَنٌ»[١].

وَقَالَ أَهْلُ الطَّائِفِ: مَكَّةُ تِهَامِيَّةٌ لِأَنَّ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَتِهَامَةَ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ الطَّوْدَ الأَعْظَمَ، فَكُلُّ مَا غَرَّبَ مِنْهُ فَهُوَ تِهَامَةُ، وَمَا شَرَّقَ مِنْهُ فَهُوَ نَجْدٌ.

وَقَالَ أَهْلُ العِرَاقِ: مَكَّةُ أَرْضُ الحِجَازِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: إِنَّ الطَّوْدَ الأَعْظَمَ عَلَىٰ هَذَا الوَجْهِ هُوَ الحِجَازُ بِعَيْنِهِ؛ لِأَنَّهُ حَجَزَ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَتِهَامَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ إِلَىٰ اليَمَنِ، وَدِيَارُ العَرَبِ هِيَ الحِجَازُ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَاليَمَامَةِ وَمَخَالِيفِهَا وَنَجْدِ الحِجَازِ المُتَّصِلِ بِالبَحْرَيْنِ، وَلَيْسَ فِي سَائِرِ الأَقَالِيمِ أَطْيَبُ مِنْهُ وَلَا أَصَحُّ مِنْ جَوِّهِ وَهَوَاهُ، كَمَا قَالَ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي ... لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ ... وَبِالحِجَازِ نَهَارِي

وَبَادِيَةُ الشَّأْمِ وَاليَمَنِ المُشْتَمِلَةُ عَلَىٰ تِهَامَةَ وَنَجْدِ اليَمَنِ وَعُمَانَ وَمَهْرَةَ وَحَضْرَمَوْتَ وَبِلَادِ صَنْعَاءَ وَعَدَنَ وَسَائِرِ مَخَالِيفِ اليَمَنِ.

فَمَا كَانَ مِنْ حَدِّ السِّرَّيْنِ[٢] فَهِيَ تَنْتَهِي إِلَىٰ نَاحِيَةِ يَلَمْلَمَ[٣] حَتَّىٰ تَنْتَهِي إِلَىٰ

---

(١) لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَىٰ سَنَدٍ.

(٢) السِّرَّيْنُ: تَثْنِيَةُ سِرٍّ ضِدِّ العَلَانِيَةِ.

(٣) مَكَانٌ مَعْرُوفٌ، وَمِنْهُ مِيقَاتُ أَهْلِ اليَمَنِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٩/ ١٨٦٢)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٣).

ظَاهِرِ الطَّائِفِ مُمْتَدًّا إِلَىٰ بَحْرِ اليَمَنِ إِلَىٰ بَحْرِ فَارِسٍ شَرْقًا مِنَ اليَمَنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَحْو مِنْ ثُلُثَيْ بِلَادِ العَرَبِ، وَمَا كَانَ مِنَ السِّرَّيْنِ عَلَىٰ بَحْرِ فَارِسٍ إِلَىٰ قُرْبِ مَدْيَنَ رَاجِعًا إِلَىٰ حَدِّ الشَّرْقِ عَلَىٰ هَجَرَ إِلَىٰ جَبَلِ طَيِّئٍ مُمْتَدًّا عَلَىٰ ظَهْرِ اليَمَامَةِ إِلَىٰ بَحْرِ فَارِسٍ مِنَ الحِجَازِ وَمَدْيَنَ.

وَمَا كَانَ مِنْ حَدِّ اليَمَامَةِ إِلَىٰ قُرْبِ المَدِينَةِ رَاجِعًا عَلَىٰ بَادِيَةِ البَصْرَةِ حَتَّىٰ يَمْتَدَّ عَلَىٰ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ البَحْرِ فَمِنْ نَجْدٍ.

وَمَا كَانَ مِنْ عَبَّادَانَ(١) إِلَىٰ الأَنْبَارِ(٢) وَنَوَاحِيهَا لِنَجْدٍ وَالحِجَازِ عَلَىٰ طَيِّئٍ وَأَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَسَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ بَادِيَةُ العِرَاقِ.

وَمَا كَانَ مِنْ حَدِّ الأَنْبَارِ إِلَىٰ بَالِسَ(٣) وَنَوَاحِيهَا لِبَادِيَةِ الشَّأْمِ عَلَىٰ أَرْضٍ تُسَمَّىٰ بَرِّيَّةَ حَسَّانَ إِلَىٰ قُرْبِ وَادِي القُرَىٰ وَالحِجْرِ مِنْ بَادِيَةِ الجَزِيرَةِ.

وَمَا كَانَ مِنْ بَالِسَ إِلَىٰ أَيْلَةَ(٤) مُوَجِّهًا لِلْحِجَازِ عَلَىٰ بَحْرِ فَارِسَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ مَدْيَنَ مُعَارِضًا لِأَرْضِ تَبُوكَ حَتَّىٰ يَتَّصِلَ بِدِيَارِ طَيِّئٍ مِنْ بَادِيَةِ الشَّأْمِ.

وَعَلَىٰ أَنَّ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يُقَسِّمُ هَذِهِ الدِّيَارَ وَزَعَمَ أَنَّ المَدِينَةَ مِنْ نَجْدٍ لِقُرْبِهَا مِنْهَا، وَأَنَّ مَكَّةَ مِنْ تِهَامَةَ اليَمَنِ لِقُرْبِهَا مِنْهَا.

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٧٤) لِيَاقُوت.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٢٥٧).

(٣) بالِسُ: بَلْدَةٌ بِالشَّامِ بَيْنَ حَلَبَ وَالرَّقَّةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٣٢٨).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٢٩٢).

مِنْ مَكَّةَ إِلَى جُدَّةَ

مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ عَيْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ فَرْسَخٌ، وَهِيَ عَيْنٌ جَارِيَةٌ وَقَدْ غُرِسَ عَلَيْهِ نَخْلٌ وَشَجَرُ السِّدْرِ، وَإِلَىٰ مَقْتَلَةِ الكِلَابِ فَرْسَخٌ، وَكَانَ السَّبَبُ فِيهِ أَنَّ لِرَجُلٍ مِنَ الأَعْرَابِ كَلْبًا فَحَمَلَ الكَلْبُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الحِلَّةِ[1] فَنَيَّبَهُ وَعَوَّرَهُ، فَقَتَلَ المَنْيُوبُ الكَلْبَ، فَجَمَعَ صَاحِبُ الكَلْبِ بَنِي عَمِّهِ وَجَمَعَ المَنْيُوبُ أَهْلَهُ وَقَامَ الحَرْبُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، وَلَا زَالُوا عَلَىٰ قِتَالِهِمْ إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ الجَمِيعُ، فَعُرِفَ المَكَانُ بِمَقْتَلَةِ الكِلَابِ.

وَإِلَىٰ الرِّكَابِيَّةِ[2] فَرْسَخٌ، وَهِيَ بِئْرٌ حَوْلَ جَبَلَيْنِ عَلَىٰ يَسَارِ الدَّرْبِ تُسَمَّىٰ رَشَّانَ، وَفِيهِ بَعْضُ الأَعْرَابِ يَقُولُ:

أَيَا جَبَلَيْ رَشَّانَ بِاللهِ خَبِّرَا ... مَتَىٰ جَازَكُمْ بَدْرُ الحِجَازِ مُعَرِّضَا

وَإِلَىٰ جُدَّةَ فَرْسَخٌ، وَكَانَتْ أَرْضًا مُودَعَةً لِبَنِي البَدْرِيَّةِ فَبَاعُوهَا فَاشْتَرَاهَا مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ وَاسْتَخْرَجَ العَيْنَ، وَقِيلَ: كَانَتِ العَيْنُ عَلَىٰ

---

(١) الحِلَّةُ: بِالكَسْرِ: القَوْمُ النَّازِلُونَ، وَتُطْلَقُ الحِلَّةُ عَلَىٰ البُيُوتِ تَسْمِيَةً لِلْمَحَلِّ بِاسْمِ الحَالِّ. «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٩٠).

(٢) قَالَ يَاقُوتُ: «كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الرِّكَابِ وَهِيَ الإِبِلُ: وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنْهُ إِلَىٰ المَدِينَةِ عَشَرَةُ أَيَّامٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٦٣).

حَالِهَا فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي القَوْمِ مُدَّةَ زَمَانٍ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي إِدْرَاكِ الغِلَالِ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُمُ الشَّرِيفُ الحُسَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ السَّدِيدِيُّ وَغَرَسَ فِي جَمِيعِ البِلَادِ نَخْلًا مِقْدَارَ عِشْرِينَ أَلْفَ نَخْلَةٍ، وَالقَوْمُ مُلَّاكُهَا إِلَىٰ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَفِي هَذَا التَّأْرِيخِ مَلَكَ الأَمِيرُ طُغْتُغَا [١] المَلِكُ الكَامِلُ وِلَايَةَ الحِجَازِ وَمَلَكَ نَخْلَ الأَشْرَافِ مُسْتَهْلِكًا لَهَا وَأَخَذَ هَذَا النَّخْلَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَهُ، وَالنَّخْلُ رَجَعَ الآنَ سُلْطَانِيًّا.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا عُرِفَ جُدَّةُ بِهَذَا الِاسْمِ لِأَنَّهُ آخِرُ حُدُودِ وَادِي نَخْلَةَ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ مِنْ وَادِي الصَّفْرَاءِ إِلَىٰ القُرَينِ فَرْسَخٌ، بِنَايَةُ الأَمِيرِ هَاشِمٍ، وَكَانَ يُوقِفُ فِي المَوْضِعِ رُتْبَةَ خَيْلٍ يُجِيرُونَ القَوَافِلَ فِي الطُّرُقِ، وَكَانَ لَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ جَمَلٍ دِينَارٌ عَلَوِيَّةٌ، وَهُوَ حِصْنٌ صَغِيرٌ مُرَبَّعٌ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَكَمَةٍ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ دُورِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بُرْجًا صِغَارًا تَحْتَهَا بِئْرٌ طَيِّبَةُ المَاءِ عَذْبَةٌ، وَإِذَا قَلَّ المَاءُ فِي جُدَّةَ فَمِنْهَا يَسْتَقِي المَاءَ أَهْلُ جُدَّةَ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَ القُرَينُ قُرِينًا إِلَّا أَنَّهُ أَقْرَنَ نِصْفَ الطَّرِيقِ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَجُدَّةَ، وَيُقَالُ: أَقْرَنَ بِبِنَائِهِ العَدْلَ وَالأَمْنَ.

وَإِلَىٰ كُتَانَةَ[٢] فَرْسَخٌ، يُقَالُ: إِنَّ اللهَ ﷻ أَهْلَكَ الحَبَشَةَ الوَارِدِينَ بِالفِيلِ مِنْ

---

(١) ذَكَرَه الفَاسِيُّ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٤/ ٣٠٢) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (١٤٤٦)، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا ذَكَرَهُ سِوَاهُ.

(٢) كُتَانَةُ: بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَبَعْدَ الأَلِفِ نُونٌ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْرَاضِ المَدِينَةِ لِآلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: كُتَانَةُ عَيْنٌ بَيْنَ الصَّفْرَاءِ وَالأُثَيْلِ، كَانَتْ لِبَنِي جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي

صَنْعَاءَ بِهَذَا المَكَانِ.

وَإِلَىٰ الثُّدَيَّيْنِ[(١)] مِيلٌ وَهُوَ بَيْنَ جِبَالٍ عَوَالٍ آخِرُ الوَطْأَةِ وَأَوَّلُ الأَوْدِيَةِ، وَقَدْ كَانَ قَصْرًا بُنِي بِالجَصِّ وَالحَجَرِ وَالآنَ خَرَابٌ.

وَإِلَىٰ وَادِي السِّدْرَة فَرْسَخٌ وَهِيَ شَجَرَةُ سِدْرٍ صَغِيرَةٌ عَلَىٰ أَيْمَنِ المَحَجَّةِ، وَمِنْهَا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكُلُّ مَنْ يَجُوزُ الوَادِي يَأْخُذُ مِنْ أَوْرَاقِهَا لِأَجْلِ البَرَكَةِ، وَلَمْ تَبْرَحِ السِّدْرَةُ عَلَىٰ حَالِهَا لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَىٰ الآنَ.

وَإِلَىٰ الغَارِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ الفَجِّ الأَخْضَرِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ الفُرُعِ[(٢)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ مَثْوَبٍ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ أَبُو الرّحمِ[(٣)] مِيلٌ وَهُوَ جَبَلٌ صَغِيرٌ عَلَىٰ أَيْسَرِ الدَّرْبِ، وَإِلَىٰ النُّهُودِ مِيلٌ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ جَبَلًا مُتَفَرِّقِينَ شِبْهُ النُّهُودِ، وَإِلَىٰ المِينَةِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَتُسَمَّىٰ الحُدَيْبِيَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَصَلَ إِلَىٰ هَذَا فَصَارَ كُلَّمَا سَارَ تَبْعُدُ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ فَرَجَعَ مِنْهَا وَقَالَ: «مَا أَبْعَدَكِ! لَا قَرَّبَكِ اللهُ»[(٤)]، وَالمَوْضِعُ سَبِخَةٌ طَوِيلَةٌ فِي أَرْضٍ وَطِيئَةٍ مِثْلِ الكَفِّ، وَإِلَىٰ جُدَّةَ نِصْفُ فَرْسَخٍ.

=

طَالِبٍ، وَهِيَ اليَوْمَ لِبَنِي أَبِي مَرْيَمَ السَّلُولِيِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٣٥)، «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٧/ ١٤٢٤).

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٢/ ٣٠٦) فِي الكَلَامِ عَلَىٰ الثُّدَيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٧/ ١٣١٤).

(٣) هَكَذَا «أَبُو الرّحمِ» مَحْكِيٌّ.

(٤) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَادِرِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ أَيَّ شَيْءٍ يَسْمَعُهُ دُونَ تَثَبُّتٍ.

بِنَاءُ جُدَّةَ

حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ مَسْعُودٍ النَّسَّاجُ[١] الشِّيرَازِيُّ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَسَامَعَتْ أَهْلُوهُ بِالخَبَرِ فَقَصَدُوهُ وَأَسْلَمُوا عَلَىٰ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَكَنُوا جُدَّةَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا تُجَّارًا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ هِيَ بِنَاءُ خُسْرُو بْنِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجرِدَ بْنِ شَهْرَيَارَ بْنِ بَهْرَامَ.

وَمِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَبَّاسٍ فِي كِتَابِ الفَاكِهِيِّ[٢] قَالَ: أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ جُدَّةَ سَاحِلًا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَوْضِعٍ يُسَمَّىٰ الشُّعَيْبَةَ[٣].

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَالشُّعَيْبَةُ هُوَ خَورٌ عَظِيمٌ وَمَرْسًىٰ قَدِيمٌ مُقَابِلَ وَادِي المَحْرَمِ[٤]، لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ جُدَّةَ لِأَنَّ مَا فِي تِلْكَ النَّوَاحِي مَرْسًىٰ أَدْنَىٰ مِنْهُ وَلَا آمَنُ عَاقِبَةً[٥].

---

(١) هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ نَسْجِ الثِّيَابِ «الأَنْسَابُ» (١٣/ ٨١).

(٢) «أَخْبَارُ مَكَّةَ بَيْنَ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ».

(٣) «أَخْبَارُ مَكَّةَ» (٣/ ٢٣١) بِرَقْمِ (٢٢٠٧) لِلْفَاكِهِيِّ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٢).

(٤) «المُرَادُ بِوَادِي مَحْرَمٍ هُنَا هُوَ «يَلَمْلَمُ» مِيقَاتُ أَهْلِ اليَمَنِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٣).

(٥) وَيُنْظَرُ لِـ«الشُّعَيْبَةِ»: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٥/ ٩٢٨).

قَالَتِ العَجَمُ: فَلَمَّا خَرِبَتْ سِيرَافُ(١) انْتَقَلَتْ أَهْلُ سِيرَافَ إِلَىٰ سَائِرِ سَوَاحِلِ البَحْرِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَوَصَلَ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَفِيهِمُ اثْنَانِ: أَحَدُهُمَا يُسَمَّىٰ سَيَّار، وَالثَّانِي مَيَّاس، فَسَكَنُوا جُدَّةَ وَأَدَارُوا عَلَىٰ البَلَدِ سُورًا مِنَ الحَجَرِ الصَّمِّ بِالجَصِّ، فَلَمَّا ابْتَدَءُوا فِي المُقَامِ بِهَا بَنَوْا هَذَا السُّورَ وَجَعَلُوا عَرْضَ الحَائِطِ عَشَرَةَ أَشْبَارٍ، فَبَقِيَ السُّورُ عَلَىٰ حَالِهِ حَتَّىٰ تَمَكَّنُوا مِنَ المُقَامِ فَبَنَوْا عَلَىٰ وَجْهِ السُّورِ سُورًا ثَانِيًا مِنَ الحَجَرِ الكَاشُورِ مَنْقُوشٍ، أَيْ مَنْحُوتٍ مُرَبَّعٍ بِالجَصِّ، وَجَعَلوا عَرْضَ الحَائِطِ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ، فَصَارَ عَرْضُ الحَائِطَيْنِ المُلْتَزِقَيْنِ بَعْضُهُمَا إِلَىٰ بَعْضٍ خَمْسَةَ عَشَرَ شِبْرًا.

وَرُكِّبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَبْوابٍ: بَابُ الرُّومَةِ وَبَابُ المَدْبَغَةِ، وَكَانَ عَلَيْهِ حَجَرٌ حُفِرَ فِيهِ طِلَّسْمٌ إِذَا سَرَقَ فِي البَلَدِ سَارِقٌ وُجِدَ بِالغَدَاةِ اسْمُ السَّارِقِ مَكْتُوبًا فِي الحَجَرِ، وَبَابُ مَكَّةَ، وَبَابُ الفُرْضَةِ مِمَّا يَلِي البَحْرَ [حَوْلَ البَلَدِ](٢)، وَحُفِرَ حَوْلَهُ خَنْدَقٌ عَظِيمٌ فِي الوُسْعِ وَالعُمْقِ، فَكَانَ يَدُورُ مَاءُ البَحْرِ حَوْلَ البَلَدِ وَيَرْجِعُ مَا فَضَلَ مِنْهُ إِلَىٰ البَحْرِ، وَالبَلَدُ يَصِيرُ شِبْهَ جَزِيرَةٍ فِي وَسَطِ لُجَجِ البَحْرِ(٣).

فَلَمَّا حَصَّنُوا الفُرْسُ البَلَدَ غَايَةَ التَّحْصِينِ خَافَ القَوْمُ مِنْ ضَيْعَةِ المَاءِ فَبَنَوْا ثَمَانِيَةً وَسِتِّينَ صِهْرِيجًا دَاخِلَ البَلَدِ وَبَنَوْا ظَاهِرَ البَلَدِ مِثْلَهَا، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ بُنِيَ بِبَاطِنِ البَلَدِ خَمْسُمِائَةِ صِهْرِيجٍ وَبِظَاهِرِ البَلَدِ مِثْلُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

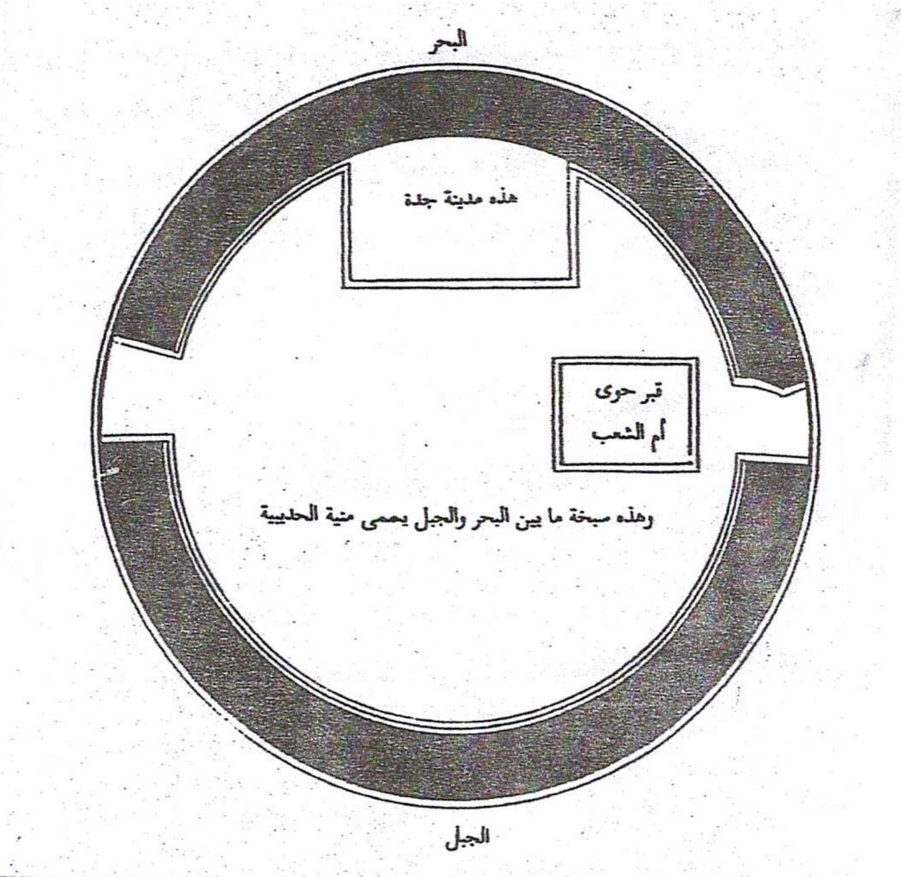
---

(١) سِيرَافُ: هِيَ مَدِينَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ بَحْرِ فَارِسٍ، كَانَتْ قَدِيمًا فُرْضَةَ الهِنْدِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٩٤).

(٢) سَاقِطٌ مِنَ المَطْبُوعِ.

(٣) وَيُنْظَرُ وَصْفُ جُدَّةَ فِي «رِحْلَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ» (ص٤١).

وَصُورَتُهَا عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:



ذِكْرُ بَعْضِ الصَّهَارِيجِ(١)

أَبُو الطِّينِ عَامِرٌ وَالمُرْبَانِيُّ وَالحُفَيْرَةُ وَالنَّخِيلَاتُ، وَصِهْرِيجُ أَبِي بَكْرٍ وَالحَجَرِيُّ وَالصَّرْحِيُّ، وَصِهْرِيجُ السِّدْرَةِ وَالحوَارُ وَالفَرحِيُّ، وَصِهْرِيجُ يَحْيَىٰ الشَّرِيفِ وَالوَدِيَّةُ وَالمبادِرُ، وَصِهْرِيجُ البَيْضَةِ وَالبِرْكَةِ، وَصِهْرِيجُ أُمِّ ضِرَارٍ، وَصِهْرِيجُ بَرَكَاتٍ، وَصِهْرِيجُ سُلَيْمَانَ العَطَّارِ وَالطُّولَانِي وَالعَرْضَانِي، فَكَانَ إِذَا وَقَعَ الغَيْثُ وَامْتَلَأَتْ مِنْهُ الصَّهَارِيجُ الَّتِي بِظَاهِرِ البَلَدِ كَانَتِ العَبِيدُ تَنْقُلُ مَاءَ الصَّهَارِيجِ عَلَىٰ الدَّوَابِّ فَتَقْلِبُهُ فِي الصَّهَارِيجِ الَّتِي عِنْدَهُمْ فِي الدُّورِ، وَكَذَلِكَ صِهْرِيجُ الأَخْمِيمِيِّ، وَصِهْرِيجُ مَسْجِدِ الأَبْنُوسِ(٢)، وَصِهْرِيجُ الجَامِعِ، وَصِهْرِيجُ ردرِيَّةَ، وَصِهْرِيجُ مُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ، وَكَانَ يَبْقَىٰ المَاءُ عِنْدَهُمْ مِنَ العَامِ إِلَىٰ العَامِ وَهُمْ فِي أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَغَسْلٍ وَهَزْلٍ وَجَدٍّ وَهَرْجٍ وَمَرْجٍ.

---

(١) وَانْظُرْ: «رِحْلَةَ ابْنِ جُبَيْرٍ» (ص٤٢) قَالَ عَنْ جُدَّةَ: وَبِهَا جِبَابٌ مَنْقُورَةٌ فِي الحَجَرِ الصَّلْدِ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ تَفُوتُ الإِحْصَاءَ كَثْرَةً، وَهِيَ دَاخِلُ البَلَدِ وَخَارِجُهُ.

(٢) قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي «رِحْلَتِهِ» (ص٤٢) عَنْ جُدَّةَ: وَفِيهَا مَسْجِدٌ مُبَارَكٌ مَنسُوبٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَسْجِدٌ آخَرُ لَهُ سَارِيَتَانِ مِنْ خَشَبِ الأَبْنُوسِ أَيْضًا إِلَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسِبُهُ إِلَىٰ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللهُ. وَنَقَلَ الفَاسِيُّ فِي «شِفَاءُ الغَرَامِ بِأَخْبَارِ البَلَدِ الحَرَامِ» (١/ ١٤١) كَلَامَ ابْنِ جُبَيْرٍ وَقَالَ عَنْ مَسْجِدِ الأَبْنُوسِ: «وَهَذَا المَسْجِدُ مَعْرُوفٌ إِلَىٰ الآنَ، وَالمَسْجِدُ الآخَرُ غَيرُ مَعْرُوفٍ» اهـ. وَكَذَا أَوْرَدَ كَلَامَ ابْنِ جُبَيْرٍ شَيْخُ مَشَايِخِنَا العَلَّامَةُ عَبْدُ اللهِ غَازِي فِي كِتَابِهِ «إِفَادَةُ الأَنَامِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ» (٦/ ٤٢٠)، وَقَالَ: «وَلَعَلَّهُ الآنَ يُقَالُ لَهُ: مَسْجِدُ الشَّافِعِيِّ».

ذِكْرُ خَرَابِ جُدَّةَ

أَنْفَذَ صَاحِبُ مَكَّةَ إِلَىٰ شَيْخِ التُّجَّارِ بِجُدَّةَ وَطَلَبَ مِنْهُ حِمْلًا حَدِيدًا، فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْغُلَامِ وَهُوَ وَاقِفٌ عِنْدَهُ: أَعْطِهِ حِمْلًا حَدِيدًا، فَجَاءَ الغُلَامُ فَأَعْطَىٰ الرَّسُولَ حِمْلًا حَدِيدًا، فَلَمَّا فَتَحَ حِمْلَ الحَدِيدِ قُدَّامَ الأَمِيرِ بِمَكَّةَ وَجَدَهُ قُضْبَانَ ذَهَبٍ، فَرَدَّ الرَّسُولَ رَاجِعًا وَقَالَ: قُلْ لِلشَّيْخِ يَتَفَضَّلُ وَيُنْعِمُ وَيُنْفِذُ إِلَيَّ بِحِمْلٍ ثَانٍ مِنْ حَدِيدِ هَذَا العَيْنِ.

فَلَمَّا عَلِمَ التَّاجِرُ بِقِصَّةِ الحَالِ نَادَىٰ الغُلَامَ وَقَالَ لَه: مَا أَعْطَيْتَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: حِمْلَ حَدِيدٍ أَصْفَرَ مِنْ طُولِ الخَبَا وَقَدْ عَلَاهُ الصَّدَأُ مِنْ طُولِ المَدَىٰ، فَتَحَقَّقَ الشَّيْخُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الحِمْلَ كَانَ قُضْبَانَ ذَهَبٍ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ طَمِعَ فِيهِمْ، فَقَصَدَ الشَّيْخُ إِلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ كَانَ عِنْدَهُمْ فِي السِّنِّ فَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ وَمَا يَصْنَعُ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: الَّذِي عِنْدِي أَنَّكُمْ قَوْمٌ مُوسِرُونَ فَخُذُوا جَمِيعَ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيَرْكَبُ كُلٌّ مَرْكَبَهُ وَيَنْطَلِقُ فِي هَذَا البَحْرِ الوَاسِعِ، وَأَيُّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَ الرَّجُلَ مِنْكُمْ نَزَلَهُ وَسَكَنَهُ بَعْدَ أَنْ تُخَلُّوا البَلَدَ جَوْفَ حِمَارٍ أَوْ كَرَأْسٍ لَيْسَ فِيهِ خِمَارٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَبَّوا أَمْتِعَتَهُمْ فِي المَرَاكِبِ وَرَفَعَ كُلٌّ قِلْعَهُ[1] وَدَخَلُوا البَحْرَ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيُقَالُ بِرِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: إِنَّ العَرَبَ جَاءُوا وَحَاصَرُوا القَوْمَ فَلَمَّا قَلَّ عَلَيْهِمُ المَاءُ

---

(١) القِلْعُ: الشِّرَاعُ «غَرِيبُ الحَدِيثِ» (٣/ ٧٣) لِلخَطَّابِيِّ، ط. جَامِعَةِ أُمِّ القُرَىٰ.

رَكِبُوا مَرَاكِبَهُمْ وَعَدَوْا فِي البَحْرِ فَسَكَنَ قَوْمٌ مِنْهُمُ السِّرَّيْنِ(١) وَالرَّاحَةَ(٢) وَعَثَرَ(٣) وَالجرْعَةَ وَالدِّرْعَةَ وَدَهْلَكَ(٤) وَبَيْلُولَ وَجُدَّةَ مِنْ جَزِيرَةِ فَرَسَانَ، وَالمَخَا(٥) وغُلَافِقَةَ(٦) وَالأَهْوابَ(٧) وَالثَّمِيدَ وَجَزِيرَةَ ذَهْبَانَ(٨) وَكَمَرَانَ(٩) وَبَنْدَرَ مُوسَىٰ وَبَابَ مُوسَىٰ.

فَلَمَّا خَلَتِ الأَرْضُ مِنَ الأَحْبَابِ مَلَكَهَا الأَعْرَابُ فِي دَوْلَةِ الأَمِيرِ دَاوُدَ بْنِ هَاشِمٍ.

---

(١) السِّرَّيْن: تَثْنِيَةُ سِرٍّ ضِدِّ العَلَانِيَةِ، تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَنْهَا.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٣/ ٦٥٧).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٦/ ١١١٣).

(٤) دَهْلَكُ: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ جَزِيرَةٌ فِي البَحْرِ الأَحْمَرِ مَا بَيْنَ اليَمَنِ وَالحَبَشَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٢٧)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٤).

(٥) المَخَا: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ تَعِزَّ بِمَسَافَةِ (٩٤) كِيلُو مِترًا، اكْتَسَبَتْ شُهْرَتَهَا لِكَوْنِهَا مِنَ المَوَانِئِ القَدِيمَةِ الَّتِي ذَكَرَتْهَا النُّقُوشُ الحِمْيَرِيَّةُ. وَلِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ عَنْهَا، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤٤٥)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٥).

(٦) غُلَافِقَةُ: مِينَاءٌ قَدِيمٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ بِالغَرْبِ مِنْ مَدِينَةِ «زَبِيدٍ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١١٨٢).

(٧) الأَهْوَابُ: مِينَاءٌ صَغِيرٌ قَدِيمٌ غَرْبِيَّ «زَبِيدٍ» يَمْتَازُ بِنَظَافَةِ سَاحِلِهِ وَحُلْوِ مَائِهِ، وَتُحِيطُ بِهِ أَشْجَارُ النَّخِيلِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١١٦).

(٨) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٥٣).

(٩) كَمَرَانُ: جَزِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٥٢)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٦).

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لِي: مَا اسْتَفْتَحَ جُدَّةَ مِنَ الفُرْسِ إِلَّا مُضَرُ بْنُ هَاشِمٍ، وَالأَصَحُّ شُكْرُ[1] بْنُ أَبِي الفُتُوحِ، وَمِنْ عَهْدِهِمْ خَرِبَتْ وَانْدَرَسَتْ وَبَقِيَتِ الآثَارُ خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُوشِهَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا بَلَّغَ اللهُ نَفْسِي فِيكِ مُنْيَتَهَا	إِنْ كَانَ بَعْدَكِ بُعْدُ الدَّارِ غَيَّرَنِي
جَعَلْتُ دَمْعِي عَلَىٰ ذِكْرَاكِ مُحْتَسِبًا	وَالدَّمْعُ عُنْوَانُ مَا يَخْفَىٰ مِنَ الحَزَنِ
وَأَقْسَمَتْ مُقْلَتَيَّ مَا لَا تَظُنُّ بِهِ	فَالذِّكْرُ يَجْرِي وَيَجْرِي الدَّمْعُ فِي سَنَنِي
وَقَائِلٍ لِي قَدْ بَانُوا فَقُلْتُ لَهُ	قَدْ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الجِفْنِ وَالوَسَنِ

وَلِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ العَبْدِيِّ[2]:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ لِي	مَنْ يَسْهَرُ اللَّيْلَ وَجْدًا ثُمَّ أَسْهَرُهُ

---

(١) تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٢) كَذَا هُوَ هُنَا «العَبْدِيُّ» بِالبَاءِ بَعْدَ العَيْنِ، وَصَوَابُهُ «العَنَدِيُّ» بِالنُّونِ بَعْدَ العَيْنِ نِسْبَةً إِلَىٰ الأَعْنُودِ، وَقَبِيلَةُ الأَعْنُودِ مِنْ ضَوَاحِي أَبْيَنَ كَمَا قَالَ ذَلِكَ الجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكِ» (١/ ٣٧٠)، وَقَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ البَيْحَانِيُّ عَالِمُ «عَدَنَ» فِي زَمَنِهِ: (العَنَدِيُّ) مِنَ (العَنَد) شَمَالَ (حوطَةِ لَحْجَ)، وَقَدْ أَشْكَلَ ضَبْطُ ذَلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ المُحَقِّقِينَ فَأَرْسَلَ رِسَالَةً لِلعَلَّامَةِ المُعَلِّمِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ المُعَلِّمِيُّ رِسَالَةً إِلَىٰ البَيْحَانِيِّ فَأَجَابَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِجَوَابٍ يُنْظَرُ فِي «المَدْخَلِ إِلَىٰ آثَارِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المُعَلِّمِيِّ» (١/ ٣٢٧)، و(٣٣٢).
قَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ: «وَكَانَ الأَنْسَبُ فِي النِّسْبَةِ أَنْ يُقَالَ: الأَعْنُودِيُّ، وَلَكِنْ هَكَذَا جَرَتِ النِّسْبَةُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ العَرَبِ». «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص٢٧٩)، تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ الأَكْوَعِ.
وَوَقَعَ عِنْدَ يَاقُوتَ الحَمَوِيِّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٨٩): «أَبُو بَكْرٍ العِيدِيُّ» بِاليَاءِ بَعْدَ العَيْنِ وَهُوَ خَطَأٌ.

أُلَاحِظُ النَّجْمَ تِذْكَارًا لِرُؤيَتِهِ ... وَإِنْ جَرَىٰ دَمْعُ أَجْفَانِي تُذَكِّرُهُ

وَأَنْظُرُ البَدْرَ مُرْتَاحًا لِرُؤيَتِهِ ... لَعَلَّ عَيْنَ الَّذِي أَهْوَاهُ تَنْظُرُهُ

وَقَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتِ مِنْ نَجْدِ ... لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَىٰ وَجْدِي

لَئِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَىٰ ... عَلَىٰ فَنَنَيْ غُصْنٍ مِنَ البَانِ وَالرَّنْدِ(١)

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الوَلِيدُ وِلَمْ يَكُنْ ... جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يُبْدِي

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إِذَا دَنَا ... يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ البُعْدِ

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا ... عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ(٢)

وَقَالَ آخَرُ:

لَيَالِيَنَا بِذِي الأَثْلَاثِ عُودِي ... لِتُورِقَ فِي رُبَا الأَثْلَاثِ عُودِي(٣)

فَإِنَّ حَدِيثَكُمْ فِي القَلْبِ أَحْلَىٰ ... وَأَطْيَبُ نَغْمَةً مِنْ صَوْتِ عُودِ(٤)

* * *

---

(١) الرَّنْدُ: شَجَرٌ طَيِّبٌ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ، وَرُبَّمَا سَمَّوا العُودَ رَنْدًا. «أَدَبُ الكَاتِبِ» (ص١٢٦) لِابْنِ قُتَيْبَةَ، ط. «مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ» ط (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

(٢) يُنْظَرُ: «الحَيَوَانُ» (٣/ ١٠٣) لِلْجَاحِظِ، ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

(٣) الأَثْلَاثُ: الأَوَّلُ مَوْضِعٌ وَالثَّانِي شَجَرٌ.

(٤) هَذَانِ البَيْتَانِ ذَكَرَهُمَا ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «المُدْهِشِ» (ص١٠٣) ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

ذِكْرُ فَضِيلَةِ جُدَّةَ

مِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبَّاسٍ فِي كِتَابِ الفَاكِهِيِّ(١) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَلِيلُ بْنُ رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ(٢)، عَنْ ضَوْءِ(٣) بْنِ فَخْرٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبَّادِ(٤) بْنِ كَثِيرٍ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فَقُلْتُ لَه: الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا فِي أَفْضَلِ المَجَالِسِ وَأَشْرَفِهَا! فَقَالَ: أَنْتَ فِي جُدَّةَ الصَّلَاةُ فِيهَا سَبْعَةَ عَشَرَ(٥) أَلْفَ صَلَاةٍ، وَالدِّرْهَمُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَأَعْمَالُهَا بِقَدْرِ ذَلِكَ، يَغْفِرُ اللهُ لِلنَّاظِرِ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ(٦).

---

(١) الفَاكِهِيُّ هُوَ صَاحِبُ الكِتَابِ، وَكِتَابُهُ اسْمُهُ «أَخْبَارُ مَكَّةَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ».

(٢) تَحَرَّفَ إِلَىٰ «عَمْرٍو»، وَالمُثْبَتُ مِنْ كِتَابِ الفَاكِهِيِّ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ هَذَا هُوَ الوَاقِدِيُّ مَتْرُوكٌ.

(٣) لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَىٰ تَرْجَمَةٍ، وَعِنْدَ الفَاكِهِيِّ مِنَ المَطْبُوعِ «صَو» بِالصَّادِ، بَيْدَ أَنَّ الَّذِي فِي «شِفَاءِ الغَرَامِ» عَنْ طَرِيقِ الفَاكِهِيِّ «ضَوْء» كَمَا هُوَ هُنَا.

(٤) عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ مَتْرُوكٌ، قَالَ عَنْهُ أَحْمَدُ: «رَوَىٰ أَحَادِيثَ كَذِبٍ». «تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ» تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٣١٥٦)، وَهُوَ الثَّقَفِيُّ.

(٥) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «تِسْعَةَ عَشَرَ»، وَالمُثْبَتُ هُوَ مِنْ «أَخْبَارِ مَكَّةَ»، وَالمُصَنِّفُ يَنقُلُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَ مَنْ رَوَاهُ عَنِ الفَاكِهِيِّ.

(٦) «أَخْبَارُ مَكَّةَ» (٣/ ٥٣) بِرَقْمِ (١٧٨٣)، وَ«شِفَاءُ الغَرَامِ» (١/ ١٤١)، وَهَذَا الأَثَرُ مِنْ كِيسِ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْهُ: «يَرْوِي أَحَادِيثَ كَذِبٍ».

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا أَظُنُّ هَذِهِ البَرَكَةَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ أُمِّ البَشَرِ حَوَّاء -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا- لِأَنَّهَا مَدْفُونَةٌ بِظَاهِرِ جُدَّةَ.

وَكَانَ الفُرْسُ قَدْ بَنَوْا عَلَيْهَا ضَرِيحًا بِالآجُرِّ وَالجَصِّ مُحْكَمًا، فَبَقِيَ إِلَىٰ سَنَةِ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَعِنْدَ هَذَا التَّأْرِيخِ تَهَدَّمَ وَارْتَدَمَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَمْ يُعَدْ بِنَاؤُهُ، وَرَأَيْتُهُ عَامِرًا قَائِمًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ خَرَابًا وَقَدِ ارْتَدَمَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مُبَارَكٌ مُسْتَجَابٌ فِيهِ الدَّعْوَةُ[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) لَمْ يَرِدْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا قَالَهُ لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَيَظْهَرُ لَنَا مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الجَهْلُ الَّذِي كَانَ مُنْتَشِرًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَسَبَبُهُ انْتِشَارُ البِدَعِ وَقِلَّةُ المُحَذِّرِينَ مِنْهَا، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

ذِكْرُ أَخْذِ الجِزْيَةِ مِنَ المَغَارِبَةِ

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ البَيِّعِ البَغْدَادِيُّ قَالَ: إِنَّ الأَمِيرَ عَلِيَّ بْنَ فُلَيْتَةَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ كَانَ يَأْخُذُ مِنَ المَغَارِبَةِ جِزْيَةً فِي جُدَّةَ إِذَا قَدِمُوا لِلحَجِّ، كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ رَأْسٍ سَبْعَةَ يُوسُفِيَّةٍ وَزْنُ كُلِّ يُوسُفِيٍّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا وَحَبَّةً بِوَزْنِ مَكَّةَ. وَكَانَ القُوَّادُ يُوزِنُونَ المَغَارِبَةَ -أَيْضًا- عَلَىٰ كُلِّ رَأْسٍ يُوسُفِيٌّ فِي دِيَةِ الكَلْبِ[١].

وَالمُوجِبُ لِذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ فِي جُدَّةَ كَلْبٌ فَأَخَذَ رَغِيفَ خُبْزٍ فَالْتَامَّتِ المَغَارِبَةُ فَقَتَلُوهُ فَقَامَتِ القُوَّادُ لِيَقْتُلُوا المَغَارِبَةَ، فَلَمَّا رَأَتِ المَغَارِبَةُ عَيْنَ الهَلَاكِ أَقَرُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَزِنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُوسُفِي فِي دِيَةِ الكَلْبِ، فَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا يَزِنُونَ لِلأَمِيرِ سَبْعَةَ يُوسُفِيَّةٍ وَيُوسُفِي لِلقُوَّادِ[٢] وَصَارَ المَبْلَغُ ثَمَانِيَةَ يُوسُفِيَّةٍ عَلَىٰ كُلِّ رَأْسٍ.

وَمَنْ لَمْ يَزِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَهُ وَيُدَلُّونَهُ فِي صِهْرِيجٍ[٣] مِنْ صَهَارِيجِ جُدَّةَ، وَالأَصَحُّ فِي صِهْرِيجِ مَسْجِدِ الأَبَنُوسِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَيِّرُونَهُمْ إِلَىٰ جَزِيرَةِ

---

(١) وَيُنْظَرُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي «رِحْلَتِهِ» (ص٤٢).

(٢) القُوَّادُ وَالقَادَةُ: جَمْعُ قَائِدٍ، وَيُنْظَرُ: «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٣٠) مَادَّةُ (قَوَدَ).

(٣) أَيْ: بِئْرٍ.

صَنْدَلَةَ، وَقِيلَ: إِلَىٰ جَزِيرَةِ أَبِي سَعِيدٍ، وَيُعَلِّقُونَ أَحَدَهُمْ بِحَقْوِهِ[١]، وَقَدْ عُرِشَ بِهَا أَخْشَابٌ لِهَذَا الفَنِّ.

فَإِذَا حَجَّ النَّاسُ وَقَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَأَفَاضَ كُلٌّ رَاجِعًا إِلَىٰ مَقْصِدِهِ، فَحِينَئِذٍ يُخْرِجُونَ المَغَارِبَةَ مِنَ الصَّهَارِيجِ وَالجُورِ وَقَسَّطُوهُمْ عَلَىٰ المَرَاكِبِ الرَّاجِعَةِ إِلَىٰ مِصْرَ وَالرَّاجِعَةِ إِلَىٰ عَيْذَابَ[٢] وَالقُلْزُمِ[٣].

فَصْلٌ: سُئِلَ قَائِدٌ مِنَ القُوَّادِ: لِمَ تَأْخُذُونَ مِنْهُمْ هَذَا اليُوسُفِيَّ وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ بُخْلًا وَأَنْزَقُ النَّاسِ فِي الخُلُقِ؟ قَالَ: لِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَخُذِ القَلِيلَ مِنَ البَخِيلِ وَذُمَّهُ ... إِنَّ القَلِيلَ مِنَ البَخِيلِ كَثِيرُ[٤]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحُوتِ: لَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَزِنُ أَحَدُهُمْ سَبْعَةَ يُوسُفِيَّةٍ وَنِصْفًا كُلُّ يُوسُفِيٍّ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا وَحَبَّتَيْنِ بِوَزْنِ مَكَّةَ، وَفِي دِيَةِ الكَلْبِ نِصْفُ يُوسُفِيٍّ فَصَارَ المَبْلَغُ ثَمَانِيَةَ يَعْقُوبِيَّةٍ، أُسِّسَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الأَمِيرِ عِيسَىٰ[٥] بْنِ

---

(١) أَيْ: مِنْ وَسَطِهِ عِنْدَ مَعْقِدِ الإِزَارِ.

(٢) عَيْذَابُ: بُلَيْدَةٌ عَلَىٰ ضِفَّةِ بَحْرِ القُلْزُمِ، وَهِيَ مَرْسَىٰ المَرَاكِبِ الَّتِي تَقْدَمُ مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ الصَّعِيدِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ١٧١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٧).

(٣) وَهُوَ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِالبَحْرِ الأَحْمَرِ.

(٤) أَصْلُ البَيْتِ لِبَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ، بَيْدَ أَنَّ لَفْظَهُ:

وَإِذَا أَقَلَّ لِيَ البَخِيلُ عَذَرْتُهُ ... إِنَّ القَلِيلَ مِنَ البَخِيلِ كَثِيرُ

وَيُنْظَرُ: «المُصَنَّفُ لِلسَّارِقِ وَالمَسْرُوقِ مِنْهُ» (ص٨٦٤) لِابْنِ وَكِيعٍ، ط. «جَامِعَةِ قَات يُونُسَ» د. لِيبْيَا.

(٥) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٥/ ٤٣٧) بِرَقْمِ (٢٢٩٣) لِلْفَاسِيِّ.

فُلَيْتَةَ وبَقِي يَحْيَا عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَوَاخِرِ دَوْلَةِ الأَمِيرِ مُكْثِرٍ[(١)]، فَلَمَّا كَثُرَتِ الأَقَاوِيلُ وَوَصَلَ هَذَا الخَبَرُ إِلَىٰ مَسَامِعِ العَالَمِ أَنْفَذَ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو المُظَفَّرِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ إِلَىٰ الأَمِيرِ مُكْثِرٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ أَرْدَبٍّ[(٢)] حِنْطَة، وَالأَصَحُّ سِتَّةُ آلَافِ أَرْدَبٍّ، إِلَىٰ جُدَّةَ وَإِلَىٰ مَكَّةَ وَقَالَ لَهُ: خُذْ هَذَا القَدْرَ وَاتْرُكْ عَنِ المَغَارِبَةِ الجِزْيَةَ مَعَ دِيَةِ الكَلْبِ، فَأَزَالَ الأَمِيرُ مُكْثِرٌ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَبَقِيَ الأَمْرُ عَلَىٰ حَالِهِ فِي أَيَّامِ الأَمِيرِ قَتَادَةَ[(٣)] بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ مُطَاعِنِ[(٤)] بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ، وَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّ الشَّيْءَ إِلَىٰ أَصْلِهِ، يَعْنِي أَخْذَ الجِزْيَةِ مِنَ المَغَارِبَةِ، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ وَارْتَفَعَ عَنْهُمْ.

حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ الرَّبِيعِ الطَّرَابُلُسِي قَالَ: وَكَانُوا مُلُوكُ الفَاطِمِيِّينَ يُوزِنُونَ المَغَارِبَةَ جِزْيَةً عَلَىٰ كُلِّ رَأْسٍ دِينَارَيْنِ وَقِيرَاطَيْنِ.

فَصْلٌ: قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثَ عَشْرَةَ ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَأَنِّي حَدَّثَنِي الأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ فَارُوتُ وَالِي عَدَنَ، وَفِي هَذَا التَّأْرِيخِ تَوَلَّىٰ إِمْرَةَ الحَاجِّ إِضَافَةً إِلَىٰ وِلَايَتِهِ الأُولَىٰ، وَكَانَ الحَاجُّ قَدْ رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ اليَمَنِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ حَجَّ وَرَجَعَ إِلَىٰ الهِنْدِ يُوزِنُهُ عَبْدُ الغَفُورِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّنَادِيقِيُّ البَصْرِيُّ جِزْيَةً عَنْ كُلِّ رَأْسٍ

---

(١) هُوَ مُكْثِرُ بْنُ عِيسَىٰ بْنِ فُلَيْتَةَ، تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٢) الأَرْدَبُّ: مِكْيَالٌ ضَخْمٌ بِمِصْرَ، يَضُمُّ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ صَاعًا. وَيُنْظَرُ: «الإِيضَاحَاتُ العَصْرِيَّةُ لِلْمَقَايِيسِ وَالمَكَايِيلِ وَالأَوْزَانِ وَالنُّقُودِ الشَّرْعِيَّةِ» (ص٧٥) لِمُحَمَّد صُبْحِي حَلَّاق.

(٣) تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٤) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «مُطَاعِمٍ».

اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ فِيلِي[١]، وَلَوْ أَنَّ الحَاجَّ عُقَّالٌ لَمَا سَافَرُوا إِلَىٰ الهِنْدِ إِلَّا فِي مَرْكَبِي حَتَّىٰ كُنْتُ أُعْطِيهِمْ مِقْرَعَتِي فَيَأْمَنُ القَوْمُ مِنْ شَرِّ عَبْدِ الغَفُورِ فِي أَخْذِ الجِزْيَةِ مِنْهُمْ، وَبَنُو مَهْدِيٍّ وُلَاةُ زَبِيدٍ مَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَ أَخْذَ المُكُوسَاتِ مِنْ أَحَدٍ مَا خَلَا الحَاجَّ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ مَقَامَ الدِّرْهَمِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ.

* * *

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ.

ذِكْرُ الجَارِ(١)

وَهُوَ مَرْسًىٰ قَرِيبٌ مِنْ جُدَّةَ تَرْسِي فِيهِ المَرَاكِبُ الوَارِدَةُ مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ، وَهُوَ بَحْرٌ أَسْوَدُ جِيفُهُ، وَمَوْجٌ هَائِلٌ تَبْطُلُ فِيهِ حِيلَةُ السَّابِحِ.

فَصْلٌ: سَمِعْتُ مِنْ أَلْفَاظِ جَمَاعَةٍ بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ وَقَعَ مِنْ يَدِ بَعْضِ السَّرَامِلَةِ قَدُّومٌ بِهَذَا المَكَانِ فَشَدَّ فِي وَسَطِهِ جِرَابًا وَنَزَلَ لِيَأْخُذَ الفَأْسَ فَلَمَّا غَوَّرَ فِي النُّزُولِ سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ: إِلَىٰ أَيْنَ أَنْتَ نَازِلٌ يَا عَبْدَ اللهِ؟ فَقَالَ: نَزَلْتُ لِآخُذَ مَا انْفَلَتَ مِنْ يَدِي، فَرَدَّ عَلَيْهِ الهَاتِفُ: انْفَلَتَ مِنْ مَرْكَبٍ بِهَذَا المَكَانِ أَنْجَرٌ(٢) فَهُوَ فِي النُّزُولِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

(١) يُنْظَرُ الكَلَامُ عَنِ الجَارِ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩٢)، وَ«مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٢/ ٣٢٦).

(٢) الأَنْجَرُ: هُوَ مَا تُحْبَسُ بِهِ السَّفِينَةُ يُشَدُّ بِالحِبَالِ وَيُرْمَىٰ فِي البَحْرِ فَيَمْسِكُ السَّفِينَةَ وَيُرْسِيهَا فَلَا تَسِيرُ.

ذِكْرُ جُزُرِ مَطَارِدِ الخَيْلِ

يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ العَهْدِ لَمْ يَكُنْ هَذَا بَحْرًا، وَإِنَّمَا كَانَ عَرَصَةً[1]، إِلَّا أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ بَرِّ العَرَبِ وَبَرِّ السُّودَانِ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَنَّ السُّودَانَ كَانَتْ تَمْلِكُ إِقْلِيمَ اليَمَنِ جَمِيعًا دَائِمًا فِي زَمَنِ الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وَلَمَّا كَثُرَ المَاءُ فِي البَحْرِ وَظَهَرَتْ صُعُوبَتُهُ مِنْ قَرِيبٍ صَارُوا يَعْدُونَهُ فِي المَرَاكِبِ، فَلَمَّا غَرَّقَ البَحْرُ هَذِهِ الأَرَاضِيَ وَكُلَّ مَوْضِعٍ كَانَ عَلَيْهَا رَجَعَ جَزِيرَةً فِي البَحْرِ يُقَالُ لَهَا: جُزُرُ المَطَارِدِ، أَيْ مَطَارِدِ الخَيْلِ، وَيُقَالُ: إِنَّ العَرَبَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانُوا يُطَارِدُونَ الخَيْلَ فِي قَعْرِ هَذَا البَحْرِ لَمَّا كَانَ نَاشِفًا، وَيُقَالُ: مَرَابِطُ الخَيْلِ بِهَذِهِ الأَمْكِنَةِ وَالعَلَفُ وَالشَّجَرُ مَوْجُودٌ.

❃ ❃ ❃

---

(١) أَيْ: بُقْعَةً وَاسِعَةً لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ.

صِفَةُ جُدَّةَ

هِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ وَهِيَ فُرْضَةُ مَكَّةَ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ بِهَا السُّكُونُ لِازْدِحَامِ الخَلْقِ بِهَا فِي أَيَّامِ المَوْسِمِ الحَاجِّ؛ لِأَنَّهُ يَلْتَامُّ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ أَطْرَافِ بِلَادِ العَالَمِ وَالرَّبْعِ المَسْكُونِ[1] وَالبَحْرِ المَعْمُورِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ وَالمَغْرِبِ وَالهِنْدِ وَاليَمَنِ، وَإِذَا قَلَّ المَاءُ عَلَىٰ أَهْلِهَا نَقَلُوهُ مِنَ القُرَيْنِ[2] مِنْ نِصْفِ الطَّرِيقِ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَجُدَّةَ، وَأَهْلُهَا مِنْ نَسْلِ العَجَمِ، وَبِنَاؤُهُمْ مِنَ الحَجَرِ الكَاشُورِ وَخُوصٍ، وَكُلُّهَا خَانَاتٌ، وَالخَانُ المَعْرُوفُ بِهَا خَانُ النَّصرِ، وَهُمَا خَانَانِ مُتَقَابِلَانِ بِمَخَازِنَ كِبَارٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ بَنَىٰ بِظَاهِرِهَا الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ طُنْبُغَا[3] خَانًا كَبِيرًا عَظِيمًا سَنَةَ

---

(١) الرَّبْعُ المَسْكُونُ مِنَ الأَرْضِ قَسَّمَهُ العُلَمَاءُ سَبْعَةَ أَقَالِيمَ، كُلُّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا مَارٌّ مِنَ المَغْرِبِ إِلَىٰ المَشْرِقِ عَلَىٰ خَطِّ الِاسْتِوَاءِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الأَقَالِيمُ بِخُطُوطٍ طَبِيعِيَّةٍ، لَكِنَّهَا خُطُوطٌ وَهْمِيَّةٌ مَحْدُودَةٌ مَوْجُودَةٌ بِالعِلْمِ النُّجُومِيِّ، وَلِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ يُنْظَرُ: «نُزْهَةُ المُشْتَاقِ فِي اخْتِرَاقِ الآفَاقِ» (١/ ٩) لِلشَّرِيفِ الإِدْرِيسِيِّ.

(٢) القُرَيْنُ: هَذَا المَوْضِعُ ذَكَرَهُ كَذَلِكَ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي «رِحْلَتِهِ» (ص٤٥)، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا المَوْضِعَ هُوَ مَحَطُّ وَمَنْزِلُ الحَاجِّ، وَمِنْهُ يُحْرِمُونَ وَبِهِ يُرِيحُونَ اليَوْمَ الَّذِي يُصْبِحُونَهُ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَإِنَّهُ يُعْرَفُ بِـ«بَحْرَةَ» قَالَ الدُّكْتُورُ عَاتِقٌ البِلَادِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (١/ ١٧٢): وَالقُرَيْنُ اسْمُ الأَكَمَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي بِطَرَفِ البَلْدَةِ اليَوْمَ مِنَ المَشْرِقِ، وَلَا زَالَتْ مَعْرُوفَةً، وَلَكِنَّ الِاسْمَ تَغَيَّرَ بِسَبَبِ حَفْرِ بِئْرٍ غَرْبَ القُرَيْنِ، فَظَهَرَتْ غَزِيرَةً فَسُمِّيَتْ بَحْرَةَ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٣).

(٣) تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَىٰ تَرْجَمَتِهِ.

ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكُلُّ مَنْ بَنَىٰ بِهَا بَيْتَ خُوصٍ يَزِنُ لِلسُّلْطَانِ فِي كُلِّ بَيْتٍ فِي السَّنَةِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ مَلَكِيَّةً، وَأَمَّا الدُّورُ الَّتِي هِيَ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ فَلَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ لِأَنَّهَا مِلْكٌ لِأَصْحَابِهَا وَفِي تَصَرُّفِ أَرْبَابِهَا.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ جِدَّةُ جِدَّةَ لِأَنَّهَا دُفِنَ بِهَا أُمُّ البَشَرِ حَوَّاء عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَهِيَ جَدَّةُ جَمِيعِ العَالَمِ، فَلَمَّا بُنِي هَذَا البَلَدُ عُرِفَ بِاسْمِ جدَّةَ، أَيْ حَوَّاء زَوْجِ أَبِي البَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِلَادُ العَرَبِ جَزِيرَةً لِإِحَاطَةِ البِحَارِ وَالأَنْهَارِ مِنْ أَقْطَارِهَا وَأَرْجَائِهَا فَصَارَتْ بِلَادُ العَرَبِ جَزِيرَةً مِنْ جَزَائِرِ العَرَبِ.

* * *

وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى المَحَالِبِ[(١)]

مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ القُرَينِ فَرْسَخٌ، بَنَاهُ الأَمِيرُ هَاشِمٌ، وَإِلَىٰ البَيْضَاءِ فَرْسَخَانِ!

وَإِلَىٰ ايدَامَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، [وَهِيَ][(٢)] بِئْرٌ حَفَرَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَدَّدَهُ القَائِدُ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ[(٣)].

وَإِلَىٰ وَادِي المَحْرَمِ[(٤)] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ وَمِنْهُ يُحْرِمُ حَاجُّ اليَمَنِ، وَإِلَىٰ فُرُعٍ خَمْسَة فَرَاسِخَ، أَرْضُ بَنِي شُعْبَةَ، لَيْسَ يَلْبَسُ نِسَاؤُهُمْ إِلَّا الأَدَمَ، وَذَلِكَ أَنَّ المَرْأَةَ تَأْخُذُ طَاقَيْنِ مِنَ الأَدَمِ تَخِيطُ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ وَتُقَوِّرُ فِيهِ قَوَّارَةً وَتَكْتَسِيهِ، فَإِذَا مَشَتْ بَانَ جَمِيعُ بَدَنِهَا مِنْ فَوْقٍ وَمِنْ تَحْتٍ، وَإِذَا رَأَىٰ غَرِيبٌ المَرْأَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ الزِّيِّ يَقُولُ لَهَا: اسْتَتِرِي، فَيَقُولُ لَهُ زَوْجُهَا: اكْسُهَا، وَإِنْ كَانَتِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةً وَهِيَ لَابِسَةٌ فَيَقُولُ لَهُ زَوْجُهَا: اكْسُهَا، فَإِنْ كَسَاهَا وَإِلَّا قَتَلَهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَنْ سَتَرَ غَيَّرَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي جَمِيعِ العَالَمِ أَضَلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ القَوْمِ وَلَا أَسْرَفُ وَلَا أَجْرَمُ وَلَا

---

(١) المَحَالِبُ: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ كَانَتْ فِي بَطْنِ تِهَامَةَ عَلَىٰ مِيزَابِ وَادِي مَوْرٍ، وَمِنْ مُلْحَقَاتِ مُدِيرِيَّةِ «الزّهْرَةِ»، وَهِيَ اليَوْمَ بَلْدَةٌ مُتَشَعِّثَةٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤١٧).

(٢) زِيَادة من «أ».

(٣) وَسَلَامَةُ هِيَ أُمُّهُ نُسِبَ إِلَيْهَا، وَيُنْظَرُ: «الأَعْلَامُ» (٢/ ٢٣٨) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٤) وَهُوَ يَلَمْلَمُ، وَهُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ اليَمَنِ، وَتَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهِ.

أَخْسَرُ مِنْهُمْ فِي أَخْذِ مَالِ الحَاجِّ؛ لِأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ الحَاجَّ جَفْنَةَ اللهِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ يَقولونَ: إِذَا حَضَرَ جَفْنَةُ اللهِ لِخَلْقِهِ أَكَلَ مِنْهُ الصَّادِرُ وَالوَارِدُ(١).

وَإِذَا قُلْتَ لِأَحَدِهِمْ: قَطَعَ اللهُ رِزْقَكَ مِنَ الحَرَامِ! يَقُولُ: لَا، بَلْ قَطَعَ اللهُ رِزْقَكَ مِنَ الحَلَالِ، مَا تَرَىٰ عِنْدَنَا مِنَ الخَيْرِ سِوَىٰ هَذِهِ الجِبَالِ السُّودِ لَا لَنَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَلَا أَخْذٌ وَلَا عَطَاءٌ، وَجَمِيعُ مَا تَعْمَلُونَهُ أَنْتُمْ مَعَ حَاجٍّ آخَرَ جَاءَ مُقَابِلَ الكَعْبَةِ مِنَ الفَضَائِحِ وَالغَنَائِمِ فَسَلَّطَنَا اللهُ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ نَسْتَقْضِيَ لِلحَاجِّ مِنْكُمُ الحَقَّ وَثُلُثَ البَاطِلِ.

وَإِلَىٰ السِّرَّيْنِ(٢) ثَلَاثة فَرَاسِخَ بِنَايَةُ الفُرْسِ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَإِلَىٰ وَادِي الأَثْلَاثِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حصَارَةَ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حَلْي(٣) سَبْعة فَرَاسِخَ، بَلَدٌ فِيهِ جَامِعٌ وَمَنَارَةٌ، وَأَوَّلُ مَنْ أَخْرَبَهَا غَازِي بْنُ متكَلَانَ مِنْ بَنِي حَارِثٍ الكُرْدِيِّ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ(٤) بْنِ أَيُّوبَ، وَبَقِيَ المَكَانُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ أَعَادَ بِنَاءَهُ مُوسَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، وَهُوَ إِلَىٰ الآنَ مَالِكُهَا، وَجَمِيعُ هَذِهِ الأَعْمَالِ

---

(١) وَالجَفْنَةُ المُرَادُ بِهَا جَفْنَةُ الطَّعَام.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالعِرَاقِ وَجَنُوبِ الأُرْدُنِّ وَسَيْنَاءَ» (٤/ ٣٧٠) نَشْرُ «دَارَةِ المَلِكِ فَيْصَل».

(٣) حَلْي: بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَآخِرُهُ يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتٍ: مَدِينَةٌ عَلَىٰ شَطِّ البَحْرِ الأَحْمَرِ فِي مُنْتَهَىٰ حُدُودِ اليَمَنِ الطَّبِيعِيِّ مِنْ تِهَامَةَ، وَيُقَالُ لَهَا: (حَلْيُ بْنُ يَعْقُوبَ) نُسِبَتْ لِمُتَدَيِّرِهَا فِي زَمَنٍ مَضَىٰ وَلَا زَالَتْ عَامِرَةً حَتَّىٰ كِتَابَةِ هَذَا، وَهِيَ مَشْمُولَةٌ الآنَ بِنُفُوذِ المَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ. نَقْلًا عَنْ تَعْلِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ عَلَىٰ كِتَابِ «المُفِيدِ» (ص٥٥) لِنَجْمِ الدِّينِ عمَارَةَ اليَمَنِيِّ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٨).

(٤) تَقَدَّمَ.

لِبَنِي كِنَانَةَ، وَإِنَّمَا اشْتُقَّ اسْمُ حَلْيٍ مِنَ الحلي الَّذِي جَمَعَهُ السَّامِرِيُّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَجعَلَ مِنْهُ صُورَةَ عِجْلٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾(١).

وَفِي مَشَارِقِ هَذِهِ الأَعْمَالِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ: البَهِيمِيَّةُ، وَهُمْ يَرْجِعُونَ فِي الأَصْلِ إِلَىٰ آلِ عَامِرٍ، وَيَرْجِعُ آلُ عَامِرٍ إِلَىٰ سَنْحَانَ.

وَمَصَاغُهُمُ الصُّفْرُ وَالحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ، وَلُبْسُهُمُ الجُلُودُ المَدْبُوغَةُ، وَجَوَاهِرُهُمُ الوَدَعُ، وَمِهَرُهُمْ(٢) قَطْعُ الطَّرِيقِ وَمَنْعُ السُّبُلِ.

وَإِلَىٰ الدَّبْسَاءِ(٣) خَمْسة فَرَاسِخَ، وَثَغْرُ وَادِي عُمْقٍ(٤) وَهُوَ سَخْلٌ، وَيُعْرَفُ بِشَرْمِ الجَارِيَةِ، خَورٌ مِنَ البَحْرِ، يُخَاضُ فِيهِ مَخَاضَةً، وَمَا عُرِفَ بِهَا إِلَّا أَنَّهُ خَاضَتْهُ الحُجَّاجُ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوهُ زَلَقَ جَمَلٌ وَعَلَيْهِ جَارِيَةٌ فَوَقَعَتِ الجَارِيَةُ فِي البَحْرِ فَأَخَذَهَا المَدُّ وَرَاحَتْ فَعُرِفَ الشَّرْمُ -أَيِ الخَورُ- بِالجَارِيَةِ.

وَإِلَىٰ ذَهْبَانَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَسُكَّانُهُ عَرَبٌ مُجَمَّعَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَبَنِي رِيحٍ

---

(١) [طه، آيَة: ٨٨].

(٢) أَيْ: عَمَلُهُمْ.

(٣) كَذَا الدَّبْسَاءُ، وَالَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ «دبْسَانُ» ذَكَره عُمَارَةُ فِي «المُفِيدِ» (ص١٨٩)، وَتَاجُ الدِّينِ عَبْدُ البَاقِي فِي «بَهْجَةِ الزَّمَنِ» (ص١٢٧)، وَقَالَ عُمَارَةُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَهْجمِ يَوْمٌ أَوْ دُونَهُ. وَقَالَ تَاجُ الدِّينِ: نِصْفُ يَوْمٍ أَوْ دُونَهُ. وَقَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّد عَلِي الأَكْوَعُ تَعْلِيقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ»: حِصْنٌ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ هَذَا الِاسْمَ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَيَقَعُ فِي الشَّرْقِ الشَّمَالِيِّ مِنَ المَهْجَمِ فِي حَزَازِ جَبَلِ مِلْحَانَ.

(٤) يُنْظَرُ: «إِفَادَةُ الأَنَامِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ» (٤/ ٢١٧) مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

وَبَنِي معَاصِمٍ وَبَنِي رِفْدَةَ، إِذَا نَزَلَ بِهِمْ نَزِيلٌ يَقُولُونَ لَهُ: بُوس وَسَاحِق وَعضَّ وَعَانِق، يَعْنِي صَاحِبَةَ البَيْتِ، وَلَا تُدْخِلْ مَعَهَا، أَيْ لَا تَطَأْهَا، فَإِذَا أَدْخَلْتَ مَعَهَا أَدْخَلْنَا مَعَكَ هَذَا الخِنْجَرَ.

وَيُسَمَّىٰ وَادِي الدَّوْمِ[١]، وَمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ نَخْلِ الدَّوْمِ بِهَا وَهُوَ شَجَرُ المُقْلِ، وَفِي وَادِي الدَّوْمِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَآخِرُ عَهْدِي مِنْكِ يَوْمَ لَقِيتِنِي ... بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ[٢]

وَيُرَىٰ جَبَلُ كُدُمُّلَ مِمَّا يَلِي البَحْرَ.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٤٣)، وَ«مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٩/ ١٧٨٢).

(٢) هَذَا البَيْتُ هُوَ لِكُثَيِّرِ عَزَّةَ، وَجَاءَ فِي بَعْضِ المَصَادِرِ:

أَمَا تَذْكُرِينَ العَهْدَ يَوْمَ لَقِيتُكُمْ ... بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ

وَيُنْظَرُ: «المَحَاسِنُ وَالأَضْدَادُ» (ص٢٩٢) لِلجَاحِظِ، ط. «دَارِ الهِلَالِ»، وَ«مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَغَاءِ» (٢/ ١١٨) لِلرَّاغِبِ الأَصْفَهَانِيِّ.

ذِكْرُ جَبَلِ كُدُمُّلَ[(١)]

وَهُوَ نِصْفُ الطَّرِيقِ مَا بَيْنَ الحِجَازِ وَاليَمَنِ وَأَوَّلِ بَطْنِ عَثَرَ، وَيُقَالُ: خَبْتُ عَثَر، وَيُقَالُ: كُدُمُّلُ وَامْرَأَتُهُ وَحِمَارُهُ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَجْبَالٍ: جَبَلُ كُدُمُّلَ فِي البَحْرِ وَفِي لِحْفِهِ جَبَلٌ صَغِيرٌ يُسَمَّىٰ الحِمَارَ، وَيُقَابِلُهُ فِي البَرِّ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ الكلْيَتَانَ، وَالكلْيَتَانُ هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ المَرْأَةَ، فَيُقَالُ: كُدُمُّلُ وَزَوْجَتُهُ وَحِمَارُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا جِنًّا أَوْ بَنِي آدَمَ مُسِخُوا جِبَالًا وَأَحْجَارًا، وَجَبَلُ كُدُمُّلَ هُوَ فِي الأَصْلِ مَعْدِنُ الحَدِيدِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكَمْ سَأَلْتُ عَلَىٰ أَنْ أَقَعَ لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمِ تَحْقِيقٍ فَلَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ!.

وَإِلَىٰ بيضٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهُوَ وَادٍ[(٢)]، وَإِلَىٰ الرَّاحَةِ[(٣)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَتُسَمَّىٰ مَحَلَّ أَبِي تُرَابٍ، وَتُسَمَّىٰ رَاحَةَ المُؤَيَّدِ، وَهُوَ المُؤَيَّدُ أَحْمَدُ بْنُ غَانِمِ بْنِ

---

(١) كُدُمُّلُ: بِضَمِّ الكَافِ وَالدَّالِ المُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ المِيمِ آخِرُهُ لَامٌ، وَهُوَ جَبَلٌ وَسَطَ البَحْرِ الأَحْمَرِ إِزَاءَ قَرْيَةِ المُوسَّمِ، قَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُسَمَّىٰ الآنَ كُتُنْبُل. يُنْظَرُ تَعْلِيقُهُ عَلَىٰ «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٠)، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ المَخْطُوطِ «أ» مَا يَلِي: وَالآنَ سَنَةَ (١٢٧٩) يُقَالُ: كُتُنْبُل، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ رَقْمُ (١٩).

(٢) ذَكَرَهُ الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١٣٦) بِـ«وَادِي بيضٍ».

(٣) سَيَأْتِي تَعْرِيفُهَا قَرِيبًا.

قَاسِمِ بْنِ غَانِمٍ، وَهِيَ قَدِيمَةٌ بَنَتْهَا الأَشْرَافُ.

فَصْلٌ: قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ لَيْلَةَ الخَمِيسِ غُرَّةَ رَمَضَانَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَأَنِّي أَقْرَأُ كِتَابَةً عَلَىٰ حَجَرٍ مَنْقُوشٍ، وَكَانَ الحَجَرُ بُنِيَ فِي جُمْلَةِ أَحْجَارِ مِحْرَابِ الجَامِعِ، وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: إِنَّ الرَّاحَةَ وَالحَوَّىٰ بَنَاهُ العَجَمُ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّاحِيُّ بِزَبِيدٍ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ أَنَّهُ وَجَدَ عَلَىٰ بَابِ الرَّاحَةِ[1] مَكْتُوبٌ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2] فَخَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ هَذِهِ عَشِيَّةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ أَلْفُ جَرِيرٍ[3] يَتْبَعُهَا أَلْفُ بَعِيرٍ عَلَيْهَا أَلْفُ عَذْرَاءَ، وَأَصْبَحَ صَبَاحُ يَوْمِ السَّبْتِ فَلَا يُدْرَىٰ أَسَمَاءٌ رَفَعَتْهُمْ أَمْ أَرْضٌ بَلَعَتْهُمْ وَلَا عُلِمَ لَهُمْ خَبَرٌ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ.

وَوَجَدْنَا -أَيْضًا- سَطْرًا مَكْتُوبًا: بَدَّلْنَا حِمْلَ دُرٍّ بِحِمْلِ بُرٍّ وَمَا مَسَّنَا ضُرٌّ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

وَوُجِدَ مَكْتُوبٌ -أَيْضًا- فِي مَدِينَةِ أَبِي سَيَّارٍ مِنْ أَعْمَالِ حَرَّانَ: طَلَبْنَا البُرَّ بِالدُّرِّ فَمَا وَجَدْنَاهُ.

---

(١) قَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (٣/ ٩) فِي الكَلَامِ عَلَىٰ ذَهْبَانَ: الرَّاحَةُ: قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَضَ يَوْمٌ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي زَبِيدٍ بِاليَمَنِ.

(٢) [الأَنْبِيَاء، آيَة: ٨٩].

(٣) الجَرِيرُ: الحَبْلُ يُقَادُ بِهِ، وَالمَقْصُودُ هُنَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- مَنْ يَقُودُونَ تِلْكَ الإِبِلَ وَيَجُرُّونَهَا، قَالَ فِي «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٦١): الجَرِيرُ حَبْلٌ مِنْ أَدَمٍ، يُجْعَلُ فِي عُنُقِ النَّاقَةِ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ مَعَ نَزْعِ الأَلِفِ وَاللَّامِ».

وَفِي المَدِينَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ بِئْرًا، عَلَىٰ كُلِّ بِئْرٍ صَخْرَةٌ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللهِ، مَعَ التَّالِي لَهَا: كُلُّهُنَّ يَنْبِشْنَ وَتَحْفُرُ بِيَدِكَ تَشْرَبُ المَاءَ.

وَإِلَىٰ هَجَرَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَمِنْ هنَا إِلَىٰ حَرَّانَ يُعْرَفُ بِالدَّرْبِ، وَمِنْ هَذِهِ الحُدُودِ إِلَىٰ زَبِيدٍ يُسَمُّونَ أَهْلَهَا الشُّمَةَ لِأَنَّ هَذِهِ الأَعْمَالَ تُسَمَّىٰ فِي زَبِيدٍ الشَّامَ وَتُسَمَّىٰ السَّاعِدَ، وَلَيْلُ هَذِهِ الأَعْمَالِ طَيِّبٌ وَنَهَارُهَا كَرْبٌ، فَيُقَالُ: حَرَض لَيْلُهَا طَابَهْ وَنَهَارُهَا مِصْلَابَهْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَإِلَىٰ الهَلِيَّةِ[1] ثَمَانِية فَرَاسِخَ، وَمِنْهَا يُجْلَبُ الزَّنْجبيلُ الطَّرِيُّ، وَإِلَىٰ المَحَالِبِ فَرْسَخَانِ، وَهِيَ أَرْضُ عَنْتَرَةَ العَبْسِيِّ وَقَوْمِهِ، وَلَهَا وَادٍ يُسَمَّىٰ مَوْرَ[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) الهَلِيَّةُ: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ زَبِيدٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٤٠٩)، وَتَصَحَّفَ فِي المَطْبُوعِ إِلَىٰ «الهَدِيَّةِ».

(٢) وَادِي مَوْرَ: هُوَ أَكْبَرُ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ وَأَكْثَرُهَا خِصْبًا يَقَعُ شَمَالَ مَدِينَةِ «الزَّيْدِيَّةِ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٨١)، وَأَمَّا المَحَالِبُ فَقَدْ تَقَدَّمَ تَعْرِيفُهَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٥).

ذِكْرُ هِبَةِ الإِمَامِ أَبِي مُوسَى الأَمِينِ بِاللهِ هَذِهِ الأَعْمَالَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ المَهْجَمِيُّ قَالَ: لَمَّا كَثُرَتِ الأَشْرَافُ بِأَرْضِ الحِجَازِ خَرَجَ مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَىٰ العِرَاقِ فِي خِلَافَةِ الإِمَامِ أَبِي مُوسَىٰ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ بِاللهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ابْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَاسْتَوْهَبُوا مِنْهُ أَرْضًا يُقِيمُونَ فِيهَا وَيَأْكُلُونَهَا، فَأَقْطَعَهُمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الهَلِيَّةِ طُولًا وَمِنْ صَعْدَةَ إِلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ عَرْضًا، فَبَقِيَتْ هَذِهِ الأَعْمَالُ فِي أَيْدِي القَوْمِ وَهُمْ فِي عَيْشٍ هَنِيءٍ يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ رَغَدًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَبَقِيَ يَحْيَا بِأَسَامِيهِمْ إِلَىٰ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَضَعُفَتِ القَوْمُ وَدَخَلَتِ عَلَيْهِمْ يَدُ الغُزِّ(١)، فَخَرَجُوا مِنَ البِلَادِ وَخَرَجَتِ البِلَادُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَارَتْ فِي حَوْزِ الغُزِّ وَفِي قَبْضَتِهِمْ، وَأَحَدُ مَنْ تَوَلَّىٰ بِهَا مِنَ القَوْمِ الشَّرِيفُ المُؤَيَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ غَانِمٍ، وَانْقَرَضُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي البِلَادِ خَبَرٌ، كَمَا قِيلَ:

عَفَا العَقِيقُ وَأَقْوَىٰ مِنْهُ مَعْهَدُهُ ... وَحَالُ مَا فِيهِ عَمَّا كُنْتُ أَعْهَدُهُ

فَمَا الوُقُوفُ بِرَبْعٍ لَا مَحَاسِنُهُ ... تُجْلَىٰ وَلَا يَوْمُهُ يُرْجَىٰ وَلَا غَدُهُ

* * *

(١) الغُزُّ: قَوْمٌ مِنَ التُّرْكِ.

مِنَ المَحَالِبِ إِلَى صَعْدَةَ

مِنَ المَحَالِبِ إِلَىٰ حَرَدَةَ[(١)] ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المَدَارَةِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَهُوَ وَادِي الصَّمَاء، وَبِهِ الوَحْشُ الكَثِيرُ، وَإِلَىٰ شَمْرٍ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ قِلْحَاحَ[(٢)] فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ الأَفْرُورِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الظَّهِيرَةِ فَرْسَخَانِ، وَيُعْرَفُ بِوَادِي اليَمَانِيِّ، وَمَا سُمِّيَ هَذَا المَوْضِعُ بِالظَّهِيرَةِ إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ فِي فَمِ وَادِيَيْنِ فِي وَادِي مَوْرٍ، وَلَهُ مِنْ وَادِي حُوثٍ، وَوَادِي حَرْفٍ أَوَّلُهُ وَلَهُ مِنَ الجِبَال الشَّرْقِيَّة، فَإِذَا سَالَ الوَادِي وَصَلَ جَرَيَانُهُمَا إِلَىٰ الظَّهْرِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْبِسُ كُلُّ صَاحِبَهُ، فَكُلُّ مَنْ قَوِيَ عَلَىٰ الآخَرِ سَدَّهُ وَرَدَّ جَرَيَانَهُ، وَيَبْقَىٰ الآخَرُ فِي السَّيْلِ إِلَىٰ أَنْ تَزُولَ حِدَّتُهُ، فَحِينَئِذٍ يَقْوَىٰ العَاجِزُ عَلَىٰ القَوِيِّ لِقَطْعِ حِدَّتِهِ وَيَخْرَبُ، وَلَا يَزَالَانِ عَلَىٰ حَالِهِمَا إِلَىٰ أَنْ يَفْرُغَ الوَادِيَانِ مِنْ جَرْيِ السُّيُولِ، وَهَذَا دَائِمٌ إِذَا صَادَفَ حَدَّ الوَادِيَيْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حَرَدَة» بِالحَاءِ، وَلَكِنَّ الحَمَوِيَّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٤٤٨) فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ عَمَّا يُحِيطُ بِاليَمَنِ مِنْ بَحْرٍ سَمَّاهَا «الجَرَدَة» بِالجِيمِ، قَالَ: فَإِلَىٰ غُلَافِقَةَ سَاحِلُ زَبِيدٍ فَكُمَرَانُ فَالعَطِيَّةُ فَالجَرَدَةُ»، وَسَيَأْتِي عِنْدَ المُصَنِّفِ تَحْتَ عُنْوَانِ «مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ المَقَالِيسِ» بِـ«الحَرَدَةِ» بِالأَلِفِ وَاللَّامِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٤٠): حَرَدَةُ بِالفَتْحِ بَلَدٌ بِاليَمَنِ، وَكَانَ أَهْلُهُ مِمَّنْ سَارَعَ إِلَىٰ تَصْدِيقِ العَنَسِيِّ.

(٢) قِلْحَاحُ: جَبَلٌ قُرْبَ زَبِيدٍ فِيهِ قَلْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: شَرْفُ قِلْحَاحَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٣٨٧) لِلْحَمَوِيِّ.

وَإِلَىٰ شَطْبٍ(١) خَمْسة فَرَاسِخ، بَنَاهُ آلُ بَرْمَكَ، وَقِيلَ: أَوَاخِرُ البَرَامِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا سَكَنُوا هَذِهِ المَدِينَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّ نَسْلَهُمْ بَاقُونَ، وَلَكِنْ ضَعُفَتْ بِهِمُ الحَالُ وَقَلَّ فِيهِمُ المَالُ.

وَإِلَىٰ حُوْثٍ(٢) عَشَرَةُ فَرَاسِخَ، سَرِيرُ مُلْكِ الشَّرَفِ مِنْ آلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَإِلَىٰ صَعْدَةَ(٣) أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَهُوَ سَرِيرُ مُلْكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ الحُسَيْنِيِّ(٤).

❊ ❊ ❊

---

(١) يُنْظَرُ: «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ أَسْمَاءِ الأَمْكِنَةِ وَالبِقَاعِ» (٢/ ٧٩٧ و٩٩١). وَهُنَاكَ «شَظْب» بِالظَّاءِ، يُنْظَرُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٦٦).

(٢) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ، مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مَا بَيْنَ «خَمِرَ» جَنُوبًا وَ«حَرْف سُفْيَانَ» شَمَالًا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٢٧).

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٤) لِلْفَائِدَةِ: يُنْظَرُ كِتَابُ «صَعْقَةُ الزِّلْزَالِ لِنَسْفِ أَبَاطِيلِ الرَّفْضِ وَالِاعْتِزَالِ» (١/ ١٧٦-١٧٧) لِشَيْخِنَا الوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

مِنَ المَحَالِبِ إِلَى زَبِيدٍ[١]

مِنَ المَحَالِبِ إِلَىٰ المَهْجَمِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ المَهْجَمُ بِالمَهْجَمِ لِأَنَّ الأَشْرَافَ كَانَتْ تَهْجُمُ عَلَيْهِمْ كُلَّ حِينٍ، فَكَانَ القَوْمُ إِذَا رَجَعُوا إِلَىٰ أَوْطَانِهِمْ سَأَلُوهُمْ: أَيْنَ سِرْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: المَهْجَم، وَاسْمُهَا سُرْدُد[٢]، وَعَلَيْهَا سُورٌ، وَقَدْ خَرِبَ وَانْدَثَرَ، وَيُشْرِفُ عَلَيْهَا جَبَلٌ يُحَاكِي عَنَانَ الأُفُقِ يُسَمَّىٰ مِلْحَانَ[٣] يُغَطِّي ذِرْوَتَه الغَيْمُ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ أَعْلَىٰ ذِرْوَتِهِ مَسْجِدٌ يُسَمَّىٰ الشَّاهِرِ لِأَنَّهُ اشْتَهَرَ بِرَفْعِهِ عَلَىٰ مَا حَوْلَهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَسْكَنُ الخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ عَاصٍ عَلَىٰ المُلُوكِ بِاليَمَنِ.

وَبِهَا مِنَ الحُصُونِ مَا شَاءَ اللهُ شِبْهَ قِطَعِ الشِّطْرَنْجِ يَبَانُ[٤] لِنَاظِرِهِ عُلُوُّهَا مِنْ أَبْعَدِ مَكَانٍ، يَعْنِي مِنْ تِهَامَةَ، وَأَهْلُهُ قَوْمٌ مِنْ آلِ حِمْيَرٍ، وَمِنْهُمُ الَّذِي يَقُولُ:

---

(١) وَمَدِينَةُ زَبِيدٍ مَشْهُورَةٌ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٣٢). وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا وَعَنْ بِنَائِهَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٠).

(٢) وَهُوَ وَادٍ مَشْهُورٌ فِي شَمَالِ مَدِينَةِ الحُدَيْدَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٨٥).

(٣) مِلْحَانُ بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ لِلْحَاءِ، وَهُوَ يُشْرِفُ عَلَىٰ «المَهْجَمِ» فِي وَادِي سُرْدُد مِنْ تِهَامَةَ، وَلِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٣٥)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢١).

(٤) أَيْ: يَظْهَرُ.

سَـتَذْكُرُ قَـوْمِي نَجْـدَتِي ومَكَـارِمِي ... وَمَـا فَعَلَـتْ قَـوْمِي بِقَـيْسٍ أَفَـاعِلَا
بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا مِنَ النَّجْمِ وَالعُلَىٰ ... وَصَـارُوا خِيَـارَ النَّـاسِ ثُـمَّ الأَقَـاوِلَا
فَحِمْيَـرُ أَرْبَـابُ المُلُـوكِ وَخَيْرُهَـا ... فَهُمْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ كَانُوا الأَفَاضِلَا

وَفِي هَذَا الجَبَلِ تَنْبُتُ الشَّمَّةُ.

وَإِلَىٰ الكَدْرَاءِ[1] خَمْسة فَرَاسِخَ، بَنَاهَا المَلِكُ دِقْيَانُوسُ عَلَىٰ جَاحِفِ الوَادِي مَا بَيْنَ أَرَاكٍ وَشَجَرٍ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُصَبِّحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ الهَمْدَانِيِّ قَالَ: إِنِّي قَفَّزْتُ حِصَانِي جَاحِفَ الوَادِي فَقَفَزَ قَعْرَهُ وَكَانَ عَرْضُهُ يَوْمَئِذٍ فِي ذَلِكَ العَهْدِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ وَعُمْقُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فِي أَوَاخِرِ دَوْلَةِ الحَبَشَةِ وَأَوَائِلِ دَوْلَةِ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَالآنَ صَارَ وَادِيًا عَظِيمًا يَكُونُ عَرْضُهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ ذِرَاعٍ لِأَنَّ السَّيْلَ أَكَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَدِيمِ الأَيَّامِ وَادِيًا، بَلْ كَانَ الوَادِي وَسَطَ المَدِينَةِ وَكَانَ عَلَىٰ البَلَدِ سُورٌ وَخَنْدَقٌ وَأَبْوَابٌ.

قَالَ: وَأَهْلُهَا يَشْرَبُونَ المَاءَ مِنْ جَاحِفِ الوَادِي وَلِلاسْتِعْمَالِ يَسْتَقُونَ مِنْ آبَارٍ عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ مِيَاهَ آبَارِهِمْ مَالِحَةٌ، وَلَم يَبْنُوا دُورَهُمْ إِلَّا مِنْ آجُرٍّ يُخْرِجُونَهُ مِنَ

---

(١) الكَدْرَاءُ: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ هِيَ اليَوْمَ مُتَهَدِّمَةٌ، وَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً فِي وَادِي سِهَامٍ بَيْنَ مَدِينَتَي «المَنْصُورِيَّةِ» وَ«المَرَاوِعَةِ»، وَقَدْ أَخَذَتْ فِي التَّارِيخِ شُهْرَةً كَبِيرَةً عِنْدَمَا اتَّخَذَهَا حُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ -أَحَدُ سَلَاطِينِ بَنِي زِيَادٍ- مَقَرًّا لِسُلْطَانِهِ فِي القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٣٥).

الأَرْضِ مِنَ الرُّدُومِ، وَطُولُ كُلِّ آجُرَّةٍ نِصْفُ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ مِثْلِهَا مِنْ بِنَاءِ الأَوَائِلِ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُصَبِّحٍ قَالَ: جَاءَ بَعْضَ الأَيَّامِ سَيْلٌ عَظِيمٌ فِي بَعْضِ السِّنِينَ، وَجَاءَ السَّيْلُ مَعَ جَرَيَانِهِ بِرَجُلٍ مَيِّتٍ قَدْ مَصَّتْهُ الأَرْضُ وَقَدْ صَارَ شِبْهَ القَدِّ طُولُهُ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ، وَقِيلَ: خَمْسَةُ أَذْرُعٍ، مُقَلَّدًا بِسَيْفٍ، فَقَصُّوا الأَثَرَ فَوَجَدُوا أَنَّهُ كَانَ دُفِنَ قَائِمًا فِي أَيَّامِ دِقْيَانُوسَ المَلِكِ.

وَاسْتُدِلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا كَانَ القَوْمُ يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ إِلَّا قِيَامًا، وَيُقَالُ: كَذَلِكَ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدُفِنَ عَبْدُ المُؤْمِنِ[١] بْنُ عَلِيٍّ الكُوفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ تُومِرْتَ البَرْبَرِيُّ فِي حِصْنِ الغَارِ، وَيُسَمَّىٰ حِصْنَ المَهْدِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيَكُونَ المُلْكُ قَائِمًا فِيهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَهَذَا هُوَ الجُنُونُ بِعَيْنِهِ.

وَمِمَّا ذَكَرَهُ عِمَارَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَارَةَ[٢] فِي كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ»[٣] أَنَّ القَائِدَ الحُسَيْنَ ابْنَ سَلَامَةَ[٤] اخْتَطَّ مَدِينَةَ الكَدْرَاءِ عَلَىٰ وَادِي سِهَامٍ[٥] وَاخْتَطَّ

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٢٠/ ٣٦٦) بِرَقْمِ (٢٥٤).

(٢) كَذَا يَذْكُرُهُ المُصَنِّفُ، وَالصَّوَابُ: (عِمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ).

(٣) وَهُوَ مَطْبُوعٌ بِعُنْوَانِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» بِتَحْقِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

(٤) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «سَلَام»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ» وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ. وَتُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٣/ ٣٠٧)، وَ«الأَعْلَامُ» (٢/ ٢٣٨) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٥) لَعَلَّ الحُسَيْنَ ابْنَ سَلَامَةَ جَدَّدَهَا، وَإِلَّا فَهِيَ قَدِيمَةُ الِاخْتِطَاطِ، لَا كَمَا تَوَهَّمَ عُمَارَةُ، فَإِنَّ الهَمْدَانِيَّ قَدْ ذَكَرَهَا فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٧) وَهَذَا هُوَ تَعَقُّبُ الأَكْوَعِ عَلَىٰ عُمَارَةَ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٦٨).

مَدِينَةَ المَعْقِرِ[١] عَلَىٰ وَادِي ذُؤَال[٢]، وَيُقَالُ: مُعَامَلَةُ الكَدْرَاءِ مِنَ الدَّوْمَتَيْنِ إِلَىٰ قُرْبِ المَزْحَفِ[٣] طُولٌ إِلَىٰ المَسْجِدِ الَّذِي بَنَاهُ ابْنُ وَهْبٍ قَرِيبًا مِنَ القَحْمَةِ[٤]، وَفِي الجَبَلِ إِلَىٰ البَحْرِ طُولٌ، وَدَخْلُهَا كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ دِينَارٍ، وَتُسَمَّىٰ سِهَام، كَمَا قَالَ:

أَرَىٰ الشَّأْمَ يَدْنُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَيَبْعُدُ مِنِّي سُرْدُدٌ وَسِهَامُ
فَرُوحِي وَقَلْبِي فِي دِمَشْقَ وَمُهْجَتِي ... وَجِسْمِي مُنِيءٌ قَدْ حَوَاهُ سِهَامُ

وَقَالَ آخَرُ:

مَا لِي وَصُحْبَةُ سُكَّانِ العَقِيقِ وَهُمْ ... إِنْ عَاهَدُوا غَدَرُوا أَوْ ذُكِّرُوا جَحَدُوا
يَا حَبَّذَا جَاحِفُ الوَادِي إِذَا لَعِبَتْ ... فِيهِ الغُصُونُ وَغَنَّىٰ طَيْرُهُ الغَرِدُ

فَصْلٌ: تَوَلَّىٰ أَعْمَالَ الكَدْرَاءِ القَائِدُ بِلَالٌ فِي دَوْلَةِ الأَمِيرِ فَاتِكٍ[٥] بْنِ مُحَمَّدٍ، وَنَشَأَ فِي عَهْدِهِ القَائِدُ فَرَجُ بْنُ إِسْحَاقَ، فَكَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ إِلَىٰ أَنْ عَبَرَ أَكْلُهُ الحَدَّ

---

(١) هِيَ قَدِيمَةُ الِاخْتِطَاطِ كَالَّتِي قَبْلَهَا، وَذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٧) فَهِيَ قَدِيمَةٌ فِي وَادِي رِمَعَ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٨١) قَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ١٥٧): إِنَّ الصَّحِيحَ بِفَتْحِ مِيمِهَا.

(٢) وَادٍ مَشْهُورٌ يَقَعُ شَمَالَ بَيْتِ الفَقِيهِ.

(٣) ذَكَرَ الحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وطيوط فِي «تَارِيخِهِ» (ص١١٧) «مَسْجِدَ المَزْحَفِ» وَقَالَ عَنْهُ: وَكَانَ مَأْثِرًا لِلْعِلْمِ الشَّرِيفِ، وَكَانَ يُقْرَأُ فِيهِ الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ، وَكَانَ يَنْزِلُهُ الشَّيْخُ عِمْرَانُ القَرَابِلِيُّ لِلسَّمَاعِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا قَرَأَ فِيهِ الحَدِيثَ.

(٤) القَحْمَةُ: فِي وَادِي ذُؤَال بَيْنَ «بَيْتِ الفَقِيهِ» وَ«المَنْصُورِيَّةِ».

(٥) فَاتِكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ فَاتِكِ بْنِ جَيَّاشٍ صَاحِبُ تِهَامَةَ، تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ١٨١) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٢٤١٢).

فَضَجِرَ مِنْهُ خَالُهُ بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ خَرَجَ فَرَجُ بْنُ إِسْحَاقَ وَمَعَهُ عَبْدٌ أَسْوَدُ وَكَانُوا يَقْطَعُونَ الطُّرُقَ مَا بَيْنَ حَرَضَ وَالمَحَالِبِ مُدَّةَ عَامَيْنِ وَنِصْفٍ، بَيْنَا هُمْ فِي حَالِهِمْ عَامِلُونَ إِذْ قَالَ العَبْدُ الأَسْوَدُ لِفَرَجٍ: يَا مَوْلَايَ، أَخَافُ إِذَا وَصَلْتَ مَعَ بِلَالٍ تَنْسَانِي، فَأَنْشَدَ فَرَجٌ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِنَّ الكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا ... مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي المَنْزِلِ الخَشِنِ[(١)]

فَلَا زَالَ العَبْدُ يُرَدِّدُ البَيْتَ إِلَىٰ أَنْ حَفِظَهُ، فَمَاتَ القَائِدُ بِلَالٌ وَطُلِبَ فَرَجُ بْنُ إِسْحَاقَ، فَلَمَّا حَضَرَ وَلَّوْهُ أَعْمَالَ الكَدْرَاءِ فَرَجَعَ فِي الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالأَخْذِ وَالعَطَا، فَلَمَّا طَالَ البُعْدُ عَلَىٰ العَبْدِ طَلَبَ سَيِّدَهُ وَدَخَلَ الكَدْرَاءَ فَكَتَبَ البَيْتَ المُقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي رُقْعَةٍ وَعَرَضَهَا عَلَىٰ فَرَجِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ الرُّقْعَةِ طَلَبَ العَبْدَ وَأَدْخَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الإِحْسَانِ وَوَلَّاهُ مَوْضِعًا يَعِيشُ فِيهِ بَاقِيَ عُمُرِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ:

ظِبَاءٌ فِي الفَلَا سَنَحُوا ... هُمُ مَنَحُوا وَمَا مُنِحُوا

وَصَادُوا ثُمَّ مَا صِيدُوا ... هُمُ أَخَذُوا وَمَا صَفَحُوا

هُمُ قَتَلُوا فَتًىٰ وَجِدَا ... وَقَالُوا: إِنَّهُمْ مَزَحُوا

أَلَا شُلَّتْ رُمَاتُهُمُ ... أَلَا يَدْرُونَ مَنْ جَرَحُوا

قَتِيلًا مِنْ سِهَامِهِمُ ... عَلَىٰ دَمِهِ قَدِ اصْطَلَحُوا

سَقَىٰ الصَّهْبَاءَ مُمْتَزِجًا ... فَمُغْتَبِقٌ وَمُصْطَبِحُ

---

(١) نَسَبَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ فِي «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَغَاءِ» (١٦/٢) لِأَبِي تَمَّامٍ.

أَلَا يَــا أَيُّهَــا الرُّكْبَــانُ وَالرَّكْــبُ الَّــذِي انْتَزَحُــوا
بِكُــمْ قَــدْ ضَــاقَتِ الــدُّنْيَا وَضَــاقَ الأَمْــرُ فَانْفَسِــحُوا
إِلَــىٰ الكَــدْرَاءِ فَــارْتَحِلُوا وَقَائِــدَ جَيْشِــهَا امْتَــدِحُوا
عَلَــيْكُمْ بِــابْنِ إِسْــحَاقٍ فَفِــي فَــرَجٍ لَكُــمْ فَــرَجُ

وَفَتَح بَابَ العَطَاء عَلَىٰ نَفْسِهِ لِكُلِّ قَاصِدٍ وَوَافِدٍ، وَلِكُلِّ دَانٍ وَنَاءٍ، فَلَامَهُ النَّاسُ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُ فِي إِتْلَافِ الأَمْوالِ وَالمَحْصُولِ، فَأَمَر أَنْ يُكْتَبَ عَلَىٰ بَابِ دَارِهِ:

مَــنْ عَــزَّ بَــزَّ وَلَــمْ تُــؤْمَنْ بَوَائِقُــهُ وَمَــنْ تَضَعْضَــعَ مَــأْكُولٌ وَمَــذْمُومُ
لَا بَــارَكَ اللهُ فِــي مَــالٍ أُخَلِّفُــهُ لِلْــوَارِثِينَ وَعِرْضِــي فِيــهِ مَشْــتُومُ[(١)]

وَإِلَىٰ القَحْمَةِ[(٢)] فَرْسَخٌ وَنِصْفٌ، وَتُسَمَّىٰ ذُؤَال، وَذُؤَالُ كُلُّ مَا هُوَ بَيْنَ البَحْرِ وَالجَبَلِ مِنْ مُقَابِلِهِ، وَيُوجَدُ بِهَا المَوْزُ الطَّيِّبُ وَالرُّمَّانُ المَلِيحُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ يُجْلَبُ مِنْ جِبَالِ اللَّوَىٰ[(٣)]، وَإِنَّهُ فِيهَا غَيْرُ مَمْلُوكٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ المَفَالِيسَ وَالقَحْمَةَ عَلَىٰ

---

(١) هَذَان البَيْتَانِ مَذْكُورَانِ فِي «اللَّطَائِفِ وَالظَّرَائِفِ» (ص١٣٣) لِأَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ، بَيْدَ أَنَّ البَيْتَ الأَوَّلَ يَخْتَلِفُ عَمَّا هُنَا، وَهُمَا عِنْدَهُ كَالآتِي:

مَا لِي أَشِحُّ بِمَالٍ لَسْتُ أَمْلِكُهُ وَالمَالُ بَعْدِي إِذَا مَا مِتُّ مَقْسُومُ
لَا بَارَكَ اللهُ فِـي مَـالٍ أُخَلِّفُـهُ لِلوَارِثِينَ وَعِرْضِي فِيـهِ مَشْتُـومُ

(٢) القَحْمَةُ: بَلْدَةٌ خَارِبَةٌ بِوَادِي ذُؤَال مَا بَيْنَ «الفَقِيه» وَ«المَنْصُورِيَّة». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّة» (٢/ ١٢٥١).

(٣) يُنْظَرُ: «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٢٥٣).

طَالِعٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ فِي غَرْبِ البِلَادِ فَسَادٌ وَبَدَا مِنْهُمْ خِلَافٌ نَهَبَ الأَشْعُوبُ[١] المَفَالِيسَ[٢]، وَنَهَبَ المَعَازِبَةُ[٣] القَحْمَةَ فِي لَمْحِ الطَّرْفِ، لِأَنَّ هَذِهِ القَبَائِلَ مُقَاوِمُونَ لِهَاتَيْنِ المَدِينَتَيْنِ وَهُمْ عُصَاةٌ طُغَاةٌ.

وَقَد بَنَىٰ جَمَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ مُقَابِلَ القَحْمَةِ عَلَىٰ جَبَلٍ حِصْنَ الأَضْوَحِ فِي غُرَّةِ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكَانَ قَدِيمًا خَرَّبَهُ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ العَرَبِ، وَجَدَّدَ ابْنُ وَهْبٍ بِنَاءَهُ وَأَحْكَمَهُ غَايَةَ الإِحْكَامِ.

وَمِنَ القَحْمَةِ إِلَىٰ مَحَلِّ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ سَفَاكَا ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَهُوَ حِصْنٌ بُنِيَ عَلَىٰ أَعْلَىٰ قُلَّةِ جَبَلٍ عَاصٍ عَلَىٰ مُلُوكِ اليَمَنِ، وَمِنْهُ يُجْلَبُ الحُمَرُ، وَهُوَ التَّمْرُ الهِنْدِيُّ إِلَىٰ كُلِّ بَلَدٍ.

وَفِي هَذِهِ البِلَادِ عُقَدٌ لَمْ تُسْلَكْ لِكَثْرَةِ شَجَرِهَا وَوَعْرِهَا، وَيُقْطَعُ مِنْ هَذِهِ العُقَدِ خَشَبٌ يُسَمَّىٰ الرّقعَ، يُعْمَلُ مِنْهُ النُّشَّابُ وَيُسْلَفُ مِنْه عَلَىٰ النَّجَّارِينَ مِنَ الدِّيوَانِ كُلَّ أَلْفِ فَرْدَةٍ بِدِينَارَيْنِ مَلَكِيَّةٍ، وَيَكُونُ بِهَذِهِ العُقَدِ النَّارَنْجُ وَالأُتْرُجُّ

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٢).

(٢) المَفَالِيسُ أَسْفَلَ مَنْطِقَتَي: الأَحْكُومِ وَالأَثَاوِرِ مِنَ المَعَافِرِ وَالحُجَرِيَّةِ، وَكَانَ يُقَامُ فِيهَا سُوقٌ تِجَارِيٌّ كَانَتْ تَرِدُ إِلَيْهِ التِّجَارَةُ مِنْ عَدَنَ عَنْ طَرِيقِ السَّيَّارَاتِ، وَلَهَا وَادٍ كَثِيرُ النَّخِيلِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٩٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٤).

(٣) المَعَازِبَةُ: قَبِيلَةٌ مِنَ الأَشَاعِرَةِ مَسَاكِنُهُمْ مَا بَيْنَ بَيْتِ الفَقِيهِ وَالمَنْصُورِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ زَبِيدٍ، وَهِيَ مَنْطِقَةٌ وَاسِعَةٌ كَثِيرَةُ الخَيْرَاتِ وَالزُّرُوعِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٦٥). وَفَرْقٌ بَيْنَ المَعَازِبَةِ وَالعَزَّيْبَةِ، العَزَّيْبَةُ فِي جَنُوبِ اليَمَنِ، وَالمَعَازِبَةُ فِي شَمَالِهِ، وَسَيَأْتِي بَعْدُ الكَلَامُ عَنِ العَزَّيْبَةِ.

وَاللَّيْمُونُ وَالمَوْزُ ضَائِعًا لَا مَالِكَ لَهُ، وَهَذِهِ الأَشْجَارُ بَيْنَ أَنْهَارٍ وَعُيُونٍ، وَيُوجَدُ فِي مِيَاهِهَا الحَيَّاتُ العِظَامُ.

وَإِلَىٰ زَهْرَانَ رُبُعُ فَرْسَخٍ، حِصْنٌ بَنَوْهُ العَرَبُ فِي وَطْأَةٍ مِثْلِ الكَفِّ، فَاسْتَفْتَحَهُ المَلِكُ المَسْعُودُ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

❊ ❊ ❊

ذِكْرُ الأَوْدِيَةِ الَّتِي يُقْطَعُ مِنْهَا الخَشَبُ لِأَجْلِ العِمَارَاتِ

مِنْ مُعَامَلَةِ ذُؤَال وَادِي نَبْعٍ وَوَادِي رِيمَانَ وَوَادِي عَرِمَ وَوَادِي جَابِيَةَ وَالمَدَارَاة، وَفِي وَادِي زَبِيدٍ سُخْمِلُ[١] وَالفَائِشِيُّ[٢]، وَغَايَةُ عامة شَجَرِهِ الإِسْحِلُ[٣] وَالسَّيْسبانُ[٤]، وَبَطْحُوَاتُ، وَاليَمَنُ وَادِي نَخْلَةَ خِلَاف وَادِي مَكَّةَ وَوَاسِطَ، وَفِي أَوْدِيَةِ الشَّأْمِ[٥] وَادِي رِمَاعَ[٦] وَوَادِي الكَدْرَاءِ، وَوَادِي سُرْدُد[٧] وَوَادِي مَوْر، وَجَمِيعُ هَذِهِ الأَوْدِيَةِ يُقْطَعُ مِنْهُ الخَشَبُ لِأَجْلِ العِمَارَةِ، وَإِلَىٰ فِشَالَ[٨]

---

(١) سُخْمِلُ: بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ، وَادٍ فِي وُصَابِ العَالِي، وَمَنَابِعُهُ مِنْ جَبَلِ نُعْمَانَ وَيَسِيلُ إِلَىٰ وَادِي زَبِيدٍ، وَيَزْرَعُ الحُبُوب عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٧٨)

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١١٩٩).

(٣) الإِسْحِلُ: شَجَرٌ يُسْتَاكُ بِهِ، وَوَقَع فِي المَخْطُوط «الإسخِل» بالخَاء وَهُو خطأٌ.

(٤) السَّيْسبان: شَجَر مورق وَلَه ثَمرٌ نَحو خَرائِط السِّمسم إِلَّا أَنَّه أدَق يُزرَع فِي البَساتِين لِلزينَة.

(٥) شَامُ اليَمَنِ.

(٦) وَهُوَ وَادِي رِمَعَ، وَادٍ مَشْهُورٌ فِي تِهَامَةَ بَيْنَ وَادِي زَبِيدٍ جَنُوبًا وَسِهَام شَمَالًا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٠٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْم (٢٦).

(٧) وَادِي سُرْدُدَ: وَادٍ مَشْهُورٌ فِي شَمَالِ مَدِينَةِ الحُدَيْدَةِ يَسْقِي أَرَاضِي الضَّحْي وَالزَّيْدِيَّةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٨٥)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْم (٢٢).

(٨) فِشَال: بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ، قَرْيَةٌ خَارِبَةٌ فِي جَنُوبِ مَدِينَةِ «بَيْتِ الفَقِيهِ» وَقَدْ قَامَتْ فِي بُقْعَتِهَا مَدِينَةُ «الحُسَيْنِيَّةِ». =

أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَيُعَدُّ سَبْعَةَ تُلُولِ رَمْلٍ وَسَبْعَةَ أَوْدِيَةٍ.

وَأَمَّا فِشَالُ فَفِيهِ نَحْوُ ثَمَانِمِائَةِ قَرْيَةٍ مَا يَزْرَعُ أَهْلُهَا إِلَّا عَلَىٰ المَطَرِ الدُّخْنَ وَالذُّرَةَ، وَزَرَعَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ مُعَيْبِدٍ بِهَا الحِنْطَةَ وَالشَّعِيرَ وَطَلَعَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَزَرَعَ أَوْلَادُ أَخِيهِ العِجْلِ وَمُعَيْبِدٍ الأُرْزَ، فَلَمَّا زُرِعَ بِهَا وَحُصِدَ قَلَعَهُ القَوْمُ مِنَ الأُصُولِ سَنَةَ أَرْبَع وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَإِلَىٰ وَادِي رِمَعَ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَهُوَ وَادٍ عَظِيمٌ.

وَقَد ذُكِرَ فِي الكُتُبِ: لَا يَزَالُ السَّيْلُ يَأْكُلُ فِي الوَادِي إِلَىٰ أَنْ يَصِلَ الأَكْلُ إِلَىٰ الخَيْفِ جَبَلِ بِبُرَعَ، فَإِذَا وَصَلَهُ ظَهَرَ عَلَىٰ القَوْمِ كَنْزٌ ذَهَبًا يَسْتَغْنِي مِنْه جَمِيعُ أَهْلِ اليَمَنِ.

وَإِلَىٰ قَونَصَ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَيُسَمَّىٰ وَادِي العِرْقِ[1]، وَبِهِ قُتِلَ المَلِكُ المَسْعُودُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ، وَإِلَىٰ زَبِيدٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

* * *

=

«مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٢١٥).

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٤٧).

ذِكْرُ زَبِيدٍ وَمَا كَانَتْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ

قِيلَ: إِنَّ جَمِيعَ أَرْضِ زَبِيدٍ كَانَتْ حِمَىٰ مُهَلْهِلٍ وَكُلَيْبٍ، وَذَلِك مِنْ حَدِّ الحُجَفِ[1] إِلَىٰ أَنْفِ قَونَصَ، وَفِيهِ قَصْرُهُ وَبِرْكَتُهُ وَإِصْطَبْلُهُ الَّذِي كَانَ يَرْبِطُ فِيهِ خَيْلَهُ، وَذَلِك عَلَىٰ ذِرْوَةِ جَبَلٍ عَالٍ مُشْرِفٍ عَلَىٰ تِهَامَةَ، فَكَانَ يَقْعُدُ فِي القَصْرِ وَيَنْظُرُ الأَرْضَ تَحْتَهُ شِبْهَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ مَعَ جَرْيِ السَّوَاقِي وَالأَنْهُرِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: بِهَا سِتُّمِائَةِ أَلْفِ عَيْنٍ، وَقِيلَ: سِتُّونَ أَلْفَ عَيْنٍ، وَقِيلَ: سِتَّةُ آلَافِ عَيْنٍ، وَالأَصَحُّ سِتُّمِائَةِ عَيْنٍ، وَيُقَالُ: سِتُّونَ عَيْنًا سَائِحَةً عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ كُلُّهَا عَذْبٌ فُرَاتٌ، فَمِنْ نَدَاوَةِ الأَرْضِ رَجَعَتِ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً دَائِمًا ذَاتَ رِيَاضٍ وَأَشْجَارٍ وَوَحْشٍ، فَبَقِيَ الحِمَىٰ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ وَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَ القَوْمِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَالقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ ذِكْرِهَا، فَجَاءَ مَلِكٌ بَعْدَ القَوْمِ رَدَمَ الأَعْيُنَ وَسَدَّدَ أَعْيُنَهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيُّ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ صِحَّةِ مَقَالَتِنَا أَنَّ الحَجَرَيْنِ الطَّاحُونَيْنِ المُلْقَيْنِ عَلَىٰ بَابِ غُلَافِقَةَ[2] مِنْ زَبِيدٍ كَانَتْ تَدُورُ عَلَىٰ تِلْكَ المِيَاهِ وَالأَعْيُنِ، وَكَانَ بِهَا وَخْمٌ مِنْ كَثْرَةِ

(١) الحُجَفُ: أَرْضٌ زِرَاعِيَّةٌ بِهَا النَّخِيلُ تَقَعُ غَرْبَ زَبِيدٍ بِالقُرْبِ مِنَ السَّاحِلِ، وَكَانَتْ مِنْ مُتَنَزَّهَاتِ أَهْلِ زَبِيدٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٢٢).

(٢) غُلَافِقَةُ: مِينَاءٌ قَدِيمٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ بِالغَرْبِ مِنْ مَدِينَةِ «زَبِيدٍ» كَانَ فُرْضَةَ «زَبِيدٍ» عَلَىٰ سَاحِلِ =

نَدَاوَةِ الأَرْضِ وَالمِيَاهِ، وَكُلُّ أَرْضٍ تَكُونُ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ تَكُونُ وَخِمَةً مِنْ كُلِّ بُدٍّ[(١)].

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ الخَزْرَجِيُّ الجُرْجَانِيُّ قَالَ: قَدِمْتُ اليَمَنَ فِي دَوْلَةِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ[(٢)] بْنِ أَيُّوبَ وَكُنَّا نَسْتَقِي المَاءَ مِنَ الآبَارِ بِأَيْدِينَا وَنَشْرَبُ، فَغَارَ المَاءُ فِي زَمَانِنَا هَذَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ عُمْقُ البِئْرِ خَمْسَ عَشْرَةَ قَامَةً، فَزَالَ الوَخَمُ وَاعْتَدَلَ المَاءُ وَالهَوَاءُ، وَالآبَارُ الَّتِي فِي سِكَّةِ المَدِينَةِ طُولُهَا سِتَّ عَشْرَةَ قَامَةً، وَمَا حَوْلَ البَلَدِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قَامَةً تَزِيدُ لَا تَنْقُصُ.

وَأَمَّا حُدُودُ حِمَىٰ كُلَيْبٍ وَمُهَلْهِلٍ فَكَانَ مِنَ الحُجَفِ إِلَىٰ أَنْفِ قَونَصَ إِلَىٰ رَأْسِ رِمَعَ، وَجَمِيعُ حَوَازِّ[(٣)] زَبِيدٍ وَأَوْدِيَتِهَا إِلَىٰ حَدِّ النُّوبَتَيْنِ وَقَوَارِيرَ[(٤)] طُولًا فِي عَرْضٍ مِثْلِهِ، فَلَمَّا سَدَّ الأَعْيُنَ وَقَلَّ المَاءُ طَلَعَ فِي الخَبْتِ شَجَرُ الأَرَاكِ وَالطَّرْفَاءِ إِلَىٰ أَنْ رَجَعَتْ عُقْدَةً عَظِيمَةً.

* * *

=

البَحْرِ، وَلَمَّا أَسَّسَ المَلِكُ النَّاصِرُ أَحْمَدُ الرَّسُولِيُّ سَنَةَ (٨٢٢هـ) مِينَاءَ «الفَازَّةِ» ضَعُفَتْ غُلَافِقَةُ وَاقْفَرَّتْ ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لِلدَّمَارِ فِي القَرْنِ العَاشِرِ الهِجْرِيِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١١٨٢).

(١) مِنْ كُلِّ بُدٍّ: أَيْ: لَا مَحَالَةَ، وَالوَخِمَةُ هِيَ الَّتِي لَمْ تُوَافِقْ سَاكِنَهَا «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٣٧٨)، وَ«مُخْتَارُ الصِّحَاحِ» (ص٧١٣).

(٢) تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَىٰ تَرْجَمَتِهِ.

(٣) أَيْ: حُدُودِ.

(٤) قَوَارِير: مِنْ حُصُونِ زَبِيدٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤١١).

بِنَاءُ زَبِيدٍ

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الرَّاجِي[١] قَالَ: كَانَ فِي أَرْضِ زَبِيدٍ عُقْدَةٌ[٢] طَرْفَاءُ وَأَرَاكٌ، وَكَانَ حَوْلَ العُقْدَةِ قُصُورٌ وَقُرًى جَمَاعَةٌ، إِحْدَاهَا المَتَامَّةُ وَالنَّفِيرُ مِنْ غَرْبِيِّ البَلَدِ مَدِينَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَمِنْ جُمْلَةِ عِظَمِهِمَا أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُمَا فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ وَخَمِيسٍ خَمْسُمِائَةِ رَقِّيصٍ لِزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ[٣]، وَجُنَيْجَرُ شَرْقِيَّ البَلَدِ بِنَاءُ دِقْيَانُوسَ، وَوَاسِطُ مَا بَيْنَ الغَرْبِ وَاليَمَنِ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ البَلَدِ كُلَّ يَوْمٍ سِتُّمِائَةِ فَارِسٍ يَتَلَاقَوْنَ فِي أَرْضِ زَبِيدٍ الَّتِي هِيَ الآنَ عَامِرَةٌ، فَبَقُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ زَمَانًا طَوِيلًا إِلَىٰ أَنْ مَلَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَخَرَجَ مَشَايِخُ القَوْمِ إِلَىٰ العِرَاقِ فِي دَوْلَةِ الإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الأَمِينِ ابْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَعَرَّفُوهُ حَالَهُمْ وَخَبَرَهُمْ وَقَالُوا لَهُ: نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الأَشَاعِرِ[٤] وَجَمِيعُنَا بَنُو عَمٍّ وَيَجْرِي بَيْنَنَا قِتَالٌ، فَقَالَ الأَمِينُ: مَنْ مِنْكُمُ الكَبِيرُ؟ فَأَشَارُوا إِلَىٰ رَجُلٍ، قَالَ:

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «الرَّاجِي» بِالجِيمِ.

(٢) أَيْ: مَجْمُوعَةُ شَجَرٍ.

(٣) وَهَذَا مِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ، وَإِلَّا فَزِيَارَةُ القُبُورِ الَّتِي شُرِعَتْ لِلْمُسْلِمِ هِيَ لِلدُّعَاءِ لِلْمَيِّتِ وَتَذَكُّرِ الآخِرَةِ، وَأَيُّ تَذَكُّرٍ لِلآخِرَةِ مَعَ وُجُودِ الرَّقْصِ! وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

(٤) الأَشَاعِرُ: قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِلَىٰ اليَوْمِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٧٠) لِلْمَقْحَفِيِّ.

وَمَنْ مِنْ بَعْدِهِ؟ فَأَشَارُوا إِلَىٰ آخَرَ، وَلَا زَالَ يَسْأَلُهُمْ وَيُخْبِرُونَهُ حَتَّىٰ عَدَّ القَوْمُ خَمْسَةَ جَمَاعَةٍ، فَوَلَّىٰ الشَّيْخَ الكَبِيرَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ: إِذَا مَاتَ هَذَا فَيَتَوَلَّىٰ مِنْ بَعْدِهِ الثَّانِي، وَإِذَا تَوَلَّىٰ الثَّانِي ثُمَّ مَاتَ فَلْيَتَوَلَّ الثَّالِثُ، وَإِذَا مَاتَ الثَّالِثُ فَلْيَتَوَلَّ الرَّابِعُ، فَإِذَا مَاتَ الرَّابِعُ فَلْيَتَوَلَّ الخَامِسُ، وَعَقَدَ لِلشَّيْخِ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وَخَرَجَ القَوْمُ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ بَغْدَادَ رَاجِعِينَ فَمَاتَ الشَّيْخُ الَّذِي عَقَدَ لَهُ الأَمِينُ البَيْعَةَ، وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ الثَّانِي فَمَاتَ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ الثَّالِثُ فَمَاتَ، فَتَوَلَّىٰ الرَّابِعُ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ البَلَدِ مَاتَ الرَّابِعُ فَأَبَىٰ الخَامِسُ أَنْ يَتَوَلَّىٰ فَعَزَلَ نَفْسَهُ، خَوْفًا مِنَ المَوْتِ، فَوَلَّاهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ، فَلَمَّا دَخَلَ البِلَادَ جَبَاهَا وَأَنْفَذَ بِمَالٍ مِنْ خَرَاجِ البَلَدِ إِلَىٰ مَدِينَةِ السَّلَامِ، فَلَمَّا كَانَ مَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ الأَمِينِ وَقَتْلِهِ وَتَوَلِّي المَأْمُون الخِلَافَةَ عَصَىٰ الرَّجُلُ المُتَوَلَّىٰ فِي اليَمَنِ وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ البِلَادِ وَقَطَعَهَا وَصَارَ يَرْفَعُ الدَّخْلَ إِلَىٰ خِزَانَتِهِ.

فَلَمَّا[(١)] كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ أُتِيَ إِلَىٰ المَأْمُونِ بِقَوْمٍ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُبَيْدِ اللهِ[(٢)] بْنِ زِيَادٍ فَانْتَسَبَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ: اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَانِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، وَانْتَسَبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، وَمِنْ هَذَا الرَّجُلِ[(٣)] الوَزِيرُ خَلَفُ بْنُ أَبِي الطَّاهِرِ وَزِيرُ جَيَّاشِ[(٤)] بْنِ

---

(١) مِنْ هُنَا إِلَىٰ مَوْضِعِ الإِحَالَةِ الآتِيَةِ نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنْ كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» لِنَجْمِ الدِّينِ عُمَارَةَ، وَنَجْمُ الدِّينِ نَقَلَهُ أَيْضًا مِنْ كِتَابِ «المُفِيدُ لِأَخْبَارِ زَبِيدٍ» لِجَيَّاشٍ.

(٢) فِي «المُفِيدِ» ط/ الأَكْوَعِ: «عَبْدِ اللهِ».

(٣) فِي «المُفِيدِ»: «وَمِنْ وَلَدِ هَذَا الرَّجُلِ».

(٤) هُوَ جَيَّاشُ بْنُ نَجَاحٍ الحَبَشِيُّ مَوْلَىٰ حُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ النُّوبِيِّ، مَوْلَىٰ آلِ زِيَادٍ مُلُوكِ اليَمَنِ، لَهُ تَرْجَمَةٌ =

نَجَاحٍ، فَقَالَ المَأْمُونُ لِهَذَا الأُمَوِيِّ: إِنَّ الإِمَامَ أَبَا جَعْفَرٍ المَنْصُورَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ(١) ضَرَبَ عُنُقَ سُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامٍ وَوَلَدَيْهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ الأُمَوِيُّ: أَنَا مِنْ وَلَدِهِ الأَصْغَرِ سُلَيْمَانَ وَمِنَّا قَوْمٌ بِالبَصْرَةِ.

وَانْتَسَبَ رَجُلٌ إِلَىٰ تَغْلِبَ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ، فَبَكَىٰ المَأْمُونُ وَقَالَ: أَنَّىٰ لِي بِمُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ؟ يَعْنِي وَافَقَ اسْمُهُ اسْمَ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَقَالَ المَأْمُونُ: أَمَّا الأُمَوِيَّانِ فَيُقْتَلَانِ، وَأَمَّا التَّغْلِبِيُّ فَيُعْفَىٰ عَنْهُ رِعَايَةً لِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ.

قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: وَمَا أَكْذَبَ النَاسَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! يَزْعُمُونَ أَنَّكَ حَلِيمٌ كَثِيرُ العَفْوِ مُتَوَرِّعٌ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَإِنْ كُنْتَ تَقْتُلُنَا بِذَنْبٍ فَلَمْ نَنْزِعْ يَدًا مِنَ الطَّاعَةِ وَلَمْ نُفَارِقْ فِي بَيْعَتِكَ رَأْيَ الجَمَاعَةِ، وَإِنْ كُنْتَ تَقْتُلُنَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِجِنَايَاتِ بَنِي أُمَيَّةَ فِيكُمْ فَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٢)، فَاسْتَحْسَنَ المَأْمُونُ كَلَامَهُ فَعَفَا عَنْهُمْ جَمِيعًا، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ، ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَىٰ أَبِي العَبَّاسِ الفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، ذِي الرِّئَاسَتَيْنِ، وَيُقَالُ: إِلَىٰ أَخِيهِ الحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ.

=

فِي «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٩/ ٢٣١) بِرَقْمِ (١٤٢) لِلذَّهَبِيِّ، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٣/ ٥٣٦) بِرَقْمِ (٢١١٢) لِبَامَخْرَمَةَ.

(١) الَّذِي فِي «المُفِيدِ»: «إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيِّ بْنِ العَبَّاسِ».

(٢) [الإِسْرَاء، آيَة: ١٥].

فَلَمَّا بُويعَ لِإبْرَاهِيمَ بْنِ المَهْدِيِّ بِبَغْدَادَ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَافَقَ ذَلِكَ وُرُودَ عَامِلِ[١] اليَمَنِ بِخُرُوجِ الأَشَاعِرِ[٢] عَنِ الطَّاعَةِ، فَأَثْنَىٰ الحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلَىٰ المَرْوَانِيِّ وَعَلَىٰ التَّغْلِبِيِّ عِنْدَ المَأْمُونِ، وَإِنَّهُمْ مِنْ أَعْيَانِ الرِّجَالِ وَأَفْرَادِ الكُفَاةِ، وَأَشَارَ بِتَسْيِيرِهِمْ إِلَىٰ اليَمَنِ، يَعْنِي أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ يَكُونُ أَمِيرًا، وَابْنَ هِشَامٍ وَزِيرًا، وَالتَّغْلِبِيَّ حَاكِمًا مُفْتِيًا، فَمِنْ وَلَدِ التَّغْلِبِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ قُضَاةُ زَبِيدٍ وَهُمْ بَنُو أَبِي عقَامَةَ، وَلَمْ يَزَلِ الحُكْمُ فِيهِمْ يُتَوَارَثُ حَتَّىٰ أَزَالَهُمْ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ حِينَ أَزَالَ دَوْلَةَ الحَبَشَةِ، فَخَرَجَ الجَيْشُ[٣] الَّذِي جَهَّزَهُ المَأْمُونُ إِلَىٰ بَغْدَادَ لِمُحَارَبَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ المَهْدِيِّ، وَحَجَّ ابْنُ زِيَادٍ وَمَنْ مَعَهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَتَيْنِ وَسَارَ إِلَىٰ اليَمَنِ وَفَتَحَ تِهَامَةَ بَعْدَ حُرُوبٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَرَبِ، وَاخْتَطَّ زَبِيدًا[٤] فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي هَذَا التَّأْرِيخِ مَاتَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ بِمِصْرَ.

وَحَجَّ مِنَ اليَمَنِ جَعْفَرٌ، مَوْلَىٰ ابْنِ زِيَادٍ، بِمَالٍ وَهَدَايَا سَنَةَ خَمْسٍ، وَسَافَرَ إِلَىٰ العِرَاقِ فَصَادَفَ المَأْمُونَ بِهَا فَعَادَ جَعْفَرٌ هَذَا فِي سَنَةِ سِتٍّ إِلَىٰ زَبِيدٍ وَمَعَهُ أَلْفُ

---

(١) الَّذِي فِي «المُفِيدِ»: «وُرُودَ كِتَابِ عَامِلِ اليَمَنِ».

(٢) الأَشَاعِرُ: قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِلَىٰ اليَوْمِ، تَسْكُنُ جَبَلَ رَأْسٍ وَزَبِيدَ وَالسُّهُولَ المُوَازِيَةَ لِشَرْعَبَ وَمَقْبَنَةَ، وَلِلْفَائِدَةِ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٧).

(٣) فِي «المُفِيدِ»: «فَخَرَجُوا فِي الجَيْشِ».

(٤) زَبِيدٌ مَشْهُورَةٌ بِوَادِي زَبِيدٍ مِنْ قَبْلِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا اشْتُهِرَتْ بِابْنِ زِيَادٍ لِاتِّخَاذِهِ إِيَّاهَا مَقَرَّ عِزِّهِ وَتَمْصِيرِهَا، وَيُنْظَرُ تَعْلِيقُ الأَكْوَعِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٥٢).

فَارِسٍ مِنْ مُسَوَّدَةِ خُرَاسَانَ وَسَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ[(١)]، فَعَظُمَ أَمْرُ ابْنِ زِيَادٍ وَمَلَكَ إِقْلِيمَ اليَمَنِ بِأَسْرِهِ الجِبَالِ وَالتَّهَائِمِ[(٢)]، وَتَقَلَّدَ جَعْفَرٌ هَذَا أَمْرَ الجِبَالِ وَاخْتَطَّ بِهَا مَدِينَةَ المُذَيْخِرَةِ[(٣)] وَهِيَ ذَاتُ أَنْهَارٍ، وَالبِلَادُ الَّتِي كَانَتْ لِجَعْفَرٍ تُسَمَّىٰ إِلَىٰ الآنَ مِخْلَافَ جَعْفَرٍ[(٤)]، وَكَانَ جَعْفَرٌ هَذَا أَحَدَ الكُفَاةِ الدُّهَاةِ، وَبِهِ تَمَّتْ دَوْلَةُ ابْنِ زِيَادٍ، وَهَذَا الَّذِي اشْتَرَطَ عَلَىٰ العَرَبِ بِتِهَامَةَ أَنْ لَا يَرْكَبُوا الخَيْلَ.

* * *

(١) النَّصُّ فِي «المُفِيدِ» كَالتَّالِي: «وَمَعَهُ أَلْفَا فَارِسٍ فِيهِمَا مِنْ مُسَوَّدَةِ خُرَاسَانَ سَبْعُمِائَةٍ» بَيْدَ أَنَّ الَّذِي هُنَا عِنْدَ ابْنِ المُجَاوِرِ هُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ الحَمَوِيِّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٩١).

(٢) يُنْظَرُ تَعَقُّبُ الأَكْوَعِ وَتَوْهِيمُهُ فِي هَذَا لِعُمَارَةَ تَعْلِيقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٥٣).

(٣) المُذَيْخِرَةُ: بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرِ الخَاءِ، إِحْدَىٰ مُدِيرِيَّاتِ مُحَافَظَةِ إِبَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤٧٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٧)، وَكَوْنُ جَعْفَرٍ هُوَ الَّذِي اخْتَطَّهَا قَالَ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٥٣): «هَذَا مِنْ أَوْهَامِ عُمَارَةَ، إِذْ هِيَ قَدِيمَةُ الاِخْتِطَاطِ، فَهِيَ مَقَرُّ المُنَاخِيِّينَ مُلُوكِ الكَلَاعِ مِنْ حِمْيَرٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ».

(٤) قَالَ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٥٤): «هَذَا أَيْضًا مِنْ أَوْهَامِ عُمَارَةَ، فَالمِخْلَافُ المَذْكُورُ لَمْ يَتَسَمَّ بِمِخْلَافِ جَعْفَرٍ مَوْلَىٰ ابْنِ زِيَادٍ، وَإِنَّمَا بِاسْمِ جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ذِي المثلَةِ، قَالَ الجَنَدِيُّ: وَإِلَىٰ السُّلْطَانِ جَعْفَرٍ يُنْسَبُ مِخْلَافُ جَعْفَرٍ لَا إِلَىٰ أَحَدٍ غَيْرِهِ».

وَمَلَكَ ابْنُ زِيَادٍ حَضْرَمَوْتَ وَدِيَارَ كِنْدَةَ وَالشِّحْرَ[١] وَالمِرْبَاطَ[٢] وَأَبينَ[٣] وَلَحجَ[٤] وَعَدَنَ[٥] وَالتَّهَائِمِ إِلَىٰ حَلْيٍ[٦]، وَمَلَكَ مِنَ الجِبَالِ الجَنَدَ[٧] وَأَعْمَالَهُ وَمِخْلَافَ جَعْفَرٍ وَمِخْلَافَ المَعَافِرِ وَصَنْعَاءَ[٨] وَصَعْدَةَ وَنَجْرَانَ[٩] وَبَيْحَانَ[١٠].

وَوَاصَلَ ابْنُ زِيَادٍ الخُطْبَةَ لِبَنِي العَبَّاسِ وَحمَلَ الأَمْوَالَ وَالهَدَايَا السَّنِيَّةَ [هُوَ وَأَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا الَّذِي هُوَ المَلِكُ وَأَقَامَ فِي المُلْكِ بَعْدَهُ][١١] زِيَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو الجَيْشِ

---

(١) الشِّحْرُ: إِحْدَىٰ كُبْرَيَاتِ مُدُنِ سَاحِلِ حَضْرَمَوْتَ. وَلِزِيَادَةِ فَائِدَةٍ عَنْهَا يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٥٢)، وَ«إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ» (ص١٦١).

(٢) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنِ المِرْبَاطِ.

(٣) أَبْيَنُ: مَشْهُورٌ وَهُوَ صُقْعٌ فِي الأَطْرَافِ الشَّرْقِيَّةِ لِمَدِينَةِ عَدَنَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٢).

(٤) لَحجُ: صُقْعٌ وَاسِعٌ شَمَالَ مَدِينَةِ عَدَنَ. المَصْدَرُ السَّابِقُ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٨).

(٥) سَيَتَكَلَّمُ المُصَنِّفُ عَنْ عَدَنَ بِتَوَسُّعٍ فِيمَا سَيَأْتِي.

(٦) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٨).

(٧) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا.

(٨) سَيَتَكَلَّمُ عَنْهَا المُصَنِّفُ فِيمَا سَيَأْتِي.

(٩) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٢٦٦).

(١٠) بَيْحَانُ: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، وَادٍ مَشْهُورٌ فِي قَاعٍ فَسِيحٍ يَمْتَدُّ مِنْ شَمَالِ البَيْضَاءِ إِلَىٰ أَطْرَافِ رَمْلَةَ السَّبْعَتَيْنِ، يُشَكِّلُ فِي أَعْمَالِهِ مُدِيرِيَّةً مِنْ مُدِيرِيَّاتِ مُحَافَظَةِ شَبْوَةَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٠٨)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٩).

(١١) يُنْظَرُ مَا عَلَّقَهُ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ عَلَىٰ مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ تَعْلِيقًا عَلَىٰ كِتَابِ «المُفِيدِ» (ص٥٦) لِعُمَارَةَ.

إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَطَالَتْ مُدَّتُهُ، فَلَمَّا أَسَنَّ وَبَلَغَ الثَّمَانِينَ فِي المُلْكِ تَشَعَّبَ عَلَيْهِ مِنْ دَوْلَتِهِ بَعْضُهَا، فَمِمَّنْ أَظْهَرَ لَهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مَلِكُ صَنْعَاءَ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ التَّبَابِعَةِ مِنْ حِمْيَرٍ، وَاسْمُهُ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي يَعْفُرَ[١]، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ لِأَبِي الجَيْشِ وَلِأَبَوَيْهِ، وَكَانَتْ تُرْفَعُ أَمْوَالُ هَذَا إِلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ أَبِي يَعْفُرَ[٢] لَا تَزِيدُ عَلَىٰ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ يَصْرِفُ بَعْضَهَا[٣] فِي المُرُوَّةِ وَلِقَاصِدِيهِ.

وَأَمَّا صَاحِبُ بَيْحَانَ وَنَجْرَانَ وَجُرَشَ[٤] فَهَمَّ -أَيْضًا- بِأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَاعَةِ ابْنِ زِيَادٍ، وأَمَّا صَعْدَةَ[٥] فَثَارَ بِهَا الشَّرِيفُ الحَسَنِيُّ المَعْرُوفُ بِالرَّسِّيِّ[٦][٧].

---

(١) وَقَعَ هُنَا: «يُوسُفُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ يَعْفُرَ»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ» وَهُوَ الصَّوَابُ، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ النَّصَّ مِنْهُ، وَسَيَأْتِي قَرِيبًا عَلَىٰ الصَّوَابِ لَكِنْ دُونَ ذِكْرٍ لِـ«أَبِي» مِنْ «أَبِي يَعْفُرَ».

(٢) وَقَعَ هُنَا: «أَسْعَدَ بْنِ يَعْفُرَ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «المُفِيدِ» وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٣) الَّذِي فِي «المُفِيدِ»: «مُعْظَمَهَا» بَدَلَ «بَعْضَهَا».

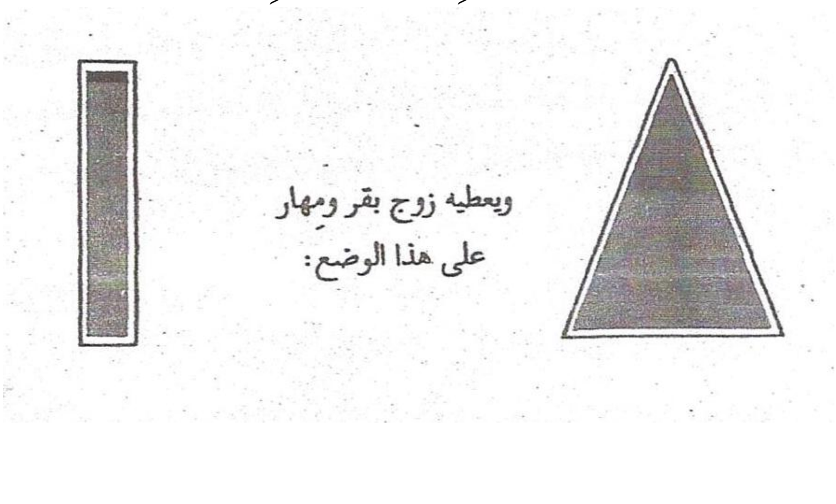
(٤) يُنْظَرُ لِجُرَشَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ١٢٦) لِيَاقُوتَ، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣١٤ - ٣١٥) لِلْمَقْحَفِيِّ.

(٥) وَقَعَ فِي النُّسَخِ: وَهُمْ صَاحِبُ صَعْدَةَ، بَدَلَ: «وَأَمَّا صَاحِبُ صَعْدَةَ»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدُ»، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ هَذَا النَّصَّ مِنْهُ، فَتَمَّ تَصْوِيبُهُ.

(٦) قَالَ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٦٠) وَالنَّقْلُ هُنَا مِنْهُ: «لَمْ يَثُرِ الهَادِي وَإِنَّمَا اسْتَدْعَىٰ مِنْ آلِ فَطِيمَةَ الخَوْلَانِيِّينَ، لِأَنَّ مَعْنَىٰ الثَّائِرِ هُوَ مَنْ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَ ثَأْرَهُ، وَلَا ثَأْرَ لَهُ عِنْدَ اليَمَنِيِّينَ إِلَّا الحِقْدُ عَلَىٰ العَبَّاسِيِّينَ بَنِي عُمُومَتِهِ، وَلَمْ يَجِدْ أَرْضًا خِصْبَةً لِبَذْرِ دَعْوَتِهِ وَشَنِّ الاِنْتِقَامِ عَلَيْهِمْ وَالأَخْذِ بِالثَّأْرِ غَيْرَ اليَمَنِ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ».

(٧) مِنْ عِنْدِ قَوْلِهِ: «فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ أَتَىٰ إِلَىٰ المَأْمُونِ» إِلَىٰ هُنَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنْ كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص٤٧ - ٦٠) لِنَجْمِ الدِّينِ عُمَارَةَ اليَمَنِيِّ، وَنَجْمُ الدِّينِ عُمَارَةُ =

وَيُقَالُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا الأَمِين وَلَّىٰ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ مَنْصُورِ اليَمَنَ فَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ إِلَىٰ أَرْضِ الحُصَيْبِ فَوَجَدَ قَوْمًا يَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَىٰ ضَحْوَةِ نَهَارٍ وَيَفْتَرِقُونَ، فَدَخَلَ بَيْنَهُمْ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، وَبَنَىٰ قَصْرًا عَلَىٰ بَابِ غُلَافِقَة، وَآثَارُهُ إِلَىٰ الآنَ بَاقِيَةٌ، فَسَكَنَ فِيهِ وَاشْتَرَىٰ أَلْفَ عَبْدٍ، وَيُقَالُ: بَلْ جَاءَ بِعَسَاكِرَ عَظِيمَةٍ مِنَ العِرَاقِ وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا دَخَلَ القَوْمُ لِلضِّيَافَةِ فَالسَّيْفُ عَلَيْهِمْ، وَنَادَىٰ فِي مَشَايِخِ البِلَادِ وَكِبَارِ القَبَائِلِ مِنَ الأَشَاعِرِ وَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا قَدْ أُحْضِرَ، فَلَمَّا اشْتَغَلُوا بِالأَكْلِ وَالتَّنَاوُلِ لَبِسَتِ العَبِيدُ وَأَرْكَبُوا السَّيْفَ مَنْ حَضَرَ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَرَكِبَ السَّيْفُ عَلَىٰ مَنْ كَانَ حَوْلَهُمْ مِنَ العِرْبَانِ مِنْ أَهْلِ القُرَىٰ وَالعِمَارَاتِ، وَلَا زَالَ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ رَجَعَتِ الخَلْقُ تَسْتَجِيرُ بِهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي طَاعَتِهِ كَانَ يُتْرَكُ عَلَىٰ رَأْسِهِ أَثَرٌ وَهُوَ قَلَنْسُوَةٌ مِنْ خُوصِ النَّخْلِ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ:



=

نَقَلَهُ مِنْ كِتَابٍ اسْمُهُ أَيْضًا «المُفِيدُ لِأَخْبَارِ زَبِيدٍ» لِمُؤَلِّفِهِ جَيَّاشِ بْنِ نَجَاحٍ مَلِكِ زَبِيدٍ فِي وَقْتِهِ، وَهَذَا الكِتَابُ لِجَيَّاشٍ مَفْقُودٌ.

يَعْنِي لِحَرْثِ الأَرْضِ، فَحَرَثَتِ الخَلْقُ وَعُمِّرَ المَكَانُ وَبَقِيَ الأَثَرُ وَالمِهَارُ سُنَّةً إِلَىٰ الآنَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُوَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ نَاطَحَ عُمُرُهُ المِائَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَرْعَىٰ البَقَرَ عِنْدَ «مَسْجِدِ الأَشَاعِرِ»[1] وَبِهَا حِينَئِذٍ عُقْدَةُ شَجَرٍ وَغَدِيرُ مَاءٍ.

وَيُقَالُ: لَمَّا تَعَدَّىٰ ابْنُ زِيَادٍ مَكَّةَ صَارَ كُلَّ مَنْزِلٍ يَنْزِلُهُ يَأْخُذُ تُرَابَ أَرْضِهِ يَشُمُّهُ وَيَبْنِي فِي ذَلِكَ المَنْزِلِ قَرْيَةً، وَلَا زَالَ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ قَدِمَ أَرْضَ الحُصَيْبِ[2] فَأَخَذَ مِنْ أَرْضِهِ كَفَّ تُرَابٍ فَشَمَّهُ وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ: أَقِيمُوا بِنَا هَاهُنَا! قَالُوا: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ هَذِهِ الأَرْضَ أَرْضٌ نَزِهٌ زُبْدَةُ هَذِهِ البِلَادِ، قَالُوا: وَبِمَ صَحَّ عِنْدَكَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهَا طَيِّبَةٌ بَيْنَ وَادِيَيْنِ، يَعْنِي وَادِيَ زَبِيدٍ وَوَادِيَ رِمَعَ، فَلَمَّا سَكَنَ المَكَانَ بَنَاهُ مَدِينَةً سَمَّاهَا زَبِيدًا، وَاشْتَقَّ زَبِيدًا لِأَنَّهَا مِنَ الزُّبْدَةِ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ[3].

---

(١) وَهَذَا المَسْجِدُ مَا زَالَ مَوْجُودًا إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَهُوَ مَسْجِدٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ فِي «مَدِينَةِ زَبِيدٍ»، وَيُعْرَفُ بِـ«جَامِعِ الأَشَاعِرِ»، وَمِنْهُمْ مَنْ يُطْلِقُ عَلَيْهِ اسْمَ «جَامِعَةِ الأَشَاعِرَةِ» لِمَا كَانَ يَحْصُلُ فِيهِ قَدِيمًا مِنَ الدُّرُوسِ العِلْمِيَّةِ وَاللِّقَاءَاتِ الأَدَبِيَّةِ، وَقَدْ أَلَّفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الحَضْرَمِيُّ الزَّبِيدِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ «جَامِعَةَ الأَشَاعِرَةِ» وَإِضَافَةُ الهَاءِ إِلَىٰ الأَشَاعِرِ هِيَ لِلْمُبَالَغَةِ، مِثْلُ «أَبَاعِر» وَ«أَبَاعِرَة»، فَمَنْ أَرَادَ زِيَادَةَ فَائِدَةٍ فَلْيَرْجِعْ لَهُ.

(٢) الحُصَيْبُ: بِالتَّصْغِيرِ هُوَ اسْمُ الوَادِي الَّذِي مِنْهُ زَبِيدٌ وَقِيلَ: اسْمُ مَدِينَةِ زَبِيدٍ، وَزَبِيدٌ اسْمُ الوَادِي. نُسِبَ إِلَىٰ الحُصَيْبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الغَوْثِ بْنِ حَيْدَانَ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٧٣)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٠).

(٣) تَقَدَّمَ وَذَكَرْتُ أَنَّ اسْمَ زَبِيدٍ قَدِيمٌ مِنْ قَبْلِ الإِسْلَامِ.

فَصْلٌ: قَالَ عَبْدُ النَّبِيِّ بْنُ عَلِيٍّ المَهْدِيِّ لِلْحَاضِرِينَ: إِنِّي أَتَحَسَّبُ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الوَادِيَيْنِ. قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ مِنْ عَجَائِبِهِ؟ قَالَ: رَأَيْتُ كُلَّ خَلْقِ اللهِ مِنَ الرِّجَالِ يَمِيلُ طَبْعُهُمْ إِلَىٰ الفُحُولَةِ وَالذُّكُورَةِ إِلَّا مَنْ سَكَنَ بَيْنَ هَذَيْنِ الوَادِيَيْنِ فَإِنَّ طِبَاعَهُمْ مَائِلَةٌ إِلَىٰ الخُنْثِ وَخِصَالِ النِّسَاءِ، قَالُوا: وَبِمَ تَحَقَّقَ عِنْدَكَ ذَلِكَ؟ قَالَ: كُلٌّ مِنَ الخَلْقِ يَمِيلُ إِلَىٰ مَا يَصْلُحُ بِهِ دِينُهُ وَدُنْيَاهُ إِلَّا أَهْلَ زَبِيدٍ، فَإِنَّهُمْ مَائِلُونَ إِلَىٰ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالمَلَابِسِ النِّظَافِ وَالمَرْكُوبِ الوَطِيءِ وَشَمِّ الطِّيبِ وَمَيْلُ طِبَاعِهِمْ إِلَىٰ النِّسَاءِ أَكْثَرُ مِنْ مَيْلِ طِبَاعِهِمْ إِلَىٰ الرِّجَالِ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ المَجْلِسَ: مَا وُضِعَتْ بَيْنَ وَادِيَيْنِ إِلَّا كَرَجُلٍ يَسْكُنُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ يَمِيلُ إِلَىٰ مَنْ مَالَتْ نَفْسُهُ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُ إِلَيْهَا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمُعْظَمُ رِجَالِهِمْ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَغَانَجُونَ وَيَتَمَغَّطُونَ[(١)] وَيَتَقَصَّفُونَ تَقْصِيفَ النِّسَاءِ فِي الحَدِيثِ وَالحَرَكَةِ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الجُمَاعِيُّ الوَاسِطِيُّ قَالَ: مَلَكَ اليَمَنَ مَلِكٌ مِنَ التَّبَابِعَةِ يُسَمَّىٰ الزَّبَا، فَسَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللهُ بِزَبَا؟ فَقَالَ: بِيدَ، أَيْ هَلَكَ، فَسُمِّيَ البَلَدُ زَب بِيد.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ زَبِيدٌ زَبِيدًا لِأَنَّ لَهَا وَادِيًا يُسَمَّىٰ زَبِيدًا فَسُمِّيَتِ البَلَدُ بِاسْمِ الوَادِي[(٢)].

---

(١) فِي المَطْبُوعِ: «يَتَمَفْطُونَ» بِالفَاءِ، وَقَدْ جَاءَ فِي «أ» وَاضِحًا بِالغَيْنِ.

(٢) وَهَذَا هُوَ مَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

وَقَالَ آخَرُ: بَلْ كَانَتِ الإِبِلُ تَرْعَىٰ فِي العُقْدَةِ[١] وَفِي جَمْعِ الإِبِلِ نَاقَةٌ تُسَمَّىٰ زَبِيدًا، عَضَّتِ النَّاقَةُ فِي العُقْدَةِ فَعُرِفَ المَوْضِعُ بِاسْمِ النَّاقَةِ. وَأَمَّا العُقْدَةُ فَصَحِيحَةٌ بَقِيَ إِلَىٰ الآنَ شَجَرُ الأَرَاكِ كَثِيرًا مِمَّا يَلِي الدُّرُوبَ وَخُصُوصًا مَوْضِع يُسَمَّىٰ حَافَةَ[٢] مَسْجِدِ الهِنْدِ وَغَيْرُهَا مِنَ المَوَاضِعِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتِ امْرَأَةٌ تَسْكُنُ رَأْسَ وَادِي زَبِيدٍ تُسَمَّىٰ زُبَيْدَةَ.

وَقَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: مَا أَظُنُّهَا إِلَّا زُبَيدَةَ[٣] بِنْتَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُورِ، فَإِنَّ مُحَمَّد المَنْصُور بْنَ زِيَادٍ بَنَىٰ لَهَا دَارًا مَا بَيْنَ وَادِي زَبِيدٍ وَرِمَعَ، وَهِيَ الَّتِي سَعَتْ فِي بِنَاءِ المَكَانِ فِي دَوْلَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الأَمِينِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) أَيْ: الشَّجَرِ.

(٢) الحَافَةُ فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ مِنَ اليَمَنِ تُطْلَقُ عَلَىٰ مَا يُعْرَفُ الآنَ بِالحَارَةِ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَىٰ.

(٣) وَزُبَيْدَةُ: لَقَبٌ لَهَا، وَاسْمُهَا أَمَةُ العَزِيزِ. تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهَا مِنْ «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (٥/ ٣١٤) بِرَقْمِ (١٣١)، وَ«أَعْلَامِ النِّسَاءِ» (٢/ ١٧).

ذِكْرُ تَمَامِ قِصَّةِ آلِ زِيَادٍ

لَمَّا[١] مَاتَ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ انْتَقَلَ الأَمْرُ إِلَىٰ طِفْلٍ مِنْ آلِ زِيَادٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَكَفَلَتْهُ عَمَّتُهُ وَعَبْدُهُ أُسْتَاذُ الدَّارِ وَاسْمُهُ مَرْجَانُ، وَهُوَ مِنْ عَبِيدِ الحُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ، فَاسْتَقَرَّتِ الوَزَارَةُ لِمَرْجَانَ، وَكَانَ لَهُ عَبْدَانِ فَحْلَانِ مِنَ الحَبَشَةِ رَبَّاهُمَا فِي الصِّغَرِ وَوَلَّاهُمَا فِي الكِبَرِ، أَحَدُهُمَا يُسَمَّىٰ نَفِيسًا، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّىٰ التَّدْبِيرَ فِي الحَضْرَةِ، وَالثَّانِي يُسَمَّىٰ نَجَاحًا وَهُوَ جَدُّ مُلُوكِ زَبِيدٍ الَّذِينَ أَبَادَهُمْ[٢] عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَنَجَاحٌ هَذَا هُوَ أَبُو المَلِكِ سَعِيدٍ الأَحْوَلِ قَاتِلِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ القَائِمِ فِي اليَمَنِ بِالدَّعْوَةِ المُسْتَنْصِرِيَّةِ، وَهُوَ -أَيْضًا- أَبُو المُكَرَّمِ الفَاضِلِ أَبِي الطَّامِي جَيَّاشٍ، وَلَمْ يَزَلِ المُلْكُ فِي عَقِبِ جَيَّاشٍ المَذْكُورِ إِلَىٰ التَّأْرِيخِ المَذْكُورِ، فَكَانَ نَجَاحٌ يَتَوَلَّىٰ أَعْمَالَ الكَدْرَاءِ وَالمَهْجَمِ وَمَوْرٍ وَالوَادِيَيْنِ، هَذِهِ الأَعْمَالُ الشَّأْمِيَّةُ وَالأَعْمَالُ الشَّمَالِيَّةُ عَنْ زَبِيدٍ، ثُمَّ وَقَعَ التَّنَافُسُ بَيْنَ نَفِيسٍ وَنَجَاحٍ عَبْدَيْ مَرْجَانَ عَلَىٰ وَزَارَةِ الحَضْرَةِ، وَكَانَ نَفِيسٌ ظَلُومًا غَشُومًا، وَنَجَاحٌ عَادِلًا رَءُوفًا، إِلَّا أَنَّ مَوْلَاهُمَا مَرْجَانَ يَمِيلُ مَعَ نَفِيسٍ عَلَىٰ نَجَاحٍ، وَنَمَّ إِلَىٰ نَفِيسٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ زِيَادٍ

---

(١) مَا سَيَأْتِي مِنْ نَقْلٍ هُنَا فَإِنَّ المُصَنِّفَ نَقَلَهُ مِنَ «المُفِيدِ» لِعِمَارَةَ، وَسَأُحِيلُ إِلَيْهِ بَعْدُ.

(٢) الَّذِي فِي «المُفِيدِ»: «أَزَالَهُمْ» بَدَلَ «أَبَادَهُمْ».

مَوْلَاهُ وَعَمَّتَهُ كَاتَبَا نَجَاحًا وَأَنَّهَا تَمِيلُ إِلَيْهِ، فَشَكَىٰ فِعْلَهَا إِلَىٰ مَوْلَاهُمْ مَرْجَان فَقَبَضَ مَرْجَانُ عَلَيْهَا وَعَلَىٰ ابْنِ أَخِيهَا إِبْرَاهِيمَ بْنِ زِيَادٍ، وَهُوَ آخِرُ بَنِي زِيَادٍ، وَدَفَعَهُمَا إِلَىٰ نَفِيسٍ فَبَنَىٰ عَلَيْهِمَا جِدَارًا وَهُمَا قَائِمَانِ يُنَاشِدَانِهِ اللهَ ﷻ حَتَّىٰ خَتَمَ عَلَيْهِمَا[1]، وَزَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي زِيَادٍ وَانْتَقَلَتْ إِلَىٰ عَبِيدِ عَبِيدِهِمْ، فَتَكُونُ دَوْلَةُ بَنِي زِيَادٍ فِي اليَمَنِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِ سِنِينَ لِأَنَّهُمُ اخْتَطُّوا مَدِينَةَ زَبِيدٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ وَزَالَتْ عَنْهُمْ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

فَصْلٌ: وَكَانَتْ[2] بَنُو زِيَادٍ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِمُ اخْتِلَالُ دَوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ مِنْ قَتْلِ المُتَوَكِّلِ وَخَلْعِ المُسْتَعِينِ[3] تَغَلَّبُوا عَلَىٰ ارْتِفَاعِ اليَمَنِ وَرَكِبُوا بِالمِظَلَّةِ وَسَاسُوا قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ بِبَقَاءِ الخُطْبَةِ لِبَنِي العَبَّاسِ، فَلَمَّا قُتِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ وَقُبِضَ عَلَىٰ عَمَّتِهِ تَمَلَّكَ نَفِيسٌ وَرَكِبَ بِالمِظَلَّةِ وَضَرَبَ السِّكَّةَ[4] بِاسْمِهِ وَاسْمِ الحُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ نَجَاحٍ مَا فَعَلَهُ نَفِيسٌ فِي مَوَالِيهِ رَكِبَ وَقَصَدَ نَفِيسًا إِلَىٰ زَبِيدٍ فَجَرَىٰ بَيْنَهُمَا عِدَّةُ وَقَائِعَ مِنْهَا يَوْمُ رِمَعَ وَيَوْمُ فِشَالٍ عَلَىٰ نَجَاحٍ، وَمِنْهَا يَوْمُ العُقْدَةِ، وَيَوْمُ العِرْقِ، وَفِيهِ قُتِلَ نَفِيسٌ عَلَىٰ بَابِ سِهَامٍ، وَقُتِلَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ خَمْسَةُ آلَافِ رَجُلٍ.

وَفَتَحَ نَجَاحٌ زَبِيدًا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشَرَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَالَ نَجَاحٌ لِمَرْجَانَ: مَا

---

(١) مِنَ المَكَانِ المُتَقَدِّمِ إِلَىٰ هُنَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص٧٨ - ٨٠).

(٢) مِنْ هُنَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيد».

(٣) هُوَ المُسْتَعِينُ بِاللهِ العَبَّاسِيُّ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ المُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ أَخُو المُتَوَكِّلِ، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «الوَافِي بِالوَفَيَاتِ» (٨/ ٩٣) بِرَقْمِ (٣٥١٨).

(٤) أَيِ: العُمْلَةَ.

فَعَلَ مَوْلَاكَ وَمَوَالِينَا؟[١] قَالَ: هُمْ فِي ذَلِكَ الجِدَارِ، فَأَخْرَجَهُمَا نَجَاحٌ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِمَا وَبَنَىٰ عَلَيْهِمَا مَشْهَدًا وَأَدْخَلَ مَرْجَانَ فِي مَوْضِعِهِمَا فَبَنَىٰ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ جُثَّةِ نَفِيسٍ حَائِطًا، وَرَكِبَ نَجَاحٌ بِالمِظَلَّةِ وَضَرَبَ السِّكَّةَ بِاسْمِهِ وَكَاتَبَ أَهْلَ العِرَاقِ وَبَذَلَ الطَّاعَةَ، فَنُعِتَ نَجَاحٌ بِالمُؤَيَّدِ نَصِيرِ الدِّينِ، وَفُوِّضَ إِلَيْهِ تَقْلِيدُ القَضَاءِ وَالنَّظَرُ فِي الجَزِيرَةِ اليَمَنِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ نَجَاحٌ مَالِكًا لِلتَّهَائِمِ وَقَاهِرًا لِأَهْلِ الجِبَالِ[٢]، وَكُوتِبَ وَخُوطِبَ بِالمَلِكِ وَبِمَوْلَانَا.

وَمِنْ أَوْلَادِهِ سَعِيدٌ وَجَيَّاشٌ وَمُعَارِكٌ وَالذَّخِيرَةُ وَمَنْصُورٌ، فَتَغَلَّبَتْ وُلَاةُ الحُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ عَلَىٰ الحُصُونِ، فَتَغَلَّبَ عَلَىٰ عَدَنَ وَلَحْجَ وَأَبْيَنَ وَالشِّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ بَنُو مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، وَقِيلَ: مِنْ غَيْرِ وَلَدِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيِّ، وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ السَّمَدَانِ[٣] وَعَلَىٰ حِصْنِ السَّوَاءِ[٤] وَالدُّمْلُوَةِ[٥]

---

(١) الَّذِي فِي «المُفِيدِ»: «مَا فَعَلَ مَوَالِيكَ وَمَوَالِينَا»، وَفِي المَخْطُوطِ: «مَا فَعَلَ مَوْلَاكَ وَمَوَالِينَا» كَمَا أَثْبَتُّ، وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «مَوْلَاكَ بِمَوَالِينَا».

(٢) فِي «المُفِيدِ»: «لِأَكْثَرِ أَهْلِ الجِبَالِ».

(٣) السَّمَدَانُ: قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ فِي بَنِي شَيْبَةَ مِنْ مُدِيرِيَّةِ الشَّمَايَتَيْنِ وَأَعْمَالِ تَعِزَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨١١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٠).

(٤) قَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٨١): «حِصْنُ السَّوَاءِ: هُوَ مَا يُسَمَّىٰ قَلْعَةَ خَوْلَانَ، وَالسَّوَاءُ عُزْلَةٌ مِنَ المَعَافِرِ».

(٥) الدُّمْلُوَةُ: بِضَمِّ الدَّالِ وَاللَّامِ: قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ مَشْهُورَةٌ فَوْقَ قَرْيَةِ المَنْصُورَةِ مِنْ جَبَلِ الصِّلْوِ عَلَىٰ بُعْدِ (٦٠) كِيلُو جَنُوبَ شَرْقِ مَدِينَةِ تَعِزَّ، وَاشْتُهِرَتْ بِحَصَانَتِهَا وَمَنَاعَتِهَا، وَهِيَ اليَوْمَ خَرَابٌ وَفِيهَا آثَارٌ قَدِيمَةٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٢١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٢).

وَصَبِرَ(١) وَحَبٍّ(٢) وَالتَّعْكَرِ(٣) وَمِخْلَافِ الجَنَدِ(٤) وَمِخْلَافِ المَعَافِرِ(٥) قَوْمٌ مِنْ حِمْيَرٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الكرندِيِّ، وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ حِصْنِ حَبٍّ وَحِصْنِ عَزَّانَ(٦) وَبَيْتِ عِزٍّ(٧) وَحِصْنِ الشِّعْرِ(٨) وَحِصْنِ أَنْوَرَ(٩) ....

---

(١) صَبِر: بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ، جَبَلٌ مَشْهُورٌ يَقَعُ فِي سَفْحٍ مُنْحَدَرُهُ الشَّمَالِي مَدِينَةُ تَعِزَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٩٤)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣١).

(٢) حَبٌّ: عَلَىٰ زِنَةِ حَبِّ الطَّعَامِ بِفَتْحِ الحَاءِ وَتَشْدِيدِ البَاءِ، حِصْنٌ شَهِيرٌ فِي جَبَلِ بَعْدَانَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَمْنَعِ حُصُونِ اليَمَنِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٠٠)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٤).

(٣) التَّعْكَرُ: هُوَ جَبَلٌ فِي المُدَيْنِ (الكَلَاعِ) تَقَعُ فِي سَفْحِهِ الشَّمَالِيِّ مَدِينَةُ «جِبْلَةَ» وَمِنْ جَنُوبِهِ مَدِينَةُ «ذِي السُّفَالِ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٣٣) وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٣)، وَسَيَأْتِي بَعْدُ تَعْكَرُ آخَرُ وَهُوَ جَبَلٌ فِي مَدِينَةِ عَدَنَ.

(٤) الجَنَدُ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ تَعِزَّ بِمَسَافَةِ (١٧) كِيلًا، كَانَتْ قَدِيمًا مَدِينَةَ اليَمَنِ الأُولَىٰ بَعْدَ صَنْعَاءَ وَأَحَدَ أَسْوَاقِ العَرَبِ المَشْهُورَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ الخَرَابَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَصَارَتِ اليَوْمَ قَرْيَةً صَغِيرَةً. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٥٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٥).

(٥) المَعَافِرُ: بِالفَتْحِ يُنْظَرُ لَهَا: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٥٦٨)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٦).

(٦) حِصْنُ عَزَّانَ: قَالَ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ تَعْلِيقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ»: هُوَ الَّذِي يَطِلُّ عَلَىٰ مَدِينَةِ إِبَّ مِنَ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ جَبَلِ بَعْدَانَ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٧).

(٧) بَيْتُ عِزٍّ: قَالَ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ تَعْلِيقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ»: هُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِالعِزِّ مِنْ مِخْلَافِ الشِّعْرِ.

(٨) وَقَعَ هُنَا «الشِّعْرَيْنِ» وَهُوَ خَطَأٌ، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ» وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ هَذَا مِنْهُ، وَ«حِصْنُ الشِّعْرِ» قَالَ الأَكْوَعُ: لَعَلَّهُ حِصْنُ يَقْظَانَ، وَالشِّعْرُ بِكَسْرِ الشِّينِ مِخْلَافٌ مَعْرُوفٌ.

(٩) حِصْنُ أَنْوَرَ: وَهُوَ فِي بِلَادِ «دَمْتَ» كَمَا فِي «قِلَادَةِ النَّحْرِ» (٥/ ٧١) لِبَامَخْرَمَةَ.

وَالنَّقِيلِ(١) وَالسُّحُولِ وَحِصْنِ خَدِدَ(٢) وَالشَّوَافِي(٣) السُّلْطَانُ(٤) أَبُو عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنُ التُّبَّعِيُّ.

وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ حِصْنِ أَشْيَحَ(٥)، وَهُوَ مَقَرُّ الدَّاعِي سَبَإِ بْنِ أَحْمَدَ الصُّلَيْحِيِّ، وَعَلَىٰ حِصْنِ مُقْرِي(٦)، وَحِصْنِ(٧) وِصَابٍ وَمَخَالِيفِهَا قَوْمٌ مِنَ البكيلِ، وَهُمْ مِنْ هَمْدَانَ، وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ صَنْعَاءَ وَمَخَالِيفِهَا قَوْمٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ حِصْنِ

---

(١) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «القيل» وَهُوَ خَطَأٌ، وَالمُثْبَتُ مِنَ المَخْطُوطِ هُوَ مَا فِي «المُفِيدِ»، وَالنَّقِيلُ المُرَادُ بِهِ كَمَا قَالَ الأَكْوَعُ: «نَقِيلُ سُمَارَةَ» لِأَنَّ فِي قِمَّتِهِ قَلْعَةً تُسَمَّىٰ سُمَارَةَ.

(٢) حِصْنُ خَدِدَ: بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ، حِصْنٌ أَثَرِيٌّ مَشْهُورٌ يَقَعُ فِي مَنْطِقَةِ العَارِضَةِ مِنْ «جَبَلِ حُبَيْشٍ» شَمَالَ مَدِينَة إِبَّ، فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ آثَارِ العَمَائِرِ الحِمْيَرِيَّةِ وَالصَّهَارِيجِ وَالسُّدُودِ المَحْفُورَةِ فِي الجَبَلِ، وَقَدْ تَرَدَّدَ ذِكْرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ القَدِيمَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٦١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٨).

(٣) الشَّوَافِي: مِخْلَافٌ مَشْهُورٌ إِلَىٰ اليَوْمِ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسِ عُزَلٍ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مَخَالِيفُ اليَمَنِ» (ص١٦) لِلْمُؤَرِّخِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

(٤) فَاعِلُ لِقَوْلِهِ: «تَغَلَّبَ» فَيَكُونُ مَرْفُوعًا.

(٥) حِصْنُ أَشْيَحَ: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، حِصْنٌ شَهِيرٌ يَقَعُ فِي جَبَلِ ضُورَانَ مِنْ بِلَادِ آنِسَ، وَهُوَ اليَوْمَ خَرَائِبُ وَأَطْلَالٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٥).

(٦) مُقْرِي: زِنَةُ مُعْطِي، يُدْعَىٰ اليَوْمَ «مَغْرِبَ عَنْسَ» مِنْ بِلَادِ ذَمَارَ، وَقَدْ تَشْمَلُ التَّسْمِيَةُ جُزْءًا مِنْ وَادِي الحَارِ، وَكَذَلِكَ المَنَارُ مِنْ «آنِسَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦١٦).

(٧) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «حُصُون»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ»، وَيُسَمَّىٰ اليَوْمَ «نَعْمَانَ»، وَغَلَبَ عَلَيْهِ اليَوْمَ «الدَّنُّ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٧٤٦)، وَتَعْلِيقُ الأَكْوَعِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٨٦). وَلِوَصْفِ هَذَا الحِصْنِ يُنْظَرُ: «تَارِيخُ وِصَابٍ» (ص١٢٠) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبَيْشِيِّ الوِصَابِيِّ (ت: ٧٨٢هـ) ط. «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ».

مَسَارٍ[(١)] وَجَبَلِ تَيْسٍ[(٢)] قَوْمٌ مِنْ حَرَاز، وَمِنْهُ ثَارَ الصُّلَيْحِيُّ دَعْوَةَ المُسْتَنْصِرِيَّةِ[(٣)].

وَبِعَهْدِهِمْ تُوُفِّيَ[(٤)] الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ وَمَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ الأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ وَقُتِلَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ المَلِكُ السَّيِّدُ الأَعْظَمُ عَظِيمُ العَرَبِ المُكَرَّمُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّلَيْحِيُّ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَسْنَدَ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ سَبَإِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ المُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّلَيْحِيِّ، وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ سَعِيدٌ الأَحْوَلُ، وَقُتِلَ تَحْتَ حِصْنِ الشِّعْرِ[(٥)] سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ[(٦)].

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَخُوهُ جَيَّاشُ بْنُ نَجَاحٍ وَخَلَفُ بْنُ أَبِي الطَّاهِرِ الأُمَوِيُّ

---

(١) حِصْنُ مَسَار: مِنْ جِبَالِ مناخَةَ فِي حَرَازَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٠٨)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٩).

(٢) جَبَلُ تَيْسٍ: هُوَ فِي المَحْوِيتِ يُقَالُ لَهُ اليَوْمَ: «جَبَلُ بَنِي حَبِشٍ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٤٧).

(٣) بِمُخَادَعَةٍ مِنْهُ لِأَهْلِ البَلَدِ كَمَا فِي «السُّلُوكِ» (٢/ ٤٨٦) لِلْجَنَدِيِّ، وَهُنَا يَنْتَهِي مَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدِ» (ص٨٠ - ٨٦).

(٤) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «تَوَلَّىٰ».

(٥) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «الشِّعْرَيْنِ»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ»، وَتَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ قَرِيبًا.

(٦) هَذَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدِ» (ص١١٨) لِعمَارَةَ، وَهَذَا التَّارِيخُ جَعَلَهُ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ كَمَا فِي تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» مِنْ أَوْهَامِ عمَارَةَ، وَأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ قَتْلَ سَعِيدٍ الأَحْوَلِ كَانَ سَنَةَ (٤٦١هـ) كَمَا فِي «رَوْضَةِ الحَجَوِيِّ» وَابْنِ سَمُرَةَ، أَوْ سَنَةَ (٤٦٠هـ) كَمَا فِي كِتَابِ «الصُّلَيْحِيُّونَ».

الوَزِيرُ وَسَافَرَا[١] إِلَىٰ الهِنْدِ[٢]، وَأَوَّلُ مَنْ أَدَارَ سُورَ زَبِيدٍ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ وَبَعْدَهُ الحَبَشَةُ.

وَتَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَهَابِهِمُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ القُرْتُبِيُّ، وَقَعَدَ عَلَىٰ سَرِيرِ المُلْكِ يَوْمَ الجُمُعَةِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَأَقَامَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ بَقِيَّةَ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ، وَمَاتَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ، فَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ شَهْرَيْنِ وَوَاحِدَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا[٣]، وَادَّعَىٰ الخِلَافَةَ، وَفِيهِ يَقُولُ:

سِيَرُ الأَنَامِ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا ... فَرَحُ القُلُوبِ وَرَوضَةُ المُتَنَزِّهِ
أَشْهَىٰ مِنَ المَاءِ الزُّلَالِ عَلَىٰ الظَّمَا ... وَأَلَذُّ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ الأَمْرَهِ[٤]
فَاليَوْمَ يَحْتَجُّ الخَلِيفَةُ بَعْدَهُ ... بِالقَائِمَيْنِ الهَادِيَيْنِ وَزَهْرِهِ
شِبْلَيْهِ سِبْطَيْهِ اللَّذَيْنِ إِلَيْهِمَا ... شَرَفُ الإِمَامَةِ وَالخِلَافَةِ يَنْتَهِي

وَيَعْنِي بِهِمَا مُعَاذًا وَعَبْدَ النَّبِيِّ، فَإِنَّهُمَا تَوَلَّيَا عَلَىٰ زَبِيدٍ وَبَعْضِ الجِبَالِ مُدَّةَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَدَارُوا عَلَىٰ زَبِيدٍ سُورًا ثَالِثًا، وَبَعْدَهُمْ مَلَكَ الغُزُّ البِلَادَ[٥]، فَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَهَا شَمْسُ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ تُورَان شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ عَامَيْنِ، وَبَعْدَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ

---

(١) تَصَحَّفَ إِلَىٰ «مُسَافِرًا»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ» (ص١١٨)، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ النَّصَّ مِنْهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ.

(٢) «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص١١٨).

(٣) هَذَا النَّصُّ المُتَعَلِّقُ بِتَوَلِّي عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ وَمُدَّةِ ذَلِكَ نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدِ» (ص٢٠٠).

(٤) الأَمْرَهُ: هُوَ الأَبْيَضُ.

(٥) الغُزُّ: هُمْ قَوْمٌ مِنَ الأَتْرَاكِ، يُنْظَرُ: «المُفِيدُ» (ص٢٣٠) مَعَ تَعْلِيقِ الأَكْوَعِ.

مُبَارَكُ(١) بْنُ كَامِلِ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ مُنْقِذٍ، وَبَعْدَهُ أَخُوهُ خَطَّابٌ(٢) عَامَيْنِ، وَبَعْدَهُ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ، أَدَارَ عَلَىٰ الْبَلَدِ سُورًا وَرَكَّبَ عَلَىٰ السُّورِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ:

بَابَ غُلَافِقَةَ يَنْفُذُ إِلَىٰ غُلَافِقَةَ، وَبَابَ سِهَام يَنْفُذُ إِلَىٰ سِهَام، وَبَابَ الشَّبَارِقِ يَنْفُذُ إِلَىٰ حِصْنِ قَوَارِير، وَبَابَ الْقُرْتُبِ(٣) يَنْفُذُ إِلَىٰ الْجَبَلِ، بِالطِّينِ وَاللَّبِنِ فِي عَرْضِ عَشَرَةِ أَذْرُعٍ.

قَالَ ابْنُ الْمُجَاوِرِ: عَدَدْتُ أَبْرَاجَ زَبِيدٍ فَوَجَدْتُهَا مِائَةَ بُرْجٍ وَتِسْعَةَ أَبْرَاجٍ، بَيْنَ كُلِّ بُرْجٍ وَبُرْجٍ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا، وَيَدْخُلُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، إِلَّا بُرْجًا فَإِنَّهُ مِائَةُ ذِرَاعٍ، يَصِحُّ دَورُ الْبِلَادِ عَشَرَةُ آلَافِ ذِرَاعٍ وَتِسْعِمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَأَقَامَ مُتَمَكِّنًا سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَحَدَّثَنِي بَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِ السِّدْرَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ قَالَ: إِنَّ سَيْفَ الإِسْلَامِ أَرَادَ أَنْ يُدِيرَ حَوْلَ الْبَلَدِ سُورًا ثَانِيًا ذَا طُولٍ وَسَعَةٍ، وَأَمَرَ الْجُنْدَ أَنْ يَسْكُنُوا مَا بَيْنَ السُّورَيْنِ بِدَوَابِّهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَمَّا بَنَىٰ السُّورَ وَفَرَغَ مِنْهُ مَاتَ وَلَمْ يُمْكِنْهُ مُرَادُهُ، وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ(٤) بْنُ

---

(١) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٢/ ٨٨٤) لِلذَّهَبِيِّ.

(٢) كَذَا هُوَ هُنَا وَهُوَ كَذَلِكَ فِي «قُرَّةُ الْعُيُونِ»، أَمَّا «تَارِيخُ الإِسْلَامِ» فَإِنَّ فِيهِ «حطَّانُ»، وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ «حطَّابٌ» مِنْهَا «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٢٨٧).

(٣) هَذِهِ أَسْمَاءٌ لِأَبْوَابِ مَدِينَةِ «زَبِيدٍ».

(٤) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «السِّيَرِ» (١٩/ ٥٧٥) بِرَقْمِ (٣٢٩).

طُغْتِكِينَ سِتَّ سِنِينَ، وَبَعْدَهُ الأَكْرَادُ سَنَةً، وَبَعْدَهُمْ أَتَابِكُ سُنْقُرُ عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَيُّوبُ[1] بْنُ طُغْتِكِينَ عَامَيْنِ، وَبَعْدَهُ الخَوَاتِينُ[2] ثَلَاثَةَ شُهُورٍ، وَبَعْدَهُنَّ غَازِي[3] بْنُ جِبْرِيلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيُقَالُ: سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَبَعْدَهُ شَاهْ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَاهَنْشَاهْ بْنِ شَاذِي[4]، وَيُقَالُ: سَبْعَةَ شُهُورٍ، وَبَعْدَهُ المَلِكُ المَسْعُودُ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ[5].

* * *

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ العَصْرِ» (٥/ ٤٦) بِرَقْمِ (٢٧٩٠).

(٢) الخَوَاتِينُ: جَمْعُ خَاتُون، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ، كَانُوا يُطْلِقُونَهَا عَلَىٰ زَوْجَةِ الخَلِيفَةِ أَوِ السُّلْطَةِ، وَأُمِّهِ وَبَاقِي الأَمِيرَاتِ، وَزَوْجَاتِ الوُزَرَاءِ وَالأَعْيَانِ، وَجَاءَ فِي «السُّلُوكِ» (٢/ ٥٣٧) أَنَّ غَازِيَ بْنَ جِبْرِيلَ عِنْدَمَا سَمَّ أَيُّوبَ طُغْتِكِينَ ذَهَبَ إِلَىٰ إِبَّ وَكَانَتْ أُمُّ أَيُّوبَ وَغَالِبُ الخَوَاتِينِ إِذْ ذَاكَ مُقِيمِينَ بِـ«حِصْنِ حَبٍّ»، وَالشَّاهِدُ الَّذِي أُرِيدُهُ هُوَ «الخَوَاتِينُ» فَيَكُونُ دَخَلَ هَذَا اللَّقَبُ اليَمَنَ عَنْ طَرِيقِ الأَتْرَاكِ.

(٣) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٥/ ٥٢) بِرَقْمِ (٢٨٠٠).

(٤) يُنْظَرُ: «تَارِيخُ الإِسْلَامِ» (١٣/ ٢٦٨) لِلذَّهَبِيِّ.

(٥) يُنْظَرُ: «تَارِيخُ الإِسْلَامِ» (١٣/ ٢٦٨) لِلذَّهَبِيِّ.

ذِكْرُ الجَنَابِذِ وَقَتْلِ الصُّلَيْحِيِّ

هِيَ ثَلَاثُ قِبَابٍ مَبْنِيَّاتٌ بِالآجُرِّ المَحْكُوكِ وَالجَصِّ، قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، يَكُونُ مَا بَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَىٰ الآخَرِ مِقْدَارَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، بِنَاءُ الأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ مَسْجِدًا وَرِبَاطًا يُذْكَرُ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَا زَالَ يَبْنِي إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ المَهْجَمَ[1] وَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا بِضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ أُمِّ الدُّهَيْمِ، وَبِئْرُ خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ[2].

قَالَ سَعِيدُ الأَحْوَلُ بْنُ نَجَاحٍ: لَمَّا دَخَلْنَا إِلَىٰ المُخَيَّمِ[3] لَمْ يَشْعُرْ بِنَا إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فَرَكِبَ وَقَالَ: يَا مَوْلَايَ ارْكَبْ، فَهَذَا وَاللهِ الأَحْوَلُ بْنُ نَجَاحٍ، وَالعَدَدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ [كِتَابُ] أَسْعَدَ بْنِ شِهَابٍ البَارِحَةَ مِنْ زَبِيدٍ، فَقَالَ الصُّلَيْحِيُّ لِأَخِيهِ عَبْدِ اللهِ: إِنِّي لَا أَمُوتُ إِلَّا بِبِئْرِ أُمِّ الدُّهَيْمِ وَخَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، ظَانًّا أَنَّهَا أُمُّ مَعْبَدٍ الَّتِي نَزَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ هَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ[4] لِعَلِيٍّ: قَاتِلْ عَنْ

---

(١) مِنْ هُنَا نَقَلَه المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدِ» إِلَىٰ مَكَانِ الإِحَالَةِ الآتِيَةِ. وَالمَهْجَمُ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) قَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ هَذَا المَوْضِعِ مِنَ «المُفِيدِ»: لَمْ أَعْثُرْ عَلَىٰ مَوْقِعِهَا اليَوْمَ إِذْ قَدْ دَبَّ إِلَيْهِمَا الخَرَابُ، وَهَذَا بَعْدَ البَحْثِ. وَهَذَا النَّصُّ فِي «المُفِيدِ» (ص١١١).

(٣) كَذَا هُوَ هُنَا «المُخَيَّم»، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي «المُفِيدِ».

(٤) وَاسْمُهُ مشْعَلُ العَكِّيُّ كَمَا فِي «المُفِيدِ».

نَفْسِكَ، فَهَذِهِ وَاللهِ بِئْرُ أُمِّ الدُّهَيْمِ[(١)] بْنِ عَبْسٍ، وَهَذَا المَسْجِدُ هُوَ خَيْمَةُ أُمِّ مَعْبَدٍ[(٢)] بِنْتِ الحَارِثِ العَبْسِيِّ.

قَالَ جَيَّاشٌ: فَأَمَّا الصُّلَيْحِيُّ فَأَدْرَكَهُ رِفْقُ اليَأْسِ[(٣)] مِنَ الحَيَاةِ فَأَرَاقَ المَاءَ فِي سَرَاوِيلِهِ وَلَمْ يَرِمْ[(٤)] مِنْ مَكَانِهِ حَتَّىٰ قَطَعْنَا رَأْسَهُ بِسَيْفِهِ، وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ طَعَنَهُ، وَشَرِكَنِي فِيهِ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ نَجَاحٍ بِطَعْنَةٍ، وَأَنَا حَزَزْتُ رَأْسَهُ بِيَدِي وَنَصَبْتُهُ فِي عُودِ المِظَلَّةِ[(٥)]، وَفِيهِ العُثْمَانِيُّ يَقُولُ:

مَا كَانَ أَقْبَحَ وَجْهَهُ فِي ظِلِّهَا ... مَا كَانَ أَحْسَنَ رَأْسَهُ فِي عُودِهَا[(٦)]

وَدَخَلَ سَعِيدٌ إِلَىٰ زَبِيدٍ يَوْمَ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقُتِلَ سَعِيدٌ الأَحْوَلُ فِي وَقْعَةِ حِصْنِ الشِّعْرِ[(٧)] سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ[(٨)]، فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي الصُّلَيْحِيِّ وَالحَبَشَةِ وَمَلَكَ مَمْلَكَتَهُمْ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ بَنُو مَهْدِيٍّ عَبْدُ اللهِ وَمُعَاذٌ وَعَبْدُ النَّبِيِّ فَبَنَوْا لِعَلِيٍّ ضَرِيحًا

---

(١) فِي «المُفِيدِ»: «بِئْرُ الدُّهَيْمِ».

(٢) فِي «المُفِيدِ»: «هُوَ مَوْضِعُ خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ».

(٣) فِي «المُفِيدِ»: «زَمعُ اليَأْسِ».

(٤) أَيْ: يَبْرَحْ.

(٥) إِلَىٰ هُنَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص١٦٧).

(٦) وَقَعَ فِي «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٩/ ٢٣٢): مَا كَانَ أَقْبَحَ وَجْهَهُ فِي خَالِهَا.

(٧) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٨) يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «المُفِيدُ» (ص١٢٤ - ١٢٥)، وَ«قُرَّةُ العُيُونِ فِي أَخْبَارِ اليَمَنِ المَيْمُونِ» (ص٢١٨).

فَكَانُوا يَقُولُونَ لِعَسَاكِرِهِمُ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ: طُوفُوا حَوْلَ تُرْبَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ المَهْدِيِّ كَمَا تَطُوفُونَ بِرَوْضَةِ النَّبِيِّ ﷺ[(١)].

وَقَالَتِ العَامَّةُ: جَبَلُ قَوَارِيرَ عَرَفَاتٌ، وَالجَنَابِذُ الكَعْبَةُ، وَالبِئْرُ بِئْرُ زَمْزَمَ، وَهَذِهِ التُّرْبَةُ رَوْضَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَيُقَالُ: إِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَخَذَ مِنَ الجَنَابِذِ مَالًا عَظِيمًا، وَالآنَ يَسْكُنُ فِيهِ قَوْمٌ مِنَ الفُقَرَاءِ مِنْ ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي البَاطِلِ الصَّرِيفِيِّ.

وَقَدْ أَدَارَ حَوْلَ الجَنَابِذِ بَدْرُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ جَمَّازٍ الفَلَّاحُ المَوْصِلِيُّ حَائِطًا مُرَبَّعًا، وَقَدْ بَنَىٰ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وُهَيْبٍ دَرَجًا يَصْعَدُ فِيهَا إِلَىٰ فَوْقِ القِبَابِ بِحِمَارِهِ، فَكَانَ أَهْلُ زَبِيدٍ يَقُولُونَ إِذَا رَأَوْهُ عَلَىٰ ذَلِكَ: مُحَمَّدٌ قَدْ رَكِبَ البُرَاقَ وَصَعِدَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَكَانَ آخَرُونَ يَقُولُونَ: رَكِبَ عِيسَىٰ حِمَارَهُ.

وَيُقَالُ: لَمَّا بُنِيَتْ بُنِيَتْ مَسَاجِدُ، وَقِيلَ: تُرْبَةُ بَعْضِ أَهْلِهِ، وَكُتِبَ دَاخِلَ القِبَابِ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورِ وَنَقَشَ فِي الجَصِّ نَقْشًا يَبْقَىٰ بِبَقَاءِ العَالَمِ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ.

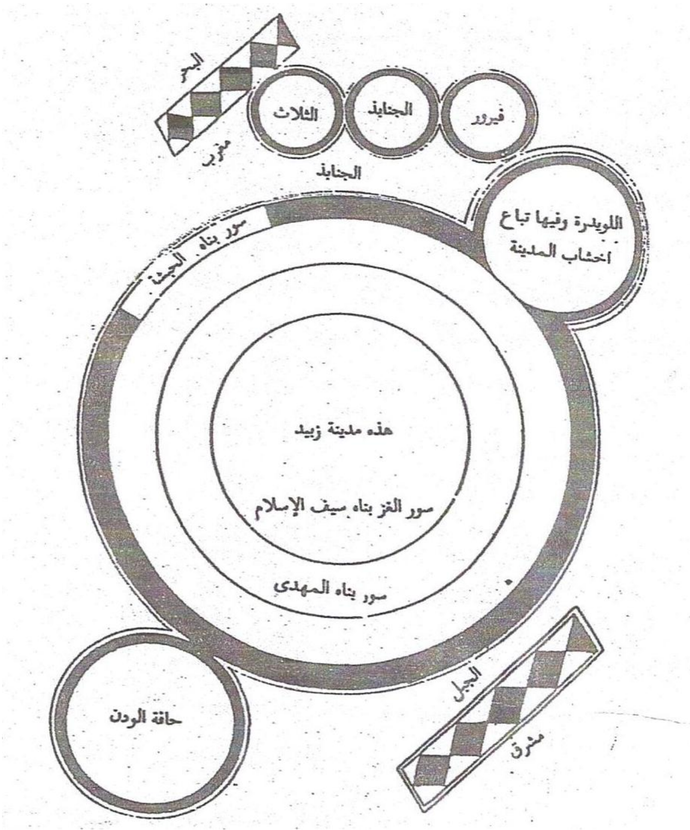
قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَصَلْتُ إِلَىٰ المَسْجِدِ فِي أَوَاخِرِ ذِي الحَجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ

---

(١) وَرَوْضَتُهُ المَسْجِدُ النَّبَوِيُّ لَا يُطَافُ بِهَا، وَإِنَّمَا يُصَلَّىٰ فِيهَا، وَالصَّلَاةُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي بَاقِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ مَا عَدَا فِي الفَرِيضَةِ، فَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ الصَّلَاةُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الرَّوْضَةِ، وَدَلِيلُ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي الرَّوْضَةِ قَوْلُهُ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجَاءَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ. وَشَاهَدْتُ مَقْتَلَ[١] الصُّلَيْحِيِّ، وَكَانَ قَدْ بُنِيَ عَلَىٰ أَكَمَةٍ كَانَ بِالقُرْبِ مِنْهُ مَسْجِدٌ يُسَمَّىٰ مَسْجِدَ عَرَفَاتٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ المَسْجِدِ إِلَّا رُسُومٌ وَأَطْلَالٌ، وَجَمِيعُ تِلْكَ الأَرَاضِي الَّتِي هِيَ حَوْلَ المَسْجِدِ مِلْكُ القَاضِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ الحَاكِمِ بِالمَهْجَمِ[٢].

وَهَذِهِ صِفَةُ مَدِينَةِ زَبِيدٍ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ:



(١) أَيْ: مَكَانَ مَقْتَلِهِ، أَمَّا قَتْلُهُ فَقَدْ كَانَ سَنَةَ (٤٥٩هـ) كَمَا فِي «المُفِيدِ» (ص١١٠).

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

صِفَةُ دَارِ شِحَارِ[(١)] بْنِ جَعْفَرٍ

لَمَّا أَقَامَ ابْنُ زِيَادٍ فِي زَبِيدٍ بَنَىٰ شِحَارُ[(٢)] بْنُ جَعْفَرٍ دَارَ المُلْكِ فِي زَبِيدٍ ذَاتَ طُولٍ وَعَرْضٍ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ بِنَاءً وَثِيقًا[(٣)] عَلَىٰ مَقَاطِعِ الطَّرِيقِ، وَكُلُّ مَنْ تَوَلَّىٰ بِزَبِيدٍ سَكَنَهَا، وَكَانَ لَهُ بَابٌ عَالٍ بِالمَرَّةِ يَنْظُرُونَ مِنْهِ مَنْ فِي الطَّرِيقِ عَلَىٰ فَرْسَخَيْنِ، وَحُفِرَ حَوْلَهُ خَنْدَقٌ عَظِيمٌ عَرِيضٌ، وَبَقِيَ البَابُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ هَدَمَهُ المَسْعُودُ يُوسُفُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ [(٤)] سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سَعَىٰ فِي هَدْمِهِ الأَمِيرُ أَيْبَكُ العَزِيزِيُّ، فَلَمَّا هَدَمَهُ أَخَذَ آجُرَّهُ وَبَنَىٰ بِهِ دُورًا، وَكُلُّ مَا بُنِيَ مِنْ آجُرِّهِ انْقَطَعَ ذَلِكَ البِنَاءُ مِنَ الأَسَاسِ، وَقَدْ بَقِيَ إِلَىٰ الآنَ آثَارُ ذَلِكَ البَابِ وَالدَّرَجَةِ شِبْه الجَبَلِ العَالِي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) وَقَعَ هُنَا عِنْدَ المُصَنِّفِ «شِخَار» بِالخَاءِ، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ كَمَا فِي «المُفِيدِ» (ص١٠٦) فِي الكَلَامِ عَلَىٰ «دَارِ شِحَار»، وَهُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ الجَنَدِيِّ فِي «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٤٨٨)، وَكَذلِكَ فِي «قُرَّةُ العُيُونِ» (ص٢١٨).

(٢) هُوَ شِحَارُ بْنُ جَعْفَرٍ مَوْلَىٰ ابْنِ زِيَادٍ. «المُفِيدُ» (ص١٠٦).

(٣) قَالَ عُمَارَةُ فِي «المُفِيدِ» (ص١٠٦) عَنْ هَذِهِ الدَّارِ: لَا تَكَادُ هِمَّةُ الخَرَابِ أَنْ تَرْقَىٰ إِلَيْهَا وَلَا يَقْدِرُ سُلْطَانُ الفَسَادِ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا.

(٤) يُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (١/ ٣٥٨) لِلْجَنَدِيِّ، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٥/ ١٢٠).

ذِكْرُ انْقِطَاعِ العَرَبِ مِنْ تِهَامَةَ(١)

لَمَّا كَثُرَ نُزُولُ العَرَبِ بِهَا قَامَ القَائِدُ رَيْحَانُ الكَهْلَانِيُّ، مُولَىٰ سَعِيدِ بْنِ نَجَاحٍ كَبَسَ العَرَبَ لَيْلًا وَهُمْ مُرَتِّبُونَ عَلَىٰ بَابِ زَبِيدٍ وَكَانُوا فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَعَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا اليَسِيرُ، وَهَلَكَ البَاقُونَ، فَسَلَّمَ العَرَبُ تِهَامَةَ بَعْدَهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

(١) تِهَامَةُ: هِيَ الأَرَاضِي السَّاحِلِيَّةُ المُطِلَّةُ عَلَىٰ البَحْرِ الأَحْمَرِ، قِيلَ: إِنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانْخِفَاضِ أَرْضِهَا وَشِدَّةِ حَرَارَتِهَا، وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مُدُنِ تِهَامَةَ الغَرْبِيَّةِ مَدِينَةُ «الحُدَيْدَةِ»، وَ«زَبِيدٌ»، وَ«المَخَا»، وَ«بَيْتُ الفَقِيهِ»، وَ«اللُّحَيَّةُ»، وَ«مَوْزَعُ»، وَغَيْرُهَا مِنَ المَنَاطِقِ الَّتِي تَسْكُنُهَا قَبِيلَةُ الأَشَاعِرِ وَعَكٌّ وَالأَصَابِحُ وَبَنُو مَجِيدٍ وَجَمِيعُ تَفَرُّعَاتِهَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٤٣).

ذِكْرُ النَّخْلِ

أَوَّلُ مَنْ غَرَسَ النَّخْلَ الأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ، وَيُقَالُ: الحَبَشَةُ فِي أَوَّلِ دَوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ المَهْدِيِّ، لَمَّا حَضَرُوا الحَبَشَة وَصَلَتْ عِيرٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ حِمْلُهُمُ التَّمْرُ فَكَانُوا يَأْكُلُونَ التَّمْرَ وَيَرْمُونَ النَّوَىٰ، فَمِنْ نَدَاوَةِ الأَرْضِ طَلَعَ النَّخْلُ، فَلَمَّا رَأَتْ أَهْلُ البِلَادِ ذَلِكَ وَعَرَفُوا غَرْسَهُ غَرَسُوهُ وَكَثُرَ النَّخْلُ، وَهُوَ عَشْرُ قِطَعٍ: الأَبْيَضُ وَالكُدَيْحَا وَالمَجْرَشِيَّةُ وَالمَحَلَّةُ وَالأَثِيلُ وَالمَجَازِعُ وَكَرْوَةُ وَالمَحْجَرُ وَالقُهَيْرَا وَالمَغَارِسُ وَحَجْنَةُ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ القِطَعِ يَكُونُ عَرْضُهَا وَطُولُهَا رُبُعَ فَرْسَخٍ، وَأَمَّا الرُّطَبُ الَّذِي بِهَا فَثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: حَمَارِيٌّ وَصَفَارِيٌّ وَخَضَارِيٌّ، كُلُّهَا ذَاتُ أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَإِذَا حَمَلَ النَّخْلُ يَتَقَبَّلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ قَدْرِهِ، وَيَجِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بَابِ حَرَضَ إِلَىٰ آخِرِ أَعْمَالِ أَبْيَنَ وَيَنْزِلُ أَهْلُ الجِبَالِ إِلَىٰ تِهَامَةَ، وَكَمْ مِنَ امْرَأَةٍ تُطَلَّقُ مِنْ جِهَةِ النَّخْلِ، وَكَمْ تُنْكَحُ امْرَأَةٌ مِنْ جِهَةِ النَّخْلِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

هَـــــذَا الشَّـــــقَحَ وَاللَّقَــــحْ ... وَالطَّلْــعُ مِنْــهُ قَــدِ افْتَــتَحْ[1]

يَـــا غَـــــازِلَاتِ اغْزِلُــــوا ... فَالنَّخْـــلُ قَـــدْ صَـــارَ بَلَـــحْ

---

(١) الشَّقَحُ: هُوَ تَغَيُّرُ البَشَرَةِ إِلَىٰ الحُمْرَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ شَقْحَةٌ وَقَدْ أَشْقَحَ النَّخْلُ. «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» (٤/ ٢٣).

وَقَالَ آخَرُ:

مَـــنْ عَـــرَفَ النَّخْـــلَ وَالقَبَالَـــهْ أَمْسَـــىٰ وَفِـــي قَلْبِـــهِ ذِبَالَـــهْ[(١)]

وَعَـــاشَ فِيـــهِ مُعَـــاشَ سُـــوءٍ وَنَالَـــهُ الـــدَّيْنُ لَا مَحَالَـــهْ

وَيُقِيمُونَ النَّاسُ فِي النَّخْلِ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَيَكُونُ غَالِبُ أَكْلِهِمُ الحُمُوضَاتِ وَالمُلُوحَاتِ، وَهُمْ فِي لَعِبٍ وَضَحِكٍ وَشُرْبٍ، وَيُعْمَلُ مِنَ التَّمْرِ وَالبُرِّ وَالرُّطَبِ نَبِيذٌ يُسَمَّىٰ الفَضِيخَ يَصِحُّ عَمَلُهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَشْرَبُ النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَنْفَعُ، لَكِنَّ مَضَرَّتَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ[(٢)]، وَأَوَّلُ مَنْ عَمِلَهُ فِي هَذِهِ البِلَادِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ[(٣)]، وَيَحْصُلُ مِنْهُ كُلَّ عَامٍ تِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ غَيْرَ الَّذِي يَصِلُ إِلَىٰ الخِزَانَةِ وَعُمَّالِ السُّلْطَانِ وَنُوَّابِ الدِّيوَانِ، وَغَيْرَ النَّخِيلِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالأَوْقَافِ، وَغَيْرَ الَّذِي لِأَرْبَابِ الجَاهَاتِ وَأَصْحَابِ الدَّوْلَةِ، يَصِحُّ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ ضَمَانُهُ فِي دَوْلَةِ الحَبَشَةِ وَأَيَّامِ بَنِي المَهْدِيِّ كُلَّ عَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَا يَأْخُذُونَهُ نَقْدًا، بَلْ تَمْرًا، وَيَخْرُجُ حِوَالَاتٍ وَالصَّرْفُ ثَلَاثَةُ جُوَّزٍ دِرْهَمٍ، وَكُلُّ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ دِينَارٌ، وَكُلُّ أَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ وَنِصْفٍ بِدِينَارٍ أَحْمَرَ.

وَمَا رَجَعَ خَرَاجُ النَّخْلِ كَذَا إِلَّا أَنَّ سَيْفَ الإِسْلَامِ أَوْصَىٰ طُغْتِكِينَ بْنَ أَيُّوبَ

---

(١) القَبَالَةُ بِالفَتْحِ: اسْمٌ لِلْمَكْتُوبِ لِمَا يَلْتَزِمُهُ الإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ وَدَيْنٍ وَغَيْرِهِمَا، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَالكِتَابُ القَبَالَةُ -بِالفَتْحِ- وَالعَمَلُ قِبَالَةٌ بِالكَسْرِ؛ لِأَنَّهُ صِنَاعَةٌ. «التَّوْقِيفُ عَلَىٰ مُهِمَّاتِ التَّعَارِيفِ» (ص٥٧٠).

(٢) يُنْظَرُ: «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٢٠/ ٢٦٤ - ٢٦٥) و(١٠/ ١١٠ - ١١٢).

(٣) يَعْنِي: شَامَ اليَمَنِ.

بِالعَدْلِ عَلَىٰ أَهْلِ الحَرْثِ، وَالظُّلْمِ عَلَىٰ أَهْلِ النَّخْلِ، فَهُوَ الَّذِي ابْتَدَىٰ بِهِمْ مِنْ عَهْدِهِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ الفَلَّاحَ يَحْرُثُ وَيَسْقِي وَيَبْذُرُ وَيَحْصُدُ وَيَعْزِقُ(١) وَيَذْرِي فِي الهَوَاءِ وَيَجِدُ مَشَقَّةً عَظِيمَةً، فَالوَاجِبُ أَنْ يُرْفَقَ بِهِمْ، وَأَصْحَابُ(٢) النَّخْلِ فَإِنَّهُمْ يَجْنُونَ الثَّمَرَ مِنَ العَامِ إِلَىٰ العَامِ بِلَا عَنَاءٍ وَلَا تَعَبٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾(٣)، وَكُلُّ نَخْلٍ يَهْرُبُ مِنْهُ صَاحِبُهُ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ عَلَىٰ كِيسِهِ بِالخَرَاجِ الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ، وَكُلُّ نَخْلٍ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ يُسَمَّىٰ الصَّوَافِيَ، أَيْ يَصْفَىٰ(٤) لِبَيْتِ المَالِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَبَلَغَ مَالُ النَّخْلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَة مِائَةً وَعَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ نَقْدًا غَيْرَ مَا حُمِلَ إِلَىٰ الخِزَانَةِ، وَفِي هَذَا العَامِ قَالُوا أَهْلُ زَبِيدٍ:

مَا شَاءَ النَّخْلُ وَلَا شَاءَ زَبِيْدٌ ... يَعْلَقُ بِالْمُلَيْمَةِ وَيَضْرِبُ بِالجَرِيْدِ

وَمَا اسْتَخْلَصَ هَذَا المَالَ إِلَّا الأَمِيرُ الوَالِي الصَّارِمُ يَابِسٌ الكَامِلِيُّ، كَانَ مَنْ وَزَنَ قَبَالَةً وَزَنَ مِثْلَهُ مُضَاعَفًا(٥)، فَإِذَا فَرَغَ النَّخْلُ خَرَجَ الصِّغَارُ مَعَ الكِبَارِ وَالأَخْيَارِ مَعَ الفُجَّارِ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ بَعْدَ مَا يُلْبِسُونَ جَمَلًا عُدَّةً تَامَّةً مِنَ الأَجْرَاسِ وَالقَلَاقِلِ وَيُشَدُّ فِي رَقَبَتِهِ المَقَانِعُ وَالحُلِيُّ، وَيَرْكَبُ كُلُّ أَرْبَعَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ جَمَلٍ، وَنَاسٌ

---

(١) العَزْقُ: هُوَ شَقُّ الأَرْضِ، وَالأَدَاةُ الَّتِي يُشَقُّ بِهَا تُسَمَّىٰ مِعْزَقَةً. «النِّهَايَةُ» (٢/ ١٢٠١).

(٢) أَيْ: وَأَمَّا أَصْحَابُ النَّخْلِ.

(٣) [ق: آيَة: ١٠].

(٤) أَيْ: يَبْقَىٰ.

(٥) كَذَا هُوَ فِي المَخْطُوطِ: (مَنْ وَزَنَ قَبَالَةً وَزَنَ مِثْلَهُ مُضَاعَفًا).

مِنْهُمْ عَلَىٰ الشَّقَادِفِ، يَمْشُونَ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مُشْرِفٍ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَالمَوْضِعُ مَوْضِعٌ مُبَارَكٌ فِيهِ وَطْئَةُ نَاقَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَثَرُ كَلْكَلِهَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ اليَمَنِ إِلَىٰ الحِجَازِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَبَرَ عَلَىٰ هَذِهِ البِلَادِ وَالسَّوَاحِلِ، وَيُسَمَّىٰ هَذَا المَوْضِعُ الفَازَّةَ(١)، أَعْنِي الَّذِي يَتَبَحَّرُونَ(٢) فِيهِ، وَيَنْزِلُ فِيهِ النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ فِي البَحْرِ خُلَيْطَ مُلَيْطَ وَهُمْ فِي شُرْبٍ وَلَعِبٍ وَرَقْصٍ وَقَصْفٍ وَزَائِدٍ وَنَاقِصٍ، وَمَا يُخْرَجُ إِلَىٰ هَذِهِ الأَمَاكِنِ إِلَّا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَيْنِ: يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، وَإِذَا رَجَعُوا مِنْ هُنَالِكَ دَخَلُوا البَلَدَ رَأْسًا وَاحِدًا.

* * *

(١) الفَازَّةُ: بِفَتْحِ الفَاءِ وَتَشْدِيدِ الزَّايِ، مَرْسَىٰ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ «زَبِيدٍ» بِمَسَافَةِ (٢٥) كِيلُو، وَهُوَ مُتَنَزَّهٌ جَمِيلٌ يَشْتَهِرُ بِنَظَافَةِ سَاحِلِهِ وَتُرْبَتِهِ الصَّالِحَةِ لِلزِّرَاعَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٢٠١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٠).

(٢) أَيْ: يَتَسَبَّحُونَ.

ذِكْرُ شَجَرِ الكَاذِي

هُوَ شَجَرٌ يَطْلُعُ فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[١] يُشْبِهُ النَّخْلَ، وَهُوَ وَرْدٌ عَلَىٰ هَيْئَةِ الصَّبْرَةِ الَّتِي تُزْرَعُ فِي العِرَاقِ وَالهِنْدِ فِي المَرَاكِزِ فِي سُطُوحِ الدُّرُوبِ، وَلَكِنْ وَرَقُ الكَاذِي رَقِيقٌ شِبْهُ خُوصِ النَّخْلِ ذَاتُ شَوْكٍ خَشِنٍ، لَمْ يَنْعَقِدْ وَرْدُهُ إِلَّا مِنْ بَرْقِ البَرْقِ، فَإِذَا بَرِقَ البَرْقُ طَلَعَ مِنْهُ كَثِيرٌ بِالمَرَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ البَرْقُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ[٢]﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]. وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَدِلُّ عَلَىٰ إِقْلِيمِ الجَاوَةِ مُسَافِرُو البَحْرِ إِلَّا بِكَثْرَةِ لَمْعِ البَرْقِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي أَيَّامِ مَوْسِمِ سَفَّارَةِ الجَاوَةِ الأَمْطَار كَثِيرَة، وَيَسْتَدُّ الأُفُقُ بِالغَمَامِ وَيَشْتَدُّ هَيَجَانُ البَحْرِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ يَطْلُعُ فِي تِلْكَ الأَعْمَالِ شَجَرُ السَّنْدَرُوسِ كَثِيرًا، فَإِذَا جَرَىٰ السَّنْدُرُوسُ[٤] مِنْ شَجَرِهِ بَانَ لِأَهْلِ السفَّارَةِ البَحْرُ كَلَمْعِ البَرْقِ، وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ

---

(١) وَهَذَا المَسْجِدُ الَّذِي يُرِيدُهُ المُصَنِّفُ هُوَ فِي زَبِيدٍ؛ لِأَنَّ الكَلَامَ هُنَا مَا زَالَ عَنْ «زَبِيدٍ»، وَلَعَلَّهُ مَا ذَكَرَهُ الحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَطيُوطُ فِي «تَارِيخِهِ» (ص٢١٧) قَالَ: «مَسْجِدُ مُعَاذٍ الَّذِي شَرْقِيَّ وَادِي زَبِيدٍ...».

(٢) بَلْ هَذَا مِنَ الخُزَعْبَلَاتِ، وَالكَاذِي مَا زَالَ يُزْرَعُ فِي اليَمَنِ وَجَنُوبِ المَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ، وَمَا قَالَ أَحَدٌ بِهَذَا، وَإِنَّمَا يُسْقَىٰ الكَاذِي بِالمَاءِ فَقَطْ، وَإِذَا قُطِعَ مِنْهُ عُودٌ وَغُرِزَ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَيَامٍ يَنْبُتُ، هَذَا هُوَ الكَاذِي وَلَا دَخْلَ لِلْبَرْقِ فِي ذَلِكَ بَرَقَ أَوْ لَمْ يُبْرِقْ.

(٣) [النَّحْل: آيَة: ٨].

(٤) السَّنْدُرُوسُ: شَجَرٌ مِنْ رُتْبَةِ المَخْرُوطِيَّاتِ، يُجْلَبُ مِنْ نَوَاحِي أَرْمِينِيَّةَ، يُتَدَاوَىٰ بِهِ. «المُعْجَمُ =

الأَمْوَاجِ الَّتِي تَرْفَعُ المَرْكِبَ وَتَهْبِطُهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الكَاذِيَ يَتَرَبَّىٰ مِنَ البَرْقِ، وَكَذَلِكَ الحَنُّونُ لَمْ يُفْتَحْ إِلَّا فِي اللَّيَالِي البِيضِ، وَالخِيَارُ يَدُورُ مَعَ دَوْرِ الشَّمْسِ وَاللِّينُوفَر، وَيَزِيدُ مَدُّ البَحْرِ فِي اللَّيَالِي المُظْلِمَةِ، وَكُلُّ خَشَبٍ تقْطَعُ فِي لَيَالِي البِيضِ يُسَوِّسُ، وَكُلُّ خَشَبٍ يُقْطَعُ فِي نَقْصِ القَمَرِ يُتْلِفُهُ السُّوسُ، وَلَمْ يقْطَعِ الطَّوَاحِينُ إِلَّا فِي اللَّيَالِي البِيضِ، وَيَنْقَطِعُ جَمِيعُ مِيَاهِ الأَرْضِ عِنْدَ طُلُوعِ سُهَيْلٍ، وَلَمْ تَصِحَّ دِبَاغَةُ الأَدَمِ إِلَّا بِهِ، وَقَالَ رُبَّانُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا طَلَعَ سُهَيْلٌ نَقَصَ مَاءُ البَحْرِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا.

وَأَمَّا وَرْدُ الكَاذِي فَلَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ المَشْمُومَاتِ أَلَذُّ مِنْهُ رَائِحَةً وَلَا أَطْيَبُ مِنْهُ، وَمَاؤُهُ بَارِدٌ يَابِسٌ، يَنْفَعُ لِمَنْ هُوَ مَحْرُورٌ رَطبٌ، وَيُسَمَّىٰ عِنْدَ الهُنُودِ كيُورَا.

* * *

=

الوَسِيطُ» (ص٤٧٢).

صِفَةُ زَبِيدٍ

سَمَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ أَرْضَ الحُصَيْبِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: **يَا مُعَاذُ، إِذَا وَصَلْتَ أَرْضَ الحُصَيْبِ فَهَرْوِلْ، فَإِنَّ بِهَا نِسَاءً يُشْبِهْنَ حُورَ العِينِ**(١).

قَالَ الهبيتِيُّ:

وَقُلْ لِجُنَاتِهَا سَأُبْدِلُهَا ... سَيْلًا كَسَيْلِ مَأْرِبٍ عَرِمَا

أَيُشْرَبُ الخَمْرُ فِي رُبَا عَدَنٍ ... والسُّمْرُ وَالبِيضُ فِي الحُصَيْبِ ظِمَا

وَلَهُ أَيْضًا:

وَلَرُبَّ يَوْمٍ بِالحُصَيْبِ وَرَدْتُهَا ... بَالقُطْبِ كَانَ عَلَىٰ الأَعَاجِمِ أَكْرَهُ

وَعَوَاصِفٌ بِحُصِيبَةٍ عَصَفَتْ عَلَىٰ ... حُبْشَانِهَا وَعَلَىٰ الدَّعِيِّ الوَهْوَهُ

وَلِابْنِ المُجَاوِرِ:

مُحِبٌّ وَمَحْبُوبٌ قَضَىٰ الدَّهْرُ فِيهِمَا ... بِبُعْدٍ وَهَلْ لِلشَّمْلِ جَمْعٌ مُهَذَّبُ

فَهَا ذَاكَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ مُوَسْوِس ... وَهَذَاكَ فِي أَرْضِ الحُصَيْبِ مُعَذَّبُ

---

(١) هَذَا الحَدِيثُ لَا يَثْبُتُ عَنْهُ ﷺ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ السَّخَاوِيُّ فِي «المَقَاصِدِ الحَسَنَةِ» بِرَقْمِ (٥٧) وَقَالَ: «لَا أَعْرِفُهُ»، وَأَوْرَدَهُ المُلَّا القَارِي فِي «الأَسْرَارُ المَرْفُوعَةُ فِي الأَخْبَارِ المَوْضُوعَةِ» بِرَقْمِ (٢٣) وَقَالَ: «وَقَالَ المُنُوفِيُّ: بَلِ الحُكْمُ عَلَيْهِ بِالوَضْعِ ظَاهِرٌ».

وَتُسَمَّىٰ أَرْضُهَا تِهَامَةَ، وَأَمَّا تِهَامَةُ فَإِنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ اليَمَنِ وَهِيَ جِبَالٌ مُشْتَبَكَةٌ، وَكُلُّهَا مُشْرِفٌ عَلَىٰ بَحْرِ القُلْزُمِ[(١)] مِمَّا يَلِي غَرْبِيَّهَا، وَشَرْقِيَّهَا بِنَاحِيَةِ صَعْدَةَ وَحَرَضَ وَنَجْرَانَ، وَشَمَالِيَّهَا حُدُودُ مَكَّةَ، وَجَنُوبِيَّهَا مِنْ صَنْعَاءَ عَلَىٰ نَحْوِ عَشْرِ مَرَاحِلَ، وَتُسَمَّىٰ فِي عَدَنَ الشَّامَ، وَتُسَمَّىٰ فِي المَهْجَمِ اليَمَنَ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ آلِ عِمْرَانَ كُوشَ، وَتُسَمَّىٰ بِاللُّغَةِ المَعْرُوفَةِ زَبِيد، مِنْ إِقْلِيمِ اليَمَنِ لِأَنَّهَا أَيْمَنُ القِبْلَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ»[(٢)]، وَالمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ لِأُوَيْسٍ القَرَنِيِّ[(٣)] وَكَانَ يَتَنَفَّسُ شَوْقًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِأَجْلِ هَذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الخَبَرِ[(٤)].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الكَعْبَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالرُّكْنُ الأَيْمَنُ يَمَانِيٌّ، وَالإِيمَانُ يَمَانِيٌّ»[(٥)].

---

(١) أَيِ: البَحْرِ الأَحْمَرِ.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢/ ٥٤٠) وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُنْظَرُ تَخْرِيجُهُ مِنْ «سِلْسِلَةِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» بِرَقْمِ (٣٣٦٧).

(٣) قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ كَمَا فِي «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٦/ ٣٩٨): «وَمَنْ خَصَّ ذَلِكَ بِأُوَيْسٍ فَقَدْ أَبْعَدَ».

(٤) قَالَ البَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (١٤/ ٢٠٢): «قِيلَ: عَنَىٰ بِهِ الأَنْصَارَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ نَفَّسَ الكَرْبَ عَنِ المُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَهُمْ يَمَانُونَ». اهـ.
وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: «وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَفَتَحُوا الأَمْصَارَ، فَبِهِمْ نَفَّسَ الرَّحْمَنُ عَنِ المُؤْمِنِينَ الكُرُبَاتِ». «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٦/ ٣٩٨).

(٥) لَمْ أَقِفْ عَلَىٰ هَذَا اللَّفْظِ.

وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَعْنَىٰ اليَمَنِ أَخْبَارًا كَثِيرَةً[١]، وَيُقَالُ: سُهَيْلُ اليَمَنِ وَجَزْعُ اليَمَنِ وَعَقِيقُ اليَمَنِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

بَعُدْتَ وَرَبِّ العَرْشِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ ... هَوَاكَ عِرَاقِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

وَقَالَ آخَرُ:

قَالَتْ لِأُخْتٍ لَهَا تُبْدِي مُرَاجَعَةً ... وَمَا أَرَادَتْ بِهَا إِلَّا لِتُقْلِقَنِي

بِاللهِ قُولِي لَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ المُكْثِ فِي اليَمَنِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَمَا غَرِيبٌ وَإِنْ أَبْدَىٰ تَجَلُّدَهُ ... إِلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَا[٢]

إِلَّا العِرَاقِيُّ وَالمِصْرِي فَإِنَّهُمَا ... لَا يَرْجِعَانِ إِذَا مَا شَارَفَا اليَمَنَا

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ المُلَوَّحِ العَامِرِيُّ:

أَلَا لَا أُحِبُّ النَّشْرَ إِلَّا مُصَاعِدًا ... وَلَا البَرْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَمَانِيَا[٣]

وَقَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ:

كرا من بر اين همي نبستم ... جرا ديده أم چون عدن

---

(١) وَيُنْظَرُ كِتَابُ: «القَوْلُ الحَسَنُ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ اليَمَنِ» لِمُؤَلِّفِهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعْكَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) هَذَا البَيْتُ أَوْرَدَهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي «اللَّطَائِفِ وَالظَّرَائِفِ» (ص٢٣١) ط. «دَارِ المَنَاهِلِ»، وَالمُسْتَعْصِمِيُّ فِي «الدُّرِّ الفَرِيدِ وَالبَيْتِ القَصِيدِ» (٦/ ٤٤٧) ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

(٣) كَذَا فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ: «النَّشْرَ» وَالمَعْرُوفُ:

أَلَا لَا أُرِيدُ السَّيْرَ إِلَّا مُصَاعِدًا...» كَمَا فِي «الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيْتِ القَصِيدِ» (٧/ ٢٥٤).

آه ابـــن آدم بســـوزد هرچـــه هســـت   وآه واهُ ويلـــىٰ مـــخ اردان ســـمن

وَظَاهِرُ هَذِهِ البَلَدِ حَارٌّ وَبَاطِنُهَا بَارِدٌ يَابِسٌ وَجَوُّهَا مُضِرٌّ بِالزَّعْفَرَانِ؛ لِأَنَّهُ يُسَوِّسُ فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ، وَالأَصَحُّ أَنَّ الزَّعْفَرَانَ يَرْجِعُ يَابِسًا مِنْ ذَاتِهِ إِذَا فُتِحَ رَأْسُ الكِيسِ طَارَ اليَابِسُ فِي الجَوِّ وَهُوَ الزَّعْفَرَانُ وَالجَسَدُ لَا يَزَالُ يَحُولُ إِلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ تُرَابَ تَارِبٍ، وَمَاءُ البَلَدِ مِنَ الآبَارِ، وَأَهْلُهَا سُمْرٌ كُحْلٌ كَوَاسِجُ ضِعَافُ التَّرْكِيبِ مُحَلِّقِينَ الرُّءُوسَ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ المَغْرِبِ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَالحَبَشَةُ وَالبجَاةُ، لَمْ يَحْلِقِ المَرْءُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ يَقْتُلَ إِنْسَانًا، وَنِسَاءُ الزِّنْجبَارِ وَالجَوَارِ الزُّنُوجُ وَأَهْلُ خُوَارِزْمَ وَشَعْشَعِينُ وَبُلْغَارُ وَبِقَابَهْ وَاللَّابُ وَالدبَالِيَّه، وَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ القُضَاةِ مِنْهُمْ وَالصُّوفِيَّةُ وَالأَئِمَّةُ وَالعَامَّةُ كَبَعْضِ الحُجَاجِ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[1]، وَالأَطْفَالُ وَاليَهُودُ وَحُجَّاجُ الهُنُودِ وَجَمِيعُ أَعْمَالِ اليَمَنِ مِنْ أَهْلِ الجِبَالِ وَالتَّهَائِمِ، وَنِسَاؤُهُمْ خَلِقَاتٌ وَهُنَّ رَخْوَاتُ التِّكَكِ، وَفِي كَلَامِهِمْ كُثْرُ غَنْجٍ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ شَهْوَةَ نِسَائِهِمْ أَغْلَبُ مِنْ شَهْوَةِ رِجَالِهِمْ، فَلِذَلِكَ يَسْتَعْمِلُونَ الطِّيبَ لِأَنَّهُ يُهَيِّجُ البَاهَ[2].

وَقَالَ مَكْحُولٌ الشَّأْمِيُّ: «عَلَيْكُمْ بِالطِّيبِ فَإِنَّهُ مَنْ طَابَ رِيحُهُ زَادَ عَقْلُهُ، وَمَنْ نَظُفَ ثَوْبُهُ قَلَّ هَمُّهُ»[3]، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا لَمَا اخْتَرْتُ

---

(١) [الفَتْح: آيَة: ٢٧].

(٢) البَاهُ، وَالبَاءُ، وَالبَاءَةُ، وَالبَاهَةُ: كُلُّهُ النِّكَاحُ.

(٣) رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ مُسْنَدًا إِلَىٰ مَكْحُولٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «الطِّبُّ النَّبَوِيُّ» بِرَقْمِ (٢٠٥).

عَلَىٰ العِطْرِ شَيْئًا، إِنْ فَاتَنِي رِبْحُهُ لَمْ يَفُتْنِي رِيحُهُ»(١).

وَنِسَاءُ أَهْلِ هَذِهِ البِلَادِ لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ المَهْرَ، وَأَخْذُ المَهْرِ عِنْدَهُمْ عَيْبٌ عَظِيمٌ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَأْخُذُ المَهْرَ مِنْ زَوْجِهَا يُسَمُّونَهَا مَفْرُوكَةً، أَيْ إِنَّ زَوْجَهَا أَعْطَاهَا مَهْرَهَا وَفَرَكَهَا، أَيْ طَلَّقَهَا، فَإِذَا رَجَعَ الأَمْرُ إِلَىٰ ذَلِكَ تَقِلُّ رَغْبَةُ الرِّجَالِ فِيهَا لِأَنَّ الزَّوْجَ الآتِيَ يَقُولُ: أَخَافُ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي المَهْرَ كَمَا أَخَذَتْ مِنْ غَيْرِي، وَقَدْ لَا يَكُونُ لِلرَّجُلِ طَاعَةٌ فِي أَدَاءِ المَهْرِ، وَتَقُولُ النِّسْوَةُ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: إِنْ مَا قَدَرَ زَوْجُهَا يُخْرِجُهَا مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا بِمَهْرِهَا لِقِلَّةِ رَغْبَتِهِ فِيهَا، فَيَرْكَبُهَا العَارُ.

فَإِذَا أَرَادَ رَجُلٌ يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً يجُون نِسَاءُ الحَافَةِ(٢) بِلَا مَخَافَةٍ إِلَىٰ المَرْأَةِ وَيَقُلْنَ لَهَا: افْرَكِي زَوْجَكِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَكَكِ، أَيْ: هِبِي لَهُ المَهْرَ وَاخْرُجِي قَبْلَ أَنْ يَزِنَ المَهْرَ وَيُخْرِجَكِ، وَيَفْعَلُونَ الطَّرْحَ فِي الأَفْرَاحِ وَالأَعْرَاسِ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ مَكَّةَ.

فَإِذَا أَعْطَتِ المَرْأَةُ فِي عُرْسٍ رُدَّ إِلَيْهَا فِي عُرْسٍ مِثْلِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي خِتَانٍ رُدَّ إِلَيْهَا فِي خِتَانٍ، وَإِنْ كَانَ فِي الوِلَادَةِ رُدَّ إِلَيْهَا فِي الوِلَادَةِ، وَلَمْ تَرُدَّ الشَّيْءَ إِلَّا فِي الوَجْهِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ وَفِيهِ بِعَيْنِهِ.

---

(١) ذَكَرَهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذِكْرًا الثَّعَالِبِيُّ فِي «التَّمْثِيلُ وَالمُحَاضَرَةُ» (ص٢٨٦)، وَالزَّمَخْشَرِيُّ فِي «رَبِيعُ الأَبْرَارِ وَنُصُوصُ الأَخْيَارِ» (٢/ ٣٩٩)، وَأَوْرَدَهُ مُسْنَدًا ابْنُ كَثِيرٍ فِي «مُسْنَدِ الفَارُوقِ» (٢/ ٧) بِرَقْمِ (٣٩٢): إِلَىٰ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذَكَرَهُ.

(٢) أَيْ: الحَيِّ أَوِ الحَارَةِ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: وَلَمْ تَفْسُدِ المَرْأَةُ فِي اليَمَنِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الطَّرْحِ، قُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَكُونُ لِلنِّسَاءِ عَلَيْهَا سَلَفٌ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا مَا تَقْضِي بِهِ الَّذِي عَلَيْهَا فَتَخْرُجُ عَلَىٰ وَجْهِهَا إِلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ فَتَهِيمُ فَتَحْتَاجُ فَتَكْتُبُ لَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَحْصُلَ لَهَا شَيْءٌ فَتَرُدَّ مَالَ النَّاسِ الَّذِي عَلَيْهَا، وَلَيْسَ يُقْبَلُ مِنْهَا يَمِينٌ وَلَا شَاهِدٌ إِلَّا (قَوْلُ المَرْأَةِ عَلَىٰ المَرْأَةِ مُصَدَّقٌ).

وَيَخْضِبُ الرِّجَالُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَطَبِيخُهُمُ المُلُوخِيَّةُ، وَمَأْكُولُهُمُ الدُّخْنُ وَالذُّرَةُ، وَيُعْمَلُ مِنْهُ الخَفُوشُ وَالكُبَانُ[١] وَاللَّحُوحُ وَالفَطِيرُ، يَأْكُلُونَهُ بِاللَّبَنِ، وَالسَّمَكُ وَيُسَمُّونَهُ المُلْتَحَ[٢]، وَالجُبْنُ وَالمَوْزُ وَالقَنْدُ[٣] وَالحَلِيبُ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَدِيثٌ سِوَىٰ الأَكْلِ، يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: مَا تَصَبَّحْتَ اليَوْمَ؟ يَقُولُ: فَطِيرُ دُخْنٍ وَقَطِيبٌ[٤]، أَوْ: مُلْتَحٌ وَسَلِيطٌ[٥]، وَيَقُولُ مُضَرُ لِجَعْفَرٍ: مَا تُعَوَّفْتَ؟[٦] يَقُولُ:

---

(١) الكُبَانُ: هُوَ أَيْضًا الخَفُوشُ، وَهُوَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَمَاكِنِ اليَمَنِ كُبَان، إِلَّا أَهْلَ زَبِيدٍ فَيُسَمُّونَهُ الخَفُوشَ.

(٢) المُلْتَحُ: هُوَ اللَّحُوحُ.

(٣) القَنْدُ: هُوَ عِنْدَ أَهْلِ «زَبِيدٍ» الجَزَرُ الأَحْمَرُ يُسَمُّونَهُ «القَنْدَ»، وَأَهْلُ الحُدَيْدَةِ يَقُولُونَ: «جَنْدَهْ» أَوْ «جَنْد»، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَىٰ حُثَالَةِ قَصَبِ السُّكَّرِ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ بَعْدَ عَصْرِهِ وَتَكُونُ نَاعِمَةً كَالْبُنِّ وَهِيَ طَعِيمَةٌ جِدًّا.

(٤) القَطِيبُ: هُوَ اللَّبَنُ الرَّائِبُ.

(٥) هُوَ زَيْتُ السِّمْسِمِ وَالجُلْجُلِ كِلَاهُمَا اسْمٌ لَهُ.

(٦) العُوَاف: هُوَ عِنْدَهُمْ وَجْبَةٌ بَيْنَ وَجْبَتَيْنِ، فَإِذَا أَفْطَرَ الإِنْسَانُ مَثَلًا ثُمَّ جَاءَ وَقْتُ الغَدَاءِ وَلَمْ يُجَهَّزْ يَأْكُلُ وَجْبَةً خَفِيفَةً، هَذِهِ الأَكْلَةُ يُقَالُ لَهَا: عُوَافٌ عِنْدَ أَهْلِ زَبِيدٍ، وَفِي بَعْضِ أَمَاكِنَ فِي اليَمَنِ العُوَافُ هُوَ مَا يُؤْكَلُ بَعْدَ العَصْرِ، وَالأَسْمَاءُ المُتَقَدِّمَةُ مِنَ الكُبَانِ وَغَيْرِهِ، أَفَادَنِي عَنْهَا شَيْخُنَا الأَدِيبُ الفَقِيهُ =

رَغِيفَ خُبْزِ بُرٍّ بِفِلْسٍ وَقِطْعَةَ حَلَاوَةٍ بِأَرْبَعَةِ فُلُوسٍ، فَصَارَ المَبْلَغُ سِتَّةَ فُلُوسٍ. وَيَقُولُ خَالِدٌ لِزَيْدٍ: إِنِّي أَكَلْتُ اليَوْمَ أَكْلَةً تَكْفِينِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَطِيرٌ وَحَلِيبٌ وَقَنْدٌ شَرْقِيٌّ وَتَرِفْتُ إِلَىٰ أَنْ شَبِعْتُ، وَفِي ذَلِكَ أَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ السَّنَوِيُّ يَقُولُ:

قُلْتُ يَوْمًا لِرِيمٍ[1] ذَاتِ إِعْجَابِ ... وَذَاتِ صَدْرٍ رَحِيبٍ ذَاتِ أَكْعَابِ

وَذَاتِ قَدٍّ رَشِيقٍ كَالقَضِيبِ إِذَا ... مَا مَادَ مِنْ فَوْقِ دَعْصِ الرَّمْلِ رِيَّابِ[2]

وَقَدْ أَشَارَتْ بِكَفٍّ وَهْيَ مُعْرِضَةٌ ... وَأَقْبَلَتْ مِثْلَ ظَبْيٍ بَيْنَ أَسْرَابِ

تُرِيدُ مِنِّي وِصَالًا؟ قُلْتُ: يَا سَكَنِي ... رِفْقًا عَلَيَّ فَإِنَّ الجُوعَ أَزْرَىٰ بِي

خُذِي الثَّرِيدَ إِذَا مَا جِئْتِ مُقْبِلَةً ... نَحْوِي وَلَا تَأْخُذِي مِسْكًا وَأَطْيَابِ

وَاسْتَعْمِلِي مِنْ فَطِيرِ الدُّخْنِ مَعْ لَبَنٍ ... وَصَابِحِينِي بِهِ صُبْحًا عَلَىٰ البَابِ

فَإِنَّ قَلْبِي إِلَىٰ حُبِّ الفَطِيرِ صَبَا ... وَلَيْسَ قَلْبِي إِلَىٰ حُبِّ النِّسَا صَابِي

وَفَوَاكِهُهُمُ البِطِّيخُ وَالمَوْزُ وَالعِنَبُ، وَالبِطِّيخُ يُسَمُّونَهُ البَرْطِيخَ، وَالقِثَّاءُ وَالخِيَارُ وَيَأْكُلُونَ بِطِّيخَ الدُّبَّاءِ مَشْوِيًّا فِي التَّنُّورِ، وَيُنَادَىٰ عَلَيْهِ: دُبَّاءُ حَبْ حَبْ، كَثِيرُ المَاءِ قَلِيلُ الحَبِّ، وَمَشْمُومُهُم البُعَيْثِرَانُ[3] وَهُوَ الشِّيحُ الأَبْيَضُ، وَثَمَرُ الحِنَّاءِ وَهُوَ الحَنُّونُ.

=

الشَّاعِرُ الدُّكْتُورُ حَسَنُ بْنُ مقْبُولِ الأَهْدَلُ ابْنُ تِهَامَةَ وَزَبِيدٍ سَلَّمَهُ اللهُ.

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «لِريم»، وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «لِرِئمٍ»، وَالمَعْنَىٰ وَاحِدٌ، فَالرِّيمُ وَالرِّئْمُ الظَّبْيُ.

(٢) الدَّعْصَ: هُوَ تَلٌّ مِنَ الرَّمْلِ.

(٣) وَإِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا يُسَمَّىٰ بِهَذَا الاِسْمِ، وَلَوْ كَتَبَ مُتَصَفِّحٌ هَذَا الاِسْمَ فِي مُحَرِّكِ البَحْثِ لِلنِّتِ لَظَهَرَ لَهُ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَأَوَّلُ مَا شَمَمْتُهُ بِمُولْتَانَ، وَذَلِكَ أَنَّ المَوْلَىٰ عِزَّ الدِّينِ شَمْسَ المُلْكِ مَلِكَ التُّجَّارِ يَحْيَىٰ بْنَ أَسْعَدَ البَلَدِيَّ نَاوَلَنِي ثَلَاث أَوْ أَرْبَعَ طَاقَاتٍ، وَمَا كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ وَلَا شَمَمْتُهُ، فَقَالَ لِي: مَا هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: ثَمَرُ الحِنَّاءِ، قَالَ: وَبِمَ عَرَفْتَهُ؟ قُلْتُ: لِثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: لِلَوْنِهِ وَرَائِحَتِهِ وَبُرُودَتِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

وَأَوَّلُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الدَّيْبُولِ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَخَاصِّيَّتُهُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَ زَيْدٍ شَمَّهُ عَمْرٌو[(١)]، وَالبَنَفْسَجُ[(٢)] لَمْ تَعْبِقْ رَائِحَتُهُ إِلَّا مَعَ الرِّجَالِ، وَلَمْ تَعْبِقْ رَوَائِحُ البَرَمِ إِلَّا مَعَ النِّسَاءِ، وَالحِبَاقُ، وَهُوَ الرَّيْحَانُ، وَيُسَمَّىٰ وَرْدَةَ الحَمَاحِمِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) يَعْنِي أَنَّ رَائِحَتَهُ فَوَّاحَةٌ.

(٢) البَنَفْسَجُ: نَبَاتٌ زَهْرِيٌّ مِنْ جِنْسِ «فيُولَا» مِنَ الفَصِيلَةِ البَنَفْسَجِيَّةِ، يُزْرَعُ لِلزِّينَةِ، وَأَزْهَارُهُ عَطِرَةُ الرَّائِحَةِ «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (ص٧٣).

وَأَسَامِي أَهْلِ هَذِهِ البِلَادِ

حنْكَاس، وَيَعْفُر، وَغَسْطِيط، وَزبَرْقَان، وَزُنْقُل، وَدَعْص، وَمَحْلَس، وَزُبَيْر، وَحَمْسِيس، وَعَطْعَط، وَدَعْدَع، وَترْبَاج[(١)]، وَجدِيْر، وَمَايس، وَشِقْدَاف، وَعَطْنُوط[(٢)]، وَدَعَّاس، وَبَلِيسه، وَمَطْعُون، وَمَطْحُون، وَمَحْمَطَة، وَفنْتَاص، وَطَلَلِي[(٣)]، وَصُلَيْعَة[(٤)]، وَسَنْدَع، وَقَبِيع، وَعَرْطَبِيع، وَتكمِي[(٥)]، وَجرْبَاح[(٦)]، وَقعص، وَتعْيَاب[(٧)]، وَسَحُّوا، وَرنْطَح[(٨)]، وَشُمَيْم[(٩)]، وَعبُور، وَمُبْدِع، وَالحَبُّوب، وَرَعِيَّة، وَخبيل، وَفخيم[(١٠)]، وَجحُوش، وَأَبْجَر، وَقُعَيْش، وَسَحْدَر،

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «ترباج».

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وعطنوط».

(٣) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وطللي».

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وصليعة».

(٥) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «تكمي».

(٦) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «جرباح» بِالبَاءِ بَعْدَ الرَّاءِ.

(٧) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «تعيَاب».

(٨) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «ورنطح».

(٩) كَذَا فِي «أ»: «شميم»، وَفِي «ب»: «شنميم».

(١٠) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «خبيل وفخيم».

وَفشْلِي، وَكسْكَاش، وَكَرْكَر، وَفَاوا، وَمَرْتِيب(١)، وَفَخْم، وَدَنْكَل، وَكُعْدُل، وَرلِينَا، وَكَلَيْبِي، وَرَقْرَق [وَتَفْدَمُون، وَدُعَيْب، وَسَالِب، وَكَدْلَان، وَسَنْقُون](٢).

وَيُقَدِّمُونَ أَهْلُ هَذِهِ البِلَادِ الهَاءَ عَلَىٰ الوَاوِ فِي هِجَاءِ حُرُوفِ المُعْجَمِ خِلَافَ جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا يُقَالُ: وَاو هَاء، وَهُوَ: هَاء وَاو.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ القَاضِي الرَّازِي قَالَ: سَمِعْتُ بِبَعْضِ البِلَادِ يُهَجُّونَ الصِّبْيَانَ عَلَىٰ هَذَا وَنُوَافِقُهُمْ عَلَىٰ هِجَائِهِمْ، وَمَا هِجَاؤُهُمْ إِلَّا أَصَحُّ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(٣). قَالَ: بَلْ هِجَاؤُنَا أَصَحُّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(٤).

وَغَالِبُ البَلَدِ عَلَىٰ مَذْهَبِ سِرَاجِ الأُمَّةِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الكُوفِيِّ التَّابِعِيِّ(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا يَقُومُ سُوقُ البَزِّ فِي هَذِهِ البَلْدَةِ إِلَّا وَقْتَ القَائِلَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ بَيْعُهُمْ عَلَىٰ العَشِيرَةِ، لِأَنَّ أَحَدَهُمْ يَدْخُلُ وَمَعَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ بَيْعَهُ، فَإِذَا بَاعَهُ وَحَصَّلَ ثَمَنَهُ يَكُونُ قَدْ قَارَبَ الظُّهْرَ وَيَتَغَدَّىٰ وَيَدْخُلُ السُّوقَ، وَكُلُّ أَرْبَابِ البُيُوتَاتِ حَكَّارِينَ الغِلَالَ مِثْلَ الدُّخْنِ وَالذُّرَةِ وَالجُلْجُلَانِ وَهُوَ السِّمْسِمُ.

---

(١) كَذَا فِي «أ»: «ومرتيب»، وَفِي «ب» غَيْرُ مَنْقُوطَةِ اليَاءِ وَالبَاءِ.

(٢) مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي المَطْبُوعِ، وَهُوَ مُثْبَتٌ فِي المَخْطُوطِ.

(٣) الإِخْلَاص.

(٤) [الأَنْعَام، آيَة: ٣].

(٥) أَكْثَرُ المُحَقِّقِينَ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَيُنْظَرُ: «سُؤَالَاتُ السَّهْمِيِّ لِلدَّارَقُطْنِيِّ» بِرَقْمِ (٤٢٨) وَ«سُؤَالَاتُ السُّلَمِيِّ لِلدَّارَقُطْنِيِّ» بِرَقْمِ (٤٣٢).

وَيَتَعَامَلُونَ الجُنْدَ العَشَرَةَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ إِلَىٰ مُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَقْتَ الغِلَالِ، وَتُكَالُ الغِلَالُ بِالمُدِّ، وَالمُدُّ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ ثُمْنًا. كُلُّ ثُمْنٍ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ زَبَدِيٍّ، كُلُّ زَبَدِيٍّ مَنٌّ، كُلُّ مَنٍّ رَطْلَانِ، كُلُّ رَطْلٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا، كُلُّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا، وَيَسْوَىٰ الدِّينَارُ المِصْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَنِصْفًا مَلَكِيًّا، وَالدِّينَارُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ، كُلُّ رُبُعٍ ثَلَاثَةُ جُوَز، كُلُّ جَائِزٍ ثَمَانِيَةُ فُلُوسٍ، كُلُّ فِلْسٍ أَرْبَعَةُ دَوَارِسَ.

وَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدِّرْهَمَ الكَبِيرَ المَلِكُ المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ(١) بْنُ طُغْتِكِينَ، وَزِنَتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا، وَفِي الأَوَّلِ كَانَتِ الدَّرَاهِمُ العَبَّاسِيَّةُ وَبَعْدَهُ السَّيْفِيُّ وَزْنُهُ أَرْبَعَةُ قَرَارِيطَ وَحَبَّةٌ، وَيُبَاعُ الشِّيرَجُ(٢) بِجَرَّةٍ وَالسَّمْنُ بِجَمَنَةٍ، كُلُّ جَمَنَةٍ خَمْسَةُ أَمْنَانٍ، وَمَنُّ الحَرِيرِ مِائَتَانِ وَسِتُّونَ دِرْهَمًا، وَمَنُّ اللَّحْمِ أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَتُبَاعُ العُصَارَةُ وَالقُطْنُ وَالهدسُ وَالشِّيذَرُ بِالمُدِّ لَهُ عَنْ خَمْسَةِ أَمْنَانٍ بِالكَبِيرِ، وَسِنْجَةُ(٣) عَدَنَ أَقْوَىٰ مِنْ سِنْجَةِ زَبِيدٍ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، وَتَخْرُجُ مِنْ زَبِيدٍ البُرْدَةُ ثَمَانِيَةَ أَذْرُعٍ بِاليَدِ وَيُشَدُّ حَمْلُهَا مِائَةٌ وَاثْنَانِ وَعِشْرُونَ بُرْدَةً شَدَّ الشِّحْرِ.

وَشُقَقُ الحَرِيرِ وَالبِيْضِ طُولُ الشُّقَّةِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا بِالحَدِيدِ، وَطُولُ البَيْرَمِ سِتَّةُ أَذْرُعٍ وَالسُّبَاعِيَّةُ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ، وَهِيَ صِنْفَانِ: أَحَدُهُمَا حَرِيرٌ صِرْفٌ، وَالثَّانِي خِلْطُ حَرِيرٍ وَكَتَّانٍ فِي عَرْضِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، وَالمِلَايَاتُ وَالجِرَابُ وَفُوطٌ سُوسِيٌّ.

---

(١) تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٢) وَهُوَ زَيْتُ السِّمْسِمِ «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (ص٥٢٢).

(٣) السِّنْجَةُ: هِيَ مَا يُوزَنُ بِهِ كَالرَّطْلِ وَالأُوقِيَّةِ، وَالجَمْعُ سِنَجٌ.

وَالزَّنْجَبِيلُ المربَا لَوْنَانِ: المَقْصُوصُ مِنْهُ قَلِيلُ العَسَلِ، وَالمَطْحُونُ هُوَ الجَيِّدُ، وَالتَّمْرُ الهِنْدِيُّ أَجْوَدُهُ المُقَلَّسُ(١)، وَالأَدَمُ يُبَاعُ بِالعَدَدِ، وَضَمَانُ المَدْبَغَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَيَخْرُجُ إِلَىٰ الحِجَازِ التَّمْرُ وَالدُّخْنُ وَالذُّرَةُ، وَيُؤْخَذُ إِلَىٰ الحَبَشَةِ الجَوَارِي العشَارِيَّةُ وَالخَرَزُ وَضَمَانُ البَلَدِ سَنَابِيقُ الصَّيَّادِينَ وَالجَالَّةُ وَالخُضَرُ وَالبُقُولُ الَّتِي تُبَاعُ مَعَ الغِلَالِ، وَمَا يُدْخَلُ مِنَ البَابِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مَلَكِيٍّ، وَضَمَانُ دَارِ الضَّرْبِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَدَارُ النَّبِيذِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَضَمَانُ النَّخْلِ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحكَمُ.

* * *

مِنَ المَهْجَمِ إِلَى زَبِيدٍ

إِلَىٰ الكَدْرَاءِ خَمْسة فَرَاسِخَ.

* * *

(١) وَهُوَ الَّذِي اسْتُخْرِجَتِ الحُبُوبُ الَّتِي بِدَاخِلِهِ.

ذِكْرُ المِغْلَفِ[(١)] وَالأُسَيْخِلَةِ

هُمَا قَرْيَتَانِ مِنْ أَعْمَالِ الجُثَّةِ[(٢)]، تُسَمَّىٰ إِحْدَاهُمَا المِغْلَفِ وَالثَّانِيَةُ الأُسَيْخِلَةُ، فَبَيْنَمَا القَوْمُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، الرِّجَالُ تَحْرُثُ، وَالنِّسَاءُ تَغْزِلُ، وَالحَمِيرُ تَتَنَاهَقُ، وَالكِلَابُ تَتَنَابَحُ، إِذا ارْتَفَعُوا مِنَ الأَرْضِ إِلَىٰ الجَوِّ، رِجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ، وَغَابُوا عَنْ أَعْيُنِ الخَلْقِ إِلَىٰ يَوْم القِيَامَةِ، وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا أَصَابَهُمْ وَمَا فَعَلَ اللهُ بِهِمْ وَلَا مَا كَانَ مِنْهُمْ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ[(٣)]، فَبَقُوا مَثَلًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، فَيُقَالُ: طَارْ بَكْ بَرْقُ المِغْلَفِ وَالأُسَيْخِلَةِ.

وَخُسِفَ بِقَرْيَةِ العَمَالِقِ مِنْ أَعْمَالِ الأَشْعُوبِ[(٤)] يَمَانِيَّ صَنْعَاءَ، وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَلَمْ يُوجَدْ عَنِ القَرْيَةِ وَأَهْلِهَا وَدَوَابِّهِمْ مَنْ يُخْبِرُ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ.

---

(١) المِغْلَفُ: هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ اليَوْمَ بِالمِغْلَافِ الوَاقِعَةِ عَلَىٰ شَطِّ نَهْرِ سُرْدُد عَلَىٰ طَرِيقِ المُسَافِرِينَ مِنَ الجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ. «قُرَّةُ العُيُونِ» (ص٣٠٨) مَعَ تَعْلِيقِ المُؤَرِّخِ الأَكْوَعِ.

(٢) الجُثَّةُ: ذَكَرَهَا عُمَارَةُ فِي «المُفِيدِ» (ص٧٥) وَعَلَّقَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ بِقَوْلِهِ مَعَ ذِكْرِ غَيْرِهَا: لَا يُعْرَفَانِ.

(٣) وَذَكَرَ القِصَّةَ الدَّيْبَعُ فِي «قُرَّةُ العُيُونِ بِأَخْبَارِ اليَمَنِ المَيْمُونِ» (ص٣٠٨) وَقَالَ: إِنَّهَا سَنَةَ (٥٤٩هـ)، وَعَنْ طَرِيقِ المُصَنِّفِ نَقَلَ القِصَّةَ بَامَخْرَمَةُ فِي «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٢٢٤).

(٤) الأَشْعُوبُ، يُنْظَرُ لَهُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٢).

وَإِلَىٰ المَهْجَمِ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَهَذَا يَكُونُ بِسَاقَاتِ[(١)] عَشِيرَةِ اليَمَنِ بَرَصٌ لِكَثْرَةِ أَكْلِهِمُ اللَّبَنَ وَالسَّمَكَ تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الرُّطُوبَاتُ فَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُمْ قَلِيلُو الكَلَفِ فِي أَصْنَافِ الأُمُورِ لِتَخْلِيَتِهِمُ الخُبْزَ وَالأُدْمَ مَكْشُوفًا، وَالبِلَادُ حَارَّةٌ كَثِيرَةُ الأَوْزَاغِ، فَإِذَا خُلِّيَ رَأْسُ الإِنَاءِ أَوِ الطَّعَامِ مَكْشُوفًا يَأْكُلُ الوَزَغُ مِنْهُ فَيَبْقَىٰ أَثَرُ لُعَابٍ فِيهِ فَمَنْ أَكَلَهُ ظَهَرَ بِهِ بَرَصٌ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ طَيْرٌ شِبْهُ النَّامِسِ أَصْفَرُ اللَّوْنِ وَيُسَمَّىٰ البرةَ إِذَا قَرَصَ إِنْسَانًا عَلَىٰ الرِّيقِ ظَهَرَتْ فِيهِ هَذِهِ العَاهَةُ وَالآفَةُ، وَيُقَالُ: يَظْهَرُ فِيهِ دَاءُ الفِيلِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) يُرِيدُ جَمْعَ سَاقِ القَدَمِ.

مِنْ زَبِيدٍ إِلَى عَدَنَ[١] عَلَى طَرِيقِ السَّاحِلِ

مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ المُزَيْحِفَةِ[٢] فَرْسَخٌ، وَمَا سُمِّيَتِ المُزَيْحِفَةُ مُزَيْحِفَةً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي قُرْبِهَا حِلَّةُ عَرَبٍ نُزَّالٍ بِبُيُوتِ شَعْرٍ فَانْتَقَلُوا مِنَ الحِلَّةِ إِلَىٰ هَذَا المَكَانِ فَكَانَ يُعْرَفُ المَكَانُ بِالمُزَيْحِفَةِ، كَمَا يُقَالُ: زَحفَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ، أَي انْتَقَلَ، وَبَنَىٰ بِهَا مُوسَىٰ بْنُ الجَبَلِيِّ مَسْجِدًا مِنَ الآجُرِّ وَالجَصِّ.

وَلَيْسَ فِي الجَوَالِي ثَغْرٌ أَطْيَبَ مِنْهُ وَلَا فِي وَادِي زَبِيدٍ، وَشَجَرُهَا الإِهْلِيلَجُ[٣]، وَإِلَىٰ السِّحَارِي[٤] ثَلَاثة فَراسِخَ، وَيَعْرُسُ عُوَيْدٌ وَالشِّكَالِينِ التُّرَيْبَةَ[٥] وَالعُرَيْقِينَ،

---

(١) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْ عَدَنَ بِتَوَسُّعٍ.

(٢) المُزَيْحِفَةُ: قَرْيَةٌ خَارِبَةٌ كَانَتْ قَائِمَةً فِي وَادِي زَبِيدٍ، وَمِنْهَا العَلَّامَةُ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي السُّعُودِ الخُزَاعِيُّ المُزَيْحِفِيُّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٦٨٠هـ). «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٠٧).

(٣) شَجَرٌ ثَمَرُهُ عَلَىٰ هَيْئَةِ حَبِّ الصَّنَوْبَرِ. «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (ص٣٢).

(٤) السِّحَارِيُّ: بَلْدَةٌ وَمَزَارِعُ نَخِيلٍ عَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ الأَحْمَرِ فِي غَرْبِ مَدِينَةِ «حَيْس» بِمَسَافَةِ (٣٠) كِيلُو، وَهُوَ مَكَانٌ يَمْتَازُ بِجَمَالِ مَوْقِعِهِ وَحُسْنِ تُرْبَتِهِ وَعُذُوبَةِ مِيَاهِهِ وَبِجَانِبِهِ مُنْتَزَهٌ جَمِيلٌ يُقَالُ لَهُ: «الغَنْجَا» يَضُمُّ إِلَىٰ جَانِبِ النَّخِيلِ أَنْوَاعًا مِنَ الأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ وَالنَّبَاتَاتِ المُزْهِرَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٧٢).

(٥) التُّرَيْبَةُ: تَصْغِيرُ تُرْبَةٍ، قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ زَبِيدٍ مِنَ الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ الأَشَاعِرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٢٧). وَقَدْ شُكِّلَتْ فِي «أ»، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤١).

وَهِيَ ثَلَاثُ رَوَابٍ ذَاتُ شَجَرٍ وَأَرَاكٍ، وَالسَّحَارِي عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ ذَاتِ نَخْلٍ شَامِخَاتٍ[(١)].

* * *

(١) وَهِيَ كَذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا.

ذِكْرُ بَيْعِ النَّخْلِ

غَرَسَ أَبُو القَاسِمِ وَيَعْقُوبُ -وَلَدَا قُونفرَ- هَذَا النَّخْلَ وَنَشَأَ النَّخْلُ وَصَارَ لَهُ صِيتٌ، فَسَمِعَ بِخَبَرِهِ أَتَابِكُ سُنْقُر فَقَالَ لِلْعُمَّالِ: حِيفُوا عَلَيْهِمْ فِي العَدَدِ وَاظْلِمُوهُمْ فِي خَرَاجِهِ، فَلَمَّا فَعَلَ العُمَّالُ بِهِمْ ذَلِكَ اسْتَغَاثُوا مِمَّا جَرَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ العُمَّالِ، فَقَالَ لَهُمْ أَتَابِكُ سُنْقُر: بِيعُونِي وَأَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ ظُلْمِهِ، فَقَالُوا لَهُ: اشْتَرِ مِنَّا عَلَىٰ وَجْهِ الجَرْدِ، فَقَالَ لَهُمْ: بِعْتُمُونِي كُلَّ نَخْلَةٍ مِنْهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: قَدْ بِعْنَاكَ، فَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ: اشْهَدُوا عَلَىٰ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُمْ، وَأَمَرَ بِعَدِّ النَّخْلِ فَصَحَّ عَدُّهُ أَلْفَيْ عُودٍ، فَأَعْطَاهُمْ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ، وَالنَّخْلُ قِطْعَتَانِ، تُسَمَّىٰ إِحْدَاهُمَا الفَازَّةَ وَالثَّانِيَةُ القُبَّةَ.

فَلَمَّا قَبَضَهُ الأَمِيرُ نَدِمَا[١] عَلَىٰ مَا صَنَعَا وَاسْتَقَالُوا[٢] مِنْهُ فَأَبَىٰ أَنْ يُقِيلَهُمْ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَحَدُهُمْ عَيْنَ الغَبنِ حَمَلَ عَلَىٰ الأَمِيرِ فَطَعَنَهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَمَاتَ، وَبَقِيَ النَّخْلُ سُلْطَانِيًّا إِلَىٰ الآنَ وَلَنْ تَحِلَّ نَخْلَةٌ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأَعْمَالِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا النَّخْلِ وَلَا أَصَحُّ مِنْ غَرْسِهِ وَنُشُوِّهِ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا ظَلَمَ سَيْفُ الدِّينِ سُنْقُرُ إِلَّا أَصْحَابَ المِمْلَاحِ بِعَدَنَ[٣]،

---

(١) أَيْ: القَاسِمُ وَيَعْقُوبُ.

(٢) كَذَا.

(٣) سَيَأْتِي ضِمْنَ الكَلَامِ عَنْ مَدِينَةِ عَدَنَ.

وَأَصْحَابَ هَذَا النَّخْلِ مِنْ دُونِ الخَلْقِ.

وَإِلَىٰ الخَوهَةْ[(١)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَبِهَا مَسْجِدٌ مُرَبَّعٌ بَنَاهُ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ، وَفِي صَحْنِ المَسْجِدِ صَخْرَةٌ مُرَبَّعَةٌ، وَفِي الصَّخْرَةِ وَطْأَةُ نَاقَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

وَفِي المَسْجِدِ سِرٌّ عَظِيمٌ: إِذَا كَانَ فِي القَرْيَةِ خَوْفٌ رَمَوْا أَهْلُ القَرْيَةِ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ المَتَاعِ وَالأَثَاثِ فِي المَسْجِدِ وَتَنَجَّوْا بِأَرْوَاحِهِمْ، فَإِذَا دَخَلَ أَهْلُ الشَّرِّ إِلَىٰ المَسْجِدِ لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ المَتَاعِ شَيْءٌ وَيُعْمِي اللهُ تَعَالَىٰ أَبْصَارَهُمْ.

وَيُقَالُ: إِنَّ المَسْجِدَ يَغِيبُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، فَإِذَا نَامَ بِهِ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ طَاهِرَ السَّبَبِ يَرَىٰ رُوحَهُ يُرْمَىٰ بِهَا عِنْدَ البِئْرِ ظَاهِرَ المَسْجِدِ[(٣)].

وَيُؤْخَذُ مِنْهَا مَكْسٌ عَنْ كُلِّ حِمْلٍ السُّدُسُ مَعَ جِبَا صَنَابِيقِ الصَّيَّادِينَ، كُلَّ شَهْرٍ سَبْعُونَ دِينَارًا.

---

(١) الخَوهَةْ: ضَبَطَهَا الجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكُ» (١/ ٣٢٨) بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ وَخَفْضِ الوَاوِ وَفَتْحِ الهَاءِ الأُولَىٰ وَسُكُونِ الثَّانِيَةِ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ أَبْدَلَ النَّاسُ الهَاءَ خَاءً مَضْمُومَةً «الخُوخَة»، وَهِيَ مِينَاءٌ قَدِيمٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ «حَيْسٍ» زِنَةَ: قَيْسٍ، بِمَسَافَةِ (٣٠) كِيلُو، تَمْتَازُ بِالمَاءِ الصَّافِي العَذْبِ، لِذَلِكَ يَنْتَشِرُ عَلَىٰ شَاطِئِهَا أَشْجَارُ النَّخِيلِ وَالدَّوم وَالتِّينِ، وَنَظَرًا لِمَا تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ طَبِيعَةٍ جَمِيلَةٍ وَمَاءٍ نَقِيٍّ فَإِنَّهَا أَصْبَحَتْ مُنْتَجَعًا يَقْصِدُهُ السَّائِحُونَ مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِ الدُّنيَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٨٥) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ جِدًّا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٢).

(٢) لَا صِحَّةَ لِذَلِكَ، إِنَّمَا هِيَ أَسَاطِيرُ تَدَاوَلَهَا النَّاسُ.

(٣) وَهَذَا كَسَابِقِهِ.

وَإِلَىٰ مَوْشَجَ[١] فَرْسَخٌ، قَرْيَةٌ ذَاتُ نَخْلٍ شَامِخَاتٍ، وَإِلَىٰ الحَلِيلَةِ[٢] فَرْسَخَانِ بَيْنَ رِمَالٍ وَحَصًىٰ وَأَشْجَارٍ، وَبِهَا يُعْمَلُ القَلَا وَهُوَ الحُطُمُ، وَمِنْهُ يُجْلَبُ إِلَىٰ سَائِرِ أَقَالِيمِ اليَمَنِ، وَيَكُونُ فِيهَا الصَّبَايَا المِلَاحُ وَالنِّسَاءُ الصِّبَاحُ، وَفِيهِنَّ ذَاتُ فِسْقٍ، وَفِيهِنَّ ذَاتُ صَلَاحٍ[٣]، يَكْتُمْنَ العِشْقَ المُبَاحَ، قَالَ:

أَمْحِسْنُ فِي وَاحِجَةٍ ... وَفِي نَوَاحِي أَمْجُدُونْ[٤]

وَفِي الحَلِيلَةِ أَكْثَرُهُ ... لَكِنَّهُمْ يَعْجَلُونْ

وَسَأَلْتُ أَهْلَهَا عَمَّنْ بَنَاهَا فَقَالُوا: لَمْ نَعْلَمْ، بَلْ إِنَّ جُدُودَنَا كَانُوا قَوْمَ بَدْوٍ دَخَلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ فَوَجَدُوهَا خَالِيَةً مِنَ السُّكَّانِ، فَلَمَّا اسْتَطَابُوا بِهَا سَكَنُوهَا فَتَوَطَّنُوهَا.

---

(١) مَوْشَجُ: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، قَرْيَةٌ سَاحِلِيَّةٌ فِي جَنُوبِ مَدِينَةِ «الخُوخَة» فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ «المَخَا» فِيهَا نَخِيلٌ وَمَزَارِعُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٨٧).

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٩٥).

(٣) كَذَا قَالَ: الصَّبَايَا المِلَاح وَالنِّسَاء الصِّبَاح، وَسَيَأْتِي (ص٤٥٤) قَوْلُهُ: «وَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِي جَمِيعِ اليَمَنِ سَهْلِهَا وَجِبَالِهَا وَجْهًا حَسَنًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ النَّظَرُ، وَلَا فِيهِمْ ظَرَافَةٌ وَلَا لَطَافَةٌ وَلَا مَلَاحَةٌ وَلَا حَلَاوَة، مَا تَرَىٰ إِلَّا عَجَائِزَ سُوءٍ خَبِيثَاتِ الأَبْدَانِ قَلِيلَاتِ الأَدَبِ ذَوَاتِ آرَابٍ وَسِخِينَ اللِّسَانِ...»، وَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ تَنَاقُضِهِ فِيمَا كَتَبَ، وَلَعَلَّهُ بَعْدَ مَا كَتَبَ هَذَا المَدْحَ وَقَعَ لَهُ خِصَامٌ مَعَ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ اليَمَنِ فَأَطْلَقَتْ لِسَانَهَا عَلَيْهِ فَقَالَ مَا قَالَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي لِلْمُؤَرِّخِ وَالكَاتِبِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الكِتَابَةِ عِنْدَ تَغَيُّرِ المِزَاجِ وَانْفِعَالِهِ. وَيُنْظَرُ مَا كَتَبَهُ ابْنُ بَطُّوطَةَ فِي «رِحْلَتِهِ» (ص٢٢٤) عَنْ أَهْلِ زَبِيدٍ مِنْ لَطَافَةِ الشَّمَائِلِ وَحُسْنِ الأَخْلَاقِ وَجَمَالِ الصُّوَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٤) وَاحِجَة: قَرْيَةٌ سَاحِلِيَّةٌ جَنُوبَ مَدِينَةِ المَخَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٤٢)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٣).

وَإِلَىٰ مَوْزَعَ(١) ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَهِيَ أَرْضُ مُهَلْهِلٍ وَكُلَيْبٍ، وَبِهَا كَانَتْ حَرْبُ البَسُوسِ.

وَكَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَيَّامِ هَذِهِ الأَعْمَالُ أَعْمَالَ بَنِي مَجِيدٍ بَنَوْا بِهَا القُلَيْعَةَ، فَخَرِبَتِ القُلَيْعَةُ لِاخْتِلَافِ أَهْلِهَا، وَسَكَنَ بَعْدَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ فَرَسَانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ، وَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ الآنَ، وَيُؤْخَذُ بِهَا مَكْسٌ مِنْ كُلِّ حِمْلٍ نِصْفُ رُبُعٍ، وَثَغْرٌ بَيْنَ الربدةِ وَبَيْنَ ثُرَيْتَانَ(٢)(٣) وَالسَّالِمِيَّةِ وَالأَسْجَارِ وَالنَّجَاجِبَةِ وَالفُرَيْمِلَةِ.

وَإِلَىٰ العُمَرِيَّةِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ حُفْرَتَيْنِ فِي وَادٍ، وَاشْتُهِرَ هَذَا الوَادِي بِهَذَا الِاسْمِ، عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ غَزِّيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الحِجَازِيُّ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِهَذَا الوَادِي تُسَمَّىٰ عُمَرِيَّةَ فَأَصَابَهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ فَصَعِدَتْ إِلَىٰ ذِرْوَةِ هَذَا الجَبَلِ عَلَىٰ إِثْرِ سَيْلِ السَّيْلِ مِنْ فَضْلِ الغُيُوثِ فَحَسِبَتْهُ مَاءً، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ أَيِسَتْ فَمَاتَتْ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ، فَعُرِفَ الوَادِي وَالجَبَلُ بِهَذَا الِاسْمِ يَعْنِي اسْمَ عُمَرِيَّةَ، وَحُفِرَتِ البِئْرُ بَعْدَ المَوْتِ وَسُمِّيَتِ البِئْرُ بِاسْمِ الجَبَلِ، كَمَا قَالَ:

تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِي وَإِنِّي لَذَائِبُ ... أُدِيرُ وُجُوهَ الرَّأْيِ فِيهِ وَلَمْ أَدْرِ

---

(١) مَوْزَع: جَنُوبَ شَرْقِ مِينَاءِ المَخَا، وَتَتَمَتَّعُ بِأَرْضٍ خصْبَةٍ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٨٣)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٤).

(٢) كَذَا كُتِبَ فِي «ب»: (ثُرَيْتَان).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٧٠).

أَأَعْزِمُ عَزْمَ النَّاسِ وَالصَّبْرُ دُونَهُ أَمَ اقْنَعُ بِالإِعْرَاضِ وَالنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَدَيْتُكَ لَمْ أَصْبِرْ وَلِي فِيكَ حِيلَةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي اليَأْسُ مِنْكَ إِلَىٰ الصَّبْرِ
تَصَبَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَمُوجَعٌ كَمَا صَبَرَ العَطْشَانُ فِي البَلَدِ القَفْرِ[(١)]

وَإِلَىٰ عَبْرَةَ[(٢)] ثَلَاثَة فَرَاسِخَ، بِئْرٌ حُفِرَتْ فِي بَطْنِ وَادٍ مُشْرِفٍ عَلَىٰ البَحْرِ المَالِحِ، وَمَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الاِسْمِ إِلَّا أَنَّ مَاءَهَا يُشَابِهُ عَبْرَةَ الإِنسَانِ فِي الصَّفَا، وَيُقَالُ: بَلْ عَبْرَةٌ تَعْبُرُهَا القَوَافِلُ، وَكَانَ السَّبَبُ عَلَىٰ مَا حَكَىٰ غَزِّيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الحِجَازِيُّ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا جَبَابِرَةً، وَمِنْ جُمْلَةِ خَبَرِهِمْ أَنَّهُ إِذَا ضَاقَ عَلَىٰ أَحَدِهِمُ الرِّزْقُ مِنْ وُجُوهِ الشَّقَا وَالكَدِّ والطَّلَب لَمْ يَسْتَحْسِنْ يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ. وَلَا يَبْذُلُ مَاءَ وَجْهِهِ إِلَىٰ أَحَدٍ فَكَانَ يَحْفِرُ حُفْرَةً كَبِيرَةً يَدْخُلُ فِيهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَيَمُوتُونَ جَمِيعًا لِئَلَا يَعْلَمَ بِحَالِهِمْ عَدُوٌّ يَفْرَحُ أَوْ صَدِيقٌ يَهْتَمُّ، كَمَا قِيلَ:

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَتَىٰ مُتَجَمِّلًا يَرُوحُ وَيَغْدُو لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمَا
يُرَاعِي نُجُومَ اللَّيْلِ مِمَّا يُصِيبُهُ وَيُصْبِحُ يُلْقَىٰ ضَاحِكًا مُتَبَسِّمَا
ولَا يَسْأَلُ الإِخْوَانَ مَا فِي يَدَيْهِمُ وَلَوْ مَاتَ جُوعًا عِفَّةً وَتَكَرُّمَا[(٣)]

وَقُبُورُ القَوْمِ بَاقِيَةٌ فِي مَا بَيْنَ كُلِّ قَبْرٍ مِنْهَا مِقْدَارُ دَارٍ عَظِيمٍ، فَسُمِّيَتِ العَبْرَةَ،

---

(١) ذُكِرَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ فِي «زَهْرُ الآدَابِ وَثَمَرُ الأَلْبَابِ» (٣/ ٧١٣) مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الأَلْفَاظِ.

(٢) بَلْدَةٌ خَارِبَةٌ جَنُوبَ شَرْقِ «المَخَا»، كَانَتْ ثَالِثَ مَرْحَلَةٍ لِلْمُسَافِرِ مِنْ «عَدَنَ» إِلَىٰ «المَخَا»، وَ«الخُوخَة». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّة» (٢/ ١٠٠٩).

(٣) هَذِهِ الأَبْيَاتُ ذُكِرَتْ فِي «البَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ» (٦/ ١١٦) لِأَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ ط. «دَارِ صَادِرٍ» مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الأَلْفَاظِ.

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَ ابْنِ المُجَاوِرِ أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ بَعْضِ الأَدْيَانِ. وَبَقِيَ آثَارُ الخَسْفِ وَالحِجَارِ بِهَا.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي بَدَوِيٌّ مِنْ أَهْلِ البِلَادِ بِهَذَا المَنْزِلِ[1] سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ أَنَّهُ جَازَ بِهَذِهِ البِئْرِ رَجُلٌ غَرِيبٌ فَسَأَلَنِي عَنْ جَبَلِ الحَايِلَةِ وَنَجْوَانَ وَالنَّاجِيَةِ فَأَنْبَأْتُهُ عَنِ الثَّلَاثَةِ الجِبَالِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تَسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الجِبَالِ؟ قَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ أَنَّ مَا يَنْجُو فِي آخِرِ العَهْدِ إِلَّا مَنْ سَكَنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الجِبَال، فَقُلْتُ لَهُ: فَأَيُّ الجِبَالِ هُمْ؟ فَقَالَ: نَجْوَانُ، وَهُوَ جَبَلٌ بُنِيَ عَلَيْهِ حِصْنُ عَزَّانَ[2]، وَالجَبَلَانِ الآخَرَانِ بِقُرْبِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) أَيْ: عَبْرَة.

(٢) وَتَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٧).

صِفَةُ بَابِ المَنْدَبِ[١]

لَمْ يَكُنْ هَذَا البَحْرُ بَحْرًا فِي قَدِيمِ العَهْدِ، أَعْنِي بَحْرَ القُلْزُمِ[٢]، وَإِنَّمَا هُوَ بَحْرٌ مُسْتَجَدٌّ، فَتَحَهُ ذُو القَرْنَيْنِ، وَيُقَالُ: بَعْضُ التَّبَابِعَةِ، وَكَانَ المُوجِبُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ البِلَادِ، مِنْهُمْ: الأَمِيرُ أَبُو الطَّامِي جَيَّاشُ بْنُ نَجَاحٍ فِي كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ»[٣] قَالَ: لَمَّا وَصَلَ ذُو القَرْنَيْنِ إِلَىٰ هَذَا الوَادِي نَظَرَ فَوَجَدَ بِهِ شِدَّةَ الحَرِّ فَفَتَحَهُ، أَيْ نَقَرَ صَدْرَ الوَادِي، فَخَرَجَ البَحْرُ وَخَرَجَ عِرْقٌ مِنْهُ إِلَىٰ القُلْزُمِ وَوَقَفَ عِنْدَهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ أَرْضَ الحَبَشَةِ كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِبِلَادِ العَرَبِ، فَقَالَ ذُو القَرْنَيْنِ: أَرَدْنَا أَنْ نُفَرِّقَ مَا بَيْنَ الإِقْلِيمَيْنِ لِيَعْرِفَ كُلٌّ صَاحِبَهُ وَيَحوزَ كُلٌّ أَرْضَهُ وَبِلَادَهُ وَيَنْقَطِعَ مَا

---

(١) هُوَ الفَتْحَةُ الجَنُوبِيَّةُ لِمَدْخَلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ الجَنُوبِيِّ، تُحِيطُ بِهِ سِلْسِلَةٌ مِنَ الجِبَالِ كَجَبَلِ مُرَادٍ وَجَبَلِ العِقْدِ وَجَبَلِ الشَّيْخِ سَعِيدٍ، وَبِشَرْقِهِ جَبَلُ المَنْهَلِيِّ، وَالسُّفُنُ تَمُرُّ مِنْ مَضِيقٍ صَغِيرٍ يَفْصِلُ جَزِيرَةَ مَيُّونَ عَنِ الشَّاطِئِ الغَرْبِيِّ، وَعَرْضُهُ ثَلَاثَةُ كِيلُو مِتْرَاتٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٥٢)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٥).

(٢) وَيُسَمَّىٰ اليَوْمَ بِـ«البَحْرِ الأَحْمَرِ».

(٣) وَهَذَا الكِتَابُ لَيْسَ هُوَ مَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ فِيمَا تَقَدَّمَ وَنَقَلَ مِنْهُ، فَذَاكَ لِعُمَارَةَ اليَمَنِيِّ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ بِعُنْوَانِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ»، أَمَّا هَذَا فَهُوَ لِجَيَّاشِ بْنِ نَجَاحٍ، وَهُوَ مَفْقُودٌ، وَعُمَارَةُ اليَمَنِيُّ يَنْقُلُ مِنْهُ، وَسَيَذْكُرُ المُصَنِّفُ فِيمَا سَيَأْتِي الكِتَابَيْنِ.

بَيْنَ القَوْمِ مِنَ التَّغَلُّبِ وَالتَّعَدِّي.

فَلَمَّا فَتَحَ البَحْرَ افْتَرَقَ الإِقْلِيمَانِ كُلُّ إِقْلِيمٍ بِذَاتِهِ، فَصَارَتِ الحَبَشَةُ تَخُوضُ البَحْرَ بِالخَيْلِ وَالرَّجِلِ تَغْزُو أَرْضَ العَرَبِ. وَبَنَىٰ بَعْضُ العَرَبِ عَلَىٰ جَبَلِ المَنْدَبِ حِصْنًا يُسَمَّىٰ بِعْدُ، وَمُدَّ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ بَرِّ العَرَبِ إِلَىٰ بَرِّ الحَبَشَةِ مُعَارِض، فَكُلُّ مَرْكَبٍ يَصِلُ يَمُرُّ تَحْتَ السِّلْسِلَةِ حَتَّىٰ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، وَيُسَافِرُ إِلَىٰ أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ وَأَرَادَ، وَبَقِيَ الحِصْنُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ هَدَمَهُ التَّبَابِعَةُ مُلُوكُ الجَبَلِ، وَيُقَالُ: بَنُو زُرَيْعٍ مُلُوكُ عَدَنَ، وَالأَصَحُّ الحَبَشَةُ مُلُوكُ زَبِيدٍ، وَرُفِعَتِ السِّلْسِلَةُ، وَبَقِيَ أَثَرُهَا إِلَىٰ الآنَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَا كَانَ لِسَفَّارَةِ البَحْرِ جَوَازٌ إِلَّا عَلَىٰ بَابِ المَنْدَبِ، لِأَنَّهُ كَانَ أَغْزَرَ مَوْضِعٍ فِي البَحْرِ، وَكَانَ مَا بَقِيَ مِنْهُ أَفْشَاتٌ وَوَضَحٌ وَبُطُونٌ وَالأَوْلَادُ يَلْعَبُ(١) المَاءُ بِهَا، وَالآنَ صَارَتِ المَرَاكِبُ تُسَافِرُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَهُوَ بَحْرٌ عَمِيقٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ لِكَثْرَةِ المِيَاهِ، وَلِزِيَادَةِ المِيَاهِ، وَنَذْكُرُ مَا بَقِيَ إِذَا وَصَلْنَا عَدَنَ، وَيُوجَدُ فِي سَوَاحِلِهِ العَنْبَرُ وَغَالِبُ مَا يَجِدُهُ الصَّيَّادُونَ.

❊ ❊ ❊

(١) كَذَا فِي «ج» وَفِي «أ» و«ب»: «بَلَغَتْ».

ذِكْرُ الفَقَرَاتِ

وَفِي أَوَاخِرِ بَطْنِ الوَادِي، يَعْنِي العُمَرِيَّةَ(١)، ثَلَاثُ تِلَالٍ حَصًا يَكُونُ بَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ الأُخْرَىٰ مِقْدَارُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا زَائِد لَا نَاقِص، فَسَأَلْتُ عَنْ حَالِهِمْ فَقَالَ لِي بَعْضُ الحَمَّالِينَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ التُّلُولَ أَثَرُ ثَلَاثِ فَقَرَاتٍ فَقَرَهَا بَعْضُ الجَبَابِرَةِ فِي زَمَنِ الجَاهِلِيَّةِ، عَلَىٰ كُلِّ فَقْرَةٍ تَلُّ حَصًا لِيُعْرَفَ، وَهُم مِنْ جُمْلَةِ العَجَائِبِ، وَثَغْرٌ بَيْنَ المَاجَليَّةِ(٢) وَبَيْنَ السُّقْيَا(٣)، وَيُسَمَّىٰ هَذَا الخَبْتُ مَطَارًا لِأَنَّ مَا يُرْوَىٰ بِهَا أَهْلُهَا المَاءَ إِلَّا أَيَّامَ المَطَارَاتِ، وَعَلَىٰ عَيْنِ الدَّرْبِ أَثَرُ مَسْجِدٍ فِيهِ أَثَرُ نَاقَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فَاضِلٌ.

وَإِلَىٰ العَارَةِ(٤) ثَلَاثة فَرَاسِخَ.

* * *

(١) الكَلَامُ هُنَا تَابِعٌ لِمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا عَنِ العُمَرِيَّةِ.

(٢) المَاجَلِيَّةُ: هِيَ اليَوْمَ إِحْدَىٰ قُرَىٰ عزلَةَ العَارَةِ بِمُدِيرِيَّةِ المضَارِبَةِ، التَّابِعَةِ لِمُحَافَظَةِ لَحْجَ.

(٣) السُّقْيَا: هِيَ إِحْدَىٰ القُرَىٰ السَّاحِلِيَّةِ بِمُدِيرِيَّةِ المضَارِبَةِ وَالعَارَةِ بِمُحَافَظَةِ لَحْجَ.

(٤) سَيَأْتِي التَّعْرِيفُ بِهَا قَرِيبًا.

بِنَاءُ المُزْدَوِيَةِ المرَّةِ

فَلَمَّا قُتِلَ النَّجَاشِيُّ[١] بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنَ القَتْلِ وَسَكَنَ هَذِهِ البَلَدَ سُمِّيَتِ المُزْدَوِيَةَ؛ لِأَنَّهُمْ ازْدَوَوْا بِأَزْوَاجِهِمْ لِئَلَّا تَعْطِبَ كَمَوْلَاهُمْ وَسَلَامَةِ خُدَّامِهِ دُونَ الغَيْرِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا سُمِّيَتِ المُرَّةَ إِلَّا أَنَّ حَيَاتَهُم رَجَعَتْ مُرَّةً لِتَشَتُّتِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَمُفَارَقَةِ الأَهْلِ وَالوَلَدِ، فَلَمَّا انْقَرَضَتْ تِلْكَ الأُمَّةُ سَكَنَهَا قَوْمٌ عَرَبٌ سَمَّوْهُمُ المُرِّيِّينَ، وَبَقُوا سُكَّانَهَا إِلَىٰ أَنْ حُجِزَتِ البِلَادُ وَضَاعَتِ العِبَادُ فَارْتَحَلُوا مِنْهَا.

حَدَّثَنِي رَيْحَانُ، مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: إِنَّهُمْ نَزَلُوا بَرْبَرَةَ[٢] وَأَعْمَالَهَا وَبَقِيَ نَسْلُهُمْ فِي بَرِّ السُّودَانِ المَعْرُوفِينَ بِالمُرِّيِّينَ، وَهُمُ الآنَ ذَوُو قَبَائِلَ وَعَشَائِرَ، وَبَنَتْ بَعْدَهُمُ العَرَبُ مَدِينَةَ الأَخْضَرِين فَوْقَ العَارَةِ.

حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ حَمِيْسِيسَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَسْكَنَ الصَّيَّادِينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِلَىٰ الآنَ يَجِدُونَ عِظَامَ السَّمَكِ.

---

(١) النَّجَاشِيُّ لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الحَبَشَةَ.

(٢) بَرْبَرَةُ: تُنْظَرُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٣٦٩).

حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ دَيْفَلَ قَالَ: بَلْ كَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً، فَلَمَّا خَرِبَتْ بَنَاهَا الفُرْسُ الوَارِدُونَ مِنْ أَهْلِ سِيرَافَ المُنْذِرِيَّةِ تَحْتَ العَارَةِ عَلَىٰ هَذَا البَحْرِ، وَبِهَا آثَارُ جَامِعَيْنِ كَبِيرَيْنِ وَمَسَاجِدَ وَطَوَاحِينِ الغِلَالِ وَطَوَاحِينِ القَرَظِ تُرَىٰ بَيْنَ شَجَرِ الأَرَاكِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَنَاهَا الفُرْسُ مِنْ أَهْلِ سِيرَافَ بَنَوْا فِيهَا المَدَابِغَ وَعَمِلُوا بِهَا طَوَاحِينَ القَرَظِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ القَوْمَ كَانُوا دَبَّاغِينَ.

وَقَالَ حَكِيمٌ: لَمْ يَخْرُجْ مِنَ اليَمَنِ إِلَّا وَغْدٌ أَوْ رَائِضُ قِرْدٍ أَوْ دَابِغُ جِلْدٍ.

وَقَالَ لِي أَخِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ: وَكَيْفَ هَذَا؟ قُلْتُ: كَانُوا يَدْبَغُونَ الأَدَمَ وَيُجْلَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَىٰ مَكَّةَ وَنَجْرَانَ إِلَىٰ عُمَانَ وَمِنْ حَلْيِ بَنِي زَهْرَةَ إِلَىٰ كَرْمَانَ وَمِنْ كَيْسَ[1] وَحَنَانَه وَفَارِسَ وَمِنْ بَنِي مَكْرمَانَ وَمِنْ زَيْلَعَ وَرحيتُو وَالمُنْذِرِيَّةِ مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَكَانَ يُزَفُّ جَمِيعُ هَذَا الأَدَمِ إِلَىٰ العِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَكَرْمَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُوَارِزْمَ وَهَجَرَ فَكَانَ يَتَفَرَّقُ فِي أَقَاصِي الأَرْضِ وَدَانِيهَا، وَمَا كَانَ يَبَانُ[2] كَمَا يُزَفُّ فِي عَصْرِنَا هَذَا لِلْفُوَّةُ مِنْ بَيْنِ[3] سَائِرِ الأَمْكِنَةِ بَرًّا وَبَحْرًا إِلَىٰ الهِنْدِ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ جَمِيعُ ذَلِكَ فِيهَا أَثَرًا كَمَا يُقَالُ: لَا تَنْظُرْ إِلَىٰ طُولِ المَنَارَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الجَامِعِ.

❋ ❋ ❋

---

(١) كَيْس: يُنْظَرُ لَهُ «مَرَاصِدُ الاِطِّلَاعِ» (٣/ ١١٩٢).

(٢) أَيْ: يَظْهَر.

(٣) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»: «مِنْ بَيْنِ»، وَفِي «ج»: «مِنْ مَا بَيْنَ».

ذِكْرُ حِشْمَةِ[١] أَهْلِ المُنْذِرِيَّةِ

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ مَأْكُولُ الفُرْسِ مِنْ أَهْلِ سِيرَافَ السَّمَكَ الضَّيْرَاكَ[٢]، فَفِي بَعْضِ الفُصُولِ يَعْدَمُ فَعِنْدَ عَدَمِهِ خَرَجَ غُلَامَانِ لِتَاجِرَيْنِ لِيَشْتَرِيَا ضَيْرَاكًا، إِذْ أَقْبَلَ الصَّيَّادُونَ بِضَيْرَاك فَتَزَايَدَ فِيهِ الغُلَامَانِ إِلَىٰ أَنْ بَلَّغُوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَاشْتَرَاهُ أَحَدُهُمَا، فَلَمَّا دَخَلَ الغُلَامُ بِالحُوتِ عَلَىٰ سَيِّدِهِ اسْتَحْسَنَ مِنْهُ ذَلِكَ وَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ يَتَعَيَّشُ فِيهَا، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الغُلَامِ الآخَرِ فَإِنَّ سَيِّدَهُ مِنْ غَيْظِهِ عَلَيْهِ أَهَانَهُ غَايَةَ الإِهَانَةِ كَمَا[٣] أَنَّ غُلَامَ زَيْدٍ غَلَبَهُ فِي الشَّطَارَةِ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلْطَانَ المَجِيدِيُّ قَالَ: إِنَّمَا أَخْرَبَ المُنْذِرِيَّةَ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ بَنِي مَجِيدٍ بَنَوُا البِلَادَ وَبَقُوا عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ أَنْ قَحطَتِ البِلَادُ وَجَاعَتِ العِبَادُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمُ افْتَرَقُوا ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَبَقِيَتْ خَرَابًا فَجَاءَتِ[٤] الحِجَازِيُّونَ فَاسْتَعَارُوا الأَرْضَ مِنْ بَنِي مَجِيدٍ، فَوَافَقَ ذَلِكَ المَوْضِعُ الحِجَازِيِّينَ وَقَوِيَتْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهَا لَمَّا أَخْصَبَتِ

---

(١) الحِشْمَةُ: الغَضَبُ.

(٢) وَهُوَ المَعْرُوفُ الآنَ بِـ«الدَّيْرَكِ» كَمَا فِي مَوْسُوعَةِ «وَيْكِيبِيدْيَا».

(٣) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ «كَمَا».

(٤) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ «فَجَاءَتْ».

البِلَادُ وَشَبِعَ العِبَادُ، فَرَجَعَ بَنُو مَجِيدٍ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَقَاتَلَهُمُ الحِجَازِيُّونَ وَأَنْكَرُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ كُرْهًا مِنْ غَيْرِ رِضًىٰ، فَلَمَّا عَجَزَ بَنُو مَجِيدٍ عَنْ مُكَافَأَتِهِمْ تَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ سَكَنُوا زَيْلَعَ، وَفِرْقَةٌ سَكَنُوا ظَفَارِ[١]، وَفِرْقَةٌ سَكَنُوا مَقْدَشُوهْ، وَبَقِيَ شِرْذِمَةٌ مِنْهُمْ فِي الجَابِيَّةِ.

قَالَ:

تَفَانَىٰ الرِّجَالُ عَلَىٰ حُبِّهَا ... وَلَا يَحْصُلُونَ عَلَىٰ طَائِلِ[٢]

وَلِعَبْدِ آلِ عَامِرٍ يَقُولُ:

أَلَا إِنَّ لِي دَيْنًا مِنَ ايَامِ ذِي اللَّوَىٰ ... وَدَيْنًا مِنَ ايَّامِ الحُسَيْنِ وَآكَدُ

أُسَايِلُ ذَا دَيْنِي أَضَافَهُ عِنْدَ ذَا ... وَذَا جَاحِدٌ دَيْنِي كَمَا ذَاكَ جَاحِدُ

وَأَهْلُهَا صَيَّادُونَ حَمَّارُونَ وَهُمْ قَوْمٌ ثِقَاتٌ أَخْيَارٌ رِجَالٌ فُحُولٌ مَأْكُولُهُمُ السَّمَكُ لَا غَيْرُ، وَجَمِيعُ عَرَبِ أَهْلِ هَذِهِ الأَعْمَالِ الجِبَالِ مَعَ التَهَائِمِ إِلَىٰ حُدُودِ الحِجَازِ لَا يَقْبَلُ أَحَدُهُمْ حُكْمَ الشَّرْعِ وَإِنَّمَا يَرْضُونَ بِحُكْمِ المَنْعِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ حُكْمُ الجَاهِلِيَّةِ الَّذِي كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ بِهِ عِنْدَ الكَهَنَةِ وَيَمَامَةِ الزَّرْقَاءِ، وَيُقَالُ: إِنَّ اليَمَامَةَ قَبْلَ الإِسْلَامِ، فَإِذَا حَكَمَ الشَّيْخُ حُكْمًا فِي المَنْعِ فِي أَحَدٍ مِنَ العَرَبِ بِضَرْبِ

---

(١) مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الكَسْرِ بِمَنْزِلَةِ قَطَامِ وَحَذَامِ، وَقَدْ أَعْرَبَهُ قَوْمٌ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٦٠).

(٢) يَذُمُّ الشَّاعِرُ فِي هَذَا البَيْتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ لِلْمُتَنَبِّي، يُنْظَرُ: «اللَّامِعُ العَزِيزِيُّ شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي» (ص١٤٨٩) لِأَبِي العَلَاءِ المعَرِّي، ط. «مَرْكَزِ المَلِكِ فَيْصَلٍ»، وَ«الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٦/ ١٤٣) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ.

العُنُقِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ الهَرَبِ، وَلَوْ أَرَادَ الهَرَبَ لَمَا أَمْكَنَ إِلَّا أَنْ يَمُدَّ عُنُقَهُ وَيَرْضَىٰ بِالقَضَاءِ، فَإِذَا وَفَّىٰ بِمَا عَلَيْهِ نَادَىٰ مُنَادٍ فِي سَائِرِ العَرَبِ وَفِي كُلِّ مَجْمَعٍ: أَلَا إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ طَابَ بِطِيبِ العَرَبِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ: جَادَ الفَتَىٰ.

وَكَانَ يُؤْخَذُ فِي العَارَةِ(١) مِنْ كُلِّ حِمْلٍ نِصْفٌ وَرُبُعٌ مِنْ ضَمَانِ العُشْرِ وَسَنَابِيقِ الصَّيَّادِينَ وَالقُفُولُ الوَارِدَةُ مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ زَبِيدٍ وَالصَّادِرِينَ مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ عَدَنَ وَمَرَاكِبُ الزَّيَالِعِ القَادِمِينَ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَةِ كُلَّ عَامٍ بِأَلْفٍ وَمِائَتَيْ دِينَارٍ، فَأُزِيلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأُعِيدَ هَذَا الرَّسْمُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَصَعِدَ الضَّمَانُ أَلْف وَسَبْعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَعَىٰ فِي ضَمَانِ القَرْيَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الأَحْوَزِيُّ وَبَقِيَ يَجْبِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَلِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ يَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا:

مَنْ لَمْ يَكُنْ عُنْصُرُهُ طَيِّبْ ... لَمْ يَخْرُجِ الطَّيِّبُ مِنْ فِيهِ
كُلُّ امْرِئٍ يُعْجِبُهُ فِعْلُهُ ... قَدْ يَنْضَحُ المَرْءُ بِمَا فِيهِ

* * *

(١) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا.

مِنَ العَارَةِ[1] إِلَى الحَلِيلَةِ رَاجِعًا عَلَى دَرْبِ الكُدَيْحَا

مِنَ العَارَةِ إِلَىٰ عَثَرَ ثَلَاثَة فَرَاسِخَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَيُوجَدُ فِيهَا مَا لَمْ يُوجَدْ فِي «مَوْزَع»، وَبِغَيْرِ «المَخَا» وَهُوَ مَرْسًىٰ دَفِيءٌ، وَمَا اشْتُقَّ اسْمُهَا عِنْدَ العَرَبِ «مَخَا» إِلَّا أَنَّهَا لَا تُمْضَغُ كَمَا لَا تُمْضَغُ المَخَا، وَهِيَ طَرِيقُ الأَصْلِ وَعَلَيْهَا كَانَ المُعَوَّلُ فِي مَسِيرِ القَوَافِلِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ طَرِيقٍ وَأَبْرَدُ لِهَوَاءِ السَّاحِلِ وَالبَحْرِ، وَإِلَىٰ الحَلِيلَةِ ثَلَاثَة فَرَاسِخَ، وَيُعْرَفُ (...)[2] وَهُوَ مَجْمَعُ الطَّرِيقَيْنِ.

* * *

مِنَ العَارَةِ إِلَى المَفَالِيسِ[3]

مِنَ العَارَةِ إِلَىٰ تُرَنَ[4] ثَلَاثَة فَرَاسِخَ.

---

(١) العَارَةُ: مَنْطِقَةٌ شَرْقِيَّ بَابِ المَنْدَبِ تُحِيطُ بِهَا شِعَابٌ وَرُءُوسٌ رَمْلِيَّةٌ مُمْتَدَّةٌ دَاخِلَ البَحْرِ، وَهِيَ مَرْكَز إِدَارِيّ مِنْ مُدِيرِيَّةِ «طَوْرِ البَاحَةِ»، وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «لَحْج». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ٩٩٠).

(٢) كَلِمَةٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٤) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا قَرِيبًا.

ذِكْرُ تُرَنَ[١]

أَهْلُ تُرَنَ أَصْلُهُمْ مِنَ امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ تُسَمَّىٰ الفَالِقَةَ سَكَنَتِ البَرَّ وَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ العَرَبِ، أَسْكَنَهَا العَرَبِيُّ أَرْضَ تُرَنَ وَرُزِقَ مِنها أَوْلَادًا إِنَاثًا وَذُكُورًا.

قَالَتِ العَرَبُ: إِنَّ أَهْلَ تُرَنَ مِنْ نَسْلِ العَرَبِيِّ وَالمَرْأَةِ، يَعْنِي الفَالِقَةَ، وَكَانَ إِذَا جَاءَهُمْ سَيْلٌ عَظِيمٌ وَمَالَ عَنْ جَرْيِهِ لِيُسْقَىٰ بِهِ مَوْضِعٌ آخَرُ كَانَتْ تَقْعُدُ فِي بَطْنِ الوَادِي وَتَسُدُّهُ مِنْ عِظَمِ خِلْقَتِهَا وَكِبَرِ جُثَّتِهَا، وَتَرُدُّ المَاءَ إِلَىٰ المَجْرَىٰ القَدِيمِ المُعْتَادِ فَتُسْقَىٰ الأَرْضُ مِنْ [جَرْيِهِ][٢] وَكَانَتْ تَبْقَىٰ عَلَىٰ حَالِهَا إِلَىٰ أَنْ تَسْقِيَ لِلنَّاسِ الأَرْضَ كُلَّهَا، فَإِذَا رُوِيَتِ الأَرْضُ وَاسْتَغْنَتِ النَّاسُ عَنْ مَاءِ السَّيْلِ فَتَقُومُ حِينَئِذٍ مِنْ مَقْعَدِهَا فَيَجْرِي مَا فَضَلَ مِنْ مَاءِ السَّيْلِ إِلَىٰ البَحْرِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا كَانَتْ سَاحِرَةً.

قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقْبِلٍ: مَا فَعَلَ اللهُ بِفَالِقَةَ؟ قَالَ: إِنَّهَا إِلَىٰ الآنَ تَعِيشُ. قُلْتُ: وَأَيْنَ تَسْكُنُ؟ قَالَ: بِوَادِي قَطِيبَةَ[٣] قُلْتُ: وَأَيْنَ الوَادِي؟ قَالَ: فِي أَعْمَالِ تُرَنَ، وَلَمْ تَمُتْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، قُلْتُ: هَلْ يَرَاهَا أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُلُّ مَنْ قَرُبَ

---

(١) تُرَنُ: زِنَةُ زُفَرَ، بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ وَنُونٍ: نَاحِيَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَعَدَنَ وَيَلِيهَا مَوْزَع، وَهُوَ المَنْزِلُ الخَامِسُ فِي وَقْتِهِ لِحَاجِّ «عَدَنَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٧) بِزِيَادَةٍ يَسِيرَةٍ جِدًّا.

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ «ج».

(٣) قَطِيبَة: كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»، وَأَمَّا «ج» فَلَمْ تُنْقَطِ البَاءُ فِيهَا.

أَجَلُهُ، قُلْتُ: وَلِمَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الأَرْضُ ترنَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الخَلْقَ كَانُوا يَتعَجَّبُونَ مِنْ عِظَمِ خَلْقِهَا فَكَانَ زَيْدٌ يَقُولُ لِعَمْرٍو: تَرَنْ، أَيْ تَرَاهَا، فَعُرِفَتِ الأَرْضُ بِهَذَا الِاسْمِ، وَلِهَذَا تَقُولُ العَادَةُ: أَنَا التُّرَنِيُّ يَسْكُنُ فَخِذ مِنْ فُخُوذِ العَرَبِ أَرْضَ تُرَنَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ بَنُو مَجيد[١] وَهُمْ أَهْلُ أَنْعَامٍ وَخَيْلٍ وَزَرْعٍ وَضَرْعٍ، لَمَّا كَثُرَ المَالُ عَلَيْهِمْ وَحَسُنَ الحَالُ بِهِمْ رَكِبُوا عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ الحِجَازيينِ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَخَذُوا جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ المَتَاعِ وَالمَالِ وَالأَثَاثِ وَعَادُوا مَنْصُورِينَ، وَبَقِيَ الحِجَازِيُّونَ فِي العَنَاءِ وَالتَّعَبِ مُدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ، وَالْتَأَمَ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْهُمْ وَرِجَالٌ مِنَ السَّكَاسِكِ[٢] فُلَانٌ وَفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ مِنَ المَعْدُودِينَ كَبَسُوا عَلَىٰ أَهْلِ تُرَنَ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَصَارَ عَادَةُ القَوْمِ إِذَا تَكَنَّىٰ[٣] أَحَدُهُمْ قَالَ: أَنَا التُّرَنِيُّ، يَعْنِي مِنْ نَسْلِ القَوْمِ الَّذِينَ حَضَرُوا الوَقْعَةَ.

وَمَلَكَ الحِجَازِيُّونَ أَرْضَ تُرَنَ إِلَىٰ الآنَ وَجَمِيعُ زُرُوعِهِمْ فِيهَا فَصَارَتْ لَهُمْ مَأْوًىٰ وَمُلْكًا.

وَإِلَىٰ النُّخَيْلَةِ[٤] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المَفَالِيسِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ.

---

(١) وَقع فِي النُّسَخِ «مَجْريد»، وَالصَّوَابُ: «بَنُو مَجِيدٍ»، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ قَرِيبًا تَحْتَ عُنْوَانِ «ذِكْرُ حِشْمَةِ أَهْلِ المُنْذِرِيَّةِ». وَقَدْ ذُكِرَ هُنَاكَ مَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الحِجَازِيِّينَ، وَنَقَلَ المُصَنِّفُ هُنَاكَ عَنْ أَحْمَدَ المَجِيدِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٩٩).

(٣) يُرِيدُ «إِذَا انْتَسَبَ».

(٤) النُّخَيْلَةُ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٣٠).

مِنَ العَارَةِ إِلَى تَعِزَّ

مِنَ العَارَةِ إِلَىٰ شعْبٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ النِّيَّةِ ثَلاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المحْجَاطِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الحُصَيْنِ[١] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ العَرِيشِ[٢] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ تَعِزَّ فَرْسَخَانِ.

❊ ❊ ❊

(١) الحُصَيْنُ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٧٣).

(٢) العَرِيشُ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٥٧).

مِنَ العَارَةِ إِلَى عَدَنَ(١)

مِنَ العَارَةِ إِلَىٰ الجَابِيَّةِ فَرْسَخٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ تُرَنَ، وَتُرَنَ مِنْ أَعْمَالِ العَارَةِ، وَإِلَىٰ بِئْرِ الصُّحْبَةِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَهِيَ بِئْرٌ حُفِرَتْ فِي آخِرِ دَوْلَةِ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَثَغْرُ العُرْفِ وَالحرَاجرَةِ وَالحجفِ(٢) وَالقعيعَا وَعويد وَمحَاذَا بِئْر صبيح عَلَىٰ يَسَارِ المَحَجَّةِ جَبَلُ حُرْزٍ، وَيُقَالُ: جَبَلُ حَرِيزْ(٣)، وَمَا عُرِفَ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَّا أَنَّهُ يُسَمَّىٰ(٤) حُرْز وَيُقَالُ: بَلْ جَبَلُ حَرِيز، أَيْ مَكِينٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

* * *

(١) سَيَأْتِي قَرِيبًا الكَلَامُ عَنْ «عَدَنَ».

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٢٢).

(٣) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْ «جَبَلِ حَرِيز» قَرِيبًا.

(٤) وَقَعَ فِي النُّسَخِ: «إِلَّا أَنَّهُ يُنْسَبُ بِهِ يُسَمَّىٰ»، وَهُوَ خَطَأٌ وَاضِحٌ وَلَمْ يُضْرَبْ عَلَىٰ مَا قَبْلَ (يُسَمَّىٰ).

صِفَةُ جَبَلِ حَرِيزٍ

هُوَ جَبَلٌ شَامِخٌ شَاهِقٌ فِي الهَوَاءِ، وَبِالقُرْبِ مِنْهُ جَبَلٌ ذُو يَسَاحٍ[(١)] أَيْ ذُو رَأْسٍ، بُنِيَ عَلَيْهِ حِصْنٌ يُسَمَّىٰ الجَاهِلِيَّ، وَيُقَالُ: الأَزَلِيَّ لِقِدَمِهِ، وَالنَّاسُ تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي لَمْ يَصْعَدْهُ إِلَّا كُلُّ صَالِحٍ وَوَلِيٍّ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صُبَيْحٍ العَقُولِيُّ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بَنَىٰ فِي إِقْلِيمِ اليَمَنِ ثَلَاثَةَ حُصُونٍ: بَيْنُونَ[(٢)] وَغُمْدَانَ وَسَلْحِينَ، وَهَذَا الحِصْنُ يَعْنِي القَاعِدَةَ وَهُوَ أَحْكَمُهُمْ، وَذَلِكَ لَمَّا تَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبِلْقِيسَ فِي أَرْضِ اليَمَنِ فَأَمَرَ الجِنَّ بَنَتْ[(٣)] هَذِهِ الحُصُونَ جَمِيعَهَا[(٤)] عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ بِالغَيْبِ وَأَحْكَمُ.

---

(١) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»، وَأَمَّا «ج» فَلَمْ تُنْقَطْ فِيهَا اليَاءُ.

(٢) بَيْنُونُ: مَدِينَةٌ أَثَرِيَّةٌ قَدِيمَةٌ فِي مَنْطِقَةِ «ثَوْبَانَ» مِنْ مُدِيرِيَّةِ «الحدَا»، وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «ذِمَار»، تَقَعُ فِي شَرْقِيِّ بَلْدَةِ «زرَاجَة»، وَهِيَ مَدِينَةٌ خَارِبَةٌ، وَكَانَ قَصْرُ «بَيْنُونَ» عَلَىٰ رَأْسِ جَبَلٍ مُسْتَطِيلٍ بِارْتِفَاعٍ يَقْرُبُ مِنْ (٥٠) مِتْرًا عَنِ الوِدْيَانِ المُجَاوِرَةِ، وَطَرِيقُهُ مَحْفُورَةٌ فِي نَفْسِ الجَبَلِ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَقَدْ شُيِّدَتْ عَلَىٰ بَقَايَا القَصْرِ وَالحِصْنِ قَرْيَةُ «النِّصْلَةِ» الحَدِيثَةُ البِنَاءِ، حَيْثُ اسْتَخْدَمَ الأَهَالِي الأَحْجَارَ الأَثَرِيَّةَ فِي تَشْيِيدِ دُورِهِمْ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢١٤) وَلَوْ كَتَبَ البَاحِثُ فِي «جُوجل» عَبْرَ النِّتِّ: أَنْفَاقُ بَيْنُونَ لَرَأَىٰ شَيْئًا عَجِيبًا، وَقَدْ أَسَّسَتِ الجِهَاتُ المَعْنِيَّةُ لِذَلِكَ مُتْحَفًا بِمُدِيرِيَّةِ «الحدَا» سُمِّيَ بِـ«مَتْحَفِ بَيْنُونَ» يَحْوِي كَثِيرًا مِنْ آثَارِ ذَلِكَ القَصْرِ وَالمَدِينَةِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٤).

(٣) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: «بَنَتْ»، وَالمُرَادُ «فَبَنَتْ».

(٤) قَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (١/ ٥٣٥) عَنْ «بَيْنُونَ» وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ بِنَاءِ التَّبَابِعَةِ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي

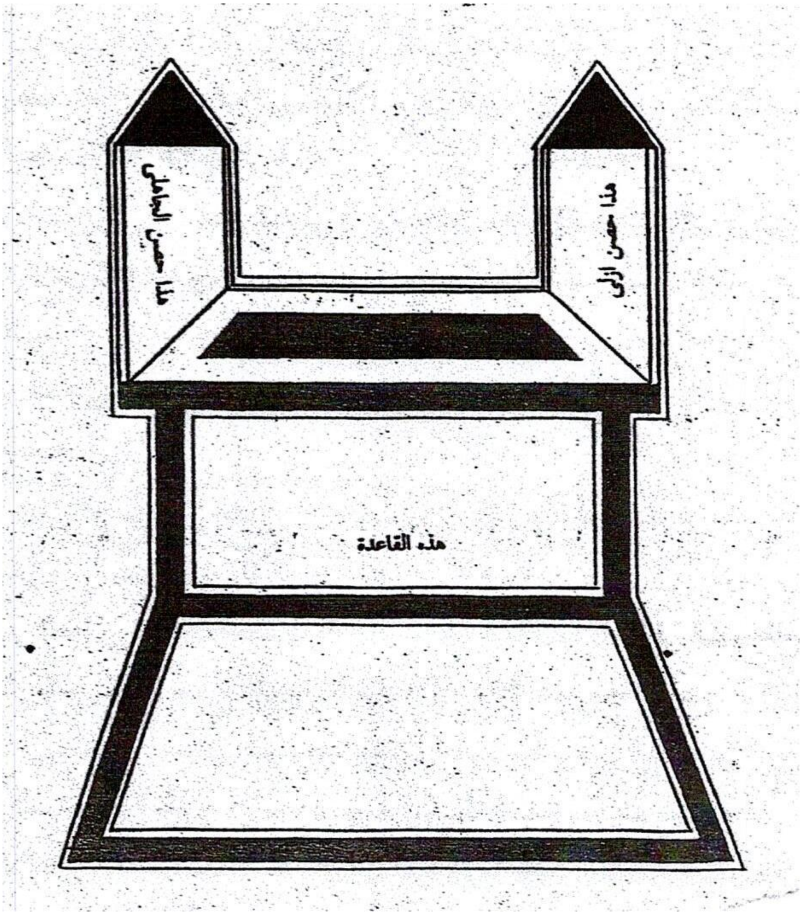
وَبَقِيَ الحِصْنُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ خَرِبَ وَانْدَثَرَ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا الغَيْثِ بْنَ سَامٍ[(١)] أَرَادَ عِمَارَةَ هَذَا الحِصْنِ فِي دَوْلَةِ الحُرَّةِ السَّيِّدَةِ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مُوسَىٰ الصُّلَيْحِيِّ بَعْدَ أَنْ أُحْضِرَ لَهُ آلَةُ البِنَاءِ، وَتَمَّ لَهُ المَقْصُودُ وَابْتَدَأَ فِي البِنَاءِ فَطَلَعَ طَلَائِعُ الجِنِّ فَقَتَلُوا جَمِيعَ القَوْمِ فِي المَكَانِ، وَبَعْدَهُ أَرَادَ عِمَارَةَ هَذَا الحِصْنِ الدَّاعِي سَبَأُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ المُظَفَّرِ الصُّلَيْحِيُّ، وَيُقَالُ: الدَّاعِي سَبَأُ بْنُ أَبِي مَسْعُودِ بْنِ الزُّرَيْعِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ المُكَرَّمِ، وَالِي عَدَنَ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ، فَلَمْ يُمَكِّنُوهُ الجِنُّ، وَأَرَادَ إِعَادَتَهُ بَعْدَهُمْ سَيْفُ الإِسْلَامِ المَلِكُ المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ فِي دَوْلَةِ المَلِكِ النَّاصِرِ أَيُّوبَ بْنِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ الفُضَلَاءِ بِتَرْكِهِ.

وَصُورَةُ بِنَائِهِ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ، كَمَا تَرَاهُ فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ:

=

أَخْبَارِ حِمْيَرٍ وَأَشْعَارِهِمْ.

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: «سَام».



فَقُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُقْبِلٍ: هَلْ فِي ذِرْوَتِهِ عِمَارَةٌ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ يَسْكُنُهُ إِلَّا مَنْ خَافَ، وَفِيهِ آثَارُ حِيطَانٍ قَدِ انْدَثَرَتْ وَجُدُرَاتٍ قَدِ انْهَدَمَتْ وَصَهَارِيجَ قَدْ خَرِبَتْ وَدَرَجٍ قَدْ تَقَلَّعَتْ(١).

---

(١) يَقُولُ الحِمْيَرِيُّ:

هَوْنَكِ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا ... لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَـــرٌ ... وَبَعْدَ سَلْحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا

قُلْتُ: فَهَلْ كَانَ عَلَيْهِ سُورٌ؟ قَالَ: إِنَّ الجَبَلَ هُوَ سُورٌ بِذَاتِهِ وَإِذَا أَصَابَ عَرَبَ هَذَا الزَّمَانِ فِي هَذِهِ البِلَادِ خَوْفٌ أَوْ جَوْرٌ مِنَ السُّلْطَانِ صَعِدُوا بِأَنْعَامِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ إِلَىٰ القَاعِدَةِ وَقَعَدُوا بِهَا إِلَىٰ أَنْ تَأْمَنَ البِلَادُ فَحِينَئِذٍ يَطْلُبُونَ البِلَادَ، فَإِذَا قَلَّ عَلَىٰ سُكَّانِهَا المَاءُ، يَعْنِي مِنَ الصَّهَارِيجِ الَّتِي بِهَا وَهِيَ خَرَابٌ، أَصْعَدَ إِلَيْهَا المَاءُ مِنْ لِحْفِ الجَبَلِ مِنْ ثَلَاثِ آبَارٍ، إِحْدَاهَا بِئْرُ عَبْدَلَ، مُشْرِفَةٌ عَلَىٰ المَحَجَّةِ، وَالثَّانِيَةُ بِئْرُ يَعُومُ، وَالثَّالِثَةُ بِئْرُ ثَنِيَّةَ، فَقُلْتُ: هَذِهِ الآبَارُ حَفَرَتْهَا الأَوَائِلُ؟ قَالَ: بَلْ مُسْتَجَدَّةٌ اسْتُجِدَّتْ فِي هَذَا العَصْرِ.

* * *

صِفَةُ وَادِي عَبْرَةَ(١)

وَالحِصْنُ مُشْرِفٌ عَلَىٰ البَحْرِ وَقَدْ خَرَجَ فَسطَرْسُ جَبَلٌ بَادٍ فِي البَحْرِ طُولُ فَرْسَخٍ [طَرِيقٌ شِبْهُ](٢) خَطِّ الاِسْتِوَاءِ. وَيُقَالُ: إِنَّ بَانِيَ الحِصْنِ أَرَادَ أَنْ يُخَرِّبَ القَادَ(٣) مِمَّا يَلِي المَشْرِقَ إِلَىٰ البَحْرِ وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ لِقُوَّةِ الصَّخْرِ، وَكَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَقْطَعَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ المَرَاكِبِ لِأَنَّهُ لَوِ اتَّفَقَ بِهِمْ لَكَانَ يَسْتَظْهِرُ عَلَىٰ أَخْذِ المَرْكِبِ لِصُعُودِهِ فَوْقَ الرِّيحِ وَبَقَاءِ المَرَاكِبِ تَحْتَ الرِّيحِ، فَلَمَّا لَمْ يَتِمَّ لَهُ قَالَ بِتَرْكِهِ، وَالآنَ هُوَ مَغَاصُ اللُّؤْلُؤِ الجَيِّدِ، وَبَقِيَ مِنَ الآبَارِ بِئْرُ عَبْدَلَ مَعَ جَبَلِ الرَّدَّادِينَ(٤)، وَبِهَا كَانَتْ وَقْعَةُ العَرَبِ مَعَ العَرَبِ وَهِيَ وَقْعَةٌ مَشْهُورَةٌ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَبِئْرُ أَبِي بَكْرٍ شَنلُو العَقْرَبِيِّ(٥) وَقَدْ بَنَىٰ عَلَىٰ البِئْرِ مَسْجِدًا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَإِلَىٰ المَزْجَحِيَّةِ ثَلَاثَة فَرَاسِخَ، وَهِيَ بِئْرٌ مَالِحَةٌ فِي أَرْضِ عَرَبٍ يُقَالُ لَهُمْ:

---

(١) لَمْ أَقِفْ عَلَىٰ مَعْلُومَاتٍ عَنْ هَذَا الوَادِي وَعَنْ مَكَانِهِ، لَكِنْ تَقَدَّمَت «عَبْرَة»، وَهِيَ بَلْدَةٌ.

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ «ج».

(٣) كَذَا فِي «ب»: «القَاد»، وَفِي «أ»: «القَاب»، وَفِي «ج»: «العَاد» دُونَ نَقْطٍ.

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «الرَّدَّادِين» بِالدَّالِ.

(٥) العَقْرَبِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَىٰ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهَا: العَقَارِبُ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٩١).

العَقَارِبُ، وَإِلَىٰ البَيْضَاءِ[١] فَرْسَخَانِ، وَتُعْرَفُ بِسَبِخَةِ الغُرَابِ، وَتُسَمَّىٰ قَاعَ الغُرَابِ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ البَحْرِ وَعَلَىٰ يَسَارِ الدَّرْبِ بِئْرٌ تُسَمَّىٰ المَخْنَقَ، بَنَاهَا القَائِدُ حُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ، وَلَيْسَ فِي الرَّبْعِ المَسْكُونِ أَحْلَىٰ وَلَا أَخَفَّ مِنْ مَائِهَا عَلَىٰ الفُؤَادِ، وَجَوَازُ القَوَافِلِ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ.

وَإِلَىٰ رُبَاكَ[٢] فَرْسَخَانِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَانَتْ عَامِرَةً، وَقَدْ عَمَّرَ بِهَا الأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ فَارُوت بُسْتَانًا حَسَنًا وَحَفَرَ بِهَا أَنْهَارًا وَغَرَسَ بِهَا النَّارَنْجَ وَالأُتْرُجَّ وَالمَوْزَ وَالنَّارَجِيلَ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّاخُوذَةَ عُمَرَ الآمِدِيَّ غَرَسَ شَجَرَ الشَّكِيِّ البَرْكِيِّ[٣]، وَهُوَ شَجَرٌ يَخْرُجُ مِنْ بَدَنِ الشَّجَرِ بِخِلَافِ جَمِيعِ الأَشْجَارِ، وَالبَرْكِي غَرَسَهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَحَفَرَ بِهَا بِرَكًا وَبِهَا حُفْرَةٌ تُسَمَّىٰ حُفْرَةَ الأَسَدِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ، كَانَتِ الخَلْقُ تَحُجُّ إِلَيْهَا مِنْ أَبْيَنَ وَلَحِج وَمَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَىٰ فِي أَوَّلِ شَهْرِ اللهِ الأَصَبِّ[٤] رَجَبٍ[٥].

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢١٢).

(٢) رُبَاكُ: بِضَمٍّ فَفَتْحٍ، قَرْيَةٌ سَاحِلِيَّةٌ خَارِبَةٌ غَرْبِيَّ بَحْرِ التَّوَاهِي مِنْ مَدِينَةِ عَدَنَ، وَفِي أَسْفَلِ وَادِي لَحَجَ قَبْلَ أَنْ يَصُبَّ فِي البَحْرِ كَانَتْ قَدِيمًا مُنْتَزَهًا جَمِيلًا لِأَهْلِ عَدَنَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٧٠) بِاخْتِصَارٍ.

(٣) الشَّكِيُّ وَالبَرْكِيُّ، يُنْظَرُ لِضَبْطِ اسْمِهِمَا وَوَصْفِهِمَا: «نُزْهَةُ المُشْتَاقِ فِي اخْتِرَاقِ الآفَاقِ» (١/ ٨٤) لِلإِدْرِيسِيِّ، وَ«رِحْلَةُ ابْنِ بَطُّوطَةَ» (٣/ ٩٤).

(٤) هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ لِشَهْرِ رَجَبٍ: «الأَصَبُّ» لِأَنَّ الخَيْرَ يُصَبُّ فِيهِ صَبًّا، وَلَا دَلِيلَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(٥) وَنَقَلَ هَذَا الوَصْفَ لِلرُّبَاكِ بَامَخْرَمَة فِي «تَارِيخِ ثَغْرِ عَدَنَ» (ص٢٠ - ٢١)، وَوَصَفَهُ بِمَا فِي وَقْتِهِ =

وَإِلَىٰ المَكْسَرِ(١) فَرْسَخٌ، قَنْطَرَةٌ بَنَاهَا الفُرْسُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا عَدَنَ عَلَىٰ سَبْعِ قَوَاعِدَ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا بَنَاهَا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ فِي الأَصْلِ.

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّمَا بَنَاهَا رَجُلٌ جَبَلِيٌّ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ، وَيُسَمَّىٰ المُزَفَّ وَكَانَ فِي الأَوَّلِ لَا يَعْدُونَ هَذَا المَوْضِعَ إِلَّا بِسَنَابِيقَ وَكَذَلِكَ المَاءُ وَالحَطَبُ.

وَإِلَىٰ جَبَلِ حَدِيدٍ(٢) نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ جَبَلُ حَدِيدٍ جَاءَ بَعْضُ أَرْبَابِ المخْبَرَةِ وَسَبَكَ مِنْ هَذَا الجَبَلِ بُهَارَيْنِ وَنِصْفًا حَدِيدًا وَغَارَ المَعْدِنُ عَنْ أَعْيُنِ الخَلْقِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الرَّجُلَ السَّبَّاكَ قُتِلَ لِأَجْلِ سَبْكِهِ الحَدِيدَ، وَفِي لِحْفِهِ مَسْجِدٌ بُنِيَ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ.

وَإِلَىٰ المَبَاه رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ عَدَنَ رُبُعُ فَرْسَخٍ.

=

وَنَقَلَ ذَلِكَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز فِي كِتَابِهِ «العَقَبَةُ» (ص١١٦ - ١١٧) وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: وَقَدْ اخْتَفَىٰ ذَلِكَ كُلُّهُ الآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا جُزْءٌ مِنْ رِبَاطٍ لَا يَزَالُ يُعْرَفُ بِرِبَاطِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ.

(١) وَهُوَ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِـ«خَوْرِ مَكْسَر»، وَهُوَ اللِّسَانُ المُمْتَدُّ مِنَ البَحْرِ وَيُحِيطُ بِجِبَالِ عَدَنَ مِنْ جِهَةِ البَرِّ، كَانَتْ مِيَاهُهُ أَثْنَاءَ حَالَةِ المَدِّ تُحِيطُ بِجِبَالِ عَدَنَ وَتَغْمُرُ أَرْضَ البَرْزَخِ، وَمَا يُعْرَفُ الآنَ بِسَاحِلِ أَبْيَنَ فَتُحَوِّلُهُ إِلَىٰ أَرْضٍ سَبِخَةٍ يُصْبِحُ العُبُورُ فِيهِ أَمْرًا صَعْبًا بَالِغًا فِي المَشَقَّةِ وَالخُطُورَةِ. ثُمَّ تَمَّ رَدْمُ مَنَاطِقَ وَاسِعَةٍ مِنْ سَاحِلِ أَبْيَنَ حَتَّىٰ أَصْبَحَتْ «خَوْرُ مَكْسَر» مَدِينَةً كَبِيرَةً حَدِيثَةً فِيهَا مِئَاتُ الفِلَلِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٨٦)، «عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ» (ص١٠٣) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ جِدًّا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٦).

(٢) يُنْظَرُ لـ«جَبَلِ حَدِيدٍ» كِتَابُ «العَقَبَةُ» (ص٦٣) لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِز، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ رَقَمُ (٩٥).

ذِكْرُ مَا كَانَتْ عَلَيهِ عَدَنُ فِي قَدِيمِ العَهْدِ

كَانَ مِنَ القُلْزُمِ(١) إِلَىٰ عَدَنَ إِلَىٰ وَرَاءِ جَبَلِ سُقُطْرَةَ كُلُّهُ بَرًّا وَاحِدًا مُتَّصِلًا لَا فِيهِ بَحْرٌ وَلَا بَاحَةٌ، فَجَاءَ ذُو القَرْنَيْنِ فِي دَوَرَانِهِ وَوَصَلَ إِلَىٰ هَذَا المَوْضِعِ فَفَتَحَ وَحَفَرَ خَلِيجًا فِي البَحْرِ فَجَرَىٰ البَحْرُ فِيهِ إِلَىٰ أَنْ وَقَفَ عَلَىٰ جَبَلِ بَابِ المَنْدَبِ فَبَقِيَتْ عَدَنُ فِي البَحْرِ وَهُوَ مُسْتَدِيرٌ حَوْلَهَا، وَمَا كَانَ يَبَانُ مِنْ عَدَنَ سِوَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ شِبْهِ الجُزُرِ.

وَلَنَا عَلَىٰ قَوْلِنَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ: أَنَّ آثَارَ مَاءِ البَحْرِ وَالمَوْجِ بَاقٍ بَائِنٌ فِي ذُرَىٰ جَبَلِ العُرِّ(٢) وَالجَبَلِ الَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ ذِرْوَتِهِ حِصْنُ التَّعْكَرِ وَجَبَلِ الأَخْضَرِ(٣).

---

(١) وَهُوَ البَحْرُ الأَحْمَرُ.

(٢) وَسَمَّاهُ بِهَذَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١١٧)، وَالحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٩٦)، وَالفَيْرُوزَ آبَادِي فِي «القَامُوسُ المُحِيطُ» (ص٤٣٨) قَالَ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ: العُرُّ جَبَلُ عَدَنَ يُسَمَّىٰ بِذَلِكَ، وَفِيهِ يَقُولُ السَّيِّدُ الحِمْيَرِيُّ:

لِي مَنْزِلَانِ بِلَحْجٍ مَنْزِلٌ وَسَـطٌ   مِنْهَا وَلِي مَنْزِلٌ بِالعُرِّ مِنْ عَدَنِ

قَالَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ كِتَابِ الهَمْدَانِيِّ «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» عَنِ العُرِّ: وَهُوَ جِبَالٌ بُرْكَانِيَّةٌ كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا «العُرُّ» ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهَا «التَّعْكَرُ»، وَاليَوْمَ «جَبَلُ شَمْسَانَ»، وَلِبُعْدِ ذِكْرِهِ نَوَّهَ بِهِ الشُّعَرَاءُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِي العُرَّيْنِ مِنْ عَدَنِ   يَوْمَ البَصِيرَةِ أَوْ صَنْعَاءَ وَالجَنَدِ

(٣) وَيُنْظَرُ: «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ» (ص٢٢ و٢٤)، وَ«عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ» (ص١٤٦ - ١٤٩)، وَ«العَقَبَةُ» =

وَالدَّلِيلُ الثَّانِي: أَنَّ شَدَّادَ بْنَ عَادٍ مَا بَنَىٰ إِرَمَ ذَاتَ العِمَادِ[(١)] إِلَّا مَا بَيْنَ اللَّخَبَةِ[(٢)] وَلَحْجَ[(٣)] وَبَيْنَ المَغَاوِي الَّتِي عَلَىٰ طَرِيقِ المَفَالِيسِ، وَهُوَ الرَّمْلُ الَّذِي إِلَىٰ جَبَلِ دَارِ زِينَةَ[(٤)]، وَمَا بَنَاهَا إِلَّا فِي أَطْيَبِ الأَرَاضِي وَالأَهْوِيَةِ وَالجَوُّ فِي صَفَاءٍ مِنَ الأَرْضِ بَعِيدًا عَنِ البَحْرِ، وَالآنَ رَجَعَ البَحْرُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ وَتَنَاوَلَ البَحْرُ شَيْئًا مِنْهُ أَخَذَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الأَرْضِ بَحْرٌ وَإِنَّمَا اسْتُجِدَّ بِفَتْحِ ذِي القَرْنَيْنِ فَمَدَّ مِنْ جَزِيرَةِ سُقْطَرَةَ[(٥)] فَسَاحَ إِلَىٰ أَنْ وَقَفَ أَوَاخِرَ المَنْدَبِ.

وَالدَّلِيلُ الثَّالِثُ: أَنَّ البَحْرَ الَّذِي مَا بَيْنَ السِّرَّيْنِ[(٦)] وَجُدَّةَ يُسَمَّىٰ مَطَارِدَ الخَيْلِ وَمَرَابِطَ الخَيْلِ، وَالأَصْلُ فِيهِ أَنَّ العَرَبَ كَانَتْ تَرْبِطُ الخَيْلَ فِي هَذِهِ الأَرْضِ،

=

(ص٣٨١)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٧).

(١) يُنْظَرُ: كِتَابُ «صِيرَةُ» (ص١٢٠) لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِز. وَ«هَدِيَّةُ الزَّمَنِ فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ لَحْجَ وَعَدَنَ» (ص٣٤-٣٥) لِأَحْمَدَ بْنِ فَضْلٍ العَبْدَلِيِّ.

(٢) اللَّخَبَةُ وَقَدْ يُقَالُ لَهَا: الأَخَبَةُ، وَهِيَ قَرْيَةٌ خَارِبَة فِي سَاحِلِ أَبْيَنَ بِالقُرْبِ مِنَ العِمَادِ فِي الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ مَدِينَةِ عَدَنَ بِمَسَافَةِ (١٤) كِيلُو. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٧٢)، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «العَقَبَةُ» (ص١٢٣) لِمُحَيْرِز.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٤) وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَىٰ البَحْرِ، وَعُرِفَ بِهَذَا الاِسْمِ لِأَنَّ المَرَاكِبَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الأَقَالِيمِ تَتَزَيَّنُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَكَانٍ إِلَىٰ عَدَنَ كَمَا وَصَفَهُ المُصَنِّفُ، كَمَا سَيَأْتِي تَحْتَ عُنْوَانِ «مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ شِبَامٍ» (ص٤٥٩).

(٥) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا. وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا.

(٦) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

وَالأَصَحُّ أَنَّهُمْ كَانُوا يُطَارِدُونَ بِهِ الخَيْلَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَحْرًا، وَكَانَ البَحْرُ أَرْضًا يَابِسَةً، فَلَمَّا فَتَحَ ذُو القَرْنَيْنِ بَابَ المَنْدَبِ غَرَّقَ جَمِيعَ الأَرَاضِي، وَمَا عَلَا مِنْهَا صَارَتْ جُزُرًا فِي نَاحِيَةِ البَحْرِ تُسَمَّىٰ بِاسْمِ الأَصْلِ مَطَارِدَ الخَيْلِ.

وَمِمَّا ذَكَرَهُ الأَمِيرُ أَبُو الطَّامِي جَيَّاشُ بْنُ نَجَاحٍ فِي كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ»[١] الأَوَّلُ، وَهُمَا كِتَابَانِ: المُفِيدُ الأَوَّلُ الَّذِي صَنَّفَهُ الأَمِيرُ جَيَّاشٌ، وَالثَّانِي صَنَّفَهُ الأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عَلِيٍّ عمَارَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عمَارَةَ[٢]، فَذَكَرَ الأَمِيرُ جَيَّاشُ بْنُ نَجَاحٍ فِي كتَابِهِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ» أَنَّ البَحْرَ كَانَ مَخَاضَةً[٣] لِقِلَّةِ مَائِهِ فَلِذَلِكَ تَغَلَّبَتِ الحَبَشَةُ عَلَىٰ جَزِيرَةِ العَرَبِ حَتَّىٰ مَلَكُوا صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَدِّ إِقْلِيمِ العَوَاهِلِ، وَبَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ فِيهَا فِي الكُفْرِ وَالإِسْلَامِ إِلَىٰ أَنْ أَفْنَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَفِي عَهْدِهِ انْقَرَضُوا وَزَالَتْ دَوْلَتُهُمْ مَعَ شِدَّةِ صَوْلَتِهِمْ.

نَعُودُ إِلَىٰ ذِكْرِ ذِي القَرْنَيْنِ، كَانَ البَحْرُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ فَتَحَ ذُو القَرْنَيْنِ بَابَ المَنْدَبِ فَجَرَىٰ البَحْرُ فِيهِ إِلَىٰ أَنْ وَقَفَ آخِرَ القُلْزُمِ فَطَالَ وَعَرُضَ وَتَرَخَّىٰ وَانْبَسَطَ وَانْفَرَشَ فَبَانَتْ أَرْضُ عَدَنَ.

---

(١) وَهُوَ مَفْقُودٌ.

(٢) صَوَابُهُ: (عُمَارَةُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ) وَيُلَقَّبُ بِنَجْمِ الدِّينِ، وَكِتَابُهُ مَطْبُوعٌ بِعُنْوَانِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» بِتَحْقِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

(٣) أَيْ: كَانَ لِقِلَّتِهِ يَخُوضُهُ النَّاسُ مُشَاةً أَوْ رُكْبَانًا. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ» (١/ ٧٠٧) ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

وَمِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الكَيْسَانِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» قَالَ: لَمَّا خَرَجَ شَدَّادُ بْنُ عَادٍ مِنْ أَرْضِ اليَمَنِ طَالِبًا أَعْمَالَ حَضْرَمَوْتَ وَوَصَلَ لَحْج فَنَظَرَ جَبَلَ العُرِّ وَعِظَمَهُ مِنْ عَلَىٰ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ: اغْدُوا وَأَبْصِرُوا هَذَا الجَبَلَ وَمَا دُونَهُ! فَلَمَّا عَايَنُوا المَوْضِعَ رَجَعُوا وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا المَوْضِعَ وَادٍ وَفِي بَطْنِهِ شَجَرٌ وَفِيهِ أَفَاعٍ عِظَامٌ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَىٰ البَحْرِ المَالِحِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهَذِهِ المَقَالَةِ نَزَلَ فِي لَحْج وَأَمَرَ بِأَنْ تُحْفَرَ الآبَارُ، الَّتِي هِيَ الآنَ يَشْرَبُ أَهْلُ عَدَنَ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَنْ يُنْقَرَ لَهُ بَابٌ فِي صَدْرِ الوَادِي[1].

* * *

---

(١) يُنْظَرُ كِتَابِي: «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» (ص٤١) نَشْرُ «دَارِ الِاسْتِقَامَةِ» بِـ«مِصْرَ».

صِفَةُ نَقْرِ البَابِ وَحَفْرِ النَّهْرِ

وَأَقَامَ(١) عَلَىٰ حَفْرِ النَّهْرِ وَنَقْرِ البَابِ رَجُلَانِ، قَالَ حُكَمَاءُ الهِنْدِ: هُمَا عِفْرِيتَانِ مِنَ الجِنِّ، وَلَا زَالَ أَحَدُهُمَا يَنْقُرُ الجَبَلَ وَالثَّانِي ابْتَدَأَ فِي حَفْرِ النَّهْرِ بِرَأْسِ سُقُطْرَةَ(٢) مِنْ أَعْمَالِ لَحْجَ، وَلَا زَالَ الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ فِي النَّقْرِ وَالحَفْرِ إِلَىٰ أَنْ بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ العَمَلِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَقَالَ الحَجَّارُ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالغَدِ أَفْرُغُ، أَيْ أُتِمُّ عَمَلِي، فَقَالَ الحَفَّارُ: وَأَنَا بِالغَدِ أُدْخِلُ المَاءَ إِلَىٰ عَدَنَ إِنَّ شَاءَ اللهُ أَوْ لَمْ يَشَأْ، فَانْقَطَعَ النَّهْرُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ وَانْسَدَّ مَعِينُ المَاءِ مِنَ الأَصْلِ وَارْتَدَمَ مَا بَنَاهُ، بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلَمْ يَصِحَّ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ تَقُمْ مِنْهُ صُورَةٌ وَلَا اسْتَقَامَ مِنْهُ مَعْنًىٰ، وَوَصَلَ فِي حَفْرِهِ إِلَىٰ تَحْتِ جَبَلِ الحَدِيدِ وَمِنْ عِنْدِهِ انْقَطَعَ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ آثَارَ النَّهْرِ بِعَيْنِهِ مَبْنِيًّا بِالحَجَرِ وَالجَصِّ بِنَاءً مُحْكَمًا وَثِيقًا فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ مَا بَيْنَ المَاءِ وَجَبَلِ الحَدِيدِ وَقَدْ عَلَاهُ البَحْرُ وَلَمْ يَبِنْ لِنَاظِرِهِ إِلَّا إِذَا عَرِيَ البَحْرُ مَادًّا شِبْهَ خَطِّ الِاسْتِوَاءِ دَاخِلًا فِي البَحْرِ.

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ الحَجَّارُ مِنَ الغَدِ فَتَحَ نَقَرَ البَابِ وَفَتحةَ البَابِ وَاسْتَقَامَ لَهُ

---

(١) أَيْ: شَدَّاد.

(٢) وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَىٰ سُقُطْرَةَ.

الأَمْرُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ بَقِيَ فِي النَّقْرِ مُدَّةَ سَبْعِينَ سَنَةً حَتَّىٰ أَتَمَّهُ، فَلَمَّا طَالَ المُقَامُ فِي حَالِ القِوَامِ صَارَ شَدَّادُ بْنُ عَادٍ يُنْفِذُ إِلَىٰ هَذَا المَكَانِ كُلَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الحَبْسُ يَحْبِسُهُ فِيهِ، فَبَقِيَ حَبْسًا عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ آخِرِ دَوْلَةِ الفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ كَانُوا وُلَاةَ مِصْرَ، وَبَعْدَ زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ خَرِبَ المَكَانُ.

❊ ❊ ❊

ذِكْرُ المُدُنِ الَّتِي كَانَتْ حُبُوسًا لِلْمُلُوكِ

كَسْمَرُ حَبْسُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلام، حَضَارنَادِي حَبْسُ ذِي القَرْنَيْنِ، تِرْمِذُ حَبْسُ الإِسْكَنْدَرِ، مُولْتَانُ حَبْسُ الضَّحَّاكِ السَّاحِرِ، آمُلُ وَسَارِي لكَيْكَاوِسَ بْنِ كَيْقبَادَ حَبْسُ الرُّومِ، حِصَار طَاق حَبْسُ برْدسيَارَ، مِصْرُ حَبْسُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَبِي مُحَمَّدٍ هَارُونَ الرَّشِيدِ، مَرْوُ حَبْسُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللهِ المَأْمُونِ، الشَّأْمُ حَبْسُ الإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ فِيهَا سِرْدَابًا إِذَا زَادَتْ دِجْلَةُ امْتَلَأَ وَبَقُوا المَحْبُوسُونَ وُقُوفًا فِي المَاءِ إِلَىٰ أَنْ يَنْقُصَ، فَمِنْ نَدَاوَةِ المَاءِ وَعُفُونَةِ الأَرْضِ وَمُلُوحَةِ السَّبِخَةِ تَنْفَطِرُ جُلُودُ المَحْبُوسِينَ، وَأَكْثَرُ مَا يَعِيشُ بِهَا المَحْبُوسُ شَهْرَ زَمَانٍ، وَنَهَاوَنْدُ حَبْسُ السُّلْطَانِ مُعَزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ سَامٍ، وَلوحَك حُورَان حَبْسُ السُّلْطَانِ بَهْرَام شَاهْ، وَقَلْعَةُ يصورَ حَبْسُ حَرْدِ مُلْكِ بْنِ خُسْرُوشَاهْ، وَبرْعَد حَبْسُ تَاجِ الدِّينِ يَلْدَزُ السُّلْطَانِيِّ، وَكوَاليُور حَبْسُ المَلِكِ قُطْبِ الدِّينِ أَبِي الفَوَارِسِ أَيْبَكَ الآمُلِيِّ، وَعوض حَبْسُ السُّلْطَانِ شَمْسِ الدِّينِ إِلْتُتْمِشَ، وَهَرَاةُ حَبْسُ السُّلْطَانِ غِيَاثِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ سَامٍ، وَحصَار هَزَارَاسبَ حَبْسُ السُّلْطَانِ أَبُو الفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ تِكَشَ، وَكُوشَك سنهْ جواهِرَانَ حَبْسُ طُغْرُلْبَك شَاهُ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَدَهْلَك حَبْسُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَيْذَابُ حَبْسُ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ، وَتَعِزُّ حَبْسُ

مُلُوكِ اليَمَنِ، وَقَوَارِيرُ حَبْسُ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَجِبَال بُرَع[١] حَبْسُ المَلِكِ الأَعَزِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ، وَسِيرَافُ حَبْسُ السُّلْطَانِ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَامٍ، وَعَدَنُ حَبْسُ الفَرَاعِنَةِ وَرَجَعَتْ مِنْ حُبُوسِ الفَاطِمِيِّينَ.

وَقَالَ الهُنُودُ: عَدَنُ حَبْس دَس سِر اسْمُ جِنِّيٍّ لَهُ عَشَرَةُ رُءُوسٍ مِنْ جُمْلَتِهِمُ الغَزَال درسير، وَكَانَ يَسْكُنُ جَبَلَ المَنْظَرِ وَيَتَفَرَّجُ عَلَىٰ رَمْلَةِ حُقَّات[٢]، وَسَكَنَ بَعْدَهُ هَنُومَتَ حُقَّاتَ، وَمَا أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا إِلَّا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلَام، لَمَّا وَصَلَ أَرْضَ اليَمَنِ لِأَجْلِ بِلْقِيسَ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ المُقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ كَانُوا عَفَارِيتَ، وَمَا سُمِّيَتْ عَدَنُ عَدَنَ إِلَّا بِعَدْنَانَ لَمَّا بَنَاهَا سَمَّاهَا عَلَىٰ اسْمِ ابْنِهِ عَدَنَ[٣]، وَمَا اشْتُقَّ عَدَنُ إِلَّا مِنْ عَادٍ، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ حُبِسَ بِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَدَنُ، فَسُمِّيَتْ بِهِ.

---

(١) بُرَع: جَبَلٌ عَظِيمٌ يَقَعُ شَرْقِيَّ مَدِينَةِ الحُدَيْدَةِ عَلَىٰ بُعْدِ (٦٠) كِيلُو، وَارْتِفَاعُهُ (١٤٠٠) مِتْرًا عَنْ سَطْحِ البَحْرِ، وَهُوَ مِنَ الجِبَالِ الوَعِرَةِ صَعْبَةِ المُرْتَقَىٰ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٥٦)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٨).

(٢) حُقَّات: هُوَ الجُزْءُ الغَرْبِيُّ المُتَدَرِّجُ فِي الِانْخِفَاضِ مِنْ جَبَلِ شَمْسَانَ المُطِلِّ عَلَىٰ مَدِينَةِ عَدَنَ، وَيَمْتَدُّ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ المُجَاوِرَةِ لِجَبَلِ «صِيرَةَ» شَرْقًا كَمَا يُطِلُّ مِنَ الشَّمَالِ عَلَىٰ خَلِيجِ حُقَّاتَ الَّذِي كَانَتْ تَرْسُو بِهِ السُّفُنُ قَدِيمًا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٨٤)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٩).

(٣) قَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (٤/ ٨٩) عَنْ هَذَا القَوْلِ: «وَهَذَا عَجِيبٌ لَمْ أَرَ أَحَدًا ذَكَرَ أَنَّ عَدْنَانَ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ عَدَنُ غَيْرَ مَا وَرَدَ فِي هَذَا المَوْضِعِ» اهـ، وَأَقْرَبُ مَا يُقَالُ عَنْ تَسْمِيَةِ عَدَنَ بِذَلِكَ هُوَ لِأَنَّهَا مَكَانُ الإِقَامَةِ وَالعُدُونِ، يُقَالُ: عَدَنَ بِالمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَيُنْظَرُ كِتَابِي «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» (ص١٨ - ٢٠).

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا اشْتُقَّ اسْمُ عَدَنَ إِلَّا مِنَ المَعْدِنِ، وَهُوَ مَعْدِنُ الحَدِيدِ.

وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ الفُرْسِ اخرسكينَ، وَعِنْدَ الهُنُودِ سِيرَانَ وَعِنْدَ السُّودَانِ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ التُّجَّارِ يَأْكُل صَيْدَهْ، وَتُسَمَّىٰ حَبْسَ فِرْعَوْنَ وَمَقَامَ الجِنِّ وَسَاحِلَ البَحْرِ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ الهُنُودِ هتَامَ، وَعِنْدَ الظرفَاءِ سنداسَ، لِأَنَّ كُلَّ مَا يَرْمِيهِ الإِنسَانُ فِي الأَزْيَبِ(١) يَرُدُّهُ الكَوْسُ(٢) إِلَىٰ اللَّحَادُوسِ.

وَتُسَمَّىٰ(٣) فُرضَةَ اليَمَنِ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ السُّوقَةِ دَارَ السَّعَادَةِ، بِدَارٍ بَنَاهُ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ مُقَابِلَ الفُرْضَةِ، وَتُسَمَّىٰ الدَّارَ الطَّوِيلَةَ بِدَارٍ بَنَاهَا ابْنُ الجَابِين عَلَىٰ مُحَاذَاةِ الفُرْضَةِ، وَتُسَمَّىٰ المَنْظَرَ بِدَارٍ بَنَاهَا المَلِكُ المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ عَلَىٰ جَبَلِ حُقَّاتَ(٤)، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ التُّجَّارِ صِيرَةَ وَحِيرَةَ(٥).

* * *

---

(١) وَهِيَ رِيحُ الجَنُوبِ.

(٢) قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: الكَوْسُ هَيْجُ البَحْرِ وَخَبُّهُ.

(٣) يَعْنِي عَدَنَ.

(٤) يُنْظَرُ كِتَابِي: «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» (ص٤٨).

(٥) وَسَيَأْتِي قَرِيبًا الكَلَامُ عَنْ جَبَلِ صِيرَةَ.

ذِكْرُ جَبَلِ صِيرَةَ

هُوَ جَبَلٌ شَامِخٌ فِي البَحْرِ مُقَابِلَ عَدَنَ وَجَبَلِ المَنْظَرِ وَيُقَالُ: هُوَ قِطْعَةٌ مِنْهُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الكِيْسَانِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»: إِنَّهُ يَخْرُجُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ صِيرَةِ عَدَنَ نَارٌ تَسُوقُ الخَلْقَ إِلَىٰ المَحْشَرِ(١)، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قُلَيْبٌ بِالجَبَلِ، بِئْرٌ تُسَمَّىٰ انبَارَ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ حُكَمَاءِ الهِنْدِ (فِي بر)، يَخْرُجُ طُولَ الدَّهْرِ مِنْهُ دُخَانٌ، وَتُسَمَّىٰ الآنَ بِئْرَ الهَرَامِسَةِ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ النَّظَرُ فِيهِ مِنْ وَهَجِهِ وَكَرْبِهِ وَقَتَامِهِ، وَتُوجَدُ حَوْلَ البِئْرِ حِجَارَةٌ مُكَسَّرَاتٌ وَأَفَاعٍ نَائِمَاتٌ وَحَيَّاتٌ قَائِمَاتٌ.

قَالَتِ الهُنُودُ: إِنَّ هَنُومَتَ -أَيِ العِفْرِيتَ المُقَدَّمَ ذِكْرُهُ- حَفَرَ هَذِهِ البِئْرَ،

---

(١) لَيْسَ لَدَيْنَا نَصٌّ مِنْ شَرِيعَتِنَا الإِسْلَامِيَّةِ يُحَدِّدُ لَنَا مَكَانَ خُرُوجِ نَارٍ مِنْ صِيرَةَ. نَعَمْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (٢٩٠١) أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الكُبْرَىٰ وَعَلَامَاتِهَا فَقَالَ: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنَ تَرْحَلُ النَّاسَ»، وَمَعْنَىٰ «تَرْحَلُ النَّاسَ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الحَاءِ: تَأْخُذُهُمْ بِالرَّحِيلِ وَتُزْعِجُهُمْ، كَمَا فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٨/ ٢٩) لِلنَّوَوِيِّ، وَمَا يَذْكُرُ المُصَنِّفُ هُنَا أَكْثَرُهُ خُرَافَاتٌ وَخُزَعْبَلَاتٌ، وَكَذَلِكَ مَا يَنْقُلُهُ فَإِنَّ فِيهِ الكَثِيرَ مِمَّا يَحْتَاجُ دَعْمًا وَتَعْزِيزًا مِنْ غَيْرِهِ، وَرَحِمَ اللهُ الأُسْتَاذَ عَبْدَ اللهِ مُحَيْرِز حَيْثُ قَالَ فِي كِتَابِهِ «صِيرَةُ» عَنْ هَذَا الكِتَابِ: «ابْنُ المُجَاوِرِ مَصْدَرٌ هَامٌّ لَا غِنَىٰ عَنْهُ إِلَّا أَنَّ كَثْرَةَ الشَّطَحَاتِ فِي أَجْزَاءٍ مِنْهُ يَجْعَلُ قَبُولَ مَا جَاءَ فِيهِ عَلَىٰ عِلَّاتِهِ أَمْرًا يَنْطَوِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ المُجَازَفَةِ إِذَا لَمْ تَتَوَفَّرْ إِلَىٰ جَانِبِهِ مَرَاجِعُ أُخْرَىٰ مُسْتَقِلَّةٌ». يُنْظَرُ كِتَابُ «صِيرَةُ» (ص٣٨٩) لِمُحَيْرِز، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٠).

وَلَيْسَ هِيَ بِئْرًا، وَإِنَّمَا هُوَ سِرْبٌ يَنْفُذُ حَفْرُهُ تَحْتَ البَحْرِ إِلَىٰ مَدِينَةِ أُوجِينَ بكرمي وَهِيَ سَرِيرُ مُلْكِ مَالوي مِنَ الهِنْدِ.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي مُبَارَكٌ الشَّرْعَبِيُّ مَوْلَىٰ وَالِدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ السَّبَبُ فِي حَفْرِ بِئْرِ (فِي بر) أَنَّ حَادِنيرْ -وَهُوَ عِفْرِيتٌ- سَرَقَ تَحْتَ زَوْجَةِ رَام جندرَ، مِنْ أَعْمَالِ عُوصَ وَسَارَ بِهَا إِلَىٰ أَنْ سَكَنَ بِهَا عَلَىٰ قُلَّةِ جَبَلِ صِيرَةَ، وَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْلِبَ عَنْكِ صُورَةَ الإِنْسِيَّةِ إِلَىٰ صُورَةِ الجِنِّيَّةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي لَا وَنَعَمْ إِذْ سَمِعَ بِخَبَرِهِمَا هَنُومَتُ، وَهُوَ عِفْرِيتٌ ثَانٍ عَلَىٰ صُورَةِ قِرْدٍ، فَحَفَرَ هَذَا السِّرْبَ مِنْ أَوْسَطِ مَدِينَةِ أُوجِين بكرمي تَحْتَ البَحْرِ وَبَلَغَ آخِرُ الحَفْرِ إِلَىٰ أَوْسَطِ جَبَلِ صِيرَةَ وَفَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَخَرَجَ مِنَ الحَفْرِ فَوَجَدَهَا نَائِمَةً عَلَىٰ ذِرْوَةِ الجَبَلِ تَحْتَ شَجَرَةِ شَوْكٍ فَرَفَعَهَا عَلَىٰ ظَهْرِهِ وَنَزَلَ بِهَا السِّرْبَ، وَلَا زَالَ يَسْرِي بِهَا إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ أوجين بكرمي، فَعِنْدَ انْفِجَارِ الفَجْرِ الصَّادِقِ[1] سَلَّمَهَا إِلَىٰ زَوْجِهَا رَام جندرَ، فَرُزِقَ مِنْهَا رَام جندر وَلَدَانِ ذَكَرَانِ سَمَّىٰ أَحَدَهُمَا لث وَالثَّانِي كش، وَلَهَا حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا، فَبَقِيَ السِّرْبُ إِلَىٰ الآنَ.

وَكَذَلِكَ حَفَرَ كَيْكَالُوسُ بْنُ كَيْقبَادَ سِرْبًا مِنَ الرَّيِّ إِلَىٰ مَازَنْدَرَانَ مَسِيرَةَ سِتَّةِ

---

(١) لِأَنَّ الفَجْرَ فَجْرَانِ: الأَوَّلُ: الفَجْرُ الكَاذِبُ، وَهُوَ البَيَاضُ المُسْتَطِيلُ الَّذِي يَبْدُو فِي نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ عِنْدَ العَرَبِ بِذَنبِ السَّرْحَانِ، ثُمَّ يَنْكَتِمُ فَيَعْقُبُهُ ظَلَامٌ، وَالفَجْرُ الثَّانِي: هُوَ مَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ «الصَّادِقُ» وَهُوَ البَيَاضُ المُسْتَطِيرُ المُعْتَرِضُ فِي الأُفُقِ، وَلَا يَزَالُ يَزْدَادُ نُورُهُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَقِيلَ لَهُ: الصَّادِقُ لِأَنَّهُ صَدَقَكَ عَنِ الفَجْرِ وَبَيَّنَهُ لَكَ، وَيُنْظَرُ: «المُغْنِي» (١/ ٣٨٥) لِابْنِ قُدَامَةَ، وَ«المَجْمُوعُ» (٣/ ٣٦) لِلنَّوَوِيِّ، وَ«المُحَلَّىٰ» رَقْمُ المَسْأَلَةِ (٣٣٨) لِابْنِ حَزْمٍ.

وَثَلَاثِينَ فَرْسَخًا، وَحَفَرَ بَعْضُ الهُنُودِ سِرْبًا فِي دِيُولَارَهْ مِنْ أَعْمَالِ السُّومنَاتِ يَنْفُذُ أَوَاخِرُهُ إِلَىٰ بَابِهِنَّ مِنْ أَعْمَالِ الدِّيُوكِيرِ أَوَّلَ حُدُودِهِ[(١)] مَالوي، وَيَنْفُذُ -أَيْضًا- تَحْتَ بِحَارٍ وَرِمَالٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ حَفْرُ الجِنِّ وَلَا شَكَّ فِي هَذَا.

وَحَفَرَتْ رُؤَسَاءُ هَمَذَانَ فِي وَسَطِ أَمْلَاكِهِمْ سِرْبًا يَنْفُذُ إِلَىٰ رُوذْرَاوَرَ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَحَفَرَ كرشَاسب بْنُ اثرط بْنِ رُسْتُمَ سِرْبًا فِي وَسَطِ قَصْرِهِ الَّذِي بِقَلْعَةِ أَرَاكَ بِسِيسْتَانَ يَنْفُذُ أَوَاخِرُهُ إِلَىٰ وَسَطِ حصَار طَاق، مَسِيرَةَ اثْنَيْ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَحَفَرَ دَيْرُ الجُبِّ فِي نَوَاحِي المَوْصِلِ[(٢)].

قَالَتِ النَّصَارَىٰ: لَمَّا قَتَلَ سنْحَارِيبُ وَلَدَهُ منْ بِهَا رَمَاهُ فِي حُفْرَةٍ كَانَتْ بِالقُرْبِ مِنْهُ انْخَرَقَ فِي الحُفْرَةِ سِرْبٌ يَنْفُذُ إِلَىٰ الزَّابِ[(٣)] مَسِيرَةَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، قَالَتِ النَّصَارَىٰ: وَعَاشَ مُرْتَهَنًا بَعْدَ المَوْتِ وَإِدْرَاك الفَوْتِ، وَهُوَ إِلَىٰ الآنَ بِالحَيَاةِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي.

وَحَفَرَ بَعْضُ سَوَارِيبِ الهُنُودِ بِمَدِينَةِ بَرَهْنَكَ سِرْبًا مَسِيرَةَ أَرْبَعة فَرَاسِخ بِطَرِيقٍ، وَكَانَ سَبَبُهُ مَا حَدَّثَنِي أَبُو طَالِبِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الحُدَّانِيُّ، المَعْرُوفُ بِابْنِ السُّوَيْدَائِيِّ، أَنَّهُ عَشِقَ بِنْتَ المَلِكِ فَحَفَرَ هَذَا السِّرْبَ مِنْ بَيْتِ اليد إِلَىٰ دَارِ الصَّبِيَّةِ، فَكَانَ يَمْشِي إِلَيْهَا وَتَجِيءُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مُدَّةَ حَيَاتِهِمَا، فَلَمَّا

---

(١) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «حدده».

(٢) هِيَ دَيْرٌ فِي شَرْقِيِّ المَوْصِلِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ إِرْبِلَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٥٠٣).

(٣) هِيَ الزَّابُ الأَعْلَىٰ بَيْنَ المَوْصِلِ وَإِرْبِلَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ١٢٣).

خَرَّبَ السُّلْطَانُ نِظَامُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ[(١)] البَلْدَةَ بَقِيَ السِّرْبُ عَلَىٰ حَالِهِ، وَبَقِيَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ المَخْرُوق فِيهِ خَرْقٌ مُتَّصِلٌ مِنْ تَحْتِهِ إِلَىٰ ذِرْوَتِهِ[(٢)]، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

وَفِي نَوَاحِي المَوْصِلِ[(٣)] قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا: البَاعُورُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لِعَرَبٍ مِنْ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمِنْ شِدَّةِ البَاعُورِ انْخَرَقَ فِي الأَرْضِ سِرْبٌ يَطُولُ مِنَ البَاعُورِ إِلَىٰ الدِّجْلَةِ[(٤)] مَسِيرَةَ خَمْسة فَرَاسِخَ.

وَحَفَرَ شَاهْ بُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ بَابكَانَ فِي قَلْعَةِ نَيْسَابُورَ سِرْبًا تَحْتَ الأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسَةِ فَرَاسِخَ يَنْفُذُ إِلَىٰ بَرِّيَّةٍ، وَمَا عَمِلَهُ إِلَّا لِإِحْكَامِ القَلْعَةِ وَحَقْنِ دِمَاءِ الخَلْقِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: الهَرَبُ فِي وَقْتِهِ ظَفَرٌ.

نَرْجِعُ إِلَىٰ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِنَا الأَوَّلِ:

فَإِذَا تَعَوَّقَتِ المَرَاكِبُ فِي المَجِيءِ عَنْ مَوْسِمِ ثَغْرِ عَدَنَ يُجَاءُ إِلَىٰ جَبَلِ صِيرَةَ

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٧/ ٤٨٣) بِرَقْمِ (٣١٩).

(٢) قَالَ عَنْهُ ابْنُ جُبَيْرٍ: «وَهُوَ جَبَلٌ فِي بَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، وَفِي صَفْحِهِ الأَعْلَىٰ ثُقْبٌ نَافِذٌ تَخْتَرِقُهُ الرِّيَاحُ. «رِحْلَةُ ابْنِ جُبَيْرٍ» (ص١٤٠) ط. «المَكْتَبَةِ العَصْرِيَّةِ».

(٣) المَوْصِلُ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالعِرَاقِ، يُنْظَرُ الكَلَامُ عَنْهَا بِتَوَسُّعٍ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٢٢٣).

(٤) كَذَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ: «الدِّجْلَة» وَهُوَ نَهْرُ بَغْدَادَ، لَكِنْ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ القَالِيُّ فِي «البَارِعُ فِي اللُّغَةِ» (ص٦٣٥) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: تَقُولُ: أَتَيْتُ «دِجْلَةَ» وَلَا تَقُلِ: «الدِّجْلَةُ» كَمَا لَا تَقُولُ: «المَكَّةُ»، وَجَعَلَ ابْنُ الجَوْزِيِّ «الدِّجْلَةَ» بِالأَلِفِ وَاللَّامِ مِنْ كَلَامِ العَامَّةِ كَمَا فِي كِتَابِهِ «تَقْوِيمُ اللِّسَانِ» (ص١٠٦)، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٤٠) لِلْحَمَوِيِّ.

بِسَبْعِ رُءُوسِ بَقَرٍ عِنْدَ اصْفِرَارِ الشَّمْسِ وَتَبْقَىٰ البَقَرُ فِي مَكَانِهَا إِلَىٰ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَبَعْدَ زَوَالِ هَذَا الحَدِّ تُرَدُّ سِتُّ رُءُوسٍ مِنْهَا إِلَىٰ عَدَنَ وَيَبْقَىٰ رَأْسٌ وَاحِدٌ هُنَاكَ مَكَانَهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ ضُحِّيَ بِهِ مِنَ الغَدِ فِي مَكَانِهِ، وَتُسَمَّىٰ تِلْكَ الضَّحِيَّةُ ضَحِيَّةَ الجَبَلِ، فَإِذَا عُمِلَ هَذَا العَمَلُ تَقَدَّمَ المَرَاكِبُ وَتَلَاحَقَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَقَدْ صَارَتْ سُنَّةً مِنْ قَدِيمِ الأَيَّامِ مِنْ دَوْلَةِ بَنِي زُرَيْعٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ العَرَبِ، وَبَطُلَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا.

فَصْلٌ: فَإِذَا حَاذَىٰ مَرْكَبُ المُسَافِرِ مَدِينَةَ سُقُطْرَةَ أَوْ جَبَلَ كُدُمُّلَ تُسَمَّىٰ تِلْكَ المُحَاذَاةُ الفَوْلَةَ، يُؤْخَذُ قِدْرٌ يُعْمَلُ عَلَيْهِ شِرَاعٌ وَسُكَّان مِنْ جَمِيعِ آلَةِ المَرَاكِبِ وَيُعَبَّىٰ فِيهِ مِنَ الأَطْعِمَةِ مِنْ قَلِيلِ نَارجِيلٍ وَمِلْحٍ وَرَمَادٍ وَيلْقَىٰ فِي البَحْرِ مِنَ الأَمْوَاجِ الهَائِلَةِ.

قَالَ أَهْلُ التَّجَارِبِ وَالخِبْرَةِ: إِنَّهُ يَصِلُ بِسَلَامَةٍ إِلَىٰ لِحْفِ الجَبَلِ(١).

وَكَانَ فِي أَيَّامِ القِبْطِ وَاليُونَانِ فِي وَقْتِ زِيَادَةِ النِّيلِ تُؤْخَذُ بِنْتٌ بِكْرٌ عَذْرَاءُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الصُّوَرِ تُزَيَّنُ بِأَفْخَرِ زِينَةٍ، وَتَلْبَسُ الحُلِيَّ وَالحُلَلَ، وَيُؤْتَىٰ بِهَا

---

(١) كَلَامٌ عَجِيبٌ لَا يُقِرُّهُ الشَّرْعُ القَوِيمُ وَلَا العَقْلُ السَّلِيمُ. وَأَمَّا الفَوْلَةُ اليَوْمَ عِنْدَ أَهْلِ عَدَنَ وَعِنْدَ أَهْلِ بَعْضِ الأَمَاكِنِ، هِيَ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ غَائِبٌ أَوْ خَرَجَ مَرِيضٌ مِنَ المُسْتَشْفَىٰ مِمَّنْ لَهُ مَكَانَةٌ وَقَدْرٌ يَجْمَعُ مُحِبُّوهُ شَيْئًا مِنَ الحَلاوة المُشَكَّلَةِ «النَّعنع»، وَقَدْ يَضَعُونَ مَعَ ذَلِكَ بَعْضَ النُّقُودِ لِلأَطْفَالِ، وَعِنْدَ دُخُولِهِ البَيْتَ يَسْكُبُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ رَأْسِهِ سَكْبًا، ثُمَّ يَتَسَابَقُ مَنْ حَوْلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الَّذِي سُكِبَ كُلٌّ يَأْخُذُ مَا اسْتَطَاعَ أَخْذَهُ مَعَ فَرْحَةٍ وَسُرُورٍ وَبَهْجَةٍ.

عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ وَيُطْلِقُونَهَا فِي النِّيلِ، فَأُزِيلَ هَذَا الفَنُّ فِي أَيَّامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

وَفِي أَجَّهْ وَجَمِيعِ أَعْمَالِ الهِنْدِ وَالسِّنْدِ إِذَا زَرَعَ أَحَدٌ قَصَبَ السُّكَّرِ يَنْذِرُ لِلصَّنَمِ نَذْرًا إِذَا طَلَعَ قَصَبُهُ جَيِّدًا فَدَىٰ بِإِنْسَانٍ، فَإِنْ صَحَّ قَصَبُهُ احْتَالَ عَلَىٰ بَعْضِ قِصَارِ الأَعْمَارِ يَذْبَحُهُ وَيَرُشُّ بِدَمِهِ أُصُولَ قَصَبِ السُّكَّرِ فِي يَوْمِ عِيدٍ لَهُمْ يُسَمَّىٰ الدِّيوَانِيَّ، وَإِذَا زَادَ شَطُّ السِّنْدِ فِي الأَخْذِ عَلَىٰ المَدِّ وَالحَدِّ يُؤْخَذُ خَشِفُ(٢) غَزَالٍ يُجَلَّلُ بِثَوْبٍ أَحْمَرَ وَيُعَطَّرُ وَيُبَخَّرُ وَيُطْلَقُ فِي أَغْزَرِ مَوْضِعٍ وَأَقْوَىٰ جَرَيَانٍ فِي السَّيْلِ وَأَشَدِّ سِوَارٍ، فَحِينَئِذٍ يَنْقُصُ المَاءُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا ذَكَرْنَا هَذِهِ إِلَّا لِنُبَرْهِنَ مَقَالَتَنَا وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) هَذِهِ القِصَّةُ ذُكِرَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّوَارِيخِ، مِنْ ذَلِكَ «فُتُوحُ مِصْرَ» (ص١٧٧) لِابْنِ عَبْدِ الحَكَمِ، وَ«تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٤٤/ ٣٣٧) لِابْنِ عَسَاكِرَ، وَ«شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ» (٩/ ١٢٦) بِرَقْمِ (٦٦)، وَفِيهَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَرْسَلَ بِطَاقَةً إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ العَاصِ لِيُلْقِيَهَا فِي النِّيلِ كَتَبَ فِيهَا: مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَىٰ نِيلِ مِصْرَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي مِنْ قِبَلِكَ فَلَا تَجْرِ، وَإِنْ كَانَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ هُوَ الَّذِي يُجْرِيكَ فَنَسْأَلُ اللهَ الوَاحِدَ القَهَّارَ أَنْ يُجْرِيَكَ»، وَفِيهِ أَنَّ البِطَاقَةَ أُلْقِيَتْ فِيهِ فَجَرَىٰ، وَأَهْلُ الحَدِيثِ يُضَعِّفُونَ القِصَّةَ لِضَعْفِ سَنَدِهَا، فَإِنَّ فِيهَا إِبْهَامًا وَضَعْفًا فِي بَعْضِ رِجَالِهِ، وَانْقِطَاعًا.

(٢) الخَشِفُ: وَلَدُ الظَّبْيِ.

ذِكْرُ المَعْجَلَيْنِ

هُوَ بِرْكَةٌ فِي آخِرِ جَبَلِ حُقَّاتَ وَجَبَلِ صِيرَةَ الَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ ذِرْوَتِهِ قَصْرُ المَنْظَرِ، وَالبِرْكَةُ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَىٰ وَهِيَ مَا بَيْنَ جَبَلِ حُقَّاتَ وَجَبَلِ صِيرَةَ[١] وَهِيَ ذَاتُ أَمْوَاجٍ هَائِلَةٍ قَاتِلَةٍ فِي عُمْقٍ وَغَزْرٍ.

حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُقَرَّبِ بْنِ عَلِيٍّ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: إِذَا بَرَدَ المَاءُ بِهَا -يَعْنِي فِي البِرْكَةِ- يَكُونُ العَامُ عَامًا شَدِيدًا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَقْطَعُ الصَّبَا، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِكَثْرَةِ الأَمْوَاجِ وَهَيَجَانِ البَحْرِ، وَإِذَا كَانَ المَاءُ فِيهِ فَاتِرًا يَكُونُ العَامُ عَامًا طَيِّبًا سَهْلًا يَسِيرًا غَيْرَ عَسِيرٍ عَلَىٰ مُسَافِرِهِ وَهَذَا مُجَرَّبٌ، قُلْتُ لِرَيْحَانَ، مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ: لِمَ سُمِّيَ هَذَا المَكَانُ المَعْجَلَيْنِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يُرَجِّعُ فِيهِ كُلَّ أَرْبَعَةٍ اثْنَيْنِ[٢].

---

(١) أَيْ: أَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ صِيرَةَ وَجَبَلِ حُقَّاتَ وَالمَنْظَرِ، وَيُنْظَرُ: «عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ» (ص١٧٤) وَهِيَ كَمَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز: «فَجْوَةٌ تُقَدَّرُ بِمِائَتَيْ يَارْدَةً يَنْفُذُ إِلَيْهَا المَاءُ مِنْ «حُقَّاتَ» بِعُنْفٍ وَقُوَّةٍ»، يُنْظَرُ كِتَابُهُ «صِيْرَةُ» (ص٣٨٠)، وَاليَارْدَةُ: ثَلَاثَةُ أَقْدَام، وَتُسَاوِي ٤٤ و٩١سم، يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّد عَلِي البَار: «وَلَا يَزَالُ هَذَا البَحْرُ يَتَدَفَّقُ عَلَىٰ «صِيرَةَ»، وَيَخْشَاهُ أَبْنَاءُ «عَدَنَ»، وَخَاصَّةً فِي مَوْسِمِ الرِّيَاحِ، فَإِنَّ السِّبَاحَةَ فِيهِ قَاتِلَةٌ، وَكَمْ مِنْ شَبَابِ «عَدَنَ» غَرِقُوا فِي لُجَجِهِ وَدَوَّامَاتِهِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ كَثِيرًا مِنْ أَسْمَاكِ القِرْشِ الكَبِيرَةِ المُفْتَرِسَةِ وَالَّتِي تُهَاجِمُ مَنْ يَسْبَحُ فِي مِيَاهِهِ». «عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ» (ص١٧٣ - ١٧٤).

(٢) كَأَنَّ مُرادَه: إِذَا رَكِبَ البَحْرَ أَرْبَعَةٌ يَمُوتُ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَيَرْجِعُ اثْنَانِ.

ذِكْرُ بُحَيْرَةِ الأَعَاجِمِ(١)

قِيلَ: لَمَّا أَطْلَقَ ذُو القَرْنَيْنِ البَحْرَ مِنْ جَبَلِ بَابِ المَنْدَبِ وَسَاحَ نَشِفَ مَا حَوْلَ عَدَنَ مِنَ المِيَاهِ وَبَقِيَتْ عَدَنُ نِصْفُهَا الَّتِي تَلِي جَبَلَ العُرِّ مِمَّا يَلِي صِيرَةَ مَكْشُوفًا وَمِمَّا يَلِي المباهَ وَإِلَىٰ جَبَلِ عِمْرَانَ نَاشِفًا، فَلَمَّا اسْتَوْلَتْ مُلُوكُ العَجَمِ عَلَىٰ عَدَنَ رَأَوْا ذَلِكَ الكَشْفَ فَخَافُوا عَلَىٰ البَلَدِ مِنْ يَدٍ غَالِبَةٍ تُحَاصِرُ البَلَدَ، فَحِينَئِذٍ قَامُوا فَتَحُوا لَهُ فَمًا مِمَّا يَلِي جَبَلَ عِمْرَانَ وَأَطْلَقُوا البَحْرَ عَلَيْهِ فَانْدَفَقَ البَحْرُ فَنَزَلَ إِلَىٰ أَنْ غَرَّقَ جَمِيعَ مَا حَوْلَ عَدَنَ مِنْ أَرْضِ الكَشْفِ فَرَجَعَتْ عَدَنُ جَزِيرَةً، وَبَقِيَ كُلُّ مَنْ أَرَادَ السَّفَرَ إِلَىٰ جِهَةٍ مِنَ الجِهَاتِ رَكَّبَ مَتَاعَهُ فِي الصَّنَابِيقِ وَيَجِيءُ فِي البَحْرِ الأَصْلِيِّ إِلَىٰ أَنْ يُعَدِّيَ البَحْرَ، وَجَاءَتِ الجِمَالُ فَرَفَعُوهُ مِنْ عِنْدِ المَكْسَرِ وَسَافَرُوا بِهِ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْ تَعَبِ الخَلْقِ فِي ذَلِكَ بُنِيَ المَكْسَرُ وَهُوَ قَنْطَرَةٌ بُنِيَتْ عَلَىٰ سَبْعِ قَوَاعِدَ فَصَارَتِ الخَلْقُ تَسْلُكُهُ عَلَىٰ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، وَسُمِّيَ البَحْرُ المُسْتَجَدُّ بُحَيْرَةَ الأَعَاجِمِ وَعُرِفَ بِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ(٢).

---

(١) يَقُولُ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز: اخْتَفَىٰ هَذَا الاِسْمُ وَلَمْ يَعُدْ مَعْرُوفًا البَتَّةَ. «العَقَبَةُ» (ص٧١).

(٢) أَخَذَ بَامَخْرَمَة فِي كِتَابِهِ «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ» (ص٢٢) هَذَا التَّعْرِيفَ عَنِ المُصَنِّفِ لِبُحَيْرَةِ الأَعَاجِمِ وَلَمْ يَتَعَقَّبْهُ، وَهَذَا التَّعْرِيفُ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ كَمَا قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز فِي كِتَابِهِ «صِيرَةُ» (ص٧١): أَقْرَبُ إِلَىٰ الخُرَافَةِ مِنْهُ إِلَىٰ الحَقِيقَةِ.

بِنَاءُ عَدَنَ

لَمَّا انْقَطَعَتْ دَوْلَةُ الفَرَاعِنَةِ خَرِبَ المَكَانُ بِزَوَالِ دَوْلَتِهِمْ، وَسَكَنَ الجَزِيرَةَ قَوْمٌ صَيَّادُونَ يَصِيدُونَ فِي المَكَانِ، فَكَانُوا عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ زَمَانًا طَوِيلًا يَتَرَزَّقُونَ اللهَ فِي القُوتِ وَالمَعَاشِ إِلَىٰ أَنْ قَدِمَ أَهْلُ القُمْرِ بِمَرَاكِبَ وَخَلْقٍ وَجَمْعٍ وَمَلَكُوا الجَزِيرَةَ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجُوا الصَّيَّادِينَ بِالقَهْرِ وَسَكَنُوا عَلَىٰ ذِرْوَةِ الجَبَلِ الأَحْمَرِ وَحُقَّاتَ وَجَبَلِ المَنْظَرِ، وَهُوَ جَبَلٌ يُشْرِفُ عَلَىٰ الصِّنَاعَةِ، وَآثَارُهُمْ إِلَىٰ الآنَ وَبِنَاؤُهُمْ بَاقٍ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ مِلْءَ تِلْكَ الأَوْدِيَةِ وَالجِبَالِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لِي أَدْمُعٌ هَوَاطِلُ	مُذْ خَلَتِ المَنَازِلُ
وَسَارَ حَادِي عِيسِهِمْ	فَهَاجَتِ البَلَابِلُ
وَقَفْتُ فِي رُبُوعِهِمْ	هَاذٍ بِهِمْ وَسَائِلُ
يَا دَارُ هَلْ مِنْ خَبَرٍ	رُدَّ جَوَابِي عَاجِلُ
أَجَابَنِي مِنَ الرُّبُو	عِ صَائِحٌ وَقَائِلُ
ابْكِ دَمًا يَا غَافِلًا	قَدْ سَارَتِ القَوَافِلُ
لِي فِيهِمُ فَتَّانَةٌ	رَشِيقَةُ الشَّمَائِلِ
فِي خَدِّهَا وَقَدِّهَا	وَرْدٌ وَغُصْنٌ ذَابِلُ

وَكَانُوا يَطْلُعُونَ مِنَ القُمْرِ(١) يَأْخُذُونَ عَدَنَ رَأْسًا وَاحِدًا فِي مَوْسِمٍ وَاحِدٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَاتَتْ تِلْكَ الأُمَمُ مَعَ تِلْكَ الرِّئَاسَةِ وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الطَّرِيقُ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي زَمَانِنَا يَعْلَمُ مَجْرَىٰ القَوْمِ وَلَا كَمْ كَيْفَ كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ وَأُمُورُهُمْ.

فَصْلٌ: قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمِنْ عَدَنَ إِلَىٰ مَقْدَشُوهْ مَوْسِمٌ، وَمِنْ مَقْدَشُوهْ إِلَىٰ كِلْوَةَ(٢) مَوْسِمٌ ثَانٍ، وَمِنْ كِلْوَةَ إِلَىٰ القُمْرِ مَوْسِمٌ ثَالِثٌ، فَكَانَ القَوْمُ يَجْمَعُونَ الثَّلَاثَةَ المَوَاسِمَ فِي مَوْسِمٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ جَرَىٰ مَرْكَبٌ مِنَ القُمْرِ إِلَىٰ عَدَنَ بِهَذَا المَجْرَىٰ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، أَقْلَعَ مِنَ القُمْرِ وَكَانَ طَالِبًا كِلْوَةَ فَأَرْسَىٰ بِعَدَنَ.

وَلِمَرَاكِبِهِمْ أَجْنِحَةٌ لِضِيقِ بِحَارِهِمْ وَوَعْرِهَا وَقِلَّةِ المَاءِ بِهَا، فَلَمَّا ضَعُفَ القَوْمُ وَاسْتَقْوَتْ عَلَيْهِمُ البَرَابِرُ أَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا وَمَلَكُوا البَلَدَ وَسَكَنُوا الوَادِيَ، مَوْضِعٌ هُوَ الآنَ عَامِرٌ بِصَرَائِفَ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ الصَّرَائِفَ(٣) بِعَدَنَ، وَبَعْدَهُمْ خَرِبَ المَكَانُ وَبَقِيَ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنِ انْتَقَلُوا أَهْلُ سِيرَافَ مِنْ سِيرَافَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ.

---

(١) القُمْرُ: جَزِيرَةٌ فِي وَسَطِ بَحْرِ الزَّنْجِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٣٩٧) وَهِيَ مَا تُعْرَفُ اليَوْمَ بِجُزُرِ القَمَرِ.

(٢) كِلْوَة: بِالكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ وَفَتْحِ الوَاوِ وَالهَاءِ بِلَفْظِ وَاحِدَةِ الكِلَىٰ: مَوْضِعٌ بِأَرْضِ الزَّنْجِ مَدِينَة. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٧٨)، كَذَا قَالَ يَاقُوتُ: وَالمَعْرُوفُ أَنَّ وَاحِدَةَ الكُلَىٰ بِضَمِّ الكَاف كُلْوَةٌ، وَجَاءَ فِي «مُعْجَمِ الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ» (١/ ٦٢٣): لَمْ يَرِدْ ضَبْطُ الكَافِ بِالكَسْرِ فِي كَلِمَةِ «كُلْوَةٍ» فِي أَيٍّ مِنَ المَعَاجِمِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَةِ.

(٣) وَهَذِهِ صَهَارِيجُ مُعَلَّقَةٌ وَمَصَارِفُ لِلْمَاءِ لَا يَبْعُدُ شَكْلُهَا عَنْ مَصَارِفِ الطَّوِيلَةِ. «صَهَارِيجُ عَدَنَ» (ص٣٢٣) لِمُحَيْرِز، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٢).

وَوَقَعَ سُلْطَانُ شَاهْ بْنُ جَمْشِيدَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرَ فِي عَدَنَ فَنَزَلَ وَتَوَطَّنَ بِهَا فَانْغَمَرَ المَوْضِعُ بِمُقَامِهِ، وَكَانَ يَجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِيَاهَ الشُّرْبِ مِنْ زَيْلَعَ[1]، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ البُعْدُ بَنَوُا الصِّهْرِيجَ لِأَجْلِ مَاءِ الغَيْثِ وَنُقِلَ طِينُ البِنَاءِ مِنْ نَوَاحِي أَبْيَنَ، وَيُقَالُ: مِنْ زَيْلَعَ، فَلَمَّا كَثُرَ الخَلْقُ بِعَدَنَ بَنَوْا بِهَا الحَمَّامَاتِ، وَبُنِيَ الحَمَّامُ عِنْدَ حَبْسِ الدَّمِ فَسِيل فَغُسِلَ الأَرْضُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبَنَوُا الجَامِعَ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَمَّامِ المُعْتَمِدِ رَضِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التِّكْرِيتِيِّ[2]، وَوُضِعَ مِرْبَطُ الفِيَلَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَمَلَأَ لِحْفَ الجَبَلِ الأَخْضَرِ بِالطُّولِ وَالعَرْضِ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ تَوَلَّىٰ السَّلْطَنَةَ.

* * *

(١) زَيْلَعُ: جَزِيرَةٌ فِي البَحْرِ الأَحْمَرِ مَا بَيْنَ أَرْضِ اليَمَنِ وَبِلَادِ الحَبَشَةِ، اسْتَمَرَّتْ تَابِعَةً لِلْيَمَنِ حَتَّىٰ اسْتَوْلَتْ بِرِيطَانْيَا عَلَىٰ عَدَنَ سَنَةَ (١٢٥٥هـ) ثُمَّ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الصُّومَالُ، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ جَمَاعَةٌ مِنَ الأُدَبَاءِ وَالعُلَمَاءِ أَمْثَالُ الفَقِيهِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الزَّيْلَعِيِّ، وَالشَّاعِرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَىٰ الزَّيْلَعِيِّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٧٦٢هـ) لَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ أَسْمَاهُ «الجَوْهَرُ الفَائِقُ فِي مَدْحِ خَيْرِ الخَلَائِقِ»، وَإِلَىٰ هَذِهِ الجَزِيرَةِ يَنْتَسِبُ آلُ الزَّيْلَعِيِّ أَهْلِ صَنْعَاءَ، وَآلُ الزَّيْلَعِيِّ بِالمُكَلَا بِحَضْرَمَوْتَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٥٥).

(٢) التِّكْرِيتِيُّ: بِكَسْرِ التَّاءِ وَسُكُونِ الكَافِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ اليَاءِ وَآخِرُهَا تَاءٌ، بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَلَىٰ الدِّجْلَةِ فَوْقَ بَغْدَادَ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٣/ ٥٠٠)، «الأَنْسَابُ» (٣/ ٦٤).

ذِكْرُ أَلْقَابِ مُلُوكِ العَجَمِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مُلْكَ عَدَنَ

مَوْلَانَا وَلِيُّ النِّعَمِ، وَمَعْدِنُ الكَرَمِ، المَلِكُ العَالِمُ، العَادِلُ المُؤَيَّدُ مِنَ السَّمَاءِ، المَنْصُورُ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ، المُتَوَّجُ بِالجَلَالِ وَالسَّنَاءِ، شَاهَنْشَاهْ المُعَظَّمُ، مَالِكُ رِقَابِ الأُمَمِ، سَيِّدُ سَلَاطِينِ العَرَبِ وَالعَجَمِ، حَافِظُ عِبَادِ اللهِ، حَارِسُ بِلَادِ اللهِ، مُعِزُّ أَوْلِيَاءِ اللهِ، مُذِلُّ أَعْدَاءِ اللهِ، غِيَاثُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، رُكْنُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، تَاجُ مُلُوكِ العَالَمِينَ، قَامِعُ البُغَاةِ وَالمُشْرِكِينَ، مُغِيثُ الدَّوْلَةِ القَاهِرَةِ، مُزِيلُ الأُمَمِ الكَافِرَةِ، مُحْيِي السُّنَنِ الزَّاهِرَةِ، بَاسِطُ العَدْلِ وَالرَّأْفَةِ، نَاصِرُ السَّلْطَنَةِ وَالخِلَافَةِ، عِمَادُ مَمَالِكِ الدُّنْيَا، مُظْهِرُ كَلِمَةِ اللهِ العُلْيَا، مُرْفِهُ الخَلَائِقِ بِالإِنْصَافِ، مُزِيلُ الجَوْرِ وَالِاعْتِسَافِ، القَائِمُ بِتَأْيِيدِ الحَقِّ، النَّاظِمُ لِصَلَاحِ الخَلْقِ، ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ، مُحْيِي السُّنَّةِ وَالفَرْضِ، سُلْطَانُ البَرِّ وَالبَحْرِ، مَلِكُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، أَيا سُلْطَانُ شَاهْ بْنُ جَمْشِيدَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: مَوْلَانَا وَلِيُّ النِّعَمِ، بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، جَلَالُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، نَاصِرُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، غِيَاثُ جُيُوشِ العَالَمِينَ، قَاتِلُ الخَوَارِجِ وَالمُشْرِكِينَ، قِوَامُ المِلَّةِ، نِظَامُ الأُمَّةِ، قُطْبُ المَمْلَكَةِ، مُعِزُّ السَّلْطَنَةِ، عِدَّةُ الخِلَافَةِ، بَهْلَوَانُ إِيرَانَ وَتُورَانَ، أَبُو سِنَانِ سَفَاوسُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرٍ قَسِيمُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: مَوْلَانَا وَلِيُّ النِّعَمِ، قَسِيمُ الدِّينِ، يَمِينُ الإِسْلَامِ، صِمْصَامُ الدَّوْلَةِ، قِوَامُ السُّنَّةِ، نُصْرَةُ المُلُوكِ، بَهَاءُ الأُمَرَاءِ، كردُو أَبُو المُظَفَّرِ أَسْعَدُ بْنُ قَيْصَرَ بُرْهَانُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: مَوْلَانَا وَلِيُّ النِّعَمِ، جَلَالُ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، مُغِيثُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، مُعِزُّ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، سَيْفُ السُّنَّةِ، بَهَاءُ المِلَّةِ، تَاجُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المَمْلَكَةِ، مُعِينُ الخِلَافَةِ، فَخْرُ الأُمَرَاءِ مُنِيرُ بَارِيكَ أَبُو شُجَاعٍ نَامشَادُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرَ نُصْرَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: مَوْلَانَا وَلِيُّ النِّعَمِ، وَالأَمِينُ الأَجَلُّ، المُؤَيَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ، عِمَادُ الإِسْلَامِ، عَلَاء تُورَان، حُسَامُ السُّنَّةِ، جَلَالُ المُلُوكِ، غِيَاثُ الأُمَرَاءِ، زَنْدَهْ أَبُو الفَتْحِ كيقبَادُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْصَرَ مُعِزُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: وَالمَوْلَىٰ مُحْيِي الدِّينِ، مُعِزُّ الإِسْلَامِ، رُكْنُ الدَّوْلَةِ، عَضُدُ المُلُوكِ، مُغِيثُ الأُمَرَاءِ، أَبُو سَعِيدٍ قَيْصَرُ بْنُ رُسْتُمَ بْنِ قَيْصَرَ عُمْدَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: وَالمَوْلَىٰ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، غِيَاثُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، تَاجُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، نَاصِرُ السُّنَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، عِمَادُ الأُمَّةِ، رُكْنُ المَمْلَكَةِ، نُصْرَةُ الخِلَافَةِ، مُغِيثُ الأُمَرَاءِ، مَلِكُ العَرَبِ وَالعَجَمِ، أَبُو الصَّمْصَامِ، عَادُ بْنُ شَدَّادِ بْنِ جَمْشِيدَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرَ، يَمِينُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: وَالمَوْلَىٰ تَاجُ الدِّينِ، نَاصِرُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، مَجْدُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، مُعِزُّ السُّنَّةِ، مُحْيِي المِلَّةِ، غِيَاثُ الأُمَّةِ، عِمَادُ المَمْلَكَةِ، يَمِينُ الخِلَافَةِ،

جَلَالُ الأُمَرَاءِ، مَلِكُ الهِنْدِ وَاليَمَنِ، أَبُو الملكِ تَاجُ الدِّينِ جَمْشِيدُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ قَيْصَرَ، ظَهْرُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: وَالمَوْلَىٰ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، مُحْيِي الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، ظَهْرُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، نِظَامُ المِلَّةِ، وَمُظْهِرُ السُّنَّةِ، جَمَالُ المُلُوكِ، مُعِزُّ الأُمَرَاءِ، أَبُو الوَفَاءِ كَذَار شَاهْ بْنُ هزَارَاسبَ، يَمِينُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

آخَرُ: وَالمَوْلَىٰ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ، تَاجُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، رُكْنُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، قِوَامُ السُّنَّةِ، غِيَاثُ الأُمَّةِ، نَاصِرُ المَمْلَكَةِ، مُحْيِي الأُمَّةِ، عِمَادُ الخِلَافَةِ، مَجْدُ الأُمَرَاءِ، أَبُو البَرَكَاتِ الحَارِثُ هزَارَاسب بْنُ جَمْشِيدَ بْنِ أَسْعَدَ، حُسَامُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

فَهَؤُلَاءِ المُلُوكُ مُلُوكُ العَجَمِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مُلْكَ عَدَنَ.

❊ ❊ ❊

بِنَاءُ الجَامِعِ

وَمِمَّا ذَكَرَهُ عمَارَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عمارَةَ(١) فِي كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ»(٢) قَالَ:

إِنَّ جَامِعَ عَدَنَ بَنَاهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ وَجَدَّدَهُ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ(٣)، وَالأَصَحُّ أَنَّ مَا بَنَىٰ الجَامِعَ إِلَّا الفُرْسُ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي بِنَائِهِ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي زَمَانِهِمْ قِطْعَةَ عَنْبَرٍ كَبِيرَةً مَلِيحَةً فَأُتِيَ بِهَا إِلَىٰ صَاحِبِ عَدَنَ فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا أَصْنَعُ بِهَا؟ بِيعُوهَا وَابْنُوا بِثَمَنِهَا جَامِعًا، فَلَسْتُ أَرَىٰ دِرْهَمًا أَحَلَّ مِنْ هَذَا الدِّرْهَمِ، وَلَا يَخْرُجُ فِي وَجْهٍ أَحَقَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، فَبَاعُوا العَنْبَرَ وَأَخَذُوا ثَمَنَهُ بُنِيَ بِهِ جَامِعُ عَدَنَ فِي طَرْفِ البَلَدِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ لَا بُنِي فِي وَسَطِ البَلَدِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ فِي وَسَطِ مَدِينَةِ عَدَنَ عَيْنَ مَاءٍ مَادًّا مِنَ البَحْرِ إِلَىٰ المِمْلَاحِ(٤)، وَلَنَا عَلَىٰ قَوْلِنَا دَلِيلٌ أَنَّ مِنْ

---

(١) تَقَدَّمَ أَنَّ اسْمَهُ (عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ).

(٢) وَهُوَ مَطْبُوعٌ بِعُنْوَانِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» بِتَحْقِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

(٣) «المُفِيدُ» (ص٧٠)، وَقَوْلُ المُؤَرِّخِ الأَكْوَعِ مُعَلِّقًا عَلَىٰ الكِتَابِ: إِنَّ هَذَا المَسْجِدَ هُوَ مَا يُعْرَفُ اليَوْمَ بِـ«مَسْجِدِ الحُسَيْنِ»، هَذَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَا يَدْعَمُ هَذَا القَوْلَ، وَيُنْظَرُ كِتَابُ «صِيرَةُ» (ص٤١٢ - ٤١٣) لِابْنِ عَدَنَ عَبْدِ اللهِ مُحَيْرِز ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لَهُ.

(٤) المِمْلَاحُ يَتَكَوَّنُ مِنَ الأَرَاضِي السَّبِخَةِ المُمْتَدَّةِ مِنْ «خَوْر مَكْسَر» الَّتِي يَمُدُّهَا البَحْرُ بِالمِيَاهِ أَثْنَاءَ المَدِّ وَيَنْحَسِرُ عَنْهَا أَثْنَاءَ الجَزْرِ، وَيُمْكِنُ إِيقَافُ مَدِّ مِيَاهِ البَحْرِ حَتَّىٰ يَجِفَّ، وَيُجْمَعُ المِلْحُ مِنْهَا =

بَقَايَا العَيْنِ مَوْضِعَ المِلْحِ الَّذِي يُجَمَّدُ فِيه المِلْحُ بِالمِمْلَاحِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ وَرَاءَ حَمَّامِ المُعْتَمِدِ رَضِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التِّكْرِيتِيِّ أَنَّ سَيْلًا عَظِيمًا غَسَلَ أَرْضَ الوَادِي فَظَهَرَ بِهِ مَدَابِغُ جُمْلَةً مِنْ أَيَّامِ الفُرْسِ كَانَتْ قَدْ عَلَتْ عَلَيْهَا الأَرْضُ مِنْ طُولِ المَدَىٰ.

وَحَدَّثَنِي رَيْحَانُ مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: إِنَّهُ ظَهَرَ عِنْدَ حَبْسِ الدَّمِ بِقُرْبِ جَبَلِ حُقَّاتَ حَمَّامٌ كَبِيرٌ عَظِيمٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ، وَقَدْ كَانَتْ عَلَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ، مِنْ بِنَاءِ العَجَمِ، وَكَانَتِ النَّاسُ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ العَجَمِ يَجِدُونَ العَنْبَرَ الكَثِيرَ إِلَىٰ بَابِ المَنْدَبِ، وَكَانَ الصَّيَّادُونَ يَجِدُونَهُ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ مَرْكَبٌ أَوْ تَاجِرٌ يَقُولُونَ لَهُ: تَشْتَرِي مِنَّا حَشِيشَ البَحْرِ؟ يَعْنُونَ بِهِ العَنْبَرَ، وَيُقَالُ: إِنَّ الشَّيْخَ شبير الصَّيَّادَ وَجَدَ قِطْعَةَ عَنْبَرٍ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا هِيَ فَجَاءَ بِهَا إِلَىٰ بَيْتِهِ فَعَازَهُ الحَطَبُ فَأَوْقَدَهَا تَحْتَ القِدْرِ عِوَضَ الحَطَبِ، فَعَلِمَ بِهِ النَّاسُ فَعُرِفَ الشَّيْخُ بِوَقَّادِ العَنْبَرِ، وَقَدِ انْقَطَعَ جَمِيعُ ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ سُوءِ ظَنِّنَا وَقُبْحِ فِعَالِنَا ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] فَعِنْدَ زَوَالِ أَيَّامِ العَجَمِ مَلَكَهَا العَرَبُ.

=

وَيُسَاعِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ طَوَاحِينُ الهَوَاءِ الَّتِي كَانَتْ مُنْتَشِرَةً فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ، وَقَدْ جَمَعَ اليَمَنِيُّونَ القُدَامَىٰ المِلْحَ مِنْ هَذِهِ المَنْطِقَةِ وَصَدَّرُوهُ إِلَىٰ مُخْتَلَفِ المَنَاطِقِ اليَمَنِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ. «عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ» (ص١٢٧)، وَ«العَقَبَةُ» (ص٨٨)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٤٢)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥١).

(١) [الكَهْف، آيَة: ١٧].

ذِكْرُ أَخْبَارِ [بَنِي][(١)] زُرَيْعِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ المُكَرَّمِ وُلَاةِ عَدَنَ

نِسْبَتُهُمْ مِنْ هَمْدَانَ، ثُمَّ مِنْ جُشَمَ بْنِ يَامَ بْنِ أَصْبَا، وَكَانَ لِجَدِّهِمُ العَبَّاسِ بْنِ المُكْرَمِ بْنِ الذِّئْبِ سَابِقَةٌ مَحْمُودة فِي قِيَامِ الدَّعْوَةِ المُسْتَنْصِرِيَّةِ مَعَ الدَّاعِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ، ثُمَّ مَعَ وَلَدِهِ المُكَرَّم، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ زَبِيدٍ وَأَخْذِ أُمِّهِ أَسْمَاءَ[(٢)] بِنْتِ شِهَابِ بْنِ أَسْعَدَ مِنَ الأَحْوَلِ سَعِيدِ بْنِ نَجَاحٍ[(٣)].

وَكَانَ السَّبَبُ فِي مُلْكِهِمْ لِعَدَنَ أَنَّ الصُّلَيْحِيَّ لَمَّا افْتَتَحَهَا وَفِيهَا بَنُو مَعْنٍ أَبْقَاهَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا قُتِلَ الصُّلَيْحِيُّ نَافَقَتْ بَنُو مَعْنٍ فِي عَدَنَ فَسَارَ المُكَرَّمُ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ فَافْتَتَحَهَا وَأَزَالَ بَنِي مَعْنٍ مِنْهَا وَوَلَّاهَا العَبَّاسَ وَمَسْعُودًا ابْنَيْ المُكرَّمِ، وَجَعَلَ مَقَرَّ العَبَّاسِ تَعْكَرَ عَدَنَ وَهُوَ يَحُوزُ البَرَّ وَالبَابَ[(٤)]، وَجَعَلَ

---

(١) زِيَادَةٌ مِنْ «أ».

(٢) وَهِيَ زَوْجَةُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ مَلِكِ اليَمَنِ. «الأَعْلَامُ» (١/ ٣٠٥) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٣) لِأَنَّ الأَحْوَلَ قَتَلَ زَوْجَهَا فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: «أُمُّ الدُّهَيْم» وَأَسَرَهَا وَأَقَامَتْ فِي الأَسْرِ سَنَةً كَامِلَةً فِي زَبِيدٍ، وَرَأْسُ زَوْجِهَا وَأَخِيهِ مُعَلَّقَانِ أَمَامَ طَاقَةِ دَارِهَا، وَابْنُهَا المُكَرَّمُ فِي صَنْعَاءَ لَا يَدْرِي أَيْنَ هِيَ، ثُمَّ عَلِمَ بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ بِجَيْشٍ وَظَفَرَ بِالأَحْبَاشِ وَأَنْقَذَهَا وَعَادَتْ مَعَهُ إِلَىٰ صَنْعَاءَ فَتُوُفِّيَتْ فِيهَا. «الأَعْلَامُ» (١/ ٣٠٥-٣٠٦) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٤) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهُ.

لِمَسْعُودٍ حِصْنَ الخَضْرَاءِ، وَهُوَ يَحُوزُ السَّاحِلَ وَالمَرَاكِبَ، وَاسْتَحْلَفَهُمَا لِلحُرَّةِ(١) السَّيِّدَةِ ابْنَةِ المَلِكِ أَحْمَدَ، لِأَنَّ الصُّلَيْحِيَّ كَانَ قَدْ أَصْدَقَهَا عَدَنَ حِينَ زَوَّجَهَا مِنَ ابْنِ المُكَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ.

وَلَمْ يَزَلْ خَرَاجُ عَدَنَ يَصِلُ إِلَيْهَا وَهُوَ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ المُكَرَّمُ أَحْمَدُ، ثُمَّ وَفَّىٰ لَهَا بَعْدَ مَوْتِ المُكْرَّمِ العَبَّاسُ وَمَسْعُودٌ ابْنَا المُكْرَّمِ، فَلَمَّا مَاتَا تَغَلَّبَ عَلَىٰ عَدَنَ زُرَيْعُ(٢) بْنُ العَبَّاسِ وَأَبُو الغَارَاتِ بْنُ مَسْعُودٍ فَسَارَ المُفَضَّلُ(٣) بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ إِلَىٰ عَدَنَ وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَانَ آخِرُهَا المُصَالَحَةَ عَلَىٰ نِصْفِ خَرَاجِ عَدَنَ.

وَلَمَّا مَاتَ المُفَضَّلُ تَغَلَّبَتْ أَهْلُ عَدَنَ عَلَىٰ النِّصْفِ البَاقِي فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي الفُتُوحِ ابْنُ عَمِّ المُفَضَّلِ فَصَالَحَهُمْ عَلَىٰ رُبُعِ الخَرَاجِ لِلحُرَّةِ(٤)، وَلَمَّا ثَارَتْ آلُ زُرَيْعٍ فِي التَّعْكَرِ تَغَلَّبَ أَهْلُ عَدَنَ عَلَىٰ الرُّبُعِ الَّذِي لِلحُرَّةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا فِي عَدَنَ شَيْءٌ لِمَوْتِ رِجَالِهَا، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلِيُّ(٥) بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَجِيبِ الدَّوْلَةِ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُذْكَرُ فِي الكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ بِاليَمَنِ بِـ«أَرْوَىٰ بِنْتِ أَحْمَدَ الصُّلَيْحِيِّ»، وَيُنْظَرُ: «الأَعْلَامُ» (٧/ ٢٧٩).

(٢) سَيَأْتِي التَّعْرِيفُ بِهِ قَرِيبًا.

(٣) هُوَ المُفَضَّلُ بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ ابْنِ الوَلِيدِ الحِمْيَرِيُّ، كَانَ مِنْ رِجَالِ الحُرَّةِ الصُّلَيْحِيَّةِ، يُنْظَرُ: «الأَعْلَامُ» (٧/ ٢٧٩) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٤) الحُرَّةُ بِنْتُ أَحْمَدَ المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهَا آنِفًا.

(٥) لِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ خَبَرِهِ يُنْظَرُ: «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٦٥) لِبَامَخْرَمَةَ.

ذِكْرُ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

نَزَلَ المُفَضَّلُ بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِلَىٰ زَبِيدٍ وَكَانَ مَعَهُ زُرَيْعُ[(١)] بْنُ العَبَّاسِ وَعَمُّهُ مَسْعُودُ بْنُ المُكَرَّمِ، وَلَهُمَا يَوْمَئِذٍ صِبْيَانٌ فِي عَدَنَ، فَقُتِلَا جَمِيعًا عَلَىٰ بَابِ زَبِيدٍ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ الأَمْرَ بَعْدَهُمَا بِعَدَنَ أَبُو السُّعُودِ بْنُ زُرَيْعٍ وَأَبُو الغَارَاتِ بْنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ وَلِيَ الأَمْرَ بَعْدَهُمَا الأَمِيرُ الدَّاعِي سَبَأُ[(٢)] بْنُ أَبِي السُّعُودِ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي الغَارَاتِ ثُمَّ وَلَدُهُ عَلِيٌّ الأَعَزُّ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الغَارَاتِ[(٣)]، ثُمَّ الدَّاعِي مُحَمَّدُ[(٤)] بْنُ سَبَأٍ، وَهُوَ آخِرُ بَنِي دَاوُدَ، ثُمَّ وَلَدُهُ عِمْرَانُ[(٥)]، وَصَفَتْ بَعْدَهُ لِآلِ زُرَيْعٍ مُحَمَّدٍ وَأَبِي السُّعُودِ ابْنَيْ عِمْرَانَ، وَهُمَا طِفْلَانِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

---

(١) زُرَيْعُ بْنُ العَبَّاسِ بْنُ المُكَرَّمِ اليَامِيُّ، مِنْ دُعَاةِ البَاطِنِيَّةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي «عَدَنَ» وَمَا حَوْلَهَا. «الأَعْلَامُ» (٣/ ٤٤).

(٢) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «الأَعْلَام» (٣/ ٧٦)، وَهُوَ كَالَّذِي قَبْلَهُ مِنْ دُعَاةِ البَاطِنِيَّةِ بِاليَمَنِ.

(٣) يُنْظَرُ: «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ١٣٦) لِبَامَخْرَمَةَ.

(٤) مِنْ دُعَاةِ البَاطِنِيَّةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ، كَانَ صَاحِبَ عَدَنَ وَمَا حَوْلَهَا أَيَّامَ «الحُرَّةِ» الصُّلَيْحِيَّةِ»، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «قِلَادَةِ النَّحْرِ» (٤/ ١٧٠) بِرَقْمِ (٢٣٩٢)، وَ«الأَعْلَامُ» (٦/ ١٣٥).

(٥) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «الأَعْلَامُ» (٥/ ٧١) لِلزِّرِكْلِيِّ.

ذِكْرُ السَّبَبِ فِي زَوَالِ مُلْكِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الغَارَاتِ وَحُصُولِهَا لِلدَّاعِي سَبَأٍ

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الجَزَرِيِّ نَائِبًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي الغَارَاتِ فِي نِصْفِ عَدَنَ، وَأَحْمَدُ ابْنُ غِيَاثٍ نَائِبُ سَبَأٍ فِي نِصْفِ عَدَنَ، فَقَاسَطَ ابْنُ الجَزَرِيِّ فِي قِسْمَةِ الخَرَاجِ أَحْمَدَ ابْنَ غِيَاثٍ فَامْتَدَّتْ أَيَادِي أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الغَارَاتِ إِلَىٰ ظُلْمِ النَّاسِ وَعَاثُوا وَأَفْسَدُوا وَأَطْلَقُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِمَذَامِّ الدَّاعِي سَبأٍ، فَحِينَئِذٍ قَامَ القَائِدُ بِلَالُ[1] بْنُ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيُّ إِلَىٰ وُلَاةِ عَدَنَ، وَقَدْ أَمَرَهُ الدَّاعِي أَنْ يُهَايِجَ القَوْمَ وَيُحَرِّكَ القِتَالَ بِعَدَنَ، فَفَعَلَ بِلَالٌ ذَلِكَ وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ وَقَائِعُ عَظِيمَةٌ فِي لَحْجَ آخِرُهَا قَتَلَ الدَّاعِي سَبَأُ بْنُ أَبِي السُّعُودِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي الغَارَاتِ بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَأَوْصَىٰ بِالأَمْرِ لِوَلَدِهِ عَلِيٍّ الأَعَزِّ، وَكَانَ عَلِيٌّ الأَعَزُّ مُقِيمًا بِالدُّمْلُوَةِ[2]، فَهَمَّ أَنْ يَقْتُلَ بِلَالًا بِعَدَنَ، فَمَاتَ عَلِيٌّ الأَعَزُّ وَأَوْصَىٰ بِالأَمْرِ لِأَوْلَادِهِ. وَهُمْ: حَاتِمٌ وَعَبَّاسٌ وَمَنْصُورٌ، وَكَانُوا صِغَارًا فَجَعَلَ كَفَالَتَهُمْ إِلَىٰ أُنَيْسٍ، خَادِمٍ حَبَشِيٍّ.

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةِ النَّحْرِ» (٤/ ١٥٤) بِرَقْمِ (٢٣٦٠).

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَبَأٍ قَدْ هَرَبَ مِنْ أَخِيهِ فَاسْتَجَارَ بِالأَمِيرِ مَنْصُورِ[١] بْنِ مُفَضَّلِ بْنِ أَبِي البَرَكَاتِ فَأَجَارَهُ، وَحِينَ مَاتَ عَلِيٌّ الأَعَزُّ فِي الدُّمْلُوَةِ سَيَّرَ بِلَالٌ مِنْ عَدَنَ رِجَالًا مِنْ هَمْدَانَ فَأَخَذُوا مُحَمَّدَ بْنَ سَبَأٍ مِنْ جِوَارِ المَنْصُورِ بْنِ المُفَضَّلِ وَنَزَلُوا إِلَىٰ عَدَنَ فَمَلَّكَهُ بِلَالٌ وَاسْتَحْلَفَ لَهُ النَّاسَ، وَزَوَّجَهُ بِلَالٌ ابْنَتَهُ، وَجَهَّزَهُ فِي جَيْشٍ فَحَاصَرَ أُنَيْسًا وَيَحْيَىٰ العَامِلَ بِالدُّمْلُوَةِ فَمَلَكَهَا وَأَطَاعَتْهُ البِلَادُ كَافَّةً، ثُمَّ مَاتَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَتَمَلَّكَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ عِمْرَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَخَلَّفَ وَلَدَيْنِ: مُحَمَّدًا وَأَبَا السُّعُودِ، وَتَوَلَّىٰ أَبُو النَّدَا بِلَالُ بْنُ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ أَوْلَادٍ رِجَالٍ مِنْهُمْ: مُدَافِعٌ وَيَاسِرٌ، وَهُمْ آخِرُ الدَّوْلَةِ.

وَيُقَالُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: وَبَعْدَهُمْ مَلَكَ عَدَنَ سَبَأُ بْنُ أَبِي السُّعُودِ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الغَارَاتِ، مِنْ بَنِي زُرَيْعٍ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَجْبِي مَا دَخَلَ مِنَ البَرِّ وَالثَّانِي يَجْبِي مَا دَخَلَ مِنَ البَحْرِ، وَكَانَتِ البَلَدُ بَيْنَهُمَا بِالسَّوِيَّةِ، يَأْخُذُ كُلٌّ حَقَّهُ مِنَ المُكُوسَاتِ، وَكَانَ يَجْرِي بَيْنَ القَوْمِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَجْلِ المَاءِ وَالحَطَبِ، وَقِتَالٌ شَدِيدٌ فِي الدَّخْلِ وَالخَرْجِ، وَذَلِكَ فِي السَّائِلَةِ، فَبَقُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ إِلَىٰ أَنْ جَهَّزَ مَلِكُ الجَزِيرَةِ قَيْسٌ دَوَانِيجَ وَبَرْمَاتٍ شِبْهَ أَبْرَامِ النَّارِنْجِيَّاتِ وَنَهَابِيقَ لِأَخْذِ عَدَنَ مِنْ أَرْبَابِهَا، فَلَمَّا وَصَلَتِ الدَّوَانِيجُ أَرْسَوْا تَحْتَ جَبَلِ صِيرَةَ وَأَنْفَذُوا رَسُولَهُمْ إِلَىٰ بَنِي زُرَيْعٍ، يَعْنِي

---

(١) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّىٰ اليَمَنَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ أَيْدِي الصُّلَيْحِيِّينَ، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «الأَعْلَامُ» (٧/ ٣٠٥).

أَصْحَابَ التَّعْكَرِ وَالخَضْرَاءِ، وَقَالُوا لَهُمْ: اعْلَمُوا أَنَّ مَلِكَ كِسَّ أَنْفَذَنَا عَلَىٰ أَخْذِ عَدَنَ، فَإِنْ جِئْتُمْ بِالصُّلْحِ وَإِلَّا جِئْنَاكُمْ بِالفَتْحِ، وَهُوَ أَقْبَحُ، فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ حِصْنِ الخَضْرَاءِ: أَنَا عَبْدُكُمْ وَالبَلَدُ بَلَدُكُمْ وَوَلُّوا فِيهَا مَنْ شِئْتُمْ.

فَلَمَّا سَمِعَ القَوْمُ هَذِهِ المَقَالَةَ نَزَلُوا مِنَ الدَّوَانِيجِ وَالبَرْمَاتِ إِلَىٰ السَّوَاحِلِ وَقُلُوبُهُمْ آمِنَةً بِالأَمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَأَنْفَذَ لَهُمْ صَاحِبُ حِصْنِ الخَضْرَاءِ الإِضَافَةَ التَّامَّةَ، وَأَرْسَلَ لَهُمْ بِالدَّقِيقِ وَالغَنَمِ وَالنَّبِيذِ فَخَبَزَ القَوْمُ وَطَبَخُوا وَدَارَتِ الأَقْدَاحُ بَيْنَ القَوْمِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ مُقَدَّمُ الجَاشُوا فِعْلَ أَصْحَابِهِ قَالَ لَهُمْ: كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ عَاكِفُونَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا حِيلَةٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ! فَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ خُبْزًا وَلَحْمًا وَنَبِيذًا وَجَاشُوا كَمَا قَالَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا ... إِلَّا لِحَتْفِي أَوْ بَلَائِي وَشَقَائِي
الهَمُّ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَىٰ ... كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنْ يَدَيْ أَعْدَائِي

فَصْلٌ: فَلَمَّا أَرْسَتِ الجَاشُوا مَرْسَىٰ عَدَنَ أَنْفَذَ صَاحِبُ التَّعْكَرِ إِلَىٰ ابْنِ عَمِّهِ صَاحِبِ الخَضْرَاءِ وَقَالَ لَهُ: مَا نَصْنَعُ وَهَذَا العَدُوُّ قَدْ دَهَمَنَا؟ فَقَالَ لَهُ: غَلِطْنَا فِي الكَيْلِ، فَشَرَدَ مِنَا الحَيْلِ، وَاعْمَلْ بِرَأْيِكَ فِيمَا تَرَىٰ، فَقَالَ: انْزِلْ مِنَ الخَضْرَاءِ وَأَنَا أَكْفِيكَ شَرَّهُمْ، فَنَزَلَ النَّحْسُ شِبْهَ أَلْفِ جَعْسٍ وَسَلَّمَ الحِصْنَ إِلَىٰ ابْنِ عَمِّهِ، وَأَنْشَدَ المَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَبْزِيُّ يَقُولُ:

النَّاسُ بَحْرٌ عَمِيقٌ ... وَالبُعْدُ عَنْهُمْ سَفِينَهْ

وَقَـــدْ نَصَـــحْتُكَ فَـــانْظُرْ لِنَفْسِـــكَ المِسْـــكِينَهْ[١]

وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ بِلَالُ بْنُ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيُّ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ حِصْنَ الخَضْرَاءِ بِعَدَنَ وَأَخَذَتِ الحُرَّةُ بَهْجَةَ أُمَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الغَارَاتِ وَجَدَتْ عِنْدَهَا مِنَ الذَّخَائِرِ مَا لَمْ يُقْدَرْ عَلَىٰ مِثْلِهِ، وَعَدَنُ كُلُّهَا بِيَدِي فِي مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ.

قَالَ بِلَالٌ: وَبَيْنَ عَدَنَ وَبَيْنَ لَحج مَسِيرَةُ لَيْلَةٍ، فَأَذْكُرُ أَنِّي كَتَبْتُ مِنْ عَدَنَ بِخَبَرِ الفَتْحِ وَأَخْذِ الخَضْرَاءِ وَسَيَّرْتُ بَشِيرًا بِالبُشْرَىٰ إِلَىٰ مَوْلَانَا الدَّاعِي سَبَأ بْنِ أَبِي السُّعُودِ، وَفِي اليَوْمِ كَانَ فِيهِ[٢] فَتْحُ الخَضْرَاءِ فَتَحَ مَوْلَانَا مَدِينَةَ الرَّعَارِعِ[٣]، فَالْتَقَىٰ رَسُولِي وَرَسُولُهُ بِالبُشْرَىٰ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبِ التَّأْرِيخِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَاشْتَغَلَتِ الجَاشُوا بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَدَارَ السُّكْرُ بَيْنَهُمْ، فَصَارَ مُقَدَّمُهُمْ

---

(١) هَذَانِ البَيْتَانِ ذُكِرَا فِي «التَّنْبِيهُ وَالإِشْرَافُ» (ص١٥٢) لِأَبِي الحَسَنِ المَسْعُودِيِّ، ط.« دَارِ الصَّاوِي» بِالقَاهِرَةِ، وَ«الإِعْجَازُ وَالإِيجَازُ» (ص٢١٠) لِلثَّعَالِبِيِّ، ط. «مَكْتَبَةِ الفُرْقَانِ» بِـ«القَاهِرَةِ»، وَ«الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٤/ ١٨٦) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ، ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ، وَالمُرَادُ «وَفِي اليَوْمِ الَّذِي كَانَ فِيهِ».

(٣) الرَّعَارِعُ: قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي وَادِي تُبَنَ «لَحج» كَانَتْ عَاصِمَةَ لَحْجَ فِي أَيَّامِ الزُّرَيْعِيِّينَ وَعَهْدِ الأَتْرَاكِ، ثُمَّ أَصْبَحَتِ الحَوْطَةُ هِيَ العَاصِمَةَ مِنْ أَعْمَالِ الإِمَامِ المُتَوَكِّلِ، وَالرَّعَارِعُ الآنَ أَنْقَاضٌ عَلَىٰ شَكْلِ تَلٍّ يُعْرَفُ الآنَ بِـ«كَدَمَةِ الرَّعَارِعِ» إِلَىٰ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ مَدِينَةِ «الحَوْطَةِ» حَالِيًا وَبِجِوَارِهَا إِلَىٰ الشَّرْقِ «الوَادِي الصَّغِيرُ» فَرْعِي «وَادِي تُبَنَ»، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الحَافِظُ مُوسَىٰ بْنُ طَارِقٍ الرَّعْرَعِيُّ صَاحِبُ «المُسْنَدِ» المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٢٠٢هـ). «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٩٤)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٣).

يُنَادِي أَصْحَابَهُ: كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مَشْغُولُونَ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ إِلَّا مَنْ لَهُ لُبٌّ وَفَهْمٌ، وَبَقِيَ البَاقُونَ غَادُونَ عَلَىٰ حَالِهِمْ إِلَىٰ أَنْ نَزَلَ صَاحِبُ حِصْنِ التَّعْكَرِ مَعَ جَمْعٍ مِنَ الخَلَائِقِ، فَركبُوا السَّيْفَ عَلَىٰ الجَاشُوا فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا كُلُّ طَوِيلِ العُمُرِ، فَكَانَتْ جَمَاجِمُ رُءُوسِهِمْ مِلْءَ تِلْكَ الأَرْضِ، فَكَانَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ مَوْضِعًا قَالَ: أَيْنَ مِنَ الجَمَاجِمِ؟ فَعُرِفَ المَوْضِعُ بِالجَمَاجِمِ، وَالمَعْنِيُّ بِالجَمَاجِمِ رُءُوسُ الجَاشُوا.

فَلَمَّا انْتَصَرَتْ بَنُو زُرَيْعٍ هَذَا النَّصْرَ نَزَلُوا مِنَ الحُصُونِ وَسَكَنُوا الوَادِيَ وَبَنَوُا الدُّورَ المِلَاحَ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ الدُّورَ الحَجَرَ وَالجُصَّ بِعَدَنَ، وَكَانَ يُجْلَبُ الحَجَرُ إِلَىٰ عَدَنَ مِنْ أَعْمَالِ أَبْيَنَ لِأَجْلِ العِمَارَةِ، وَلَمْ يُظْهِرْ لِأَهْلِ عَدَنَ المَقْلَعَ[(١)] إِلَّا أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الضَّحَّاكِ الكُوفِيُّ، فَلَمَّا أَنْ سَكَنَ عَدَنَ اشْتَرَىٰ عَبِيدًا زُنُوجًا يَقْطَعُونَ الحَجَرَ مِنْ جِبَالِ عَدَنَ، وَكَانَتِ الجَوَارِي تَنْقُلُهُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهَا، فَمِنْ حِينَئِذٍ قَطَعُوا الحَجَرَ بِهَا وَصَارَتْ مَقَالِعُ يُعْرَفُ كُلُّ مَقْلَعٍ بِصَاحِبِهِ: مَقْلَعُ عَلِيٍّ الأَنْكِيِّ، وَيُوسُفَ الأَرْدُبِيلِيِّ[(٢)]، وَمَقْلَعُ ريتيه النَّجَّارِ، وَمَقْلَعُ إِسْمَاعِيلَ السّلَامِيِّ، وَمَقْلَعُ حميْدِ بْنِ حَمَاسَةَ، وَمَقْلَعُ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَمَقْلَعُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ الدُّورِيِّ، وَتَمَلَّكُوهَا إِلَىٰ أَنْ صَارَتْ لَهُمْ مِلْكًا وَمُسْتَغَلَّاتٍ.

---

(١) الآلَةُ الَّتِي تُقْطَعُ بِهَا الحِجَارَةُ.

(٢) الأَرْدُبِيلِيُّ: بِفَتْحِ الأَلِفِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَضَمِّ الدَّالِ وَكَسْرِ البَاءِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا: «أَرْدُبِيلَ» مِنْ «أَذَرْبِيجَانَ». «تَهْذِيبُ الأَنْسَابِ» (١/ ٤١).

فَصْلٌ: وَلَمَّا قَبَضَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي عَلَىٰ عَبْدِ النَّبِيِّ[١] ابْنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ تَوَلَّىٰ مِنَ العَرَبِ أَرْضَ الحُصَيْبِ[٢]، وَجَاءَ بِهِ مُسَلْسَلًا إِلَىٰ عَدَنَ، وَقَبَضَ عَلَىٰ يَاسِرِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيِّ، مَوْلَىٰ الدَّاعِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السُّعُودِ بْنِ زُرَيْعٍ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ تَوَلَّىٰ مِنَ الدُّعَاةِ، أَقْعَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي خَيْمَةٍ وَحْدَهُ، فَالْتَفَتَ عَبْدُ النَّبِيِّ فَوَجَدَ يَاسِرَ بْنَ بِلَالٍ يُسَارِقُهُ بِالنَّظَرِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ السُّوءِ مَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَىٰ أَسَدٍ مُقَيَّدٍ بِقَيْدٍ مِنْ حَدِيدٍ وَمُسَلْسَلٍ بِسَلَاسِلَ حَدِيدٍ.

وَكَانَ أَبْنَاءُ زُرَيْعٍ يُؤَدُّونَ الخَرَاجَ إِلَىٰ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ، وَهُوَ لِأَجْلِ المَذْهَبِ لِأَنَّ القَوْمَ كَانُوا إِسْمَاعِيلِيَّةً[٣]، وَكُلُّ مَنْ تَوَلَّىٰ بِأَرْضِ اليَمَنِ مِنْ بَنِي زُرَيْعٍ يُسَمَّىٰ الدَّاعِيَ، أَيْ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَىٰ المَذْهَبِ، وَالمَلَاحِدَةُ الَّذِينَ هُمْ مُلُوكُ كِرْدكُوهْ[٤] وَأَلَمُوتَ، وَهُمَا حِصْنَانِ عَلَىٰ جَبَلٍ عَلِيٍّ مُدَوَّرٍ لَهُمْ -أَيْ لِلْمَلَاحِدَةِ-

---

(١) هُوَ صَاحِبُ «زَبِيدٍ» وَلِيَهَا اسْتِقْلَالًا بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ مَهْدِي، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٢٦٠) بِرَقْم (٢٥١٩)، وَ«الأَعْلَامُ» (٤/ ١٧١).

(٢) وَالحُصَيْبُ اسْمٌ لِـ«زَبِيدٍ».

(٣) يُنْظَرُ: «المِلَلُ وَالنِّحَلُ» (١/ ٣٤١) لِلشِّهْرِسْتَانِيِّ، وَ«الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ» (ص٧٠) لِعَبْدِ القَادِرِ البَغْدَادِيِّ، وَهُنَاكَ كِتَابٌ مُفِيدٌ لِلْغَايَةِ، وَهُوَ «الحَرَكَاتُ البَاطِنِيَّةُ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ عَقَائِدُهَا وَحُكْمُ الإِسْلَامِ فِيهَا» لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّد أَحْمَد الخَطِيبِ، نَالَ بِهِ شَهَادَةَ الدُّكْتُورَاهْ جَامِعَة الأُرْدُن كُلِّيَّة الشَّرِيعَةِ.

(٤) كِرْدكُوهْ: قَلْعَةُ المَلَاحِدَةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَيُنْظَرُ: «الكَامِلُ فِي التَّارِيخِ» (٨/ ٧٠٦) أَحْدَاثُ سَنَةَ (٥٢٨هـ) لِعِزِّ الدِّينِ بْنِ الأَثِيرِ، وَذَكَرَهَا يَاقُوتُ فِي «دَامَغَانَ» مِنْ «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٣٣) =

يَأْخُذُونَ الخَرَاجَ مِنْ جَبَلِ السُّمَّاقِ[1] الَّذِي لَهُمْ بِأَعْمَالِ الشَّأْمِ، وَمِنَ القَرَامِطَةِ[2] الَّذِينَ بِالسِّنْدِ، وَمِنَ التُّورسنَا الَّذِينَ هُمْ بِأَعْمَالِ نَجْرَانَ، وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا فَهُمْ عَلَىٰ عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَبَعْدَهُمْ مَلَكُوا الغُزُّ[3] البِلَادَ وَبَنَوُا المَنْظَرَ[4] عَلَىٰ جَبَلِ حُقَّات بَعْدَ رَجُوعِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاهْ بْنِ أَيُّوبَ مِنَ اليَمَنِ إِلَىٰ مِصْرَ، وَسَلَّمَ عَدَنَ إِلَىٰ فَخْرِ الدِّينِ، أَبِي عُثْمَانَ، عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَبِيلِيُّ التِّكْرِيتِيُّ[5].

* * *

=

وَقَالَ: قَلْعَةُ المَلَاحِدَةِ.

(١) جَبَلُ السُّمَّاقِ: هُوَ جَبَلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ الغَرْبِيَّةِ، يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مُدُنٍ كَثِيرَةٍ وَقُرًى وَقِلَاعٍ عَامَّتُهَا لِلإِسْمَاعِيلِيَّةِ المُلْحِدَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ١٠٢).

(٢) القَرَامِطَةُ: فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ البَاطِنِيَّةِ، تَنْتَسِبُ إِلَىٰ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: حَمْدَانُ بْنُ قَرْمَطٍ.

(٣) الغُزُّ: تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنَ الأَتْرَاكِ.

(٤) الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المَنْظَرَ بُنِيَ قَبْلَهُمْ فِي عَهْدِ بَنِي زُرَيْعٍ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٠٣) أَنَّ بِلَالَ بْنَ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيَّ اسْتَقْبَلَ مُحَمَّدَ بْنَ سَبَأٍ الزُّرَيْعِيَّ اسْتِقْبَالًا حَسَنًا وَأَنْزَلَهُ المَنْظَرَ، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ بِلَالَ بْنَ جَرِيرٍ كَانَتْ لَهُ دَارٌ هُنَاكَ، وَهَذَا مَا مَالَ إِلَيْهِ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز فِي كِتَابِهِ «صِيرَةُ» (ص٤٠٢).

(٥) التِّكْرِيتِيُّ: بِكَسْرِ التَّاءِ وَسُكُونِ الكَافِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ اليَاءِ وَآخِرُهَا تَاءٌ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ «تِكْرِيتَ» بَلْدَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَلَىٰ دِجْلَةَ فَوْقَ بَغْدَادَ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٣/ ٥٥٠)، وَ«الأَنْسَابُ» (٣/ ٦٤).

ذِكْرُ بِنَاءِ سُورِ عَدَنَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: أَرْسَىٰ مَرْكَبٌ مِنَ المَغْرِبِ إِلَىٰ عَدَنَ فِي اللَّيْلِ فَنَزَلَ النَّاخُوذَةُ مِنَ المَرْكَبِ فَدَارَ عَدَنَ فَإِذَا هُوَ بِدَارٍ عَالِيَةٍ وَبِهِ شَمْعٌ يقدُ وَعُودٌ يُبَخَّرُ فَدَقَّ البَابَ فَنَزَلَ الخَادِمُ فَفَتَحَ لَهُ وَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ التَّاجِرُ: نَعَمْ، فَاسْتَأْذَنَ الخَادِمُ لَهُ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الدَّارِ يَصْعَدُ، فَصَعِدَ فَسَلَّمَ كُلٌّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ، وَجَرَىٰ الحَدِيثُ، فَقَالَ النَّاخُوذَةُ: إِنِّي قَدِمْتُ اللَّيْلَةَ مِنَ المَغْرِبِ وَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِ المَوْلَىٰ أَنْ أُخْفِيَ عِنْدَهُ بَعْضَ التُّحَفِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: خَوْفًا مِنَ الدَّاعِي، وَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ مِنَ الظَّالِمِينَ، انْقُلْ جَمِيعَ مَا مَعَكَ إِلَىٰ الدَّارِ الفُلَانِيَّةِ، فَنَزَلَ التَّاجِرُ فَصَارَتِ البَحَّارُونَ يَنْقُلُونَ المَتَاعَ مِنَ المَرْكَبِ إِلَىٰ الصَّنَادِيقِ إِلَىٰ الدَّارِ إِلَىٰ أَنْ يُخَلُّوا ثُلُثَيْ مَا فِي المَرْكَبِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاخُوذَةُ وَجَدَ صَاحِبَهُ البَارِحَةَ الدَّاعِيَ بِعَيْنِهِ(١)، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: خِفْتُ مِنَ المَطَرِ فَوَقَعْتُ تَحْتَ المِيزَابِ، وَتَشَوَّشَ خَاطِرُهُ وَاسْوَدَّ نَاظِرُهُ، فَأَنْفَذَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ البَارِحَةَ وَأَنَا الدَّاعِي مَالِكُ عَدَنَ، اليَوْمَ طَيِّبْ قَلْبَكَ وَاشْرَحْ صَدْرَكَ، عُشُورُ مَرْكَبِكَ هِبَةً مِنِّي إِلَيْكَ مَعَ الدَّارِ الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا، وَهَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ تُنْفِقُهَا مَا دُمْتَ فِي بِلَادِنَا، وَحَرَامٌ عَلَيَّ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْكَ، لَا عَلَىٰ وَجْهِ الهِبَةِ وَلَا عَلَىٰ وَجْهِ البَيْعِ وَالشِّرَىٰ، فَقَالَ

---

(١) أَيْ: وَجَدَ صَاحِبَهُ الَّذِي لَقِيَهُ البَارِحَةَ، هُوَ الدَّاعِي بِعَيْنِهِ.

لَهُ النَّاخُوذَةُ: وَعَلَامَ هَذَا كُلُّهُ؟ قَالَ: لِدُخُولِكَ عَلَيْنَا البَارِحَةَ مَنْزِلَنَا فِي نِصْفِ اللَّيْلِ، وَأَمَرَ أَنْ يُمَدَّ سُورٌ مِنَ الحِصْنِ الأَخْضَرِ إِلَىٰ جَبَلِ حُقَّاتَ فَأُدِيرَ سُورٌ ضَعِيفٌ وَارْتَدَمَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ وَاهْتَدَمَ لِدَوَامِ المَوْجِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَرِبَ أُدِيرَ عَلَيْهِ سُورٌ ثَانٍ مِنَ القَصَبِ شُبِّكَ، وَبَقِيَ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ بَنَاهُ أَبُو عُثْمَانَ عُمَرُ[1] بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَبِيلِيُّ[2] التِّكْرِيتِيُّ دَائِرًا عَلَىٰ جَبَلِ المَنْظَرِ إِلَىٰ آخِرِ جَبَلِ العُرِّ وَرَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَ حُقَّاتَ، وَأَدَارَ سُورًا ثَانِيًا[3] عَلَىٰ الجَبَلِ الأَخْضَرِ، وَحْدَهُ مِنْ حِصْنِ الأَخْضَرِ إِلَىٰ التَّعْكَرِ عَلَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ، وَأَدَارَ سُورًا عَلَىٰ السَّاحِلِ مِنَ الصِّنَاعَةِ إِلَىٰ جَبَلِ حُقَّاتَ، وَرَكَّبَ عَلَيْهِ سِتَّةَ أَبْوَابٍ[4]: بَابَ الصِّنَاعَةِ، وَبَابَ حَوْمَةَ، وَبَابَ السِّكَّةِ،

---

(١) كَذَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ بِـ(عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ) وَصَوَابُهُ: (عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «السُّلُوكُ» (١/ ٤٦٣ - ٤٦٤) لِلْجَنَدِيِّ، وَ«العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٥/ ١٧٣) بِرَقْمِ (١٩٦٤) لِلْفَاسِيِّ، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ العَصْرِ» (٤/ ٣٢٣) بِرَقْمِ (٢٦٠٨) لِبَا مَخْرَمَةَ، بَلْ سَيَأْتِي تَحْتَ عُنْوَانِ «مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ المَفَالِيسِ» سَيَذْكُرُهُ عَلَىٰ الصَّوَابِ بِقَوْلِهِ: (أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَبِيلِيُّ) وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَا هُنَا خَطَأٌ، وَكَذَا فِي الكُنْيَةِ، فَإِنَّهُ يُكْنَىٰ أَبَا عَمْرٍو.

(٢) كَذَا هُوَ هُنَا «الزَّنْجَبِيلِيُّ»، وَهُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ الجَنَدِيِّ فِي «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٢٤) وَلَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ النِّسْبَةَ إِلَىٰ أَيْنَ، وَذَكَرَهُ كَذَلِكَ الخَزْرَجِيُّ فِي «العِقْدُ الفَاخِرُ الحَسَنُ» (٣/ ١٣١٦) وَقَالَ: نِسْبَةً إِلَىٰ زَنْجَبِيلَةَ وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ دِمَشْقَ، وَفِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٥/ ١٧٣) لِلْفَاسِيِّ، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٣٢٣) وَغَيْرِهِمَا: «الزَّنْجِيلِيُّ»، وَكَانَ قَدِيمًا فِي عَدَنَ مَسْجِدٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ يُقَالُ لَهُ: «مَسْجِدُ الزَّنْجِيلِيِّ» قَالَ الطَّيِّبُ بَامَخْرَمَة فِي «قِلَادَةُ النَّحْرِ»: نِسْبَةً إِلَىٰ «زَنْجِيلَةَ» قَرْيَةٌ مِنْ قُرَىٰ دِمَشْقَ.اهـ. فَقِيلَ: «الزَّنْجِيلِيُّ»، وَقِيلَ: «الزَّنْجَبِيلِيُّ».

(٣) يُنْظَرُ: «صِيرَةُ» (ص٣٩٣) لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِز.

(٤) المُصَنِّفُ ذَكَرَ سِتَّةً، وَقَبْلَهُ البِشَارِيُّ فِي كِتَابِهِ «أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الأَقَالِيمِ» (ص٨٥) ذَكَرَ =

وَهُمَا بَابَانِ يَخْرُجُ مِنْهما السَّيْلُ إِذَا نَزَلَ الغَيْثُ بِعَدَنَ، وَبَابَ الفُرْضَةِ وَمِنْهُ تَدْخُلُ البَضَائِعُ وَتَخْرُجُ، وَبَابَ مشرفٍ، لَا يَزَالُ مَفْتُوحًا لِلدَّخْلِ وَالخَرْجِ، وَبَابَ حَيْقَ، لَا يَزَالُ مُغْلَقًا، وَبَابَ البَرِّ[١]، قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَبَنَىٰ سُورَهَا بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، وَبَنَىٰ الفُرْضَةَ وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ.

فَصْلٌ: قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَخُرُوجُ الإِنسَانِ مِنَ البَحْرِ كَخُرُوجِهِ مِنَ القَبْرِ، وَالفُرْضَةُ كَالمَحْشَرِ، فِيه المُنَاقَشَةُ وَالمُحَاسَبَةُ وَالوَزْنُ وَالعَدَدُ، فَإِنْ كَانَ رَابِحًا طَابَ قَلْبُهُ، وَإِنْ كَانَ خَاسِرًا اغْتَمَّ، فَإِنْ سَافَرَ فِي البَرِّ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ذَاتِ اليَمِينِ، وَإِنْ رَجَعَ فِي البَحْرِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ذَاتِ الشِّمَالِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَ المَخْلُوقِ فِي عَالَمِ الكَوْنِ وَالفَسَادِ مَعَ مَخْلُوقٍ كَذَا، فَكَيْفَ حَالُ المَخْلُوقِ بَيْنَ يَدَيِ الخَالِقِ غَدًا فِي هَوْلِ العَرْضِ الأَكْبَرِ، اللَّهُمَّ لَا تُنَاقِشْنَا يَا كَرِيمُ![٢]

=

خَمْسَةً، وَعَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز فِي كِتَابِهِ «العَقَبَةُ» (ص٣٩٣) ذَكَرَ سَبْعَةً، وَهَذَا كَمَا قَالَ المُحَيْرِزُ: إِنَّ الِاخْتِلَافَ فِي العَدَدِ هُوَ -فِي الوَاقِعِ- إِضَافَاتٌ اسْتُحْدِثَتْ عَبْرَ العُصُورِ. اهـ.

(١) يُنْظَرُ كِتَابُ «العَقَبَةُ» (ص١٤٢).

(٢) يَوْمُ القِيَامَةِ فِيهِ عَرْضٌ وَفِيهِ نِقَاشٌ، وَالعَرْضُ هُوَ الحِسَابُ اليَسِيرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾، وَأَمَّا النِّقَاشُ فَبَعْدَهُ عَذَابٌ، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق: آية ٨] قَالَ ﷺ: «**ذَلِكَ العَرْضُ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّمَا ذَاكَ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ**»
=

وَبَنَىٰ ابْنُ الزَّنْجَبِيلِيِّ قَيْصَارِيَّةَ العَتِيقَةَ وَالأَسْوَاقَ وَالدَّكَاكِينَ وَدُورَ الحجرِ وَرَجَعَتْ عَدَنُ فِي زَمَانِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ سَيْفُ الإِسْلَامِ إِلَىٰ عَدَنَ أَوْقَفَ ابْنُ الزَّنْجَبِيلِيِّ جَمِيعَ الأَمْلَاكِ عَلَىٰ مَكَّةَ[1] سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَبَنَىٰ المَلِكُ المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ بَنْيًا جَمِيعُهَا دَكَاكِينُ بِالبَابِ وَالقُفْلِ لِلعَطَّارِينَ قَيْصَارِيَّةً[2] جَدِيدَةً، ثُمَّ بَنَاهَا المُعْتَمِدُ رَضِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّكْرِيتِيُّ عَلَىٰ اسْمِ المَلِكِ المَسْعُودِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَثُرَ الخَلْقُ بِهَا فَبَنَوُا الدُّورَ وَالأَمْلَاكَ وَتَوَطَّنَ بِهَا جَمَاعَةٌ عَرَبٌ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.

وَبَنَىٰ المُعْتَمِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ حَمَّامَ حُسَيْنٍ وَحَفَرَتِ النَّاسُ بِهَا الآبَارَ وَبَنَوْا بِهَا المَسَاجِدَ وَأَقَامُوا المَنَابِرَ وَرَجَعَتْ طَيِّبَةً.

وَالأَصَحُّ إِنَّمَا عُمِّرَتْ إِلَّا بَعْدَ خَرَابِ فُرْضَةِ أَبْيَنَ وهرم، وَانْتَقَلَ التُّجَّارُ مِنْ هَاتَيْنِ

=

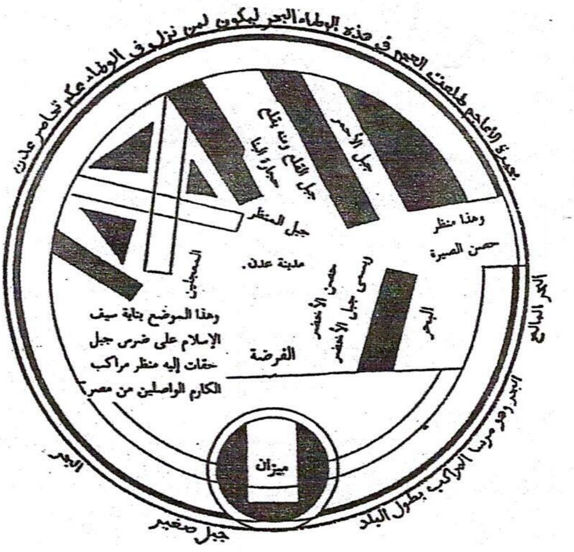
يُنْظَرُ: «صَحِيحُ البُخَارِيِّ» بِرَقْمِ (١٠٣) و(٦٥٣٦)، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (٢٨٧٦)، وَلِهَذَا سَأَلَ المُصَنِّفُ رَبَّهُ بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ لَا تُنَاقِشْنَا يَا كَرِيمُ. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ حِسَابَنَا حِسَابًا يَسِيرًا.

(١) قَالَ الفَاسِيُّ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٥/ ١٧٣ - ١٧٤) فِي تَرْجَمَتِهِ: صَاحِبُ المَدْرَسَةِ بِمَكَّةَ عِنْدَ بَابِ العُمْرَةِ وَالرِّبَاطِ المُقَابِلِ لَهَا، وَلَهُ بِعَدَنَ بَعْضُ الأَوْقَافِ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ مَدْرَسَتِهِ وَرِبَاطِهِ بِمَكَّةَ... وَلَهُ مَدْرَسَةٌ مَشْهُورَةٌ خَارِجَ سُورِ دِمَشْقَ وَسَبِيلٌ خَارِجَ بَابِ الشُّبَيْكَةِ فِي صَوْبِ طَرِيقِ التَّنْعِيمِ عَلَىٰ يَمِينِ المَارِّ إِلَىٰ العُمْرَةِ، وَقَدْ عَمَرَ هَذَا السَّبِيلَ بَعْدَهُ تَاجِرٌ حَضْرَمِيٌّ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ يُعْرَفُ بِأَبِي رَاشِدٍ فَعُرِفَ بِهِ، وَعَمَرَهُ بَعْدَهُ الشِّهَابُ بَرَكُوتُ المَكِينُ، وَأَمَّا مَدْرَسَتُهُ فَوُقِفَتْ فِي سَنَةِ (٥٧٩هـ) وَكَذَا الرِّبَاطُ فِيمَا أَظُنُّ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنَ اليَمَنِ هَارِبًا مُتَخَوِّفًا مِنَ المَلِكِ العَزِيزِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ...

(٢) وَهِيَ: السُّوقُ.

المَدِينَتَيْنِ وَسَكَنُوا قَلْهَاتَ(١) وَمَقْدَشُوهْ فَعُمِّرَتِ الثَّلَاثُ المُدُن حِينَئِذٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصُورَةُ عَدَنَ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:



* * *

(١) قَلْهَاتُ: مَدِينَةٌ بِعُمَانَ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٣٩٣)، وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا.

صِفَةُ عَدَنَ وَذِكْرُهَا

بِنَاءُ البَلَدِ فِي وَادِي البَحْرِ مُسْتَدِيرٌ حَوْلَهُ هَوَاؤُهُ كَرِبٌ وَلَكِنَّهُ يَقْطَعُ خَلَّ الخَمْرِ فِي مُدَّةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ(١)، وَمَاؤُهَا مِنَ الآبَارِ وَشَيْءٍ يُجْلَبُ مِنْ مَسِيرَةِ فَرْسَخَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) هُنَاكَ أَمَاكِنُ فِي «عَدَنَ» مِثْلُ «الحِسْوَةِ» وَغَيْرِهَا مِنَ الأَمَاكِنِ فِيهَا أَشْجَارٌ تُسَمَّىٰ عِنْدَهُمْ «دَوْش» يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا «الخَلُّ» مَادَّةٌ سَائِلَةٌ تُوضَعُ فِي بَرَامِيلَ أَوْ جُوَالين، وَتُغَطَّىٰ وَلِشِدَّةِ الحَرِّ تَعُودُ خَلًّا، أَمَّا مَنْ شَرِبَهَا عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَسْكَرُ، لِأَنَّهَا تُعْتَبَرُ عِنْدَ خُرُوجِهَا خَمْرًا، فَلَعَلَّ المُصَنِّفُ يُرِيدُهَا فَيَكُونُ وَقَفَ عَلَيْهَا فِي وَقْتِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ذِكْرُ الآبَارِ العَذْبَةِ

دَاخِلَ عَدَنَ بِئْرُ حَلْقَمَ عَوْدٍ السُّلْطَانِيَّةُ، وَبِئْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي البَرَكَاتِ بْنِ الكَاتِبِ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ أَحْمَدَ بْنِ المُسَيَّبِ، وَبِئْرُ ابْنِ أَبِي الغَارَاتِ قَدِيمَةٌ، عِنْدَ بَابِ عَدَنَ، وَبِئْرُ المُقَدَّمِ قَدِيمَةٌ، وَثَلَاثَةُ آبَارٍ لِدَاوُدَ بْنِ مَضْمُون اليَهُودِيِّ، وَثَلَاثَةُ آبَارٍ لِلشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ الحُسَيْنِ، وَبِئْرٌ لِعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ الأَزْرَقِ، وَبِئْرُ جَعْفَرٍ قَدِيمَةٌ طُولُهَا أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَبِئْرُ زَعْفَرَانَ[١]، اشْتُرِيَتْ بِمُدَّتِهِ وَأُوقِفَتْ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يُنْقَلُ مَاءُ بِئْرِ زَعْفَرَانَ إِلَىٰ سَائِرِ بِلَادِ اليَمَنِ، قَالَ: لِأَنَّ سَيْفَ الدِّينِ، أَتَابِكَ سُنْقُرَ مَوْلَىٰ المَلِكِ المُعِزِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ طُغْتِكِينَ، شَرِبَ عِنْدَ المُعْتَمِدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التِّكْرِيتِيِّ نَبِيذًا أَعْجَبَهُ طَعْمُهُ فَقَالَ لَهُ: مِمَّ عَمِلْتَ هَذَا النَّبِيذَ؟ قَالَ: مِنْ مَاءِ زَعْفَرَانَ، إِذَا أُفْلِتَ فِي هَذَا المَاءِ دَاذِيٌّ[٢] وَتُرِكَ فِي الشَّمْسِ يَرْجِعُ نَبِيذًا كَامِلًا، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ عَسَلٍ وَلَا إِلَىٰ شَيْءٍ، أَي وَضعة، فَمِنَ الحِينِ كَانَ يُنْقَلُ لَهُ هَذَا المَاءُ إِلَىٰ الجَنَدِ وَتَعِزَّ وَصَنْعَاءَ

---

(١) قَالَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز عَنْ مَوْقِعِ بِئْرِ الزَّعْفَرَانِ هَذِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا المُصَنِّفُ: هُوَ بِئْرٌ لَا زَالَ مَوْقِعُهُ مَعْرُوفًا رُدِمَ بَعْدَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، وَيَقَعُ فِي أَرْضِ فَضَاءٍ فِي آخِرِ شَارِعِ الزَّعْفَرَان الحَالِي. «صَهَارِيجُ عَدَنَ» (ص٢٧٧).

(٢) الدَّاذِي: هُوَ حَبٌّ يُطْرَحُ فِي النَّبِيذِ فَيَشْتَدُّ حَتَّىٰ يُسْكِرَ. «النِّهَايَةُ» (١/ ٥٩٣) مَادَّةُ «دِيذَ».

وَزَبِيدٍ يَعْمَلُونَ مِنْهُ نَبِيذًا، وَالأَصَحُّ [مِنْ](١) مَاءِ التُّربِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ فِي الأَصْلِ كَانَ عَذْبًا فُرَاتًا وَالآنَ قَدْ عَلَتْهُ مُلُوحَةٌ بَعْض الشَّيْءِ مِنْ سُوءِ أَفْعَالِ الخَلْقِ.

وَبِئْرُ السّلَامِيِّ، بِئْرٌ حَفَرَهَا الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السّلَامِيُّ، وَبِئْرُ رَوْحٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ عَوْدٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ ابْنِ الذُّؤَيْبِ صِهْرِ الشَّيْخِ مَعْمَرِ بْنِ جُرَيْجٍ، وَبِئْرُ الحَمَّامِ حَفَرَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّكْرِيتِيُّ، وَبِئْرُ الحَمَّامِ الثَّانِيَةُ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ مَوْرٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ جَلَّادٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ الخضَامِيِّ قَدِيمَةٌ.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكَلِ بْنِ الحَسَنِ الكَرْمَانِيُّ(٢) عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الإِسْحَاقِيُّ الدَّاعِي أَنَّ بِدَاخِلِ عَدَنَ مِائَة وَثَمَانِينَ بِئْرًا حُلْوَةً وَلَكِنَّهَا مَانِعَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) زِيَادَةٌ مِنْ «أ».

(٢) الكِرْمَانِيُّ: بِكَسْرِ الكَافِ، وَقِيلَ بِفَتْحِهَا، وَسُكُونِ الرَّاءِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ بُلْدَان شَتَّىٰ مِثْلُ «خَبِيصَ» وَ«وَجِيرَفْتَ» وَ«السِّيرجَانِ» وَ«بَرْدَسِيرَ»، وَيُقَالُ لِجَمِيعِهَا: كِرْمَانُ. «الأَنْسَابُ» (١١/ ٨٥) لِلسَّمْعَانِيِّ.

ذِكْرُ الآبَارِ المَالِحَةِ بِعَدَنَ

بِئْرُ وَضَّاحٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرٌ ثَانِيَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهَا، وَبِيرَيْن[1] عِنْدَ مَرَابِطِ الخَيْلِ، وَبِئْرُ أُمِّ حَسَنٍ قَدِيمَةٌ، وَبِئْرُ قَنْدَلَةَ عَلَىٰ طَرِيقِ البَابِ، وَبِئْرُ سُنْبُلٍ قُرْبَ الحَمَّامِ، وَبِئْرُ سَالِمٍ، وَبِئْرُ حَنْدُودَ، وَبِئْرُ فَرَجٍ، وَبِئْرُ الزُّنُوجِ، وَبِئْرُ الأَفْيلَةِ وَحُفِرَتْ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ رِيْشِ السَّوَانِيِّ، وَبِئْرٌ فِي قُرْبِ دَارِ القَطِيعِيِّ السّلَّاطَة، وَبِئْرُ الشَّرِيعَةِ.

* * *

---

(١) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «وَبِيرمِينَ» بَدَلَ: «وَبِيرِينَ».

ذِكْرُ آبَارٍ مَاؤُهَا بَحْرُ عَدَنَ

بِئْرٌ فِي حَافَّةِ[1] الدَّيَاكِلَةِ، وَبِئْرٌ عِنْدَ بَابِ مَكْسُورٍ، وَثَلَاثَةُ آبَارٍ لِلْبَرَابِرِ، وَبِئْرٌ عِنْدَ الجَامِعِ، وَبِئْرٌ عِنْدَ مَسْجِدِ أَبَانَ[2]، وَبِئْرُ مَسْجِدِ المَالِكِيَّةِ، وَبِئْرُ حَبْسِ القَاضِي، وَبِئْرُ أَبُو نِعْمَةَ، وَبِئْرُ الجَمَاجِمِ، وَبِئْرُ الصَّاغَةِ[3] وَبِئْرُ سُوقِ الخَزَفِ، وَثَلَاثَةُ آبَارٍ عِنْدَ بَيْتِ ابْنِ فُلَانٍ، وَبِئْرُ سُنْبُلٍ، وَبِئْرَانِ عِنْدَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ، وَبِئْرُ الأَدِيبِ ظَفَرَ، وَبِئْرُ حُقَّاتَ، وَبِئْرُ حَسَّاسٍ، وَبِئْرُ الجَرَائِحِيِّ، وَالصِّهْرِيجُ عِمَارَةُ الفُرْسِ عِنْدَ بِئْرِ زَعْفَرَانَ، وَالثَّانِي عِمَارَةُ بَنِي زُرَيْعٍ عَلَىٰ طَرِيقِ الزَّعْفَرَانِ أَيْمَنَ الدَّرْبِ فِي لِحْفِ جَبَلِ الأَحْمَرِ[4]، إِذَا حَصَلَ المَطَرُ تَقَلَّبَ السَّيْلُ إِلَيْهِ يَوْمَيْنِ وَيُضْمَنُ كُلَّ عَامٍ بِسَبْعِمِائَةِ دِينَارٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَضَمِنَ بَعْضُهُمْ هَذَا فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِأَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَصَصْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ عَلَىٰ الكِرْمَانِيِّ

---

(١) الحَافَّةُ عِنْدَ أَهْلِ عَدَنَ هِيَ: الحَارَةُ أَوِ الحَيُّ عِنْدَ غَيْرِهِمْ.

(٢) هَذَا المَسْجِدُ هُوَ أَحَدُ مَعَالِمِ مَدِينَةِ عَدَنَ التَّارِيخِيَّةِ، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ كِتَابِي: «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» (ص٣٣)، وَهُوَ فِي الشَّبَكَةِ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٦).

(٣) كَذَا فِي «أ»، وَكُتِبَ فَوْقَهَا «الَّذِينَ يَصُوغُونَ الفِضَّةَ».

(٤) وَالآنَ هُوَ التَّلُّ الصَّغِيرُ الَّذِي يَفْصِلُ وَادِيَ العَيْدَرُوسِ عَنْ وَادِي الطَّوِيلَةِ، وَتَقَعُ عَلَيْهِ الآنَ مَبَانِي الشُّرْطَةِ المَدَنِيَّةِ لِمَدِينَةِ عَدَنَ، كَمَا وَصَفَهُ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز فِي كِتَابِهِ «صَهَارِيجُ عَدَنَ» (ص٢٧٨).

الحَفَّارِ فَقَالَ: يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُزَوَّرَةً، قُلْتُ لَهُ: الدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الغَيْمَ وَالشَّمْسَ لَا يَزَالَانِ يَعْلُوَانِهِ وَكُلَّمَا تُقْصِرُهُ الشَّمْسُ يَحْلُو، قَالَ: أَلَيْسَ أَنَّ الشَّمْسَ تَأْخُذُ مَا خَفَّ مِنَ المِيَاهِ؟ قُلْتُ: فَمَا أَخَفَّ فِي المِيَاهِ مِنَ المَاءِ المَالِحِ وَلَا أَثْقَلَ مِنَ المَاءِ الحُلْوِ، قَالَ: أُرِيدُ عَلَىٰ هَذَا بُرْهَانًا، قُلْتُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ مَاءُ البَحْرِ خَفِيفًا لَجَافَ(١)، وَلَوْ جَافَ لَمَا كَانَ أَحَدٌ يَسْلُكُهُ فَمِنْ خِفَّتِهِ ثَبَتَ عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدٍ.

وَالوَجْهُ الرَّابِعُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمٍ سَاكِنُ المَبَاه وَعَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الحِجَازِيُّ وَغَزِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُو(٢) بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُقْبِلٍ قَالَا جَمِيعًا: إِنَّ وَرَاءَ جَبَلِ العُرِّ فَضَاه وَعَلَيْه جَبَلٌ دَائِرٌ وَالبَحْرُ مُسْتَدِيرٌ حَوْلَ الجَبَلِ وَفِي صَدْرِ الوَادِي، [أَيْ فِي لِحْفِ الجَبَلِ، يَخْرُجُ مِنْهُ عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ يَغْلِبُ(٣) إِلَىٰ الوَادِي] (٤)، وَقَدْ نَبَتَ عَلَىٰ نَدَاوَةِ هَذِهِ العَيْنِ شَجَرُ الأَرَاكِ وَالتَّنْضُبِ(٥) وَالعُشَرِ وَقَدْ يَرْجِعُ عُقْدَةً، قُلْتُ: فَلِمَ لَا يَسْتَقِي مِنْهَا أَهْلُ عَدَنَ؟ قَالَ: لَيْسَ إِلَىٰ هَذَا سَبِيلٌ وَلَا عَلَيْهِ طَرِيقٌ، الرَّجَّالَةُ تَتَعَلَّقُ فِي لِحْفِ الجَبَلِ(٦).

---

(١) أَيْ: أَنْتَنَ.

(٢) كَذَا هُنَا: «عَمْرو»، وَفِي الكَلَامِ عَلَىٰ جَبَلِ حَرِيز: «عُمَر».

(٣) لَعَلَّهُ «يَقْلِبُ» بِالقَافِ.

(٤) مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ «أ» و«ب».

(٥) التَّنْضُبُ: شَجَرٌ مَعْرُوفٌ لَهُ شَوْكٌ.

(٦) وَهَذَا الوَصْفُ يَقُولُ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز: يَنْطَبِقُ عَلَىٰ وِدْيَانٍ مَا يُعْرَفُ اليَوْمَ بِـ«جُولَد مَوْر»، وَلَا زَالَ يَنْبُتُ فِيهَا الأَرَاكُ وَالعُشَرُ. «العَقَبَةُ» (ص٧٠).

قُلْتُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِهَذَا؟ قَالَ: إِنَّ عَامًا مِنَ الأَعْوَامِ خَالَفَتْ عَدَنُ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا وَنَحْنُ فِي المَبَاه(١) فَهَرَبْنَا بِجِمَالِنَا إِلَىٰ هَذَا الوَادِي، قَالَ: فَحِينَئِذٍ حَبَرَ(٢) ابْنُ المُعَلَّا وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ فِي [إِثْبَاتِ](٣) البَيِّنَةِ وَسَلَّمَ مِنْ سَاعَتِهِ.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ» (ص٥٣) فَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنِ المُصَنِّفِ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٧).

(٢) كَذَا فِي «ج»: «حَبَرَ».

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ «ج».

ذِكْرُ الآبَارِ الحُلْوَةِ بِظَاهِرِ عَدَنَ

بِئْرُ أَحْمَدَ العَشِيرِيِّ قَدِيمَةٌ طَيِّبَةُ المَاءِ، بِئْرُ أَحْمَدَ بْنِ المُسَيَّبِ حُفِرَتْ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ العَقلَانِيِّ[١] حُفِرَتْ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ خَيْطٍ عَتِيقَةٌ، وَبِئْرُ عقيب وَتُسَمَّىٰ بِئْرَ الكِلَابِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الكِلَابَ نَبَشَتِ الأَرْضَ فِي هَذَا المَوْضِعِ فَحُفِرَتْ عَقِيْبَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ بِئْرٌ عُرِفَتِ البِئْرُ بِبِئْرِ الكِلَابِ، وَجَدَّدَ عِمَارَتَهَا أَحْمَدُ العَشِيرِيُّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ الجَدِيدَةِ حُفِرَتْ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ السَّلَامِيِّ حُفِرَتْ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَالآبَارُ الَّتِي بِطَرِيقِ اللَّخَبَةِ آبَارُ اللَّخَبَةِ[٢] بِئْرُ السَّمَاكِينَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فِي قُرْبِ المَسْجِدِ، حُفِرَتْ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبِئْرُ المُوَحِّدِينَ فِي أَوَّلِ شَطِّ اللَّخَبَةِ، وَبِئْرُ أَصْحَابِ العِمَارَةِ[٣]، حُفِرَتْ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ لِأَجْلِ ضَرْبِ اللَّبِنِ[٤]، وَبِئْرُ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ، فِي وَسَطِ اللَّخَبَةِ، حُفِرَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ،

---

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ، بَيْدَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَيْهَا فِي «أ»: «العَسْقَلَانِيِّ»، وَلَعَلَّهُ الصَّوَابُ، لِأَنَّ لِهَذَا الِاسْمِ أَوِ اللَّقَبِ مَعَالِمَ تَارِيخِيَّةً فِي عَدَنَ مِنْهَا «مَسْجِدُ العَسْقَلَانِيِّ»، وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِنَّهُ نُسِبَ إِلَىٰ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُثْبِتُ ذَلِكَ.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٣) الَّذِينَ يَعْمُرُونَ البُيُوتَ وَيَبْنُونَهَا.

(٤) اللَّبِنُ هُوَ مِنَ الطِّينِ، وَكَانَ قَدِيمًا تُبْنَىٰ بِهِ البُيُوتُ.

وَبِئْرُ السَّعْفَةِ، حُفِرَتْ عَلَىٰ طَرِيقِ المَفَالِيسِ(١) قَدِيمَةٌ، وَلَمْ يُسْتَقَ مِنْهَا إِلَّا إِذَا غَلَا المَاءُ بِعَدَنَ، وَبِئْرُ العِمَادِ عَلَىٰ طَرِيقِ أَبْيَنَ قَدِيمَةٌ، يُسْتَقَىٰ مِنْهَا أَيَّامَ المَوْسِمِ.

وَغَالِبُ سُكَّانِ البَلَدِ عَرَبٌ مُجَمَّعَةٌ مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالرِّيفِ وَالعَجَم وَالفُرْس وَحَضَارِم وَمَقَادِشَة وَجبَالِيَة وَأَهْل ذُبْحَانَ(٢) وَزَيَالِع وَربَاب وَحُبُوش، وَقَدِ الْتَأَمَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ وَمِنْ كُلِّ أَرْضٍ وَتَمَوَّلُوا فَصَارُوا أَصْحَابَ خَيْرٍ وَنَعَمٍ، وَغَالِبُ أَهْلِهَا حُبُوشٌ وَبَرَابِرٌ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ الرَّبْعِ المَسْكُونِ وَالبَحْرِ المَعْمُورِ أَعْجَبُ مِنْ نِسَاءِ البَرَابِرِ وَلَا أَوْقَحُ مِنْهُنَّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

مَلْبُوسُهُمُ(٣) الكَتَّانُ وَالعَمَائِمُ المُلْسُ، وَأَمَّا العَجَمُ فَتَتَعَمَّمُ بِذُؤَابَة بر الذُّؤَابَةِ فَتَغْرِزُهَا فِي العِمَامَةِ ثَانِيَةً، وَهَكَذَا أَصْحَابُ الشَّيْخِ عَدِيٍّ بِالمَوْصِلِ، وَعَلَىٰ كَتِفِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَرَأْيِ مُصَلًّىٰ أَوْ مِنْدِيلٌ مُطَرَّزٌ(٤).

وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِهَا: تَعَالَ مَعِي إِلَىٰ فُلَانٍ، قَالَ: أَنَا عُرْيَانٌ، قَالَ: أَلَيْسَ ثِيَابُكَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعِي كَرٌّ(٥).

---

(١) المَفَالِيسُ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) يُنْظَرُ: «ذُبْحَانُ» فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٤٣).

(٣) أَيْ: أَهْل عَدَنَ.

(٤) وَيُسَمَّىٰ اليَوْمَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ «الشَّال».

(٥) أَيْ: أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مُهِمًّا، وَعَدَمُ وَضْعِهِ عَلَىٰ الكَتِفِ عِنْدَ الخُرُوجِ كَانَ يُعَدُّ عِنْدَهُمْ مِنْ خَوَارِمِ

لِبْسُ نِسَائِهِمُ الحِجْلُ، وَهُوَ الخِلْخَالُ، وَالحِرَافُ، وَيُسَمَّىٰ عِنْدَ العَجَمِ مَسْحَةً، وَالدُّمْلُجُ[(١)].

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي حُلِيِّ أَهْلِ اليَمَنِ:

يَـــا بَـــدْرُ تَـــمٍّ طَلَعَـــا	وَنُـــورُ فَجْـــرٍ سَـــطَعَا
وَيَـــا قَضِـــيبًا نَاعِمًـــا	عَلَـــىٰ كَثِيـــبٍ مَرَعَـــا
وَبَارِقًـــا مِـــنْ ثَغْـــرِ مَـــنْ	يَهْـــوَاهُ قَلْبِـــي لَمَعَـــا
وَيَـــا غَـــزَالًا مَـــرَّ بِـــي	عَصْـــرًا يَجُـــرُّ الخِلَعَـــا
مُحَجَّـــلًا مُـــدَمْلَجًا	مُحَرَّفًـــا مُمَلْجَعَـــا[(٢)]
مُشَـــيَّعًا مُظَرَّفًـــا	مُطَوَّقًـــا مُقَنَّعَـــا
مُعَـــبَّلًا مُحَجَّـــلًا	مُكَحَّـــلًا مُشَـــرَّعَا
مُنَعَّمًـــا مُعَطَّـــرًا	مُلَطَّفًـــا مُسَـــرَّعَا

وَمَادَّتُهُمْ مِنَ الهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالحَبَشَةِ وَدِيَارِ مِصْرَ، وَمَأْكُولُهُمُ الخُبْزُ وَأُدْمُهُمُ السَّمَكُ، غَايَةُ عَمَلِ نِسَائِهِمُ القِفَاعُ[(٣)]، وَرِجَالُهُمْ تَبِيعُ العِطْرَ وَالقِنْبَارَ، وَبِنَاءُ دُورِهِمْ مُرَبَّعَةٌ، كُلُّ دَارٍ وَحْدَهَا طَبَقَتَانِ الأَسْفَلُ مِنْهُمَا مَخَازِنُ وَالعُلْيَا مِنْهُمَا مَجَالِسُ،

=

المُرُوءَةِ، وَهَذَا كَوَضْعِ العِمَامَةِ عَلَىٰ الرَّأْسِ، فَإِنَّهُ فِي بَعْضِ الأَمْكِنَةِ فِي اليَمَنِ كَذَلِكَ.

(١) الدُّمْلُجُ: هُوَ مَا تَلْبَسُهُ المَرْأَةُ فِي عَضُدِهَا، وَهُوَ المِعْضَدُ، وَبَعْضُ القُرَىٰ اليَمَنِيَّةِ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: «عُضَادٌ» كَذَا أَدْرَكْتُ كَبِيرَاتِ السِّنِّ يَقُلْنَ لَهُ، وَيُنْظَرُ: «مُخْتَارُ الصِّحَاحِ» (ص٢١١).

(٢) قَوْلُهُ: «مُحَرَّفًا» أَيْ: لَابِسَاتِ الحِرَافِ، كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا، وَوَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «مُحَرَّقًا» بِالقَافِ وَهُوَ خَطَأٌ.

(٣) جَمْع قَفْعَةٍ: وَهِيَ كَالزِّنْبِيلِ، وَتُصْنَعُ مِنَ الخُوصِ.

وَبِنَاؤُهُمْ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ وَالخَشَبِ وَالمِلْحِ وَالجَصِّ.

فَصْلٌ: اخْتَفَتِ الكِلَابُ فِيهَا بِالنَّهَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ كَلْبًا كُلِبَ(١) فَأَكَلَ بَعْضَ أَوْلَادِ البَرَابِرِ، فَاسْتَغَاثَتِ المَرْأَةُ البَرْبَرِيَّةُ إِلَىٰ رَضِيِّ الدِّينِ المُعْتَمِدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التِّكْرِيتِيِّ، فَأَمَرَ المُعْتَمِدُ بِقَتْلِ كُلِّ كَلْبٍ فِي عَدَنَ، فَقُتِلَ فِي اليَوْمِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ كَلْبًا وَهَرَبَ البَاقُونَ إِلَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَسَكَنُوا طُولَ النَّهَارِ وَيَخْرُجُونَ فِي اللَّيْلِ يَدُورُونَ البَلَدَ بِاللَّيْلِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، يَأْكُلُونَ مَا يَجِدُونَهُ مَرْمِيًّا فِي السَّنَادِيسِ(٢)، لِأَنَّ سَنَادِيسَ القَوْمِ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّومِيُّ:

يُرَبِّينَ القِطَاطَ بِغَيْرِ نَفْعٍ ... لِيَأْكُلْنَ الَّذِي يَرْمِينَ سِقْطَا
فَهُنَّ قُبُورُ أَوْلَادِ الزَّوَانِي ... إِذَا أَسْقَطْتَهُنَّ لَثَمْنَ قِطَّا

وَلَمْ يَظْهَرْ بِمَكَّةَ كَلْبٌ بِالنَّهَارِ بَلْ يَأْوُونَ فِي الجِبَالِ، وَتَأْوِي الكِلَابُ فِي الكُوفَةِ بِالنَّخِيلِ، وَفِي مَقْدَشُوهْ بِالمَقَابِرِ، وَأَمَّا كِلَابُ عَدَنَ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَضِّهِمْ، لِأَنَّهُمْ رَجَعُوا سُمًّا نَاقِعًا لِقِلَّةِ شُرْبِهِمُ المَاءَ، وَإِذَا حَصَلَ لَهُمْ مَاءٌ يَكُونُ مَالِحًا، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْ كُلِّ شَدِيدٍ.

---

(١) أَيْ: أُصِيبَ بِدَاءِ الكَلَبِ، وَهُوَ المَعْرُوفُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ بِـ«السُّعَارِ»، وَالكَلْبُ المُصَابُ بِذَلِكَ يَقُولُونَ لَهُ: «مَسْعُورٌ»، وَدَاءُ الكَلَبِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ فَيْرُوسٍ يَنْتَقِلُ إِلَىٰ الإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ عَضِّ الكَلْبِ المَسْعُورِ لَهُ، وَهُوَ فَيْرُوسٌ مُمِيتٌ.

(٢) وَهُوَ الحَمَّامُ، وَجَاءَ فِي «تَكْمِلَةِ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ» (٦/ ١٦٧) ط. «وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالإِعْلَامِ العِرَاقِيَّةِ»: سنداسٌ، وَجمعها سَنَادِيسُ، بَيْتُ الأَدَبِ، أَوِ الخَلَاءُ الكَنِيفُ.

ذِكْرُ وُصُولِ المَرَاكِبِ إِلَى عَدَنَ

إِذَا وَصَلَ مَرْكَبٌ إِلَىٰ عَدَنَ وَأَبْصَرَهُ النَّاظِرُونَ وَالنَّاطُورُ[١] عَلَىٰ جَبَلٍ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: هيريَا![٢] وَهُوَ آخِرُ جَبَلِ الأَخْضَرِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الحِصْنُ الأَخْضَرُ، وَيُسَمَّىٰ فِي الأَصْلِ سِيرْسِيهْ، وَمَا يَقْدِرُ النَّاطُورُ يَنْظُرُ إِلَّا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ يَقَعُ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ فَيَبَانُ عَنْ بُعْدِ مَسَافَةٍ مَا كَانَ، وَيَكُونُ النَّاطُورُ قَدْ عَرَضَ عُودًا قُدَّامَهُ، فَإِذَا تَخَايَلَ لَهُ شَيْءٌ فِي البَحْرِ قَاسَ ذَلِكَ الشَّيْءَ عَلَىٰ العُودِ، فَإِنْ كَانَ طَيْرًا أَوْ غَيْرَهُ زَالَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا أَوْ يَرْتَفِعُ أَوْ يَهْبِطُ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ، وَإِنْ كَانَ الخَيَالُ مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ فَيْءِ العُودِ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مَرْكَبٌ أَشَارَ إِلَىٰ صَاحِبِهِ وَهُوَ يُنَادِي: يَا هيريَا! وَأَشَارَ صَاحِبُهُ إِلَىٰ رَفِيقِهِ وَأَشَارَ الرَّفِيقُ إِلَىٰ حراب[٣] بِإِعْلَامِ المَرْكَبِ، فَحِينَئِذٍ يُوَصِّلُ الحَرَّابُ خَبَرَ المَرَاكِبِ إِلَىٰ وَالِي البَلَدِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الوَالِي أَعْلَمَ المَشَايِخَ بِالفُرْضَةِ، وَبَعْدَهُمْ يُنَادِي

---

(١) هُوَ الَّذِي يَرْقُبُ السُّفُنَ.

(٢) يَقُولُ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيرز: وَلَا يُعْرَفُ تَعْلِيلٌ لِهَذَا النِّدَاءِ، وَلَكِنَّهُ لَا زَالَ يُسْتَعْمَلُ إِلَىٰ اليَوْمِ لِلنِّدَاءِ فِي مِينَاءِ التَّوَّاهِيِّ إِذَا مَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ التَّنْبِيهَ لِدُخُولِ مَرْكَبٍ إِلَىٰ المِينَاءِ. وَأَفَادَ الأَنْدبرجُ فِي كِتَابِهِ «لَهَجَاتُ دَثِينَةَ» أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ «هُورِي القَارِبِ». «صِيرَةُ» (ص٤٤٧).

(٣) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حراب» بِالحَاءِ وَلَعَلَّهُ بِالجِيمِ أَي: السَّفِينَةِ الفَارِغَةِ.

بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ مِنْ عَلَىٰ ذِرْوَةِ الجَبَلِ: هيريَا هيريَا هيريَا! فَإِذَا سَمِعَ عَوَامُّ الخَلْقِ الصَّوْتَ رَكِبَ كُلٌّ جَبَلًا وَصَعِدَ سَطْحًا يُشْرِفُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنْ كَانَ مَا ذَكَرَهُ صَحِيحًا يُعْطَىٰ لَهُ مِنْ كُلِّ مَرْكَبٍ دِينَارًا مَلَكِي، وَذَلِكَ مِنَ الفُرْضَةِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا يُضْرَبُ عَشْرَةُ عِصِيٍّ.

فَإِذَا قَرُبَ المَرْكَبُ رَكِبَ المُبَشِّرُونَ الصَّنَابِيقَ لِلِقَاءِ المَرْكَبِ، فَإِذَا قَرُبُوا مِنَ المَرْكَبِ صَعِدُوا وَسَلَّمُوا إِلَىٰ النَّاخُوذَةِ وَيَسْأَلُونَهُ مِنْ أَيْنَ وَصَلَ؟ وَيَسْأَلُهُمُ النَّاخُوذَةُ[(١)] عَنِ البَلَدِ وَمَنِ الوَالِي وَسِعْرِ البَضَائِعِ؟ وَكُلُّ مَنْ يَكُونُ لَهُ فِي البَلَدِ أَهْلٌ أَوْ مَعَارِفُ مِنْ أَهْلِ المَرَاكِبِ إِمَّا أَنْ يُهَنُّوهُ أَوْ يُعَزُّوهُ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَيُقَدَّمُ شَيْءٌ نحوه بِقُوَّةِ ويُكْتَبُ اسْمُ النَّاخُوذَةِ وَأَسْمَاءُ التُّجَّارِ وَيَكُونُ الكَرَّانِيُّ[(٢)] قَدْ كَتَبَ جَمِيعَ مَا فِي بَطْنِ المَرْكَبِ مِنْ مَتَاعٍ وَقُمَاشٍ فَيُسَلِّمُ إِلَيْهِمُ الرُّقْعَةَ، وَيَنْزِلُ المُبَشِّرُونَ فِي الصَّنَابِيقِ رَاجِعِينَ إِلَىٰ البَلَدِ كُلِّهِمْ رَأْسًا وَاحِدًا إِلَىٰ الوَالِي وَيُعْطُونَهُ رُقْعَةَ الكَرَّانِيِّ مَعَ مَا كَتَبُوهُ مِنْ أَسْمَاءِ التُّجَّارِ وَيُحَدِّثُونَهُ بِحَدِيثِ المَرْكَبِ وَمِنْ أَيْنَ وَصَلَ وَمَا فِيهِ مِنَ البَضَائِعِ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ عِنْدِهِ يَدُورُونَ فِي البَلَدِ يُبَشِّرُونَ أَهْلَ مَنْ وَصَلَ بِجَمْعِ الشَّمْلِ وَيَأْخُذُ كُلٌّ بِشَارَتَهُ.

---

(١) النَّاخُوذَةُ: هُوَ رَئِيسُ السَّفِينَةِ وَرُبَّانُهَا، وَجَمْعُهُ النَّوَاخِذَةُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ لَفْظَيْنِ (نَاو) بِمَعْنَىٰ (سَفِينَةٍ) وَ(خواذَهْ) بِمَعْنَىٰ سَيِّدٍ. يُنْظَرُ: «البَحْرِيَّةُ فِي مِصْرَ الإِسْلَامِيَّةِ» (ص٢٧٤)، وَيُنْظَرُ: «إِفَادَةُ الأَنَامِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ» (٢/ ٥٠٣) مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

(٢) الكَرَّانِيُّ: مَا زَالَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ مُتَدَاوَلَةً عِنْدَ أَهْلِ «عَدَنَ» إِلَىٰ اليَوْمِ، وَهُوَ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ مَنْ يَقُومُ بِعَدِّ الرُّكَّابِ فِي «الفَرْزَةِ» -مَوَاقِفِ السَّيَّارَاتِ- وَاسْتِلَامِ قِيمَةِ الرُّكُوبِ وَتَرْتِيبِ السَّيَّارَاتِ حَتَّىٰ لَا يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ.

فَإِذَا وَصَلَ المَرْكَبُ المَرْسَىٰ وَأَرْسَىٰ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ نَائِبُ السُّلْطَانِ وَيَصْعَدُ المُفَتِّشُ يُفَتِّشُ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ، وَيَصِلُ التَّفْتِيشُ إِلَىٰ العِمَامَةِ وَالشَّعْرِ وَالكُمَّيْنِ وَحُزَّةِ[١] السَّرَاوِيلِ وَتَحْتَ الآبَاطِ وَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَىٰ حِجْرَةِ[٢] الإِنسَانِ وَيُدْخِلُ يَدَهُ بَيْنَ أَلْيَتَيْهِ وَيَشْتَمُّهُ عَلَىٰ قَدْرِ المَجْهُودِ، وَكَذَلِكَ عَجُوزٌ تُفَتِّشُ النِّسَاءَ تُقَرِّبُ بِيَدِهَا فِي أَعْجَازِهِمْ وَفُرُوجِهِنَّ.

فَإِذَا نَزَلَتِ التُّجَّارُ إِلَىٰ البَلَدِ نَزَلُوا بِدَبْشِهِمْ مِنَ الغَدِ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَنْزِلُ الأَقْمِشَةُ وَالبَضَائِعُ إِلَىٰ الفُرْضَةِ تُحَلُّ شَدَّةً شَدَّةً وَتُعَدُّ ثَوْبًا ثَوْبًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ بَضَائِعِ البُهَارِ يُوزَنُ بِالقَبَّانِ[٣] وَيُضْرَبُ فِي جَمِيعِ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمُ السَّبَحُ[٤] لِئَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ وَقَدْ عَاهَدُوا اللهَ ﷻ أَنْ يَبْذُلُوا المَجْهُودَ قُدَّامَ المَشَايِخِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ عَلَىٰ التَّاجِرِ الحِرَافُ[٥] وَيَقْتُلُهُ الحُزْنُ وَيَبْقَىٰ فِي وَادِي الدَّبُورِ بِمَا يَعْمَلُونَ مَعَهُ مِنَ الفِعْلِ الَّذِي تَطِيرُ مِنْهُ البَرَكَةُ وَالسَّعَادَةُ[٦].

---

(١) أَيْ: حُجْزَةُ السَّرَاوِيلِ، مَعَ أَنَّ المُصَنِّفَ يَرَىٰ أَنَّ «حُزَّة» خَطَأٌ، فَقَدْ قَالَ كَمَا تَقَدَّمَ تَحتَ عُنْوَانِ «ذِكْرُ الحِجَازِ»: حُجْزَةُ السَّرَاوِيلِ وَقَوْلُ العَامَّةِ: «حُزَّة» خَطَأٌ، كَذَا قَالَ، وَيُنْظَرُ لِذَلِكَ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ وَغَرِيبُهَا.

(٢) لَعَلَّهُ «حِجْرَة» أَيْ: مُؤخِرَة.

(٣) القَبَّانُ: هُوَ المِيزَانُ ذُو الذِّرَاعِ الطَّوِيلَةِ المُقَسَّمَةِ أَقْسَامًا، وَعَلَيْهِ حَدِيدَةٌ ثَقِيلَةٌ يُقَالُ لَهَا: الرُّمَّانَةُ، تُحَرَّكُ عَلَىٰ قَضِيبِ المِيزَانِ لِتَعْيِينِ وَزْنِ مَا يُوزَنُ. «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (ص٧٣٩)، وَ«مُعْجَمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ» (٢/ ٩٤٥).

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ «السَّبح»، وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «الشَّبَح».

(٥) أَيِ: الحِرْمَانُ.

(٦) يُنْظَرُ: «النِّظَامُ الإِدَارِيُّ وَالمِلَاحِيُّ فِي مِينَاءِ عَدَنَ» مِنْ كِتَابِ «صِيرَةُ» (ص٤٤٦).

ذِكْرُ العُشُورِ

ثَمَّ ضَرَائِبُ وَقَوَانِينُ، اسْتُجِدَّتْ مِنْ أَيَّامِ دَوْلَةِ بَنِي زُرَيْعٍ، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنِ اسْتَجَدَّهُ فُلَانٌ اليَهُودِيُّ، وَقِيلَ: يُسَمَّىٰ خَلَفُ اليَهُودِيُّ النَّهَاوَنْدِيُّ، فَبَقِيَتِ الخَلْقُ تَجْرِي عَلَىٰ قَوَاعِدِهِمْ وَضَرَائِبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، يُؤْخَذُ فِي بُهَارِ[1] الفُلْفُلِ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرَ عُشُورًا وَدِينَارٌ شَوَانِي، وَخُرُوجُهُ عَلَىٰ الفُرْضَةِ دِينَارَانِ، وَعَلَىٰ قِطْعَةِ النِّيلِ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ شَوَانِي، وَخُرُوجُهُ مِنَ الفُرْضَةِ رُبُعٌ، وَعَلَىٰ بُهَارِ الأَنْكزَةِ -وَهُوَ الحَلْتِيتُ- ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرَ، وَعَلَىٰ بُهَارِ قِشْرِ المَحْلَبِ ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ وَنِصْفٌ، وَعَلَىٰ بُهَارِ الطَّبَاشِيرِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا إِلَّا ثُلُثًا وَدِينَارٌ شَوَانِي، وَعَلَىٰ عُودِ الدّفوَاءِ نِصْفُ المَبْلَغِ، وَعَلَىٰ فَرَاسِلَةِ الكَافُورِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ وَسُدُسٌ، وَعَلَىٰ بُهَارِ الهَيلِ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ، وَعَلَىٰ فَرَاسِلَةِ القُرُنْفُلِ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ وَشَوَانِي دِينَارٌ، وَعَلَىٰ الفَرَاسِلَةِ عَشْرَةُ أَمْنَانٍ عَنْهَا عِشْرُونَ رَطْلًا، وَعَلَىٰ فَرَاسِلَةِ الزَّعْفَرَانِ ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ وَثُلُثٌ، وَعَلَىٰ بِهَارِ الكَتَّانِ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ وَنِصْفٌ.

وَإِذَا انْبَاعَ[2] مَرْكَبٌ يُؤْخَذُ مِنَ البَائِعِ مِنَ المِائَةِ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ، وَيُؤْخَذُ مِنَ الحَدِيدِ عُشُورُ النِّصْفِ، اسْتُجِدَّ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ، أَوَّلُ مَنْ أُخَذَ

---

(١) البُهَارُ: مِعْيَارٌ مِنْ مَعَايِيرِ الوَزْنِ، يُنْظَرُ: «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» (١/ ١٦٨) مَادَّةُ «بَهَرَ»، وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ هَذَا الِاسْمُ عَلَىٰ مَا يُضَافُ إِلَىٰ الطَّعَامِ مِنَ التَّوَابِلِ.

(٢) أَي: ابتَاع.

مِنْهُ مِنْ أَبِي الحَسَنِ البَغْدَادِيِّ، وَيُقَالُ: مِنْ فُلَانٍ الفَرْوَانِيِّ(١) سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمِنَ اللَّاكِ الرُّبُعُ، وَيُقَالُ: الثُّلُثُ وَدِينَارَانِ اسْتِظْهَارًا، وَمِنْ بُهَارِ الفُوَّةِ اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا اسْتُجِدَّ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ المَلِكِ المُعِزِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ طُغْتِكِينَ، وَكَانَ عَلَيْهِ قَبْلُ دِينَارَانِ، وَيُقَالُ: ثَلَاثَةٌ، وَعَلَىٰ بُهَارِ الحُمَرِ ثَلَاثَةُ جُوَّزٍ، وَعَلَىٰ العَشْرَةِ المَقَاطِعِ دِينَارَانِ وَنِصْفٌ، وَعَلَىٰ العَشْرِ العُقْدَاتِ نِصْفٌ وَرُبُعٌ جَائِزٍ، وَعَلَىٰ الرَّأْسِ الضَّأْنِ رُبُعٌ، وَعَلَىٰ الحِصَانِ إِذَا دَخَلَ البَلَدَ خَمْسُونَ دِينَارًا اسْتُجِدَّ فِي دَوْلَةِ المَلِكِ النَّاصِرِ أَيُّوبَ بْنِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ، وَيُؤْخَذُ فِي خُرُوجِهِ إِلَىٰ البَحْرِ سَبْعُونَ دِينَارًا، وَعَلَىٰ الرَّأْسِ الرَّقِيقِ دِينَارَانِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ البَابِ نِصْفُ دِينَارٍ، وَعَلَىٰ العَوْبَلِيِّ السّنْدَابُورِيِّ ثَمَانِيَةُ دَنَانِيرَ وَدِينَارٌ شَوَانِي، وَيُؤْخَذُ فِي الخُرُوجِ مِنَ البَابِ عَلَىٰ العَوْبَلِيِّ نِصْفُ دِينَارٍ وَهُوَ لِضَامِنِ دَارِ النَّبِيذِ، وَيُؤْخَذُ عَلَىٰ شُقَقِ الحَرِيرِ مِنْ عَمَلِ زَبِيدٍ نِصْفُ دِينَارٍ وَجَائِزٌ، وَعَلَىٰ الثَّوْبِ الظَّفَارِيِّ رُبُعٌ وَجَائِزٌ، وَعَلَىٰ الشُّقَّةِ البَيْضَاءِ ثُمُنٌ، وَعَلَىٰ السُّوسِيِّ ثَلَاثَةُ قَرَارِيطَ، وَعَلَىٰ فُوطِ السُّوسِيِّ رُبُعٌ وَجَائِزٌ، وَعَلَىٰ كورَجَةِ المَحَابِسِ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ، وَعَلَىٰ كورَجَةِ الأَحْوَاكِ دِينَارَانِ وَنِصْفٌ، وَكَذَلِكَ السُّبَاعِيُّ، وَعَلَىٰ كورَجَةِ الثِّيَابِ الخَامِ الهِنْدِيِّ دِينَارَانِ وَنِصْفٌ، وَعَلَىٰ سوَاسِيِّ الكَتَّانِ الكِبَارِ جَائِزَانِ وَقِيرَاطٌ وَعَلَىٰ الصَّغِيرِ جَائِزَانِ وَفِلْسَانِ، وَعَلَىٰ كُلِّ قَفْعَةٍ(٢) ذُرَةٍ ثُمُنٌ، وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ.

---

(١) الفَرْوَانِيُّ: بِفَتْحِ الفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الوَاوِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ فَرْوَانَ بُلَيْدَةٍ عِنْدَ غَزْنَةَ مَدِينَةٍ مِنْ أَوَّلِ بِلَادِ الهِنْدِ. «الأَنْسَابُ» (١٠/ ٢٠١)، «اللُّبَابُ فِي تَهْذِيبِ الأَنْسَابِ» (٢/ ٣٨٠).

(٢) القَفْعَةُ: إِنَاءٌ مِنْ خُوصٍ يُشْبِهُ الزِّنْبِيلَ. «مُخْتَارُ الصِّحَاحِ» مَادَّةُ (قفع).

ذِكْرُ تَخْرِيجِ عُشُورِ الشَّوَانِي[١]

لَمْ يَكُونُوا مُلُوكُ بَنِي زُرَيْعٍ يَعْرِفُونَ الشَّوَانِي، وَبَقُوا إِلَىٰ أَنْ دَخَلَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ اليَمَنَ وَدَخَّلَ مَعَهُ شَوَانٍ، فَلَمَّا خَرَجَ وَلِيَ عُثْمَانُ[٢] بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَبِيلِيُّ التِّكْرِيتِيُّ عَدَنَ وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ الشَّوَانِي إِلَىٰ أَنْ هَرَبَ[٣] دَخَلَ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ اليَمَنَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَرْبَابِ العَقْلِ فَقَالَ لَهُ: وَبِمَ تَسْتَحِلُّ أَخْذَ العُشُورِ مِنَ التُّجَّارِ؟ قَالَ: أَجْرِي عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُلُوكُ بَنِي أَيُّوبَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَيَّامِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ النَّاسَ بِيَدِ القُوَّةِ، وَلَكِنْ خُذْ ذَلِكَ أَنْتَ عَلَىٰ رَأْيٍ تُشْكَرُ بِهِ عِنْدَ الخَلْقِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْفِذْ بِهَذِهِ الشَّوَانِي إِلَىٰ البَحْرِ يَحْمُوا التُّجَّارَ مِنَ السُّرَّاقِ وَيَكُونُ لَهُمْ بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَىٰ السَّدَادِ بَدَلَ مَا هِيَ بَطَّالَةٌ تَقْرَعُهَا الشُّمُوسُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ جِئْتَ بِرَأْيٍ حَسَنٍ، فَأَخْرَجَ الشَّوَانِي إِلَىٰ الهِنْدِ، فَكَانَتِ الشَّوَانِي تَقِفُ عَلَىٰ رَأْسِ المَنَادِخِ[٤] يَحْفَظُونَ مَرَاكِبَ التُّجَّارِ مِنْ

---

(١) الشَّوَانِيُّ: هِيَ سُفُنٌ حَرْبِيَّةٌ قَدِيمَةٌ. «المُعْجَمُ الوَسِيطُ» (ص٥٢١).

(٢) تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ.

(٣) هَرَبَ خَوْفًا مِنْ إِسْمَاعِيلَ طُغْتِكِينَ كَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنَ «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٥/ ١٧٣-١٧٤) لِلْفَاسِيِّ.

(٤) المَنَادِخُ أَوِ المَنَاتِخُ: مُفْرَدُهَا «مَنْتَخٌ» هِيَ رَأْسٌ بَارِزٌ فِي البَحْرِ أَوْ جَبَلٌ أَوْ جَزِيرَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ. وَيُنْظَرُ: «بُزُوغُ وَأُفُولُ المِلَاحَةِ وَالمَرَاكِزِ المِلَاحِيَّةِ عِنْدَ العَرَبِ قَبْلَ الإِسْلَامِ» (ص٧) لِأَسْمَهَانَ =

سَطْوَةِ السُّرَّاقِ، فَبَقُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ إِلَىٰ سَنَةِ ثَلَاث عْشَرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَدَخَلَ بَعْضُ الأَكَابِرِ وَقَالَ: خَلَّدَ اللهُ مُلْكَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خِزَانَةِ المَوْلَىٰ كُلَّ عَامٍ لِأَجْلِ الشَّوَانِي خَمْسِينَ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ بَطَّالٍ، فَإِنْ أَخَذَ المَوْلَىٰ هَذَا القَدْرَ مِنَ التُّجَّارِ لَمْ يَضُرَّهُمْ ذَلِكَ، قَالَ: فَكَيْفَ العَمَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَا أُخِذَ مِنَ العُشُورِ أَلْفُ دِينَارٍ تَأْخُذُ مِنْهُ الشَّوَانِي مِائَةَ دِينَارٍ، فَهُوَ يَجْتَمِعُ لِلْمَوْلَىٰ وَلَمْ يَبِنِ التَّاجِر.

وَأُسِّسَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ المَلِكِ المَسْعُودِ يُوسُفَ[1] بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَبَقِيَ إِلَىٰ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، كَتَبَ الشَّرِيفُ إِلَىٰ المَلِكِ المَسْعُودِ: إِنَّ مَالَ الشَّوَانِي يَحْصُلُ إِنَّ سَافَرَتِ الشَّوَانِي وَإِنْ لَمْ تُسَافِرْ، فَكَتَبَ المَلِكُ المَسْعُودُ وَقَالَ: إِنْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ مُسْتَقِيمًا فَأَبْطِلُوهُ، فَبَطَلَ الشَّوَانِي وَصَارَ عُشُورُهُ يُؤْخَذُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ مَعَ الشَّوَانِي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

=

سَعِيدٍ الجَرْوِ بِـ«مَجَلَّةِ الآدَابِ وَالعُلُومِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ» بِـ«جَامِعَةِ السُّلْطَانِ قَابُوسَ» (٢٠١٧م).

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٦/ ٢٥٥) بِرَقْمِ (٢٧٨٥).

الَّذِي لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ عُشُورٌ

الوَاصِلُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ: الحِنْطَةُ وَالدَّقِيقُ وَالسُّكَّرُ وَالأُرْزُ وَالصَّابُونُ الرَّفِيُّ وَالأُشْنَانُ وَالقَطَّارَةُ وَزَيْتُ الزَّيْتُونِ وَزَيْتُ الحَارِّ وَالزَّيْتُونُ المُمَلَّحُ وَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّقْلِ إِذَا كَانَ قَلِيلًا، وَالعَسَلُ النَّحْلُ إِذَا كَانَ قَلِيلًا.

وَالَّذِي يُجْلَبُ مِنَ الهِنْدِ: كُلُّ مَا يُرَاسَلُ فِي البَحْرِ وَالهِلَيْلَجُ المُرَبَّىٰ وَالأَكْرَارَا[١] وَالمَخَادُّ وَالمسَاوِرُ[٢] وَالأَنْطَاعُ[٣] وَالأُرْزُ وَالكجرِيُّ، وَهُوَ الأُرْزُ وَالمَاشُ[٤] مَخْلُوطٌ، وَالسِّمْسِمُ وَالصَّابُونُ.

وَمِنَ البَضَائِعِ المُغْرِ: الكَلَاهِيُّ وَالنَّشمُ وَحَطَبُ القُرُنْفُلِ وَثِيَابُ العَرَابِيَّةِ، تُعْمَلُ فِي بدقلي، وَمِنْ مُعَامَلَةِ الشَّجَرِ: التَّمْرُ المُقلفُ، وَهُوَ الَّذِي اسْتُخْرِجَ نَوَاهُ، وَالسَّمَكُ المُمَلَّحُ، إِنَّ كَانَ بِرَأْسٍ أُخِذَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِلَا رَأْسٍ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ، وَنِعَالُ الهِنْدِيَّةِ، إِنَّ كَانَ بِشِرَاكٍ أُخِذَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِلَا شِرَاكٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِ، وَالتَّيْسُ وَالمَعْزُ لَيْسَ عَلَيْهِ.

---

(١) نَوْعٌ مِنَ الأَدَمِ.

(٢) هِيَ مَسَانِدُ مَصْنُوعَةٌ مِنْ أَدَمٍ.

(٣) الأَنْطَاعُ: جَمْعُ نِطْعٍ، وَهُوَ بِسَاطٌ مِنَ الأَدِيمِ.

(٤) المَاشُ: حَبٌّ وَهُوَ مُعَرَّبٌ.

وَكَانَ المُوجِبُ(١) أَنَّهُ قَدِمَ سَفَّارَةُ الحَبَشَةِ بِغَنَمٍ عَدُّوهَا فَلَمَّا اشْتَغَلَ العَدَّادُونَ بِالعَدَدِ قَامَ تَيْسٌ يَشُقُّ الجَمْعَ وَجَاءَ وَقَعَدَ وَرَاءَ ظَهْرِ يَاسِرِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ المُحَمَّدِيِّ، وَالأَصَحُّ وَرَاءَ الدَّاعِي عِمْرَانَ بْنِ سَبَأٍ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ العَدَدِ أَرَادُوا أَنْ يَعُدُّوا التَّيْسَ مَعَ الغَنَمِ فَقَالَ الدَّاعِي: مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ عَلَيْهِ شَيْئًا لِأَنَّهُ قَدِ اسْتَجَارَنِي فَأَزَالَ عَنْهُ العُشُورَ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ أَبْصَرَ لِحْيَتَهُ فَقَالَ: حَاشَا أَنْ يُوزَنَ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ عُشُورٌ، وَالخَرَزُ الَّذِي يُجْلَبُ مِنَ الدُّيْبُولِ(٢) وَغِلْمَانُ حودر يُجْلَبُونَ مِنَ الهِنْدِ.

* * *

(١) أَيْ: لِإِلْغَاءِ العُشُورِ عَلَىٰ التُّيُوسِ.

(٢) وَهُوَ الدَّيْبُلُ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ بَحْرِ الهِنْدِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٩٥).

ذِكْرُ مَا اسْتُجِدَّ فِي عَدَنَ مِنَ الوَكَالَةِ وَدَارِ الزَّكَاةِ

لَمَّا كَانَ بِتَأْرِيخِ جُمَادَىٰ الأُولَىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، وَالأَصَحُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ أُسِّسَ فِي عَدَنَ دَارُ وَكَالَةٍ وَعَلَىٰ كُلِّ بِضَاعَةٍ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهَا عُشُورٌ يُؤْخَذُ مِنْهَا زَكَاةٌ، فَصَارَ الآنَ يُؤْخَذُ خَمْسُ عُشُورَاتٍ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ: عُشُورٌ قَدِيمٌ، وَهُوَ مَالُ الفُرْضَةِ، وَعُشُورُ الشَّوَانِي، وَدَارُ الوَكَالَةِ مِنَ الدِّينَارِ قِيرَاطٌ، وَدَارُ الزَّكَاةِ، وَالدَّلَالَةُ.

فَصْلٌ: قَدِمَ النَّاخُوذَةُ[١] عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ الآمِدِيُّ[٢] مِنَ المِصْرِ وُجِدَ مَعَهُ مَنَّان عُود دُون[٣] أَخَذُوهُ مِنْهُ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ المُحَاسَبَةِ قُوِّمَ المَنُّ العُود بِسِتَّةِ دَنَانِيرَ خَرَجَ عُشُورُهُ دِينَارٌ وَنِصْفٌ وَخَرَجَ شَوَانِي نِصْفٌ وَرُبُعٌ، وَقُوِّمَ فِي دَارِ الوَكَالَةِ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَارًا، صَحَّ الوَكَالَةُ ثَمَانِيَةَ دَنَانِيرَ وَدَانِقَيْنِ، وَخَرَجَ زَكَاةً دِينَارٌ وَرُبُعٌ، وَخَرَجَ دِلَالَةٌ نِصْفُ دِينَارٍ، وَصَحَّ المَبْلَغُ خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَارًا خَرَجَ مِنْهُ ثَمَنُ العُودِ سِتَّةُ دَنَانِيرَ

---

(١) تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ النَّاخُوذَةِ وَأَنَّهُ رَئِيسُ السَّفِينَةِ وَرُبَّانُهَا.

(٢) الآمِدِيُّ: بِمَدِّ الأَلِفِ وَكَسْرِ المِيمِ وَفِي آخِرِهَا دَالٌ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ آمِدَ، يُنْظَرُ: «الأَنْسَابُ» (١/ ٨٢)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٥٦).

(٣) أَيْ: لَيْسَ مِنَ النَّوْعِ عَالِي الجَوْدَةِ وَلَكِنْ دُونَهُ.

فَضَلَ (١) عَلَيْهِ تِسْعَةُ دَنَانِيرَ، حَلَفَ النَّاخُوذَةُ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ الآمِدِيُّ يَمِينًا بِاللهِ العَظِيمِ: إِنِّي لَمْ أَزِنْ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا فِلْسًا وَاحِدًا، مَا يَكْفِي أَنَّكُمْ تَأْخُذُونَ مِنِّي مَنَّيْنِ عُودٍ بِلَا شَيْءٍ وَتُطَالِبُونَنِي بِتِسْعَةِ دَنَانِيرَ أُخْرَىٰ، وَدَخَلَ الأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ نَاصِرُ بْنُ فَارُوت وَجَمَاعَةٌ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّهُ رَجُلٌ مُتَرَدِّد إِلَىٰ عَدَنَ وَنَحْنُ نَأْخُذُ مِنْهُ أَضْعَافَ ذَلِكَ، وَدَخَلَ المُتَوَسِّطُ بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ خَرَجَ رَأْس بِرَأْس.

وَضُمِنَ كُلُّ مَا فِي عَدَنَ مَا خَلَا السَّمَكَ وَالمَاءَ لَا غَيْرُ، وَزِيدَ فِي القَبَّانِ (٢) سُدُسُ بِهَارٍ عَمَّا كَانَ فِي الأَوَّلِ، وَغُيِّرَ جَمِيعُ مَكَايِيلِ اليَمَنِ وَوَضَعُوهُ عَلَىٰ عِيَارِ زَبِدِيِّ الجَنَدِ، وَغَيَّرُوا الأَوْعَادَ كُلَّهَا فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَالفُرْضَة هِيَ مَعَ القَوْمِ بِالأَمَانَةِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَصَلَ مَرْكَبٌ وَزْنُ عُشُورِهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ يَرْسَىٰ فِي كُلِّ عَامٍ تَحْتَ جَبَلِ صِيرَةَ سَبْعُونَ ثَمَانُونَ مَرْكَبًا زَايِد نَاقِص.

وَكَانَ يُرْفَعُ مِنْ عَدَنَ فِي كُلِّ عَامٍ أَرْبَعُ خَزَائِنَ إِلَىٰ حِصْنِ تَعِزَّ: خِزَانَةُ قُدُوم المَرَاكِبِ مِنَ الهِنْدِ، وَخِزَانَةُ دُخُولِ الفُوَّةِ إِلَىٰ عَدَنَ، وَخِزَانَةُ خُرُوجِ الخَيْلِ مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ الهِنْدِ، وَخِزَانَةُ سَفَرِ المَرَاكِبِ إِلَىٰ الهِنْدِ، وَكُلُّ خِزَانَةٍ مِنْ هَذِهِ الخَزَائِنِ يَكُونُ مَبْلَغُهَا مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ زَايِد نَاقِص، وَانْقَطَعَ ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا هَذَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

---

(١) أَيْ: بَقِيَ.

(٢) القَبَّانُ: المِيزَانُ.

وَكَانَ مُعَامَلَةُ عَدَنَ فِي أَيَّامِ بَنِي زُرَيْعٍ ذَهَبَ السِّعَابِي عَلَىٰ عِيَّار البِسْطَامِيِّ وَأَقَلَّ مِنْهُ، وَنَقْدُ البَلَدِ ذَهَبٌ مَلَكِيٌّ، يَسْوَىٰ الدِّينَارُ المِصْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَنِصْف مَلَكِي، وَيُحْسَبُ الدِّينَارُ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ، كُلُّ رُبُعٍ ثَلَاثَةُ جُوَّزٍ كُلُّ جَائِزٍ ثَمَانِيَةُ فُلُوسٍ كُلُّ فِلْسٍ بَيْضَتَانِ.

وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدِّينَارَ المَلَكِيَّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّلَيْحِيُّ بِصَنْعَاءَ، وَيُبَاعُ الرُّوسِيُّ بِالقَصَبَةِ، طُولُ القَصَبَةِ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ بِالحَدِيدِ، وَيُبَاعُ الأَلْوَاحُ السَّاجُ بِالذِّرَاعِ الحَدِيدِ، وَكُلُّ مَا يُبَاعُ فِي المُنَادِي[1] خَرْجٌ وَأَمَانَة وَمَنْ زَادَ رَكِبَ، وَكَذَلِكَ العَبِيدُ وَالجَوَارِي.

❊ ❊ ❊

(١) وَالمُنَادِي: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالمُنَادَاةِ عَلَىٰ البِضَاعَةِ كَمَا يَحْصُلُ اليَوْمَ فِي مَا يُسَمَّىٰ بـ«المَزَادِ العَلَنِيِّ».

ذِكْرُ البَيْعِ وَالعَيْبِ

وَإِذَا اشْتَرَىٰ زَيْدٌ ثَوْبًا وَاسْتَغْلَاهُ فَرَّقَ طَرَفَهُ وَرَدَّهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ لِاسْتِظْهَارِ عَيْبِهِ، وَيَأْخُذُ الدَّلَّالُ دِلَالَتَهُ عِنْدَ القَاضِي عُنْفًا[١] وَكُرْهًا، وَيَحْكُمُ لَهُ الحَاكِمُ عَلَىٰ كُلِّ دِينَارَيْنِ فِلْسَيْنِ دِلَالَةً، فَإِنْ بَاعَ عَلَىٰ دُكَّانِكَ لَهُ مِنْ كُلِّ دِينَارٍ فِلْسٌ، وَإِذَا بَاعَ جُمْلَةً فَعَلَىٰ المِائَةِ دِينَارٍ دِينَارٌ، وَلَهُمْ فِي كُلِّ قِطْعَةِ نِيلٍ رُبُعٌ.

وَلَوْ أَرَادَ بَعْضُ النَّاسِ الخُرُوجَ لِوَدَاعِ مُسَافِرٍ مِنَ البَابِ لَمَا قَدِرَ إِنَّ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ خَطُّ جَوَازٍ[٢] وَضَامِنٌ يَضْمَنُهُ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ بَعْدَ وَقْتٍ مِنْ مَالٍ أَوْ عُشُورٍ وَيَكْتُبُ فِي الرُّقْعَةِ عَلَامَةَ الوَالِي وَيَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ضَامِنٌ وَإِلَّا أَخَذَ مُنَادٍ يُنَادِي عَلَيْهِ فِي الأَسْوَاقِ: إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ خَارِجٌ مِنَ البَابِ، فَكُلُّ مَنْ لَهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُطَالِبُهُ! فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَفَىٰ اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ شَيْءٌ خَرَجَ إِلَىٰ أَيِّ مَوْضِعٍ شَاءَ، كَمَا قِيلَ فِي المَثَلِ: المُفْلِسُ فِي أَمَانِ اللهِ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قَلِيلُ الْهَمِّ لَا وَلَدٌ يَمُوتُ ... وَلَا أَمْرٌ يُحَاذِرُهُ يَفُوتُ

قَضَىٰ وَطَرَ الصِّبَا وَأَفَادَ عِلْمًا ... فَغَايَتُهُ التَّفَرُّدُ وَالسُّكُوتُ

---

(١) أَيْ: غَصْبًا، وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ فِي اليَمَنِ، فَمَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَهْرًا يَقُولُ: بارُدّه أَوْ بارجّعه بِالعُنُف.

(٢) هَذَا فِيهِ أَنَّ اسْمَ الجَوَازِ لِمَا يُسَافِرُ بِهِ المُسَافِرُ كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَدِيمٍ.

ذِكْرُ خَرَابِ عَدَن

يَفِيضُ البَحْرُ فَيُغْرِقُ جَمِيعَ البَلَدِ وَتَرْجِعُ المَدِينَةُ لُجَّةً مِنْ لُجَجِ البَحْرِ، كَمَا ذُكِرَ فِي مُبْتَدَأِ الخَلْقِ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهَا المَرَاكِبُ مُقَلَّعَةً خَاطِفَةً فَتَقُولُ أَهْلُ المَرَاكِبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّا سَمِعْنَا فِي قَدِيمِ الأَيَّامِ أَنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الغِبِّ بَلَدٌ عَظِيمٌ عَامِرٌ لِأَهْلِهِ مُقِيمٌ سَهْلٌ سَلِيمٌ وَمُقَامٌ كَرِيمٌ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: مَا تُسَمَّىٰ؟ فَيَقُولُ لَهُ: شَذَّ عَنِّي اسْمُهُ.

وَبَعْدَ خَرَابِهَا يُعْمَرُ مَرْسَىٰ غُلَافِقَةَ[١]، وَالأَصَحُّ الأَهْوَاب[٢]، إِلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ أَحْسَنَ مِنْ عَدَنَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحَمَامِيِّ الوَاسِطِيُّ[٣] قَالَ: مَا بَقِيَ مِنْ عِمَارَةِ عَدَنَ إِلَّا اليَسِيرُ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ: إِلَّا إِذَا اتَّصَلَتْ عِمَارَتُهَا إِلَىٰ بَابِهَا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَقَدِ اتَّصَلَ إِلَىٰ البَابِ بَعْضُ العِمَارَاتِ.

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«غُلَافِقَةَ».

(٢) الأَهْوَابُ: مِينَاءٌ صَغِيرٌ قَدِيمٌ غَرْبِيَّ «زَبِيدٍ» يَمْتَازُ بِنَظَافَةِ سَاحِلِهِ وَحُلْوِ مَائِهِ، وَتُحِيطُ بِهِ أَشْجَارُ النَّخِيلِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١١٥).

(٣) الوَاسِطِيُّ: بِكَسْرِ السِّينِ وَالطَّاءِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ خَمْسَةِ مَوَاضِعَ، أَشْهَرُهَا وَاسِطُ العِرَاقِ، وَقِيلَ لَهَا: وَاسِط لِأَنَّهَا فِي وَسَطِ البَصْرَةِ وَالكُوفَةِ، وَيُنْظَرُ: «الأَنْسَابُ» (١٣/ ٢٥٨).

وَقَالَ آخَرُونَ: عَدَنُ تَخْرَبُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ. وَدَلَّ عَلَىٰ تَصْدِيقِ المَقَالَةِ دُخُولُ نُورِ الدِّينِ عُمَرَ[1] بْنِ عَلِيِّ بْنِ الرَّسُولِ إِلَىٰ عَدَنَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ[2]، وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي مِنْ شَعْبَانَ طَرَحَ الفُوَّةَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ فِي عَدَنَ مِنْ غَرِيبٍ وَقَرِيبٍ وَقَوِيٍّ وَضَعِيفٍ وَرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ حُرَّةٍ وَمَفْسُودَةٍ عَلَىٰ سَعْرِ البُهَارِ مِائَتَيْ دِينَارٍ وَثَمَانِينَ مَلَكِي، وَضَرَبَ الخَلْقَ بِالخَشَبِ، وَكَانَتِ الأَيَّامُ شِبْهَ أَيَّامِ المَحْشَرِ كُلٌّ مِنْهُمْ مُحْتَشِرٌ يُنَادِي: أَيْنَ المَفَرُّ؟.

فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ أُخِذَ جَمِيعُ فُلْفُلِ التُّجَّارِ وَجَمِيعُ الخُفِّ وَالنِّحَاسِ وَالبَرْبَهَارِ حَسَبَ الفُلْفُلِ البُهَارِ بِأَرْبَعِينَ دِينَارًا وَطَرَحَهُ عَلَىٰ أَهْلِ الكَارِمِ بِسِتِّينَ دِينَارًا، وَأَخَذَ الصّفْرَ مِنْ أَهْلِ الكَارِمِ[3] عَلَىٰ سِعْرِ البُهَارِ بِسِتِّينَ دِينَارًا وَطَرَحَهُ عَلَىٰ أَصْحَابِ الخُفِّ بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَأَعْطَىٰ أَصْحَابَ الفُلْفُلِ الفُوَّةَ عَلَىٰ سِعْرِ البُهَارِ بِأَرْبَعَةٍ وَثَمَانِينَ دِينَارًا، وَيَأْخُذُ البُهَارَ بُهَارًا وَرُبُعًا، وَإِذَا أَعْطَىٰ أَعْطَىٰ البُهَارَ بُهَارًا إِلَّا رُبُعًا، وَيَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ البَضَائِعِ الوَاصِلَةِ العُشُورُ وَالشَّوَانِي وَدَارُ الوَكَالَةِ وَدَارُ الزَّكَاةِ وَالدِّلَالَةُ، يفْضَل[4] مَعَ التَّاجِرِ لَاش فِي لَاش، وَيَحْسُبُ

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٥/ ٣٦٠) بِرَقْمِ (٢١٨٥) لِلْفَاسِيِّ.

(٢) وَفِي تَرْجَمَتِهِ عِنْدَ الفَاسِيِّ أَنَّهُ تَسَلَّمَ «التَّعْكَرَ» سَنَةَ (٦٢٧هـ) وَتُوُفِّيَ مَقْتُولًا بِقَصْرِ «الجَنَدِ» سَنَةَ (٦٤٧هـ).

(٣) الكَارِمُ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ البُهَارَاتِ، وَيُنْظَرُ: «تَكْمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ» (٩/ ٧٢) ط. «وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالإِعْلَامِ العِرَاقِيَّةِ».

(٤) أَيْ: يَبْقَىٰ.

التَّاجِرُ جَمِيعَ حِسَابِهِ بِحَدِيدِهِ وَالأَرْضِ، وَأَخَذَ جَمِيعَ عُطْبِ مَنْ وَصَلَ مِنَ الهِنْدِ مَعَ التُّجَّارِ مُسْتَهْلَك لَا بَيْع وَلَا شِرَىٰ.

وَضُمِنَ القَبَّانُ(١) السَّنَةَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَالسَّلِيطُ عَلَىٰ كُلِّ بُهَارٍ يَصِلُ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ، وَسُوقُ الخُضْرَةِ وَالحَوَارُ وَالرُّطَبُ وَاللَّحْمُ وَجَمِيعُ الدَّوَابِّ بِأَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ يَدُورُ عَلَيْهِ اسْمٌ وَحَرْفٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ فِيهِ ضَمَانٌ مَا خَلَا المَاءَ وَالسَّمَكَ(٢).

---

(١) القَبَّانُ: هُوَ المِيزَانُ.

(٢) وَبِمَا أَنَّ الكَلَامَ عَنْ عَدَنَ انْتَهَىٰ هُنَا فَأَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ المَدِينَةَ العَرِيقَةَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ عِنَايَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ البَاحِثِينَ أَهْلِ التَّخَصُّصَاتِ، وَقَدْ سَاهَمَ فِي ذَلِك بَعْضُ أَبْنَاءِ تِلْكَ المَدِينَةِ بِمَا لِتِلْكَ المَدِينَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقٍّ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الدُّكْتُورُ طَهَ حُسَيْن هُدَيْل، فَلَهُ عِدَّةُ أَبْحَاثٍ مِنْهَا «أَسْوَاقُ مَدِينَةِ عَدَنَ فِي عَصْرِ الدَّوْلَتَيْنِ الأَيُّوبِيَّةِ وَالرَّسُولِيَّةِ وَتَأْثِيرُهَا الاجْتِمَاعِيُّ وَالتَّرْفِيهِيُّ»، «صِيرَةُ التَّارِيخُ وَالشُّمُوخُ» طُبِعَ بِـ«مَجَلَّةِ تُرَاثٍ» العَدَدُ (١٣٨) نَادِي تُرَاثِ الإِمَارَاتِ أَبُو ظَبْي (٢٠١١م)، وَ«الإِشْرَاقَاتُ العِلْمِيَّةُ لِمَدِينَةِ عَدَنَ» طُبِعَ بِـ«مَجَلَّةِ المِنْبَرِ اليَمَنِيِّ» العَدَدُ (٧) (٢٠١٧م)، وَ«أَثَرُ النَّشَاطِ البَحْرِيِّ فِي تَنَوُّعِ التَّرْكِيبَةِ السُّكَّانِيَّةِ لِمَدِينَةِ عَدَنَ القَرْن السَّادِس إِلَىٰ التَّاسِعِ الهِجْرِيِّيْنِ/ الثَّانِي عَشَرَ إِلَىٰ الخَامِسَ عَشَرَ المِيلَادِيِّيْنِ» فِي كِتَابِ «دَوْرُ عَدَنَ البَحْرِيِّ عَبْرَ التَّارِيخِ» بِمَرْكَزِ عَدَنَ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ التَّارِيخِيَّةِ وَالنَّشْرِ» (٢٠١٨م)، وَ«عَدَنُ وَأَدَبِيَّاتٌ فِي أَدَبِيَّاتِ الرَّحَّالَةِ فِي العَصْرِ الإِسْلَامِيِّ ابْنُ بَطُّوطَةَ أُنْمُوذَجًا»، وَهُوَ بَحثٌ ضِمْنَ كِتَابِ «عَدَنُ فِي أَدَبِيَّاتِ الرَّحَّالَةِ وَكِتَابَاتِ المُسْتَشْرِقِينَ» مِنْ إِصْدَارَاتِ مَرْكَزِ عَدَنَ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ التَّارِيخِيَّةِ وَالنَّشْرِ، عَدَنَ (٢٠٢٠م)، «مَلَامِحُ التَّأْثِيرِ الاقْتِصَادِيِّ وَالعِلْمِيِّ لِلْحَضَارِمِ فِي عَدَنَ بَيْنَ القَرْنَيْنِ السَّادِسِ وَالعَاشِرِ الهِجْرِيَّيْنِ/ الثَّانِي عَشَرَ وَالسَّادِسَ عَشَرَ المِيلَادِيِّيْنِ» ضِمْنَ كِتَابِ «دَوْرُ الحَضَارِمِ فِي عَدَنَ عَبْرَ التَّارِيخِ» مِنْ إِصْدَارَاتِ «مَرْكَزِ عَدَنَ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ التَّارِيخِيَّةِ وَالنَّشْرِ» عَدَنَ (٢٠٢٠م)، وَ«أَثَرُ هِجْرَةِ قَبَائِلَ يَافِع فِي

مِنْ عَدَنَ إِلَى المَفَالِيسِ(١)

مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ المَبَاهِ(٢) رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ المَزَفِ(٣) فَرْسَخٌ وَطُولُهُ ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَسِتُّونَ خُطْوَةً، بَنَاهُ شَدَّادُ بْنُ عَادٍ لَمَّا بَنَىٰ عَدَنَ، وَيُقَالُ: بَنَاهُ العَجَمُ لَمَّا أَطْلَقُوا البَحْرَ

=

مَدِينَةِ عَدَنَ فِي أَثْنَاءِ حُكْمِ الدَّوْلَةِ الرَّسُولِيَّةِ» بَحْثٌ طُبِعَ ضِمْنَ كِتَابِ «ظَاهِرَةُ الهِجْرَةِ اليَافِعِيَّةِ عَبْرَ التَّارِيخِ» إِصْدَارَاتُ مَرْكَزِ عَدَنَ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ التَّارِيخِيَّةِ وَالنَّشْرِ، عَدَنَ (٢٠٢٠م).

وَمِمَّنْ شَارَكَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الأُسْتَاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَيْرِز وَقَدْ طُبِعَتْ كُتُبُهُ تِلْكَ بِعُنْوَانِ «الأَعْمَالُ الكَامِلَةُ» مِنْ إِصْدَارَاتِ وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاحَةِ بِصَنْعَاءَ (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) تَحْوِي مَا يَلِي: «العَقَبَةُ»، وَ«صَهَارِيجُ عَدَنَ»، وَ«صِيرَةُ»، فَهَذِهِ مِنْ أَهَمِّ مَا كُتِبَ عَنْ تِلْكَ المَدِينَةِ.

وَهُنَاكَ مَنْ تَقَدَّمَهُمَا فِي الكِتَابَةِ عَنْ «عَدَنَ» مِثْلُ الطَّيِّبِ بَامَخْرَمَة فِي كِتَابِ «تَارِيخُ ثَغْرِ عَدَنَ»، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ تَرَاجِمُ مُنْتَخَبَةٌ مِنْ تَارِيخَي الجَنَدِيِّ وَالأَهْدَلِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَالِمِ عَدَنَ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَخَذَهُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ المُجَاوِرِ وَاعْتَمَدَهُ اعْتِمَادًا كُلِّيًّا، وَكَذَلِكَ أَلَّفَ أَحْمَدُ بْنُ فَضْلٍ العَبْدَلِيُّ كِتَابًا لَكِنَّهُ خَاصٌّ بِأَخْبَارِ مُلُوكِ لَحْجَ وَعَدَنَ وَسَمَّاهُ «هَدِيَّةُ الزَّمَنِ فِي أَخْبَارِ مُلُوكِ لَحْجَ وَعَدَنَ». فَهَذَا بَعْضُ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ.

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالمَفَالِيسِ.

(٢) «المَبَاه»، وَكَذَا يُقَالُ: «المَبَاءَه»، وَيُعْرَفُ هَذَا المَكَانُ اليَوْمَ بِـ«دَكَّةِ الكِبَاشِ»، وَيُنْظَرُ كِتَابِي «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا» (ص٥٠)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٧).

(٣) وَالمَزَفُ: هُوَ المَكْسَرُ المُتَقَدِّمُ تَحْتَ عُنْوَانِ «صِفَةُ وَادِي عِبْرَةَ» وَلِهَذَا قَالَ المُصَنِّفُ هُنَاكَ: «وَإِلَىٰ المَكْسَرِ فَرْسَخٌ، قَنْطَرَةٌ بَنَاهَا الفُرْسُ الَّذِينَ تَوَلَّوا «عَدَنَ» عَلَىٰ سَبْعِ قَوَاعِدَ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا بَنَاهَا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ... وَيُسَمَّىٰ المَزَفَ» اهـ. وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِـ«خَورِ مَكْسَر».

عَلَىٰ المَبَاهْ حَتَّىٰ غرقَ مَا حَوْلَ عَدَنَ مِنَ الأَرَاضِي، فَجَدَّدَ العِمَارَةَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ مُحَمَّدٍ المَسْلَمَانِيُّ العَطَّارُ وَأَوْقَفَ عَلَىٰ عِمَارَتِهِ مُسْتَغَلَّاتٍ بِعَدَنَ.

وَإِلَىٰ المِمْلَاحِ[(١)] رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ يُجَمَّدُ فِيهِ المِلْحُ، وَكَانَ مَخْلَصًا رَجَعَ الآنَ عَلَيْهِ ضَمَانٌ، وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَهُ صَارَ لِلسُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ أَتَابِكَ سَيْفَ الدِّينِ سُنْقُرَ[(٢)] اشْتَرَىٰ نِصْفَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ.

وَإِلَىٰ المَجْدُولِي رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ اللَّخَبَةِ[(٣)] رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَمِنْهَا يُنْقَلُ الآجُرُّ وَالزُّجَاجُ إِلَىٰ عَدَنَ، بَنَاهُ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَبِيلِيُّ، وَإِلَىٰ الحجرِ العُرِّ فَرْسَخٌ، وَهُوَ مِقْدَارُ مِائَةِ حَصَاةٍ مَمْدُودَةٍ عَلَىٰ أَيْمَنِ الدَّرْبِ.

وَإِلَىٰ بِئْرِ الرَّجْعِ فَرْسَخَانِ، وَيُعْبَرُ بِرَمْلٍ يُسَمَّىٰ المغَاوِي، وَأَمَّا وَادِي الرِّجَاعِ[(٤)] فَوَادٍ نَزِهٌ، وَيُسَمَّىٰ عِنْدَ العَرَبِ الحَرَدَةَ بَيْنَ أَشْجَارِ أَثْلٍ وَأَرَاكٍ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ البِئْرِ مَسْجِدٌ حَسَنٌ.

حَدَّثَنِي الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الحُسَيْنِ المحْفِنِيُّ قَالَ: إِنَّ الأَدِيبَ ظَفَرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ ظَفَرَ بَنَىٰ المَسْجِدَ وَالبِئْرَ فِي الرِّجَاعِ.

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالمِمْلَاحِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥١).

(٢) هُوَ الأَمِيرُ سُنْقُرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَتَابِكُ المُلَقَّبُ سَيْفَ الدِّينِ، تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ» (٥/ ٣٦) بِرَقْمِ (٧٧٥) لِبَامَخْرَمَةَ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِاللَّخَبَةِ.

(٤) الرِّجَاعُ: بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ. يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٧٤).

وَيَقُولُ أَهْلُ البِلَادِ، وَهُمُ العَقَارِبُ(١): مَا يَتَّفِقُ مَاءُ الحَدْرَةِ وَعَيْشٌ، أَيْ لَمْ يَتَّفِقْ أَكْلُ خُبْزٍ وَشُرْبُ مَاءِ بِئْرِ الرِّجَاعِ، لِأَنَّ هَذَا المَاءَ يُغْنِي عَنْ أَكْلِ العَيْشِ.

وَإِلَىٰ النُّوَيْعِمِ(٢) فَرْسَخَانِ، وَالنُّوَيْعِمُ وَادٍ نَزِهٌ وَنَخِيلٌ وَشَجَرُ سِدْرٍ، حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِهَا أَنَّهُمَا وَادِيَانِ: أَحَدُهُمَا النُّوَيْعِمُ، وَالثَّانِي وَادِي مَرْحَب، وَهُمَا آخِرُ الوِطَاءَةِ وَأَوَّلُ الجِبَالِ.

وَإِلَىٰ المَفَالِيسِ(٣) فَرْسَخَانِ، قَصَبَةٌ مُخْتَصَرَةٌ بُنِيَتْ فِي شِعْبِ جَبَلٍ مُثَلَّثٍ، وَبَنَىٰ سَيْفُ الإِسْلَامِ عَلَىٰ ذِرْوَةِ هَذَا الجَبَلِ حِصْنًا مُخْتَصرًا يُسَمَّىٰ المَصَانِعَ يُقَالُ: إِنَّهُ قَدِيمُ البِنَاءِ، وَهُوَ ذُو إِحْكَامٍ وَمُكْنَةٍ، وَلَيْسَ يَكُونُ لِأَهْلِهَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ إِلَّا أَيَّامَ الوَعْدِ لَا غَيْرَ.

* * *

---

(١) العَقَارِبُ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ فِي لَحْج وَتَمْتَدُّ دِيَارُهَا مِنْ «بِيرِ أَحْمَدَ» غَرْبِيَّ عَدَنَ حَتَّىٰ «رَأْسِ عِمْرَانَ» عَلَىٰ السَّاحِلِ، وَمِنْ أَشْهَرِ بُلْدَانِهِمْ «اللَّخَبَةُ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٩١).

(٢) النُّوَيْعِمُ: وَادٍ جِوَار مَنْطِقَةِ الرِّجَاعِ فِي «طَوْرِ البَاحَةِ» مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ لَحج. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٨١).

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالمَقَالِيسِ وَالكَلَامُ عَنْهَا.

صِفَةُ بِنَاءِ الجُبِّ

عَرَبُ التَّهَائِمِ مِنْ مَوْزَع[١] إِلَىٰ أَعْمَالِ أَبْيَنَ[٢] مَعَ جَمِيعِ العَقَارِبِ، وَهُمْ عَرَبُ هَذِهِ البِلَادِ يُسَمَّوْنَ بَنِي الحَارِثِ، يَدَّعُونَ المَحَبَّةَ للهِ وَفِي اللهِ، وَإِذَا وَجَدَ أَحَدُهُمْ غَزَالًا مَيِّتَةً أَخَذُوهَا وَغَسَّلُوهَا وَكَفَّنُوهَا وَدَفَنُوهَا وَبَقِيَ لِلْغَزَالِ عَزَاءٌ فِي جَمِيعِ القَبَائِلِ مُدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مُشَقَّقِي الجُيُوبَ مُقَطَّعِي الشُّعُورَ يَذُرُّونَ التُّرَابَ عَلَىٰ المَفَارِقِ، فَقِيلَ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ فَقَالُوا: نَحْنُ نَمْشِي عَلَىٰ الأَصْلِ وَنَقُولُ بِتَرْكِ الفَرْعِ، كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ المُلَوَّحِ:

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا ... وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقُ[٣]

وَلَمْ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القَبِيلَةِ خُبْزًا مُقَابِلَ امْرَأَةٍ وَلَا يَشْرَبُ، وَلَوْ مَاتَ جُوعًا وَظَمَأً، وَمِنْ هَذَا الحَدِّ يُخلِّي الجِمَالَ وَيَرْكَبُ الحَمِيرَ إِلَىٰ قُدَّام، وَمَا اشْتُقَّ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِمَوْزَع، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٤٤).

(٢) أَبْيَنُ: بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَسُكُونِ البَاءِ. صُقْعٌ فِي الأَطْرَافِ الشَّرْقِيَّةِ لِمَدِينَةِ عَدَنَ، وَهِيَ المَنْطِقَةُ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ «سَلْطَنَةِ الفَضليِّ» نِسْبَةً إِلَىٰ «أَهْلِ فَضلٍ» الَّذِينَ حَكَمُوهَا قَبْلَ وَأَثْنَاءَ الِاحْتِلَالِ البِرِيطَانِيِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٢).

(٣) ذُكِرَ هَذَا البَيْتُ فِي «البُرْهَانِ فِي وُجُوهِ البَيَانِ» (ص١٠٨) لِأَبِي الحُسَيْنِ الكَاتِبِ، وَ«الخَصَائِصِ» (٢/ ٤٦٠) ط. «دَارِ الهُدَىٰ» بِـ«بَيْرُوت».

اسْمُ المَفَالِيسِ إِلَّا مِنَ الإِفْلَاسِ، كَمَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ:

أُرِيدُ قِطْعَةَ قِرْطَاسٍ فَتُعْوِزُنِي ... وَجُلُّ صَحْبِيَ أَصْحَابُ القَرَاطِيسِ

لَحَاهُمُ اللهُ مِنْ وُدٍّ وَمَعْرِفَةٍ ... إِنَّ المَيَاسِيرَ مِنْهُمْ كَالمَفَالِيسِ

* * *

مِنَ المَفَالِيسِ إِلَى تَعِزَّ

مِنَ المَفَالِيسِ إِلَىٰ نَقِيلِ الحُمْرِ فَرْسَخٌ وَنِصْفٌ، بَنَاهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ الجُنَيْدِ بْنِ بَطَّالٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّمَا بَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ بَطَّالٍ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مَلْوِيًّا[١]، أَيْ فِرْكَةً، ذَبَحَ عَلَىٰ كُلِّ مَلوِيٍّ رَأْسَ بَقَرٍ فِدْيَةً وَسِتَّةَ أَحْمَالِ حِنْطَةً، وَخَرَجَ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ خَرَجَ كُلُّ مَلوِيٍّ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَبَنَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَلوِيٍّ سِقَايَةً وَمَسْجِدًا، فَلَمَّا أَتَمَّهُ طَالَبَتْهُ زَوْجَتُهُ بِمَهْرِهَا فَقَالَ لَهَا: مَا تُرِيدِينَ مِنِّي؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي ثَوَابَ عَمَلِكَ وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ المَهْرِ، فَأَعْطَاهَا ثَوَابَ مَا عَمِلَهُ[٢]، وَتَمَّ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَيُقَالُ: سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَجِيبٌ حَسَنٌ.

* * *

(١) وَهُوَ المُنْعَطَفُ، وَهَذَا حَالُ طُرُقِ جِبَالِ اليَمَنِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا لِصُعُوبَةِ شَقِّ الطُّرُقِ فِيهَا.

(٢) الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ عِنْدَهَا شَيْءٌ مِنَ الفِقْهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ فَقِيهَةً، وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ -وَهِيَ إِهْدَاءُ الإِنْسَانِ ثَوَابَ عَمَلٍ صَالِحٍ فَعَلَهُ لِآخَرَ حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا- قَدْ تَكَلَّمَ عَنْهَا العُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمٍ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ الكَلَامِ عَلَيْهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا مَعْرِفَةٌ بِذَلِكَ مَا طَلَبَتْ مِنْهُ ذَلِكَ، وَيَظْهَرُ كَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَذَا الطَّلَبِ الَّذِي طَلَبَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ حَرِيصَةً عَلَىٰ فِعْلِ مَا يُقَرِّبُهَا إِلَىٰ رَبِّهَا، وَعَلَىٰ إِيثَارِ البَاقِي عَلَىٰ الفَانِي، وَإِلَّا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاحَ لَهَا الفُرْصَةَ لِطَلَبِ مَا تُرِيدُهُ، فَأَحْسَنَتِ الِاخْتِيَارَ بِمَا لَا يُحْسِنُهُ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ.

صِفَةُ الحَجَرِ الَّذِي فِي النَّقِيلِ

وَفِي النَّقِيلِ حَجَرَانِ فِيهِمَا عَلَىٰ هَيْئَةِ فَرْجَيِ امْرَأَتَيْنِ؛ سَأَلْتُ المُكَارِي[١] عَنْ حَالِهِمَا فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَتَا امْرَأَتَيْنِ مُسِخَتَا حَجَرَيْنِ، إِحْدَاهُمَا بَانَتْ فِي ضِرْسِ جَبَلٍ، وَالثَّانِيَةُ قُطِعَتْ وَفُرِشَتْ فِي جُمْلَةِ بِنَاءِ المَدْرَجِ، وَبَيْنَ الحَجَرِ وَالحَجَرِ مِقْدَارُ عَشَرَةِ أَذْرُعٍ، تَحِيضَانِ كُلَّ شَهْرٍ، وَيُقَالُ: كُلَّ حَوْلٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا شِبْهَ الدَّمِ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدِي أَنَّهُ دَمٌ أَوْ غَيْرُهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ المُهَنَّا الصَّفَّارُ الحِلِّيُّ ثُمَّ القُدْسِيُّ[٢] قَالَ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الدَّمُ مُومْيَا بَنِي آدَمَ، لِأَنَّ مُومْيَا ابْنِ آدَمَ الأَصْلُ فِيهِ هُوَ الَّذِي يُعْقَدُ مِنَ الحَجَرِ وَيَسِيلُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ يَشُمُّ مِنَ الحَجَرِ رَائِحَةً كَرِيهَةً، شَمَمْتُ ذَلِكَ وَوَجَدْتُهُ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، وَالحَجَرَانِ هُمَا عَلَىٰ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مَلوِيًّا، وَهُمَا عَلَىٰ يَمِينِ الصَّاعِدِ مِنَ المَفَالِيسِ إِلَىٰ الجُوَّةِ[٣]، وَعَلَىٰ يَسَارِ النَّازِلِ مِنَ الجُوَّةِ إِلَىٰ المَفَالِيسِ

---

(١) المُكَارِي: هُوَ الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ دَوَابُّ يُكْرِيهَا لِلنَّاسِ لِحَمْلِ عَفْشٍ أَوْ لِلسَّفَرِ بِهِمْ مُقَابِلَ مَالٍ يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ، كَمَا يُكْرِي الآنَ أَصْحَابُ التَّكَاسِي سَيَّارَاتِهِمْ.

(٢) نِسْبَةً إِلَىٰ القُدْسِ.

(٣) الجُوَّةُ: وَقَدْ تُهْمَزُ الوَاوُ الجُؤَةُ، بَلْدَةٌ عِدَادُهَا اليَوْمَ فِي مُدِيرِيَّةِ «خَدِيرٍ»، وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ تَعِزَّ، وَهِيَ

قَدْرُ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ مَلوِيًّا، وَعَلَامَتُهُمَا أَنْ نَبتَ عَلَىٰ رَأْسِ الحَجَرِ الوَاحِدِ شَجَرَتَانِ سَلَمٌ، فَيَصِلُ فَيْؤُهَا إِلَىٰ الحَجَرِ الثَّانِي الَّذِي أُدْخِلَ فِي جُمْلَةِ البِنَاءِ.

وَبَقِيَ النَّقِيلُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ دَخَلَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تُورَان شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ اليَمَنَ فَخَرَّبَتِ العَرَبُ بَعْضَ النَّقِيلِ لِئَلَا يَعْبُرَ أَحَدٌ مِنَ الغُزِّ[١]، وَبَقِيَ مَهْدُومًا إِلَىٰ أَنْ تَمَكَّنَ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ مِنَ المُلْكِ وَجَدَّدَ عِمَارَتَهُ مِنْ مَالِهِ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ أَمَرَ تَعَقُّبَ بَانِيهِ بِالجلَالَةِ.

وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْمُرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ بَطَّالٍ الرَّكْبِيُّ[٢] هَذَا النَّقِيلَ طَرِيق حُرزَ[٣]، وَهُوَ أَنْ يَخْرُجَ عَلَىٰ لَحْجَ يَدْخُلُ وَادِيًا وَلَا يَزَالُ يَسِيرُ فِيهِ إِلَىٰ الجُوَّةِ فِي شِعَابٍ وَأَوْدِيَةٍ وَوِطَاءَةٍ قَرِيبِ المَسَافَةِ، وَمَا قَطَعَ النَّاسُ مَسِيرَ طَرِيقِ حُرزَ إِلَّا مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ بِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ مُسَافِرُهُ يَحرِزُ رَأْسًا، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ طَرِيقَ حُرَزَ، وَسَنَذْكُرُهُ فِي أَعْمَالِ الجُوَّةِ.

=

تَحْتَ جَبَلِ «الصِّلْوِ» مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهَا أَغْلَبُ المُؤَرِّخِينَ مِنْهُمُ الجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكُ» حَيْثُ أَشَارَ إِلَىٰ أَنَّهَا كَانَتْ -قَدِيمًا- مَدِينَةً عَامِرَةً بِالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٦٩).

(١) قَوْم مِنَ التُّرْكِ.

(٢) نِسْبَةً إِلَىٰ قَبِيلَةٍ كَبِيرَةٍ يُقَالُ لَهُمْ: الرَّكْبُ، يَسْكُنُونَ مَوَاضِع مُتَفَرِّقَةً فِي اليَمَنِ. «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٣٩٩).

(٣) يُنْظَرُ: «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١٤٤) مَعَ تَعْلِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٤٦-٤٤٧).

وَإِلَىٰ أَسْفَلَ النَّقِيلِ فَرْسَخَانِ وَبِهِ مَوْضِعٌ مُنْحَدِرٌ يُسَمَّىٰ المَجْرِيَّةَ، وَفِيهِ أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ:

قَطَعْنَـــا الحَمْـــرَاءَ وَالمَجْرِيَّــهْ مَـــعَ تِلْـــكَ الجِبَـــالِ وَالأَوْدِيَّـــهْ

وَإِلَىٰ الحَنَشَيْنِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَهُمَا خَطَّانِ أَبْيَضَانِ فِي لِحْفِ جَبَلٍ مُسْتَقِيمَانِ، يُقَالُ: إِنَّهُمَا كَانَا حَنَشَيْنِ مُلْتَقِيَيْنِ فَضَرَبَهُمَا البَرْقُ فَمُسِخَا خَطَّيْنِ أَبْيَضَيْنِ.

وَإِلَىٰ الحِوَاضِ فَرْسَخٌ، وِطَاءَةٌ ذَاتُ خَوْفٍ شَدِيدٍ، وَإِلَىٰ الجُوَّةِ(١) نِصْفُ فَرْسَخٍ، مِنْ أَعْمَالِ الدُّمْلُوَةِ(٢)، وَإِلَىٰ الدُّمْلُوَةِ فَرْسَخٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالجُوَّةِ.

(٢) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهُ قَرِيبًا.

القِسْمُ الثَّانِي

بِنَاءُ حِصْنِ الدُّمْلُوَةِ(١)

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّ النُّوَّابَ ظَلَمُوا امْرَأَةً بَدَوِيَّةً صَاحِبَةَ نَعَمٍ وَمَوَاشٍ، فَلَمَّا شَاهَدَتِ المَرْأَةُ اجْتِرَاءَ القَوْمِ فِي أَخْذِ نَعَمِهَا سَاقَتْ مَا بَقِيَ مَعَهَا مِنَ المَوَاشِي وَصَعِدَتِ الدُّمْلُوَةَ وَسَكَنَتِ المَكَانَ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ أَخْذِ الرَّاعِي مِنَ المَوَاشِي أَبَتْ عَلَىٰ أَدَاءِ مَا عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَلَزِمَتْ مَكَانَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا قُوَّةَ بَأْسِهَا مَعَ شِدَّةِ نَامُوسِهَا صَعِدَ لَهَا قَوْمٌ فَلَمْ تُمَكِّنْهُمْ مِنَ الصُّعُودِ، وَنَزَلُوا حَوْلَهَا فَحَاصَرُوهَا فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهَا شَيْءٌ، فَلَمَّا سَمِعَ وَالِي العَهْدِ خَبَرَ المَرْأَةِ وَتَمَنُّعَهَا عَنْ أَدَاءِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الضَّرَائِبِ المَعْهُودَةِ وَالقَوَانِينِ القَدِيمَةِ وَرَأَوْا قُوَّةَ المَوْضِعِ أَنْفَذَ لَهَا ذِمَّةً لَهَا وَلِمَنْ مَعَهَا وَأَنْ يُزَالَ عَنْهَا وَعَنْ مَوَاشِيهَا الخَرَاجُ وَيُطَيِّبَ قَلْبُهَا، فَنَزَلَتِ المَرْأَةُ فَبَنَىٰ الوَالِي عَلَىٰ المَوْضِعِ حِصْنًا مَنِيعًا، وَهُوَ بِذَاتِهِ قَوِيٌّ مَكِينٌ سُمِّيَ الدُّمْلُوَةَ لِدَوَامِ مُكْثِ طَالِبِيهِ تَحْتَهُ عَلَىٰ أَخْذِهِ.

---

(١) الدُّمْلُوَةُ: بِضَمِّ الدَّالِ وَاللَّامِ، قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ مَشْهُورَةٌ فَوْقَ قَرْيَةِ «المَنْصُورَةِ» مِنْ جَبَلِ الصِّلْوِ عَلَىٰ بُعْدِ (٦٠) كِيلُو جَنُوبَ شَرْقِ تَعِزَّ، اشْتُهِرَتْ بِحَصَانَتِهَا وَمَنَاعَتِهَا وَلَعِبَتْ أَدْوَارًا فِي الحُرُوبِ، وَهِيَ اليَوْمَ خَرَابٌ وَفِيهَا آثَارٌ قَدِيمَةٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٢١)، وَلِمَزِيدِ فَائِدَةٍ عَنْهَا وَمَعْرِفَةِ دَرَجِهَا وَهَيْئَتِهَا وَمَسْجِدِهَا وَدُورِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ فَيُنْظَرُ لِذَلِكَ وَصْفُ لِسَانِ اليَمَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الهَمْدَانِيِّ لَهَا فِي كِتَابِهِ «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١٤٢)، وَينظر مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٢).

وَأَنْشَدَ مُحَمَّدُ(١) بْنُ زِيَادٍ المَأْرِبِيُّ(٢) يَمْدَحُ أَبَا السُّعُودِ بْنَ زُرَيْعٍ يَقُولُ:

يَا نَاظِرِي قُلْ لِي تَرَاهُ كَمَا هُوَهْ ... إِنِّي لَأَحْسَبُهُ تَقَمَّصَ لُؤْلُؤَهْ

مَا إِنْ نَظَرْتُ بِزَاخِرٍ فِي شَامِخٍ ... حَتَّىٰ رَأَيْتُكَ جَالِسًا فِي الدُّمْلُوَهْ(٣)

وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ عَلَىٰ أَخْذِهِ إِلَّا سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا سِتَّ سِنِينَ، وَآخِرُ الأَمْرِ اشْتَرَاهَا مِنَ القَائِدِ كَافُورٍ(٤) مَوْلَىٰ الدَّاعِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَىٰ شَرْطِ أَنْ يَأْخُذَ جَمِيعَ مَا فِيهِ وَيُسَلِّمَ لَهُ الحِصْنَ شِبْهَ جَوْفِ حِمَارٍ، وَهُوَ مِنَ الحَبَشَةِ.

فَلَمَّا اسْتَوَفَىٰ المَبْلَغَ نَزَلَ بِحَرَمِ الدَّاعِي وَبِجَمِيعِ مَا كَانَ إِلَىٰ العَارَةِ(٥) وَوَلَّىٰ فِيهِ المُعَلِّمَ أَحْمَدَ الصِّلْوِيَّ وَجَارِيَةً، وَيُقَالُ: خَادِمًا حَبَشِيًّا، فَرَكِبَ فِي المَرْكَبِ وَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ أَرْضِ الحَبَشَةِ وَأَنْفَذَ خَاتَمَهُ إِلَىٰ سَيْفِ الإِسْلَامِ وَأَنْفَذَهُ إِلَىٰ المُعَلِّمِ أَحْمَدَ الصِّلْوِيِّ بِتَسْلِيمِ الحِصْنِ، فَقَالَ أَحْمَدُ الصِّلْوِيُّ المُعَلِّمُ: لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ،

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «مُحَمَّد»، وَكَذَلِكَ فِي «قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٣٨٤) لِبَامَخْرَمَةَ، وَالَّذِي فِي «خَرِيدَةُ القَصْرِ وَجَرِيدَةُ العَصْرِ» (٢/ ٥٤٩) (شَامِلَة)، وَ«الشُّعُورُ بِالعَوَرِ» تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٦٥) لِصَلَاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ، وَ«تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ» (٤/ ١٣٣٨) لِابْنِ حَجَرٍ: «مَحْمُود» بَدَلَ «مُحَمَّد».

(٢) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «المَازِنِيُّ»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، قَالَ الصَّفَدِيُّ فِي «الشُّعُورُ بِالعَوَرِ» مِنَ التَّرْجَمَةِ رَقْم (٦٥): بِالمِيمِ وَالأَلِفِ وَالرَّاءِ وَالبَاءِ اليَمَنِي، وَكَذَلِكَ قَالَ الحَافِظُ فِي «تَبْصِيرِ المُنْتَبِهِ» (٤/ ١٣٣٧- ١٣٣٨) وَزَادَ: نِسْبَةً إِلَىٰ مَأْرِب، وَذَكَرَ بَعْدَهُ وَلَدَهُ فَقَالَ: وَابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودٍ الحَكِيمُ.

(٣) ذُكِرَ هَذَانِ البَيْتَانِ فِي «خَرِيدَةِ القَصْرِ وَجَرِيدَةِ العَصْرِ» (٢/ ١٣٨).

(٤) تُنْظَرُ تَرْجَمَةُ كَافُورٍ مِنْ «قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ» (٦/ ٣٠٥).

(٥) تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ العَارَةِ.

لَا لِسَيْفِ الإِسْلَامِ، وَلَا لِلْقَائِدِ كَافُورٍ، أَمَّا اليَوْمَ أَنَا مَلِكٌ لِتَمَلُّكِي هَذَا الحِصْنَ، فَرَدَّ سَيْفُ الإِسْلَامِ نَزَلَ عَلَىٰ الحِصْنِ وَحَاصَرَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أُخْرَىٰ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ غَرَرِ المُعَلِّمِ، فَلَمَّا انْحَصَرَ اشْتَرَىٰ الحِصْنَ مِنَ المُعَلِّمِ ثَانِيَ مَرَّةٍ بِسِتِّينَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمَلَكَ الحِصْنَ فَهَدَمَهُ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ ثَانِيَةً، وَرَكَّبَ عَلَيْهِ سِتَّةَ أَبْوَابٍ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا بَابُ الذِّرَاعِ وَبَابُ نِيهَانَ وَبَابُ الأَسَدِ وَبَابُ الغَزَالِ، وَحَفَرَ فِيهَا ثَلَاثَ بِرَكٍ، إِحْدَاهَا فِي الشَّمْسِ عَلَىٰ قُلَّةِ الجَبَلِ وَالِاثْنَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ فِي الفَيْءِ، وَغَرَسَ فِيهَا بُسْتَانًا حَسَنًا، وَبَنَىٰ مَيْدَانًا وَحَصَّنَهَا غَايَةَ التَّحْصِينِ، وَآخِرُ مَنِ اشْتَرَاهَا فَارِسٌ مِنْ جَوْزَاءَ زَوْجَةِ أَتَابِكَ سَيْفِ الدِّينِ سُنْقُرَ بِمَبْلَغِ عِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا عَامًا تَامًّا فِي دَوْلَةِ المَلِكِ المَسْعُودِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا صَارَ فِي حَوْزِهِ وَقَبْضَتِهِ وَأَدَارَ حَوْلَ جَمِيعِ الحِصْنِ سُورًا ثَانِيًا لِإِحْكَامِ الحِصْنِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَقَدْ غَرَسَ سَيْفُ الإِسْلَامِ تَحْتَ الحِصْنِ بُسْتَانًا يُسَمَّىٰ الجِنَانَ وَيُقَالُ: الجَنَّاتُ، فِيهِ مِنْ جَمِيعِ الفَوَاكِهِ، وَيَطْلُعُ فِيهَا وَزْنُ كُلِّ أُتْرُنْجَةٍ(١) عَشَرَةُ أَمْنَانٍ.

* * *

(١) وَهِيَ الأُتْرُجَّةُ كَمَا هُوَ كَلَامُ الفُصَحَاءِ وَالعَوَامِّ، يَقُولُونَ: أُتْرُنْجَةٌ، وَيُنْظَرُ: «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» (١١/ ٣).

مِنَ الجُوَّةِ[١] إِلَى عَدَن رَاجِعًا عَلَى طَرِيقِ حُرز

مِنَ الجُوَّةِ إِلَىٰ العَايرينِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ نَقِيلِ حُرَزَ فَرْسَخٌ[٢]، وَمَا عُرِفَ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا جَازَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يحرْزُ أَنْ يُؤْخَذَ، وَهُوَ تَسْهِيلُ الملكِ.

وَإِلَىٰ المَاءِ الحَارِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَهُوَ عَيْنٌ يَخْرُجُ مِنْ مَعِينِهِ حَارٌّ، عُرِفَ المَوْضِعُ بِهِ، وَقَدْ نَبَتَ عَلَىٰ المَوْضِعِ جُمَلٌ مِنْ شَجَرِ الكَاذِي للهِ وَفِي اللهِ.

وَإِلَىٰ الدَّعَيْسِ[٣] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَهُوَ مِنْ مُعَامَلَةِ لَحْجَ. وَأَمَّا أَعْمَالُ لَحْجَ فَإِنَّهَا مُعَامَلَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ تَصِحُّ مِقْدَارَ عِشْرِينَ فَرْسَخًا، وَقُرًى كِبَارٌ وَمِنْ جُمْلَتِهَا الرَّعَارِعُ[٤]، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ الأَعْرَجُ:

خَلَتِ الرَّعَارِعُ مِنْ بَنِي مَسْعُودْ ... وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ القُرُودِ أُسُودْ[٥]

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالجُوَّةِ.

(٢) وَفِي «أ»، وَ«ب»: «فَرْسَخَانِ».

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦١٣).

(٤) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالرَّعَارِعِ.

(٥) وَكَذَا نُسِبَ هَذَا البَيْتُ لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ المَأْرِبِيِّ، بَيْدَ أَنَّهُ:

خَلَتِ الرَّعَارِعُ مِنْ بَنِي مَسْعُودِ ... فَعُهُودُهُمْ فِيهَا كَغَيْرِ عُهُودِ

حَلَأَّتْ بِهَا آلُ الزُّرَيْعِ وَإِنَّمَا ... حَلَّتْ أُسُودٌ فِي مَكَانِ أُسُودِ

فقَالَ لَهُ الدَّاعِي سَبأُ بْنُ أَبِي السُّعُودِ: بَلْ تَبَدَّلَتْ بَعْدَ الأُسُودِ أُسُودٌ، وَهُوَ مُحَمَّد بْنُ مَنِيعِ ابْنِ مَسْعُودِ بْنِ المُكَرَّمِ، وَكَانَ صَاحِبَ لَحْجَ، فَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا سَبأُ بْنُ أَبِي السُّعُودِ بْنِ زُرَيْعِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ المُكَرَّمِ، وَقُورُ الدِّعَيْسِ لَمْ يَدْخُلْهَا نَامُوسٌ، وَيُرْفَعُ مِنْهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفُ دِينَارٍ مَلَكِيٍّ إِلَىٰ بَيْتِ المَالِ.

وَاسْتَوْلَىٰ عَلَيْهَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ المَهْدِيِّ الرَّازِي فَأَخْرَبَهَا وَنَهَبَ أَهْلَهَا وَأَحْرَقَهَا فِي غُرَّةِ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَانْتَقَلَ جَمِيعُ أَهْلِهَا إِلَىٰ عَدَنَ، وَتَفَرَّقَتْ بَدْوُهَا فِي تَهَائِمِ اليَمَنِ.

وَإِلَىٰ عَدَنَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ.

❊ ❊ ❊

مِنَ الجُوَّةِ إِلَى تَعِزَّ

إِلَىٰ وَادِي وَرَزَانَ[1] فَرْسَخٌ، وَهُوَ نَهْرٌ يَفْرِقُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَعْمَالٍ: أَعْمَالِ الجُوَّةِ، وَأَعْمَالِ الجَنَدِيَّةِ، وَأَعْمَالِ تَعِزَّ.

وَإِلَىٰ أَكَمَةِ هَمْدَانَ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ الحَمْرَاءِ[2] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ الحَوْبَانِ[3] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَقَدْ بَنَىٰ بِهَا أَتَابِكُ سُنْقُر بِرْكَةً مُرَبَّعَةً.

وَإِلَىٰ تَعِزَّ رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَتُسَمَّىٰ هَذِهِ الأَعْمَالُ حين[4] الأَخْضَرِ لِكَثْرَةِ عُشْبِهَا وَمِيَاهِهَا وَخُضْرَتِهَا.

❊ ❊ ❊

---

(١) وَرَزَانُ: بِفَتَحَاتٍ، وَادٍ مَغْيُولٌ مَشْهُورٌ فِي «دِمْنَةَ خَدِير» جَنُوبَ شَرْقِ تَعِزَّ بِمَسَافَةِ (٣٥) كِيلُو، وَهُوَ عَلَىٰ طَرِيقِ الذَّاهِبِ إِلَىٰ «الدِّمْنَةِ»، وَ«الرَّاهِدَةِ»، وَيُنْظَرُ لِمَزِيدِ فَائِدَةٍ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٦٣) لِلْمَقْحَفِيِّ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٩).

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٠٣).

(٣) الحَوْبَانُ: هُوَ القَاعُ وَالهِضَابُ الوَاقِعَةُ شَرْقِيَّ تَعِزَّ، وَقَدِ امْتَدَّ عُمْرَانُ تَعِزَّ إِلَيْهَا وَفِيهَا اليَوْمَ المَطَارُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٢٧)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٦).

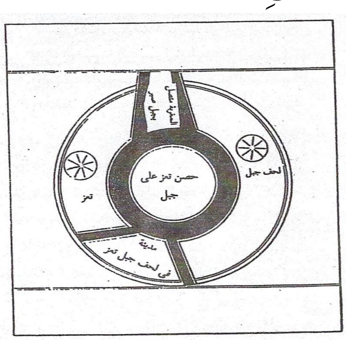
(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حين»، ولَعَلَّه «الحِصن» بدليل ما سياتي بعده من عنوان وهو: «حِصْن تعز».

صِفَةُ حِصْنِ تَعِزَّ

حِصْنٌ بُنِيَ عَلَىٰ طَرِيقِ جَبَأَ[(١)] يُسَمَّىٰ الجَبَلَ الأَخْضَرَ، ذُو مُكْنَةٍ، بِالجَصِّ وَالحَجَرِ بِأَبْوَابٍ وَأَسْوَارٍ وَثِيقَةٍ وَعَامِرَةٍ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ اليَمَنِ أَسْعَدُ مِنْهُ حِصْنًا، لِأَنَّهُ سَرِيرُ المُلْكِ وَحِصْنُ الملُوك.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لِي: إِنَّ حِصْنَ تَعِزَّ يُسَمَّىٰ تَلَّ الذَّهَبِ، أَوْ قَالَ: جَبَلَ الذَّهَبِ، فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ فَوَجَدْتُهُ حَقًّا، لِأَنَّ أَمْوَالَ جَمِيعِ اليَمَنِ مَكْنُوزَةٌ بِهِ.

وَقَالَ حَكِيمٌ: إِنَّهُ قَلْعَةٌ وُضِعَ بَيْنَ مَدِينَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا المَغْرَبَةُ، وَالثَّانِيَةُ فِي لِحْفِ جَبَلِ صَبِرَ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ، وَصُورَتُهُ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ.



(١) جبَأ: هِيَ بَلْدَةٌ خَارِبَةٌ فِي جَبَلِ المِسْرَاحِ جَنُوبَ جَبَلِ صَبِرَ، كَانَتْ عَاصِمَةَ دَوْلَةِ المَعَافِرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٧٦ - ٢٧٧).

صِفَةُ جَبَلِ صَبِر

جَبَلٌ مُدَوَّرٌ يَصِحُّ دَورُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، رِفْعَتُهُ ذَاتُ طُولٍ وَعَرْضٍ، وَفِيهِ مِنَ القُرَىٰ وَالحُصُونِ مَا شَاءَ اللهُ، وَبَسَاتِينُ وَكُرُومٌ وَزُرُوعٌ، وَلَهَا أَرْبَعُ مَسَالِكَ: إِحْدَاهَا الخَشَبَةُ وَبِرْدَادُ[1] وَعتدَانُ وَجبأُ[2]، وَمَا عَدَا هَذِهِ الطُّرُقَ لَمْ تُسْلَكْ لِوَعْرِهَا وَخَشِنِهَا، لَا لِرَاجِلٍ[3] وَلَا لِفَارِسٍ، وَهُوَ جَبَلٌ طَيِّبٌ، وَفِيهِ أَنْشَدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ سَبَأَ بْنِ أَبِي السُّعُودِ، وَيُقَالُ: سَبَأُ بْنُ سُلَيْمَانَ، تَقُولُ:

عَاتَبَتْنِي فَقَالَتْ: كَيْفَ طَابَ لَكَ النْـ	ـنَأْيُ وَخَلَّيْتَ الوَطَنْ
يَتْرُكُ الحَبِيبُ حَبِيبَهُ	وَيَطْلُبُ الإِقَامَةَ فِي عَدَنْ
وَاعْتَضْتَ مِنْ صَيْدِ الظِّبَاءِ	صَيُودَ أَرْبَابِ السُّفُنْ
وَاعْتَضْتَ صِيرَةَ مِنْ صَبِرْ	سُلْطَانَ أَجْبَالِ اليَمَنْ

وَفِي بَعْضِ كُهُوفِهَا أَصْحَابُ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا﴾[4].

---

(١) بِرْدَادُ: بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ، مَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ مِنْ مُدِيرِيَّةِ «صَبِر المَوَادِم» وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ تَعِزَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٥٤).

(٢) تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ «جَبَأ» قَرِيبًا.

(٣) وَهُوَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمَيْهِ.

(٤) [الكَهْف، آيَة: ٢٥].

وَأَسْمَاؤُهُمْ: مكسلمينَا ويمليخَا وتمرطموسُ وكسرطويوسُ وفرورسُ وحمسميثَا[١]، وَاسْمُ الكَلْبِ: دير، وَيُقَالُ: قِطْمِير، وَيُقَالُ: حُمْرَانُ وَانطبيس وَالحَاين.

وَقَالَ آخَرُونَ: واويس ولمَاطونس ومكسلمينَا وسَاوالحَابر وكمططوس ويمليخَا[٢]، ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، وَعَلَىٰ بَابِ الغَارِ مَسْجِدٌ، وَعَلَىٰ بَابِ المَسْجِدِ عَيْنٌ تُسَمَّىٰ: عَيْنَ الكَوْثَرِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فَاضِلٌ مَزَارٌ فِي العَاشِرِ مِنْ رَجَبٍ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَيْسَ القَوْمُ فِي هَذَا الإِقْلِيمِ، قُلْنَا: بَلَىٰ؛ لِأَنَّ دِقْيَانُوسَ هُوَ المَلِكُ الَّذِي أَسَّسَ مَدِينَةَ الكَدْرَاءِ[٣] وَسَكَنَ الجَنَدَ، وَكَانَ القَوْمُ مِنْ أَهْلِ الأَفْسُوسِ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُمْ مَا تَمَّ وَخَرَجُوا مِنْ مَدِينَتِهِمْ صَعِدُوا جَبَلَ صَبِرَ فَأَوَوْا إِلَىٰ كَهْفٍ وَجَرَىٰ عَلَيْهِمْ مَا جَرَىٰ، وَكَلْبُهُمْ مَعَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[٤]، كَمَا قَالَ:

---

(١) كَذَا هِيَ هَذِهِ الأَسْمَاءُ هُنَا، وَيَخْتَلِفُ بَعْضُهَا مِنْ مَصْدَرٍ لِآخَرَ مِمَّا ذُكِرَتْ فِيهِ.

(٢) قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «التَّفْسِير» (٥/ ٩٢): وَفِي التَّفْسِيرِ خِلَافٌ فِي أَسْمَائِهِمْ فَلَمْ أُطِلْ بِهِ.

(٣) الكَدْرَاءُ: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ هِيَ اليَوْمَ مُتَهَدِّمَةٌ، وَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً فِي وَادِي سِهَام بَيْنَ مَدِينَتَي «المَنْصُورِيَّة» وَ«المَرَاوِعَة»، وَقَدْ أَخَذَتْ فِي التَّارِيخِ شُهْرَةً كَبِيرَةً عِنْدَمَا اتَّخَذَهَا حُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ -أَحَدُ سَلَاطِينِ بَنِي زِيَادٍ- مَقَرًّا لِسُلْطَانِه، وَذَلِكَ فِي القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ، كَمَا سَكَنَهَا وِرْقُ بْنُ شِهَابٍ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٣٥).

(٤) [الكَهْف: آية ١٨]، وَيُنْظَرُ تَفْسِيرُهَا مَعَ تَفْسِيرِ الآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ وَالبَغَوِيِّ وَابْنِ الجَوْزِيِّ.

كَثُـــرَ الشَّـــكُّ وَالخِـــلَافُ وَكُـــلٌّ يَطْلُـــبُ الفَـــوْزَ بِالصِّـــرَاطِ السَّـــوِيِّ

وَاعْتِقَـــادِي أَنْ لَا إِلَـــهَ سِـــوَاهُ ثُـــمَّ حُبِّـــي لِأَحْمَـــدٍ وَعَلِـــيِّ

فَـــازَ كَلْـــبٌ بِحُـــبِّ أَصْـــحَابِ كَهْـــفٍ كَيْـــفَ أَشْـــقَى بِحُـــبِّ آلِ النَّبِـــيِّ[(١)]

وَقَالَ دِعْبِلُ[(٢)] بْنُ عَلِيٍّ الخُزَاعِيُّ:

مُلُوكُ بَنِي العبَّاسِ فِي الكُتْبِ سَبْعَةٌ وَلَـمْ تَأْتِنَـا عَـنْ ثَـامِنٍ لَهُـمُ الكُتْـبُ

كَذَلِكَ أَهْلُ الكَهْفِ فِي الكَهْفِ سَبْعَةٌ كِـرَامٌ إِذَا عُـدُّوا وَثَـامِنُهُمْ كَلْـبُ[(٣)]

وَيَنْزِلُ مَاءُ تَعِزَّ مِنْ جَبَلِ صَبِرَ حِينَ اشْتَرَاهُ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ لِهَذَا المَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَسَبَّلَهُ، وَيُسَمَّىٰ مَاءَ الخَشَبَةِ، وَهُوَ مَاءٌ خَفِيفٌ هَنِيءٌ مَرِيءٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَيْنٌ كُسِرَ كَثِيرُ المَاءِ، نِصْفُهُ يُقْلَبُ إِلَىٰ تَعِزَّ وَنِصْفُهُ يَنْزِلُ إِلَىٰ مَدِينَةِ جَبَأَ، وَهُوَ أَصَحُّ مِنْ مَاءِ الخَشَبَةِ الَّذِي يُقْلَبُ إِلَىٰ تَعِزَّ وَأَجْوَدُ مِنْهُ، وَلَيْسَ يَمُنُّ أَهْلُ جِبَأَ[(٤)] عَلَىٰ الغُرَبَاءِ إِلَّا بِشُرْبِ هَذَا المَاءِ لَا غَيْرُ مِنْ طِيبِهِ، وَيَنْزِلُ جَمِيعُ فَوَاكِهِهَا وَأَحْطَابِهَا وَأَخْشَابِهَا الَّتِي لِلْعِمَارَةِ؛ لِأَنَّ الغُصْنَ مَيَّالٌ وَالغَيْمَ هَطَّالٌ، وَمِنْ يَوْمِ يَدْخُلُ الإِنْسَانُ الدِّرَيْعَاءَ[(٥)] إِلَىٰ أَنْ يَنْحَدِرَ إِلَىٰ نَقِيلِ الحَمْرَاءِ يَهُبُّ عِنْدَ كُلِّ

---

(١) ذُكِرَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ فِي «الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيْتِ القَصِيدِ» (٧/ ٣٣٥) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ» (٢/ ٦٠٧).

(٣) هَذَانِ البَيْتَانِ ذُكِرَا فِي «الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ» (٢/ ٨٣٨) لِابْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيِّ، ط. «دَارِ الحَدِيثِ» بِـ«مِصْرَ» وَغَيْرِهِ مِنَ المَصَادِرِ.

(٤) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«جَبَأ».

(٥) الدِّرَيْعَاءُ: مَنْطِقَةُ إِرْيَابَ وَأَعْمَال مُدِيرِيَّةِ يَرِيمَ، كَانَ بِهَا سَدٌّ قَدِيمٌ مِنْ سُدُودِ أَرْضِ «يُحْصِبَ» =

عَصْرٍ هَوَاءٌ بَارِدٌ يُحْيِي الفُؤَادَ، وَبَعْدَهُ تُكَلَّلُ الأُفُقُ بِالغَمَامِ وَيَنْزِلُ الغَيْثُ سَاعَةً زَمَانِيَّةً ثُمَّ يَصْحُو، وَيَبْقَىٰ العَالَمُ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ مُدَّةَ سِتَّةَ أَشْهُرِ الصَّيْفِ[١].

فَصْلٌ: إِذَا رَأَيْتَ الهِلَالَ فِي المَاء يَضْرِبُ إِلَىٰ الحُمْرَةِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ هُبُوبِ الرِّيحِ، فَإِذَا رَأَيْتَ فِي وَسَطِهِ سَوَادًا دَلَّ عَلَىٰ الغَيْثِ، وَإِذَا رَأَيْتَ عَيْنَ الشَّمْسِ حِينَ طُلُوعِهَا فِي وَسَطِهَا شَيْءٌ مِنَ الغَيْمِ دَلَّ عَلَىٰ مَطَرٍ وَصَحْوٍ جَمِيعًا، وَإِذَا رَأَيْتَ الشَّمْسَ تَغْرُبُ وَعَلَيْهَا وَحَوْلَهَا قِطَعٌ قِطَعٌ مِنَ السَّحَابِ يَدُلُّ عَلَىٰ المَطَرِ، وَإِذَا رَأَيْتَ سَحَابًا مُتَفَرِّقًا دَلَّ عَلَىٰ الغَيْثِ، وَإِذَا كَانَ الهِلَالُ ابْنَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ فِي قَرْنَيِ الهِلَالِ أَوْ كَأَنَّهُ مُظْلِمٌ مُلَطَّخٌ بِدَمٍ دَلَّ عَلَىٰ الشِّتَاءِ وَكَثْرَةِ المَطَرِ.

* * *

=

المَشْهُورِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦١٠).

(١) وَإِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا وَهَذِهِ هِيَ الأَجْوَاءُ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ، فَسُبْحَانَ مَنِ اخْتَصَّ بِذَلِكَ أَرْضًا دُونَ أَرْضٍ.

ذِكْرُ بِلَادٍ يَنْزِلُ فِيهَا الغَيْثُ كَثِيرًا

يَنْزِلُ الغَيْثُ فِي أَعْمَالِ مَارَدَانَ دَائِمًا، وَفِي أَعْمَالِ كلَاب مُدَّةَ عَشَرَةِ شُهُورٍ، وَفِي أَرْضِ بَنِي سَيْفٍ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ إِقْلِيمِ اليَمَنِ وَيُونُسَ[(١)] شَهْرَيْنِ، فَلِذَلِكَ سُمِّي البوالَةَ، وَإِقْلِيمُ المِينَاء وَمُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَإِقْلِيمُ الجَاوَةِ يَنْزِلُ الغَيْثُ مِنَ الغَيْمِ شِبْهَ أَفْوَاهِ القِرَبِ وَلَا يَسْتَدِلَّ سَفَّارَةُ البَحْرِ عَلَىٰ إِقْلِيمِ الجَاوَةِ إِلَّا بِكَثْرَةِ لَمْعِ البَرْقِ، وَفِي إِقْلِيمِ خَوْر فَوْفَل[(٢)] أَرْبَعَة شُهُورٍ، وَفِي العَيْنَيْنِ يَنْزِلُ دبسٌ رَفِيعٌ شِبْهَ الصُّمَّاقِ دَائِمًا، وَيَنْزِلُ فِي جَزِيرَةِ الخَضْرَاءِ وَجَزِيرَةِ مَنْفِيَّةَ دَائِمًا، وَفِي بِلَادِ السِّنْدِ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَكُونُ فِي جَمِيعِ الهِنْدِ تَارَةً صَحْوًا وَتَارَةً غَيْثًا، فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ مِقْدَارَ عَشْرِ مَرَّاتٍ، وَتُمْطِرُ عَلَىٰ دَارٍ وَلَا تُمْطِرُ عَلَىٰ أُخْرَىٰ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا قَدْ تُمْطِرُ عَلَىٰ أَحَدِ قَرْنَي الثَّوْرِ وَلَمْ تُمْطِرْ عَلَىٰ الآخَرِ، وَيَنْزِلُ الغَيْثُ فِي جِبَالِ اليَمَنِ سِتَّةَ شُهُورٍ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ[(٣)].

---

(١) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب».

(٢) خَوْر فَوْفَل: مِنْ سَوَاحِلِ بَحْرِ الهِنْدِ، كَمَا فِي «تَاجِ العَرُوس» (١١/ ٢٣٦).

(٣) وَقَدْ أَقَمْتُ فِي هَذِهِ الأَجْوَاءِ قَدْرَ سَنَتَيْنِ جِهَةَ إِبَّ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: «الصِّرْبِيُّ» قَرْيَةٌ تَابِعَةٌ لِـ«مَدِينَةِ السّدَّةِ» يُدْخَلُ لَهَا مِنْ جِهَةِ بَيْتِ الأَخْضُورِ وَكَذَا يُقَالُ: بَيْتُ الزُّهُورِ، وَلَمْ تُذْكَرِ «الصِّرْبِيُّ» فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» مَعَ أَنَّ «بَيْتَ الأَخْضُورِ» ذُكِرَ فِي (١/ ٤٣) مِنْهُ.

وَيُسَمَّىٰ أَعْمَالُ معَاشِرِ تَعِزَّ الشَّعْبَانِيَّاتِ(١)، وَحُدُوده إِلَىٰ وَادِي وَرَزَانَ وَبِرْكَةِ الحَوْبَانِ(٢)، وَبِهِ أَنْشَدَ سُلَيْمَانُ شَاهْ بْنُ شَاهنْشَاهْ بْنِ شَاذِي يَقُولُ:

بُلِيتُ بِهَادُونَ الحِسَانِ فَمُهْجَتِي ... تَذُوبُ وَبِي مِنْ حَرَّةِ البَيْنِ بَلْبَالُ

أَقَمْتُ بِأَكْنَافِ الحُصَيْبِ وَأَصْبَحَتْ ... بِحِصْنِ تَعِزٍّ ذَا التَّفَرُّقِ قَتَّالُ

❊ ❊ ❊

---

(١) المَعْرُوفُ بِـ«تَعِزَّ» اليَوْمَ هُوَ «الشَّعْبَانِيَّةُ» وَهُوَ صُقْعٌ كَبِيرٌ فِي شَمَالِ مَدِينَةِ «تَعِزَّ»، وَهُمَا شَعْبَانِيَّتَانِ: العُلْيَا وَالسُّفْلَىٰ، فَمِنَ العُلْيَا مَنْطِقَةُ «الحَوْبَانِ»، وَمِنَ السُّفْلَىٰ مَنْطِقَةُ «الكِلَابِيَّةِ» الَّتِي فِيهَا الآبَارُ الجَوْفِيَّةُ الَّتِي تُمَوِّنُ مَدِينَةَ «تَعِزَّ» بِالمِيَاهِ، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الإِبْرَهِيُّ الشَّعْبَانِيُّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٥٤٧هـ)، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٦٧-٨٦٨).

(٢) تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ «وَرَزَان»، وَ«الحَوْبَان».

مِنْ تَعِزَّ إِلَى الجَنَدِ

مِنْ تَعِزَّ إِلَىٰ بِرْكَةِ الحَوْبَانِ رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ وَادِي السَّمْكرِ[1] رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَالسّمكرُ كَانَ رَجُلًا يَهُودِيًّا قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي هَذَا المَوْضِعِ أَرْضٌ تَغْلِبُ عَلَيْهَا المِيَاهُ أَحَدُهَا الجَنَدُ[2] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

(١) السَّمْكَرُ: بِفَتْحٍ وَسُكُونٍ، قَرْيَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ «الجَنَدِيَّةِ» السُّفْلَىٰ شَمَالَ مَدِينَةِ «تَعِزَّ» وَمِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَتْ قَدِيمًا مِنَ البُلْدَانِ المَشْهُورَةِ بِالعِلْمِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨١٢).

(٢) كَذَا فِي النُّسَخِ: «تَغْلِبُ عَلَيْهَا المِيَاهُ أَحَدُهَا الجَنَدُ»، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: «وَإِلَىٰ الجَنَدِ»، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ الجَنَدَ سَيَأْتِي قَرِيبًا.

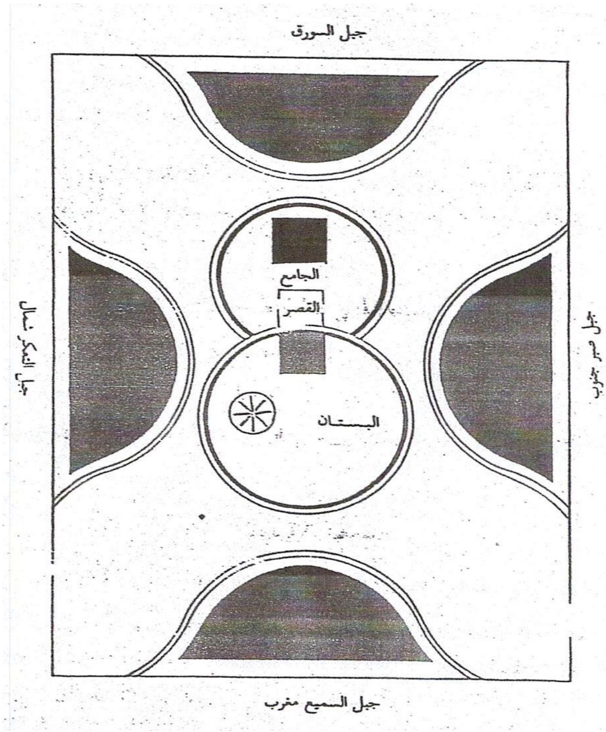
بِنَاءُ الجَنَدِ[1]

غَرَسَتِ الأَوَائِلُ فِي فَضَاةِ الجَنَدِ نَخْلًا وَحمَلَ فَلَمَّا دَارَ الدَّهْرُ رَجَعَ عُقْدَةً، وَبَقِيَ النَّخْلُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ ظَهَرَ دِقْيَانُوسُ المَلِكُ وَقَطَعَ النَّخْلَ وَبَنَىٰ فِي فَضَاةِ الجَنَدِ بَلَدًا عَظِيمًا سَمَّاهُ الأُفْيُوسَ[2]، وَبِهِ كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الكَهْفِ مَعَ دِقْيَانُوسَ المَلِكِ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصُورَتُهُ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:

---

(١) الجَنَدُ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ «تَعِزَّ» بِمَسَافَةِ (١٩) كِيلُو، كَانَتْ قَدِيمًا مَدِينَةَ اليَمَنِ الأُولَىٰ بَعْدَ صَنْعَاءَ، وَأَحَدَ أَسْوَاقِ العَرَبِ المَشْهُورَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ الخَرَابَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَصَارَتِ اليَوْمَ قَرْيَةً صَغِيرَةً فِيهَا جَامِعُهَا الأَثَرِيُّ المَعْرُوفُ بِـ«جَامِعِ الجَنَدِ» وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي اليَمَنِ، وَأَنَّ بَانِيَهُ هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ حِينَمَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ اليَمَنِ، وَقَدْ جَدَّدَ بِنَاءَ هَذَا المَسْجِدِ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٤٠٢هـ)، كَمَا كَانَ لِمُلُوكِ بَنِي رَسُولٍ وَبَنِي طَاهِرٍ عِنَايَةٌ تَامَّةٌ بِهِ، وَقَامُوا بِتَجْدِيدِ وَتَوْسِيعِ عِمَارَتِهِ، وَلِمَزِيدِ فَائِدَةٍ عَنِ الجَنَدِ يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٥٩)، وَسَيَأْتِي كَلَامُ المُصَنِّفِ عَنْ «مَسْجِدِ الجَنَدِ» قَرِيبًا.

(٢) كَذَا «الأُفْيُوس»، وَفِي «أ»: «الأفيُوش»، وَ«ب»: «الأقيُوش»، لَكِنْ سَيَأْتِي قَرِيبًا بِـ«الأُفْسُوس» وَهُوَ المَعْرُوفُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بِهَذَا يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (١/ ٢٣١) بَيْدَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ فِي طَرَسُوسَ، فَقَالَ: أُفْسُوسُ: بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَسُكُونِ الفَاءِ، وَالسِّينَانِ مُهْمَلَتَانِ، يُقَالُ: إِنَّهُ بَلَدُ أَصْحَابِ الكَهْفِ.



وَيُقَالُ: إِنَّ القَوْمَ فِي كَهْفٍ مِنْ كُهُوفِ جَبَلِ صَبِرَ نِيَامٌ إِلَىٰ الآنَ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ﷻ عَنْهُمْ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١]، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي الأُفْسُوسِ عَامِرٍ[٢] إِلَىٰ أَنْ مَلَكَ اليَمَنَ أَخُو المُعِزِّ بْنِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيُّ، فَقَامَ المُتَوَلِّي وَمَدَّ يَدَهُ إِلَىٰ أَخْذِ المَالِ وَاسْتِبَاحَةِ النِّسَاءِ بِالفُحْشِ مِنَ العَمَلِ وَقُبْحِ الأَمَلِ، فَلَمَّا رَأَوُا العَرَبُ مِنْهُ مَا رَأَوْا قَتَلُوهُ وَعَصَوْا فِي البِلَادِ، فَعَلِمَ أَخُوهُ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيُّ، فَعَلِمَ الخَبَرَ فَرَكِبَ وَجَاءَ فِي خَيْلٍ وَرَجِلٍ فَمَلَكَ

---

(١) [الكَهْف، آيَة: ٢٢].

(٢) كَذَا فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ: «الأفسوس عامر».

اليَمَنَ بَعْدَ أَنْ رَكَّبَ السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِهَا وَأَخْربَ الجَنَدَ، وَسَدَّ فِي الجِبَالِ ثَلَاثَمِائَةِ غَيْلٍ، أَيْ عَيْنٍ عَذْبَةٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ غَيْلًا مِنْهُ سَدَّهُ بِالمِلْحِ فَمَلَحَ مَاؤُهُ وَصَارَ يَحْمِلُ مِنْهُ مِلْحًا إِلَىٰ هَذِهِ الغَايَةِ.

فَلَمَّا تَوَلَّىٰ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وِلَايَةَ اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ بَنَاهَا مَدِينَةً سُمِّيَتْ بِاسْمِهِ جَبَلٍ، غَيْرَ أَنَّ البَانُونَ أَبْدَلُوا اللَّامَ دَالًا، فَسُمِّيَتِ الجَنَدَ[1] لِأَنَّهَا مَسْكَنُ الجُنْدِ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: إِنَّ فِي الأَصْلِ يُسَمَّىٰ قَارِعَ الأَجْنَادِ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا جُنْدَ اليَمَنِ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلَامَ صَاحِبِهِ وَلَمْ يَرْضَوْا بِحُكُومَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَلَمَّا كَثُرَ القَالُ وَالقِيلُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَخَرَجَ نَصْرٌ وَجَعْفَرٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِرِضَىٰ خَالِدٍ وَزُبَيْرٍ وَطَلَبُوا مِنْهُ رَجُلًا يُؤَدُّونَ لَهُ الزَّكَاةَ وَيُعَلِّمُهُمُ الشَّرَائِعَ وَالدِّينَ وَيَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ أَنْفَذَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ عَلَىٰ هَذَا بُرْهَانًا، قَالَ: يَقُولُ الشَّاعِرُ:

يَا بَنِي مَسْعُودِ شُدُّوا الْـ ... خَيْلَ مِنْ قَارِعِ الأَجْنَادْ
مَا عَلَيْكُم يَا مَوَالِي ... مِنْ نِبَاحِ الكَلْبِ فِي الوَادْ[2]

---

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ وَصَوَابُهُ: «أَبْدَلُوا البَاءَ نُونًا وَاللَّامَ دَالًا» مِنْ «جَبَل» إِلَىٰ «جَنَد».

(٢) القِصَّةُ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي إِرْسَالِ النَّبِيِّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ اليَمَنِ هِيَ الَّتِي عِنْدَ البُخَارِيِّ بِرَقْمِ (١٤٩٦) وَمُسْلِمٍ بِرَقْمِ (١٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ...».

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ يحْفرُ فِي الغَيْلِ حبط (...)[(١)] زَبدي تُرَاب، أَيْ مِنْ تُرَابٍ، كَانَ يُعْطِيهِ رَغِيفَ خُبْزٍ وَعَظْمًا، أَيْ قِطْعَة لَحْمٍ، وَدَرَاهِمَ، وَقِيلَ: دِينَارًا، وَلَا يَزَالُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَنْ جَرَىٰ المَاءُ مِنَ الغَيْلِ وَعُمِّرَ، وَبَقِيَ البِنَايَةُ عَلَىٰ حَالِهَا إِلَىٰ أَنْ تَوَلَّىٰ سَيْفُ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوب فَأَدَارَ عَلَيْهَا سُورًا مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ وَأَعْلَاهُ طِينًا وَلَبِنًا سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، وَالأَصَحُّ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَرَكَّبَ عَلَىٰ السُّورِ خَمْسَةَ أَبْوَابٍ: بَابَ المَنْصُورَةِ، وَبَابَ الحَدِيدِ، بِنَايَةُ المَلِكِ المَسْعُودِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَبَابَ الأَقْطَعِ، وَبَابَ السِّرِّ، يَنْفُذُ إِلَىٰ بُسْتَانِ السُّلْطَانِ.

* * *

(١) فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ بَيَاضٌ.

صِفَةُ جَبَلِ البَقَرِ

وَهُمَا جَبَلَانِ وَرَاءَ الجَنَدِ لِمَسَافَةِ رُبُعِ فَرْسَخٍ، بَنَىٰ بِهَا العَرَبُ حِصْنَيْنِ وَسَائِرُ القَوْمِ يُصْبِحُ بِهِ الجُنَدُ صَبَاحًا وَمَسَاءً لَيْلًا وَنَهَارًا، وَبَقِيَّتُ أَهْلِ الجَنَدِ مَعَهُمْ فِي عَنَاءٍ وَتَعَبٍ إِلَىٰ أَنْ مُلِكَتْ مِنْ مُلُوكِ العَرَبِ هُدِمَتْ وَأُرْدِمَتْ آبَارُهَا، وَبَقِيَتِ الآنَ جَبَلَيْنِ قَائِمَيْنِ خَرَابَيْنِ لَا بِهِمَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ.

*   *   *

صِفَةُ أَكَمَةِ سُلَيْمَانَ

وَبِئْرُ النَّخرِ، وَكَانَ فِي قُرْبِ الجَبَلِ حِصْنٌ مَانِعٌ يُسَمَّىٰ أَكَمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ بِنَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا عَصَتِ العَرَبُ عَلَىٰ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيِّ تَحَصَّنُوا بِالحِصْنِ وَبَقِيَ القِتَالُ يَعْمَلُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ مُدَّةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ تَحْتَ الحِصْنِ مِمَّا يَلِي البَحْرَ بِئْرُ مَاءٍ ذَاتُ عُمْقٍ وَسَعَةٍ وَطُولٍ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ دورَانَةِ القَلْعَة إِلَىٰ قَرَارِ هَذِهِ البِئْرِ دَرَجٌ يَنْزِلُ إِلَيْهِ الخَيْلُ وَالرَّجِلُ، وَالبِئْرُ مُشْتَرَكٌ مَا بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ إِلَىٰ أَهْلِ البَلَدِ فَشَرِبُوا مِنْهُ بَاطِنًا، وَعَسْكَرُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ ظَاهِرًا، فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ فَارِسٌ بِحِصَانِهِ إِلَىٰ قَرَارِ البِئْرِ يَرْوِيهِ فَلَمَّا شَرِبَ الحِصَانُ حَوْضَ المَاءِ نَخَرَ الحِصَانُ مِنْ غمْقِ المَاءِ فَسُمِّيَتْ بِئْرَ النَّخْرِ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا عَلِمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ بِشِرْكِيَّةِ البِئْرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَفْلَتَ فِي المَاءِ نِفْطًا(١) فَصَارَ كُلُّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَاتَ، فَسُلِّمَ لَهُ الحِصْنُ، فَلَمَّا مَلَكَ الحِصْنَ هَدَمَهُ وَالبِئْرَ مَعًا وَجَمْعًا.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ» (١/ ٧٦٥).

صِفَةُ الجَامِعِ

وَأَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ الجَامِعَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أَهْلِ الجَنَدِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ القُرَىٰ، وَأَعَادَ بِنَاءَهُ القَائِدُ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ، وَجَدَّدَهُ الأَمِيرُ المُفَضَّلُ (١) بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ بْنِ الوَلِيدِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِالحَجَرِ المَنْقُوشِ وَاللَّبِنِ المُرَبَّعِ، وَأَحْرَقَهُ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ الخَلْقَ سَعَتْ وَشَفَعَتْ فِي إِبْقَائِهِ فَقَالَ: قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ، قِيلَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ قَدْ خَطَبَ عَلَىٰ مِنْبَرِهِ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ، يَعْنِي مُلُوكَ بَنِي زُرَيْعٍ أَيْ وُلَاةُ عَدَنَ، فَهُمْ أَنْجَاسٌ يَنْجُسُ الجَامِعُ بِذِكْرِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ هُوَ نَجِسٌ طُهِّرَ وَقَدْ طَهَّرْنَاهُ بِالنَّارِ، فَأَعَادَ بِنَاءَهُ سَيْفُ الإِسْلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ رَفَعَ سُقُوفَهُ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ بَعْدَ أَنْ ذَهَّبَهُ، وَأَجْرَاهُ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورْدِ سَنَةَ ثَلَاثَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ فِي دَوْلَةِ المَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ.

وَقَالَ حَكِيمٌ: خُذْ مِنْ جَامِعِ تَعِزَّ المِنْبَرَ وَمِنْ جَامِعِ الجَنَدِ السَّقْفَ!

وَيَجْتَمِعُ فِي أَوَّلِ جُمُعَةِ رَجَبٍ فِي جَامِعِ الجَنَدِ مِنْ كُلِّ الأَعْمَالِ نَاسٌ يُصَلُّونَ فِيهِ، وَيَبْلُغُ ذَلِكَ اليَوْمِ فِي الجَامِعِ مِقْدَارَ مَا يَسَعُ رَجُلًا وَاحِدًا دِرْهَمًا فَيُقَالُ: دِينَار لِيُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ الجُمُعَةِ، وَيَكُونُ فِيهِ ذَلِكَ اليَوْمَ نُورٌ مَشْهُودٌ.

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «الأَعْلَامِ» (٧/ ٢٧٩) لِلزِّرِكْلِيِّ.

وَأَهْلُ الجَنَدِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ القُرَىٰ يَرْوُونَ فِي فَضْلِ هَذَا المَسْجِدِ أَخْبَارًا مِنْ جِهَةِ زِيَارَتِهِ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ فِي رَجَبٍ تَعْدِلُ عُمْرَةً، بَلْ قَالُوا: حَجَّةً(١)، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَزُورُونَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي أَوَّلِ رَجَبٍ حَتَّىٰ أَثرَ ذَلِكَ، وَصَارَ صَفِيُّ الدِّينِ حَاتِمُ(٢) بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ المُعَلِّمِ حَتَّىٰ أَسْقَاهُ فِي بِطِّيخَةٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخذَ إِبْرَةً مَسْمُومَةً وَغَرَزَ فِيهَا خَيْطًا مَسْمُومًا وَصَارَ يَغرِزُ الإِبْرَةَ فِي جَوَانِبِ البِطِّيخَةِ وَيَجُرُّهَا وَالخَيْطَ مَعًا، وَجَاءَ بِهَا إِلَىٰ سَيْفِ الإِسْلَامِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ بِنَايَةِ المَنْصُورَةِ فَجَلَا سَكِّينًا فَوْقَ البِطِّيخَةِ لِيَأْكُلَ مِنْهَا، فَتَنَاوَلَ مِنْهُ سَيْفُ الإِسْلَامِ البِطِّيخَةَ فَقَطَعَ وَأَكَلَ وَأَحَسَّ بِالشَّرِّ بِهِ فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: اللهُ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ، فَقَالَ لَهُ: كُلْ يَا مَوْلَايَ، مَا هُوَ إِلَّا خَيْرٌ، وَغَابَ الشَّيْخُ حَاتِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ المُعَلِّمِ مِنْ

---

(١) وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَثْبُتُ فِيهِ شَيْءٌ أَبَدًا فِي الشَّرعِ، وَيُعَدُّ فِعْلُ ذَلِكَ وَاعْتِقَادُهُ مِنَ البِدَعِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (١٧١٨) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهَذَا الفِعْلُ يُعَدُّ عَمَلًا لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِهِ ﷺ وَفِي شَرِيعَتِهِ، هَذَا إِنْ سَلَّمْنَا أَنَّ المَسْجِدَ بُنِيَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، وَقَدْ دَخَلْتُ هَذَا المَسْجِدَ سَنَةَ (١٤١٥هـ) فَوَجَدْتُ مِنَ العَوَامِّ مَنْ يَتَنَاوَبُونَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ فِي مِحْرَابِ المَسْجِدِ لِأَجْلِ أَنْ يَنَالُوا الأُجُورَ الخَاصَّةَ بِالصَّلَاةِ فِيهِ، فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ وَأَنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ كَالصَّلَاةِ فِي أَيِّ مَسْجِدٍ مِنَ المَسَاجِدِ، وَكَانَ هُنَاكَ مَنْ يُزَيِّنُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَذْكُرُ لَهُمْ زُورًا وَبُهْتَانًا فَضَائِلَ بِزَعْمِهِ لِذَلِكَ المَسْجِدِ لِأَجْلِ أَنْ يُعْطُوهُ شَيْئًا مِنَ المَالِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ نَحْتَفِظَ بِتَارِيخِنَا وَحَضَارَتِنَا، لَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَىٰ حِسَابِ دِينِنَا وَعَقِيدَتِنَا، وَإِلَّا سَنَكُونُ كَمَا قِيلَ: أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ قَصْرًا فَهَدَمَ مِصْرًا، وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٥).

(٢) كَذَا قَالَ، وَالصَّوَابُ: (عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عُرِفَ بِابْنِ المُعَلِّمِ) كَمَا فِي «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٣٢) لِلْجَنَدِيِّ، أَمَّا ابْنُ حَاتِمٍ وَآلُ حَاتِمٍ فَمَوْضُوعُهُمْ آخَرُ، يُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٢٨).

سَاعَتِهِ، فَأَوْجَعَهُ فُؤَادُهُ وَمَاتَ[١]، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي النَّزْعِ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[٢] إِلَىٰ تَمَامِ الآيَاتِ.

وَحَدَّثَنِي إِنْسَانٌ جِبْلِيٌّ[٣] مِنْ آلِ الصُّلَيْحِيِّ قَالَ: إِنَّهُ قَرَأَ: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾[٤] وَصَارَ يُكَرِّرُهَا إِلَىٰ أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

بَقِيَتِ النِيَابَةُ عَلَىٰ حَالِهَا إِلَىٰ أَنْ تُوُفِّيَ المَلِكُ المُعِزُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ فَرَدَّ الأَرَاضِيَ عَلَىٰ أَرْبَابِهَا، وَيُقَالُ: إِنَّمَا رَدَّهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَسْقَىٰ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ حَاتِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ المُعَلِّمِ فِي زَبِيدٍ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سَقَىٰ ابْنَ المُعَلِّمِ إِلَّا لِإِدْرَاكِ سَيْفِ الدِّينِ سُنْقُرَ بَعْدَ قَتْلِهِ المَلِكَ المُعِزَّ[٥] فِي زَبِيدٍ.

---

(١) يُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٣٢) لِلْجَنَدِيِّ.

(٢) [الحَاقَّة، آيَة: ٢٨ - ٣٢]، وَذَكَرَ ذَلِكَ الجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكُ» (٢/ ٥٣١).

(٣) الجِبْلِيُّ: نِسْبَةً إِلَىٰ جِبْلَةَ بَلْدَةٍ مَشْهُورَةٍ بِاليَمَنِ بِالجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ إِبَّ اخْتَطَّهَا الصُّلَيْحِيُّونَ سَنَةَ (٤٥٨هـ)، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٨٥)، وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْ جِبْلَةَ قَرِيبًا.

(٤) [الهُمَزَة، آيَة: ٢ - ٩].

(٥) المُعِزُّ هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ، وَيُنْظَرُ: «تَارِيخُ الإِسْلَامِ» (١٢/ ١٣٤) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٤٢٥) لِلذَّهَبِيِّ.

فَصْلٌ: كَانَ يُقَالُ: فِي زَمَانِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ: إِنَّهُ لَا يَمُوتُ حَتَّىٰ يَمْلِكَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَعْمُرُهَا، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ طَالَ أَمَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَأَسَّسَ المَنْصُورَةَ(١)، فَبَيْنَمَا الفَعَلَةُ يَحْفُرُونَ الأَسَاسَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ حَجَرٌ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ الشَّقِيَّ بَنَىٰ مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، قَالَ: وَمَاتَ وَدُفِنَ بِتَأْرِيخِ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، فَسَأَلَ عَنِ اسْمِهَا الأَصْلِ، قَالُوا: إِنَّهَا تُسَمَّىٰ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، قَالَ: مُتْنَا وَرَبِّ الكَعْبَةِ! وَسُقِيَ عَلَيْهَا وَمَاتَ وَدُفِنَ بِمَغْرَبَةِ تَعِزَّ، وَمَا أَرَادَ بِبِنَاءِ هَذِهِ البَلَدِ إِلَّا أَنَّهُ يُخَزِّنُ فِيهَا جَمِيعَ غِلَالِ الجِبَالِ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

فَصْلٌ: نَزَلَ الأَمِيرُ الأَغَرُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ بِقَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ المَهْجَمِ(٢) يُقَالُ لَهَا: أُمُّ الدُّهَيْمِ وَبِئْرُ أُمِّ مَعْبَدٍ(٣).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ نَجَاحٍ: فَلَمَّا دَخَلْنَا المَهْجَمَ(٤) لَمْ يَشْعُرْ بِنَا إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَرَكِبَ وَقَالَ لِأَخِيهِ: يَا مَوْلَانَا، ارْكَبْ فَهَذَا وَاللهِ الأَحْوَلُ بْنُ نَجَاحٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَخِيهِ عَبْدِ اللهِ: إِنِّي لَا أَمُوتُ إِلَّا بِالدُّهَيْمِ وَأُمِّ مَعْبَدٍ، يَعْتَقِدُ أَنَّهَا أُمُّ مَعْبَدٍ الَّتِي نَزَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ هَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ(٥)، فَقَالَ لَهُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ: قَاتِلْ

---

(١) وَهِيَ فِي أَعْلَىٰ قِمَّةِ جَبَلِ «الصِّلْوِ» مُحَافَظَةِ «تَعِزَّ»، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٥٦).

(٢) تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ المَهْجَمِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٦).

(٣) تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ اليَوْمَ مَكَانُ ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرَهَا عُمَارَةُ فِي «المُفِيدِ» (ص١١١) لَكِنْ هِيَ كَمَا قَالَ المُصَنِّفُ مِنْ أَعْمَالِ المَهْجَمِ، وَهُوَ نَقَلَ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كِتَابِ «المُفِيدِ» لِعُمَارَةَ اليَمَنِيِّ.

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «المَهْجَم».

(٥) يُنْظَرُ: «مُسْتَدْرَكُ الحَاكِمِ» (٣/ ٩-١٠)، وَكِتَابِي «نَثْرُ الجَوَاهِرِ المُضِيَّةِ عَلَىٰ كِتَابِ أَمَالِي فِي السِّيرَةِ =

عَنْ نَفْسِكَ، فَهَذِهِ وَاللهِ بِئْرُ الدُّهَيْمِ بْنِ عَبْسٍ، وَهَذَا المَسْجِدُ خَيْمَةُ أُمِّ مَعْبَدٍ بِنْتِ الحَارِثِ العَبْسِيِّ، فَحِينَئِذٍ قُتِلَ بِهَا[1]، وَكَانَ فِي طَالِعِ[2] المَلِكِ المُعِزِّ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ إِلَّا فِي العِرَاقِ بَعْدَ أَنْ يَمْلِكَهَا أُمَوِيٌّ مُزِيلُ دَوْلَةِ بَنِي العَبَّاسِ، فَلَمَّا تَيَقَّنَ عِنْدَهُ ذَلِكَ قُتِلَ بِوَادِي العِرْقِ[3] مِنْ زَبِيدٍ، وَفِيهِ أَنْشَدَ المُحَنَّنِيُّ[4] يَقُولُ:

المَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الكَفَنَا ... وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ مِمَّا يُرَادُ بِنَا

لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ... وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا

أَيْنَ الأَحِبَّةُ وَالجِيرَانُ مَا فَعَلُوا ... أَيْنَ الَّذِينَ بِهَا كَانُوا لَنَا سَكَنَا

سَقَاهُمُ المَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ ... فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهُنَا[5]

=

النَّبَوِيَّةِ» (ص١٢٣-١٢٥).

(١) وَقُتِلَ أَخُوهُ مَعَهُ وَسَائِرُ الصُّلَيْحِيِّينَ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٣/ ٤١٤) لِابْنِ خَلِّكَانَ، وَسَيَذْكُرُ المُصَنِّفُ ذَلِكَ قَرِيبًا فِي الكَلَامِ عَلَى بِنَاءِ «جِبْلَةَ».

(٢) لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ.

(٣) العِرْقُ: هِيَ المَقْبَرَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنْ مَدِينَةِ زَبِيدٍ وَتُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ زَبِيدٍ بِـ«مَقْبَرَةِ بَابِ سِهَامٍ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٤٧).

(٤) هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَمَّحَنِّيُّ وَرُبَّمَا قِيلَ: المُحَنَّنِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ شَاعِرٌ، وَالمُحَنَّنِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى أُمِّ حَنَّيْنَ بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ المَفْتُوحَةِ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَنُونٍ أُخْرَى: بَلْدَةٌ قُرْبَ زَبِيدٍ كَمَا فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٢٥٠) لِيَاقُوتَ الحَمَوِيِّ.

(٥) ذُكِرَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ فِي «مَطْمَعُ الأَنْفُسِ وَمَسْرَحُ التَّأَنُّسِ فِي مُلَحِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ» (ص٢٦٧) لِأَبِي نَصْرٍ القَيْسِيِّ المُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٢٨هـ).

وَإِلَىٰ قَلْعَةِ ضَرَاسٍ[(١)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ وَادِي وَرزَانَ[(٢)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ ذِي جِبْلَةَ[(٣)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَيَصْعَدُ نَقِيلَ ذِي جِبْلَةَ وَيُسَمَّىٰ النَّقِيلَيْنِ[(٤)] وَهُمَا جَبَلَانِ يُسَمَّىٰ أَحَدُهُمَا نَقِيلَ ندرَانَ وَالثَّانِي نَقِيلَ العَكَائِفِ، وَمَا اشْتُهِرَ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ بِهِ عَجَائِزُ مُعْتَكِفَاتٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) ضَرَاسٌ: بِفَتْحَتَيْنِ، قَرْيَتَانِ فِي وَادِي نَخْلَانَ مِنْ مُدِيرِيَّةِ السَّيَّانِي وَأَعْمَالِ إِبَّ، هُمَا: ضَرَاسُ العُلْيَا وَضَرَاسُ السُّفْلَىٰ، وَنُسِبَ إِلَيْهَا العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي القَاسِمِ الضَّرَاسِيُّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٨٠٦هـ)، وَالعَلَّامَةُ قَاسِمُ بْنُ نَاجِي الضَّرَاسِيُّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (١٣٦٠هـ). «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٤٤).

(٢) وَرزَانُ: بِفَتَحَاتٍ، وَادٍ جَمِيلٌ مَغْيُولٌ فِي «دِمْنَةِ خَدِير» جَنُوبَ شَرْقِ مَدِينَةِ تَعِزَّ بِمَسَافَةِ (٣٥) كِيلُو، وَمَنَابِعُ مِيَاهِهِ تَأْتِي مِنْ «جَبَلِ سَامِعٍ» فِي شَرْقِ «جَبَلِ صَبِر» وَمِنْ بِلَادِ الأَشْعُوبِ، وَمِنْ شَرْقِ «جَبَلِ الصِّلو»، وَمِنْ بِلَادِ «الأَعْبُوسِ» وَمِنْ «حِيفَانَ»، وَجَمِيعُ مِيَاهِ «خَدِيرٍ» الَّذِي يَشُقُّه «وَرزَانُ» وَجَمِيعُ مِيَاهِ جِبَالِ حُمَر «مَاوِيَة»، وَمِيَاهُهُ بَعْدَ أَنْ تَلْتَقِيَ تَسِيلُ بِوَادِي «عَقَّانَ» إِلَىٰ أَرَاضِي «لَحج» ثُمَّ تَفِيضُ إِلَىٰ بَحْرِ «عَدَنَ» فِي فَرْعَيْنِ يَصُبَّانِ شَرْقَ «عَدَنَ» وَغَرْبَهَا». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٦٣) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٩).

(٣) سَتَأْتِي قَرِيبًا.

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٦١).

بِنَاءُ ذِي جِبْلَةَ[1]

ذِي جِبْلَةَ مِنْ مِخْلَافِ جَعْفَرٍ، وَجِبْلَةُ كَانَ رَجُلًا يَهُودِيًّا يَبِيعُ الفَخَّارَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي بُنِيَتْ فِيهِ دَارُ العِزِّ، وَبِهِ سُمِّيَتِ المَدِينَةُ، وَأَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ ذِي جِبْلَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ المَقْتُولُ عَلَىٰ يَدِ سَعِيدٍ الأَحْوَلِ بْنِ نَجَاحٍ مَعَ أَخِيهِ عَلِيٍّ الدَّاعِي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ المَهْجَمِ، وَكَانَ أَخُوهُ قَدْ وَلَّاهُ حِصْنَ التَّعْكَرِ[2]، وَهَذَا الحِصْنُ مُطِلٌّ عَلَىٰ ذِي جِبْلَةَ وَهِيَ من سَفْحِهِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَ نَهْرَيْنِ جَارِيَيْنِ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَاخْتَطَّهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَبِهَا كَانَتْ تَسْكُنُ الحُرَّةُ المَلِكَةُ السَّيِّدَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَىٰ الصُّلَيْحِيِّ.

فَصْلٌ: وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ابْتَاعَ الدَّاعِي مُحَمَّدُ بْنُ سَبَأٍ مِنَ الأَمِيرِ مَنْصُورٍ[3] بْنِ مُفَضَّلٍ جَمِيعَ المَعَاقِلِ الَّتِي كَانَتْ لِبَنِي الصُّلَيْحِيِّ

---

(١) جِبْلَةُ: بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ إِبَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٨٥) وَمِنْهَا مُجِيزُنَا المُسْنِدُ الجَلِيلُ وَالعَلَّامَةُ الدَّرَّاكَةُ النَّبِيلُ حَمِيدُ بْنُ قَاسِم عقيل المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (١٤٤٠هـ) وَالمَدْفُونُ بِمَقْبَرَتِهَا رَحِمَهُ اللهُ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٥٨).

(٢) وَهُوَ غَيْرُ التَّعْكَرِ المُتَقَدِّمِ قَبْلُ، ذَاكَ فِي مَدِينَةِ عَدَنَ، أَمَّا هَذَا فَهُوَ فِي العُدَيْنِ «الكَلَاعِ» تَقَعُ فِي سَفْحِهِ الشَّمَالِيِّ مَدِينَة «جِبْلَةَ»، وَمِنْ جَنُوبِهِ مَدِينَةُ «ذِي السُّفَالِ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٣٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٣).

(٣) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «الأَعْلَامِ» (٧/ ٣٠٥) لِلزِّرِكْلِيِّ، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (١/ ٣٠٨) لِلْجَنَدِيِّ.

وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حِصْنًا وَمَدَائِنَ وَمِنْ جُمْلَتِهَا مَدِينَةُ ذِي جِبْلَةَ، وَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَنَزَلَ الأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ مُفَضَّلٍ حِصْنَيْهِ صَبِرَ وَتَعِزَّ، وَطَلَّقَ زَوْجَتَهُ الصُّلَيْحِيَّةَ وَهِيَ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ، وَصَعِدَ الدَّاعِي المِخْلَافَ وَسَكَنَ فِي ذِي جِبْلَةَ وَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ الأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ مُفَضَّلٍ، وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ تَهْنِيَتَهُ وَمَدَحُوهُ بِالمَعَاقِلِ وَالعَقِيلَةِ المَذْكُورِين، وَطَاشَ فَرَحًا بِمَا صَارَ إِلَيْهِ، وَبَسَطَ يَدَهُ فِي العَطَايَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

بِنَاءُ المِخْلَافِ وَنَجَا

كَمَا يُقَالُ: أَعْمَالُ اليَمَنِ، وَيُقَالُ: مِخْلَافُ تَعْكَرَ وَمِخْلَافُ جَعْفَرٍ، أَيْ مِنْ أَعْمَالِ تَعْكَرَ، وَأَعْمَالُ جَعْفَرٍ وَالمِخْلَافُ أَعْمَالُ كُلِّ حِصْنٍ بِذَاتِهِ يَكُونُ صُعُودًا، أُدْخِلَتْ تِلْكَ الأَعْمَالُ إِلَىٰ ذَلِكَ الحِصْنِ، فَمَا كَانَ حَوْلَ كُلِّ حِصْنٍ مِنَ القُرَىٰ وَالزِّرَاعَاتِ فَهُوَ مِخْلَافَةٌ، وَالمِخْلَافُ عِنْدَ أَهْلِ اليَمَنِ عِبَارَةٌ عَنْ قُطْرٍ وَاسِعٍ، وَلَيْسَ تُعْرَفُ المَخَالِيفُ إِلَّا بِجِبَالِ اليَمَنِ، وَأَمَّا فِي التَّهَائِمِ فَلَيْسَ يُعْرَفُ(١)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ كِتَابُ «مَخَالِيفُ اليَمَنِ» لِلْمُؤَرِّخِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ رَحِمَهُ اللهُ.

ذِكْرُ تَغَلُّبِ الفُقَهَاءِ فِي حِصْنِ التَّعْكَرِ

وَلَمَّا أُخْرِجَ المَنْصُورُ بْنُ جَيَّاشٍ مِنْ زَبِيدٍ بِأَخِيهِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ جَيَّاشٍ(١) هَاجَرَ هُوَ وَعَبِيدُهُ إِلَىٰ المَلِكِ المُفَضَّلِ بْنِ أَبِي البَرَكَاتِ وَالْتَزَمُوا لَهُ عَلَىٰ النُّصْرَةِ رُبُعَ البِلَادِ، فَسَارَ المُفَضَّلُ مَعَهُمْ فَأَخْرَجَ عَبْدَ الوَاحِدِ وَمَلَكَهُمْ، ثُمَّ هَمَّ أَنْ يَغْدِرَ بِهِمْ وَيَمْلِكَ زَبِيدًا.

فَحِينَ خَلَا التَّعْكَرُ وَطَالَتْ إِقَامَتُهُمْ بِتِهَامَةَ، وَفِي التَّعْكَرِ نَائِبٌ لَهُ يُسَمَّىٰ الجَمَلَ، وَكَانَ هَذَا الجَمَلُ مُتَمَسِّكًا بِالدِّينِ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ إِلَىٰ التَّعْكَرِ سَبْعَةٌ مِنْ إِخْوَانِهِ الفُقَهَاءِ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ الوُحَاظِيُّ(٢)، وَمِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَىٰ، وَمِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَيْدَانَ، وَكَانَتْ لَهُ البَيْعَةُ، فَأَخَذُوا الحِصْنَ مِنَ الجَمَلِ، وَكَانَتِ الرَّعَايَا قَدْ قَالَتْ لِلْفُقَهَاءِ: إِذَا حَصَلْتُمْ فِي رَأْسِ الحِصْنِ فَأَوْقِدُوا النَّارَ، فَفَعَلوا(٣) ذَلِكَ لَيْلًا فَأَصْبَحَ عِنْدَهُمْ عَلَىٰ رَأْسِ(٤) الحِصْنِ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَاسْتَوْلَتِ الفُقَهَاءُ

---

(١) فِي المَطْبُوعِ حَصَلَ سَقْطٌ، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدُ مِنْ أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ»، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ مِنْهُ وَنَقَلَهُ هُوَ مِنْ نُسْخَةٍ فِيهَا خَلَلٌ، وَالمُثْبَتُ مِنَ الطَّبْعَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا عَبْدُ اللهِ الحَبَشِيُّ عَنِ المَخْطُوطَةِ الكَامِلَةِ لِلْكِتَابِ (ص٥٩).

(٢) نِسْبَةً إِلَىٰ وُحَاظَةَ: بِضَمِّ الوَاوِ، حِصْنٌ أَثَرِيٌّ فِي أَعْلَىٰ مَنْطِقَةِ شُبَاعٍ مِنْ جَبَلِ حُبَيْشٍ وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ إِبّ، وَلِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ عَنْ ذَلِكَ يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٥٨).

(٣) كَذَا فِي «المُفِيدِ»: (فَفَعَلُوا)، وَهُوَ الصَّوَابُ، وَوَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «فَفَعَلَ»، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٤) فِي «المُفِيدِ»: (عَلَىٰ بَابِ الحِصْنِ) وَوُصُولُهُمْ هُوَ لِلنَّجْدَةِ بَعْدَمَا رَأَوُا النَّارَ لَيْلًا، وَيُنْظَرُ تَعْلِيقُ =

عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْهَدُوهُ.

وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ المُفَضَّلِ بِتِهَامَةَ فَسَارَ مَسِيرَ ظَبِيٍ لَا يَلْوِي عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَىٰ التَّعْكَرِ (١)، فَقَامَتْ خَوْلَانُ فِي نُصْرَةِ الفُقَهَاءِ، وَأَقَامَ الحِصَارَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَيْدَانَ: لَنْ أَمُوتَ حَتَّىٰ أَقْتُلَ المُفَضَّلَ ثُمَّ أَهْلًا بِالمَوْتِ، فَعَمَدَ إِلَىٰ حَظَايَاهُ(٢) مِنَ السَّرَارِي فَأَخْرَجَهُنَّ فِي أَكْمَلِ زِيٍّ وَأَحْسَنِهِ وَجَعَلَ بِأَيْدِيهِنَّ الطَّارَاتِ وَأَطْلَعَهُنَّ عَلَىٰ سُقُوفِ القَصْرِ بِحَيْثُ يُشَاهِدُهُنَّ المُفَضَّلُ وَيَسْمَعُ هُوَ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ مِنْ تِلْكَ الأُمَمِ أَصْوَاتَهُنَّ.

وَكَانَ المُفَضَّلُ أَكْثَرَ النَّاسِ غَيْرَةً وَأَنَفَةً، فَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: امْتَصَّ خَاتَمًا كَانَ مُعَدًّا عِنْدَهُ فَأَصْبَحَ مَيِّتًا وَالخَاتَمُ فِي فِيهِ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَلَمَّا مَاتَ المُفَضَّلُ طَلَعَتِ الحُرَّةُ مِنْ ذِي جِبْلَةَ وَخَيَّمَتْ عَلَىٰ بَابِ التَّعْكَرِ، وَكَاتَبَتِ الفُقَهَاءَ وَلَاطَفَتْهُمْ إِلَىٰ أَنْ كَتَبَتْ لَهُمْ خَطَّهَا بِمَا اقْتَرَحُوهُ مِنْ أَمَانٍ وَأَمْوَالٍ، وَاشْتَرَطُوا عَلَيْهَا أَنْ تَرْحَلَ هِيَ وَجَمِيعُ الحُشُودِ وَتُوَصِّلُ إِلَيْهِمْ مَنْ تَرْضَاهُ وَالِيًا، وَوَلِيَ لَهَا التَّعْكَرَ مَوْلَاهَا(٣) القَائِدُ فَتْحُ ابْنُ القَائِدِ فَتْحٍ.

=

المُؤَرِّخ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص١٣٦).

(١) وَحصر الفُقَهَاء. «المُفِيدُ» (ص١٣٧).

(٢) أَيْ: صَوَاحِبِ المَنْزِلَةِ وَالمَكَانَةِ عِنْدَهُ.

(٣) وَقَعَ فِي النُّسَخِ: «مَوْلَانَا»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ»، وَالنَّقْلُ مِنْهُ.

حَدَّثَنِي[(١)] السُّلْطَانُ نَاصِرُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَيْدَانَ أَنَّهُ وَصَلَ نَصِيبُهُ مِنَ العَيْنِ خَمْسَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا، يَعْنِي دِينَارًا، لِمَا تَرَكُوهُ مِنْ حِصْنِ التَّعْكَرِ[(٢)].

* * *

(١) القَائِلُ: «حَدَّثَنِي» هُوَ عُمَارَةُ فِي كِتَابِهِ «المُفِيدُ»، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: (وَلَمَّا خَرَجَ المَنْصُورُ) إِلَىٰ هُنَا نَقَلَهُ المُصَنِّفُ مِنَ «المُفِيدِ» (ص١٣٦ - ١٣٧).

صِفَةُ بِنَاءِ ذِي جِبْلَةَ

بَنَىٰ بِذَاكَ الصُّلَيْحِيُّ فِي مِخْلَافِ جَعْفَرٍ، وَحُدُودُهَا بِالطُّولِ مِنْ نَقِيلِ صَيْدٍ(١) إِلَىٰ مَصَابِحَ(٢)، وَبِالعَرْضِ مِنْ سُوقِ وصفَاتَ إِلَىٰ حِصْنِ الطريمَةِ(٣) إِلَىٰ ذِي الأَسْوَدِ مِنْ حُدُودِ مِخْلَافِ حَبٍّ، وَتُسَمَّىٰ قَلْعَةَ النَّهْرَيْنِ؛ لِأَنَّ جَبَلَ التَّعْكَرِ مَا بَيْنَ أَيْمَنِ البَلَدِ وَشِمَالِهِ، وَمَجْمَعُ النَّهْرَيْنِ فِي آخِرِ البَلَدِ عِنْدَ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: وَادِي مَيْتَمَ(٤)، كَمَا قَالَ المَأْرِبِيُّ(٥) فِي بَعْضِ قَصَائِدِهِ، حَيْثُ يَقُولُ:

---

(١) نَقِيلُ صَيْدٍ: هُوَ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِـ«نَقِيلِ سُمَارَةَ»، وَيُنْظَرُ: «جَبَلُ صَيْدٍ» مِنْ «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٢٨)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٠).

(٢) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»: «مَصَابح»، وَأَمَّا «ج» فَلَمْ يُنْقَطِ البَاءُ.

(٣) كَذَا فِي «ب»: «الطريمَة»، وَلَمْ تُنْقَطْ فِي «أ»، وَفِي «ج»: «الطرعة».

(٤) وَادِي مَيْتَمَ: هُوَ أَسْفَلَ جَبَلِ «بَعْدَانَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٩٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٧).

(٥) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «المَازِنِيُّ» بَدَلَ «المَأْرِبِيُّ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالمَأْرِبِيُّ نِسْبَةً إِلَىٰ مَأْرِبٍ، وَهُوَ مُحَمَّد أَوْ مَحْمُودُ بْنُ زِيَادٍ المَأْرِبِيُّ، قَالَ الصَّفَدِيُّ فِي «الشُّعُورِ بِالعَوَرِ» مِنَ التَّرْجَمَةِ رَقْم (٦٥): «بِالمِيمِ وَالأَلِفِ وَالرَّاءِ وَالبَاءِ اليَمَنِيُّ كَانَ شَاعِرًا» اهـ، وَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودٍ، وَيُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ» (٤/ ١٣٣٨) لِابْنِ حَجَرٍ، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٤/ ٣٨) تَرْجَمَةٌ بِرَقْمِ (٢١٩٣) لِبَامَخْرَمَةَ، وَقَدْ حَصَلَ هَذَا التَّصْحِيفُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» لِيَاقُوتَ الحَمَوِيِّ، يُنْظَرُ (٢/ ١٠٦) و(٣/ ١٤٠)، وَكَذَلِكَ فِي «إِتْحَافُ الخِلَّانِ بِمَعَارِفِ مُعْجَمِ البُلْدَانِ» (٢/ ٨٢٢) ط. «دَارِ صَادِرٍ».

مَـا مِصْـرُ مَـا بَغْـدَادُ مَـا الطَّبَرِيَّـةُ كَمَدِينَـةٍ قَـدْ حَازَهَـا النَّهْـرَانِ
حَـدَدٌ لَهَـا شَـأْمٌ وَحَـبٌّ مُشْـرِقٌ وَكَـذَاكَ تَعْكَرُهَـا المُنِيـفُ يَمَـانِي[١]

وَلَهُ يَقُولُ:

لَيْسَ الخَوَرْنَقُ وَالسَّدِيرُ وَبَارِقٌ كَطَرَيْخَنِي كَلَّا وَلَا النُّعَمَانُ مِثْلَ الدَّبسَا هَطِلِ اليَدَيْنِ

وَقَالَ مُصْطَنَعُ[٢] الدَّوْلَةِ مَوَاهِبُ[٣] بْنُ جَدِيدٍ المُقْرِئُ[٤] يَمْدَحُ المَلِكَ المُفَضَّلَ بْنَ أَبِي البَرَكَاتِ بْنِ عَلَاءٍ[٥] الحِمْيَرِيَّ:

فَرَفَضْـتَهَا شَـوْقًا إِلَـىٰ ذِي جِبْلَـةٍ وَتَرَكْتَهَـا لِمُلُـوكِ أَهْـلِ المَشْـرِقِ

* * *

(١) الحَدَدُ: المَنْعُ.

(٢) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «مُضْطَبَعٌ» وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونَ» (١/ ١٣٩) الفَصْلُ العِشْرُونَ فِي أَحْوَالِ المَوَالِي وَالمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ.

(٣) مَوَاهِبُ، وَقِيلَ: مَوْهُوبٌ، وَقِيلَ: مَوَاهِيبُ، قَالَ عَنْهُ عُمَارَةُ فِي «المُفِيدُ» (ص٢٤٥): مِنَ الطَّارِئِينَ إِلَىٰ اليَمَنِ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، مُصْطَنَعُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَدِيدٍ المَغْرِبِيُّ، وَيُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (٢/ ٤٩٥)، وَ«العِقْدُ الفَاخِرُ الحَسَنُ» (٤/ ٢١٦٢).

(٤) كَذَا هُنَا: «المُقْرِئُ» وَعِنْدَ مَنْ تَرْجَمَ لَهُ: «المَغْرِبِيُّ».

(٥) وَقَعَ فِي «أ»، وَ«ب»: «عَلَىٰ» بَدَلَ «علاء»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَتُنْظَرُ تَرْجَمَةُ المُفَضَّلِ بْنِ أَبِي البَرَكَاتِ مِنَ «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٤٩٤).

وَنَذْكُرُ عجَائِبَ إِقْلِيمِ اليَمَنِ وَمَا فِيهَا مِنَ الغَرَائِبِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا حِصْنُ أَشْيَح[(١)]

وَمِمَّا ذَكَرَهُ عمَارَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ[(٢)] بْنِ عمَارَةَ فِي كِتَابِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ زَبِيدٍ» قَالَ: حَدَّثَنِي المُقْرِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَاسِينَ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: بِتُّ بِحِصْنِ أَشْيَحَ لَيَالِيَ كَثِيرَةً وَأَنَا عِنْدَ الفَجْرِ أَرَىٰ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي المَشْرِقِ وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ النُّورِ شَيْءٌ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَىٰ تِهَامَةَ نَظَرْتُ عَلَيْهَا مِنَ اللَّيْلِ ضَبَابًا يَمْنَعُ المَاشِي أَنْ يَعْرِفَ صَاحِبَهُ مِنْ قَرِيبٍ، وَكُنْتُ أَظُنُّ ذَلِكَ السَّحَابَ وَالبُخَارَ وَإِذَا هُوَ عَقَائِلُ اللَّيْلِ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُصَلِّيَ الصُّبْحَ إِلَّا عَلَىٰ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، إِنَّ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ يُؤَخِّرُونَ الصُّبْحَ إِلَىٰ أَنْ تَكَادَ الشَّمْسُ تَطْلُعُ عَلَىٰ وِهَادِ تِهَامَةَ[(٣)]، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ المَشْرِقَ مَكْشُوفٌ لِأَشْيَحَ مِنَ الجِبَالِ وَذِرْوَتُهُ عَالِيَةٌ[(٤)].

---

(١) أَشْيَحُ: حِصْنٌ شَهِيرٌ يَقَعُ فِي مَنْطِقَةِ ضُورَانَ مِنْ بَلَدِ «آنس»، وَهُوَ اليَوْمَ خَرَائِبُ وَأَطْلَالٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٥).

(٢) تَقَدَّمَ أَنَّهُ عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ، وَكِتَابُهُ مَطْبُوعٌ بِعُنْوَانِ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» بِتَحْقِيقِ المُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

(٣) وَيُنْظَرُ قَوْلُ الأَحْنَافِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ فِي «فَتْحِ القَدِيرِ» (١/ ٢٢٦) لِابْنِ الهُمَامِ ط. «دَارِ الفِكْرِ».

(٤) «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص١٢٧)، وَالمُصَنِّفُ يَتَصَرَّفُ فِي بَعْضِ العِبَارَاتِ.

وَهُوَ مَقَرُّ الدَّاعِي سَبَأِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الصُّلَيْحِيِّ، وَفِيهِ يَقُولُ عَبْدُ اللهِ(١) بْنُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ القُمِّ شِعْرًا:

وَلَمَّا مَدَحْتُ الهِبْرِزِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ ... أَجَازَ وَكَافَانِي عَلَىٰ المَدْحِ بِالمَدْحِ

فَعَوَّضَنِي شِعْرًا بِشِعْرِي وَزَادَنِي ... عَطَاهُ فَهَذَا رَأْسُ مَالِي وَذَا رِبْحِي

شَقَقْتُ إِلَيْهِ النَّاسَ حَتَّىٰ رَأَيْتُهُ ... فَكُنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلَامَ إِلَىٰ الصُّبْحِ

فَقُبِّحَ دَهْرٌ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ أَحْمَدٍ ... وَنُزِّهَ دَهْرٌ كَانَ فِيهِ مِنَ القُبْحِ(٢)

* * *

(١) صَوَابُهُ: الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ قُمَّ، مِنْ مَوَالِيدِ زَبِيدٍ، وَقَدْ تَرْجَمَ لَهُ وَأَوْرَدَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ فِي تَرْجَمَتِهِ الصَّفَدِيُّ فِي «الوَافِي بِالوَفَيَاتِ» (١٣/ ٥)، وَكَذَا تَرْجَمَ لَهُ الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ» (٣/ ١١٣٤).

(٢) هَذِهِ الأَبْيَاتُ ذُكِرَتْ فِي «نِهَايَةُ الأَرَبِ فِي فُنُونِ الأَدَبِ» (٣٣/ ١١٠) ط. «دَارِ الوَثَائِقِ القَوْمِيَّةِ» بِـ«القَاهِرَةِ».

وَنَجْدُ الحَنَشَيْنِ

مِنْ أَرْضِ بَنِي نَجَاحٍ، وَكَانَ فِي قَدِيمِ العَهْدِ تُسَمَّىٰ هَذِهِ الأَعْمَالُ أَعْمَالَ نَجْدٍ، وَمَا عُرِفَتْ بِالحَنَشَيْنِ إِلَّا أَنَّ صَاحِبَيْهِ تَقَاتَلَا وَتَعَاقَرَا، فَبَيْنَا هُمْ فِي قِتَالِهِمْ إِذْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ لَمْعُ بَرْقٍ أَحْرَقَهُمْ، وَيُقَالُ: بَلْ خُسِفَ مِنْ تَحْتِهِمْ فَنَزَلُوا فِي الخَسْفِ، وَالخَسْفُ بَاقٍ، وَهُوَ فِي قَدْرِ بِئْرٍ عَظِيمٍ لَيْسَ يُوجَدُ لَهُ قَرَارٌ، عُرِفَ النَّجْدُ بِالحَنَشَيْنِ، وَنَجْدُ الحَنَشَيْنِ مِنْ أَعْمَالِ الحَقْلِ[1] وَالكَفْلِ.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٨٥-٤٨٦).

وَحِصْنُ ثَرِيدَ[(١)]

بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلَام، فِي أَرْضِ بَنِي سَيْفٍ، وَهُوَ سُورٌ دَائِرٌ عَلَىٰ سَنَامِ جَبَلٍ عَالٍ شَاهِقٍ فِي الهَوَاءِ، وَفِي وَسَطِ الحِصْنِ بُحَيْرَةُ مَاءٍ قَدِيمٍ خَلَقَهُ اللهُ عَلَىٰ ظَهْرِ الجَبَلِ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ قَرَارٌ، وَهُوَ مَاءٌ عَذْبٌ، وَقَدْ يُرَىٰ فِيهِ مِنَ الأَسْمَاكِ وَدَوَابِّ البَحْرِ وَمَوْجٍ هَائِلٍ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ السُّورِ عَلَىٰ سَاحِلِهِ مُسْتَدَارٌ بِالبُحَيْرَةِ، وَبُنِيَ مِنْ دَاخِلِ السُّورِ ثَلَاثَةُ دُورٍ، لَا غَيْرُ، يَسْكُنُ فِي أَحَدِهِمْ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ، وَفِي الثَّانِي أَرْبَعَةٌ، وَفِي الثَّالِثِ خَمْسَةُ رِجَالٍ، يَصِحُّ عَدَدُ القَوْمِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا رُتْبَةً، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الغُزِّ[(٢)] عَلَىٰ أَخْذِهَا مِنْ أَرْبَابِهَا بَنِي سَيْفٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ بِهِ شَجَرَةً يَصِحُّ طُولُهَا ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ، قَطُّ مَا أَوْكَرَ عَلَيْهَا طَيْرٌ إِلَّا وَقَعَ مِنْ سَاعَتِهِ مَيِّتًا، وَلَا يَزَالُ تَحْتَهَا طُيُورٌ مَوتَىٰ مِنْ كُلِّ فَنٍّ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ [المُهَنَّا][(٣)] الصَّفَّارُ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي بِلَادِ البَرَابِرِ شَجَرًا يُوجَدُ تَحْتَهَا قِرَدَةٌ مَيِّتَةٌ فَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ عَنْ حَالِ قِصَّةِ القُرُودِ فَقَالَ: إِنَّ تِلْكَ

---

(١) وَسَيَأْتِي ذِكْرُ سَبَبِ تَسْمِيتِهِ بِذَلِكَ، وَذَكَرَهُ الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٧٨) وَقَالَ: يُقَالُ: إِنَّ فِي وَسَطِهِ عَيْنًا تَفُورُ فَوَرَانًا عَظِيمًا.

(٢) التُّرْك.

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ «ج».

الشَّجَرَةَ شَجَرَةُ السُّمِّ الَّذِي يُغْلَىٰ حَطَبُه يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ سُمٌّ، وَيَجْعَلُونَهُ فِي نشَاشِيبِهِمْ[(١)]، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النّشَابَاتِ وَلَمْ يُقَوِّرِ[(٢)] اللَّحْمَ وَالجُرْحَ مَعًا مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، يَجِيئُونَ القِرَدَةُ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمرِهَا، لِأَنَّهُ يَكُونُ حُلْوًا فَيَمُوتُونَ كَمَا تَرَوْنَهُمْ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا يَمُوتُ مِنَ القِرَدَةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ يَكُونُ فِي بَطْنِهِ جِرَاحٌ أَوْ مَرَضٌ يَصِلُ سُمُّ الشَّجَرَةِ إِلَىٰ الجُرْحِ فَيَخْتَلِطُ بِالدَّمِ وَيَمُوتُ وَيَرْجِعُ بِسَبَبِهِ مَرْمِيًّا شِبْهَ جِذْعِ نَخْلٍ مُنْصَرِمٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ شَجَرَةُ سُمٍّ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ العِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لِي: إِنَّ فِي أَرْضِ الزَّنْجُبَارِ شَجَرَةً تُسَمَّىٰ نَار وَلَا يَمَسُّهَا أَحَدٌ إِلَّا احْتَرَقَ مِنْ وَقْتِهِ.

ومَا اشْتُقَّ حِصْنُ ثَرِيدَ إِلَّا مِنْ ثَرِيدِ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ، أَيْ كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الحِصْنَ يَبْقَىٰ إِقْلِيمُ اليَمَنِ قُدَّامَهُ شِبْهَ جِفْنَةِ ثَرِيدٍ يَأْكُلُ مَا أَرَادَ، أَيْ يَمْلِكُ مَا اشْتَهَىٰ وَأَرَادَ.

وَفِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ زَرَعَتْ جَمِيعُ جِبَالِ اليَمَنِ الفُوَّةَ وَبَطَّلُوا زِرَاعَةَ الغِلَالِ، لِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَزْرَعُ الحِنْطَةَ وَالشَّعِيرَ، وَمَا كَانَ يغل كُلُّ جَرِيبٍ[(٣)] إِلَّا خَمْسَةَ دَنَانِيرَ مَلَكِيَّة، فَزَرَعُوا الفُوَّةَ فَغَلَّ لَهُمُ الجَرِيبُ سِتِّينَ دِينَارًا، وَابْتَاعَتِ

---

(١) أَيْ: سِهَامِهِمْ.

(٢) أَيْ: يَقْطَعْ.

(٣) الجَرِيبُ: هُوَ المِكْيَالُ، وَيُسَاوِي أَرْبَعَةَ أَقْفِزَةٍ، وَتَسْوَىٰ بِالصَّاعِ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ صَاعًا.

الفُوَّةُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِعَدَنَ البِهَارَ بِسِتَّةٍ وَسَبْعِينَ دِينَارًا، فَلَمَّا رَأَتِ الخَلْقُ مَا رَأَتْ قَالُوا: نَتْرُكُ غَيْرَهُ وَنَزْرَعُهُ، فَزَرَعُوهُ حَتَّىٰ الخَدَمُ وَالجَوَارِي وَالنِّسَاءُ وَالمَشَايِخُ وَالغَنِيُّ، وَبَقُوا إِلَىٰ أَنْ مَلَكَ المَلِكُ المَسْعُودُ يُوسُفُ(١) بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، فَأَخَذَ جَمِيعَ الفُوَّةِ وَلَمْ يُخَلِّ لِأَحَدٍ وَزْنَ أُوقِيَّةٍ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مُبَاحٌ مُسْتَهْلَكٌ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٢/ ٣٣١) بِرَقْمِ (٢٠١) لِلذَّهَبِيِّ.

وَمَثَابَة فِيهِ بَذْرُ الفِضَّةِ

وَأَهْلُهَا قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو نِهْمٍ، وَفِي سَوَارِقِ صَعْدَةَ انْبَاعَ[1] وَلَوْ أَنَّهُ مَنْ كَانَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ جَلَبَ زَيْدٌ عَبْدًا يُرِيدُ بَيْعَهُ فِي السُّوقِ فَقَالَ العَبْدُ لِسَيِّدِهِ زَيْدٍ: اصْعَدْ عَلَىٰ هَذَا الحَجَرِ نَادِ عَلَىٰ زَيْدٍ، فَلَمَّا صَعِدَ نَادَىٰ العَبْدُ عَلَىٰ زَيْدٍ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا العَبْدَ؟ فَاشْتُرِي مِنْهُ فَبَاعَ العَبْدُ لِزَيْدٍ وَأَخَذَ ثَمَنَهُ وَرَاحَ.

❊ ❊ ❊

(١) أَيِ: ابْتَاعَ.

مِنْ ذِي جِبْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ

مِنْ ذِي جِبْلَةَ إِلَىٰ القُرَيْنِ(١) فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ السَّحُولِ فَرْسَخَانِ، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَجُ فِيهِ الثِّيَابُ السَّحُولِيَّةُ، وَكُفِّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَوْبَيْنِ(٢) مِنْهَا، وَهَذَا الوَادِي لِبَنِي أَصْبَحَ، قَوْمِ الفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مَالِكِ(٣) بْنِ أَنَسٍ الأَصْبَحِيِّ، إِمَامِ دَارِ الهِجْرَةِ(٤).

وَإِلَىٰ ذِرَاعِ الكَلْبِ(٥) فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ قَلْعَةِ إِبَّ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ المغربَةِ(٦) فَرْسَخَانِ، بِنَايَةُ المَلِكِ المُعِزِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ طُغْتِكِينَ، وَإِلَىٰ المَعْبَرِ(٧) فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ حِصْنِ سَمَاوِي فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ جَدْرَةِ نَقِيلِ صَيْدٍ(٨) فَرْسَخٌ، وَهُوَ مَدْرَجٌ، دَرَّجَهُ

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ٢٧١)، وَهَذِهِ غَيْرُ القُرَيْنِ المُتَقَدِّمِ فِي الكَلَامِ عَنْ جُدَّةَ، ذَاكَ آخِرُ جِهَةِ بَحْرَةَ التَّابِعَةِ لِمَدِينَةِ جُدَّةَ.

(٢) بَلْ فِي ثَلَاثَةٍ كَمَا جَاءَ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٣) وَالإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُعَرَّفَ بِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) وَدَارُ الهِجْرَةِ هِيَ المَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هَاجَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ عَالِمَهَا حَتَّىٰ إِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: لَا يُفْتَىٰ وَمَالِكٌ فِي المَدِينَةِ.

(٥) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٤٥).

(٦) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٩٦).

(٧) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٧١).

(٨) نَقِيلُ صَيْدٍ: هُوَ مَا يُعْرَفُ اليَوْمَ بِـ«نَقِيلِ سُمَارَةَ»، وَيَقَعُ مَا بَيْنَ مَدِينَتَيْ «إِبَّ» وَ«يرِيمَ» فِي مُنْتَهَىٰ حَقْلِ

المَلِكُ الأَعَزُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ. وَقَالَ:

وَأَسْكَنْتُ العِرَاقَ خِيَارَ قَوْمِي وَأَسْكَنْتُ النَّبِيطَ قُرَىٰ قِتَابِ[1]

وَقِتَابٌ[2] هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الحَقْلِ، وَالحَقْلُ مِنْ وَادِي صَيْدٍ، وَيَنْزِلُ مِنْ ذِرْوَةِ النَّقِيلِ عَيْنُ مَاءٍ تُسَمَّىٰ بِالجَبَلِ إِلَىٰ حَوْضٍ، وَفِي الحَوْضِ حَوْضٌ صَغِيرٌ، وَفِي الحَوْضِ الصَّغِيرِ سِرْبٌ يَنْزِلُ المَاءُ فِيهِ، لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ إِلَىٰ أَيْنَ يَجْرِي.

وَإِلَىٰ ضَرْبَةِ[3] عَمْرٍو فَرْسَخٌ، وَهِيَ ضَرْبَةُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ العَامِرِيِّ فِي حَجَرٍ غَاصَ سَيْفُهُ فِي لُبِّ الحَجَرِ كَمَا تَغُوصُ الشَّفْرَةُ فِي قَالَبِ جُبْنٍ طَرِيٍّ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ضَرْبِهِ الحَجَرَ أَنَّهُ تَبِعَهُ قَوْمٌ مِنَ العَرَبِ، وَالأَصَحُّ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ، وَيُقَالُ: الحُبُوشُ، فَلَمَّا ضَجِرَ مِنْهُمْ ضَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً، فَلَمَّا رَأَتِ الحُبُوشُ ذَلِكَ رَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ رَاجِعِينَ، وَيُقَالُ: لَمَّا نَظَرَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الضَّرْبَةَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا بِيَدٍ غَالِبَةٍ فَخَرَجَ إِلَىٰ العِرَاقِ مُسْتَنْجِدًا بِكِسْرَىٰ فَأَعْطَاهُ كِسْرَىٰ جَيْشًا مَلَكَ بِهِمُ اليَمَنَ.

=

قِتَاب. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٦١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٠).

(١) قِتَاب: بِكَسْرٍ فَفَتْحِ التَّاءِ، حَقْلٌ وَاسِعٌ فِي مَنْطِقَةِ «إِرْيَاب» مِنْ مَدِينَةِ «يَرِيم» وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «إِبَّ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٢٤٥).

(٢) قِتَابٌ: بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ، تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا قَرِيبًا.

(٣) وَضَرْبَةُ أَوِ الضَّرْبَةُ: قَرْيَةٌ فِي طَرَفِ قَاعِ الحَقْلِ أَسْفَلَ نَقِيلِ سُمَارَةَ مِنَ المَشْرِقِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ القَدِيمَةِ وَقُرْبِ قَرْيَةِ «قِتَاب» الَّتِي يُقَالُ لَهَا اليَوْمَ: «كِتَاب»، وَفِيهَا مَسْجِدٌ أَثَرِيٌّ قَدِيمٌ يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ عِمَارَةِ الصَّحَابِيِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٤٤).

فَلَمَّا ثَبَتَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ فِي مُلْكِ اليَمَنِ وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ إِلَىٰ الحِجَازِ، وَهُوَ الَّذِي بَرَزَ إِلَيْهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، وَكَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثًا وَقَالَ: «بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَىٰ الشِّرْكِ كُلِّهِ»، وَقُتِلَ عَلَىٰ يَدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الوَقْعَةِ(١)، كَمَا قَالَ:

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا ... مِنَ عَجَمٍ كُنْتَ أَوْ مِنَ العَرَبِ
إِنَّ الفَتَىٰ مَنْ يَقُولُ: هَا أَنَا ذَا ... لَيْسَ الفَتَىٰ مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي

وَإِلَىٰ مَنْزِلِ الأَصَمِّ فَرْسَخٌ، وَمَا عُرِفَ بِهَذَا الاِسْمِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَلَ إِلَىٰ هَذَا المَوْضِعِ رَجُلٌ أَصَمُّ، أَيْ أَطْرُوشٌ، فَسَمِعَ دَوِيَّ جَرْيِ المَاءِ تَحْتَ الأَرْضِ فَحَفَرَ آبَارًا، وَيُقَالُ: أَنْهُرًا، وَسَكَنَ بِهِ فَعُرِفَ بِهِ، وَإِلَىٰ دَارِ الضَّيْفِ فَرْسَخٌ، سَكَنَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ وَكَتَبَ عَلَىٰ بَابِهِ فِي الصَّخْرِ:

أَلَا مَنْ وَصَلَ إِلَىٰ الدَّارِ فَلَا يُعَدِّي ... لِأَنَّ فِي الدَّارِ رَجُلًا يُغَدِّي

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَعَجِبْتُ مِنْهُ كَيْفَ لَمْ يَكْتُبْ:

أَلَا مَنْ وَصَلَ إِلَىٰ الدَّارِ فَلَا يُمَشِّي ... لِأَنَّ فِي الدَّارِ رَجُلًا يُعَشِّي

وَالكَتْبُ إِلَىٰ الآنَ بَاقٍ عَلَىٰ حَالِهَا.

وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنُ حَمْدَانَ فِي المَعْنَىٰ:

نَارٌ عَلَىٰ شَرَفٍ تَأَجْـ ... ـجَجُ لِلضُّيُوفِ السَّارِيَهْ

---

(١) «السِّيرَةُ» (ص١١٠) لِابْنِ إِسْحَاقَ، وَ«تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٥٧١) بِسَنَدٍ مُرْسَلٍ.

يَــا نَــارُ إِنْ لَــمْ تَجْلِبِــي ضَــيْفًا فَلَسْــتِ بِنَارِيَــهْ

وَصِفَةُ جَبَلِ السُّلْطَانِ الأَعْظَمِ بَهْرَامِ بْنِ شَاهْ بْنِ مَسْعُودٍ مَا وَهَبَ لِأَحَدٍ مَالًا إِلَّا وَهَبَ مَعَ المَالِ خَلْقًا اسْتَوْجَبُوا القَتْلَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: أَمَّا المَالُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قِيمَةٌ وَلَا قَدْرٌ وَلَا مَحَلٌّ إِلَّا لَوْ وُهِبَتِ الأَرْوَاحُ، كَمَا قَالَ البَارِكلُ فِي المَعْنَىٰ:

كُــلٌّ لَــهُ ثَمَــنٌ يُبَــاعُ بِمِثْلِــهِ إِلَّا النُّفُــوسُ فَمَــا لَــهُ أَثْمَــانُ[(١)]

وَإِلَىٰ الملَاوِي[(٢)] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الحِزْيَزِ[(٣)] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ مَدَارَةَ[(٤)] فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ نَقِيل يَسْلِحَ[(٥)] فَرْسَخَانِ صُعُود، وَإِلَىٰ حدَارَانِ فَرْسَخٌ حُدُور، وَإِلَىٰ حبَارَىٰ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ غَيْلِ البَرْمَكِيِّ[(٦)] فَرْسَخَانِ، مَاءٌ جَارٍ، فَلَمَّا قَتَلَ الإِمَامُ أَبُو

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: (فمَا لَهُ أَثْمَان).

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٣٤).

(٣) حِزْيَزُ: بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ فِي جَنُوبِ صَنْعَاءَ بِمَسَافَةِ (٨) كِيلُو، تَقَعُ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ الجَنُوبِيَّةِ لِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٥٦).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤٥٧).

(٥) هُوَ المَعْرُوفُ بِنَقِيلِ يَسْلِحَ عَلَىٰ خَطِّ طَرِيقِ صَنْعَاءَ الجَنُوبِيَّةِ المُتَّجِهَةِ إِلَىٰ ذَمَار. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٦٠)، وَقَعَ هُنَا «سلح»، وَهُوَ خَطَأٌ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٨).

(٦) قَالَ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٢٢٢): غَيْلُ البَرْمَكِيِّ: هُوَ نَهْرٌ يَشُقُّ صَنْعَاءَ اليَمَنِ، وَفِيهِ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

وَاعَوِيلًا إِذَا غَابَ الحَبِيبُ عَنْ حَبِيبِهْ إِلَىٰ مَنْ يَشْتَكِــي

يَشْتَكِي إِلَىٰ وَالِــي البَلَــد وَدُمُوعُه مِثْلُ غَيْلِ البَرْمَكِي

=

مُحَمَّدٍ هَارُونُ الرَّشِيدُ جَمِيعَ البَرَامِكَةِ هَرَبَ إِنسَانٌ مِنْهُمْ وَسَكَنَ صَنْعَاءَ، فَلَمَّا وَجَدَ قِلَّةَ المَاءِ عَلَىٰ أَهْلِهَا اشْتَرَىٰ أَرْضَ قَاعِ عَبَّادِ بْنِ الفَخْرِ وَحَفَرَ بِهَا نَهْرًا عَظِيمًا، وَيُقَالُ: إِنَّ مَعِينَ النَّهْرِ هُوَ مِنْ أَرْضِ العِرَاقِ، فَلَمَّا تَمَّ جَرَيَانُ الغَيْلِ أَوْقَفَهُ عَلَىٰ ضُعَفَاءِ صَنْعَاءَ، فَعُرِفَ الغَيْلُ بِالبَرْمَكِيِّ، وَيُقَالُ: بَلِ الَّذِي حَفَرَهُ بَرْمَكُ الذَّهَبِ، أَيْ مَا قَصَرَ فِي خَرْجِ الذَّهْبِ عَلَىٰ حَفْرِهِ.

وَإِلَىٰ صَنْعَاءَ فَرْسَخَانِ.

❊ ❊ ❊

=

وَهَذَا شِعْرٌ غَيْرُ مَوْزُونٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَلْحُونٌ، أَوْرَدْنَاهُ كَمَا سَمِعْنَا مِنَ الشَّيْخِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرَّيْحَانِيِّ صَدِيقِنَا أَيَّدَهُ اللهُ.

بِنَاءُ صَنْعَاءَ

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّ شِيثَ بْنَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَنَىٰ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ وَغَرَسَ بِظَاهِرِهَا بُسْتَانَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْمَنَ الدَّرْبِ وَالثَّانِي أَيْسَرَهُ، وَهُمَا بِطُولٍ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ العِرَاقِ مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ.

حَدَّثَنِي السُّلْطَانُ جَمِيلٌ: بَنَىٰ بِهِ سَامُ بْنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ المُقَامِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ يَدُورُ العَالَمَ عَلَىٰ مَوْضِعِ هَواءِ خَفِيفِ المَاءِ مُعْتَدِلِ الأَرْضِ فِي الصِّحَّةِ لِيُسَكِّنَ مَا بِهِ مِنَ الأَلَمِ، فَوَجَدَ أَرْضًا مُوَافِقَةً لِطَبْعِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ صَنْعَاءَ زَالَ عَنْهُ الأَلَمُ. وَحِينَئِذٍ صَعِدَ عَلَىٰ جَبَلِ نُقُمْ[1] فَسَكَنَهُ وَقَالَ لِأَهْلِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَتْبَاعِهِ: لِيَعْمُرَ كُلٌّ مِنْكُمْ مَسْكَنًا يَسْكُنُهُ، فَعَمَرَتِ الخَلْقُ المَسَاكِنَ فَرَجَعَتْ مَدِينَةً طُولُهَا وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ سَبْعَةِ فَرَاسِخَ، وَكَانَتْ أَعْمَالُهَا تَنْفُذُ إِلَىٰ البَصْرَةِ، وَبَقِيَتِ الطَّرِيقُ مَسْلُوكَةً عَامِرَةً إِلَىٰ أَنْ عَلَاهُ الرَّمْلُ فَقَطَعَهُ.

وَبَنَىٰ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَامِعِهِ بِئْرًا، وَهِيَ أَوَّلُ بِئْرٍ حُفِرَتْ فِي عَالَمِ الكَوْنِ

---

(١) نُقُمْ: بِضَمِّ النُّونِ وَالقَافِ وَسُكُونِ المِيمِ، وَهُوَ الجَبَلُ المُطِلُّ عَلَىٰ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ مِنَ الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٥٨) وَقَدِ اتَّخَذَتْهُ الحُكُومَةُ فِي عَهْدِ عَلِي عَبْدِ اللهِ صَالِح مَخَازِنَ لِأَسْلِحَةِ الصَّوَارِيخِ وَغَيْرِهَا، فَصَارَ نُقُمْ نِقْمَةً عَلَىٰ أَهْلِ صَنْعَاءَ أَيَّامَ حَرْبِ الحُوثِيِّ وَالتَّحَالُفِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦١).

وَالفَسَادِ، وَأَدَارَ سُورَهَا المَلِكُ الأَغَرُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ المُعَلِّمُ الصُّلَيْحِيُّ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ وَرَكَّبَ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ: بَابَ غُمْدَانَ يَنْفُذُ إِلَىٰ اليَمَنِ، وَبَابَ دِمَشْقَ يَنْفُذُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَبَابَ الشَّيْخَةِ يَنْفُذُ إِلَىٰ مَحَلَّةِ الشَّيْخَةِ، وَهُمُ المَجْذُومُونَ، وَبَابَ خَنْدَقِ الأَعْلَىٰ يَدْخُلُ مِنْهُ السَّيْلُ، وَبَابَ خَنْدَقِ الأَسْفَلِ يَخْرُجُ مِنْهُ السَّيْلُ يَسْقِي الأَرْضَ، وَبَابَ النَّصْرِ يَنْفُذُ إِلَىٰ جَبَلِ نُقُمَ وَبَرَاشَ[(١)]، وَبَابَ شَرْعَةَ يَنْفُذُ إِلَىٰ بُسْتَانِ السِّرِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) بَرَاش: جَبَلٌ عَظِيمٌ مُتَّصِلٌ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِـ«جَبَلِ نُقُمْ» المُطِلِّ عَلَىٰ مَدِينَةِ «صَنْعَاءَ» يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهُ عَنْ سَطْحِ البَحْرِ (٢٩٠٠) مِتْرًا، وَفِيهِ آثَارٌ قَدِيمَةٌ وَكُهُوفٌ مَنْحُوتَةٌ وَسُدُودٌ لِحِفْظِ المَاءِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٤٩).

ذِكْرُ قَصْرِ غُمْدَانَ(١)

أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَأَ فِي بِنَائِهِ سَامُ بْنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا بَنَىٰ صَنْعَاءَ، وَيُقَالُ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلَام، لَمَّا دَخَلَ اليَمَنَ يَتَزَوَّجُ بِلْقِيسَ، وَكَانَتِ التَّبَابِعَةُ مِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ لَهُمْ رَغْبَةٌ نَفِيسَةٌ وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ فِي عِمَارَتِهِ، وَكُلُّ مَلِكٍ تَوَلَّىٰ مِنْهُمْ كَانَ يُعْلِي قَصْرًا عَلَىٰ قَصْرٍ حَتَّىٰ ارْتَفَعَتْ تِلْكَ القُصُورُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَقْفًا، وَيُقَالُ: ثَلَاثَةً وَتِسْعِينَ سَقْفًا.

وَآخِرُ مَنْ بَنَىٰ بِهِ أَسْعَدُ الكَامِلُ، وَيُقَالُ: أَسْعَدُ الخُزَاعِيُّ، قَصْرًا مِنْ زُجَاجٍ وَهُوَ الخَاتِمَةُ.

أَنْشَدَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ دَارِي بْنِ أَبِي بَكْرٍ العَنْبَرِيُّ لَيْلَةَ الأَحَدِ الخَامِسِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ:

---

(١) هُوَ قَصْرٌ قَدِيمُ البِنَاءِ كَان فِي مَدِينَةِ «صَنْعَاءَ»، وَيُقَالُ: إِنَّ بَانِيَهُ هُوَ إِيْل شرح يحضب بْن فرع ينهب المَلِكُ الخَامِسُ مِنْ مُلُوكِ سَبَأَ وَذِي رِيدَانَ، وَقِيلَ غَيْرُهُ كَمَا سَيَأْتِي عَنِ المُصَنِّفِ، وَقَدْ تَهَدَّمَ قَدِيمًا فِي القَرْنِ السَّادِسِ المِيلَادِيِّ، وَقَدْ نُقِلَتْ أَحْجَارُهُ وَأُسْطُوَانَاتُهُ وَبَعْضُ النُّقُوشِ لِبِنَاءِ «الجَامِعِ الكَبِيرِ» بِصَنْعَاءَ أَيَّامَ الدَّوْلَةِ اليَعْفُرِيَّةِ الحَوَالِيَّةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١١٨٤) بِاخْتِصَار، وَيُنْظَرُ مَزِيدَ فَائِدَةٍ لِذَلِكَ «الإِكْلِيلُ» (٨/ ٤٥ - ٤٧) لِلْهَمْدَانِيِّ.

لَا يَأْخُذُ الثَّأْرَ إِلَّا كَابْنِ ذِي يَزَنٍ ... إِذْ صَيَّرَ البَحْرَ لِلأَعْدَاءِ أَحْوَالَا

أَتَىٰ هِرَقْلًا وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الَّذِي سَالَا

ثُمَّ انْثَنَىٰ نَحْوَ كِسْرَىٰ بَعْدَ سَابِعَةٍ ... مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالمَالَا

حَتَّىٰ أَتَىٰ بِبَنِي الأَحْرَارِ يَقْدُمُهُمْ ... تَخَالُهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ أَجْبَالَا

غُلْبٌ أَسَاوِرَةٌ بِيضٌ مَرَازِبَةٌ ... أُسْدٌ تَرَبَّبُ فِي الغِيضَاتِ أَشْبَالَا[(١)]

للهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ صُبُرٍ ... مَا إِنْ رَأَيْتَ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا

أَرْسَلْتَ أُسْدًا عَلَىٰ سُودِ الكِلَابِ فَقَدْ ... أَضْحَىٰ وَشِيكُهُمُ فِي الأَرْضِ أَفْلَالَا

فَالْطِطْ بِمِسْكٍ إِذَا شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ... وَأَسْبِلِ اليَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا

وَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا

تِلْكَ المَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا[(٢)]

حَدَّثَنِي قَاضِي الجَبَلِ مِنْ آلِ الصُّلَيْحِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ لَفْظِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ الحُسَيْنِيِّ قَالَ: إِنَّ أَوَاخِرَ فَيْءِ قَصْرِ غُمْدَانَ كَانَ يَصِلُ إِلَىٰ وَادِي الظَّهْرِ[(٣)]، قُلْتُ: كَمْ يَكُونُ بَيْنَهُمْ مِنَ المَسَافَةِ؟ قَالَ: مِثْلُ مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ

---

(١) تَرَبَّبُ: مِنَ التَّرْبِيَةِ، وَالغِيضَاتُ: جَمْعُ غِيضَةٍ، وَهِيَ الشَّجَرُ الكَثِيرُ المُلْتَفُّ، وَقَدْ تَصَحَّفَتِ الكَلِمَتَانِ فَصَوَّبْتُ ذَلِكَ مِنْ مَصَادِرِ ذِكْرِ الأَبْيَاتِ.

(٢) هَذِهِ الأَبْيَاتُ ذُكِرَت فِي «تَارِيخِ اليَعْقُوبِيِّ» (١/ ١٧٢) فَقَدْ أَوْرَدَ فِيهِ بَعْضَهَا، وَ«السِّيرَةِ» (١/ ٦٦) لِابْنِ هِشَامٍ، وَ«تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ١٤٧)، وَ«البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٣/ ١٦٣).

(٣) وَادِي ظَهْرٍ: هُوَ أَحَدُ مُتَنَزَّهَاتِ صَنْعَاءَ الشَّمَالِيَّةِ، وَفِيهِ الأَعْنَابُ وَأَنْوَاعٌ مِنَ الأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ، يَقَعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَكَانَ يَتَخَلَّلُهُ نَهْرٌ عَظِيمٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٤٦)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ =

الزَّرِيبَةِ[(١)]، وَمِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ الزَّرِيبَةِ مِقْدَارُ فَرْسَخٍ زَائِدٍ لَا نَاقِص.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ يَصِلُ فَيْءُ القَصْرِ إِلَىٰ وَادِي الظَّهْرِ إِذَا قَرُبَتِ الشَّمْسُ لِلغُرُوبِ، لِأَنَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الحِينِ يَكُونُ الظِّلُّ وَالفَيْءُ إِلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ مِثْلُ الشَّيْءِ ثَلَاثَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، كَمَا يُقَالُ، بُنْيَانُهُ بَلْ ضِيَاءُ سُرُجِهِ كَانَ يُنْظَرُ مِنَ المَدَائِنِ وَقِيلَ: إِلَىٰ المَدِينَةِ.

وَبَقِيَ القَصْرُ عَلَىٰ حَالِهِ إِلَىٰ أَيَّامِ خِلَافَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁، قَعَدَ بَعْضَ اللَّيَالِي بِظَاهِرِ المَدِينَةِ إِذْ نَظَرَ فِي الجَوِّ شَيْئًا يُضِيءُ شِبْهَ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَفِي خَدَمتِهِ: إِنَّ ضَوْءَ هَذَا ضَوْءُ شَمْعَةٍ تُشْعَلُ عَلَىٰ أَعْلَىٰ قَصْرِ غُمْدَانَ بِصَنْعَاءَ، فَأَمَرَ بِهَدْمِهِ فَهُدِمَ[(٢)]، فَالآنَ بَقِيَ تَلٌّ

=

بِرَقْمِ (٦٢) و(٦٣).

(١) الزَّرِيبَةُ: قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فِي «زَبِيدٍ»، وَهِيَ مِنْ مَسَاكِنِ الزَّرَانِيقِ، لَهَا ذِكْرٌ فِي التَّارِيخِ، فَقَدْ نَزَلَهَا المَلِكُ الظَّافِرُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ طَاهِرٍ سَنَةَ (٨٩٩هـ) وَمِنْ أَخْبَارِهَا أَنَّهَا تَعَرَّضَتْ لِلْحَرِيقِ سَنَةَ (٩١٢هـ) و(٩١٤هـ) وَأَخِيرًا احْتَرَقَتْ جَمِيعُهَا سَنَةَ (٩١٨هـ) ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهَا الحَيَاةُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٤١).

(٢) الَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ الَّذِي هَدَمَهُ هُوَ عُثْمَانُ ﵁، فَقَدْ ذَكَرَ هَذَا أَبُو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ (ت: ٤٨٧هـ) فِي كِتَابِهِ «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ» (١/ ١٧١) فَذَكَرَ قَصْرَ غُمْدَانَ وَقَالَ: وَخَرَّبَهُ عُثْمَانُ. اهـ. لَكِنْ مُمْكِن يُقَالُ: إِنَّ عُمَرَ ﵁ هُوَ الَّذِي حَضَّ عَلَىٰ ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ، فَقَدْ ذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «رَبِيعُ الأَبْرَارِ» (١/ ٢٧٤) أَنَّ عُمَرَ ﵁ قَالَ: لَا تَسْتَقِيمُ إِمَارَةٌ لِلْعَرَبِ مَا دَامَ فِيهَا غُمْدَانُهَا. وَلَمَّا أَوْرَدَ النُّوَيْرِيُّ (ت: ٧٣٢هـ) فِي كِتَابِهِ «نِهَايَةُ الأَرَبِ فِي فُنُونِ الأَدَبِ» (١/ ٣٨٥) هَذَا الأَثَرَ أَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الَّذِي حَضَّ عُثْمَانَ عَلَىٰ هَدْمِهِ. اهـ. فَعَلَىٰ هَذَا يُقَالُ: إِنَّ عُمَرَ حَضَّ

=

عَظِيمٌ، وَقَدْ بَنَىٰ مَوْضِعَ القَصْرِ بَدْرُ الدِّينِ حَسَنُ[(١)] بْنُ عَلِيِّ بْنِ رَسُولٍ قَصْرًا عَظِيمَ الهَيْكَلِ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: مَا بَنَىٰ قَصْرَ غُمْدَانَ إِلَّا امْرَأَةٌ تُسَمَّىٰ الزَّبَّاءَ[(٢)]، وَأَمَرَتْ أَنْ يُجْعَلَ فَوْقَ كُلِّ قَصْرٍ قَصْرًا طَوِيلًا، كُلُّ قَصْرٍ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِالعُمْرَىٰ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ فِي ارْتِفَاعِ مِثْلِهِ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ[(٣)] بْنُ الحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ اللُّغَوِيُّ الأَزْدِيُّ فِي ذَلِكَ:

وَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَصْرًا[(٤)] وَهِيَ مِنْ ... عُقَابِ لُوحِ الجَوِّ أَعْلَىٰ مُنْتَمَىٰ[(٥)]

وَسَيْفُ اسْتَعْلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ ... حَتَّىٰ رَمَىٰ أَبْعَدَ شَأْوِ المُرْتَمَىٰ

فَجَرَّعَ الأُحْبُوشَ سُمًّا نَاقِعًا ... وَاحْتَلَّ مِنْ غُمْدَانَ مِحْرَابَ الدُّمَىٰ

=

عَلَىٰ هَدْمِهِ وَعُثْمَانَ هَدَمَهُ. قَالَ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٢١١): وَهُدِمَ غُمْدَانُ فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «العِقْدُ الفَاخِرُ الحَسَنُ فِي طَبَقَاتِ أَكَابِرِ أَهْلِ اليَمَنِ» (٢/ ٧٠٢) بِرَقْمِ (٣٠٠) لِلْخَزْرَجِيِّ.

(٢) هِيَ المَلِكَةُ الزَّبَّاءُ ابْنَةُ عَمْرِو بْنِ الظَّرِبِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ أُذَيْنَةَ بْنِ السُّمَيْدَعِ، يُنْظَرُ: «مُلُوكُ حِمْيَرَ وَأَقْيَالِ اليَمَنِ» (ص١٧٢) لِنَشْوَانَ الحِمْيَرِيِّ، وَلَهَا تَرْجَمَةٌ فِي «أَعْلَامِ النِّسَاءِ» (٢/ ٦) لِكَحَّالَةَ.

(٣) المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٣٢٣هـ) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «البُلْغَةُ فِي تَارِيخِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ» بِرَقْمِ (٣١٠) لِلْفَيْرُوزَآبَادِيِّ.

(٤) كَذَا فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ: «قَصْرًا»، وَأَمَّا فِي المَصَادِرِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا فَإِنَّ فِيهَا: «قَسْرًا» بِالسِّينِ، مِنْهَا «أَمَالِي المَرْزُوقِيِّ» (ص٥٦) (شَامِلَة).

(٥) لُوح: بِضَمِّ اللَّامِ أَعْلَاهُ، وَيُنْظَرُ: «شَرْحُ شَافِيَةِ ابْنِ الحَاجِبِ» (٤/ ٢٠٣) ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

وقد ذكر المَسْعُوديُّ فِي كِتَابِ «مُرُوجِ الذَّهَبِ» أَنَّ قَصْرَ غُمْدَانَ يُعْمَرُ ثَانِيَةً أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ فِي الأَوَّلِ(١).

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي سَلَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَجَّاجٍ المَذْحِجِيُّ(٢) أَنَّ الأَوَائِلَ بَنَتْ فِي بَيْتِ بِئْرَ فَأْسِ العَوَامِلِ قَصْرًا وَأَعْلَاهُ سَبْعِينَ سَقْفًا بِالحَجَرِ الرُّخَامِ الأَبْيَضِ، ضَرَبَ فِيهِ بَعْضُ الحُبُوشِ نَارًا أَحْرَقَهُ وَأَخْرَبَهُ وَارْتَدَمَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَرَجَعَ كَشِبْهِ جِدَارٍ عَظِيمٍ، وَكَانَ يُنْظَرُ مِنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَبَنَىٰ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ القُبَّةَ الخَضْرَاءَ بِبَغْدَادَ لِسَبْعِ طِبَاقٍ، كُلُّهَا عُقُودٌ، لِئَلَا يَرْمِيهَا الهَوَاء مِنْ عُلْوِهَا فِي الجَوِّ، وَكَانَ يُنْظَرُ إِلَيْهَا مِنْ هِيتَ(٣) وَتِكْرِيتَ(٤)، وَبَنَوْا مُلُوكُ العَجَمِ إِيْوَانَ كِسْرَىٰ فِي المَدَائِنِ، وَكَانَ يُنْظَرُ مِنْهُ إِلَىٰ حُلْوَانَ(٥).

وَيُقَالُ: إِنَّ العُمَانِيَّةَ وَصْفُهَا مَذْكُورٌ مَشْهُورٌ، وَإِلَّا كُنَّا ذَكَرْنَاهَا عَلَىٰ التَّمَامِ وَالكَمَالِ.

---

(١) يُنْظَرُ: «مُرُوجُ الذَّهَبِ» (ص٢٦٣) (شَامِلَة) وَيُقَارَنُ بِهِ.

(٢) المَذْحِجِيُّ: بِفَتْحِ المِيمِ وَسُكُونِ الذَّالِ وَكَسْرِ الحَاءِ وَالجِيمِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ مَذْحِجٍ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ اليَمَنِ. «الأَنْسَابُ» (١٢/ ١٦١).

(٣) هِيتُ: بِالكَسْرِ وَآخِرُهُ تَاءٌ مُثَنَّاةٌ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا فِي هُوَّةِ الأَرْضِ، انْقَلَبَتِ الوَاوُ يَاءً لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا، فَالأَصْلُ فِيهَا هَوْت، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٤٢١).

(٤) تِكْرِيتُ: بَلْدَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ بَغْدَادَ وَالمَوْصِلِ وَهِيَ إِلَىٰ بَغْدَادَ أَقْرَبُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٣٨) لِلْحَمَوِيِّ.

(٥) وَهِيَ حُلْوَانُ العِرَاقِ، وَهِيَ فِي آخِرِ حُدُودِ السَّوَادِ مِمَّا يَلِي الجِبَالَ مِنْ بَغْدَادَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٩٠).

وَبَنَىٰ الكَوْالِي قَصْرًا ادْوَرَ حَورهر فِي قَلْعَةِ كوَاليُور عَلَىٰ تِسْعِ طَبَقَاتٍ وَيُنْظَرُ مِنْهُ مَسِيرَةَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ إِلَىٰ الآنَ قَائِمٌ عَامِرٌ، وَكَانَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ عَلَىٰ رَأْسِ قُبَّةِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ دُرَّةٌ فَإِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ غَزَلَ نِسَاءُ حَوْرَانَ فِي حَوْرَانَ عَلَىٰ ضَوْئِهَا غَزْلًا رَفِيعًا، بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَرَّبَهُ بُخْتُنَصَّرُ[1] البَابِلِيُّ، وَكَانَ يُنْظَرُ مِنْهُ مَسِيرَةَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ.

وَقَلْعَةُ مَارِدِينُ[2] تَبَانُ[3] مِنَ الفُرَاتِ مَسِيرَةَ سِتَّةِ أَيَّامٍ.

وَكوَارِي حِصْنٌ جَاهِلِيٌّ بَنَتْهُ بِنْتُ بِكْرٌ مِنَ الهُنُودِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السِّنْدِ وَرَاوَاسَانَ يَبَانُ مِنْ تُورَانَ يُعَدِّي شَطَّ السِّنْدِ مَسِيرَةَ خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا، وَبَنَىٰ مهرَاستُ بْنُ ارجَاسبَ فِي أَيَّامِ درستَ الحَكِيمِ وَجْمَةَ تُول ادر فِي بَلْخَ، وَنَصَبَ عَلَىٰ قُبَّةِ الوَجْمَةِ عَلَمًا أَخْضَرَ، فَأَخَذَ شِدَّةُ الهَوَاء العَلَمَ وَرَمَاهُ إِلَىٰ الأَرْضِ عَلَىٰ مَسِيرَةِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ فَرْسَخًا، وَذَلِكَ لِعُلُوِّهَا.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ» (١/ ٦٧).

(٢) مَارِدِينُ: بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالدَّالِ، قَالَ يَاقُوتُ: كَأَنَّهُ جَمْعُ مَارِدٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٩).

(٣) أَيْ: تَظْهَرُ.

صِفَةُ جبَلِ المُذَيْخِرَةِ[١]

وَبَلَغَنِي أَنَّ فِي أَعْلَاهُ نَحْوَ عِشْرِينَ فَرْسَخًا، وَذَلِكَ لِعُلُوِّهَا، وَطَافَتْهَا المَزَارِعُ وَالمِيَاهُ، وَفِيهِ يَنْبُتُ الوَرْسُ وَهُوَ كَالزَّعْفَرَانِ، وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ [٢] الدَّاعِي المَعْرُوفُ بِشَيْخِ لَاعَهْ[٣]، وَهَذِهِ لَاعَةُ إِلَىٰ جَنْبِهَا قَرْيَةٌ

---

(١) مُذَيْخِرَةُ: إِحْدَىٰ مُدِيرِيَّاتِ مُحَافَظَةِ إِبَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤٧٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٢٧).

(٢) وَقَعَ هُنَا: (مُحَمَّدُ بْنُ المُفَضَّلِ)، وَهُوَ خَطَأٌ وَاضِحٌ، وَالمُرَادُ عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ القَرْمَطِيُّ، وَالمُصَنِّفُ أَخَذَ هَذَا مِنْ إِحْدَىٰ نُسَخِ كِتَابِ «المُفِيدِ» لِعُمَارَةَ اليَمَنِيِّ، وَهُوَ خَطَأٌ، وَقَدْ أَبَانَ مُحَقِّقُهُ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ رَحِمَهُ اللهُ ذَلِكَ وَوَجَدَهُ فِي نُسْخَةٍ «مُحَمَّدُ بْنُ الفَضْلِ»، وَصَحَّحَهُ مِنَ الأُصُولِ المَخْطُوطَةِ، وَهُنَا زَادَ عَلَىٰ مَا هُنَاكَ «المُفَضَّل» بَدَلَ «الفَضْل»، فَظَهَرَ أَنَّهُ خَطَأٌ وَاضِحٌ، ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ عَلَىٰ الصوَاب فِي الطَّبْعَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا عَبْدُ اللهِ الحَبَشِيُّ (ص٢١) وَهِيَ المُقَابَلَةُ عَلَىٰ نَسْخَةٍ خَطِّيَّةٍ كَامِلَةٍ كَمَا قَالَ المُحَقِّقُ، وَإِذَا ذُكِرَتْ «مُذَيْخِرَةُ» ذُكِرَ المُدْبِرُ هَذَا عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ القَرْمَطِيُّ الإِثْنَا عَشَرِيِّ، وَتُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «السُّلُوكُ» (١/ ٢٠١)، وَ«قِلَادَةُ النَّحْرِ» (٣/ ١٣) بِرَقْمِ (١٤٢٠) فَالرَّجُلُ زِنْدِيقٌ مُلْحِدٌ وَمَارِقٌ.

(٣) لَاعَهْ: مَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ مِنْ مُدِيرِيَّةِ الطَّوِيلَةِ وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «المَحْوِيت». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٦٣)، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الفَضْلِ: إِنَّهُ شَيْخُ لَاعَةَ فَقَدْ عَدَّ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ ذَلِكَ مِنْ أَوْهَامِ عُمَارَةَ؛ لِأَنَّ عَلِيَّ بْنَ الفَضْلِ مَا عَرَفَ لَاعَةَ وَلَا دَخَلَتْ وَلَا ظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ مِنْهَا، وَلَا فِي الحِقْبَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا عُمَارَةُ، وَلَمْ يَعْرِفْهَا إِلَّا عِنْدَمَا نَزَلَ تِهَامَةَ لِمُحَارَبَةِ ابْنِ زِيَادٍ وَلِلْمَرَّةِ الأَخِيرَةِ لَمَّا حَارَبَ صَاحِبَهُ مَنْصُورَ بْنَ حَسَنٍ القَرْمَطِيَّ.

لَطِيفَةٌ يُقَالُ لَهَا: عَدَنُ لَاعَهْ، وَلَيْسَتْ عَدَنَ أَبْيَنَ السَّاحِلِيَّةَ، قَالَ عمارَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عمَارَةَ[١]: إِنَّهُ دَخَلَ هَذِهِ، عَدَنَ لَاعَهْ، وَهِيَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ ظَهَرَتْ فِيهِ الدَّعْوَةُ العَلَوِيَّةُ بِاليَمَنِ، وَمِنْهَا مَنْصُورُ اليَمَنِ[٢]، وَمِنْهَا عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ[٣] الدَّاعِي.

وَمِمَّنْ وَصَلَ إِلَيْهَا[٤] مِنْ دُعَاةِ الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ أَبُو عَبْدِ اللهِ[٥] الشِّيعِيُّ الكُوفِيُّ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ العَلَوِيَّةِ بِالمَغْرِبِ.

وَفِيهَا قَرَأَ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ المُعَلِّمِ الصُّلَيْحِيِّ صَبِيًّا[٦] وَهِيَ دَارُ دَعْوَةٍ بِاليَمَنِ، فَكَانَ عَلِيٌّ هَذَا عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ[٧] الدَّاعِي غَلَبَ عَلَىٰ جَبَلِ المُذَيْخِرَةِ وَخَطَبَ فِيهِ لِدَعْوَةِ العَلَوِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَهُ مِنْهُ أَصْحَابُ أَسْعَدَ بْنِ يَعْفُرَ صَاحِبِ صَنْعَاءَ[٨].

---

(١) تَقَدَّمَ أَنَّهُ: (عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ) وَكِتَابُهُ «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» مَطْبُوعٌ، وَهُوَ هُنَا يَنْقُلُ مِنْهُ.

(٢) المُرَادُ بِمَنْصُورِ اليَمَنِ أَبُو القَاسِمِ الحَسَنُ بْنُ فَرَجِ بْنِ حَوْشَبٍ القَرْمَطِيُّ، يُنْظَرُ: «السُّلُوكُ» (١/ ٨٠) وَتَعْلِيقُ المُؤَرِّخِ الأَكْوَعِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٦٣).

(٣) تَكَرَّرَ هُنَا التَّحْرِيفُ كَمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا، وَيُغْنِي التَّعْلِيقُ السَّابِقُ عَمَّا هُنَا.

(٤) كَذَا فِي «المُفِيدِ»، وَوَقَعَ فِي نُسَخِ الكِتَابِ «إِلَيْهِ».

(٥) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ هُنَا: «الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّافِعِيُّ» وَهُوَ خَطَأٌ، وَلَا وُجُودَ لَهُ فِي «المُفِيدُ» وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ النَّصَّ مِنْهُ، وَلِذَا حَذَفْتُهُ.

(٦) كَذَا فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ وَكَذَلِكَ فِي «المُفِيدِ»، وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «فِي صبيًا»، وط في: «صباه».

(٧) وَقَعَ هُنَا: (فَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا مُحَمَّد بْن المُفَضَّل)، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ»، وَالمُصَنِّفُ نَقَلَ مِنْهُ وَالخَطَأُ وَاضِحٌ.

(٨) «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص٦١ – ٦٥).

صِفَةُ جَبَلِ شِبَامٍ[١]

وَهُوَ مَنِيعٌ جِدًّا، وَفِيهِ قُرًى وَمَزَارِعُ وَجَامِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ مُعَامَلَةٌ نَفِيسَةٌ[٢]، وَيُرْفَعُ مِنْهُ العَقِيقُ وَالجَزْعُ، وَهِيَ حِجَارَةٌ مُغَشَّاةٌ، فَإِذَا عَمِلَتْ ظَهَرَ جَوْهَرُهَا.

وَمِمَّنِ امْتَنَعَ بِهِ[٣] مِنْ عُمَّالِ أَبِي الجَيْشِ إِسْحَاقَ[٤] ابْنَ زِيَادٍ سُلَيْمَانُ بْنُ طرفٍ صَاحِبُ عَثَرَ[٥] وَهُوَ مِنْ مُلُوكِ تِهَامَةَ، وَأَعْمَالُهُ مَسِيرَةُ عَشَرَةِ أَيَّامٍ[٦] فِي

---

(١) جَبَل شِبَام: هُوَ شِبَام كَوْكَبَان يُعْرَفُ قَدِيمًا بِاسْمِ «ذِخَار»، وَهُوَ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ بِمَسَافَةِ (٤٢) كِيلُو. «مُعْجَمُ البلدَان اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٤٤)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٤).

(٢) فِي «المُفِيدِ»: «وَهُوَ عَمَلٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ».

(٣) أَيْ: تَحَصَّنَ بِهِ.

(٤) أَبُو الجَيْشِ هُوَ: إِسحَاق بْن إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ زِيَادٍ، تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «الأَعْلَامُ» (١/ ٢٩٣) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٥) عَثَرُ: بِفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ المُثَلَّثَةِ، قَالَ الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٨): وَقَدْ تُثَقِّلُهُ العَرَبُ فَيَقُولُونَ: «عَثَّر» قَالَ الأَكْوَعُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٦٦): وَهِيَ اليَوْمَ أَطْلَالٌ، قَالَ يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٨٥): قَالَ أَبُو بَكْرٍ الهَمَذَانِيُّ: بَلَدٌ بِاليَمَنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشَرَةُ أَيَّامٍ ... يُنْسَبُ إِلَيْهَا يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ العَثَرِيُّ، يَرْوِي عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، رَوَىٰ عَنْهُ شُعَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّارِعُ. اهـ. قُلْتُ: وَهِيَ وَإِنْ كَانَتِ اليَوْمَ أَطْلَالًا فَهِيَ تَابِعَةٌ لِمَنْطِقَةِ جَازَانَ، وَتَبْعُدُ قَدْرَ (٤٠) كِيلُو مِتْرٍ إِلَىٰ الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ «جَازَانَ» و(١٦) كِيلُو إِلَىٰ الغَرْبِ مِنْ «صَبْيَا»، وَيُنْظَرُ: «مَوْسُوعَةُ وَيْكِيبِيدْيَا»، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٩٩).

(٦) فِي «المُفِيدِ»: (سَبْعَةَ أَيَّامٍ)، وَهُوَ مَا نَقَلَهُ يَاقُوتُ عَنْ عُمَارَةَ صَاحِبِ «المُفِيدُ» كَمَا فِي «مُعْجَمُ

عَرْضِ يَوْمَيْنِ، وَهُوَ مِنَ الشَّرْجَةِ(١) إِلَىٰ حَلْي، وَمَبْلَغُ ارْتِفَاعِهُ فِي العَامِ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَثَرِيَّةٍ(٢)، وَكَانَ مَعَ امْتِنَاعِهِ عَنِ الوُصُولِ إِلَىٰ أَبِي الجَيْشِ إِسْحَاقَ ابْنِ زِيَادٍ يَخْطُبُ لَهُ وَيَضْرِبُ السِّكَّةَ عَلَىٰ اسْمِهِ وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ مَبْلَغٌ مِنَ المَالِ فِي كُلِّ عَامٍ وَهَدَايَا لَا يُعْلَمُ مَبْلَغُهَا، وَأَمَّا الَّذِي سَلَّم لِابْنِ زِيَادٍ مِنَ اليَمَنِ حِينَ طَعَنَ فِي السِّنِّ فَلَهُ مِنَ الشَّرْجَةِ إِلَىٰ عَدَنَ طُولًا وَلَهُ مِنْ غُلَافِقَةَ(٣) إِلَىٰ صَنْعَاءَ عَرْضًا، وَرَأَيْتُ مَبْلَغَ ارْتِفَاعِ أَعْمَالِ ابْنِ زِيَادٍ بَعْدَ تَقَاصُرِهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ عَثَرِيَّةً(٤) خَارِجًا عَنْ ضَرَائِبِهِ عَلَىٰ المَرَاكِبِ الهِنْدِيَّةِ وَالأَعْوَادِ المُخْتَلِفَةِ وَالمِسْكِ وَالكَافُورِ وَالصَّنْدَلِ وَالصِّينِيِّ، وَخَارِجًا عَنْ ضَرَائِبِ العَنْبَرِ عَلَىٰ السَّوَاحِلِ بِبَابِ المَنْدَبِ وَعَدَنَ وَأَبْيَنَ وَالشِّحْرِ، وَخَارِجًا عَنْ ضَرَائِبِهِ عَلَىٰ مَعَادِنِ اللُّؤْلُؤِ وَعَنْ ضَرَائِبِهِ عَلَىٰ جَزِيرَةِ دَهْلَكَ(٥)، وَمِنْ بَعْضِهَا مِنْهَا أَلْفُ رَأسٍ مِنْهَا خَمْسُمِائَةِ

=

البُلْدَانِ» (٤/ ٨٥).

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٣٣٤) فَقَدْ ضَبَطَهَا يَاقُوتُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٠٠).

(٢) الدَّنَانِيرُ العَثَرِيَّةُ هِيَ الَّتِي سُكَّتْ فِي «عَثَرَ».

(٣) غُلَافِقَةُ: مِينَاءٌ قَدِيمٌ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ «زَبِيدٍ» كَانَ فُرْضَةَ زَبِيدٍ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَلَمَّا أَسَّسَ المَلِكُ النَّاصِرُ أَحْمَدُ الرَّسُولِيُّ سَنَةَ (٨٢٢هـ) مِينَاءَ «الفَازَّةَ» ضَعُفَتْ غُلَافِقَةُ وَاقْفَرَّتْ، ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لِلدَّمَارِ فِي القَرْنِ العَاشِرِ الهِجْرِيِّ.

(٤) تَقَدَّمَ قَرِيبًا أَنَّ الدَّنَانِيرَ العَثَرِيَّةَ هِيَ مَا سُكَّتْ بِمَدِينَةِ «عَثَرَ».

(٥) دَهْلَكُ: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ، جَزِيرَةٌ فِي البَحْرِ الأَحْمَرِ مَا بَيْنَ اليَمَنِ وَالحَبَشَةِ وَهِيَ شَدِيدَةُ الحَرَارَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٢٧)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٤).

وَصِيفٍ[(١)] وَخَمْسُمِائَةِ وَصِيفَةٍ نُوبِيَّةٍ، وَكَانَتْ مُلُوكُ الحَبَشَةِ مِنْ وَرَاءِ البَحْرِ تُهَادِيهِ وَتَسْتَدْعِي مُوَاصَلَتَهُ.

وَمَاتَ أَبُو الجَيْشِ هَذَا سَنَةَ إِحْدَىٰ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ[(٢)] عَنْ طِفْلٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَقِيلَ: إِبْرَاهِيمُ، وَقِيلَ: زِيَادٌ، تَوَلَّتْ كَفَالَتَهُ أُخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي الجَيْشِ، وَعَبْدُهُ أُسْتَاذٌ حَبَشِيٌّ يُدْعَىٰ رَشِيدًا، وَكَانَ مِنْ عَبِيدِ رَشِيدٍ هَذَا وَصِيفٌ مِنْ أَوْلَادِ النُّوبَةِ يُدْعَىٰ حُسَيْنَ ابْنَ سَلَامَةَ، وَهِيَ أُمُّهُ[(٣)]، وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ، وَنَشَأَ حُسَيْنٌ هَذَا حَاذِقًا عَفِيفًا، فَلَمَّا مَاتَ مَوْلَاهُ رَشِيدٌ تَوَزَّرَ لِوَلَدِ أَبِي الجَيْشِ وَلِأُخْتِهِ هِنْدٍ، وَكَانَتْ دَوْلَتُهُمْ قَدْ تَضَعْضَعَتْ أَطْرَافُهَا وَتَغَلَّبَتْ وُلَاةُ الحُصُونِ وَالجِبَالِ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا، فَأَقَامَ الحُسَيْنُ ابْنُ سَلَامَةَ يُحَارِبُ أَهْلَ الجِبَالِ حَتَّىٰ دَانُوا[(٤)] وَدَانَ سُلَيْمَانُ[(٥)] بْنُ طُرَفَ وَابْنُ الحَرَامِيِّ[(٦)] وَاسْتَوْسَقَتْ[(٧)] لَهُ مَمْلَكَةُ ابْنِ زِيَادٍ الأُولَىٰ[(٨)].

---

(١) الوَصِيفُ: الخَادِمُ غُلَامًا كَانَ أَوْ جَارِيَةً، وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَىٰ الغُلَامِ دُونَ المُرَاهِقِ.

(٢) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: (٣٧١هـ)، وَالمُثْبَتُ فِي المَخْطُوطِ هُوَ المُثْبَتُ أَيْضًا فِي «المُفِيدِ»، وَالنَّقْلُ مِنْهُ يُنْظَرُ: «الأَعْلَامُ» (١/ ٢٩٣) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٣) يَعْنِي: أُمَّهُ وَأَنَّهُ نُسِبَ إِلَيْهَا.

(٤) يُنْظَرُ مَا عَلَّقَهُ الأَكْوَعُ هُنَا عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٦٨).

(٥) وَهُوَ الأَمِيرُ سُلَيْمَانُ بْنُ طُرَفَ صَاحِبُ عَثَرَ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ المِخْلَافُ السُّلَيمَانِيُّ، وَيُنْظَرُ: «قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ» (٣/ ٢١٦) مِنَ التَّرْجَمَةِ رَقْم (١٦٦٧) لِبَامَخْرَمَةَ.

(٦) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «الخُوَارِزْمِيِّ»، وَالمُثْبَتُ مِنَ «المُفِيدِ»، وَهُوَ الصَّوَابُ.

(٧) أَيِ: اجْتَمَعَتْ لَهُ مَمْلَكَةُ ابْنِ زِيَادٍ، قَالَ صَاحِبُ «الصِّحَاحِ»: «اسْتَوْسَقَتِ الإِبِلُ: اجْتَمَعَتْ.

(٨) «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ» (ص٦٥ – ٦٨).

صِفَةُ صَنْعَاءَ

صِفَةُ شُرْبِ أَهْلِ صَنْعَاءَ مِنْ غَيْلِ البَرْمَكِيِّ(١)، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، مُوَافِقٌ لِمَنْ شَرِبَهُ، وَأَهْوِيَتُهَا بَارِدَةٌ تُشْبِهُ أَهْوِيَةَ خُرَاسَانَ مُوَافِقٌ لِجَمِيعِ البَضَائِعِ لَمْ يَضُرَّ شَيْئًا، وَخَاصَّةً الزَّعْفَرَانَ يَبْقَىٰ فِيهَا مَا شَاءَ اللهُ، وَيُوجَدُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ الأَثْمَارِ مِنَ التُّفَّاحِ وَالمِشْمِشِ وَالخَوْخِ وَالإِنْجَاصِ وَالسَّفَرْجَلِ وَالعِنَبِ وَالتِّينِ وَالكُمَّثْرَىٰ وَالوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ وَاليَاسَمِينِ وَسَائِرِ المَشْمُومَاتِ وَالرَّيَاحِينِ وَالبُقُولِ.

حَدَّثَنِي قَيْصَرُ، مَوْلَىٰ جَمَالِ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ جَوْهَرٍ، أَنَّهُ يُبَاعُ بِهَا الفِجْلُ مُشَقَّقًا أَرْبَعًا، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ وُجِدَ امْرَأَةٌ تَسْتَعْمِلُهُ فِي فَرْجِهَا، فَعَلِمَ بِشَرْحِ حَالِهَا وَالِي المَدِينَةِ فَأَمَرَ أَنْ لَا يُبَاعَ الفُجْلُ إِلَّا مُشَقَّقًا وَأَسَّسُوهَا سُنَّةً.

وَيَجْمُدُ بِهَا المَاءُ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: إِنَّ المَاءَ يَجْمُدُ عَلَىٰ الوَرَا وَالكَرَامِي(٢)، وَلَمْ يَبِنْ مِنْ أَبْدَانِهِمْ سِوَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَحِينَئِذٍ يَأْتِي دَرِينٌ، وَهُوَ الثَّعْلَبُ، عَلَىٰ الجَلِيدِ يَقْطَعُ رُءُوسَ الطُّيُورِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَهَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ(٣)؛ لِأَنَّ كُلَّ بَدَنٍ فِيهِ الرُّوحُ لَمْ يَجْمُدْ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«غَيْلِ البَرْمَكِيِّ».

(٢) نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ.

(٣) لَيْتَهُ قَالَ هَذَا فِي أُمُورٍ هِيَ أَعْظَمُ اسْتِحَالَةً مِنْ هَذَا.

عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنَّ الحَرَارَةَ الغَرِيزِيَّةَ تَغْلِبُ البُرُودَةَ، وَلَمْ يَجْمُدِ المَاءُ إِلَّا عَلَىٰ شَيْءٍ مَاتَ؛ لِأَنَّ طَبْعَ الحَيَاةِ حَارٌّ لَيِّنٌ وَطَبْعَ المَوْتِ بَارِدٌ يَابِسٌ، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ قَوْلُهُ وَلَا يَسْتَبِينُ فِعْلُ دَرِينٍ.

وَأَهْلُهَا مِنْ نَسْلِ العَجَمِ خَرَجُوا مِنَ الحُبُوسِ وَالقُيُودِ فِي دَوْلَةِ يَزْدَجِرْدَ[١] بْنِ شَهْرَيَارَ ابْنِ بَهْرَامَ، وَيُقَالُ: كِسْرَىٰ بْنِ قُبَادَ مَعَ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ، لِاسْتِفْتَاحِ اليَمَنِ مِنَ الحُبُوشِ، وَحِكَايَتُهُمْ مَشْهُورَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابٍ مَسْطُورٍ، وَلَيْسَ بِجَمِيعِ اليَمَنِ مَدِينَةٌ أَكْبَرُ وَلَا أَكْثَرُ مُوَافَقَةً وَأَهْلًا مِنْ صَنْعَاءَ.

وَهُوَ بَلَدٌ فِي حَدِّ الِاسْتِوَاءِ سَوَاءٌ، وَهُوَ مِنَ الِاعْتِدَالِ فِي الهَوَاءِ بِحَيْثُ لَا يَتَحَرَّكُ الإِنْسَانُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ طُولَ عُمُرِهِ صَيْفًا وَشِتَاءً، وَتَتَقَارَبُ سَاعَاتُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَكَانَ لَهَا بِنَاءٌ عَظِيمٌ خُرِّبَ.

فَصْلٌ: خَرَجَ أَهْلُ اليَمَنِ فِي أَيَّامِ سَعْدٍ الخُزَاعِيِّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ التَّبَابِعَةِ لِاسْتِفْتَاحِ المَغْرِبِ، فَلَمَّا اسْتَفْتَحُوهَا وَطَابَتْ لَهُمْ سكَنُوها، وَمِنْ جُمْلَتِهَا مَدِينَةُ صنْهَاجَةَ[٢]، وَلَمَّا كَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الأَصْنَامَ مِنَ الكَعْبَةِ سَرَقَتْ بَنُو مُقْبِلٍ لِمَنَاةَ وَأَدْخَلُوهُ الهِنْدَ وَتَفَرَّقُوا بِأَعْمَالِ البَلَدِ وَسَكَنُوهَا، وَتَنَصَّرَتْ بَنُو جَفْنَةَ[٣] فِي أَيَّامِ أَمِيرِ

---

(١) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ» (٤/ ١٤٨٩).

(٢) وَقَبَائِلُ صنْهَاجَةَ تُعْتَبَرُ وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ القَبَائِلِ الأَمَازِيغِيَّةِ، وَلَعِبَتْ دَوْرًا مُهِمًّا فِي «تَارِيخِ المَغْرِبِ الأَوْسَطِ وَالأَقْصَىٰ وَالصَّحَرَاءِ الكُبْرَىٰ»، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «مَوْسُوعَةُ وَيْكِيبِيدْيَا».

(٣) قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي «الِاشْتِقَاقِ» (ص٤٣٥) ط. «دَارِ الجِيلِ»: وَالجَفْنَةُ إِمَّا مِنَ الجَفْنَةِ المَعْرُوفَةِ، أَوْ =

المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَجْلِ لَطْمَةٍ[1] دَخَلَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَىٰ بِلَادِ الأَدْعوَانِ وَهُمْ مُتَاخِمِينَ[2] أَهْلَ المَغْرِبِ، وَفِيهِمْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ: وَلَمَّا دَعَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِوَلَدِهِ يَعْقُوبَ بِالنُّبُوَّةِ اغْتَاظَ العِيصُ فَدَخَلَ حِرْزَ الإِفْرِنْجِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَوَطَّنُوهَا فَوَلَدَ الإِفْرِنْجُ مِنْهُمْ، وَبَنُو عِجْلٍ أَخْرَجَهُمْ رَبِيعَةُ، وَالأَصَحُّ المرقعَةُ، أَسْكَنُوهَا خُرَاسَانَ، وَصَارَ مَلِكُ خُوزَستَانَ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ انْتَقَلُوا إِلَىٰ أَعْمَالِ الكَرِّ سَكَنُوهَا.

وَخَرَجَ جَيْشٌ عَرَبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ اسْتَفْتَحُوا السِّنْدَ، فَلَمَّا طَابَتْ لَهُمْ سَكَنُوهَا فَظَهَرَ مِنْهُمُ الكوكَرُ وَالحمتُ وَالسّنه وحَاجر، وَخَرَجَ جَيْشٌ مِنْ أَنْطَاكِيَّةَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَىٰ المَغْرِبِ، فَلَمَّا طَابَتْ لَهُمْ سَكَنُوهَا، وَظَهَرَ مِنْهُمُ المُلَثَّمُونَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ مَظْلُومِ بْنِ الصَّحْصَاحِ بْنِ جُنْدَبٍ الكِلَابِيِّ فِي التَّرْجَمَةِ، وَهُمْ مِنْ أَخْيَارِ وَكِبَارِ خُوَارِزْمَ، أَخَذَهُمُ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ، نَفَاهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الهِنْدِ، فَلَمَّا طَابَتْ لَهُمْ سَكَنُوهَا، وَلَمَّا خَرَجَتِ الإِبَاضِيَّةُ عَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَرْضِ اليَمَنِ، مِنْ أَعْمَالِ العِرَاقِ، وَلَّوُا الأَدْبَارَ، وَلَا زَالَ السَّيْفُ وَرَاءَهُمْ إِلَىٰ أَنْ عَبَّرَهُمُ البَحْرَ وَسَكَنُوا إِقْلِيمَ عُمَانَ.

=

مِنَ الجَفْنِ وَهُوَ الكَرْمُ....

(١) يُنْظَرُ: «نَشْوَةُ الطَّرَبِ فِي تَارِيخِ جَاهِلِيَّةِ العَرَبِ» (ص٢٠٥-٢٠٦) لِابْنِ سَعِيدٍ الأَنْدَلُسِيِّ ط. «مَكْتَبَةِ الأَقْصَىٰ» بِـ(عُمَّانَ - الأُرْدُنِّ) تَحْقِيقُ نَصْرَت عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

(٢) كَذَا أي: «مُجَاوِرِينَ».

وَأَهْلُ طَرَابُلُسَ المَغْرِبِ تَحَوَّلُوا فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِلَىٰ بَارِي[1] وَتولية، وَبَنُو كِنَانَةَ أَخْرَجُوا[2] الإِفْرِنْجَ مِنْ عَسْقَلَانَ وَسَكَنُوهَا، فَلَمَّا تَخَرَّبَتْ تَفَرَّقُوا فِي أَكْنَافِ البِلَادِ، وَبَنَوْ حَيَّةَ خَرَجُوا مِنَ الشَّأْمِ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرٍ المَنْصُورِ وَسَكَنُوا المَغْرِبَ.

وَلَمَّا غَزَا بُخْتُنَصَّرُ[3] بَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّأْمَ سَكَنُوا اليَهُودُ نَهْرَ السَّبْتِ مِمَّا يَلِي ظَهْرَ الحِجَازِ، وَلَمَّا قَوِيَتْ صَوْلَةُ السُّلْطَانِ مُعِزِّ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبِي المُظَفَّرِ مُحَمَّد بْن سَالِمٍ عَلَىٰ الخُوَارِزْمِيَّةِ نَزَلَ مِنْ نَيْسَابُورَ أَلْفُ رَجُلٍ مُكَتَّفِي الأَيْدِي مُكَشَّفِي الرُّؤُوسِ حُفَاةً مُشَنَّقِينَ فِي حِبَالٍ، المَنْجَنِيقَاتُ[4] شَتَّتَ شَمْلَهُمْ وَمَزَّقَ جَمْعَهُمْ فِي أَقَاصِي إِقْلِيمِ الهِنْدِ.

وَلَمَّا قَوِيَتْ شَوْكَةُ السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ أَبُو الفَتْح مُحَمَّد[5] بْن تِكَش عَلَىٰ الخَطَا[6] وَالتَّتَارِ سَاقَ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ وَأَسْكَنَهُمْ أَعْمَالَ كِرْمِلَ[7]، وَلَمَّا قَوِيَتْ شَوْكَة التُّرْكِ

(١) بَارِي: بِكَسْرِ الرَّاءِ: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ كِلْوَاذَا مِنْ نَوَاحِي «بَغْدَادَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٣٢١) لِلْحَمَوِيِّ.

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وَبَنُو كِنَانَةَ أَخْرَجُوا».

(٣) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ» (١/ ٦٧).

(٤) وَهِيَ الَّتِي تُرْمَىٰ بِهَا الحِجَارَةُ، مُعَرَّبَةٌ وَأَصْلُهَا فَارِسِيَّةٌ.

(٥) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٣/ ٥١٥) بِرَقْمِ (٤٧٨) لِلذَّهَبِيِّ.

(٦) الخَطَا: اسْمُ مَوْضِعٍ، وَلِهَذَا فَقَدْ جَاءَ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ تِكَش مِنْ «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٣/ ١٥٦) أَنَّهُ قَالَ: وَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَعْبُرَ جَيْحُونَ إِلَىٰ الخَطَا.

(٧) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٥٦).

عَلَىٰ السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ نَقَلُوا المُسْلِمِينَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَىٰ بَغْدَادَ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ وَالقصْرَانِ إِلَىٰ أَنْ عَبَّرَهُمْ سَيْحُونَ[1].

شِعرٌ:

خَلِيلَيَّ نَوْمِي عَنْ جُفُونِي مُسَهَّدُ ... وَقَلَّ اصْطِبَارِي بَعْدَهمْ وَالتَّجَلُّدُ

فَقَلْبِي عَنِ الأَحْبَابِ لَا يَقْبَلُ العَزَا ... وَجَفنِي قَرِيحٌ بالدُّمُوعِ[2] مُسَهَّدُ

وَإِنِّي حَزِينٌ كُلَّمَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ ... بِنَوْلِكُمْ بَعْضِي وَبَعْضِيَ مُفْرَدُ

لَئِنْ جَمَعَتْ بَيْنِي اللَّيَالِي وَبَيْنَكُمْ ... وَعَادَ زَمَانُ الوَصْلِ بِالوَصْلِ مُسْعَدُ

أَصُومُ لِوَجْهِ اللهِ دَهْرِي تَطَوُّعًا ... وَأُلْصِقُ وَجْهِي بِالتُّرَابِ وَأَسْجُدُ

وَبَعْضُ أَهْلِ صَنْعَاءَ وَجَمِيعُ أَهْلِ المَشْرِقِ عَلَىٰ مَذْهَبِ الزَّيْدِيَّةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَيَنْسَلِخُ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ المُخْتَرِعَةُ وَالمُطَرِّفَةُ[3]، وَهُمُ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ: الصَّالِحِيَّةُ[4] وَالجَارُودِيَّةُ[5]، لِبْسُهُمُ الخَامُ لِبُرُودَةِ البِلَادِ، وَلِبْسُ شَبَابِهِمْ الفُتُوحِيُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) سَيْحُونُ: نَهْرٌ مَشْهُورٌ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ قُرْبَ خُجَنْدَةَ بَعْدَ سَمَرْقَنْدَ «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٩٤).

(٢) وَقَعَ فِي طَبْعَةٍ مِنَ المَطْبُوعِ: «بِالدَّمْعِ».

(٣) يُنْظَرُ لِلْمُطَرِّفَةِ أَوِ الأَطْرَافِيَّةِ: «المِلَلُ وَالنِّحَلُ» (١/ ٢٣١-٢٣٢) لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ.

(٤) يُنْظَرُ: «المِلَلُ وَالنِّحَلُ» (١/ ٢٧٢-٢٧٥) لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ.

(٥) يُنْظَرُ: «الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ» (ص٤١) لِعَبْدِ القَادِرِ البَغْدَادِيِّ.

ذِكْرُ تَفْصِيلِ الفُتُوحِيِّ

جَاءَتْ عَجُوزٌ بِأَبِي سَعِيدِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَهْرَامَ الجبَاهِيِّ، وَالأَصَحُّ عَلِيٌّ[١] بْنُ فَضْلٍ، إِلَىٰ خَيَّاطٍ يُعَلِّمُهُ الخِيَاطَةَ؛ فَكَانَ الصَّبِيُّ يَأْخُذُ الثَّوْبَ المُفَصَّلَ مِنْ أُسْتَاذِهِ الخَيَّاطِ يَخِيطُهُ فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَاهُ أُسْتَاذُهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ سَأَلَهُ الخَيَّاطُ عَنِ انْفِرَادِهِ وَغَيْبَتِهِ، قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ: إِنِّي لَآخُذُ الثَّوْبَ مِنْكَ فَأَصْعَدُ عَلَىٰ أَعلَىٰ ذِرْوَةِ نُقُمْ[٢] أَخِيطُ هُنَاكَ وَأُفَكِّرُ وَأَشْرُفُ إِذَا مَلَكْتُ صَنْعَاءَ مِنْ أَيِّ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ أَدْخُلُهَا، فَلَمَّا سَمِعَ الخَيَّاطُ لَفْظَ عَلِيِّ بْنِ فَضْلٍ قَالَ لَهُ: قُمْ نَسْكُنُ جَبَلَ نُقُمَ فَسَكَنَاهُ، وَصَارَ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُ أَوْ يَهْرُبُ مِنْ دَيْنٍ أَوْ مَظْلَمَةٍ صَعِدَ إِلَيْهِمْ فَأَمِنَ، فَمَا زَالُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ فِي مَكَانِهِمْ إِلَىٰ أَنِ الْتَأَمَ إِلَيْهِمْ وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ وَعَصَوْا فِي الجَبَلِ، وَصَارَتْ سَرِيَّةُ القَوْمِ تُصَابِحُ صَنْعَاءَ وَتُمَاسِي، فَلَمَّا اسْتَقْوَىٰ وَضَعُفَ حَالُ وُلَاةِ صَنْعَاءَ تَمَلَّكَهَا فَتَوَلَّاهَا، فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ مَذْهَبِ القَرَامِطَةِ، وَكَانَ مُولَعًا بِحُبِّ النِّسَاءِ، يُفَصِّلُ لَهُمُ الفُتُوحِيَّ، وَكَانَ يُوقِفُ النِّسَاءَ حَلْقَةً دَائِرَةً وَيَدْخُلُ هُوَ فِي كُمِّ إِحْدَاهُنَّ وَيَتَفَرَّج عَلَىٰ نُهُودِهَا وَأَعْكَانِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَيُمْسِكُ قُمَاشَهَا وَيَخْرُجُ مِنْ كُمِّهَا إِلَىٰ كُمِّ صَاحِبَتِهَا، وَلَا يَزَالُ إِلَىٰ أَنْ يَدُورَ عَلَىٰ الجَمِيعِ وَلَمْ تَنْكَشِفْ إِحْدَاهُنَّ

---

(١) هُوَ عَلِيُّ بْنُ الفَضْلِ القَرْمَطِيُّ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَنْهُ.

(٢) نُقُمْ: جَبَلٌ بِـ«صَنْعَاءَ» تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

إِلَّا كُلٌّ عِنْدَهَا مَا عِنْدَ صَاحِبَتِهَا وَكُلٌّ بِرُوحِهَا مَشْغُولَةٌ، وَيُسَمَّىٰ الفُتُوحِيَّ لِاسْتِفْتَاحِ صَنْعَاءَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ فَتْحُ الخِيَاطَةِ، وَكَانَ يَلْبَسُوهُ نِسَاءُ بَغْدَادَ إِلَىٰ أَوَاخِرِ دَوْلَةِ الإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ المُسْتَضِيءِ بِنُورِ اللهِ، أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَلِبْسُ نِسَاءِ جَمِيعِ العَرَبِ وَجَمِيعِ التُّرْكُمَانِ وَالكُرْدِ وَالبَاذجِ وَنِسَاءِ أَهْلِ سيستَانَ إِلَىٰ الآنَ مِنْهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ لِلصَّنْعَانِيِّ: يَا أَبَا حَسَّانَ.

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَبْدِ اللهِ الخَيَّاطُ قَالَ: زَرَعَ أَسْعَدُ الصَّنْعَانِيُّ فِي أَرْضٍ لَهُ شَعِيرًا، فَلَمَّا بَلَغَ الحَصَادُ قَالَ لِلْحُصَّادِ: أَلَا كُلُّ مَنْ أَرَادَ حَصَادَ الحِنْطَةَ، فَالْتَأَمَ مَعَهُ خَلْقٌ، فَلَمَّا وَصَلُوا الزَّرْعَ وَإِذَا بِهِ شَعِيرٌ، قَالَ: فَنَادَىٰ بَعْضُ الحَصَّادِينَ بَعْضَهُمْ: يَا أَبَا حَسَّانَ، يَعْنُونَ صَاحِبَ الزَّرْعِ، لِأَنَّ كُنْيَةَ أَسْعَدَ أَبُو حَسَّانَ، أَيْ: كَذَبَ أَبُو حَسَّانَ، فَمِنَ الحِينِ وَالوَقْتِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَيُقَالُ بِالعَجَمِيَّةِ: كندم نمَا جو فروش، أَيْ: يُظْهِرُ عَيْنَ الغِلَالِ وَحِنْطَةً وَيَبِيعُ شَعِيرًا، وَهَذَا عَيْبٌ عَظِيمٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ: صَنْعَاءُ مُحَاصَرَةٌ.

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: إِذَا وَقَعَ فِي لِحْيَةِ إِنسَانٍ مِنَ العَرَبِ، يَعْنِي زَيْدًا، شَيْءٌ مِنْ فُتَاتِ الخُبْزِ أَوْ قِشْرٍ أَوْ شَيْءٌ لَا يَلِيقُ بِهِ يَقُولُ عَمْرٌو لِزَيْدٍ: صَنْعَاءُ مُحَاصَرَة! فَيُمْسِكُ زَيْدٌ لِحْيَتَهُ يَهُزُّهَا لِيَقَعَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْهُ وَيَقُولُ: حَاشَا صَنْعَاءُ تُحَاصَرُ، وَهَذِهِ اللِّحَىٰ بَاقِيَة، وَهِيَ إِشَارَةٌ بَيْنَ القَوْمِ كَمَا قَالَ:

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي مَهْمَهًا بَعْدَ مَهْمَهٍ ... عَلَىٰ حَسْرَةٍ حَتَّىٰ وَقَعْتُ عَلَىٰ صَنْعَا

كَمَا يُقَالُ فِي الشَّأْمِ: حَلَبُ مُحَاصَرَةٌ.

عَجَائِبُ ذَمَارَ(١)

لَمْ يُوجَدْ فِيهَا حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبُ، وَإِذَا دَخَلَ إِنسَانٌ بِحَيَّةٍ إِلَىٰ ذَمَارَ فَعِنْدَ دُخُولِهِ البَابَ تَمُوتُ الحَيَّةُ، وَيُقَالُ: إِذَا أَخَذَ مِنْ تُرَابِ ذَمَارَ وَشَذَرَ فِي سَلَّةِ الحوَاءِ مَوَّتَ جَمِيعَ حَيَّاتِهِ، وَهَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ يَكُونُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ أَرْضَهَا كِبْرِيتِيَّةٌ لَا يُقِيمُ فِيهَا مِنَ المُؤْذِيَاتِ شَيْءٌ إِلَّا هَلَكَ، وَمِنْهَا يُجْلَبُ الكِبْرِيتُ إِلَىٰ سَائِرِ أَعْمَالِ اليَمَنِ، وَيَكُونُ طُولُ آبَارِهِمْ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ.

❊ ❊ ❊

(١) ذَمَار: مَدِينَةٌ جَنُوبُ صَنْعَاءَ كَبِيرَةٌ بِمَسَافَةٍ (٩٥) كِيلُو، يَعُودُ تَارِيخُهَا إِلَىٰ القَرْنِ الأَوَّلِ لِلْمِيلَادِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٤٩).

صِفَةُ جَبَلِ لَشي

وَهُوَ جَبَلُ الشَّبِّ[(١)]، وَمَشَارِقُ ذَمَارَ بِمَسَافَةِ فَرْسَخَيْنِ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ لَشي، وَجَمِيعُ حَجَرِهِ وَمَدَرِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَشَأْمِهِ وَيَمَنِهِ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَحَبٌ[(٢)]، وَفِي صَيِّدٍ مِنْهُ أَي ضِرْسٍ مِنْهُ كَهْفٌ، وَفِي الكَهْفِ بَحْرُ مَاءٍ حَارٍّ يَغْلِي، وَكُلُّ مَرِيضٍ يَمْرَضُ مِنْ أَهْلِ البِلَادِ يَأْخُذُ مِنْهُ فِدًىٰ، كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِهِ، يعرىٰ عَلَىٰ بَابِ الغَارِ وَيَنْزِلُ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْبَحُ فِي المَاءِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ مُتَعَافٍ[(٣)]، وَفَوْقَ مِنْهُ مَدِينَةٌ مُدَوَّرٌ مِنْ جِبَالِهَا يُسْتَخْرَجُ وَتُسَمَّىٰ المَعْدِنَ وَالمَقَرَّ، وَمَغَارَةُ صَنْعَاءَ جَبَلُ اللَّوْزِ[(٤)]

---

(١) جَبَلُ الشَّبِّ: ذُكِرَ فِي «آثَارِ البِلَادِ وَالعِبَادِ» (ص٥٢) لِزَكَرِيَّا القَزْوِينِيِّ.

(٢) أَيْ: مَسْلُوكٌ.

(٣) هَذَا الَّذِي رَآهُ ابْنُ المُجَاوِرِ هُوَ مَوْجُودٌ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ فِي اليَمَنِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُعْرَفُ بِمِيَاهِ «السُّخْنَةِ» فِيهَا نَبْعُ مَاءٍ حَارٍّ فِي سَفْحِ جَبَلِ بُرَعَ يَحْتَوِي ذَلِكَ المَاءُ السَّاخِنُ عَلَىٰ كَمِّيَّاتٍ مِنَ الأَمْلَاحِ وَالعَنَاصِرِ النَّادِرَةِ كَالزَّنْكِ وَالرُّونِيدْيُومِ وَغَيْرِهَا، مِمَّا جَعَلَهَا مِيَاهَ عِلَاجٍ يَقْصِدُهَا كَثِيرٌ مِن النَّاسِ سَبَبًا لِلاسْتِشْفَاءِ مِنَ الأَوْجَاعِ فِي الجِهَازِ الحَرَكِيِّ وَبَعْضِ الأَمْرَاضِ الجِلْدِيَّةِ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٧٩) و(١/ ٤٩٩).

(٤) جَبَلُ اللَّوْزِ: مِنْ جِبَالِ خَوْلَانَ الطِّيَالِ فِي شَرْقِيِّ مَدِينَةِ «صَنْعَاءَ» يَرْتَفِعُ بـ(٣٣٤٤) قَدَمًا عَنْ سَطْحِ البَحْرِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَنْتُوجَاتِهِ «اللَّوْزُ» كَمَا يُنْتِجُ كَذَلِكَ الأَعْنَابَ وَالخَوْخَ وَالمِشْمِشَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَفِي رَأْسِ جَبَلِ «اللَّوْزِ» آثَارٌ قَدِيمَةٌ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ الجَبَلِ يُنْسَبُ (بَنُو اللَّوْزِيِّ) مِنْهُمْ =

وَسَرِيرُ مُلْكِ مَدِينَةِ نعمَةَ، وَمِنْ وَرَائِهَا مثَابَةُ، وَهِيَ مَدِينَةٌ ذَاتُ طُولٍ وَعَرْضٍ، وَجَمِيعُ هَذَا الجَبَلِ يَحْمِلُ اللَّوْزَ لَا غَيْرُ.

* * *

=

أَحْمَدُ بْنُ شَائِعٍ اللَّوْزِيُّ، كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ المُؤَرِّخِينَ، سَكَنَ مَدِينَةَ «ثلَا» وَتَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ بِمَدْرَسَتِهَا، وَلَهُ كِتَابٌ فِي تَخْطِئَةِ الصُّوفِيَّةِ، مَاتَ سَنَةَ (١٠٨٠هـ). «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٨١).

صِفَةُ نِكَاحِ أَهْلِ هَذِهِ الأَعْمَالِ

إِذَا خَطَبَ زَيْدٌ بِنْتَ عَمْرٍو وَأَنْعَمَ لَهُ بِذَلِكَ يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: أُرِيدُ أُشَاهِدُ جَمَالَ كَرِيمَتِكَ، فَيَقُولُ لَهُ عَمْرٌو: اقْدُمْ إِلَىٰ السُّوقِ الفُلَانِيِّ فَإِنَّهَا تَتَوَعَّدُ بِهِ شَاهِدهَا فِي بَيْعِهَا وَشِرَائِهَا وَجَمَالِهَا، فَيَتَقَدَّمُ زَيْدٌ إِلَىٰ السُّوقِ الَّذِي دَلَّهُ عَمْرٌو عَلَيْهِ فَيَقْعُدُ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَتُقْبِلُ خَطِيبَتُهُ وَعَلَىٰ ظَهْرِهَا كَارَةٌ[1] وَعَلَىٰ قَدْرِ شَيْلِهَا تَحُطُّ فِي السُّوقِ فَتَبِيعُ مَا مَعَهَا وَتَشْتَرِي حَوَائِجَهَا، وَتَرْفَعُ كَارَتَهَا عَلَىٰ ظَهْرِهَا، وَيَرْجِعُ خَطِيبُهَا وَرَاءَهَا تَقْطَعُ الجِبَالَ وَالأَوْدِيَةَ وَالشِّعَابَ وَالسَّهْلَ وَالجَبَلَ وَاللِّينَ وَالوَعْرَ، وَهَذَا كُلُّهُ وَلَمْ تَحُطَّ الكَارَةَ مِنْ ظَهْرِهَا وَلَمْ تَسْتَرِحْ، فَإِذَا أَعْجَبَ الرَّجُلَ حَالُهَا وَجَمَالُهَا وَشَيْلُهَا وَبَيْعُهَا وَشِرَاهَا وَقُوَّةُ صَبْرِهَا عَلَىٰ شَيْلِ الثَّقِيلِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَمْلِكُ بِهَا وَيَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَبْقَىٰ عَلَىٰ شُغْلِهَا ذَلِكَ إِلَىٰ المَمَاتِ.

وَهَذَا زِيُّ القَوْمِ فِي البَدْوِ وَالبَادِيَةِ، وَلِبْسُهُمُ الخَامُ لِبُرُودَةِ البِلَادِ، وَيُقَالُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: اشْتَهَيْتُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ مِيَاهَ صَنْعَاءَ فِي عَدَنَ وَأَحْطَابَ عَدَنَ فِي صَنْعَاءَ وَكِلَاهُمَا مَلَكِيٌّ، وَلَمْ تَعْرِفْ أَهْلُهَا شَعْلًا لِسِرَاجٍ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ الوَاسِطِيُّ قَالَ: يَطْلُعُ فِي أَعْمَالِ تَعِزَّ

---

(١) الكَارَةُ: هِيَ القمَاشُ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَىٰ الظَّهْرِ.

وَصَنْعَاءَ قُضْبَانٌ تُسَمَّىٰ شَوْحَط، إِذَا أُشْعِلَ رَأْسُ القَضِيبِ اشْتَعَلَ شِبْهَ الشَّمْعِ، وَلَمْ يَشْتَعِلْ فِي سَائِرِ الأَعْمَالِ طُولَ الدَّهْرِ إِلَّا الشَّوْحَط لَا غَيْرُ عِوَضًا عَنِ السِّرَاجِ وَالفُتُلِ.

مَأْكُولُهُمُ الحِنْطَةُ وَالحُلْبَةُ وَاللَّحْمُ، وَالشَّرَابُ لَا يَقْطَعُونَهُ لَا صَيْفًا وَلَا شِتَاءً، لَا ضَعِيف وَلَا قَوِي، سَفَرُهُمْ إِلَىٰ عَدَنَ وَشِرَاؤُهُمُ العُطْبُ[1] وَالعِطْرُ وَالهِنْدُوَانُ، وَغَايَةُ اشْتِغَالِ القَوْمِ فِي مَعْرِفَةِ الجَوَاهِرِ وَعِلْمِ الكِيمْيَاءِ وَعِلْمِ النُّجُومِ وَالنَّحْوِ وَالمَنْطِقِ وَالفَلْسَفَةِ وَالهَيْئَةِ وَالهَنْدَسَةِ وَحِسَابِ الضَّرْبِ وَالجُمَلِ، وَقَوْمٍ يَدَّعُونَ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ.

وَبِنَاؤُهُمْ بِالحَجَرِ القَدِيمِ يَحْفِرُونَ الأَسَاسَاتِ القَدِيمَةَ وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهُ أَلْوَاحَ حَجَرٍ طُولُ اللَّوْحِ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ، تُكَسَّرُ تِلْكَ الحِجَارَةُ وَتُعْمَلُ وَيُبْنَىٰ بِهَا، وَبِنَاؤُهُمْ عَلَىٰ تَقَاطِيعِ بَغْدَادَ فِي التَّقْرِيضِ وَالتَّذْهِيبِ.

* * *

(١) أَيْ: القُطْنُ.

صِفَةُ وَادِي الظَّهْرِ (١)

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمٍ الزَّبِيدِيُّ الوَكِيلُ قَالَ: فِي أَعْمَالِ صَنْعَاءَ وَادٍ يُسَمَّىٰ وَادِي الظَّهْرِ، فَفِي بَعْضِ السِّنِينَ مُطِرَ غَيْثٌ طَحْطَاحٌ رَحْرَاحٌ فَسَالَتْ مِنْهُ الأَوْدِيَةُ وَرَوِيَتْ مِنْهُ البِلَادُ وَسُقِيَ مِنْهُ العِبَادُ، وَسَالَ أَوَاخِرُهُ إِلَىٰ الوَادِي، فَمِنْ حِدَّةِ جَرَيَانِهِ غَسَلَ الأَرْضَ مِنَ التُّرَابِ وَالحَصَىٰ فَظَهَرَ فِي بَطْنِ الوَادِي صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ:

أَنَا الَّذِي قَدْ أَفْنَىٰ ثَمُودًا ... وَعَادًا ثُمَّ أَفْنَىٰ جِبِلَّا

فَمَنْ يَعْمَلْ قَبِيحًا أَوْ جَمِيلًا ... بِهِ يَلْقَاهُ مَكْتُوبًا سِجِلَّا

فَبَقِيَتِ الصَّخْرَةُ فِي بَطْنِ الوَادِي يَقْرَؤُهَا زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَيَعْتَبِرُ مِنْهُ قَيْصَرُ وَجَعْفَرٌ عِدَّةَ شُهُورٍ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ المُدَّةِ جَاءَ سَيْلٌ أَعْظَمُ مِنَ الأَوَّلِ طَمَّ الصَّخْرَةَ بِالحَصَىٰ وَالتُّرَابِ وَرَجَعَ إِلَىٰ مَا كَانَ وَلَمْ يُعْرَفْ أَيْنَ كَانَ إِلَىٰ الآنَ.

* * *

---

(١) تَقَدَّمَ قَرِيبًا التَّعْرِيفُ بِهِ.

مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى المَحَالِبِ[١] رَاجِعًا

مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حِصْنِ ثُلَا[٢] ثَلَاثة فَرَاسِخَ، بَنَاهُ مَشَايِخُ بَنِي مَعْنٍ.

حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُقَرِّبِ[٣] بْنِ عَلِيٍّ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: إِنَّ تُبَّعًا بَنَوْا حُصُونًا سَبْعَةً، فَمِنْ جُمْلَتِهَا كَوْكَبَانُ وَحَبٌّ وَجَبَأُ وَنُكُورُ وَصَحْمُ وَعَزَّانُ وَثُلَا.

وَإِلَىٰ عَزَّانَ[٤] فَرْسَخٌ وَنِصْفٌ، بَنَاهُ الأَمِيرُ عِمَادُ الدِّينِ يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ الحُسَيْنِيُّ، وَإِلَىٰ مِسْكَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حَجَّةَ[٥] فَرْسَخَانِ، وَأَمَّا إِقْلِيمُ حَجَّةَ فَطَوِيلٌ عَرِيضٌ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ حِصْنًا، وَتُسَمَّىٰ المَقْطُوعَةَ وَالجَاهِلَ وَالأَغْرَابِيَّ وَقَرْنَ عِشَارٍ وَالشَّرَفَةَ وَالقُطَيْعَ وَجَبَلَ عَمْرٍو وَالظَّفِينَ وَالرَّهَبَةَ وَالعِيَارَ.

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: إِنَّ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ حُصُونٌ مَانِعَةٌ أَعْطَاهَا المَلِكُ المَسْعُودُ أَبُو المُظَفَّرِ يُوسُفُ[٦] بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَعَ ثَلَاثِينَ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالمَحَالِبِ.

(٢) ثُلَا: هِيَ بِالضَّمِّ وَيَنْطِقُونَهَا اليَوْمَ بِالكَسْرِ، مَدِينَةٌ وَحِصْنٌ بِالشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ بِمَسَافَةِ (٤٥) كِيلُو، نِسْبَةً إِلَىٰ ثُلَا بْنِ لُبَاجَة بْنِ أَقْيَانَ بْنِ حِمْيَرَ الأَصْغَرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٥٨).

(٣) يُنْظَرُ: «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ» (٤/ ١٣١٢).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٦٠).

(٥) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٢٣).

(٦) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٥٣٨)، وَ«سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٢٢/ ٣٣١) =

أَلْفَ دِينَارٍ حَتَّىٰ سَلَّمُوا إِلَيْهِ حِصْنَ نُكُورٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَإِلَىٰ الذَّنَائِبِ(١) خَمْسَةُ فَرَاسِخَ، وَيُكْرَىٰ بِهَذِهِ الأَعْمَالِ الشُّقَّةُ الشُّقْدُفُ الَّتِي تَلِي الجَبَلَ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ، وَالَّتِي تَلِي الوَادِيَ بِدِينَارٍ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الآسَادَ فِي هَذِهِ الأَمَاكِنِ كَثِيرَةٌ، يَكْمُنُ الأَسَدُ عَلَىٰ [سَقِيفٍ](٢) جَبَلٍ مُشْرِفٍ عَلَىٰ المَحَجَّةِ فَلَمْ يُحِسَّ الإِنسَانُ إِلَّا وَالأَسَدُ قَدِ اخْتَطَفَهُ مُكَابَرَةً وَالعَيْنُ تَرَىٰ العَيْنَ، وَالَّذِي مِمَّا يَلِي الوَادِيَ مَخْلَصٌ مِنْ خَوْفِ الأَسَدِ فَإِنَّهُ قَاعِدٌ عَلَىٰ تَلِّ السَّلَامَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أُسُودَ هَذِهِ البِلَادِ مُتَأَسِّدَةٌ، أَيْ سَحَرَةٌ يَقْلِبُونَ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الأُسُودِ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَعَالِي الدَّلَّالُ قَالَ: إِنَّ أُسُودَ هَذِهِ البِلَادِ قَطُّ لَمْ تَفْتَرِسْ حِمَارًا وَلَا بَقَرَةً وَلَا ضَأْنًا، وَلَمْ تَقْصِدْ إِلَّا ابْنَ آدَمَ، فَإِذَا قَصَدَ الإِنسَانُ شَجَرَةً نَزَلَ الأَسَدُ تَحْتَهَا وَيَبْقَىٰ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَيَنْتَظِرُ الإِنسَانُ مَتَىٰ يَتْعَبُ وَيَنْزِلُ فَيَأْكُلُهُ، وَتَرَىٰ الإِنْسَانَ يَقُولُ لِلأَسَدِ: بِاللهِ عَلَيْكَ إِلَّا مَا عَفَوْتَ عَنِّي، وَهُوَ يُرِيدُ نُزُولَهُ وَيَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الأَرْضَ وَالشَّخْصُ يُحَلِّفُهُ بِمَعْبُودِهِ إِلَىٰ أَنْ يَعْدُوَ عَلَيْهِ، قُلْتُ: فَمَا السَّبَبُ فِي تَأَسُّدِ القَوْمِ، فَإِنَّ الثَّوَابَ فِي الظُّلْمِ لِلْعَشِيرَةِ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ السِّحْرَ مِنْ بَعْضِهِمُ البَعْضِ وَيَتَأَسَّدُ الإِنْسَان وَيَجْتَهِدُ فِي إِيذَاءِ الخَلْقِ بِأَوْحَشِ الصُّورَةِ وَالخُلُقِ، وَإِنَّهُمْ طُولُ حَيَاتِهِمْ بَيْنَهَا

=

بِرَقْمِ (٢٠١).

(١) قَرْيَةٌ خَارِبَةٌ فِي مُدِيرِيَّةِ المِغْلَافِ بِتِهَامَةَ، كَانَتْ قَائِمَةً بِالقُرْبِ مِنْ بَلْدَةِ «المَهْجَمِ» فِي أَسْفَلِ جَبَلِ مِلْحَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٥١).

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ «ج».

حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا**»(١).

وَإِلَىٰ المَحَالِبِ(٢) خَمْسَةُ فَرَاسِخَ.

* * *

(١) هَذَا الحَدِيثُ لَا يَثْبُتُ عَنْهُ ﷺ فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَأَوْرَدُوهُ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي بَيَّنُوا فِيهَا جُمْلَةً مِنَ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي يَتَدَاوَلُهَا النَّاسُ وَهِيَ لَا تَثْبُتُ عَنْهُ ﷺ، مِنْهَا «العِلَلُ المُتَنَاهِيَةُ فِي الأَحَادِيثِ الوَاهِيَةِ» (٢/ ٨٠٥) بِرَقْمِ (١٣٤٦) لِابْنِ الجَوْزِيِّ، وَ«المَقَاصِدُ الحَسَنَةُ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ المُشْتَهِرَةِ عَلَىٰ الأَلْسِنَةِ» بِرَقْمِ (٧٨٩) لِلسَّخَاوِيِّ، وَ«تَنْزِيهُ الشَّرِيعَةُ المَرْفُوعَةُ عَنِ الأَخْبَارِ الشَّنِيعَةِ المَوْضُوعَةِ» (٢/ ٣١١) بِرَقْمِ (٩٣) لِابْنِ عَرَّاقٍ الكِنَانِيِّ.

(٢) وَتَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«المَحَالِبِ».

مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَأْرِب[١]

حَدَّثَنِي سَلَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَجَّاجِ المَذْحِجِيُّ قَالَ: مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ مَسْوَرٍ[٢] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، أَرْضُ بَنِي بَاهِشَ، وَإِلَىٰ وَادِي جَنَّاتٍ[٣] أَرْبَعة فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ المَأْزِمَيْنِ أَرْبَعة فَرَاسِخَ.

* * *

(١) مَأْرِبُ: مِنْ أَقْدَمِ المُدُنِ اليَمَنِيَّةِ وَأَكْثَرِهَا أَهَمِيَّةً، وَقَدِ اتَّخَذَهَا السَّبَئِيُّونَ عَاصِمَةً لَهُمْ فِي القَرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ المِيلَادِ، وَكَانَتْ فِي عَهْدِهِمْ أَكْبَرَ مَدِينَةٍ فِي جَنُوبِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ انْتِعَاشًا مِنْ نَاحِيَةِ الزِّرَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالعُمْرَانِ. وَلِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ عَنْهَا يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٥٨) لِلْمَقْحَفِيِّ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٧، ٦٨، ٦٩).

(٢) نِسْبَةً إِلَىٰ مَسْوَرِ بْنِ عمرو بْنِ مَعْدِي كَرِب، وَهُوَ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُطِلُّ عَلَىٰ بِلَادِ حَجَّةَ وَتِهَامَةَ وَيَقَعُ غَرْبَ مَدِينَةِ «ثُلَا». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٢٤).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٥٧).

ذِكْرُ هَدِّ سَدِّ المَأْزِمَيْنِ[١]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ حَجَّاجٍ قَالَ: سَدَّتْ أَهْلُ شَدَّادٍ وَعَادٍ مَنْفَذَ جَبَلَيْنِ بِالحَجَرِ وَالرَّصَاصِ وَصَعَّدُوا فِي ارْتِفَاعِهِ إِلَىٰ أَنْ حَاذَىٰ الحَائِطُ ذِرْوَةَ الجَبَلَيْنِ، فَصَارَتِ السُّيُولُ تَفْلِتُ فِيهِ وَالمَاءُ يَسْتَجْمِعُ إِلَىٰ أَنْ رَجَعَ بَحْرًا مَسْدُودًا، وَكَانُوا يَسْقُونَ مِنْهُ أَرَاضِيَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْقُونَ مِنْهُ إِلَىٰ قُرْبِ الشَّأْمِ بَسَاتِينَ ذَاتَ أَعْنَابٍ وَنَخْلٍ وَزَرْعٍ وَقُرًىٰ مُتَّصِلَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَبَقِيَ الإِقْلِيمُ عَامِرًا إِلَىٰ أَنْ أَخْرَبَهُ اللهُ، وَكَانَ المُوجِبُ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِي[٢] أَنَّهُ خَرَجَتْ قَافِلَةٌ مِنَ الشَّأْمِ وَإِذَا بِفَأْرٍ قَفَزَ مِنَ الأَرْضِ رَكِبَ ظَهْرَ جَمَلٍ مِنْ بَعْضِ الأَجْمَالِ الَّتِي فِي القَافِلَةِ، وَلَا زَالَ الفَأْرُ يَنْتَقِلُ مِنْ جَمَلٍ إِلَىٰ جَمَلٍ وَيَعْبُرُ مَنْزِلًا بَعْدَ مَنْزِلٍ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ مَدِينَةَ مَأْرِبَ فَقَفَزَ الفَأْرُ مِنَ الجَمَلِ وَدَخَلَ السَّدَّ وَصَارَ يَعْمَلُ فِيهِ عَمَلَهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ النُّعْمَانَ خَرَجَ يَوْمًا فِي طَلَبِ الصَّيْدِ فَحَصَّلَ فِي طَرْدِ الصَّيْدِ فَوَجَدَ الفَأْرَ بِأَنْيَابٍ حَدِيدٍ يَحْفِرُ السَّدَّ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَبِيهِ المُنْذِرِ قَصَّ عَلَيْهِ حِكَايَةَ الفَأْرِ وَصِفَةَ أَنْيَابِهِ أَنَّهَا مِنْ حَدِيدٍ يَحْفِرُ السَّدَّ، فَقَالَ المُنْذِرُ: صَحَّ يَا بُنَيَّ، مَا وَجَدْنَاهُ فِي

---

(١) أَيْ: الجَبَلَيْنِ، وَأَصْلُ «المَأْزِمَيْنِ» الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَسْمِيَةُ الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالمَشْعَرِ الحَرَامِ بِـ«المَأْزِمَيْنِ».

(٢) وَيُنْظَرُ: «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» (١٩/ ٢٥٢) وَمَا بَعْدَهَا مِنْ تَفْسِيرِ الآيَةِ رَقْم: ١٦ مِنْ سُورَةِ سَبَأ.

الكُتُبِ أَنَّ مَا يُخْرِبُ سَدَّ مَأْرِبَ إِلَّا فَأْرٌ أَنْيَابُهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَأُرِيدُ مِنْكَ إِذَا دَخَلْنَا يَوْمَ الأَحَدِ إِلَىٰ الدَّيْرِ[(١)] وَالكَنَائِسِ وَالنَّاسُ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ فَقُمْ إِلَيَّ وَشَاكِلْنِي فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ وَطَوِّلْ لِسَانَكَ عَلَيَّ، فَإِذَا رَأَيْتَ الأَمْرَ قَدْ طَالَ قُمْ إِلَيَّ وَالْطِمْنِي بِرَاحَةِ كَفِّكَ عَلَىٰ خَدِّي.

قَالَ النُّعْمَانُ: وَكَيْفَ يُمْكِنُ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، افْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، لِأَنَّ لِي فِيهِ رَأْيًا، وَلَكَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، فَفَعَلَ الوَلَدُ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَالِدُهُ.

فَلَمَّا لَطَمَ الشَّيْخَ غَضِبَ الشَّيْخُ، فَمِنَ الحِينِ سُمِّيَ المَلْطُومَ، فَقَامَ الشَّيْخُ بَيْنَ الجَمِيعِ وَقَالَ: يَا وُجُوهَ العَرَبِ، مَا بَقِيَ لِي مَعَكُمْ سَكَنٌ، قَالُوا لَهُ الجَمِيعُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَيْفَ أَحْرَقَنِي صَبِيٌّ وَكَسَرَ حِشْمَتِي بَيْنَكُمْ وَحُرْمَتِي!.

وَمِنْ سَاعَتِهِ نَادَىٰ عَلَىٰ السَّدِّ فَتَأَلَّبَتْ وَالْتَأَمَتْ قَبَائِلُ العَرَبِ فِي شِرَاهُ، قَالُوا: بِكَمْ؟ قَالَ: تُغْمِدُوا سَيْفِيَ هَذَا! وَغَرَسَ ذُؤَابَ سَيْفِهِ عَلَىٰ الأَرْضِ وَصَارَتِ العَرَبُ تَنْقُلُ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَالمَصَاغَ إِلَيْهِ، وَمَا زَالُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ يَصُبُّونَ الذَّهَبَ إِلَىٰ غِمْدِ سَيْفِهِ بِالذَّهَبِ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ المَالَ وَصَعِدَ الجَبَلَ وَسَكَنَ مُقَابِلَ السَّدِّ، وَالجَبَلُ يُسَمَّىٰ جَبَلَ حَفَا، وَهُوَ وَأَهْلُهُ فِيهِ يَنْتَظِرُونَ خَرَابَ السَّدِّ، وَلَمَّا تَمَكَّنَ الفَأْرُ مِنَ السَّدِّ وَخَرَّقَهُ أَخْرَبَهُ وَضَرَبَ السَّيْلُ[(٢)].

---

(١) الدَّيرُ: بِيَعُ النَّصَارَىٰ وَكَنَائِسُهُمْ.

(٢) هَذِهِ القِصَّةُ ذَكَرَهَا يَاقُوتُ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٥ - ٣٦)، وَفِيهَا اخْتِلَافٌ لَا سِيَّمَا فِي اللَّاطِمِ وَالمَلْطُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيُنْظَرُ: «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٣/ ١١٠) وَمَا بَعْدَهَا.

حَدَّثَنِي سَلَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَجَّاجٍ قَالَ: لَمَّا دَفعَ السَّدُّ أَخَذَ المَاءُ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَ أَلْفَ صَبِيٍّ أَمْرَدَ عَلَىٰ أَلْفِ حِصَانٍ أَبْلَقَ غَيْرَ البِيضِ وَالشُّقْرِ وَالدُّهْمِ وَالخُضْرِ، كَمَا قَالَ:

تَهَدَّمَ سَدُّ المَأْزِمَيْنِ وَقَدْ مَضَىٰ ... زَمَانٌ وَهُوَ يَنْقَادُ حَيْثُ يُقَادُ[١]

وَإِلَىٰ مَأْرِبَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَتُسَمَّىٰ الحِصْنَيْنِ، وَمِنْ هَذِهِ البَلْدَةِ نَقَلَتِ الجِنُّ عَرْشَ بِلْقِيسَ إِلَىٰ أَرْضِ فَارِسَ، فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلَام، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[٢]. فَقَالَ:

مَوْلَاتُنَا وَوَلِيَّةُ آلِ الَّذِي ... طَالَتْ كَمَا طَالَتْ عُلَا بِلْقِيسَ

---

(١) وَفِي عَامِ (١٩٨٦م) أَعْلَنَ رَئِيسُ دَوْلَةِ الإِمَارَاتِ العَرَبِيَّةِ الشَّيْخُ زَايِدُ بْن سُلْطَانَ آلُ نَهْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَبَرُّعَهُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ سَدِّ مَأْرِب بِجَانِبِ السَّدِّ القَدِيم، وَفِي عَامِ (٢٠٠٣م) بَدَأَ العَمَلُ فِي المَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَشْرُوعِ قَنَوَاتِ إِعَادَةِ تَأْهِيلِ سَدِّ مَأْرِبَ بِطُولِ (٦٩) كِيلُو مِتْرَ بِتَكْلفَةٍ بَلَغَتْ ٢٣ مِلْيُون و٩١٠ آلَاف دُولَار أَمرِيكِي بِتَمْوِيلِ مِنْ صُنْدُوقِ أَبُو ظَبْيٍ لِلتَّنْمِيَةِ، وَتَبْلُغُ مِسَاحَةُ بُحَيْرَةِ السَّدِّ ٣٠ كِيلُو مِتْر مُرَبَّع يَسَعُ ٤٠٠ مِلْيُون مِتْر مُكَعَّب مِنَ المَاءِ، فِيمَا تَعْمَلُ بَوَّابَةُ التَّصْرِيفِ الخَاصَّةُ بِهِ بِطَاقَةٍ قَدْرُهَا ٣٥ مِتْرًا مُكَعَّبًا فِي الثَّانِيَةِ لِرَيِ حَوَالِي ١٦ أَلْف هِكْتَارٍ مِنَ الأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ، وَيَبْلُغُ عُمْقُ الجِسْمِ الخَرَاسَانِيِّ لِلسَّدِّ ٦٠ مِتْرًا، وَمِسَاحَتُهُ ٢٤ أَلْف مِتْر مُرَبَّع، وَطُولُهُ ٧٦٣ مِتْرًا، وَعَرْضُهُ عِنْدَ مُسْتَوَىٰ سَطْحِ الوَادِي ٣٣٧ مِتْرًا، وَعِنْدَ مَخْرَجِ المِيَاهِ مِنْ بَوَّابَةِ التَّصْرِيفِ ١٩٥ مِتْرًا، كَمَا بَلَغَ إِجْمَالِي حَجْمِ الرَّدْمِيَّاتِ فِي جِسْمِ السَّدِّ ٣ مَلَايين مِتْر مُكَعَّب، وَتَمَّ إِزَالَةُ ٢٠٠ أَلْف مِتْر مِنَ الصُّخُورِ مِنْ جَانِبَي المَوْقِعِ، وَتَغْطِيَةُ جِسْمِ السَّدِّ بِصُخُورٍ بَلَغَ حَجْمُهَا ١٠٠ أَلْف مِتْر مُكَعَّب. «وِيْكِيبِيدْيَا».

(٢) [النَّمْل، آيَة: ٤٢].

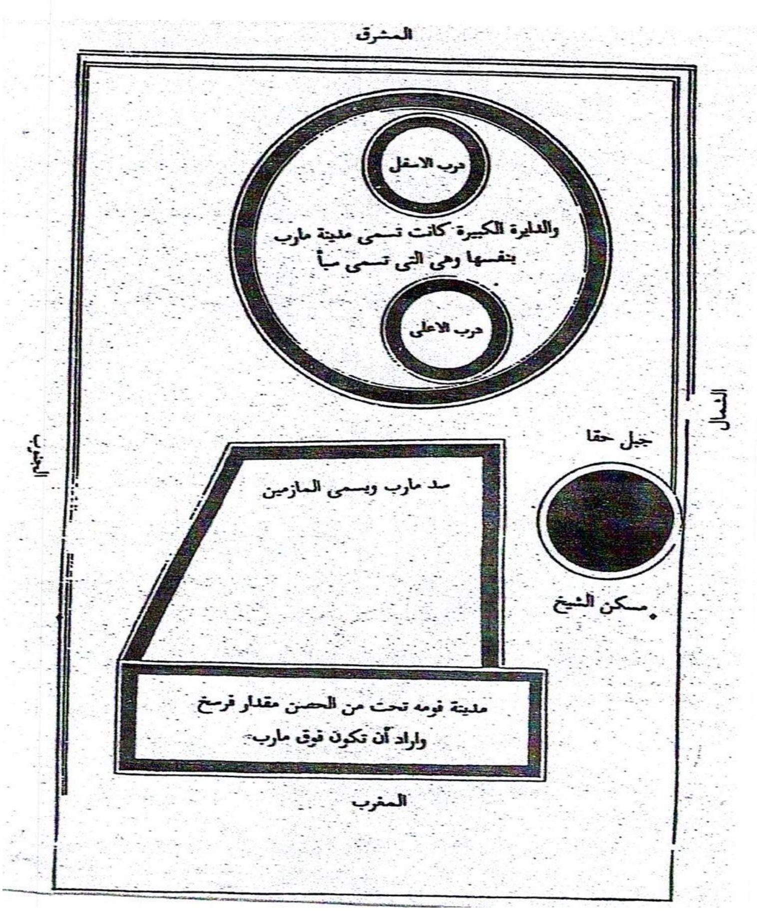
فَلَمَّا انْدَقَّ(١) السَّدُّ أَخَذَ مَأْرِبَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَ، فَلَمَّا زَالَ شَرُّ المَاءِ وَضَرَرُهُ دَارَتِ الخَلْقُ عَلَىٰ مَوْضِعَيْنِ سَلِيمَيْنِ مِنْهُ صوران يُسَمَّىٰ أَحَدُهُمَا دَرْبَ الأَعْلَىٰ وَالثَّانِي دَرْبَ الأَسْفَلِ، وَفِي دَرْبِ الأَعْلَىٰ شَارِعٌ يُقَالُ لَهُ: شَارِعُ الفُضُولِ، كُلُّ مَنْ تَلَاكَمَ وَتَعَرْبَدَ وَضُرِبَ وَضَرَبَ لَا يُؤْخذ لَهُ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ حَقٌّ، فَإِنْ كَانَ خَارِجًا عَنِ الشَّارِعِ وَجَبَ عَلَىٰ كُلٍّ حَقُّهُ فِي الأَخْذِ وَالرَّدِّ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مَغْرِبِيٌّ قَالَ: وَكَانَ حُسَامُ الدِّينِ عَلَىٰ لُؤْلُؤ فِي صَنْعَاءَ وَالِيًا يُقَالُ لَهُ: وَالِي الفُضُولِ، كُلُّ مَنْ كَانَ يَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ فَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارًا.

وَهُوَ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ.

* * *

(١) أَيْ: انْهَدَمَ.



وَيُقَالُ: إِنَّ مَدِينَةَ مَأْرِبَ بَنَاهَا سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَيُقَالُ: عَابِرُ، وَهُوَ: هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّي سَدَّ مَأْرِبَ لِأَنَّ قَوْمَ عَادٍ لَمَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ وَكَانَ يَقِفُ عَلَىٰ السَّدِّ كُلَّ يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا مِنْ رَجُلٍ لِيَرُدُّوا عَنْ أَصْحَابِهِمُ البَلَاءَ، وَكَانَتِ الرِّيحُ تَضْرِبُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(١) فَبَنَوُا السَّدَّ لِيَرُدَّ عَنْهُمْ قُوَّةَ المَاءِ، فَلَمَّا عَذَّبَ

---

(١) [الذَّارِيَات، آيَة: ٤٢].

تِلْكَ الأُمَّةَ اجْتَمَعَ السُّيُولُ فِيهِ وَكَثُرَتِ المِيَاهُ فَبَقِيَ جَرْيًا لِلمَاءِ فَبُنِيَ عَلَيْهِ قُرًىٰ وَعِمَارَاتٌ وَزِرَاعَاتٌ إِلَىٰ حُدُودِ الشَّأْمِ[(١)] وَكَانَ يُسْقَىٰ مِنْهُ جَمِيعُ ذَلِكَ.

فَصْلٌ: وُلِدَ لِحُصَيْصِ بْنِ حِصْنٍ وَلَدٌ فِي مَأْرِبَ أَمْسَىٰ عِلْمُهُ فِي حَضْرَمَوْتَ مَسِيرَةَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، لِأَنَّ كُلَّ نَاطُور[(٢)] زرع كَانَ يُخْبِرُ صَاحِبَهُ أَمَّا الخَبَرُ بِحَضْرَمَوْتَ، وَذَلِكَ مِنْ عِمَارَةِ البِلَادِ وَكَثْرَةِ العِبَادِ.

بِأَعْمَالِ العَوَاهِلِ جَبَلٌ يُسَمَّىٰ المَعْدِنَ، وَهُوَ مَعْدِنُ الفِضَّةِ، وَجَبَلٌ يُسَمَّىٰ سرواح[(٣)] مَعْدِنِ الذَّهَبِ، وَتُرَابُهُ أَصْفَرُ يُشْبِهُ الزِّرْنِيخَ لَمْ يَعْرِفْ أَهْلُ زَمَانِنَا هَذَا عَمَلَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّ قَوْمَ عَادٍ كَانُوا يَسْتَخْرِجُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ مِنْ هَذَيْنِ المَعْدِنَيْنِ وَهُمْ فِي هَذِهِ الأَعْمَالِ، مَا بَيْنَ إِقْلِيمِ العَوَاهِلِ، وَوَادِي بَيْحَانَ جَبَلُ مِلْحٍ لَمْ يَكْتَلْ عَرَبُ مَذْحِجَ وَالبَدْوُ وَالبِلَادُ إِلَّا مِنْهُ، وَيُقَالُ: بَلْ يَكْتَالُ مِنْهُ عَرَبُ نَجْدٍ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ البَدْوَانِ، وَيُوجَدُ بِهَذِهِ الأَرَاضِي النَّعَامُ وَالفُهُودُ وَالظِّبَاءُ وَالأَيَائِلُ[(٤)] كَثِيرَةٌ، وَجَمِيعُ بِنَاءِ القَوْمِ بِالحَجَرِ الرُّخَامِ المَنْحُوتِ المَنْجُورِ، وَكَانَ يُنْقَلُ فِي قَدِيمِ العَصْرِ مِنْ جَبَلِ يَامَ[(٥)]، وَهُوَ مُقَارِبُ بَرَاقِشَ[(٦)] مَسِيرَةَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، حِصْنٌ أَبْيَضُ.

---

(١) شَأْمِ اليَمَنِ.

(٢) أَيِ: الحَارِس.

(٣) وَهُوَ المَعْرُوفُ بِـ«صُرْوَاح»، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٠٤).

(٤) الأَيَائِلُ: جَمْعُ أَيِّلٍ، وَهُوَ الذَّكَرُ مِنَ الأَوْعَالِ، وَسُمِّيَ بِهَذَا الاِسْمِ لِأَنَّهُ يَؤُولُ إِلَىٰ الجِبَالِ فَيَتَحَصَّنُ فِيهَا. «العَيْنُ» (٨/ ٣٥٨) لِلْفَرَاهِيدِيِّ.

(٥) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٩٦).

(٦) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٥٠).

مِنْ مَأْرِبَ إِلَى الجَوْفِ[١]

مِنْ مَأْرِبَ إِلَىٰ وَرْسَانَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، بِئْرٌ صَغِيرٌ مِنْ بِنَاءِ قَوْمِ عَادٍ، وَإِلَىٰ بَرَاقِشَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ مِنْ أَعْمَالِ الجَوْفِ، وَإِلَىٰ مَعِينٍ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ هَرِمَ[٢] فَرْسَخٌ، وَفِيهِ يُقَالُ:

مَا بَيْنَ مَعِينٍ وَهَرِمْ ... سَبْعُونَ بِئْرًا لِابْنِ لَخَمْ
مَطْوِيَّةً بِالسَّاجِ مِنْ جَوْفِ القَدَمْ ... مَا بَرِحَتْ لَخْمٌ حَابَ لَحَمْ
غَلَبَتْ عَلَيْهَا هُذَيْلٌ وَعُقَيْلٌ وَجُشَمْ

وَإِلَىٰ الجَوْفِ الأَعْلَىٰ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، أَرْضُ بَنِي دَعَامَ، وَبِهِ مِنَ القُرَىٰ العَادِيَّةِ مَعْمُورٌ دَرْبُ الظَّالِمِ وَالسُّوقُ وَدَارُ عُصَيَّةَ وَوحسَانُ[٣] وَسَعْمُومُ وَصُهَيْدُ، وَالقَاعُ

---

(١) الجَوْفُ: وَادٍ وَمَنْطِقَةٌ شَمَالَ شَرْقِ صَنْعَاءَ بِمَسَافَةِ (١٤٥) كِيلُو، وَفِي الحُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ لِمُحَافَظَةِ مَأْرِبَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٧٣).

(٢) هَرِمُ: بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ، مَدِينَةٌ أَثَرِيَّة بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ «الحَزْمِ» عَاصِمَةِ مُحَافَظَةِ الجَوْفِ، وَيُقَالُ لَهَا اليَوْمَ: «الخَرْبَةُ»، وَقَدْ زَارَهَا عَدَدٌ مِنَ المُهْتَمِّينَ بِتَارِيخِ اليَمَنِ وَآثَارِهِ، مِنْهُمْ جُوزِيفُ هَالِيفِي، وَعَالِمُ الآثَارِ المِصْرِيُّ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ فَخْرِي، وَيُنْظَرُ لِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي تَقْرِيرِ هَالِيفِي عَنْ رِحْلَتِهِ إِلَيْهَا سَنَةَ (١٨٧١م) فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨١٦).

(٣) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «وَحسَانُ» بِالسِّينِ، وَالمَعْرُوفُ اليَوْمَ: «وَحشَانُ» مِنْ قُرَىٰ آلِ رَاشِدِ بْنِ مُنِيفٍ إِحْدَىٰ قَبَائِلِ عَبِيدَة أَبْرَاد فِي شَمَالِ شَرْقِ مَدِينَة مَأْرِبَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٥٩).

يُزْرَعُ بِهِ الحِنْطَةُ وَالكَمُّونُ، وَكُلُّ هَذِهِ القُرَىٰ عَامِرَةٌ بِأَهْلِهَا. وَلَا يَزَالُ القِتَالُ بَيْنَهُمْ دَائِمًا، وَمَشَايِخُ البِلَادِ يَدْعُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَرْوَاحِهِمْ وَالضُّعَفَاءُ يَزْرَعُونَ وَيَحْصُدُونَ، وَالَّتِي هِيَ خَالِيَةٌ مِنَ السُّكَّانِ السَّوْدَاءُ[(١)] وَحرَاضَةُ وَدَرْبُ بَنِي محرم وَالعَاصَّةُ، وَفِي الجَوْفِ السَّوْدَاءُ وَالبَيْضَاءُ[(٢)] وَمَعِينٌ[(٣)] وَهَرِم وَسرَالُ وَبَرَاقِشُ وَدَرْبُ أَقْصَىٰ وَمَقْعَدُ الفِيلِ وَالجَارُ وَبردَا وَحَمِضَةُ وَحمضٌ وَالهُجَيْرَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) السَّودَاءُ: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ فِي الجَوْفِ كَانَتْ عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ المَعِينِيَّةِ، وَتُعْرَفُ قَدِيمًا بِاسْمِ «نشَّان»، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ سُورُهَا مَهْدُومٌ مَا عَدَا القَلِيلَ مِنْهُ، أَمَّا مَدْخَلُ البَابِ وَالمِسَاحَةُ فَتُقَارِبُ مَدِينَةَ البَيْضَاءِ -الآتِي ذِكْرُهَا- كَذَلِكَ ضَخَامَةُ الأَحْجَارِ وَفَنُّ البِنَاءِ، وَفِيهَا نُقُوشٌ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهَا مُبَعْثَرَةٌ وَنَاقِصَةٌ وَبَعْضُ حُروفِهَا مُكَسَّرَةٌ مُشَوَّشٌ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٢٧)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٠).

(٢) البَيْضَاءُ مَدِينَةٌ أَثَرِيَّةٌ بِالجَوْفِ تَقَعُ عَلَىٰ مَقْرُبَةٍ مِنْ خَرَائِبِ مَدِينَةِ هَرِمَ، وَقَدْ كَانَتْ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِاسْمِ «نَشَقْ»، وَبَنَاهَا أُبَيْدعُ آل ابْن بَتع، وَكُتِبَ اسْمُهَا وَاسْمُ بَانِيهَا عَلَىٰ كُلِّ بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ المَدِينَةِ، وَهِيَ أَجَلُّ آثَارِ الجَوْفِ القَائِمَةِ، وَسُورُهَا قَائِمٌ، وَلِمَزِيد مَعْرِفَةٍ عَنْهَا يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢١٢).

(٣) مَعِينٌ: كَانَتْ عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ المَعِينِيَّةِ وَهِيَ فِي أَعْلَىٰ وَادِي الجَوْفِ وَهِيَ غَنِيَّةٌ بِالآثَارِ، وَلِهَذَا أَشَارَ المُسْتَشْرِقُ الفِرنْسِيُّ هَاليفِي الَّذِي عَثَرَ عَامَ (١٨٧٠م) عَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ نَقْشًا مَعِينيًّا أَنَّ هَذِهِ المَنْطِقَةَ هِيَ أَغْنَىٰ بُقْعَةٍ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ بِالآثَارِ، وَلِمَزِيد مَعْرِفَةٍ عَنْهَا يُنْظَرُ: «مُعجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥٩٣).

صِفَةُ هَذِهِ الأَعْمَالِ

مَسَاكِنُ شَدَّادٍ وَعَادٍ وَالتَّبَابِعَةِ الجَبَابِرَةِ، بِنَاؤُهُمْ بِالحَجَرِ وَالرُّخَامِ وَالرَّصَاصِ وَشَيْءٍ مِنْهَا نُقِرَ فِي الجِبَالِ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[1] وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَلِينُ لَهُمُ الحَجَرُ فِي العَامِ شَهْرَ زَمَانٍ، وَالأَصَحُّ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَفِي هَذِهِ المُدَّةِ كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْهُ مَا أَرَادُوا، فَلَمَّا كَفَرُوا نِعْمَةَ اللهِ ﷻ، خُسِفَ بِهِمْ وَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ وَتَشَتَّتُوا فِي أَقَاصِي الرَّبْعِ المَسْكُونِ وَأَدَانِي البَحْرِ المَعْمُورِ، شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، كَمَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ، الحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ، المَعْرُوفُ بِالمَذْحِجِيِّ، فِي ذَلِكَ:

فِي فِتْيَةٍ كَالسُّيُوفِ هَزَّهُمُ ... شَرْخُ شَبَابٍ وَزَانَهُمْ أَدَبُ

لَمَّا أَرَابَ الزَّمَانُ فَاقْتَسَمُوا ... أَيْدِي سَبَأٍ فِي البِلَادِ فَانْشَعَبُوا

لَمْ يُخْلِفِ الدَّهْرُ مِثْلَهُم أَبَدًا ... عَلَىٰ هَنَاتٍ لِشَأْنِهِمْ عَجَبُ

لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ رُوحَهُمُ ... لَيْسَ لَهَا مَا حَيِيتُ مُنْقَلَبُ

أَبْلَيْتُ صَبْرًا لَمْ يُبْلَهُ أَحَدٌ ... وَأَقْسَمَتْنِي مَآرِبٌ شُعَبُ[2]

---

(١) [الشُّعَرَاء، آيَة: ١٤٩]، وَوَقَعَ هُنَا: «بُيُوتًا آمِنِينَ»، وَهُوَ خَطَأٌ وَلَبْسٌ بَيْنَ هَذِهِ الآيَةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الحِجْرِ [الآيَة رَقْم: ٨٢]: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾.

(٢) «دِيوَانُ أَبِي نُوَاسٍ» (ص٧) (شَامِلَة).

فَرَجعَتِ الدُّورُ قُبُورًا وَالمَسَاكِنُ مَسَاكِنَ فَارْتَدَمَتْ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقَلَّعَتِ النَّخِيلُ وَالأَشْجَارُ وَطَلَعَ بَدَلَهُ العُشْبُ وَالأَرَاكُ، وَسَكَنَتِ البَدْوَانِ بِبُيُوتِهَا الشَّعَرَ، وَصَارَتْ الإِبِلُ تَرْعَىٰ بَيْنَ عَامِرِ الخَرَابِ وَتَشْرَبُ ظِبَاؤُهَا مِنَ النَّدَىٰ وَالسَّرَابِ، لَبِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ[(١)] فِي المَعْنَىٰ:

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا المَطِيَّ قَلِيلَا ... يَشْفِي العَلِيلُ مِنَ الدِّيَارِ غَلِيلَا

هَذِي طُلُولُهُمُ أَطَلْنَ صَبَابَتِي ... وَتَرَكْنَ قَلْبِيَ مِنْ عَرَايَ طُلُولَا

وَلَئِنْ خَلَتْ مِنْهُمْ مَرَابِعُهُمْ فَقَدْ ... غَادَرْنَ قَلْبِيَ بِالغَرَامِ أَهِيلَا

لَوْ أَنَّ عِيسَهُمُ غَدَاةَ رَحِيلِهِمْ ... حُمِّلْنَ وَجْدِي مَا أَطَقْنَ رَحِيلَا

إِنَّ الظَّعَائِنَ يَوْمَ جَزْعٍ مُفْحِشٍ ... أَبْقَيْنَ لِي جَزَعًا بِهَا وَعَوِيلَا

مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَا عَدِيلَ لِحُسْنِهَا ... رَحَلَتْ فَكَانُوا لِلْفُؤَادِ عَلِيلَا

كَالبَدْرِ وَجْهًا وَالغَزَالِ سَوَالِفًا ... وَالرَّمْلِ رِدْفًا وَالقَنَاةِ ذُبُولَا

وَلِآخَرَ يَقُولُ:

يَا قَلْبُ هَلْ مِنْكَ إِنْ سَلَيْتَ سَلْوَانُ ... أَمْ أَنْتَ فِي غَمَرَاتِ الحُبِّ وَلْهَانُ

وَاللهِ مَا طَابَ لِي عَيْشٌ أُسَرُّ بِهِ ... حَتَّىٰ يَعُودَ أُصَيحَابِي كَمَا كَانُوا[(٢)]

هَيْهَاتَ بَانُوا فَلَا وَاللهِ مَا طَمِعَتْ ... نَفْسِي بِقُرْبِكُمُ مِنْ بَعْدِ مَا بَانُوا

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَىٰ عَيْشٍ نَعِمْتُ بِهِ ... أَيَّامَ لِي فِيهِ أَوْطَارٌ وَأَوْطَانُ

---

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ابْنِ القمِّ اليَمَنِيُّ كَمَا فِي «خَرِيدَةُ القَصْرِ» (٢/ ٥٢١) (شَامِلَة).

(٢) أُصَيْحَابي تَصْغير أَصْحابي.

أَقْسَمْتُ مَا سَرَّ قَلْبِي بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ خَلْقٌ وَلَا لَاحَ لِلإِنْسَانِ إِنْسَانُ

وَيُسَمَّىٰ هَذَا الإِقْلِيمُ إِقْلِيمَ العَوَاهِلِ، وَهُوَ بِالطُّولِ مِنْ نَجْرَانَ[1] إِلَىٰ بَيْحَانَ[2]، وَبِالعَرْضِ مِنْ رَوْضَةِ نَسْرٍ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ.

* * *

---

(١) يُنْظَرُ: «الإِكْلِيلُ فِي أَخْبَارِ اليَمَنِ وَأَنْسَابِ حِمْيَرٍ» (١/ ٦٤).

(٢) بَيْحَانُ: وَادٍ مَشْهُورٌ فِي قَاعٍ فَسِيحٍ يَمْتَدُّ مِنْ شَمَالِ مَدِينَةِ البَيْضَاءِ العَامِرَةِ إِلَىٰ أَطْرَافِ رَمْلَةِ السَّبْعَتَيْنِ، يُشَكِّلُ فِي أَعْمَالِهِ مُدِيرِيَّةً مِنْ مُدِيرِيَّاتِ مُحَافَظَةِ شَبْوَةَ وَعَاصِمَتُهَا مَدِينَةُ «العِلْيَا» الَّتِي كَانَ يُقَالُ لَهَا: «بَيْحَانُ القِصَابِ»، وَتَضُمُّ المُدِيرِيَّةُ عَدَدًا مِنَ المَنَاطِقِ الأَثَرِيَّةِ الهَامَّةِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي وَادِي عِسَيْلَان وَوَادِي عَيْن وَوَادِي مَبْلَقَه. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٠٨).

مِنْ مَأْرِبَ إِلَى صَنْعَاءَ رَاجِعًا

مِنْ مَأْرِبَ إِلَىٰ بِئْرِ مَوْهِلَ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ حَرْنِينَ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ طِبَالِ العَاشِرِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ الرَّحْبَةِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ صَنْعَاءَ فَرْسَخَانِ.

*　*　*

مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى صَعْدَةَ

عَلَىٰ الطَّرِيقِ القَدِيمِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكَانَ هَذَا الطَّرِيقُ يُسْلَكُ فِي أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا ظَهَرَ الإِسْلَامُ بَطَلَ.

مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ مَرْمَلَ[(١)] ثَلَاثة فَرَاسِخَ، سَرِيرُ مُلْكِ أَعْمَالِ الخَشَبِ، وَهُوَ مَسَاكِنُ ثَمُودَ، وَالأَصَحُّ مَسَاكِنُ التَّبَابِعَةِ، وَجَمِيعُ مَا بُنِيَ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ المُدُنُ مِنْهَا وَالقُرَىٰ طُولُ كُلِّ لَوْحِ حَجَرٍ مِنْهُ عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، زَائِد لَا نَاقِص، وَهُوَ الآنَ كُلُّهُ خَرَابٌ بِنَاهُ.

وَإِلَىٰ ثَرَيْدَ[(٢)] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، مِنْ أَعْمَالِ توبينَ، وَهُمَا وَادِيَانِ، وَإِلَىٰ رَأْسِ نَقِيلِ عَجِيب ثَلَاثَةُ فَرَاسِخ دَرَّجَهُ أَسْعَدُ الكَامِلُ، وَإِلَىٰ نَقِيلِ الفَقْعِ[(٣)] فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ

---

(١) مَرْمَل: بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، بَلْدَةٌ ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ ضِمْنَ القُرَىٰ المُجاورة لِجَبَلِ ضِينَ، وَهِيَ خَارِبَةٌ اليَوْمَ، وَالمَعْرُوفُ أَنَّ جَبَلَ ضِينَ يَقَعُ شَمَالَ غَرْبِ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ عَلَىٰ خَطِّ الطَّرِيقِ إِلَىٰ مَدِينَةِ عَمْرَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ٤٩٤).

(٢) ثَرَيْد: بِفَتْحِ الثَّاءِ وَالرَّاءِ وَسُكُونِ اليَاءِ، يُنْظَرُ: «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٢٠١) لِلْهَمْدَانِيِّ مَعَ تَعْلِيقِ المُؤَرِّخ مُحَمَّدٍ الأَكْوَعِ.

(٣) الفَقْعُ: ذَكَرَه الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ الجَزِيرَةِ» (ص٢٢٢) وَغَيْرِهِ مِنَ المَوَاضِع.

المُصَيْرِعِ فَرْسَخٌ، وَفِيهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَرَعَ الكُفَّارَ، وَأَنْشَدَ بَعْضُ العَرَبِ المُصَرَّعِينَ يَقُولُ:

كُلِينَا يَا سِبَاعُ وَجَرْجِرِينَا ... فَوَاللهِ يَا سِبَاعُ لَتَفْقِدِينَا

عَلَيْنَا البِيضُ وَالدُّرُقُ اليَمَانِي ... وَأَسْيَافٌ تُجَرُّ وَتَعْذُرِينَا

وَإِلَىٰ نَجْدِ فَرْشٍ فَرْسَخَانِ وَهُوَ نَقِيلٌ مُدَرَّجٌ، وَإِلَىٰ العُمَيْشَةِ(١) ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الدَّرْبِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ صَعْدَةَ فَرْسَخَانِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) لَعَلَّهَا «العُمَيْشِيَّةُ» ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ الجَزِيرَةِ» (ص١٦١) وَكَذَا ذَكَرَ «العُمَيْشَ»، وَيُنْظَرُ تَعْلِيقُ الأَكْوَعِ.

ذِكْرُ خَرَابِ صَعْدَةَ القَدِيمَةِ

فَلَمَّا جَرَىٰ عَلَىٰ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ[(١)] مَا جَرَىٰ وَرَأَىٰ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ الزَّبِيدِيُّ مَا تَمَّ عَلَىٰ المَرْأَةِ[(٢)] حَمَّلَ جِمَالًا رَمْلًا وَقَدِمَ بِهَا وَقْتَ الصُّبْحِ الصَّادِقِ إِلَىٰ صَعْدَةَ وَقَالَ لِبَنِي عَمِّهِ: إِذَا دَخَلْتُمْ صَعْدَةَ فَاسْفِقُوا الزَّوَامِلَ الرَّمْلَ بَيْنَ دُرُوقَيِّ البَابِ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَامْتَلَأَ دُرُوقَيِّ البَابِ رَمْلًا، فَعَلِمَ البَدَوِيُّ فَأَمَرَ بِغَلْقِ البَابِ، فَلَمَّا غُلِقَ البَابُ لَمْ يَجِئْ مَعَهُمُ، الأَكْيَاسُ الرَّمْلُ بَيْنَ دُرُوقَيِّ البَابِ، فَحِينَئِذٍ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ الزَّبِيدِيُّ إِلَىٰ أَرْضِ الحِجَازِ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ البَدْوِ، فَلَمَّا دَهَمَهُ جَذَبَ السَّيْفَ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فَعُرِفَتْ بِضَرْبَةِ عَمْرٍو، فَلَمَّا نَظَرَ الرَّجُلَ الضَّرْبَةَ رَجَعَ عَنْهُ، وَتَمَّ عَلَىٰ قُوَّةٍ إِلَىٰ أَنْ خَرَجَ إِلَىٰ الحِجَازِ وَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُقَالُ: عَلَىٰ يَدِ بَعْضِ الخُلَفَاءِ، وَخَرَجَ فِي فَتْحِ العَجَمِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَقُتِلَ بِأَعْمَالِ نَهَاوَنْدَ مِنْ إِقْلِيمِ العِرَاقِ، فَلَمَّا تَمَّ عَلَىٰ أَهْلِ صَعْدَةَ مَا تَمَّ تَرَاجَعَتِ الخَلْقُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ فَعَمَرَ كُلٌّ مَنْزِلَهُ وَمَسْكَنَهُ وَسَكَنَ فِيهِ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ هِيَ خَمْسَةُ دُرُوبٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ صَعْدَةَ القَدِيمَةَ كَانَتْ فِي الِابْتِدَاءِ عِنْدَ حِصْنِ

---

(١) تَثْنِيَةُ نِحْيٍ، وَالنِّحْيُ سِقَاءُ السَّمْنِ.

(٢) هِيَ امْرَأَةٌ اغْتُصِبَتْ، وَسَتَأْتِي قِصَّتُهَا تَحْتَ عُنْوَانِ «ذِكْرُ انْقِطَاعِ طَرِيقِ الرَّضْرَاضِ» (ص٤٠٨).

تَلَمُّصَ (١) مَعَ خَرَابِ صَعْدَةَ وَأَعَالِيهَا بَنَاهَا الهَادِي يَحْيَىٰ بْنُ الحُسَيْنِ.

* * *

(١) تَلَمُّص: هُوَ حِصْنٌ فِي الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنْ صَعْدَةَ بِنَحْوِ مِيلٍ كَانَتْ تَقُومُ فِي سَفْحِهِ الشَّمَالِيِّ المَدِينَةُ القَدِيمَةُ، قَالَ القَاضِي مُحَمَّدٌ الأَكْوَعُ: كَانَتِ المُلُوكُ مِنْ حِمْيَرٍ وَالأُمَرَاءُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ مِخْلَافَ صَعْدَةَ وَالجِهَةَ الشَّمَالِيَّةَ يَنْزِلُونَ فِيهِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٣٨).

بِنَاءُ صَعْدَةَ، بِنَاء الشَّرَفِ(١)

بُنِيَ فِي دَوْلَةِ الإِمَامِ أَبِي مُوسَىٰ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ بِاللهِ، أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَيُقَالُ: بُنِيَ قَدِيمًا بِنَاءُ الجَاهِلِيَّةِ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ بُنِيَ فِي أَيَّامِ بِنَاءِ صَعْدَةَ صَنْعَاءَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا بِنَاءُ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا صَعْدَةُ هَذِهِ فَإِنَّهَا لَمَّا خَرِبَتْ صَعْدَةُ القَدِيمَةُ وَتَمَّ عَلَىٰ أَهْلِهَا مَا تَمَّ ثُمَّ جَاءَ يَحْيَىٰ(٢) الهَادِي بْنُ الحُسَيْنِ أَرَادَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ فِي هَذِهِ الأَرْضِ، فَجَاءَ إِلَيْهِ تَاجِرٌ فَقَالَ: وَكِّلْنِي عَلَىٰ بِنَائِهِ، فَوَكَّلَهُ وَبَنَىٰ التَّاجِرُ المَسْجِدَ، فَلَمَّا فَرَغَ بِنَاؤُهُ قَالَ لَهُ الهَادِي: أَحَسَبْتَ حِسَابَ الخَرْجِ؟ قَالَ التَّاجِرُ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ آخُذَ عَلَىٰ بِنَاءِ بَيْتِ اللهِ أُجْرَةً وَثَمَنًا.

وَسَكَنَ الهَادِي يَحْيَىٰ بْنُ الحُسَيْنِ المَسْجِدَ بِمُقَامِهِ فَسَكَنَتْ مَعَهُ الخَلْقُ، فَكَثُرَتِ الأُمَمُ، فَبَنَوْا مَدِينَةً وَأَسْوَاقًا وَدُورًا وَأَمْلَاكًا، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَدَارُوا عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ دُرُوبٍ: الدَّرْبَ العَتِيقِ، وَدَرْبَ القَاضِي، وَدَرْبَ القُرِّ، بُنِيَ فِي أَيَّامِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ، وَدَرْبَ القَاضِي ابْنِ زَيْدَانَ، وَيَحْوِي هَذِهِ الأَرْبَعَةَ

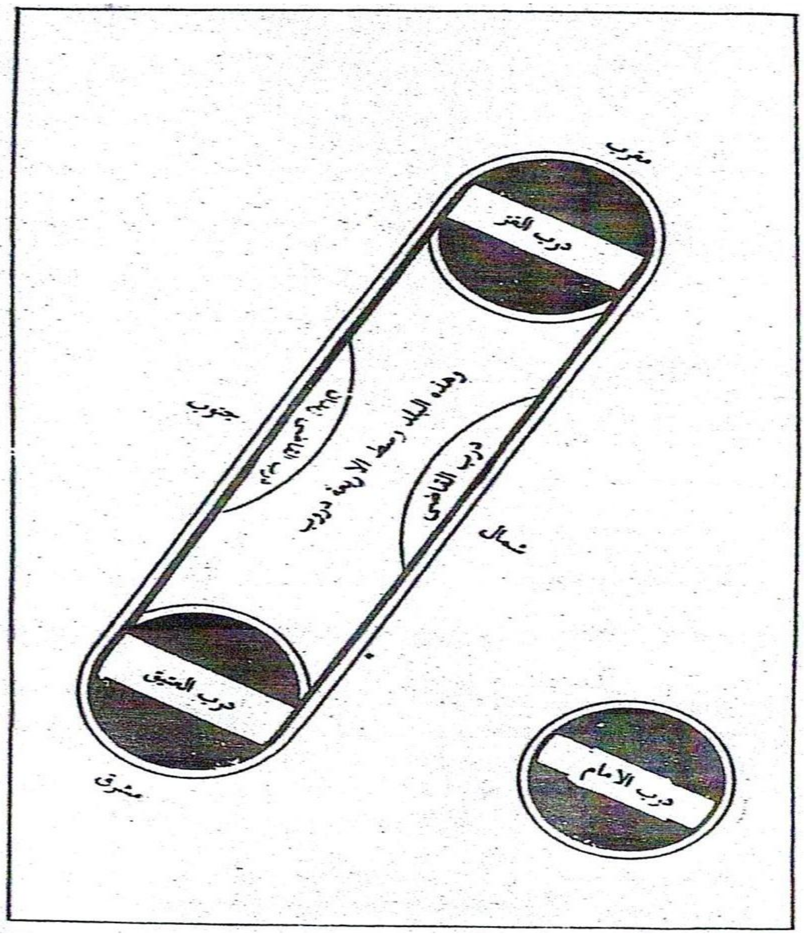
---

(١) المُرَادُ بِالشَّرَفِ أَيْ: العَالِي، وَيُنْظَرُ: «صِفَةُ الجَزِيرَةِ» (ص١٢٦ - ١٢٧) لِلْهَمْدَانِيِّ مَعَ تَعْلِيقِ الأَكْوَعِ.

(٢) وَلِمَعْرِفَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الاِسْتِهَانَةِ بِدِمَاءِ اليَمَنِيِّينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ يُنْظَرُ كِتَابُ «صَعْقَةُ الزِّلْزَالِ لِنَسْفِ أَبَاطِيلِ الرَّفْضِ وَالاِعْتِزَالِ» (١/ ٢٦٣) وَمَا بَعْدَهَا، لِشَيْخِنَا الوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

الدُّرُوبَ دَرْبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ السُّورُ، وَرُكِّبَ عَلَىٰ السُّورِ بَابُ الدَّرْبِ العَتِيقِ وَبَابُ عَلِيِّ بْنِ قَاسِمٍ، وَبَابُ دَرْبِ المُعِزِّ، وَبَابُ دَرْبِ القَاضِي ابْنِ زَيْدَانَ، وَبَابُ حُوثٍ، وَبَابُ دَرْبِ الإِمَامِ، وَأَمَّا دَرْبُ الإِمَامِ فَهُوَ حِصْنٌ بَنَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ مَا بَيْنَ الشَّمَالِ وَالمَشْرِقِ مُنْفَرِدًا بِذَاتِهِ لَمْ يُخَالِطْهُ شَيْءٌ قَرِيبٌ مِنَ البَلَدِ لَمْ يَسْكُنْهُ إِلَّا الإِمَامُ وَعِتْرَتُهُ.

وَصُورَتُهُ عَلَىٰ هَذَا المِنْوَالِ فِي الصَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ.



وَأَمَّا البَلْدَةُ فَإِنَّهُ عَامِرٌ كَثِيرُ الخَلْقِ وَالخَيْرِ ذَاتُ مَعَاشٍ، شُرْبُهُمْ مِنَ الأَنْهَارِ وَالأَعْيُنِ، وَزَرْعُهُمُ الحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ، ذَاتُ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ، وَلِبْسُهُمُ الحَرِيرُ وَالقُطْنُ؛ لِأَنَّ البِلَادَ ظَاهِرُهَا حَارٌّ بِالمَرَّةِ وَبَاطِنُهَا حَارٌّ لَيِّنٌ، وَهُمْ قَوْمٌ أَخْيَارٌ يَدَّعُونَ الحِكْمَةَ وَمَعْرِفَةَ الجَوَاهِرِ وَالعُلُومِ العلويَّةِ، وَهُمْ عَلَىٰ مَذْهَبِ الإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ جَمِيعًا، وَهُمْ شَوْكَةُ القَوْمِ فِي المَذْهَبِ.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحْسِنٍ الجَبَلِيُّ(١) قَالَ: إِنَّ بَنِي العَبَّاسِ لَمْ تَهَبْ أَحَدًا إِلَّا الزَّيْدِيَّةَ، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ مِنْ حِزْبِ الأَئِمَّةِ بَنِي العَبَّاسِ، وَتَقُولُ الشِّيعَةُ وَالإِمَامِيَّةُ: لَا الإِمَامُ إِلَّا مَنْ ضَمَّ العِصِيَّ وَأَوْرَقَ العِصِيَّ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ الإِمَامِ المُنْتَظَرِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ، فَهُمُ الآنَ يَفْرَقُونَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ، وَأَمَّا شَوْكَةُ البِلَادِ فَهُمُ الزَّيْدِيَّةُ، لِأَنَّ عِنْدَهُمْ كُلَّ إِنْسَانٍ عَفِيفٍ مُتَدَيِّنٍ شَرِيفٍ مِنْ آلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَكُونُ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ إِمَامٌ وَاجِبُ الطَّاعَةِ، فَكُلُّ مَنْ قَامَ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ قَامَتِ الزَّيْدِيَّةُ مَعَهُ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَقَعَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ بِخِزَانَةٍ سَاجٍ فِي نَوَاحِي صَعْدَةَ، وَظَهَرَ لَهُمْ فِي جُمْلَةِ مَا ظَهَرَ أَرْبَعُمِائَةِ زُرْدِيَّةٍ دَاوُدِيَّةٍ غَيْرُ السِّلَاحِ وَالعُدَدِ، وَوَقَعُوا بِمَطْلَبِ ذَهَبٍ، وَلَكِنْ مَا صَحَّ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، لِأَنَّ عَلَيْهِ طِلَّسْمَ لَمْ يُمْكِنْهُمُ الدُّخُولُ إِلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

(١) وَفُتِحَتِ الجِيمُ فِي «ج».

مِنْ صَعْدَةَ إِلَى ذَهْبَانَ(١)

مِنْ صَعْدَةَ إِلَىٰ الحَوَانِيتِ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، بِنَاءُ أَسْعَدَ الكَامِلِ فِي وَادِي سَجعَ، بَنَىٰ هَذِهِ الحَوَانِيتِ سَكَنَهُ لَمَّا عَزَمَ أَنْ يَعْمُرَ نَقل حَرْف العِرَاقِ، وَإِلَىٰ خَطْمِ البَكْرَاتِ فَرْسَخَانِ. وَيُقَالُ: إِنَّمَا عُرِفَ هَذَا المَنْزِلُ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَّا أَنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجَنِّ قَالَ لِرُمَيْمِ بْنِ جَابِرٍ الشَّاعِرِ: أَنْشِدْنِي بَيْتًا وَأَنْشِدُكَ مِثْلَهُ حَتَّىٰ يُنْصَرَ مَنْ يَغْلِبُ صَاحِبَهُ، عَلَىٰ شَرْطِ أَنَّكَ لَا تَذْكُرُ فِي شِعْرِكَ الدِّيكَ، قَالَ: نَعَمْ، فَمَا زَالَ هَذَا يَقُولُ بَيْتًا وَهَذَا يُنْشِدُ صَاحِبَهُ مِثْلَهُ حَتَّىٰ عَجَزَ رُمَيْمُ بْنُ جَابِرٍ فَقَالَ:

وَدِيكٍ أَحْمَرَ سُلَيْمَانِي مَا يَلْقَىٰ ... بِحَافَتِهِ جِنِّيٌّ وَلَا حَيْثُ يُسمَعُ

فَلَمَّا سَمِعَ الجِنِّيُّ ذَلِكَ طَارَ فِي الهَوَاءِ وَنَزَلَ أَخذَ صَيْدَحَ بَكْرَةَ رُمَيْمِ بْنِ جَابِرٍ فَصَيَّحَهَا قِطَعًا قِطَعًا، فَلَمَّا رَأَىٰ رُمَيْمٌ ذَلِكَ حَزِنَ عَلَىٰ بَكْرَتِهِ وَصَارَ يَبْكِي وَيَنْقُشُ صُورَتَهَا فِي الأَحْجَارِ، فَمَا فِي هَذِهِ الأَمْكِنَةِ حَجَرٌ إِلَّا وَفِيهِ صُورَةُ النَّاقَةِ، فَعُرِفَ المَوْضِعُ بِخَيْمِ الرِّكَابِ، وَفِيهِ يَقُولُ:

فَمَا فِي الصَّبَايَا مِثْلُ مَيَّا صَبِيَّةٌ ... وَلَا فِي المَطَايَا نَضْوَةٌ مِثْلُ صَيْدَحِ

وَقَالَ أَيْضًا:

وَأُصْبِحُ فِي شِقِّ المَشُورَةِ قَاعِدًا ... وَصَيْدَحُ تَرْعَىٰ بَيْنَ عِيسٍ قَنَاعِسَ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِذَهْبَانَ.

وَإِلَىٰ القَدِيمِ فَرْسَخَانِ، وَهُوَ مَوْضِعُ قَوْمٍ كَمَا قَالَ:

أَمْسَىٰ تَوَلَّىٰ بِلحْيٍ وَغَادَرَنِي كَرِيمُ ... وَعَادَسَنَا يَام... عَلَىٰ القَدِيمِ

وَهَذَا يَامُ بْنُ أَصْبَا، وَسُكْنُهُمْ بِوَادِي الخَانِقِ[1] وَالحُقَّةِ[2]، وَإِلَىٰ مُلْتَقَىٰ الأَوْدِيَةِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ غَسْلِ جُلَاجِلَ[3] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ المحْلَفِ فَرْسَخَانِ مَوْضِعُ قَوْمٍ[4]، وَإِلَىٰ البَصْرَةِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ وَادِي نُقُوصَ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ الجَبَلِ الأَسْوَدِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ السَّرَوَاتِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ رُفَيْدَةَ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ طَرِيبٍ[5] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ ذَهَبَانَ فَرْسَخَانِ، وَتُسَمَّىٰ هَذِهِ الأَعْمَالُ بِيشَةَ العَبَّاسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَائِلٍ يَرْجِعُ إِلَىٰ نِزَارٍ.

---

(١) الخَانِق سَدٌّ قَدِيمٌ فِي وَادِي العَبْدِيْنِ جَنُوبَ صَعْدَةَ بِنَحْوِ (١٠) أَكْيَالٍ بَيْنَ جَبَلَي «الصَّمْعِ وَالسِّنَّارَةِ». يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٥٧) وَمَنْطِقَةُ العَبْدِيْنِ كَانَتْ طَرِيقًا لَنَا عِنْدَمَا كُنَّا نَخْرُجُ مِنْ دَمَّاجَ إِلَىٰ صَعْدَةَ إِبَّانَ جُلُوسِنَا عِنْدَ شَيْخِنَا الوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِـ«دَمَّاج»، وَهُنَاكَ إِخْوَةٌ لَنَا أَفَاضِلُ بِتِلْكَ البُقْعَةِ أَهْلُ شَهَامَةٍ وَكَرَمٍ وَدِينٍ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧١).

(٢) الحُقَّةُ: قَرْيَةٌ أَثَرِيَّةٌ هَامَّةٌ فِي مَنْطِقَةِ وَادِعَةَ مِنْ بِلَادِ هَمْدَانَ تَبْعُدُ شَمَالَ صَنْعَاءَ بِمَسَافَةِ (٢٥) كِيلُو، كَانَ بِهَا «مَعْبَدُ شَمْسٍ» عَمَلًا بِمَا جَاءَ فِي نُقُوشِهَا المُسْنَدِيَّةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٨٧).

(٣) جُلَاجِلُ: بَلَدٌ وَغَيْلٌ فِي مَنْطِقَةِ وَادِعَةَ مِنْ مُدِيرِيَّةِ الصَّفْرَاءِ وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «صَعْدَةَ» يَصُبُّ إِلَىٰ وَادِي الخَانِقِ فِي شَمَالِ غَرْبِ مَدِينَةِ «صَعْدَةَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٤٣).

(٤) وَهُمْ مِنْ قَبَائِلَ مَرْهِبَةَ عِدَادُهُمْ فِي «نِهْمَ» بِالشَّرْقِ الشَّمَالِيِّ لِـ«صَنْعَاءَ»، وَهُمْ: «مَنْصُورِيٌّ»، وَ«صَيَّادِيٌّ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٤٣٣).

(٥) يُنْظَرُ: «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٢٢٧) لِلْهَمْدَانِيِّ، وَعَلَّقَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّد بن عَلِيٍّ الأَكْوَعُ عَلَىٰ الكِتَابِ بِقَوْلِهِ: وَطَرِيب يَحْتَفِظُ بِاسْمِهِ وَيُوجَدُ فِيهِ النَّخْلُ وَالثَّمَرُ.

مِنْ صَعْدَةَ إِلَى نَجْرَانَ

مِنْ صَعْدَةَ إِلَىٰ زَهْرَانَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَهُوَ لِابْنِ مَلِكٍ لِآلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ؛ لِأَنَّهُ اشْتَرَىٰ أَرَاضِيَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا بَيْعًا وَشِرَاءً، وَكَانَ لِقَوْمٍ يُقَالُ لَهُمُ: الأَقْشُورُ رَأْسُ الرَّكْبِ، وَإِلَىٰ الحَدِّ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الرَّكْبِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَادٍ عَظِيمٌ يَجْرِي عَلَىٰ صَفَاءٍ، وَإِلَىٰ الخَانِقِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، نَخِيلٌ وَمَاءٌ جَارِي أَوَّلُهُ يَجْرِي مِنَ الرَّكْبِ، وَإِلَىٰ كَوْكَبَانَ فَرْسَخَانِ، وَمِنْهُ يُخْرَجُ إِلَىٰ نَجْدٍ، وَوُضِعَ هَذَا الحِصْنُ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَجِبَالِ اليَمَنِ، فَهُوَ حِصْنٌ مَانِعٌ سَرِيرُ مُلْكِ نَجْرَانَ، وَإِلَىٰ الحُقَّةِ رُبُعُ فَرْسَخٍ، مَدِينَةُ الأَصْلِ نَجْرَان، وَعَلَيْهَا المُعَوَّلُ فِي البَيْعِ وَالشِّرَىٰ، وَيَنْقَسِمُ أَهْلُهَا عَلَىٰ ثَلَاثِ مِلَلٍ: ثُلُث يَهُود، وَثُلُث نَصَارَىٰ، وَثُلُث مُسْلِمِينَ، فَالمُسْلِمُونَ الَّذِينَ بِهَا يَنْقَسِمُونَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ مَذَاهِبَ: ثُلُثٌ شَافِعِيَّةٌ، وَثُلُثٌ زَيْدِيَّةٌ، وَثُلُثٌ مَالِكِيَّةٌ، وَهِيَ المَدِينَةُ الَّتِي كَانَتْ لِأَصْحَابِ الأُخْدُودِ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾(١).

(١) [البُرُوج: آية: ٤ - ٦].

وَإِلَىٰ قَابِلَ رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ حَبُونَا[(١)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ قَرْقَرَ[(٢)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

(١) حَبُونَا: وَادٍ مِنْ بِلَادِ الأَسْلُومِ مِنْ يَام، ذُو قُرًىٰ، وَيَسِيل مِنْ مُرْتَفَعَاتِ السّروَاتِ عَبْرَ رَافِدَيْهِ وَادِي الغَيْلِ وَوَادِي العَرِينِ اللَّذَيْنِ يَنْحَدِرَانِ مِنْ مَنْطِقَةِ ظهْرَانِ الجَنُوبِ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالعِرَاقِ وَجَنُوبِ الأُرْدُنِّ وَسَيْنَاءَ» (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْ «قَرْقَرَ».

صِفَةُ مَدِينَةِ قَرْقَرَ(١)

حَدَّثَنِي الرَّاوِي أَنَّ قَرْقَرْ كَانَتْ مَدِينَةً عَامِرَةً بِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مَحَلَّةٍ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ فَارِسٍ، خَرِبَتْ لِاخْتِلَافِ الأُمَمِ.

فَصْلٌ: وَجَدَ زَيْدٌ البَدَوِيُّ عَمْرًا القَرْقَرِيَّ قَاطِنًا سَاكِنًا فِي فَلَاةِ نَجْدٍ مَعَ البَدْوَانِ، فَقَالَ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: مَا لِي أَرَاكَ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ فِي أَكْنَافِ قَرْقَرَ بِأَلْفِ غَزُورٍ غَدَوْتَ الآنَ أَرَاكَ رَدَّ الشَّرَدِ، فَأَنْشَدَ عَمْرٌو القَرْقَرِيُّ يَقُولُ:

أُحِبُّ دُخُولًا بَيْنَ أَدْوَارِ قَرْقَرٍ ... وَيَمْنَعُنِي دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ

وَلَوْ كَانَ دَيْنِي يَنْقَضِي لَقَضَيْتُهُ ... وَلَكِنَّ دَيْنَ القَرْقَرِيِّ قَتِيلُ

وَكَانَ يَقُومُ تَحْتَ قَرْقَرَ سُوقٌ تُسَمَّىٰ العِمْدَيْنِ، وَمَا عُرِفَ هَذَا السُّوقُ بِهَذَا الِاسْمِ إِلَّا أَنَّ مَشَايِخَ العَرَبِ كَانَتْ تُقِيمُ بِهَذِهِ السُّوقِ عَامُودَ ذَهَبٍ وَعَامُودَ فِضَّةٍ يُعْرَفُ السُّوقُ بِهِمَا، وَرَجَعَ الآنَ سُوقًا لِلْعَمَلِ بَيْنَ أَرْضٍ قَفْرٍ تُزْرَعُ بِهِ وَتُحْرَثُ، فَرَاحَ الجِسْمُ وَبَقِيَ الِاسْمُ.

وُلَاتُهَا قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَبْدِ المُدَانِ، وَهُمْ قَوْمُ شَدَّادِ بْنِ عَادٍ، اللَّيِّنُ القَيَّادُ، ذُو الجِيَادِ، وَفِيهِ أَنْشَدَ بَعْضُ العَرَبِ يَقُولُ:

---

(١) قَرْيَةٌ بَيْنَ نَجْرَانَ وَالفَلجِ. «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ أَسْمَاءِ الأَمْكِنَةِ وَالبِقَاعِ» (٣/ ١٠٧٩).

وَلَـوْلَا بَنُـو عَبْـدِ المُـدَانِ وَخَيْلُهَـا لَحَلَّـكِ يَـا نَجْـرَانُ بَعْـضُ القَبَائِـلِ

وَقَالَ آخَرُ:

أَلَسْـتَ تَعْلَـمُ أَنَّ قَلْبِـي يُحِبُّـكَ أَيُّهَـا البَـرْقُ اليَمَـانِي

لَـئِنْ أَقْـتُلْكُمُ قَـتْلًا ذَنِيًّـا فَـلَا شَـيْخٌ يَـدُبُّ عَلَـىٰ البَنَـانِ

وَإِنْ أُقْتَـلْ فَمَقْـدُورٌ وَلَيْـتَ وَفِـي قَـوْمِي عَلَـىٰ سُـرُجِ الحِصَـانِ

وَإِنْ أُقْتَـلْ فَقَـدْ قُتِلَـتْ قُـرَيْشٌ وَقَـدْ قُتِلَـتْ بَنُـو عَبْـدِ المُـدَانِ

وَالقَوْمُ لَا يُطِيعُونَ لِمَلِكِ الغُزِّ[1] وَلَا لِسَلَاطِينِ العَرَبِ، وَآخِرُ مَنْ تَوَلَّىٰ مِنْ بَنِي عَبْدِ المُدَانِ أَخَوَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: القَاضِي، وَلِلثَّانِي: القَاضِي. وَفِي عَهْدِهِمْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ الأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ مَعَهُمْ حَتَّىٰ صَارَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ نِصْفُ دُخُولِ البِلَادِ، لِأَنَّ الأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَأَخَاهُ أَحْمَدَ وَلَدَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ تَزَوَّجَا بِأَخَوَاتِ القَاضِي وَالقَاضِي ابْنَيْ صُعَيْبِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ عَبْدِ المُدَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

(١) قَوْمٌ مِنَ التُّرْكِ.

صِفَةُ بِئْرِ الصُّفْرِ

أَمَرَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ تُحْفَرَ بِئْرٌ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهَا ذَاتُ عُمْقٍ وَسَعَةٍ وَطُولٍ وَعَرْضٍ، وَأَنْ يُطْوَىٰ بِالصُّفْرِ المَصْبُوغِ مِنْهُ شِبْهُ الآجُرِّ وَيُسْبَكُ فِيمَا بَيْنَهُ الرَّصَاصُ، فَبُنِيَتِ البِئْرُ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ بَاقٍ عَلَىٰ حَالِهِ.

وَيُقَالُ: مَا بَنَاهُ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وُجُوهِ العَرَبِ فِي زَمَنِ الجَاهِلِيَّةِ فَانْدَثَرَ وَاسْتَتَرَ مَعَ طُولِ المَدَىٰ، فَأَمَرَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَعَادَ بِنَاءَهُ فَبَقِيَ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَالبِئْرُ مِنْ جُمْلَةِ العَجَائِبِ.

* * *

صِفَةُ نَجْرَان تِهَامَةَ[(١)]

مِنْ حَرَضَ[(٢)] إِلَىٰ قَرَارٍ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ نَجْرَانَ فَرْسَخَانِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مُخْتَصَرَةٌ وَيَسْكُنُ أَهْلُوهَا فِي إِغْصَاص بِعَكْسِ بَعْضٍ وُهُمْ فِي التَّغَصُّصِ يَتَجَرَّعُونَ الغُصَصَ وَيَقْرَؤُونَ القَصَصَ، وَإِلَىٰ الحَاوَةِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حَدْبٍ أَرْبَعة فَرَاسِخَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُفَرَّقُ بَيْنَ الِاسْمَيْنِ؟ **قُلْنَا**: هَذِهِ قَرْيَةٌ مُخْتَصَرَةٌ تَحْت تِهَامَةَ اليَمَنِ خَرِبَةٌ، وَالثَّانِي إِقْلِيمٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَامِرٌ تَحْت مِنْ شَمَالِ نَجْدِ اليَمَنِ وَسَرِيرِ مُلْكِهَا، فَهَذَا غُلَامٌ وَذَاكَ سُلْطَانٌ، وَهَذَا كُرَةٌ وَذَاكَ مَيْدَانٌ، وَيُسَمَّىٰ إِقْلِيمُ نَجْرَانَ وَادِي سُوحَانَ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الإِقْلِيمَ بَنَاهُ العَجَمُ لِأَنَّ دَارَ بَهْمَنَ[(٣)] بْنِ إِسْفِنْدِيَارَ فِي أَعْمَالِ المَدَائِنِ قَصَبَةٌ تُسَمَّىٰ دَارَ رَيْحَانَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَنَىٰ هَذَا الوَادِيَ، وَيُسَمَّىٰ عَلَىٰ الِاسْمِ المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ فِي أَعْمَالِ المَدَائِنِ سُوحَانَ.

---

(١) كَذَا ذَكَرَهَا «نَجْرَان تِهَامَةَ» مُضَافَةً، وَهِيَ غَيْرُ نَجْرَانَ المَشْهُورَةِ، وَسَيَذْكُرُ هُوَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا.

(٢) حَرَضُ: مَدِينَةٌ وَوَادٍ شَرْقِيَّ مِينَاءِ مِيدِي فِي الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ بِلَادِ حَجَّةَ، وَالمَدِينَةُ قَدِيمَةُ الِاخْتِطَاطِ، فَقَدْ عُثِرَ تَحْتَ أَنْقَاضِهَا عَلَىٰ آثَارٍ حِمْيَرِيَّةٍ مِمَّا دَلَّ عَلَىٰ حَضَارَتِهَا وَقِدَمِهَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٤٦).

(٣) يُنْظَرُ: «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (١/ ٥٦٦).

وَفِيهِ أَنْشَدَ رُمَيْمُ بْنُ جَابِرٍ:

شَـبَّهْتُهَا قَـوْسَ شِـرْيَانٍ مُجَزَّعَـةً ... مِمَّـا يَلَـذُّ بِهَـا الرَّامِـي فَيُحْيِيْهَـا[١]

شَـبَّهْتُهَا مُهْـرَةً عَـذْرَا مُحَجَّلَـةً ... عِنْـدَ المُلُـوكِ لِيَـوْمِ الـرَّوْعِ سَـارِيهَا

شَـبَّهْتُهَا جُوْنَـةً مَـالَ النَّسِـيمُ بِهَـا ... الطَّـلُّ مِـنْ فَوْقِهَـا وَالنَّهْـرُ يَسْـقِيهَا

وَوَادِي العَلَائِمِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: وَبِنَجْرَانَ وَادِي الخَسْفِ وَوَادِي العَلَائِمِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا اشْتُقَّ اسْمُ الخَسْفِ إِلَّا مِنَ الخِصْبِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ وَادِيَ الرَفَاءِ، وَيَهُبُّ بِهَا رِيحُ الطَّرْفِ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً فَيَهْلِكُ الزَّرْعُ وَالكُرُومُ، وَفِيهِ بَعْضُ الأَعْرَابِ يَقُولُ:

وَقَدْ سَلِمَتْ نَجْرَانُ فِي الطَّرْفِ لَمْ يَزَلْ ... بِبَحْـرَانَ مِنْهَـا قُبَّـةٌ وَعُـرُوشُ

وَبَعْضُهُمْ يُنْشِدُ لِرُمَيْمِ بْنِ جَابِرٍ:

وَلَيْلَـةٍ مِـنْ لَيَـالِي الطَّـرْفِ مُظْلِمَـةٍ ... سَـوْدَا جُمَادِيَّـةٍ قَـدْ بِـتُّ أَسْـرِيهَا

فَصْلٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ[٢]: مَا بَحْرَانُ مَأْخُوذَةٌ إِلَّا مِنْ قَوْلِهِمْ بَحَرْتُ النَّاقَةَ إِذَا شَقَقْتُ أُذُنَيْهَا، وَالبَحِيرَةُ مَشْقُوقَةُ الأُذُنَيْنِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي وَهَبَتْ عَشَرَةَ بُطُونٍ سُيِّبَتْ فَلَمْ تُرْكَبْ وَلَا يُجَزُّ لَهَا وَبَرٌ، ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ وَالوَصِيلَةُ الشَّاةُ إِذَا وَهَبَتْ سِتَّةَ بُطُونٍ عَنَاقَيْنِ عَنَاقَيْنِ وَوَلَدَتْ فِي

---

(١) الشِّرْيَانُ بِالكَسْرِ: شَجَرٌ صُلْبٌ.

(٢) هُوَ المُصَنِّفُ.

السَّابِعِ عَنَاقًا وَجَدْيًا، فيُقَالُ: وَصَلَتْ أَخَاهَا، يَحْلِبُونَ لَبَنَهَا لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، ﴿وَلَا حَامٍ﴾[1] وَهُوَ الفَحْلُ مِنَ الإِبِلِ إِذَا لَقَحَ وَلَدُهُ وَلَدَهُ فَلَا يُرْكَبُ وَلَا يُجَزُّ لَهُ وَبَرٌ وَلَا يُمْنَعُ مِنْ مَرْعًى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) [المَائِدَة، آيَة: ١٠٣]، وَيُنْظَرُ تَفْسِيرُ الآيَةِ مِنْ «تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ» (٩/ ٣٤).

القَوْلُ فِي زَوَالِ مُلْكِ آلِ حَمْزَةَ

وَحُصُولِهَا لِبَنِي الهَادِي....

فَصْلٌ: وَيُسَمَّىٰ الفَحْلُ عِنْدَ العَرَبِ العُرَّ[1]، وَرِهَانُهُ أَنَّهُ إِذَا أَوْجَعَهُ مَوْضِعٌ أَوْ ثَارَ عَلَيْهِ هَوَاءٌ أَوْ دَاءٌ يَحْتَاجُ الكَيَّ يُؤْخَذُ بَعِيرٌ غَيْرُهُ يُكْوَىٰ فَوْقَ الرِّيحِ، وَتَكُونُ العُرُّ وَاقِفَةً تَحْتَ الرِّيحِ بِحَيْثُ يَصِلُ رَوَائِحُ حَرْقِ الكَيِّ إِلَىٰ العُرِّ، فَحِينَئِذٍ يَبْرَأُ مِنْ دَائِهِ وَيَصِحُّ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ:

وَحَمَّلْتَنِي ذَنْبَ امْرِءٍ وَتَرَكْتَهُ ... كَذِي العُرِّ يُكْوَىٰ غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

وَلِمَ لَا يَكُونُ لِحَلِيبِ الإِبِلِ زُبْدٌ؟ حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ امْرَأَةً مُوَيْلِيَّةً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ عَنْ هَذِهِ قَالَتْ: إِنَّ الأَوَائِلَ كَانُوا يَسْتَخْرِجُونَ الزُّبْدَ مِنْ أَلْبَانِ الإِبِلِ ثُمَّ قَالُوا: نَتْرُكُهُ، قَالَ: لِأَنَّ امْرَأَةً خَاصَمَتْ وَلَدَهَا فَتَعَاطَىٰ الوَلَدُ فِي الخَذْفِ فَخَذَفَ الصَّبِيُّ حَجَرًا إِلَىٰ صَوْبِ أُمِّهِ، وَكَانَ فِي يَدِ الأُمِّ كَبَّةُ زُبْدٍ مِنْ حَلِيبِ النُّوقِ فَرَجَمَتْ بِهَا وَلَدَهَا، فَوَقَعَتْ كَبَّةُ الزُّبْدِ وَهِيَ جَامِدَةٌ كَالحَجَرِ عَلَىٰ مَقْتَلِ الصَّبِيِّ فَمَاتَ، فَلَمَّا جَرَىٰ هَذَا الأَمْرُ نَادَتْ مَشَايِخُ العَرَبِ فِي قَبَائِلِهَا عَلَىٰ تَرْكِ مَخْضِ لَبَنِ النُّوقِ بِالمَرَّةِ، فَقَالُوا: نَتْرُكُهُ إِلَىٰ الآنَ.

---

(١) وَالعُرُّ أَيْضًا «الجَرَب»، وَيُنْظَرُ: «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٢٣٢).

وَقَالَ حَكِيمٌ: إِذَا دَهَنَ زَيْدٌ رَأْسَهُ مِنْ دُهْنِ الإِبْلِ لَمْ يَقْلَعْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَتَنَظَّفِ الشَّعَرُ إِلَّا إِذَا حَلَقَ الشَّعَرَ لِأَنَّهُ غَلِيظٌ بِالمَرَّةِ.

❊ ❊ ❊

ذِكْرُ طَرِيقِ الرَّضْرَاضِ

كَانَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَىٰ البَصْرَةِ طَرِيقُ الرَّضْرَاضِ، وَكَانَتِ المَسَافَةُ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ المَدِينَتَيْنِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ حَدِّ كُلِّ فَرْسَخٍ مِنْهُ مِيلٌ بِالآجُرِّ وَالجُصِّ، مِنْ بِنَاءِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الزَّبِيدِيِّ، وَالأَصَحُّ مِنْ بِنَاءِ النُّعْمَانِ بْنِ المُنْذِرِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ أَرْضِ اليَمَنِ طَالِبًا العِرَاقَ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ بِنَاءُ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ العِرَاقِ وَاسْتَنْجَدَ بِكِسْرَىٰ بْنِ قُبَاذَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ بْنِ هُرْمُزَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الفُرْسِ، وَالأَصَحُّ إِنَّمَا بَنَتْهُ عَرَبُ جَاهِلِيَّةٍ لَمَّا سَكَنُوا أَرْضَ نَجْدٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي تِلْكَ الدِّيَارِ شِبْهَ السُّوسِ فِي الأَرْضِ وَالنَّامُوسِ الحُفَرِ.

وَأَمَّا المَنَاهِلُ الَّتِي كَانَتْ فِي المَنَازِلِ قَدِيمَةُ الحَفْرِ، وَبَنَوُا البَنَّاءُونَ قُصُورًا مِنْ بَابِ صَنْعَاءَ إِلَىٰ العِرَاقِ وَاحِدًا مِنْ حَدِّ الآخَرِ، فَإِذَا كَانَ خَوْفٌ فِي اليَمَنِ أَوْ فَرَحٌ حَسَنٌ أُشْعِلَ عَلَىٰ أَعْلَىٰ ذِرْوَةِ كُلِّ قَصْرٍ، وَكَانَ يُبْصِرُونَهُ فِي ذِرْوَةِ قَصْرٍ فِي نَوَاس[1] تَفْلٌ عَجِيبٌ فَكَانَ يُبْصِرُونَهُ فِي حِصْنِ قَرْنِ الجَنَدِ وَمِنْهُ كَانَ يَدْخُلُ نَجْد.

وَقَدْ بُنِيَ فِي نَجْدٍ قَصْرٌ قُرْبَ قَصْرِ وَلْعَانَ[2]، وَفِي الصَّعِيدِ مِنْ أَعْمَالِ صَعْدَةَ،

---

(١) نَوَاس: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، حِصْنٌ وَبَلْدَةٌ فِي جَبَلِ سَاقَيْنِ مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ صَعْدَةَ وَهِيَ مِنْ دِيَارِ قَبَائِلِ خَوْلَانَ بْنِ عَامِرٍ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧٧٢).

(٢) وَلْعَانُ: جَبَلٌ بِالقُرْبِ مِنْ قَرْيَةِ الطَّلْحِ فِي شَمَالِ صَعْدَةَ بِمَسَافَةِ (١٥) كِيلُو، تَسْكُنُهُ قَبَائِلُ مِنْ =

وَكَانَ يُشْعَلُ فِي وَلْعَانَ وَكَانَ يُبْصِرُهُ فِي قَصْرٍ فَوْقَ الخَبْتِ، وَمِنْهُ كَانَ يَدْخُلُ نَجْد.

وَقَدْ بُنِيَ قَصْرٌ فِي قُرْبِ آخَرَ مِنْ أَعْمَالِ العِرَاقِ، فَكَانَ إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ يُصْبِحُ الخَبَرُ عِنْدَ أَهْلِ البِلَادِ مَا نَجَزَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَنَفْعٍ وَضُرٍّ، كَمَا قَالَ:

يَبْلُغُ الصَّارِخُ العِرَاقَ بِيَوْمٍ ... وَفِي مَدَى لَيْلَةٍ تَأْتِي المُغِيرُ

* * *

=

سَحَار بْنِ خَوْلَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٨٨٧).

ذِكْرُ انْقِطَاعِ طَرِيقِ الرَّضْرَاضِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَجَّاجٍ قَالَ: رَكِبَتِ امْرَأَةٌ لِبَعْضِ البَدْوَانِ، وَيُقَالُ: بِنْتُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، رَكِبَتْ أَتَانًا عَلَىٰ نِحْيَيْ سَمْنٍ، أَيْ ظَرْفَيْنِ، فَبَيْنَمَا هِيَ غَادِيَةٌ إِلَىٰ الفَلَا صَادَفَهَا عَابِرُ طَرِيقٍ وَسَالِكُ سَبِيلٍ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَبَتْ أَنْ تُطِيعَهُ، فَقَالَ لَهَا: إِنْ كَانَ وَلَابُدَّ فَاسْقِنِي سَمْنًا، فَقَالَتْ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا، اشْرَبْ! وَنَزَلَتْ بِالظَّرْفَيْنِ فَحَلَّتْ رَأْسَ أَحَدِهِمَا فَشَرِبَ الرَّجُلُ مِنْهُ شَيْئًا وَقَالَ لَهَا: لَيْسَ هَذَا سَمْنًا طَيِّبًا، فَفَتَحَتْ لَهُ الثَّانِي فَشَرِبَ حَاجَتَهُ وَقَالَ لَهَا: أَمْسِكِي، فَأَمْسَكَتِ الظَّرْفَيْنِ، فَحِينَئِذٍ قَامَ وَكَشَفَ وَرَاءَهَا وَجَامَعَهَا وَالمَرْأَةُ خَائِفَةٌ أَنْ تُخَلِّيَ السَّمْنَ يَتَبَدَّدُ، وَمَا زَالَا عَلَىٰ حَالِهِمَا إِلَىٰ أَنْ فَرَغَ مِنْهَا، فَشَدَّتْ رَأْسَ النِّحْيَيْنِ، أَيِ الظَّرْفَيْنِ، وَأَرْكَبَهَا أَتَانَهَا وَمَضَىٰ وَمَضَتْ وَرَاءَ شُغْلِهَا، وَتَمَّ الرَّحْلُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَعَلِمَ أَبُوهَا، وَيُقَالُ: أَخُوهَا، عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ، الخَبَرَ، فَجَاءَ وَسَدَّدَ الآبَارَ وَهَدَمَ الأَمْيَالَ وَنَقَضَ القُصُورَ لِيَقْطَعَ سُلُوكَ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا طَمَّ الآبَارَ سَفَىٰ الرَّمْلُ فَظَهَرَ مَا بَقِيَ مِنْهُ وَانْقَطَعَتِ الطَّرِيقُ، وَعُرِفَتْ بِذَاتِ النِّحْيَيْنِ[١]، يَعْنِي المَرْأَةَ وَالظَّرْفَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ[٢].

---

(١) وَصَارَ يُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: «أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْنِ»، كَمَا فِي «الفَاخِرِ» (ص٨٦) لِأَبِي طَالِبٍ ط. البَابِي الحَلَبِي، وَ«جَمْهَرَةِ الأَمْثَالِ» (١/ ٥٦٤) لِأَبِي هِلَالٍ العَسْكَرِيِّ ط. «دَارِ الفِكْرِ»، وَ«مَجْمَعِ الأَمْثَالِ» (١/ ٣٧٦) لِلْمَيْدَانِيِّ ط. «دَارِ المَعْرِفَةِ».

(٢) وَتَقَدَّمَ تَحْتَ عُنْوَانِ: «ذِكْرُ خَرَابِ صَعْدَةَ القَدِيمَةِ» أَنَّ هَذِهِ الحَادِثَةَ هِيَ الَّتِي حَمَلَتْ عَمْرَو بْنَ =

ذِكْرُ الفَيْضِ(١)

وَهُوَ رَمْلٌ شِبْهُ دَقِيقِ السَّمِيدِ دُونَ أَعْمَالِ النِّعْمِ مِمَّا يَلِي ظَهْرَ اليَمَنِ، لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَسْلُكُهُ لِرَفْعِهِ، مَسِيرَةُ هَذَا الرَّمْلِ شَهْرٌ كَامِلٌ وَيُقَالُ: أَيَّامٌ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّىٰ رَمْلَ عَالِجٍ، وَهُوَ الرَّمْلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ شَفَا طَرِيقِ الرَّضْرَاضِ، قَطَعَهُ بَعْدَ أَنْ مَنَعَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا دَخَلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ إِلَىٰ العِرَاقِ وَوَرَدَ إِلَىٰ اليَمَنِ بِعَسَاكِرِ الفُرْسِ إِلَّا عَلَىٰ حَدِّهِ، وَكَانَتِ المَسَافَةُ فِيمَا بَيْنَ الإِقْلِيمَيْنِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَيُقَالُ: عَشَرَةَ أَيَّامٍ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

وَيُقَالُ بِرِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: إِنَّ عَمْرَو بْنَ مَعْدِيكَرِبَ كَانَ وَرَاءَ الفَلَاةِ مَعَ الظُّعُنِ لَمَّا سَدَّدَ الآبَارَ سَفَىٰ السَّافِي طَمَّ مَا بَقِيَ مِنَ البَاقِي وَجَاءَ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مَلَكَ صَعْدَةَ بَعْدَ أَنْ أَخْرَبَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ خَرَابِهَا، فَلَمَّا خَرِبَتِ المَدِينَةُ بَنَتِ العَامَّةُ مَوْضِعَ الخَرَابِ بِعَيْنِهِ، وَيُقَالُ: بَلْ قَرِيبٌ مِنْهُ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ بُنِيَ فِي أَوْسَطِ الخَرَابِ وَقَالُوا: نَتْرُكُ الأَطْرَافَ! وَيُقَالُ: إِنَّمَا غَزَىٰ القَوْمَ إِلَّا بَدَوِيٌّ مِنْ ذَاتِ الأَكِيكِ(٢) وَذَاتِ الحَرْمَلِ، وَفِيهِ يَقُولُ عَنْتَرَةُ:

=

مَعْدِيكَرِبَ عَلَىٰ دُخُولِ صَعْدَةَ، وَلِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ يُنْظَرُ ذَلِكَ هُنَاكَ.

(١) يُنْظَرُ: «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١٦٢) و(ص١٥٤).

(٢) كُلُّ مَنْ ذَكَرَهُ قَالَ: اللكيك.

طَـالَ الثَّــوَاءُ عَلَـىٰ رُسُــومِ المَنْـزِلِ ... بَــيْنَ الأَكِيــكِ وَبَــيْنَ ذَاتِ الحَرْمَــلِ

فَلَمَّا ضَاقَ عَلَىٰ البَدَوِيِّ الأَرْضُ أَسْفَىٰ الأَرْضَ فِي دِيَارِهِمْ خَرَجَ إِلَىٰ الحِجَازِ وَقُتِلَ عَلَىٰ يَدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا يَنْتَقِلُ الإِنسَانُ مِنْ مَكَانِهِ لِأَرْبَعِ خِصَالٍ: لِرِزْقٍ يَسْتَوْفِيهِ، أَوْ لِمَوْتٍ يَقْتَضِيهِ، أَوْ لِسَعَادَةٍ تَأْتِيهِ، أَوْ لِشَقَاوَةٍ تَسْتَوْلِيهِ.

حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ مَسْعُودٍ النَّجْرَانِيُّ فِي دَارِ الإِمَارَةِ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ يَنْفُذُ إِلَىٰ الكُوفَةِ، أَوْ قَالَ: إِلَىٰ البَصْرَةِ، وَكَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يُسَافِرُونَ إِلَيْهِ بِالحَمِيرِ وَعَلَيْهِمُ الأَدِيمُ إِلَىٰ إِحْدَىٰ هَاتَيْنِ المَدِينَتَيْنِ فِي العَامِ مَرَّتَيْنِ، قُلْتُ: وَعَلَىٰ أَيِّ الأَمْكِنَةِ كَانَ مَسْلَكُهُمْ؟ قَالَ: عَلَىٰ اليَمَامَةِ وَالحَسَا وَالبَصْرَةِ. قُلْتُ: وَمَتَىٰ كَانَ عَهْدُكُمْ بِعُمْرَانِهِ؟ قَالَ: سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَالَ:

لَمَّــا رَأَيْــتُ سُــلُوِّي غَيْــرَ مُتَّجِــهٍ ... وَأَنَّ غَــرْبَ شِــفَارِي عَــادَ مَفْلُــولَا

دَخَلْتُ بِـالرَّغْمِ مِنِّـي تَحْـتَ طَـاعَتِكُمْ ... لِيَقْضِــيَ اللهُ أَمْــرًا كَــانَ مَفْعُــولَا

وَقَالَ آخَرُ:

سَــأَلْتُ النَّــاسَ عَــنْ خِــلٍّ وَفِــيٍّ ... فَقَــالُوا: مَــا إِلَــىٰ هَــذَا سَــبِيلُ

تَمَسَّــكْ إِنْ ظَفِــرْتَ بِــوُدِّ حُــرٍّ ... فَــإِنَّ الحُــرَّ فِــي الــدُّنْيَا قَلِيــلُ

* * *

صِفَةُ إِقْلِيمِ نَجْدٍ[١]

نَجْدٌ أَرْضٌ عَالِيَةٌ ذَاتُ آكَامٍ لِطَافٍ، حَرَّةُ الأَرْضِ صَافِيَةٌ، الجَوُّ مُعْتَدِلٌ مُوَافِقٌ لِمَنْ سَكَنَهَا وَدَخَلَهَا، وَبَنَوْا فِيهَا الأَوَائِلُ أَرْبَعِينَ قَصْرًا مُجْتَمِعَةً، وَالأَصَحُّ مُتَقَارِبَةً، تُسَمَّىٰ فِي العِرَاقِ قُصُورَ نَجْدٍ، وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ أَهْلِ البِلَادِ السِّكِّيت، وَيُقَالُ: مَعَاصِمُ، بُنِيَ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، ذَاتُ آكَامٍ وَمُكْنَةٍ لِلرَّبِيعِ بْنِ زُهَيْرٍ وَعَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ وَعَنْتَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شَدَّادٍ.

قَالَ الرَّاوِي: كُنْتُ أَدُورُ مَعَ البَدْوَانِ فِي فَلَاةِ نَجْدٍ فَنَجِدُ بَيْنَ شَجَرِ الأَرَاكِ آبَارًا طُوِيَتْ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، وَقَدْ أُدْخِلَ فِي جُمْلَةِ البِنَاءِ أَخْشَابُ السَّاجِ، وَكُنَّا نَجِدُ الكَرْمَ حَامِلًا بِالعِنَبِ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً وَنَخْلًا حَامِلًا بِالخِلَالِ وَشَجَرَ التِّينِ وَالخَوْخِ وَالإِجَاصِ وَمِنْ جَمِيعِ الفَوَاكِهِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الإِقْلِيمَ كَانَ عَامِرًا وَفِيهِ بَسَاتِينُ عُمِرَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الآبَارِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي أَرْضِ نَجْدٍ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، مَا دَنَا مِنْهَا وَمَا قَرُبَ، وَاللهُ ﷻ أَحْكَمُ.

---

(١) المَقْصُودُ بِالنَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ، وَهُوَ دُونَ النَّقِيلِ أَوِ العَقَبَةِ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاءُ النُّجُودِ فِي اليَمَنِ وَلِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٧١٩).

صِفَةُ مَاءِ الهَبَاءَةِ[1]

وَالأَصْلُ فِيهِ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الرَّاوِي أَنَّ الهَبَاءَةَ هُوَ غَدِيرٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ لَيْسَ فِيهِ قَرَارٌ لِأَحَدٍ مِنْ شِدَّةِ جَرَيَانِ السَّيْلِ يَنْزِلُ مِنْ جِبَالٍ عَظِيمَةٍ عَالِيَةٍ شَامِخَةٍ، وَفِيهِ يَقُولُ القَائِلُ:

يَا جِبَالَ الشَّأْمِ يَا شُمَّخَ الذُّرَىٰ ... أَقْوَاطِي بَلَاكِ اللهُ بِالمَحلِ

وَيَجْرِي مِنْهُ إِلَىٰ وَادِي إِلَىٰ الأَرْضِ، فَمِنْ حِدَّةِ جَرَيَانِهِ مَعَ طُولِ المَدَىٰ حَفَرَ الأَرْضَ إِلَىٰ البُيُوتِ وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ السُّيُولُ وَأُمْلِئَ مَاءً فَرَجَعَ بُحَيْرَةً مَا يَنْقُصُ مِنْهُ المَاءُ، وَلَوْ غَرَفَ مِنْهُ أَهْلُ البَادِيَةِ وَسُقِيَ وَاسْتَقَىٰ مِنْهُ الأَمْوَالُ وَالنَّعَمُ لَمَا نَقَصَ مِنْهُ المَاءُ وَلَا بَانَ مِنْهُ مِقْدَارُ إِصْبَعٍ، وَفِيهِ قَتَلَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَوْلَادَ عَمِّهِ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ يَسْبَحُونَ فَرَكَّبَ السَّيْفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنَّ مَاءَ الهَبَاءَةِ أَوْرَثَنِي الذُّلَّ وَرُحْتُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، وَقَالَ:

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ ... وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي

فَإِنْ أَكُ قَدْ شَفَيْتُ بِهِمْ غَلِيلِي ... فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

---

(١) وَهِيَ أَرْضٌ بِبِلَادِ غَطَفَانَ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٨٩)، وَ«مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٩/ ٨٨٢٠).

وَبِهَا قَتَلَ عَنْتَرُ بْنُ زَبِيبَةَ أَرْبَعِينَ فَارِسًا مِنْ وُجُوهِ العَرَبِ.

وَهَذَا المَاءُ مُجْتَمَعُ القَبَائِلِ وَالفِتَنِ، وَبِهَذِهِ الأَمَاكِنِ مَسْكَنُ عَنْتَرِ بْنِ زَبِيبَةَ وَقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَعَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كِبَارِ العَرَبِ ومَشَايخها وَرُؤَسَائِهَا.

قَالَ الرَّاوِي: وَنَجْدٌ فِي فَلَاةِ نَجْدٍ، حَيْثُ لَا عِمَارَةَ وَلَا سَكَنَ، قُبُورٌ بُنِيَتْ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ لَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ زَمَانِنَا لِمَنْ تِلْكَ القُبُورُ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَامِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الشَّاعِرُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَىٰ قَبْرٍ:

المَوْتُ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِ مَمْلَكَتِي ... فَالتُّرْبُ مُضْطَجَعِي مِنْ بَعْدِ تَتْرِيفِي

لِلَّهِ عَبْدٌ رَأَىٰ قَبْرِي فَأَحْزَنَهُ ... وَهَابَ مِنْ دَهْرِهِ رَيْبَ التَّصَارِيفِ

هَذَا مَصِيرُ ذَوِي الدُّنْيَا وَإِنْ جَمَعُوا ... فِيهَا وَغَرَّهُمُ رَيْبُ التَّسَاوِيفِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ عَمْدِي وَمِنْ خَطَئِي ... وَأَسْأَلُ اللهَ عَفْوًا يَوْمَ تَوقِيفِي[(١)]

وَمِنْ جُمْلَةِ القُصُورِ حَجَرُ عَبْدِ اللهِ، قَصْرٌ بُنِيَ عَلَىٰ أَكَمَةٍ عَالِيَةٍ[(٢)] بِالحَجَرِ وَالجَصِّ وَبَالآجُرِّ وَالجَصِّ وَبَعْدُ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ، وَبَعْدَهُ قَصْرُ عَنْتَرٍ بُنِيَ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ وَالآجُرِّ وَالجَصِّ بِنَاءً وَثِيقًا مُحْكَمًا، وَبَعْدَهُ بِئْرُ العَاصِمِيَّةِ.

---

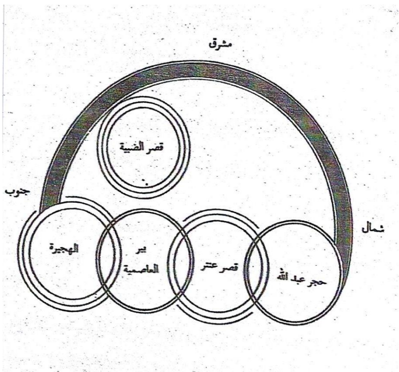
(١) ذَكَرَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٨/ ٩٩)، وَابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «مُثِيرُ الغَرَامِ السَّاكِنِ إِلَىٰ أَشْرَفِ الأَمَاكِنِ» (٢/ ٣٢٠).

(٢) وَمِثْلُه قَصْرُ الحَجَرِ بُنِيَ عَلَىٰ رَبْوَةِ جَبَلٍ، وَهُوَ فِي وَادِي ظَهْر شَمَالَ صَنْعَاءَ بـ(١٠) أَكْيَالٍ وَعَلَىٰ هَيْئَتِهِ تُبَاعُ مُجَسَّمَاتٌ فِي اليَمَنِ وَغَيْرِهِ مِنَ البُلْدَانِ، وَيُعْتَبَرُ مَكَانًا سِيَاحِيًّا يَرْتَادُهُ السُّيَّاحُ مِنَ اليَمَنِ وَمِنْ كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِ العَالَمِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٣).

صِفَةُ بِئْرِ العَاصِمِيَّةِ

بُنِيَتْ عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ عَمُودًا، سِتَّةُ أَعْمِدَةٍ مُقَابِلَ سِتَّةٍ، وَهِيَ مُرَبَّعَةٌ، وَطُوِيَ مَا بَعْدَهُ بِالحَجَرِ الرُّخَامِ طُولُ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا بِالجَصِّ مُدَرَّجٌ يُنْزَلُ إِلَيْهِ بِدَرَجٍ، وَمِنْ يَوْمِ بُنِيَتْ إِلَىٰ هَذِهِ الغَايَةِ مَا نَزَفَتْ وَلَا وُجِدَ لَهَا قَرَارٌ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَجِيبٌ لُبُّ أَعْمَالِ سِلَات، وَبَعْدَهُ مَدِينَةُ الهِجْرَةِ خَرِبَ البَلَدُ وَبَقِيَ فِي أَوْسَطِهِ القَصْرُ عَامِرًا سَاكِنًا بِأَهْلِهِ، وَقَدْ حُفِرَ فِي أَوْسَطِهِ بِئْرٌ يَرْوِي مِنْهُ العَرَبُ إِبِلَهَا وَظُعُنَهَا.

وَمَشْرِقُ العَاصِمِيَّةِ قَصْرُ الصَّبِيَّةِ، وَالنَّخْلُ مُسْتَدَارٌ حَوْلَ القُصُورِ لِيَسْكُنَ بَلْ لِدَخْرِ(١) مَتَاعِهِمْ مِنَ السَّمْنِ وَالأَقِطِ كُلُّ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ سَيْلُهُ، وَهُوَ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ:



(١) لِدَخْرِ. كَذَا فِي المَخْطُوطِ.

ذِكْرُ أَوْدِيَةِ نَجْدٍ

الحَسَا وَاليَمَامَةُ وَتَحْتَ مِنْهُ الأَكِيكُ وَذَاتُ الحَرْمَلِ، وَهَذِهِ الأَمَاكِنُ أَوْدِيَةٌ مُشْرِفَةٌ، وَالعَوَاهِلُ وَالعُوَيْهِلُ سُمْنٌ[(١)] وَسَهْلٌ وَجَاشٌ[(٢)] وَعِشْرُونَ الرَّمْلِ مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَالهِجَيْرَةِ وَوُضِعَ مَا بَيْنَ الهِجَيْرَةِ وَمَكَّةَ، فَإِذَا كَانَ فَصْلُ الغَيْثِ سَالَتِ الأَوْدِيَةُ وَالسَّيْلُ، فَإِنْ كَانَ أَيَّامُ الحَجْرِ حَفَرَ الإِنسَانُ بِيَدِهِ نَبَعَ عَلَيْهِ المَاءُ شَرِبَ وَأَرْوَىٰ ظُعُنَهُ وَكُلٌّ يَطْلُبُ أَرْضَهُ وَفَلَاتَهُ بِرَوَايَا المَحَلَّةِ، وَفِيهِ يَقُولُ:

لَوْلَا شِفَاهَا ذَا طِرَازِ زَمَانِهَا ... وَحَمْلُ الرَّوَايَا كَانَ مَنْ جَاءَ يَفْرَسُ

وَقَالَ آخِرُ:

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... الجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ

وَهَذِهِ العَشَرَةُ الأَوْدِيَةُ إِذَا مُطِرَتْ جَرَتْ فِي فَلَاةِ نَجْدٍ وَيَصِلُ أَوَاخِرُهُمْ إِلَىٰ البَحْرِ المَالِحِ.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَا اسْتُعْجَمَ مِنْ أَسْمَاءِ البِلَادِ وَالمَوَاضِعِ» (٣/ ٧٥٥).

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَا اسْتُعْجَمَ مِنْ أَسْمَاءِ البِلَادِ وَالمَوَاضِعِ» (٢/ ٣٥٨).

ذِكْرُ الكَرَمِ

قَالَ حَكِيمٌ: الكَرَمُ هُوَ عِشْرُونَ دِينَارًا، قِيرَاطٌ مِنْهُ لِلْعَرَبِ وَأَرْبَعَةُ قَرَارِيطَ مِنْهُ فِي سَائِرِ الأُمَمِ وَالعَالَمِ، وَالبُخْلُ هُوَ دِينَارٌ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا مِنْهُ فِي الرُّومِ، وَيُقَالُ: فِي الهُنُودِ، وَالأَصَحُّ فِي المَغَارِبَةِ، وَأَرْبَعَةُ قَرَارِيطَ مِنْهُ فِي سَائِرِ العَالَمِ، وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ أَطْعَمَ الكِسْرَةَ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهِيَ سُنَّتُهُ، وَيُقَالُ: ثَلَاثَةٌ هُمْ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ: أَبُو طَالِبٍ لِتَرْبِيَتِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنُوشُرْوَانُ لِعَدْلِهِ، وَحَاتِمٌ لِكَرَمِهِ.. وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ العَرَبِ شَرَعَ فِي طَعْمِ الكِسْرَةِ وَأَرَادَ أَنْ يُعَادِلَ حَاتِمًا فِي زَمَانِهِ فَجَاءَ إِلَيْهِ ضَعِيفٌ يَطْلُبُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَ فَرَجَعَ السَّائِلُ إِلَيْهِ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً وَخَامِسَةً. فَقَالَ المُدَّعِي: يَا أَخِي، كُفَّ فَمَا أَنْتَ إِلَّا قَلِيلُ الوَفَاءِ كَثِيرُ الجَفَاءِ، هَذِهِ لَكَ خَامِسُ مَرَّةٍ أَوْ سَادِسُ مَرَّةٍ، فَقَالَ السَّائِلُ: إِنْ كَانَ حَاتِمٌ بَنَىٰ قَصْرًا وَفَتَحَ بِهِ أَرْبَعَمِائَةِ طَاقَةٍ، وَاللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْخُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ طَاقَةٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ بِلَا عَاقَةٍ وَكُنْتُ أَكُونُ فِي الأَوَّلِ شِبْهَ السَّاقَةِ، كَمَا قَالَ:

أَجَادَ جَمِيلٌ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ... وَمَا الجُودُ إِلَّا عَادَةٌ لِجَمِيلِ

فَلَمَّا سَمِعَ المُدَّعِي كَلَامَ السَّائِلِ قَالَ بِتَرْكِ مَا كَانَ قَدْ أَسَّسَ مِنْ بِنَائِهِ المُجَصَّصِ، وَكَانَ حَاتِمُ طَيِّءٍ إِذَا قَدَّمَ الزَّادَ قُدَّامَ الضُّيُوفِ وَفَضَلَ مِنْهُ شَيْءٌ لَمْ يَرُدَّهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، بَلْ يُخَلِّيهِ عَلَىٰ حَالِهِ، كَمَا قَالَ:

رَحَلْنَا وَخَلَّفْنَا عَلَىٰ الأَرْضِ زَادَنَا ... وَلِلطَّيْرِ مِنْ زَادِ الكِرَامِ نَصِيبُ

وَأَمَّا عَرَبُ الفَلَاةِ فَلَا يَتَغَدَّىٰ أَحَدُهُمْ إِلَّا قُرْبَ الظُّهْرِ وَلَا يَتَعَشَّىٰ إِلَّا قُرْبَ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَمَا يُؤَخِّرُونَ الغَدَاءَ وَالعَشَاءَ إِلَّا لِأَجْلِ الضَّيْفِ الَّذِي يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا وَصَلَتْ قَافِلَةٌ إِلَىٰ حِلَّةِ[1] عَرَبٍ يَخْرُجُ أَهْلُ الحِلَّةِ إِلَىٰ القَافِلَةِ يَمْسِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ أَهْلِ القَافِلَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَكُونُ فِي البَيْتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالعَجَائِزِ وَالأَطْفَالِ، وَكُلُّ مَنْ يَكُونُ قَلِيلَ النَّهْضَةِ يُنَادِي بِأَعلَىٰ صَوْتِهِ: إِلَيَّ يَا وُجُوهَ العَرَبِ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَىٰ الإِنْسَانِ، فَإِذَا حَضَرَ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ عَزِيزُ القَدْرِ يُنْحَرُ عَلَيْهِ رَأْسُ إِبِلٍ، وَإِنْ كَانَ عَابِرَ سَبِيلٍ يُذْبَحُ عَلَيْهِ شَاةٌ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً وَالضِّيَافَةُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ بَيْنِ القَوْمِ يُقَدِّمُ صَاحِبُ الدَّارِ قُدَّامَهُ الزَّوْرَ وَالأَلْيَةَ، يُعْلِمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ الدَّعْوَةَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الوَاحِدِ وَالبَاقُونَ طُفَيْلِيَّةٌ، وَالمَسْتُورُونَ يَأْخُذُ صَاحِبُ الدَّارِ رَغِيفًا يَكْسِرُهُ ثَلَاثَ أَرْبَعَ كِسَرٍ يَرْمِيهِ قُدَّامَ إِنْسَانٍ، تَكُونُ الدَّعْوَةُ لِذَلِكَ الشَّخْصِ، وَيُسْلَقُ اللَّحْمُ بِالمَاءِ وَالمِلْحِ وَيُثْرَدُ الخُبْزُ وَيَقْلَبُ عَلَيْهِ السَّمْنُ الكَثِيرُ فَيُشْرَبُ اللَّحْمُ بِالمَرَقَةِ وَيُفَرَّقُ جَمِيعُ اللَّحْمِ عَلَىٰ الثَّرِيدِ، وَهَذَا طَبِيخُ العَرَبِ خَاصَّةً يُسَمُّونَهَا العَرَبِيَّةَ.

فَصْلٌ: نَزَلَ جَمَاعَةٌ شُعَرَاءُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الأَعْرَابِ فِي بَرِّيَّةٍ قَفْرٍ فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ يَجْزِرُ عَلَىٰ القَوْمِ بَعِيرًا كَانَ عِنْدَهُ فَأَضَافَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا انْبَسَطَ القَوْمُ

---

(١) الحِلَّةُ: البُيُوتُ، وَأَصْلُ الحِلَّةِ القَوْمُ النَّازِلُونَ، وَأُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَىٰ البُيُوتِ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ المَحَلِّ بِاسْمِ الحَالِ. يُنْظَرُ: «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٩٠).

فِي الحَدِيثِ قَالَ الشُّعَرَاءُ لِلْأَعْرَابِيِّ: مِنْ أَيِّ البِلَادِ أَنْتَ؟ وَكَمْ أَنْتَ فِي رَجُلٍ؟ وَكَمْ مَعَكَ مِنَ المَالِ؟ فَقَالَ لَهُمُ الأَعْرَابِيُّ: أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ نَازِلٌ هَذِهِ الأَرْضَ، وَمَا لِي مِنَ العَشِيرَةِ إِلَّا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ، وَمَا لِي مِنَ المَالِ سِوَىٰ الجَمَلِ الَّذِي نَحَرْتُهُ عَلَيْكُمْ، كَمَا قَالَ:

الجُودُ طَبْعِي وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَالُ ... وَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ بِالقُوتِ يَحْتَالُ

فَهَاكَ خَطِّي إِلَىٰ أَيَّامِ مَيْسَرَتِي ... دَيْنًا عَلِيَّ وَلِي فِي الغَيْبِ آمَالُ

❊ ❊ ❊

حِكَايَةٌ

عَنْ أَبِي عَمْرٍو الدِّمَشْقِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الجَلَالِ إِلَىٰ مَكَّةَ لَمْ نَجِدْ مَا نَأْكُلُ، فَرُفِعْنَا إِلَىٰ حَيٍّ فِي البَرِّيَّةِ وَإِذَا فِي الحَيِّ أَعْرَابِيَّةٌ عِنْدَهَا شَاةٌ فَقُلْنَا لَهَا: بِكَمْ هَذِهِ الشَّاةُ؟ قَالَتْ: بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا، قُلْنَا لَهَا: أَحْسِنِي، قَالَتْ: خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، قُلْنَا لَهَا: تَنْهَرِينَ تَنْهَرِينَ، قَالَتْ: لَا وَاللهِ، وَلَكِنْ سَأَلْتُمُونِي الإِحْسَانَ، وَلَوْ أَمْكَنَنِي لَمَا أَخَذْتُ شَيْئًا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ الجَلَالِ: أَيْش مَعَكُمْ؟ قَالُوا: سِتُّمِائَةِ دِرْهَمٍ، قَالَ: أَعْطُوهَا وَاتْرُكُوا الشَّاةَ لَهَا! فَمَا سَافَرْنَا سَفْرَةً أَطْيَبَ مِنْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

ذِكْرُ ذِمَامِ العَرَبِ

إِذَا أَمْسَكَ عَرَبِيٌّ لِصًّا أَوْ رَبِيطًا أَوْ مَنْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِ دَمٌ فَإِنْ أَكَلَ الرَّبِيطُ فِي بَيْتِ صَاحِبِهِ تَمْرًا أَوْ لَحْمًا قَتَلَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةٍ، وقِيلَ: يومين وَلَيْلَتَيْنِ[1]، وَقِيلَ: بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَيُقَالُ: بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَإِنْ أَكَلَ خُبْزًا قَتَلَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ، وَيُقَالُ: بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَإِنْ شَرِبَ مَاءً فِي بَيْتِهِ فَبَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَيُقَالُ: بَعْدَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ شَرِبَ حَلِيبًا حَرُمَ عَلَيْهِ دَمُهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، وَيُقَالُ: إِنَّ السَّلَامَ يَكُونُ فِي ذِمَامِهِ إِلَىٰ أَنْ يَغِيبَ كُلٌّ مِنْ صَاحِبِهِ، فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ بَطَلَ حَقُّهُ وَأَمِنَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَكْرَهُ، قِيلَ: وَلِمَ ذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّحْمَ يَبْقَىٰ بِمَعِدَةِ الإِنْسَانِ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ، وَيَبْقَىٰ الخُبْزُ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةً، وَيَبْقَىٰ المَاءُ يَوْمًا وَاحِدًا، وَالسَّلَامُ مَا يَغِيبُ عَنِ النَّظَرِ، فَمَا تَقْتَضِي المُرُوَّةُ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا وَخُبْزُكَ فِي أَمْعَائِهِ.

فَصْلٌ: هَجَا دِعْبِلُ[2] بْنُ عَلِيٍّ الخُزَاعِيُّ المُطَّلِبَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ الخُزَاعِيَّ،

---

(١) حَصَلَ فِي المَطْبوعِ سَقْطٌ.

(٢) دِعْبِل: قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: بِكَسْرِ الدَّالِ وَسُكُونِ العَيْنِ المُهْمَلَتَيْنِ وَكَسْرِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا لَامٌ، وَهُوَ اسْمُ النَّاقَةِ الشَّارِفِ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٢/ ٢٧٠)، قُلْتُ: فَهُوَ عَلَىٰ وَزْنِ «جِعْبِل»، وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَنَا مُحَدِّثَ مَكَّةَ العَلَّامَةَ مُحَمَّد آدَم الإِتْيوبِيَّ، فَقَدْ كَانَ يُشْكِلُ عَلَىٰ بَعْضِ الطَّلَبَةِ النُّطْقُ بِاسْمِ «دُرُسْت» فَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذِكْرِهِ: عَلَىٰ وَزْنِ بُرُسْت، فَحَفِظَهُ مَنْ كَانَ يُشْكِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَدِعْبِل هَذَا =

فَلَقِيَهُ المُطَّلِبُ فِي طَرِيقٍ فَقَالَ لَهُ: سِرْ مَعِي إِلَىٰ مَنْزِلِي، فَذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: وَاللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ شَرَّ قِتْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ دِعْبِلُ: لَا تَقْتُلْنِي وَأَنَا جَائِعٌ، أَشْبِعْنِي وَافْعَلْ مَا شِئْتَ سَتجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِين قَالَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ مَا طَلَبْتَ النَّجَاةَ! إِنَّ أَطْعَمْتُكَ وَجَبَتِ الحُرْمَةُ وَالأَمَانُ، وَإِنْ لَمْ أُطْعِمْكَ بَخِلْتُ أَيَّ بُخْلٍ، فَقَالَ دِعْبِلُ: وَاللهِ لَا ذَكَرْتُكَ بَعْدَهَا بِسُوءٍ أَبَدًا، فَأَطْلَقَهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ.

وَإِذَا عَضَّ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّمُ ذَيْلَ امْرَأَةٍ أَوْ طِفْلٍ يَحْرُمُ ذَنْبُ المُذْنِبِ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، فَإِنْ هَرَبَ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّمُ إِلَىٰ بَيْتِ إِنْسَانٍ اسْتَجَارَ بِهِ، فَإِنْ عَفَا عَنْهُ صَاحِبُ البَيْتِ الَّذِي جَرَىٰ بَيْنَهُمْ. وَحُكِيَ أَنَّ قَوْمًا اسْتَجَارُوا بِحُجْرِ بْنِ مُهَلْهِلٍ فَأَجَارَهُمْ مِنَ الهَوَاءِ وَبَنَىٰ لَهُمْ سُورًا مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ وَنَصَبَ عَلَىٰ السُّورِ سُرَادِقَاتٍ مِنَ الأَدَمِ وَلَمْ يُخَلِّ الهَوَاءَ يَهُبُّ عَلَيْهِمْ.

فَصْلٌ: نَزَلَ سَقَّاءٌ بِئْرًا بِطَرِيقِ مَكَّةَ يَنْزِحُ مِنْهُ المَاءَ فِي الدِّلَاءِ لِقِلَّتِهِ، فَرَحَلَ الحَاجُّ عَلَىٰ غَفْلَةٍ وَبَقِيَ السَّقَاءُ مَكَانَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، فَبَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الأَيَّامِ قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ وُجُوهِ العَرَبِ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ فَنَظَرَ الأَعْرَابِيَّ السَّقَّاءَ فِي قَرَارِ البِئْرِ فَاسْتَقَىٰ وَسَقَىٰ حِصَانَهُ وَشَرِبَ وَاسْتَخْرَجَ السَّقَّاءَ مِنَ البِئْرِ وَأَرْدَفَهُ وَرَاءَهُ وَسَارَ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ خَبْتَ قَفْرٍ لَيْسَ بِهِ مِمَّا خَلَقَ اللهُ ﷻ مِنَ المَخْلُوقَاتِ سِوَىٰ فَرْدِ حَيٍّ، أَيْ بَيْتِ شَعرٍ لَهُ، وَفِي الحَيِّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ زَوْجَتُهُ، فَقَامَتِ المَرْأَةُ وَغَسَلَتْ يَدَ السَّقَّاءِ وَرِجْلَهُ بِمَاءٍ حَارٍّ وَأَدْفَأَتْهُ، وَنَامَ السَّقَّاءُ وَاسْتَرَاحَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَجَدَ طَبِيخًا

=

شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (٩/ ٣٦٠) بِرَقْمِ (٤٤٤٣).

حارًّا فَتَعَشَّىٰ وَشَبِعَ وَنَامَ صَاحِبُ البَيْتِ وَزَوْجَتُهُ إِلَىٰ الصَّبَاحِ، فَخَرَجَ صَاحِبُ البَيْتِ أَسْرَجَ وَأَلْجَمَ وَرَكِبَ حِصَانَهُ وَغَدَا لِلصَّيْدِ، وَبَقِيَ السَّقَّاءُ عِنْدَ المَرْأَةِ تَهْتَمُّ بِحَالِهِ وَتَدُورُ فِي أُمُورِهِ إِلَىٰ أَنْ تَعَافَىٰ وَصَحَّ مِمَّا بِهِ، فَلَمَّا دَارَ الدَّمُ فِيهِ فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَقَدِمَ صَاحِبُ الحَيِّ عِنْدَ اصْفِرَارِ الشَّمْسِ وَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الَّذِي رَزَقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الصَّيْدِ طَبْخًا أَوْ أَكْلًا جَمِيعًا، وَبَقِيَ السَّقَّاءُ عَلَىٰ حَالِهِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عَلَىٰ الرَّسْمِ وَالعَادَةِ[(١)]، وَفِي الرَّابِعِ شَبِعَ وَتَعَافَىٰ وَاسْتَرَاحَ، فَمَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَىٰ المَرْأَةِ فَوَجَدَهَا صُورَةً عَجِيبَةً، فَطَالَتْ يَدُهُ مَعَ قِصَرِ رِجْلِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ المَكَانِ وَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا مِرَارًا فَنَهَتْهُ فَلَمْ يَنْتَهِ، فَقَامَ مَعَهَا بِالكُلْيَةِ وَقَامَتْ مَعَهُ بِالمُنْيَةِ، فَلَمَّا أَبْصَرَتِ العَفِيفَةُ عَيْنَ الحَقِيقَةِ قَامَتْ إِلَيْهِ فَمَسَكَتْهُ وَأَدَارَتْ كِتَافَهُ وَشَدَّتْهُ فِي جِوَارِ كَلْبٍ كَانَ عِنْدَهَا.

فَفِيهِنَّ مَنْ تَسْوَىٰ ثَمَانِينَ بَكْرَةً ... وَفِيهِنَّ مَنْ تَسْوَىٰ عِقَالَ بَعِيرِ
وَفِيهِنَّ مَنْ لَا بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهَا ... إِذَا قَعَدَتْ بَيْنَ النِّسَاءِ بِزِيرِ

فَلَمَّا رَجَعَ زَوْجُهَا نَظَرَ الحَالَ غَيْرَ الحَالِ فَقَامَ إِلَيْهِ وَحَلَّهُ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ مَا حَضَرَ، وَبَقِيَ يُرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَتَفْعَلُ بِهِ الدَّسْتَ[(٢)].

---

(١) مِنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَهَذِهِ هِيَ الضِّيَافَةُ الكَامِلَةُ الثَّلَاثَةُ الأَيَّامُ، وَإِلَّا فَالحَقُّ اللَّازِمُ لِلضَّيْفِ هُوَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَمَا زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُعَدُّ صَدَقَةً؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ الخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

(٢) الدَّسْتُ: كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ، وَمِنْ مَعَانِيهَا «صَدْرُ المَجْلِسِ»، وَ«الحِيلَةُ»، وَ«الخَدِيعَةُ» فَيَكُونُ المَعْنَىٰ أَنَّهُ يُرَاوِدُهَا وَهِيَ لَا زَالَتْ تُمَكِّنُهُ مِنَ البَقَاءِ فِي صَدْرِ المَجْلِسِ كَرَمًا مِنْهَا، وَتَتَحَايَلُ عَلَيْهِ لِتَدْفَعَ شَرَّهُ، وَيُنْظَرُ: «الرَّائِدُ مُعْجَمٌ لُغَوِيٌّ عَصْرِيٌّ» لِجُبْرَان مَسْعُود مَادَّةُ «دَسَت».

فَلَمَّا عر الحَدُّ عَنِ الحَدِّ قَالَ البَدَوِيُّ لِلسَّقَّاءِ: إِلَىٰ أَيْنَ تُرِيدُ أُوصِلُكَ؟ قَالَ: إِلَىٰ الكُوفَةِ، فَشَدَّ عَلَىٰ حِصَانِهِ وَنَفْسِهِ وَرَكِبَ وَأَرْدَفَ السَّقَّاءَ وَرَاءَهُ وَسَارَ بِهِ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةً إِلَىٰ أَنْ أَشْرَفَ بِهِ عَلَىٰ نَجْدِ الكُوفَةِ، فَلَمَّا نَزَّلَ البَدَوِيُّ السَّقَّاءَ عَنْ حِصَانِهِ وَدَّعَ كُلٌّ صَاحِبَهُ، فَحِينَئِذٍ قَالَ البَدَوِيُّ: بِاللهِ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَتَمْتَ حَالَكَ لِي وَحَدَّثْتَ بِحَالِكَ مَعِي، أَعَدَّ اللهُ جَزَاكَ خَيْرًا، كَمَا قَالَ:

لَا تُضَيِّعْ فِعْلَ الجَمِيلِ تُضِيعُه ... إِنِ اصْطَنَعْتَ لِذِي خَطَا وَذُنُوبِ
وَالشَّوْكُ لَوْ تُسْقِيهِ مَاءَ الوَرْدِ مَا... ... وَيَحْمِلُ الخُرْنُوب

وَقَالَ آخَرُ:

لَيْسَ الكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ ... بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا
إِنَّ الكَرِيمَ الَّذِي تَبْقَىٰ مَوَدَّتُهُ ... وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَىٰ وإِنْ حَرَمَا[1]

وَقَالَ آخَرُ:

لَا تَجْلِسَنَّ مَعَ السَّفِيهِ فَإِنَّهُ ... بِفَسَادِهِ لِصَلَاحِ أَمْرِكَ يُذْهِبُ
وَلَقَدْ ظَفِرْتُ بِبَيْتِ شِعْرٍ قَالَهُ ... بَعْضٌ مِنَ الأَعْرَابِ وَهْوَ مُهَذَّبُ
مَا يَنفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيحَةٍ ... إِليهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تَجْرَبُ

وَلِمَاذَا يُقَالُ: جَرَادٌ نَجْدِيٌّ لَا يَأْكُلُ الحَشَائِشَ[2] وَيَشُمُّ أَطْيَبَ الأَهْوِيَةِ

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حَرَمَا» بَيْدَ أَنَّهُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ عِنْدَهُ: «صَرَمَا» بِالصَّادِ كَمَا فِي «آدَابِ العِشْرَةِ وَذِكْرِ الصُّحْبَةِ» (ص٣٦) لِأَبِي البَرَكَاتِ الغَزِّيِّ، وَ«الصُّحْبَةِ» (ص٧٠) لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ.

(٢) لَعَلَّهُ: إِلَّا الحَشَائش.

وَيَشْرَبُ أَطْيَبَ المِيَاهِ وَيَتَرَبَّىٰ فِي أَطْيَبِ الأَمْكِنَةِ وَيَرْجِعُ دَوَاءً لِكُلِّ دَاءٍ؟ وَيُقَالُ: إِنَّهُ يَظْهَرُ فِي نَجْدٍ مِنْ أَعْمَالٍ تُسَمَّىٰ الدَّهْنَاءِ، وَالمَوْضِعُ هُوَ مَشْرِقُ البَحْرِ، وَقَالَ آخَرُ: بَلْ هُوَ يَخْرُجُ مِنَ البَحْرِ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ المَنِّ وَالسَّلْوَىٰ يَنْزِلُ عَلَىٰ شَجَرِ الزَّيْتُونِ بِجِبَالِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا، وَالسَّلْوَىٰ هُوَ طَيْرٌ يَجِيءُ إِلَىٰ دِمْيَاطَ[1] عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي، وَكَذَلِكَ الجَرَادُ يَأْتِي مِنْ عِلْمِ اللهِ ﷻ، فَإِذَا غَرَسَ الجَرَادُ فِي الأَرْضِ وَأَفْقَسَ يُسَمَّىٰ العَرْجَلَ، فَإِذَا بَتَّ وَدَبَّ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ يُسَمَّىٰ الدَّبا[2]، فَإِذَا طَارَ يُسَمَّىٰ الجَرَادَ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المُفَسِّرِين: إِنَّهُ كُتِبَ عَلَىٰ جَنَاحِهِ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ، فَلِذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَىٰ الطَّيَرَانِ وَيَتَسَلَّطُ عَلَىٰ أَكْلِ الزَّرْعِ وَغَيْرِهِ لِأَنَّهُ جُنْدُ اللهِ ﷻ سَلَّطَهُ عَلَىٰ بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ[3].

فَصْلٌ: نَزَلَ الجَرَادُ فِي قُرْبِ قَبِيلَةِ زَيْدٍ وَنَزَلَ الجَرَادُ قَرِيبَ قَبِيلَةِ عَمْرٍو، فَقَامَ أَهْلُ قَبِيلَةِ زَيْدٍ وَقَالُوا لِأَهْلِ قَبِيلَةِ عَمْرٍو: هَا نَحْنُ نَصِيدُ جَرَادًا احْتَمَىٰ بِكُمْ، فَلَمَّا سَمِعَتْ قَبِيلَةُ عَمْرٍو ذَلِكَ قَالَتْ: لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَلَا نُمَكِّنُكُمْ مِنْ صَيْدِ جِوَارِنَا، فَقَامَ القِتَالُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، وَلَا زَالُوا عَلَىٰ قِتَالٍ إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ جَمِيعُ هَاتَيْنِ القَبِيلَتَيْنِ،

---

(١) أَيْ: دِمْيَاط «مِصْرَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٧٢).

(٢) الدَّبَا بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٣٥)، وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «الدَّبَاء» بِالهَمْزِ وَهُوَ خَطَأٌ.

(٣) وَهَذَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، إِنَّمَا هُوَ رَأْيٌ لَمْ يُوَفَّقْ صَاحِبُهُ فِيهِ.

وَأَنْشَدَ بَعْضُ أَهْلِ قَبِيلَةِ عَمْرٍو يَقُولُ:

وَمِنَّا مَنْ أَجَارَ جَرَادَ نَجْدٍ ... وَحَرَّمَهُ عَلَىٰ المُتَصَيِّدِينَا

فَصْلٌ: مَرِضَ زَيْدٌ مَرَضًا شَدِيدًا إِلَىٰ أَنْ تَعَيَّتِ الأَطِبَّاءُ مِنْ عِلَاجِهِ لِقِلَّةِ مُلَاقَاةِ أَدْوِيَتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ الهَلَاكِ قَالَ الطَّبِيبُ لِقَرَابَتِهِ: أَطْعِمُوهُ مَا اشْتَهَىٰ وَأَرَادَ فَإِنَّهُ مِنَ الهَالِكِينَ! وَصَارَ المَرِيضُ يَأْكُلُ مَا اشْتَهَىٰ، فَاشْتَهَىٰ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ الجَرَادَ فَأَكَلَ وَأَمْعَنَ فِي الأَكْلِ مِنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْهُ تَعَافَىٰ مِنْ مَرَضِهِ، وَشَاهَدَهُ الطَّبِيبُ فَقَالَ: بِاللهِ عَلَيْكَ أَخْبِرْنِي بِمَا تَنَاوَلْتَ مِنَ المَعَاجِينِ أَوْ مَا شَرِبْتَ مِنَ الأَشْرِبَةِ وَمَا غِذَاؤُكَ مِنَ المَآكِلِ؟ فَقَالَ: الجَرَادُ، فَقَالَ الطَّبِيبُ: صَدَقْتَ، لِأَنَّ الجَرَادَ يَكُونُ قَدْ قَعَدَ عَلَىٰ حَشَائِشَ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَلَمْ تَصِلْ مَنْفَعَتُهَا إِلَىٰ فَهْمِ مَخْلُوقٍ إِلَىٰ الآنَ، وَوَافَقَ خَاصِّيَّةُ تِلْكَ الحَشَائِشِ لِدَائِكَ فَبَرِئْتَ، وَكَانَ الجَرَادُ وَاسِطَةً لِعَافِيَتِكَ، وَاللهِ إِنِّي نَظَرْتُ فِي جَمِيعِ كُتُبِ الطِّبِّ عَلَىٰ أَنْ أَعْرِفَ لِدَائِكَ دَوَاءً فَمَا صَحَّ لِي مِنْ ذَلِكَ فَقُلْتُ بِتَرْكِ الحمية لَكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

ذِكْرُ زَوَاجِ أَهْلِ نَجْدٍ

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ المَنْصُورِ قَالَ: إِنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِ الجِبَالِ وَجَمِيعَ أَهْلِ البَوَادِي وَالبَدْوِ وَتِهَامَةَ وَنَجْدٍ يُزَوِّجُونَ بَنَاتِهِمْ وَلَمْ يُوَرِّثُوا البِنْتَ شَيْئًا، بَلْ إِذَا كَانَتِ البِنْتُ بِكْرًا تُجَهَّزُ وَتُزَوَّجُ مِنْ مَالِ أَبِيهَا، وَإِنْ كَانَتِ البِنْتُ ذَاتَ عِيَالٍ فَقَدِ اسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي، وَكُلُّ امْرَأَةٍ يَقِلُّ أَهْلُهَا وَعَشِيرَتُهَا يَقِلُّ خُطَّابُهَا، فَإِذَا عَجِزَتْ عَنْ مُقَاسَاةِ نَعَمِهَا وَأَمْوَالِهَا وَمَوَالِيهَا تَرْكَبُ هَوْدَجًا عَالِيًا وَتُسَاقُ نَعَمُهَا إِلَىٰ سُوقٍ فِي وَعْدِهِ وَيَقُومُ لَهَا مُنَادٍ يُنَادِي عَلَيْهَا: أَلَا مَنْ يَطْلُبُ عَرُوسًا وَدُودًا؟ فَإِنْ كَانَتْ رَاجِعًا يُنَادِي عَلَيْهَا: أَلَا وَمَنْ يَطْلُبُ نَحِيحًا وَدُوبًا، وَالنَّحِيحُ هِيَ المَرْأَةُ الثَّيِّبُ، وَالدُّوبُ مَالُهَا وَنَعَمُهَا مَنٌّ وَأَمَانَاتٌ[(١)]، فَكُلُّ مَنْ رَغِبَ فِيهَا وَفِي مَالِهَا تَزَوَّجَ بِهَا، فَإِذَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا أَوِ ابْنُ عَمِّهَا أَوْ بَعْضُ قَرَابَتِهَا يَقُولُ لِلرَّجُلِ: تَزَوَّجْ بِهَا يَا وَجْهَ العَرَبِ، وَإِذَا قَلَّ رَغْبَتُكَ فِيهَا فَأَنْتَ وَكِيلُهَا فِي زَوَاجِهَا، زَوِّجْهَا مَنْ شِئْتَ!! وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

عَلَيْكَ بِصَعْبَاتِ القِيَادِ وَلَا تَقَعْ ... بِرِجْلِكَ فِي مَدْءُوسَةٍ قَدْ أُذِلَّتِ
إِنْ أَكْرَمْتَهَا قَالَتْ: قَدْ أُكْرِمْتُ قَبْلَ ذَا ... وَإِنْ هِنْتَهَا قَالَتْ: بَلِ النَّعْلُ زَلَّتِ

---

(١) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «من وَأَمَانَات».

وَقَالَ آخَرُ:

يَا مُبْشِرِي يَانَا[١] وَيَا زَوْجَ رَاجِعِ أَبَشَّرْتُكَ الخَسْرَانَ مِنْ يَوْمِ رَاجِعِ

وَإِذَا دَخَلَتِ المَرْأَةُ عَلَىٰ بَعْلِهَا تَجِيءُ كُلُّ امْرَأَتَيْنِ مِنْ جِيرَانِهَا يُهَنِّئَانِهَا بِإِتْمَامِ سُرُورِهَا، وَتَأْتِي مَعَهَا بِجِرَابٍ مَلْآن دَقِيقُ سَمِيدٍ أَوْ سَوِيقٌ أَوْ زَبِيبٌ، وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِلْمَرْأَةِ نَحْوُ مِائَةِ ظَرْفٍ مَلْآنَ تُنْفِقُهَا مُدَّةَ أَيَّامٍ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا كَانَ لإِحْدَىٰ النِّسْوَةِ اللَّائِي حَضَرْنَ العُرْسَ عُرْسٌ رَدَّتْ لَهُمُ المَرْأَةُ الجِرَابَ مَلْآنَ مِثْلَ مَا كَانَ، وَهَذِهِ عَوَائِدُهُمْ.

وَتَغْزِلُ نِسَاءُ هَذِهِ الدِّيَارِ القُطْنَ كَمَا يُغْزَلُ الوَبَرُ بِالقَانُونِ غَلِيظٌ مَرَّةً، وَيُنْسَجُ مِنْهُ شِبْهُ السِّيَاسَاتِ شِبْهُ الأَكْسِيَةِ الصُّوفِ يُسَمُّونَهَا ثِيَابَ الهَجِيرَةِ لِبْسُ العَبِيدِ وَالإِمَاءِ وَالضَّعِيفِ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا يُوجَدُ فِي هَذِهِ البَلَدِ سِتُّونَ حَائِكًا وَدَحَّاحٍ، وَلَيْسَ يَعْرِفُ القَوْمُ أَيْمَانًا إِلَّا أَنَّ زَيْدًا يَخُطُّ خَطًّا دَائِرًا عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، وَيَقُولُ لِعَمْرٍو المُنْكِرِ عَلَيْهِ: ادْخُلْهُ! فَإِذَا دَخَلَهُ يَقُولُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَىٰ اللهِ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ قَالَ زَيْدٌ: كُفِيتَ بِاللهِ رَبًّا، اقْصِدْ يَا إِنْسَانُ طَرِيقَكَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، وَهَذِهِ أَيْمَانُ القَوْمِ.

وَتَنْقَسِمُ أَمْوَالُ هَذِهِ البِلَادِ عَلَىٰ فِرْقَتَيْنِ: الضَّأْنِ وَبَعْضِ الإِبِلِ وَالخَيْلِ، فَأَمَّا الإِبِلُ وَالضَّأْنُ فَيَسْتَقْنُونَهُمْ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: الشَّاوَرِيَّةُ، وَبَعْضُ الإِبِلِ وَالخَيْلِ يَسْتَقْنُونَهُمُ الدَّوَاشِرُ[٢]، وَلَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ هَذَا المَالِ شَيْئًا آخَرَ، يَعْنِي مِثْلَ المَعْزِ

---

(١) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»: «يَانا»، أَمَّا «ج» فَلَمْ تُنْقَطْ فيهَا.

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «الدَّوَاشِرُ»، وَالَّذِي يَغْلُبُ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّهُ «الدَّوَاسِرُ» بِالسِّينِ، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ =

وَالبَقَرِ وَالثِّيرَةِ وَالحَمِيرِ وَالبِغَالِ، وَالآنَ يَنْزِلُ البَدْوَانِ حَوْلَ القُصُورِ بِالبُيُوتِ الشَّعَرِ وَالخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالغَنَمِ، وَهُمْ أَهْلُ جُودٍ وَعَطَاءٍ وَكَرَمٍ، مَأْكُولُهُمْ لَحْمُ الإِبِلِ وَمَشْرُوبُهُمُ الحَلِيبُ، وَرُكُوبُهُمُ الخَيْلُ، وَبَيْعُهُمْ وَشِرَاؤُهُمُ الخَيْلُ وَالإِبِلُ، وَلِبْسُهُمُ الخَامُ، وَهُمْ أَهْلُ قُوَّةٍ وَفَصَاحَةٍ، وَيَدُورُونَ الفَلَاةَ وَرَاءَ الأَمْوَالِ وَالنَّعَمِ، لَا يُؤَدُّونَ قِطْعَةً وَلَا يَعْرِفُونَ خَرَاجًا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكُلُّ بَدَوِيٍّ لَا يَأْوِي تَحْتَ سَقْفٍ[١] وَلَا يُؤَدِّي قِطْعَةً فَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَيْسَ فِيهِ خِلَافٌ وَلَا شَكٌّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا نَجْدٌ وَحُدُودُهَا فَمَا كَانَ مِنْ حَدِّ اليَمَامَةِ إِلَىٰ قُرْبِ المَدِينَةِ رَاجِعًا عَلَىٰ بَادِيَةِ البَصْرَةِ حَتَّىٰ يَمْتَدَّ عَلَىٰ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ البَحْرِ فَهُوَ حَدُّ نَجْدٍ.

* * *

=

الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦).

(١) إِنْ كَانَ يَقْصِدُ بِالسَّقْفِ سَقْفَ العُمْرَانِ وَالقُصُورِ فَالبَدْوُ كَانُوا كَذَلِكَ كُلُّهُمْ فِي بُيُوتِ الشَّعَرِ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ غَيْرَ ذَلِكَ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ فَكَلَامُهُ فِيهِ غُمُوضٌ.

وَمِنْ صَعْدَةَ إِلَى صَنْعَاء
رَاجِعًا عَلَى طَرِيقِ الجَدِيدِ

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: حَدَّثَنِي الحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التّولِيُّ الصَّعْدِيُّ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللهُ ﷻ بالإِسْلَامِ سَلَكُوا هَذِهِ الطَّرِيقَ، مِنْ صَعْدَةَ إِلَى الخُيَامِ(١) ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَتُسَمَّىٰ الدُّرُوبَ، وَإِلَىٰ العَيْنِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ العَمَشِيَّةِ(٢) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَفِي هَذِهِ الحُدُودِ مَدِينَةٌ تُسَمَّىٰ خَيْوَانَ(٣) وَيُقَالُ: وَادِي خَيْرَانَ، وَهِيَ مَدِينَةٌ وُضِعَتْ فِي لِحْفِ جَبَلٍ، وَمِنْ عِلْمِهَا أَنَّهُ كَانَ بِهَا سِتُّمِائَةِ شَارِعٍ، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ شَارِعٍ

---

(١) خُيَام: بِضَمِّ الخَاءِ، قَرْيَةٌ خَارِبَةٌ فِي وَادِي الأَهْجَرِ مِنْ أَعْمَالِ شبام كَوْكَبَان، ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ وَأَشَارَ إِلَىٰ أَنَّهَا كَانَتْ قَائِمَةً فِي عَهْدِهِ، وَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِاسْمِ خُيَام بْنِ مَخْمِرِ بْنِ كَوْكَبَانَ بْنِ ذِي سُبَال بْنِ ذُو أَقْيَانَ بْنِ سَبَأ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّة» (١/ ٥٨٩).

(٢) العَمَشِيَّةُ: مَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ مِنْ مُدِيرِيَّةِ «حَرْفِ سُفْيَانَ» وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ «عَمْرَانَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّة» (٢/ ١١٢٢)، وَذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص١٦١).

(٣) خَيْوَانُ: مَدِينَةٌ فِي الشَّرْقِ الشَّمَالِيِّ مِنْ حُوثَ، تَبْعُدُ عَنْ صَنْعَاءَ شَمَالًا بِمَسَافَةِ (١٣٤) كِيلُو، سُمِّيَتْ نِسْبَةً إِلَىٰ خَيْوَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُشَمَ بْنِ حَاشِدِ بْنِ هَمْدَانَ، قَالَ عَنْهَا الهَمْدَانِيُّ: هِيَ مِنْ غُرَرِ بَلَدِ هَمْدَانَ وَأَكْرَمِهِ وَأَطْيَبِهِ ثَمَرَةً. وَمَا تَزَالُ إِلَىٰ اليَوْمِ تَحْتَفِظُ بِهَذَا الوَصْفِ، وَمِنْ مَعَالِمِ «خَيْوَانَ» قَصْرُ «نَوْفَانَ» الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فَرْوَةُ بْنُ مَسِيكٍ المُرَادِيِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّة» (١/ ٥٩٣).

سِتُّمِائَةِ فَارِسٍ، وَكَانَ قَدْ بُنِيَ لِهَذِهِ المَدِينَةِ سَدٌّ شِبْهُ المَأْزِمَيْنِ بِمَأْرِبَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَلَمَّا خَرِبَ السَّدُّ خَرِبَتِ المَدِينَةُ، وَالآنَ هِيَ مِلْكُ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدِ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْزَةَ، وَاشْتَرَوْا أَرَاضِيَهَا بِذَهَبٍ كَثِيرٍ، وَهِيَ ذَاتُ زَرْعٍ وَضَرْعٍ.

وَيُقَالُ: إِنَّ مِنْ طِيبَةِ أَهْلِهَا كَانَتْ تُسَمَّىٰ خَيْرَانَ فِي أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ.

وَإِلَىٰ حُوث خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ جَحْضَمَ أَرْبَعة فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ صَنْعَاءَ فَرْسَخَانِ.

❊ ❊ ❊

ذِكْرُ الرُّؤْيَا

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنِّي فِي مَدِينَةٍ عَامِرَةٍ، وَكَانَ عِمَارَتُهَا بِالحَجَرِ المَنْقُوشِ، طُولُ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا مِقْدَارُ خَمْسَةِ أَذْرُعٍ وَلِكُلِّ حَجَرٍ لَوْنٌ، وَهِيَ ذَاتُ جَامِعٍ وَمَسَاجِدَ وَخَانَقَاتٍ وَرُبَطٍ وَمَدَارِسَ وَأَسْوَاقٍ وَدَكَاكِينَ وَحَوَانِيتَ، نُزْهَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَالِيَيْنِ، كَثِيرَةُ المِيَاهِ وَالأَنْهَارِ وَالأَشْجَارِ وَالبَسَاتِينِ، وَكَانَ قَدْ طَبَّقَ إِحْدَىٰ جَبَلَي الوَادِي الآخَرِ القَائِمِ عَلَىٰ حَرْفِهِ، وَقَدْ كُحِّلَ السُّوقُ بِالجَصِّ مِنْ لِحْفِهِ إِلَىٰ ذِرْوَتِهِ، فَلَوْ سَارَ عَلَىٰ وَجْهٍ -أَيْ سَدِّ الجَبَلِ- نَمْلَةٌ لَنَاظَرَهُ مِنْ عَلَىٰ بُعْدِ المَسَافَةِ، وَكَأَنِّي قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ: مَا تُسَمَّىٰ هَذِهِ البَلَدُ؟ قَالَ: حَجَبُ، قُلْتُ: وَمَا المَعْنَىٰ فِي هَذَا الِاسْمِ؟ قَالَ: إِنَّهَا احْتَجَبَتْ عَنِ النَّاظِرِينَ، قُلْتُ: فَمِنْ أَيِّ الأَعْمَالِ تُحْسَبُ؟ قَالَ: مِنْ أَعْمَالِ صَنْعَاءِ اليَمَنِ، وَذَلِكَ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ سَادِس رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

❋ ❋ ❋

مِنْ تَعِزَّ إِلَى زَبِيدٍ رَاجِعًا

مِنْ تَعِزَّ إِلَىٰ عُدَيْنَةَ[(١)] رُبُعُ فَرْسَخٍ، قَرِيَةٌ فِي لِحْفِ الحِصْنِ، وَفِيهَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ كُنْتُ إِنْ لَأْلَأَ بَرْقٌ مِنْ عُدَيْنَةَ ... نَادَيْتُ: مَا بَالُ أَحْبَابٍ لَنَا بَعُدُوا؟

وَإِلَىٰ الدُّمَيْنَةِ[(٢)] رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَبِهَا يُعْمَلُ الخَزَفُ، وَإِلَىٰ وَادِي حِذْرَا[(٣)] رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ بِئْرِ مَاهُوتَ رُبُعُ فَرْسَخٍ، وَتُسَمَّىٰ الأَجْنَاشَ، وَبَنَىٰ بِهَا نُورُ الدِّينِ عُمَرُ[(٤)] بْنُ عَلِيِّ بْنِ رَسُولٍ مَسْجِدًا عَلَىٰ ثَلَاثِ قِبَابٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَإِلَىٰ بِئْرِ الصَّدع فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ وَادِي النَّخْلِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ وَادِي الحِنَّاءِ فَرْسَخٌ، وَجَمِيعُ غَرْسِهِ وَزَرْعِهِ الحِنَّاءُ، وَهُوَ كَثِيرُ القِرَدَةِ، وَإِلَىٰ السَّالبين فَرْسَخٌ،

---

(١) عُدَيْنَةُ: بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ، مَنْطِقَةٌ فِي الطَّرَفِ الجَنُوبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ تَعِزَّ أَسْفَلَ جَبَلِ صَبِرَ، وَهِيَ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا «جَامِعُ المُظَفَّرِ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٠٣١).

(٢) الدُّمَيْنَةُ: قَرْيَةٌ آهِلَةٌ فِي مَنْطِقَةِ بِرَاد مِنْ جَبَلِ صَبِرَ المُطِلِّ عَلَىٰ مَدِينَةِ تَعِزَّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٢٤).

(٣) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّهُ «حِذْرَان»، وَادٍ مَغْيُولٌ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ تَعِزَّ كَمَا فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٣٩).

(٤) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «السِّيَرِ» (٢٣/ ١٧٣) بِرَقْمِ (١٠٨) لِلذَّهَبِيِّ، وَ«العِقْدُ الثَّمِينُ» (١/ ١٢١) لِلْفَاسِيِّ.

وَإِلَىٰ عُقْدَةِ مجعر فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ الكدحَةِ[١] فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ حُدَيْلَةَ[٢] فَرْسَخٌ، وَتُسَمَّىٰ سَرَادِيبَ النِّيلِ، وَإِلَىٰ الدِّرَيْعَاءِ[٣] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ.

* * *

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٣٣٤) لِلْمَقْحَفِيِّ.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٣٢) لِيَاقُوتَ الحَمَوِيِّ.

(٣) الدِّرَيْعَاءُ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَىٰ زَبِيدٍ. ذَكَرَهَا الحَمَوِيُّ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٥٤).

صِفَةُ طَيْرِ الدَّلْنَقُوق

طَيْرٌ أَبْلَقُ يُشَابِهُ الأفرَ غَيْرَ أَنَّ الَّذِي فِي أَرْضِ العِرَاقِ بِمِنْقَارٍ طَوِيلٍ يَأْوِي هَذِهِ الجِبَال، وَصِفَتُهُ إِذَا غَرَّدَ رَقَصَ.

حَدَّثَنِي الجَمَّالُ قَالَ: مَا يُكْثِرُ تَغْرِيدَهُ وَتَرْقِيصَهُ إِلَّا فِي فَصْلِ الغُيُوثِ وَالمَطَارَاتِ وَالشِّتَاءِ، وَهَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ رَآهُ المُصَنِّفُ.

وَفِي اليَمَنِ -أَيْضًا- طَيْرٌ يُسَمَّىٰ جولَبَ أَكْبَرُ مِنَ القسم، وَأَجْنِحَتُهُ حُمْرٌ وَلَهُ مِنْقَارَانِ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ فِي تَغْرِيدِهِ: سَيِّدِي أَجِبْ سِتِّي! وَيَقُولُ الآخَرُ فِي تَغْرِيدِهِ: دُقُّوا قَفَا السُّودَانِ.

وَيُوجَدُ فِي هَذِهِ الجِبَالِ طَيْرٌ يَهْدِرُ شِبْهَ هَدِيرِ الجَمَلِ الهَائِجِ، وَيَأْتِي إِلَىٰ زَبِيدٍ عِنْدَ طُلُوعِ كُلِّ شَمْسٍ طُيُورٌ تُشْبِهُ الطَّيْطَوِيَّةَ[١]، وَذَلِكَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ تُسَمَّىٰ الحَوَّامَاتِ حمل فِي جَمَلٍ، تَدُورُ حَوْلَ البَلَدِ أَرْبَعَ دَوْرَاتٍ وَتَرْجِعُ لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتُونَ[٢] وَلَا أَيْنَ يُمْسُونَ وَلَا أَيْنَ يكورُونَ، وَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ العَجَائِبِ.

وَيَطْلُعُ فِي هَذِهِ الجِبَالِ رَيْحَانٌ بَرِّيٌّ يُسَمَّىٰ فِي أَرْضِ تِهَامَةَ حَبَق، وَيُسَمُّونَهُ فِي زَبِيدٍ

---

(١) الطَّيْطَوِيُّ: مِنَ الطُّيُورِ مَشْهُورٌ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَلِلْمَعْلُومَاتِ عَنْهُ يُنْظَرُ فِي مَوْسُوعَةِ «وَيْكِيبِيدْيَا».

(٢) هِيَ طُيُورٌ حَوَّامَةٌ مُهَاجِرَةٌ تَأْتِي فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ تَمْكُثُ مُدَّةً ثُمَّ تُغَادِرُ.

النَّحَالَةَ الدَّرَافسَايرَ، وَكَانَ هَذَا المَوْضِعُ رَأْسَ حَدِّ أَعْمَالِ الحَبَشَةِ لَمَّا كَانُوا وُلَاةَ زَبِيدٍ.

وَإِلَىٰ السَّاسَةِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ المُخَيْشِيبِ فَرْسَخٌ، آخِرُ أَعْمَالِ الجِبَالِ، وَإِلَىٰ العوبرس[١] فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ حُصُبِ[٢] الدِّينِ نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَكَانَا قَرْيَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ عَامِرَتَيْنِ، وَمِنْ جُمْلَةِ عِظَمِهِمَا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ مِنْهُمَا أَرْبَعُمِائَةِ فَارِسٍ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً يُسَمُّونَهَا أَهْلُ اليَمَنِ: الحَرْبَاءَ، لَدَغَتْهُمْ فَمَاتَ الجَمِيعُ، وَيُسَمِّيهِ أَهْلُ خُرَاسَانَ آفتَاب پرست، وَيُسَمَّىٰ فِي زَاولسْتَانَ سكند، كَمَا قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ فِيهِ:

چــه كـــردي ايَــا روزكَــار نزنـــد ... كــه پيوســته كــردي برنــك شــلند

كهــي زرد روىٰ وكهــي ســبز كشــت ... كهــي دســت يَــار وكهــي بَــاي بنــد[٣]

وَيُسَمِّيهَا أَهْلُ نَهَاوَنْدَ ركثرله، وَيُسَمِّيهِ أَهْلُ الحِجَازِ أُمَّ حُبَّيْنَ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ لِسَانٌ طُولُهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ ذِرَاعٍ[٤]، وَيُسَمِّيهِ أَهْلُ أَبْيَنَ الفُخَاخَ، وَتُسَمِّيهِ العَرَبُ العَرَبَاءُ: الحَرْبَاءَ، كَمَا قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ:

وَيَوْمًــا يَظِــلُّ بِــهِ الحَرْبَــاءُ مُصْـطَخِمًا ... كَــأَنَّ ضَــاحِيهِ بِالنَّــارِ مَمْلُــولُ

وَإِلَىٰ السَّلَامَةِ[٥] نِصْفُ فَرْسَخٍ، فَإِذَا كَانَ فِي هَذِهِ البِلَادِ خَوْفٌ غَزَوْهُمْ أَهْلُ

---

(١) كَذَا فِي «ج» مِنْ غَيْرِ نَقْطٍ، وَسَاقِطَةٌ مِنْ «أ»، وَ«ب». وَكَأَنَّهَا «العويرين».

(٢) تُنْظَرُ الأَمَاكِنُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: «حُصُب» فِي اليَمَنِ فِي «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٦٩)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٤٣١) لِلْحَمَوِيِّ.

(٣) وَهَذَا الشِّعْرُ مِمَّا يُؤَيِّدُ أَنَّ أَصْلَ المُصَنِّفِ فَارِسِيٌّ.

(٤) لَيْسَ كَذَلِكَ.

(٥) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٠٢).

شَمِيرٍ لِأَنَّ القَرْيَةَ فِي لِحْفِهِ.

وَإِلَىٰ حَيْسَ[(١)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، بَنَاهَا الأَمِيرُ جَيَّاشُ[(٢)] بْنُ نَجَاحٍ، وَهُوَ جَدُّ مُلُوكِ زَبِيدٍ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مُلْكَ زَبِيدٍ وَالتَّهَائِمِ، فَلَمَّا تَوَلَّىٰ المُلْكَ بَنَىٰ حَيْسَ وَأَنْفَذَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ: انْتَقِلُوا مِنْ أَعْمَالِ الحَبَشَةِ وَاسْكُنُوا حَيْسَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ بَلْ كَانَ مَنْ بِهَا مِنْ نَسْلِ السُّودَانِ، وَبِهَا يَضْرِبُ أَهْلُ اليَمَنِ المَثَلَ، يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: وَاللهِ مَا تَصِيرُ إِلَّا تَيْس، فَيَقُولُ لَهُ عَمْرٌو: وَلِمَ؟ فَيَقُولُ: كَمَا أَعْطَىٰ حَبّ وَأَخَذَ حَيْس[(٣)].

وَكَانَ المُوجِبُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ أَنْ عَصَاهُ فِي حَبٍّ حِصْنُ حَبٍّ[(٤)]، فَحِينَئِذٍ أَعْطَىٰ سَيْفُ الدِّينِ سُنْقُرُ لَهُ حَيْس وَأَخَذَ مِنْهُ حَبًّا، فَبَقِيَ مَثَلًا بَيْنَ عَوَامِّ زَبِيدٍ، وَكَذَلِكَ أَعْطَىٰ بَعْضَ مُلُوكِ المَوْصِلِ قَلْعَة وَأَخَذَ سِنْجَارَ[(٥)].

وَإِلَىٰ الدَّوَامِلِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ السِّرْدَابِ فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ القُرْتُبِ[(٦)] نِصْفُ فَرْسَخٍ، وَإِلَىٰ زَبِيدٍ نِصْفُ فَرْسَخٍ.

---

(١) حَيْس: تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٩/ ٢٣١) بِرَقْمِ (١٤٢) لِلذَّهَبِيِّ.

(٣) كَذَا، وَكَأَنَّهُ ذَكَرَهُ بِلَهْجَةِ العَوَامِّ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَمَا شَرَحَ المِثَالَ قَالَ: فَبَقِيَ مَثَلًا بَيْنَ عَوَامِّ زَبِيدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٤) عَلَىٰ وَزْنِ حَبِّ الطَّعَامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٥) سِنْجَارُ، يُنْظَرُ لَهَا «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٦٢).

(٦) القُرْتُبُ: بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ، قَرْيَةٌ فِي الضَّاحِيَةِ الجَنُوبِيَّةِ لِمَدِينَةِ زَبِيدٍ، لِذَلِكَ سُمِّيَ أَحَدُ أَبْوَابِ زَبِيدٍ بِاسْمِهَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٢٦١).

مِنْ زَبِيدٍ إِلَى حَجَّةَ

مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ القَحْمَةِ[١] ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الكَدْرَاءِ[٢] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ طَرَفِ العنمِيَّةِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ العَمَدِ[٣] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ عَلَىٰ لِسَانِ وَادِي لِعْسَانَ[٤]، وَإِلَىٰ أَسْحَرَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حَرَازِ[٥] المُسْتَحْرِزِ[٦] ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ.

* * *

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا، لِأَنَّ المُصَنِّفَ -كَمَا تَقَدَّمَ- قَدْ دَخَلَ زَبِيدًا وَمَا حَوْلَهَا وَدَوَّنَ ذَلِك وَالآنَ عَادَ إِلَيْهَا.

(٣) ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ الجَزِيرَةِ» (ص٢١٠) أَنَّهَا جِهَةُ المَوَاطِنِ الَّتِي بَيْنَ بَاجِلَ وَسِهَامَ وَبُرَعَ وَحَرَاز، لِأَنَّهُ عَرَّفَ بِذَلِك «لِعْسَانَ» ثُمَّ قَالَ: وَقَرْيَةُ العَمَدِ هُنَالِكَ.

(٤) ذَكَرَهُ الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٢١٠)، وَعُمَارَةُ فِي «المُفِيدِ» (ص٨٦)، وَلِعْسَانُ: بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ، وَهِيَ البَطَائِحُ وَالمَوَاطِنُ الوَاقِعَةُ بَيْنَ «بَاجِلَ» وَ«سِهَامَ» وَ«بُرَعَ» وَ«حَرَاز»، يُنْظَرُ تَعْلِيقُ الأَكْوَعِ عَلَىٰ «المُفِيدِ» (ص٨٦).

(٥) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٦) حَرَازُ المُسْتَحْرِزِ: أَي المَنِيعَةُ وَالحَصِينَةُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ عَلَيْهَا ذَلِك الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ»، وَحَرَازُ سَبْعَةُ جِبَالٍ: «مَنَاخَةُ» وَ«صَعْفَانُ» وَ«مَسَار» وَ«لِهَاب» وَ«مِجْيَح» وَ«شِبَام» وَ«هَوْزَنُ»، وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٤١).

بِنَاءُ حِصْنِ مَسَار[١]

وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بَنَىٰ الصُّلَيْحِيُّ فِي رَأْسِ مَسَارَ وَهُوَ أَعْلَىٰ ذِرْوَةٍ فِي جِبَالِ حَرَازٍ، وَكَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ قَدْ بَايَعَهُمْ بِمَكَّةَ فِي المَوْسِمِ سَنَةَ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَلَىٰ المَوْتِ وَالقِيَامِ بِالدَّعْوَةِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مَعَ قَوْمِهِ وَعَشَائِرِهِ فِي مَنَعَةٍ[٢] وَعَدَدٍ كَثِيرٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِرَأْسِ الجَبَلِ بِنَاءٌ بَلْ كَانَ قُلَّةً قَاسِيَةً مَنِيعَةً، فَلَمَّا مَلَكَهَا لَمْ يَنْتَصِفِ النَّهَارُ الَّذِي تَمَلَّكَهَا فِي لَيْلَتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ عِشْرُونَ أَلْفَ ضَارِبِ سَيْفٍ، فَحَاصَرُوهُ وَشَتَمُوهُ وَقَالُوا لَهُ: إِمَّا نَزَلْتَ وَإِمَّا قَاتَلْنَاكَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ بِالجُوعِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَّا خَوْفًا عَلَيْكُمْ أَنْ يُمْلَكَ هَذَا الجَبَلُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي أَحْرُسُهُ لَكُمْ وَإِلَّا نَزَلْتُ إِلَيْكُمْ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَلَمْ تَمْضِ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ حَتَّىٰ بَنَاهُ وَحَصَّنَهُ وَأَتْقَنَهُ.

وَبَقِيَ الصُّلَيْحِيُّ فِي مَسَارَ وَأَمْرُهُ يَسْتَعْلِي مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ يَخَافُ نَجَاحًا[٣]، صَاحِبَ تِهَامَةَ، وَيُلَاطِفُهُ وَيَسْتَكِينُ لِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَزَلِ

---

(١) مَسَار: جَبَلٌ شَامِخٌ مِنْ جِبَالِ مُدِيرِيَّةِ مناخَة حَرَاز. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/١٥٠٨)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٣٩).

(٢) أَيْ: قُوَّةٍ.

(٣) أَيْ: أَنَّ الصُّلَيْحِيَّ يَخَافُ مِنْ نَجَاحٍ.

الصُّلَيْحِيُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ نَجَاحٍ حَتَّىٰ قَتَلَهُ بِالسُّمِّ مَعَ جَارِيَةٍ جَمِيلَةٍ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ، وَكَانَتْ وَفَاةُ نَجَاحٍ بِالكَدْرَاءِ(١) فِي عَامِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَفِي عَامِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ كَتَبَ الصُّلَيْحِيُّ إِلَىٰ الإِمَامِ المُسْتَنْصِرِ بِاللهِ يُشَاوِرُهُ فِي إِظْهَارِ الدَّعْوَةِ فَعَادَ الجَوَابُ إِلَيْهِ بِالإِذْنِ، فَفِي ذَلِكَ طَوَىٰ البِلَادَ طَيًّا وَفَتَحَ الحُصُونَ وَالتَّهَائِمَ، وَلَمْ تَخْرُجْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مِنَ اليَمَنِ سَهْلٌ وَلَا وعرٌ وَلَا بَرٌّ وَلَا بَحْرٌ إِلَّا فَتَحَهُ، وَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ.

قَالَ: وَبَيَان مِنْ زَبِيدٍ حِصْن مَسَارَ يَمِينَ القِبْلَةِ وَيَسَارَ المَشْرِقِ، عَلَىٰ أَعْلَىٰ ذِرْوَةِ الجَبَلِ، شِبْهُ أَكَمَةٍ عَالِيَةٍ مُشْرِفَةٍ عَلَىٰ التَّهَائِمِ.

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مَلَكَهُ الشَّرِيفُ عِمَادُ الدِّينِ يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ، وَهُوَ الآنَ فِي قَبْضَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ.

وَإِلَىٰ الجَبَلَيْنِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ سُوقِ القِبَابِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، فِي أَوْسَطِ وَادِي سَارِعَ(٢).

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: إِنَّ أَهْلَهَا كَتَبُوا عَلَىٰ بَابِ مَسْجِدِهِمْ: مَنْ أَمْسَىٰ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا فَلَا يُرَاعِي مِنَّا عَشَاءً.

فَصْلٌ: حَدَّثَ يُوسُفُ بْنُ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَنْ غَسَّانَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ جُهَيْمٍ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) مِنْ وِدْيَانِ بَنِي سَعْدٍ فِي جَنُوبِي المحْوِيتِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٦٠).

ابْنِ خَلَفٍ قَالَ: أَتَيْنَا اليَمَامَةَ وَنَزَلْنَا عَلَىٰ مَرْوَانَ[(١)] بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فَأَطْعَمَنَا تَمْرًا وَأَرْسَلَ غُلَامَهُ بِفِلْسٍ وَسُكُرُّجَةٍ[(٢)] يَشْتَرِي لَهُ زَيْتًا، فَلَمَّا جَاءَهُ بِالزَّيْتِ قَالَ: خُنْتَنِي مِنْ فِلْسٍ وَاحِدٍ، قَالَ: كَيْفَ أَخُونُكَ؟ قَالَ: أَخَذْتَ الفِلْسَ لِنَفْسِكَ وَاسْتَوْهَبْتَ زَيْتًا، فَأَنْتَ أَبْخَلُ النَّاسِ، وَقَالَ فِيهِ:

وَلَيْسَ لِمَرْوَانٍ عَلَىٰ العَرْشِ غَيْرَةٌ ... وَلَكِنَّ مَرْوَانًا يَغَارُ عَلَىٰ الفِلْسِ

وَإِلَىٰ طَرَفِ نَظَارٍ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ رَبَضَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ لَاعَةَ[(٣)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المِخْلَافَةِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ حَجَّةَ[(٤)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ.

---

(١) تُنْظَرُ أَخْبَارُهُ فِي «طَبَقَاتِ الشُّعَراءِ» (ص٤٢) لِابْنِ المُعْتَزِّ، وَ«تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (٤/ ٩٧٠) بِرَقْمِ (٣٤١) لِلذَّهَبِيِّ.

(٢) السُّكُرُّجَةُ: الإِنَاءُ أَوِ القَصْعَةُ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِلَاعَةْ.

(٤) حَجَّةُ: بِفَتْحِ الحَاءِ وَتَشْدِيدِ الجِيمِ، مَدِينَةٌ قُرْبَ مُتَوَسِّطِ جِبَالِ السَّرَاةِ، تَبْعُدُ عَنْ صَنْعَاءَ شَمَالًا بِغَرْبٍ بِمَسَافَةِ (١٢٧) كِيلُو، تُنْسَبُ إِلَىٰ حَجَّةَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عِلِيَّانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عُرَيْبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ حَاشِدٍ، وَتَشْمَلُ مَدِينَةُ «حَجَّةَ» السُّوقَ العَامَّةَ، وَبِهَا قَصْرُ سِعْدَانَ، ثُمَّ الجِرَافُ بِسَفْحِ قَلْعَةِ القَاهِرَةِ، ثُمَّ الظَّهْرَيْنِ، وَهُوَ بِشَمَالِ القَاهِرَةِ، وَقَلْعَةُ نَعْمَانَ... وَالمَدِينَةُ قَدِيمَةٌ ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ، وَقَدِ اكْتَسَبَتْ شُهْرَةً فِي عَصْرِنَا، وَأَمَّا عَنْ جَمَالِ جِبَالِهَا وَأَوْدِيَتِهَا فَكَمَا يَقُولُ الأَكْوَعُ: وَكَثِيرًا مَا يُغَطِّي جِبَالَهَا الضَّبَابُ الَّذِي يُسَمَّىٰ عِنْدَهُمْ «العُمَيَّانِيّ» فَتَظَلُّ «حَجَّةُ» مُعَصَّبَةً بِالغَمَامِ المَصْحُوبِ بِالصَّقِيعِ وَالرَّذَاذِ، لَا سِيَّمَا فِي شَهْرِ تِشْرِينَ الثَّانِي، وَكَانُون حَتَّىٰ شَهْرِ آذَارَ، وَأَصِيلُ جِبَالِ حَجَّةَ يَخْلِبُ الأَلْبَابَ، تَفَنَّنَ فِيهِ الشُّعَرَاءُ وَالأُدَبَاءُ، وَيَكْتَنِفُ جِبَالَ «حَجَّةَ» عَدَدٌ مِنَ الأَوْدِيَةِ الجَمِيلَةِ العَامِرَةِ بِالقُرَىٰ وَمَزَارِعِ البُنِّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٢٣-٤٢٤) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّ فِي الجِبَالِ جِبَالًا لَا يَزَالُ البَرْقُ يَضْرِبُ أَطْرَافَهَا إِلَىٰ أَنْ رَجعَ ضِرْسًا قَائِمًا بُنِيَ عَلَىٰ حِصْن مَانِعٍ مِثْلَ الدُّمْلُوَةِ وَحَبٍّ وَالتَّعْكَرِ وَنكُورٍ، وَمَا يَضْرِبُ البَرْقُ عَلَىٰ حِصْن عَامِرٍ إِلَّا هَدَمَهُ وَأَخْرَبَ حِصْنَهُ وَدَحَضَهُ إِلَىٰ أَنْ خَلَّاهُ مَعَ الأَرْضِ مُسْتَوِيًا، فَإِذَا جَازَ عَلَىٰ جَبَلٍ مِنْ هَذِهِ الجِبَالِ قَوْمٌ مِنْ أَعْرَابِ الأَعْمَالِ يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: هَذَا حِصْنُ نَصْرِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهَذَا مَنْزِلُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، خَرِبَ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَنَة، وَلَمْ يَكْسِرْ جِبَالَ اليَمَنِ وَيَدْحَضْهَا إِلَّا دَوَامُ البَرْقِ، وَهَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ يَكُونُ.

* * *

مِنْ زَبِيدٍ إِلَى غُلَافِقَةَ

مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ القُرَشِيَّةِ فَرْسَخٌ، وَمِنْهَا ظَهَرَ أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ، وَأَحَدُ الحَكَمَيْنِ الَّذِينَ حَكَّمَهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَإِلَىٰ خَبْتِ نَفْحَانَ فَرْسَخَانِ، مِنْ حُدُودِ المَحَالِبِ[١]، وَلَيْسَ فِي تِلْكَ الأَرَاضِي أَكْثَرُ تَوَهُّجًا مِنْهُ، وَإِلَىٰ غُلَافِقَةَ فَرْسَخَانِ.

* * *

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

بِنَاءُ غُلَافِقَة[١]

كَانَ مَا بَيْنَ غُلَافِقَةَ وَالمُكَيْنَةِ بَلَدٌ تُسَمَّىٰ الزُّبْرَ، وَمَا اشْتُقَّ اسْمُ الزُّبْرِ إِلَّا مِنَ الزَّبُورِ، أَيْ زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: مِنْ زُبْرَةِ الحَدِيدِ، طَمَّهَا السَّافِي[٢] فَرَجَعَتْ تُلُولَ رَمْلٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَوَجَدْتُ فِي المَكَانِ قَبْرًا عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ وَقَدْ جُعِلَ الرَّمْلُ حَجَرًا وَقَدْ غَاصَ عِظَامُ المَيِّتِ فِي الحَجَرِ الأَصَمِّ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا أَعْلَمُ.

فَصْلٌ: إِذَا دَارَ عَلَىٰ التُّرَابِ أَلْفُ عَامٍ رَجَعَ التُّرَابُ رَمْلًا، فَإِذَا دَارَ عَلَىٰ الرَّمْلِ أَلْفُ عَامٍ رَجَعَ الرَّمْلُ حَجَرًا، وَإِذَا دَارَ عَلَىٰ الحَجَرِ أَلْفُ عَامٍ رَجَعَ الحَجَرُ تُرَابًا، فَعَلَىٰ هَذَا الوَجْهِ لَا شَكَّ أَنَّ لِلقَبْرِ ثَلَاثَةَ آلَافِ عَامٍ، لِأَنَّهُ تَقَلَّبَ ثَلَاثَ قَلَبَاتٍ: قَلْبٌ بِالتُّرَابِ وَقَلْبٌ بِالرَّمْلِ وَقَلْبٌ بِالحَجَرِ، فَلَمَّا خَرِبَتِ الزُّبْرُ بَنَتِ امْرَأَةٌ تُسَمَّىٰ بِنْتَ إِسْرَائِيلَ -وَلَا شَكَّ أَنَّهَا بَنَتُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- غُلَافِقَةَ فَخَرِبَتْ لِمُرُورِ الزَّمَانِ عَلَيْهَا وَدَوْرِ الأَفْلَاكِ عَلَيْهَا، فَبَقِيَتْ رُسُومًا وَأَطْلَالًا إِلَىٰ أَنْ جَدَّدَ العِمَارَةَ أَخَوَانِ مِنَ الفُرْسِ، وَالأَصَحُّ مِنْ سِيرَافَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَوْلَادُ ابْنِ

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) السَّافِي: الرِّيحُ تَسْفِي التُّرَابَ، وَيُقَالُ لِلتُّرَابِ الَّذِي تَسْفِيهِ الرِّيحُ: سَافٍ أَيْضًا. «النِّهَايَةُ» (١/ ٧٨٥) مَادَّةُ «سفا».

القُشَيْرِيِّ، وَيُقَالُ: إِنَّ القَوْمَ مِنَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ جُدَّةَ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ جَرَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الأَمِيرِ القُشَيْرِيِّ شُكْرِ[1] بْنِ أَبِي الفُتُوحِ سَنَةَ خَمْسَةٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِأَعْمَالِ جُدَّةَ عَلَىٰ التَّمَامِ وَالكَمَالِ، فَلَمَّا تَوَطَّنَ القَوْمُ بِهَا بَنَوْا مَنَارَةً حَسَنَةً، فَلَمَّا طَالَ الدَّهْرُ تَشَعَّثَ وَنُقِلَ أَسَاطِينُهُ السَّاجُ إِلَىٰ «مَسْجِدِ الأَشَاعِرِ»[2] بِزَبِيدٍ بُنِيَ بِهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ هَذَا الجَامِعَ بِنَاءُ القَائِدِ حُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ، وَبَنَوُا الدُّورَ المِلَاحَ وَالمَسَاجِدَ السَّاحَ مِنْ حَجَرِ الكَاشُورِ، وَهُوَ حَجَرٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْ قَعْرِ البَحْرِ.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعِيشَ قَالَ: لَمَّا صَامَ أَهْلُ غُلَافِقَةَ شَهْرَ رَمَضَانَ قَالَ زَيْدٌ الكَبِيرُ، مِنْ أَوْلَاد القُشَيْرِيِّ: شَاهِد اللهُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ بَاعَ أَوْ يَبِيعُ عَلَىٰ أَخِي عَمْرٍو حَطَبًا، وَأَنْفَذَ إِلَىٰ أَشْيَاعِ أَخِيهِ عَمْرٍو وَإِلَىٰ أَتْبَاعِهِ وَقَالَ لَهُمْ: وَاللهِ مَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِحَطَبٍ إِلَىٰ بَيْتِ عَمْرٍو إِلَّا أَفْعَلُ بِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ، وَحَرَّمَ أَنْ يَدْخُلَ بِالحَطَبِ إِلَىٰ بَيْتِ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ العِيدِ أَمَرَ عَمْرٌو أَهْلَهُ أَنْ يَطْبُخُوا وَيَشْوُوا، قَالُوا: بِمَاذَا نَطْبُخُ وَأَخُوكَ زَيْدٌ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْنَا دُخُولَ الحَطَبِ؟ فَأَخْرَجَ خُيُوشًا بَلَّلَهَا بِالسَّمْنِ وَأَشْعَلَهَا تَحْتَ القُدُورِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ العِيدِ وَصَلَّتِ النَّاسُ صَلَاةَ العِيدِ قَامَ عَمْرٌو وَسَبَقَ أَخَاهُ زَيْدًا وَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ يَا أَصْحَابِي إِلَىٰ دَارِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَدَخَلَتِ النَّاسُ دَارَهُ إِلَىٰ أَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَأَشْوِيَةٍ خِلَافَ العَادَةِ، فَقَامَ زَيْدٌ

---

(١) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٤/ ٢٦٣).

(٢) وَمَسْجِدُ الأَشَاعِرِ هُوَ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِـ«الجَامِعِ الكَبِيرِ»، وَ«جَامِعِ زَبِيدٍ»، وَيُنْظَرُ كِتَابُ «جَامِعَةِ الأَشَاعِرَةِ» لِلْمُؤَرِّخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الحَضْرَمِيِّ الزَّبِيدِيِّ.

وَقَالَ لِعَمْرٍو: يَا أَخِي مِنْ أَيْنَ لَكَ الحَطَبُ؟ قَالَ عَمْرٌو: لَمَّا مَنَعْتَ الحَطَبَ مِنْ قِلَّةِ خَيْرِكَ أَوْقَدْتُ الخُيُوشَ المَنْقُوعَةَ بِالسَّمْنِ الكَثِيرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعِبَ أَخُوهُ زَيْدٌ مِنْ عُلُوِّ هِمَّتِهِ وَأَكَلَ جَمِيعُ مَنْ فِي غُلَافِقَةَ مِنْ دَارِهِ وَلَمْ تُقْبَلْ إِلَّا عَلَىٰ طَعَامِ عَمْرٍو، فَتَعَجَّبَ زَيْدٌ مِنْ فِعْلِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَدَمُكَ فِي المَوضِعِ المَاحِلِ[1]، أَوْرَقَ العُودُ فِي كَفِّكَ وَهُوَ فَاضِلْ، وَالبُخْلُ إِذَا مَا سَمِعَكَ انْتَزَحَ رَاحِلْ، وَأَنْتَ كَالبَحْرِ، وَكَفُّكَ لِلعَطَا سَاحِلْ.

وَأَنْشَدَنِي زُكْرِي بْنُ سكيلَا بْنِ عَبْدِ اللهِ البُحْتُرِيُّ يَمْدَحُ جَيَّاشَ بْنَ نَجَاحٍ:

المُشْتَرِي حُلَلَ الثَّنَاءِ بِمَا حَوَتْ ... كَفَّاهُ وَالحَامِي لَهَا أَنْ تُشْتَرَىٰ

وَالمُوقِدُ النَّارَيْنِ: نَارًا لِلْوَغَىٰ ... لَا تَنْطَفِي أَبَدًا، وَنَارًا لِلقِرَىٰ

فَصْلٌ: سُئِلَ إِبْلِيسُ: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَابِدٌ بَخِيلٌ، قِيلَ: فَمَنْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَاسِقٌ سَخِيٌّ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ لَا يَقْبَلَ اللهُ عِبَادَةَ البَخِيلِ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لَهُ شَيْءٌ مِنْ خَيرٍ مَعَ البُخْلِ، وَلَا آمَنُ مِنْ أَنْ يَطَّلِعَ اللهُ عَلَىٰ العَبْدِ الفَاسِقِ فَيَرَىٰ بَعْضَ سَخَائِهِ فَيُنْجِيَهُ وَيَرْحَمَهُ بِهِ.

فَصْلٌ: وَكَانَ لِأَبِي دُلَفَ القَاسِمِ[2] بْنِ عِيسَىٰ العِجْلِيِّ جَارٌ وَكَانَ للهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ فَسَلَبَهَا، فَآلَ أَمْرُهُ إِلَىٰ بَيْعِ دَارِهِ فَسَاوَمُوهُ فِيهَا، فَقَالَ: بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ!

---

(١) أَيْ: المُجْدِبِ.

(٢) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنَ «المُنْتَظَمِ فِي تَارِيخِ المُلُوكِ وَالأُمَمِ» (١١/ ١٠٢)، وَ«سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٥٦٣) بِرَقْمِ (١٩٤).

فَقِيلَ: يَا هَذَا، إِنَّمَا تُسَاوِي دَارُكَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَجِوَارِي مِنْ أَبِي دُلَفَ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ! فَبَلَغَ أَبَا دُلَفَ ذَلِكَ فَأَحْضَرَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: تَعْذُرُنَا فِي ذَلِكَ وَلَا تَتَحَوَّلُ عَنْ جِوَارِنَا، فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عَلِيُّ[١] بْنُ جَبَلَةَ الضَّرِيرُ فِي هَذَا المَعْنَىٰ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ ... بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُحْتَضِرِهْ

فَإِذَا وَلَّىٰ أَبُو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَثَرِهْ[٢]

وَسَكَنَا المَكَانَ جَمِيعًا إِلَىٰ أَنِ انْقَرَضُوا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، قَالَ:

أُفٍّ لِلدُّنْيَا الدَّنِيَّهْ ... خَبُثَتْ فِعْلًا وَنِيَّهْ

وَالعَيْشُ كُلُّهُ هَمٌّ ... وَعُقْبَاهُ مَنِيَّهْ[٣]

* * *

(١) لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٣/ ٢٨٠) بِرَقْمِ (٦١٦٧).

(٢) ذُكِرَ هَذَانِ البَيْتَانِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ كُتُبِ الأَدَبِ، مِنْهَا «العِقْدُ الفَرِيدُ» (٢/ ٣٩) لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الأَنْدَلُسِيِّ، وَ«الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٦/ ٢٤٥) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ، وَ«نِهَايَةُ الأَرَبِ فِي فُنُونِ الأَدَبِ» (٤/ ٢٣٣) لِشِهَابِ الدِّينِ النُّوَيْرِيِّ.

(٣) ذُكِرَ هَذَانِ البَيْتَانِ فِي «الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيْتِ القَصِيدِ» (٤/ ١٦) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ، وَكَذَلِكَ ذُكِرَا فِي «التَّمْثِيلِ وَالمُحَاضَرَةِ» (ص٢٥١) لِأَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ، بَيْدَ أَنَّ البَيْتَ الثَّانِي عِنْدَهُ هُوَ:

عَيْشُهَا هَمٌّ وَغَمٌّ ... ثُمَّ عُقْبَاهَا المَنِيَّهْ

ذِكْرُ بِئْرِ الرُّبَاحِيَّةِ

حَدَّثَنِي رَيْحَانُ مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَأَ فِي حَفْرِ البِئْرِ رُبَاحٌ، أَيْ قِرْدٌ، وَحَفَرَ بِيَدِهِ الأَرْضَ إِلَىٰ أَنْ نَبَعَ مَاءٌ عَذْبٌ حَوْلَ عَقْلِ السّيَابِ يَصِحُّ عُمْقُهَا نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ لَا غَيْرُ، فَلَمَّا رَأَتِ الفُرْسُ صُورَتَهُ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، وَهُوَ عَنِ البَلَدِ نَحْوَ شَوْطٍ خَفِيفٍ[1] بَيْنَ نَخْلٍ بَاسِقَاتٍ شَامِخَاتٍ فَبَقِيَ مُسْتَقَىٰ أَهْلِ غُلَافِقَةَ، وَمَنْ يَصِلُ مِنَ المَرَاكِبِ الصَّادِرَةِ وَالوَارِدَةِ عَلَىٰ مَائِهَا فَلَمْ يَقِلَّ مِنْهُ شَيْءٌ، فَعُرِفَتِ البِئْرُ بِالرُّبَاحِيَّةِ، يَعْنِي القِرْدَ الَّذِي ابْتَدَأَ فِي حَفْرِهِ، وَيُقَالُ: بَلْ كَانَ الرُّبَاحُ اسْمَ الرَّجُلِ وَلَمْ يَكُنْ قِرْدًا[2].

وَهَذِهِ البَلْدَةُ فُرْضَةُ الكَارِمِ إِذَا وَصَلُوا مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَيُجْلَبُ مِنْهَا الحَشِيشُ الأَخْضَرُ لِلْخُضَرِ وَالزَّنَابِيلِ وَالسَّمَكِ العَرَبِيِّ وَغَيْرِهِ وَضَيْرَاك[3] وَرَعِيدَ وَالمَرَاوِحِ وَالفَارِ وَالقِرْشِ وَالبَيَاضِ وَالعَرَبِيِّ وَالمِخْنَفِ وَالفِرَا وَالسَّفْيَةِ وَالطَّوِيلَةِ، وَيَكُونُ لَهَا

---

(١) أَيْ: مَسَافَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَجَمْعُ الشَّوْطِ أَشْوَاطٌ، كَقَوْلِهِمْ: طَافَ بِالكَعْبَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، وَمِنَ الحَجَرِ إِلَىٰ الحَجَرِ شَوْطٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

(٢) وَمَا زَالَ هَذَا الِاسْمُ يُطْلَقُ عَلَىٰ القُرُودِ فِي بَعضِ الأَمَاكِنِ اليَمَنِيَّةِ يَقُولُونَ لِلْجَمْعِ: «رُبَاح»، وَلِلْمُفْرَدِ: «رَبْح» أَوْ «رَبْحِي».

(٣) وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: «الدَّيْرَك».

فَرْجٌ عَلَىٰ هَيْئَةِ فُرُوجِ النِّسَاءِ، وَلَمْ تُشْتَرَ مِنَ الصَّيَادِ حَتَّىٰ يَحْلِفَ أَنَّهُ لَمْ يطَأْهَا، وَيُبَاعُ لَحْمُهَا بِالمِيزَانِ لِأَجْلِ الدَّوَاءِ، وَالسَّفْيَةُ ذَاتُ صَدَفٍ، وَالصَّبَايَا وَالمَرَحُ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الأَسْمَاكِ تُرْفَعُ إِلَىٰ زَبِيدٍ وَيُسَمُّونَهُ المَلْتَحَ، وَضَمَانُ سُوقِ السَّمَكِ بِزَبِيدٍ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ دِينَارًا مَلَكِيَّةً، وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

جَزِيرَةُ فَرَسَانَ[1]

مَا بَيْنَ دَهْلَكَ وَحَلْيِ بْنِ يَعْقُوبَ[2]، وَبِهَا مَدِينَتَانِ عَامِرَتَانِ، إِحْدَاهُمَا سُورٌ، وَالثَّانِيَةُ جُدَّةُ، بِنَاءُ الفُرْسِ وَالأَصَحُّ بِنَاءُ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ، أَهْلُهَا صُلَّاحٌ أَتْقِيَاءُ، وَيَجْرِي بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ نَهْرٌ كَبِيرٌ عَرِيضٌ صَافٍ عَذْبٌ خَفِيفٌ صَحِيحٌ، أَوَّلُهُ عَيْنٌ، وَيُقَالُ: مَاءُ تُرَابٍ، وَقَدْ نَبَتَ عَلَىٰ شَاطِئِ النَّهْرِ شَجَرٌ وَخُضَرٌ وَحَشَائِشُ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَيُزْرَعُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ الحُبُوبِ وَالخُضْرَوَاتِ، وَعِنْدَهُمْ مِنْ سَائِرِ الدَّوَابِّ الأَهْلِيَّةِ مِثْلِ البَقَرِ وَالمَعْزِ وَالضَّأْنِ وَالإِبِلِ وَالدَّوَابِّ، وَيُوجَدُ عِنْدَهُمْ مِنْ سَائِرِ الأَسْمَاكِ وَدَوَابِّ البَحْرِ.

وَقَدْ خَصَّ اللهُ ﷻ أَهْلَ هَذِهِ الجَزِيرَةِ: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِقْدَارَ قَامَةٍ يُدَوِّي الجَوُّ، وَحِينَئِذٍ يَخْرُجُ كُلُّ مَنْ فِي القَرْيَةِ إِلَىٰ ظَاهِرِ القَرْيَةِ يَصْطَفُّونَ عَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ، وَيَنْزِلُ عَلَىٰ القَوْمِ بَعْدَ سَاعَةٍ طَيْرٌ شِبْهُ الخُرَّقِ، وَيُقَالُ: شِبْهُ السُّمَّانِ، مِائَةُ أَلْفِ طَيْرٍ، فَإِذَا حَصَلَ فِي شَاطِئِ البَحْرِ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدُهُمْ عَلَىٰ الطَّيَرَانِ فَيَأْكُلُ كُلٌّ كِفَايَتَهُ وَعَلَىٰ قَدْرِ حَالِهِ تَذْبِيحًا وَتَطْبِيخًا، وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِ[3] سِوَىٰ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ شَيْءٌ آخَرُ، وَيَكُونُ

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٢٥٠)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٠١).

(٢) وَتَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِمَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٤ و١٨).

(٣) أَيْ: فِي هَذَا المَكَانِ.

عَيْشُ القَوْمِ طُولَ الدَّهْرِ مِنْهُ، وَلَمْ يَمَلَّ أَحَدٌ مِنْ أَكْلِهِ مَعَ مُدَاوَمَتِهِ لِأَنَّهُ لَحْمٌ خَفِيفٌ طَيِّبٌ مَرِيءٌ، قُلْتُ: وَمَا يُسَمَّىٰ؟ قَالَ(١): السَّلْوَىٰ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾(٢) فَقُلْتُ لِلرَّاوِي: كَمْ يَكُونُ دَورُ الجَزِيرَةِ؟ قَالَ: مَسِيرَةَ يَوْمٍ كَامِلٍ لِرَجُلٍ طَرَّادٍ، حَدَّثَنِي بَدْرٌ مَوْلَىٰ بِشْرٍ الصُّوفِيِّ بِذَلِكَ.

* * *

(١) أَيِ: الرَّاوِي الَّذِي يَرْوِي ذَلِكَ لِلْمُصَنِّفِ.

(٢) [الأَعْرَاف، آيَة: ١٦٠].

ذِكْرُ جَزِيرَةِ الغَنَمِ

وَذَلِكَ فِي بَرِّ السُّودَانِ، مَا بَيْنَ عَيْذَابَ[١] إِلَىٰ بَحْرِهِ جَزِيرَةٌ تُسَمَّىٰ جَزِيرَةَ الغَنَمِ، مِائَةُ أَلْفِ رَأْسِ غَنَمٍ بِهَا وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَجَمِيعُهَا وَحْشِيَّةٌ، وَكَانَ المُوجِبُ[٢] لِذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ رَيْحَانُ مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ المُجَاوِرِ قَالَ: إِنَّهُ قَدِمَ مَرْكَبٌ مِنْ بَعْضِ مُدُنِ السُّودَانِ، شُحْنَتُهُ غَنَمٌ وَكِبَاشٌ أَرْسَوْا بِهَذِهِ الجَزِيرَةِ فَزَخَرَ الرِّيحُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا طَالَ الشَّوْطُ فِي المُقَامِ عَلَيْهِمْ أَخْرَجُوا الغَنَمَ فِي الجَزِيرَةِ لِتَرْعَىٰ، مَعَ طُولِ المُقَامِ فَطَابَ لِلْقَوْمِ الرِّيحُ عَلَىٰ غَفْلَةٍ فَرَكَّبُوا الكِبَاشَ المَرَاكِبَ، وَنَسُوا تِسْعَ ثَمَانِ[٣] رُءُوسٍ مِنْهَا فِي الجَزِيرَةِ، فَلَمْ يُمْكِنِ القَوْمُ أَنْ يُدَوِّرُوا عَلَيْهِمْ

---

(١) عَيْذَابُ: مِينَاءُ يَقَعُ فِي أَقْصَىٰ السَّاحِلِ الجَنُوبِيِّ لِمِصْرَ المُطِلِّ عَلَىٰ البَحْرِ الأَحْمَرِ، عَلَىٰ مَقْرُبَةٍ مِنَ الحُدُودِ المِصْرِيَّةِ السُّودَانِيَّةِ حَالِيًا، وَيُعَدُّ مِنْ مَوَانِئِ الحَجِّ فِي القَارَّةِ الإِفْرِيقِيَّةِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ بِبَعْضِ المَوَانِئِ التَّارِيخِيَّةِ المُهِمَّةِ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، مِثْلِ مِينَاءِ يَنْبُعَ وَالجَارِ وَجُدَّةَ، وَالمُقَابِلَات لَهُ عَلَىٰ سَوَاحِلِ بِلَادِ الحِجَازِ الغَرْبِيَّةِ المُطِلَّةِ عَلَىٰ البَحْرِ الأَحْمَرِ، أَوْ مِينَاءِ عَدَنَ فِي خَلِيجِ عَدَنَ. وَيُنْظَرُ بَحْثٌ بِعُنْوَانِ: «أَثَرُ المَوَانِئِ الإِفْرِيقِيَّةِ فِي تَسْهِيلِ الحَجِّ خِلَالَ القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ/ الثَّالِثَ عَشَرَ المِيلَادِيِّ عَيْذَابُ وَزَيْلَعُ أُنْمُوذَجًا» لِلدُّكْتُورِ طَهَ حُسَيْن هُدَيْل، وَكَذَا يُنْظَرُ تَعْلِيقُهُ عَلَىٰ «تَارِيخ وَطِيُوطَ» (ص١٦٢)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٧).

(٢) أَيْ: السَّبَبُ فِي تَسْمِيَتِهَا بِذَلِكَ.

(٣) أَيْ: تِسْع أَوْ ثَمَان.

لِضِيقِ أَخْلَاقِ الرُّبَّانِ، فَشَالَ(١) القَوْمُ شُرَّاعَهُمْ وَسَارُوا بِالسَّلَامَةِ، وَبَقِيَتِ الغُنَيْمَاتُ فِي الجَزِيرَةِ فَتَنَاكَحُوا وَتَنَاسَلُوا مَعَ طُولِ الأَيَّامِ فَكَثُرُوا وَاسْتَقْطَعُوا الجَزِيرَةَ فَعُرِفَتِ الجَزِيرَةُ بِهِمْ، وَصَارُوا الآنَ إِذَا أَرْسَىٰ بِهِمْ مَرْكَبٌ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصْطَادُوا مِنْ تِلْكَ الأَغْنَامِ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ عَظِيمٍ مَعَ القَوْسِ وَالنُّشَابِ، وَقَدْ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّهُمْ قَدْ صَارُوا وَحْشِيِّينَ يَسْبِقُونَ الغَزَالَ، وَهُمْ مِلْءُ تِلْكَ الجَزِيرَةِ إِلَىٰ الآنَ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

* * *

(١) أَيْ: فَأَخَذَ.

ذِكْرُ جَزِيرَةِ النَّامُوسِ

وَكَذَلِكَ جَزِيرَةُ النَّامُوسِ، حَدَّثَنِي رَيْحَانُ، مَوْلَىٰ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: إِنَّمَا بَيْنَ جَزِيرَةِ دَهْلَكَ[1] وَعَقِيقَ جَزِيرَةٌ مِلْؤُهَا نَامُوسٌ، لَمْ يَسْلُكْهَا وَلَمْ يَسْكُنْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ كَثْرَةِ النَّامُوسِ الَّذِي بِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

مِنْ زَبِيدٍ إِلَى الأَهْوَابِ(١)

مِنْ زَبِيدٍ إِلَىٰ المُسَلَّبِ(٢) فَرْسَخٌ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ المُسَلَّبُ المُسَلَّبَ لِأَنَّ نِسَاءَهَا يَسْلُبُونَ العُقُولَ مِنْ حُسْنِهِمْ وَجَمَالِهِمْ وَظَرَافَتِهِمْ، كَمَا قَالَ:

سَقَىٰ اللهُ رَبَّاتِ الحُصَيْبِ وَرَبْعَهَا فَمَا الحُسْنُ إِلَّا مَا حَوَتْهُ رُبُوعُهَا

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَاللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَا رَأَيْتُ فِي جَمِيعِ اليَمَنِ، سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا، وَجْهًا حَسَنًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ النَّظَرُ، وَلَا فِيهِمْ ظَرَافَةٌ وَلَا لَطَافَةٌ وَلَا مَلَاحَةٌ وَلَا حَلَاوَةٌ إِلَّا اسْمٌ بِلَا جِسْمٍ، مَا تَرَىٰ إِلَّا عَجَائِزَ سُوءٍ خَبِيثَاتِ الأَبْدَانِ قَلِيلَاتِ الأَدَبِ ذَوَاتِ آرَابٍ وَسِخِينَ اللِّسَانِ قَذِرِينَ الأَكْلِ(٣).

---

(١) سَيَأْتِي كَلَامُهُ عَنِ «الأَهْوَابِ» وَعَنْ بَانِيهَا.

(٢) المُسَلَّبُ: بِضَمِّ المِيمِ وَفَتْحِ السِّينِ ثُمَّ لَامٍ مُشَدَّدَةٍ، قَرْيَةٌ مِنْ ضَوَاحِي مَدِينَةِ التُّحَيْتَا فِي غَرْبِيِّ زَبِيد. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٥١٩).

(٣) عَجَبًا لِلْمُصَنِّفِ فَإِنَّهُ تَحتَ عُنْوَانِ «مِنْ زَبِيد إِلَىٰ عَدَنَ» (ص١٩٦) ذَكَرَ مَكَانًا يُقَالُ لَهُ: «الحَلِيلَةُ» فَقَالَ: وَفِيهَا الصَّبَايَا المِلَاحُ وَالنِّسَاءُ الصِّبَاحُ وَفِيهِنَّ ذَاتُ فِسْقٍ وَفِيهِنَّ ذَاتُ صَلَاحٍ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَمْحسْن فِي واحِجَة وفِي نَوَاحِي أَمْجُدُون
وَفِي الحَلِيْلَةِ أَكْثَره لكِنَّهم يَعْجَلُون

فَمَا بَالُهُ يَتَنَاقَضُ وَيَحْلِفُ، وَعَدَمُ رُؤْيَتِهِ لِذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ العَدَمِ، وَلَيْسَ هَذَا مُرَادِي، إِنَّمَا مُرَادِي هُوَ تَنَاقُضُهُ، فَتَقَدَّمَ أَنَّهُ أَثْبَتَ ذَلِكَ، وَهُنَا نَفَاهُ وَأَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَلْ رَمَاهُنَّ بِقِلَّةِ الأَدَبِ، وَهُنَاكَ قَالَ: =

فَلَمَّا أَوْقَفَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ فِي أَعْمَالِ مِصْرَ مَا أَوْقَفَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي أَعْمَالِ جُدَّةَ، أَوْقَفَ تُورَان شَاهْ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ، وَالأَصَحُّ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ المُعِزُّ، وَادِيَ الجَرِيبِ، وَالحَرْبَ وَالمُسَلَّبَ[1]، وَبَقَىٰ يُرْفَعُ دَخْلُهَا إِلَىٰ مَكَّةَ إِلَىٰ أَنْ جَبَلَ[2] وَقْفَهَا المَلِكُ المَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَبَقَىٰ يُرْفَعُ دَخْلُ هَذِهِ القُرَىٰ إِلَىٰ الدِّيوَانِ.

وَأَيْضًا كَانَ أَوْقَفَ طُغْتِكِينُ بْنُ أَيُّوبَ عَلَىٰ المَدِينَةِ أُمَّ الدَّجَاجِ مَعَ جُمَلٍ مِنَ الأَرَاضِي كُلّهَا القَاضِي عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ وُهَيْبٍ، لَمَّا تَغَلَّبَ الأَمِيرُ قَاسِمُ[3] بْنُ المُهَنَّا بْنِ جَمَّازٍ، صَاحِبُ المَدِينَةِ عَلَىٰ مَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبَقَىٰ يُرْفَعُ دَخْلُهَا إِلَىٰ الدِّيوَانِ، وَرَدَّ المَلِكُ المَسْعُودُ يُوسُفُ لِأُمِّ الدَّجَاجِ عَلَىٰ الأَمِيرِ شِيحَةَ[4] سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَصَارَ يَصِلُ دَخْلُهَا إِلَىٰ المَدِينَةِ كَمَا كَانَتْ.

وَإِلَىٰ الأَهْوَابِ فَرْسَخَانِ بَيْنَ نَخْلٍ شَامِخَاتٍ.

=

إِنَّ فِيهِنَّ ذَوَاتَ صَلَاحٍ، فَأَيْنَ ذَهَبَ الصَّالِحَاتُ هُنَا؟! وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ فَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْلِيقُ هُنَاكَ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المُؤَلِّفَ -عَفَا اللهُ عَنْهُ- حَادُّ المِزَاجِ، فَلَعَلَّهُ هُنَا حَصَلَ لَهُ مَوْقِفٌ فَلَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ وَهُنَاكَ كَانَ مُعْتَدِلَ المِزَاجِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي الصُّدُورِ.

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ قَرِيبًا.

(٢) أَيْ: وَثَّقَ. وَوَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «خَبَلَ».

(٣) تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَىٰ تَرْجَمَتِهِ.

(٤) هُوَ شِيحَةُ بْنُ هَاشِمِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ المُهَنَّا الحُسَيْنِيُّ، لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ» (٤/ ٢٦٧) بِرَقْمِ (١٣٨٦) لِلْفَاسِيِّ.

بِنَاءُ الأَهْوَابِ[(١)]

بَنَىٰ الأَهْوَابَ أَبُو القَاسِمِ الرَّامَشْتُ[(٢)] بْنُ شِيرَوَيْهِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ الفَارِسِيُّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، مَدِينَةً حَسَنَةً، لَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الهِنْدِ يُرِيدُ الحَجَّ، ذَاتَ أَسْوَاقٍ وَجَامِعٍ وَدَكَاكِينَ، وَنَقَلَ الأَخْشَابَ السَّاجَ إِلَيْهَا مِنَ الهِنْدِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الحَبَشَةِ وَتَوَلَّىٰ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ خَرَّبَ جَامِعَ الأَهْوَابِ وَنَقَلَ أَخْشَابَهُ إِلَىٰ المَشْهَدِ الَّذِي بَنَاهُ فِي زَبِيدٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهِيَ[(٣)] فُرْضَةُ المَرَاكِبِ الوَاصِلَةِ مِنْ عَدَنَ.

وَمَا اشْتُقَّ بَطْنُ الأَهْوَابِ إِلَّا مِنَ الأَهْوَالِ، لِأَنَّهُ عَلَىٰ آخِرِ بَطْنِ السِّحَارِيِّ[(٤)]، مَوْضِعُ هَوْلٍ لِكَوْنِهِ كَشْفًا.

---

(١) الأَهْوَابُ: مِينَاءٌ صَغِيرٌ غَرْبِيَّ «زَبِيد» يَمْتَازُ بِنَظَافَةِ سَاحِلِهِ وَحُلْوِ مَائِهِ وَتُحِيطُ بِهِ أَشْجَارُ النَّخِيلِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١١٥).

(٢) لقبُهُ رَامَشْتُ وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ، وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي «العِقْدُ الثَّمِينُ» (٤/ ٨٧) بِرَقْمِ (١١٨١).

(٣) أَيْ: الأَهْوَابُ.

(٤) السِّحَارِيُّ: بَلْدَةٌ وَمَزَارِعُ نَخِيلٍ عَلَىٰ شَاطِئِ البَحْرِ الأَحْمَرِ فِي غَرْبِ مَدِينَةِ حَيْس بِمَسَافَةٍ نَحْوِ (٣٠) كِيلُو، وَهُوَ مَكَانٌ يَمْتَازُ بِجَمَالِ مَوْقِعِهِ وَحُسْنِ تُرْبَتِهِ وَعُذُوبَةِ مِيَاهِهِ، وَبِجِوَارِهِ مُتَنَزَّهٌ يُقَالُ لَهُ: «الغَنْجَا» يَضُمُّ إِلَىٰ جَانِبِ النَّخِيلِ أَنْوَاعًا مِنَ الأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ وَالنَّبَاتَاتِ المُزْهِرَةِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٧٢).

وَقَالَ بَعْضُ الزَّيَالِعِ الَّذِينَ أَتَوُا الأَمَانَاتِ لِجِبْرِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ فَارِسٍ: حُطَّ عَنِّي عُشُورَ عَشْرِ سِنِينَ حَتَّىٰ أَعْمُرَ لَكَ مَرْسَىٰ الأَهْوَابِ! فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَفْعَلُ فِيهِ؟ قَالَ: أَشْحَنُ مَرَاكِبَ حَجَرًا وَتُرَابًا أَرْمِيهِ مُعَارِضَ المَرْسَىٰ بِالطُّولِ لِيَرُدَّ قُوَّةَ المَوْجِ وَالمَاءِ وَالرِّيحِ، فَلَمَّا هَانَ عَلَىٰ جِبْرِيلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّ أَرْبَعَ مُدُنٍ فِي بَرِّ السُّودَانِ مُقَابِلُ أَرْبَعِ مُدُنٍ فِي بَرِّ العَرَبِ: عَيْذَابُ[1] مُقَابِلُ جُدَّةَ، وَالأَصَحُّ أَنَّ عَيْذَابَ مُقَابِلُ الجَارِ[2]، وَهُوَ مَرْسَىٰ يَنْبُعَ، وَدَهْلَكُ[3] مُقَابِلُ السِّرَّيْنِ[4]، وَزَيْلَعُ[5] مُقَابِلُ العَارَةِ[6]، وَعَوَانُ مُقَابِلُ الأَهْوَابِ.

* * *

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٢) وَمِينَاءُ الجَارِ يُعْرَفُ اليَوْمَ بِـ«البُرَيْكَةِ»، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ» (٢/ ٣٢٧).

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٤) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالسِّرَّيْنِ.

(٥) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٦) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

مِنْ عَدَنَ إِلَى شِبَامَ(١)

مِنْ عَدَنَ إِلَىٰ الرَّعَارِعِ(٢) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَعَلَىٰ رَأْسِ البِئْرِ غُرَابَانِ لَا يُزَالَانِ مِنْ مَكَانِهِمَا أَبَدَ الدُّهُورِ، مِنْ أَعْمَالِ لَحْجَ(٣)، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ ابْنُ زِيَادٍ المَأْرِبِيُّ(٤):

خَلَتِ الرَّعَارِعُ مِنْ بَنِي مَسْعُودِ ... فَعُهُودُهُمْ فِيهَا كَغَيْرِ عُهُودِ
حَلَّتْ بِهَا آلُ الزُّرَيْعِ وَإِنَّمَا ... حَلَّتْ أُسُودٌ مِنْ مَكَانِ أُسُودِ(٥)

وَإِلَىٰ أَبْيَنَ(٦) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، قُرَىٰ جَمَاعَة بِنَاءُ أَهْلِ الحِجَازِ، وَيُقَالُ: بِنَاءُ بَنِي عَامِرٍ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ، سَكَنُوا الدِّيَارَ وَبَنَوُا القُرَىٰ وَحَرَثُوا وَزَرَعُوا وَتَأَهَّلُوا فِيهَا

---

(١) سَيَأْتِي قَرِيبًا تَوْصِيفُ المُصَنِّفِ لَهَا.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالرَّعَارِعِ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«لَحْجَ»، وَيُطْلِقُ عَلَيْهَا أَهْلُ المَنَاطِقِ اليَمَنِيَّةِ الوُسْطَىٰ «لَحْجَ الخَضِيرة» لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهَا وَبِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ خُصُوبَةِ تُرْبَتِهَا وَانْتِشَارِ مَزَارِعِهَا وَبَسَاتِينِهَا، حَتَّىٰ إِنَّهُ إِذَا ذُكِرَ أَحْسَنُ الفُلِّ وَالكَاذِي ذُكِرَتْ مَدِينَةُ لَحْج مَعَهُ.

(٤) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «المَازِنِيُّ»، وَالصَّوَابُ: «المَأْرِبِيُّ» وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ زِيَادٍ المَأْرِبِيُّ، كَمَا فِي «خَرِيدَةُ القَصْرِ وَجَرِيدَةُ العَصْرِ» (٢/ ٥٥٠) (الشَّامِلَة)، وَتُنْظَرُ تَرْجَمَةُ وَالِدِهِ وَالتَّعْلِيقُ عَلَيْهَا تَحْتَ عُنْوَانِ «بِنَاءُ حِصْنِ الدُّمْلُوَةِ»، وَذَكَرَهُ الحَافِظُ بَعْدَ ذِكْرِ وَالِدِهِ فِي «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ» (٤/ ١٣٣٨).

(٥) ذُكِرَ هَذَانِ البَيْتَانِ فِي «خَرِيدَةُ القَصْرِ وَجَرِيدَةُ العَصْرِ» (٢/ ٥٥٠) (الشَّامِلَة).

(٦) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِأَبْيَنَ.

وَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي القَوْمِ إِلَىٰ آخِرِ دَوْلَةِ الحَبَشَةِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ الأَعْمَالِ خَنْفَرُ(١) وَالطَّرِيَّةُ(٢) وَحَيُّونُ(٣) وَالمحلُ وَالسَّلَامَةُ وَمَسْجِدُ الرِّبَاطِ، وَبِهَذِهِ النَّوَاحِي قَبْرُ صَالِحٍ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلٍ وَلِيٍّ صَالِحٍ، وَجَمِيعُ نِسَاءِ أَهْلِ هَذِهِ الأَعْمَالِ سَحَرَةٌ.

وَإِلَىٰ دَارِ زِينَةَ تِسْعة فَرَاسِخَ، جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَىٰ البَحْرِ يَسْكُنُهُ الجَحَافِلُ(٤)، فَخِذٌ مِنْ فُخُوذِ العَرَبِ، وَمَا عُرِفَ الجَبَلُ بِهَذَا الاِسْمِ إِلَّا أَنَّهُ إذا وَصَلَ إِلَيْهِ المَرَاكِبُ مِنْ سَائِرِ الأَقَالِيمِ تَزَيَّنَ بِهَا لِأَنَّهَا أَقْرَبُ المَسَافَةِ إِلَىٰ عَدَنَ.

سَرِيرُ مُلْكِ هَذِهِ الأَعْمَالِ مَدِينَةٌ تُسَمَّىٰ دَثِينَةَ(٥).

---

(١) خَنفَرُ: مَدِينَةٌ خَارِبَةٌ فِي سَفْحِ جَبَلِ خَنْفَرَ الوَاقِعِ وَسْطَ سَهْلِ أَبْيَنَ بَيْنَ وَادِيَيْ «بَنَا» وَ«وَحْسَانَ»، وَهِيَ مَدِينَةٌ اكْتَسَبَتْ شُهْرَةً تَارِيخِيَّةً كَبِيرَةً، فَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ الإِسْلَامِ مَرْكَزًا عَسْكَرِيًّا يُسَيْطِرُ عَلَىٰ مِسَاحَاتٍ شَاسِعَةٍ، وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا تَعَرَّضَتْ لِلْخَرَابِ وَالتَّدْمِيرِ جَرَّاءَ الحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ لِأَجْلِ السَّيْطَرَةِ عَلَىٰ مَنْطِقَةِ أَبْيَنَ، أَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ قَامَتْ فِي مَكَانِ خَنفَرَ مَدِينَةُ «جَعَار»، وَأَصْبَحَ اسْمُ خَنْفَر يُطْلَقُ عَلَىٰ مُدِيرِيَّةٍ مِنْ مُدِيرِيَّاتِ مُحَافَظَةِ أَبْيَنَ تَشْمَلُ قُرَىٰ وَبُلْدَانَ مَرْكِزَيْ «جَعَار» وَ«أَحْوَر». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٨٣)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ رَقْمُ (١٨).

(٢) الطَّرِيَّةُ: قَرْيَةٌ فِي مَنْطِقَةِ حَطِيب مِنْ مُدِيرِيَّةِ نِصَاب وَأَعْمَالِ شَبْوَةَ فِي شَمَالِ شَرْقِ مُودِيهْ مِنْ أَعْمَالِ أَبْيَنَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٥٨).

(٣) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حَيُّونُ».

(٤) الجَحَافِلُ: بَطْنٌ مِنْ مَذْحِجَ لَهُمْ بَقِيَّةٌ فِي «لَحْج»، وَ«أَبْيَنَ»، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٢٩٤).

(٥) دَثِينَةُ: مَنْطِقَةٌ تَشْمَلُ مُدِيرِيَّتَيْ «مُودِيهْ» وَ«لَوْدَر» فِي مُحَافَظَةِ «أَبْيَنَ»، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٦٠٢).

وَإِلَىٰ بَيْحَانَ(١) سَبْعة فَرَاسِخَ، وَادٍ طَوِيلٌ عَرِيضٌ فِيهِ قُرًىٰ وَنَخْلٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَنَسَبُهُمْ فِي مُعَامَلَةِ بِلْقِيسَ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ، وَإِلَىٰ وَادِي حَرِيبَ(٢) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ عَازِب سِتَّةُ فَرَاسِخَ، خَرِبَتْ عَلَىٰ مَاءٍ وَاحِدٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَقَدْ خَرَّبَ الفَأْرُ ثَلَاثَةَ أَعْمَالٍ، مِنْ جُمْلَتِهِمْ قَرْيَةُ مَحَاسِنَ(٣)، بِنَاءُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ العَطَّارِ الحَرَّانِيِّ مِنْ أَعْمَالِ صَرْصَرَ(٤) فِي دَوْلَةِ الإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ(٥) المُسْتَضِيءِ بِنُورِ اللهِ، أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَتَسَلَّطَ الفَأْرُ عَلَىٰ دِيَالِي(٦) وَهُوَ أَرْبَعُونَ قَرْيَةً، وَالأَصَحُّ أَرْبَعُمِائَةِ قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَادَ، حَفَرَ الفَأْرُ أَرَاضِيَهَا، وَزَادَتِ الدِّجْلَةُ وَدَخَلَ المَاءُ فِي الأَسْرَابِ، فَلَمَّا زَادَ المَاءُ أَخَذَ القُرَىٰ وَالأَرَاضِيَ مَعَهُ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ(٧)، وَسَدُّ مَأْرِب، قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) وَادِي حَرِيب: فِي الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَأْرِب، وَهُوَ وَادٍ خَصِيبٌ يُنْتِجُ جَمِيعَ الحُبُوبِ وَالفَوَاكِهِ بِأَنْوَاعِهَا خَاصَّةً الحِمْضِيَّاتِ، وَفِيهِ الكَثِيرُ مِنَ الآثَارِ القَدِيمَةِ، فَقَدْ كَانَ ضِمْنَ أَرَاضِي مَمْلَكَةِ «قِتْبَانَ» الَّتِي تَشْمَلُ «وَادِي بَيْحَانَ» فِي الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٤٥٠)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٣).

(٣) الآنَ خَرَجَ المُصَنِّفُ إِلَىٰ «بَغْدَادَ»، وَسَيَعُودُ اليَمَنَ قَرِيبًا.

(٤) يُنْظَرُ لـ«صَرْصَر». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٤٠١).

(٥) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «فَوَاتِ الوَفَيَاتِ» (١/ ٣٧٠) بِرَقْمِ (١٣٤).

(٦) دِيَالِي: نَهْرٌ كَبِيرٌ بِقُرْبِ «بَغْدَادَ»، وَهُوَ نَهر بَعقُوبَا. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٩٥).

(٧) هُنَا انْتَهَىٰ مَا ذَكَرَهُ اسْتِطْرَادًا عَمَّا خُرِّبَ فِي «بَغْدَادَ»، وَسَيَعُودُ لِلْكَلَامِ عَنِ اليَمَنِ.

وَإِلَىٰ عَيْبَرَ(١) اثْنَا عَشَرَ فَرْسَخًا، مَسْكَنُ عَيْبَرَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُقَالُ: إِنَّ السُّرُجَ كَانَتْ تَشْتَعِلُ مِنْ سَبَأٍ إِلَىٰ عَيْبَرَ، قِيلَ: وَكَانَتْ عَامِرَةً آمِنَةً سَاكِنَةً، فَالآنَ صَارَتْ بَرَارِيَّ وَخُبُوتًا وَمَهَالِكَ، وَإِلَىٰ شِبَامَ تِسْعة فَرَاسِخَ.

* * *

(١) كَذَا هُوَ هُنَا «عَيْبَر»، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي «السِّيرَةِ» لِابْنِ هِشَامٍ، وَفِي بَعْضِ المَصَادِرِ «عَابِر».

بِنَاءُ شِبَامَ

لَمَّا تَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السلَام بِلْقِيسَ اشْتَرَتْ أُخْتُهَا نُعْمُ نُوقًا وَإِبِلًا وَأَسْكَنَتِ المَالَ وَالنَّعَمَ فِي مَكَانِ الأَرْضِ، فَكَانَتِ الإِبِلُ إِذَا رَمَّتِ الخُلَّةَ[١] تَنَدَّتِ الأَرَاضِي مِنْ أَبْوَالِهَا، وَكَانَتْ تَأْمُرُ الرُّعَاةَ أَنْ يَفْرِشُوا عَلَىٰ النَّدَاوَةِ التُّرَابَ لِيَرُدَّ الضَّرَرَ عَنِ النَّعَمِ، وَلَا زَالُوا عَلَىٰ حَالِهِمْ إِلَىٰ أَنْ صَارَ تَلًّا عَالِيًا شَامِخًا فِي الهَوَاءِ، فَأَدَارَتْ عَلَيْهِ سُورًا وَسَكَنَتْهُ وَرَكَّبَتْ عَلَىٰ السُّورِ ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ:

بَابَ زَبِيدٍ، كَانَتِ النَّعَمُ تَدْخُلُ مِنْهُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ، وَالآنَ عَمَرَهَا عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ حِصْنًا مَكِينًا سَكَنَهَا، وَيُقَالُ: لَمَّا بَنَىٰ عَلِيُّ بْنُ المَهْدِيِّ هَذَا الحِصْنَ سَمَّاهُ زَبِيدًا، عَلَىٰ مَدِينَةِ الحُصَيْبِ[٢] مِنَ اليَمَنِ، وَبَابَ الإِبِلِ، الإِبِلُ تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَىٰ المَرْعَىٰ، وَبَابَ مُسَبَّلَةِ[٣] الأَعْوَامِ الحلقِ، وَيُسَمَّىٰ بَاب ردفِينَ.

فَلَمَّا أَتَمَّتْ بِنَاءَهُ سَمَّتْهُ ذَا مَنَاخٍ وَعَذَبَةَ وَشِبَامَ، وَيُقَالُ: إِنَّ اسْمَ المَرْأَةِ شِبَامُ فَعُرِفَ البِنَاءُ بِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الخُلَّةُ مِنَ النَّبَاتِ مَا كَانَ حُلْوًا.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالحُصَيْبِ وَأَنَّهُ الِاسْمُ القَدِيمُ لِمَدِينَةِ «زَبِيد».

(٣) كَذَا فِي «أ» و«ب»، وَأَمَّا «ج» فَلَمْ تُنْقَطِ البَاءُ، كَذَا: «مسله».

ذِكْرُ شِبَامَ[١]

وَكَمْ هِيَ مَدِينَةٌ، إِحْدَاهَا مَدِينَةُ شِبَامَ ضَمَرْمَرَ خَرَابٌ، وُضِعَتْ وَبُنِيَتْ فِي أَصْلِ حِصْنِ ضَمَرْمَرَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ جَمِيعِ الرَّبْعِ سِوَىٰ الجَامِعِ عَامِرًا، وَشِبَامُ كَوْكَبَانِ؛ عَامِرٌ فِي الجِبَالِ[٢]، وَشِبَامُ حَضْرَمَوْتَ وَهِيَ هَذِهِ[٣].

* * *

(١) هِيَ شِبَام حَضْرَمَوْتَ، وَيُنْظَرُ لِلْكَلَامِ عَنْهَا: «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتِ» (ص٥٠٤) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ السَّقَّافِ، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٤).

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٦٤).

(٣) الآتِي ذِكْرُهَا.

صِفَةُ الدُّورِ

فَلَمَّا سَكَنَتْ نُعْمُ[١] المَدِينَةَ[٢] بَنَتْ فِي أَوْسَطِهَا قَصْرًا يُسَمَّىٰ الدَّوَّارَ[٣] ذَاتَ طُولٍ وَسَعَةٍ وَارْتِفَاعٍ، قَالَتِ الفَلَاسِفَةُ الأُوَلُ: لَا بُدَّ أَنْ يَتَغَلَّبَ البَدْوُ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ فِي آخِرِ العَهْدِ بِدَوَّارٍ، وَلَا يَنَامُ السَّيْفُ، وَيَكُونُ قَدْ يَخْلُو مِنَ الفَرِيقَيْنِ أَخْذُ قَصْرِ الدَّوَارِ عَامِرًا عَلَىٰ حَالِهِ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا بَنَتْ نُعْمُ لِشِبَامَ إِلَّا عَلَىٰ الظُّلْمِ، لِأَنَّهَا اغْتَصَبَتِ الأَرَاضِي مِنَ الخَلْقِ، فَلَمَّا تَمَّتْ بِنَاءَهَا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا عَثْمَنُ، وَيُقَالُ: عُثْمَانُ، أَخَذَهَا مِنْهَا. وَلَا زَالَ مُلُوكُهَا يَتَغَلَّبُونَ عَلَيَّ إِلَيَّ[٤] آخِرُ مَنْ تَغَلَّبَ عَمْرُو بْنُ مَهْدِيٍّ، أَخَذَهَا بِالسَّيْفِ وَجَدَّدَ عِمَارَةَ الحِصْنِ وَأَحْكَمَهَا غَايَةَ الإِحْكَامِ وَجَعَلَهَا سَرِيرَ مُلْكِهِ بَعْدَ أَنْ بَنَىٰ لَهَا أَسْوَارًا وَخَنَادِقَ وَأَبْوَابًا، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُ اللهِ لَمْ يَنْفَعْ عَمَلُهُ شَيْئًا، كَمَا أَنْشَدَ عَبْدُ النَّبِيِّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ يَقُولُ حِينَ تَوَلَّىٰ أَرْضَ الحُصَيْبِ:

أَنَخْنَا بِخَيْلٍ عِنْدَ بَابِ سِهَامِهَا ... وَلَمْ تَأْلُ أَنْ جَالَتْ بِبَابِ الشَّبَارِقِ

---

(١) وَهِيَ أُخْتُ بِلْقِيسَ كَمَا تَقَدَّمَ عَنِ المُصَنِّفِ.

(٢) مَدِينَةُ شِبَامَ المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهَا وَبِنَاءُ نُعْمٍ لَهَا.

(٣) الدَّوَّارُ هُوَ المَنْزِلُ.

(٤) كَذَا فِي «ج»: «عَلَيَّ إِلَيَّ».

أَدَرْنَا عَلَىٰ دَرْبِ الحُصَيْبِ بِخَنْدَقٍ وَلَنْ يَدْفَعَ امْرَ اللهِ حَفْرُ الخَنَادِقِ

وَقِيلَ: وَمَلَكَتِ العَرَبُ جَمِيعَ حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَخَلَّفَ فِي جُمْلَةِ مَا خَلَّفَ مِائَةَ بُهَارٍ فِضَّةٍ نَقْدًا غَيْرَ الآلَةِ وَالعُدَدِ وَالخَيْلِ وَالبَضَائِعِ، وَدَوَّخَ(١) ابْنُهُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَالِكٍ بَعْضَ حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَهُوَ إِلَىٰ الآنَ مَالِكُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

(١) دَوَّخَ البِلَادَ أي: أَذَلَّهَا وَقَهَرَهَا وَاسْتَوْلَىٰ علَىٰ أَهْلِهَا، ويُنظَر «مُعجَم الصَّواب اللُّغوِيِّ» (١/ ٣٨١).

صِفَةُ شِبَام

سَرِيرُ مُلْكِ حَضْرَمَوْت، وَهَذَا الإِقْلِيمُ هُوَ مَسْكَنُ حَضْرَمَوْتَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالِخِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِئْرُ بَرْهُوتَ، وَهُوَ بِئْرٌ تُسْتَجْمَعُ فِيهِ أَرْوَاحُ أَهْلِ النَّارِ[1]، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا، وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[2]، وَلَا تَزَالُ النَّارُ تَخْرُجُ مِنْهُ طُولَ الدَّهْرِ.

وَكَتَبَ وَالِدِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ المُجَاوِرِ البَغْدَادِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ[3] لِجَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ الخَزْرَجِيِّ الجُرْجَانِيِّ يُهَدِّدُهُ وَيُهَيِّبُهُ فَقَالَ: أَنَا رَجُلُ بَرَهُوتَ وَأَنَا سُلَّمُ جَهَنَّمَ، وَلَيْسَ فِي عَالَمِ الكَوْنِ وَالفَسَادِ أَخْشَنُ نَاسًا مِنْ أَهْلِهَا وَلَا أَكْثَرُ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَقَلُّ مِنْ خَيْرِهِمْ، كَثِيرو الذَّمِّ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، قَلِيلو الذِّمَّةِ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَجِيرُ بِهِمْ، كَثِيرو الدَّمِ مِنَ المَقْتُولِينَ: زَيْدٌ يَشْتُمُ عَمْرًا، وَعَمْرٌو يَكْلَأُ زَيْدًا، وَنَصْرٌ يَسْتَبِيحُ مَالَ عَمْرٍو، وَجَعْفَرٌ يُلَاكِمُ خَالِدًا،

---

(١) وَهَذِهِ البِئْرُ قَدْ نُسِجَ لَهَا خُرَافَاتٌ وَخُزَعْبَلَاتٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ العَوَامِّ، وَيُنْظَرُ: «ضَعِيفُ مَوَارِدِ الظَّمْآنِ إِلَىٰ زَوَائِدِ ابْنِ حِبَّانَ» بِرَقْمِ (٧٧).

(٢) [الكَهْف، آيَة: ١٧].

(٣) هُنَا ذَكَرَ لَنَا المُصَنِّفُ اسْمَهُ كَامِلًا، وَكَمَا قِيلَ:

قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبِ

وَوَلِيدٌ يُعَرْبِدُ عَلَىٰ جَارِهِ، وَذَا يَنْبِشُ مِنْ هَذَا، وَذَاكَ يَنْهَشُ مِنْ هَذَا، أَدْبَار مَدَابِير، أَنْحَاس مَنَاحِيس مَفَالِيس، كَمَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الحَيِّ مِنْ أَسَدٍ ... لَا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدِ

وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيْسٌ وَأُسْرَتُهَا ... لَيْسَ الأَعَارِيبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَحَدِ

وَقَالَ أَيْضًا:

دَعِ الأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ ... وَتُبْلِي جَدَّ عُهْدَتِهَا الخُطُوبُ[(١)]

وَخَلِّ لِرَاكِبِ الوَجْنَاءِ أَرْضًا ... تَجُرُّ بِهَا النَّجِيبَةُ وَالنَّجِيبُ

بِلَادٌ نَبْتُهَا عُشَرٌ وَطَلْحٌ ... وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبُعٌ وَذِيبُ

فَلَا تَأْخُذْ عَلَىٰ الأَعْرَابِ لَهْوًا ... وَلَا عَيْشًا فَعَيْشُهُمُ جَدِيبُ

دَعِ الأَلْبَانَ يَشْرَبُهَا رِجَالٌ ... رَقِيقُ العَيْشِ بَيْنَهُمُ غَرِيبُ

وَأَطْيَبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شَمُولًا ... يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقٍ أَدِيبُ[(٢)]

وَلِهَذَا سُمِّيَ إِقْلِيمُ حَضْرَمَوْتَ الوَادِاَيِ المَفْتُونَ، وَسَمَّاهُ اللهُ ﷻ الأَحْقَافَ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي قِصَّةِ النَّبِيِّ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[(٣)] وَالأَحْقَافُ هَذِهِ البِلَادُ وَالأَرَاضِي بِعَيْنِهَا، مَأْكُولُهُمُ العَيْدُ، وَهُوَ سَمَكٌ صِغَارٌ[(٤)] مَعَ الكَسْبِ

---

(١) يُنْظَرُ لِهَذَا البَيْتِ: «الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٢/ ٤٢٩) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ، وَيُقَارَنُ بِهِ.

(٢) ذُكِرَتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ فِي «الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٢/ ٤٢٩).

(٣) [الأَحْقَاف، آيَة: ٢١].

(٤) وَبِهَذَا الِاسْمِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ الحَضْرَمِيَّةِ لَكِنَّهُمْ يُطْلِقُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ كَبِيرًا كَانَ أَمْ صَغِيرًا الكُلُّ «عَيْد».

وَاللَّبَنِ يُشَابِهُ الخَرْدَلَ فِي اللَّوْنِ، وَلِبْسُ رِجَالِهِمُ الأَزْرَقُ مُكَشَّفُو الرُّءُوسِ حُفَاةً، وَلِبْسُ نِسَائِهِمُ الفُتُوحِيُّ، وَيُصْبَغُ الثَّوْبُ بِالزَّاجِ، وَيَرْجِعُ اللَّوْنُ لَا أَخْضَرَ وَلَا أَزْرَقَ، إِلَّا لَوْنٌ عَجِيبٌ، وَتُضَفِّرُ النِّسَاءُ رُءُوسَهُنَّ فِي أَوْسَطِ رُءُوسِهِنَّ تَرْجِعُ تُشْبِهُ الهُدْهُدَ يُسَمُّونَهُ الطُّرْطُرَ (وَسَحَاب وَهَكَاب فَدَارَت الطَّاعيين الضَّفَائِر سَاربين عسَاسل القُدُور ذَات المَكْدُور).

وَأَسَامِي رِجَالِهِمْ بِالكُنَىٰ، فَمِنْهُمْ: أَبَا[1] لَالِكَه، وَأَبَا هَالِكَةَ، وَأَبَا مَدَاسٍ، وَأَبَا فَارِسٍ، وَأَبَا رَأْسٍ، وَأَبَا عُرَىٰ، وَأَبَا حَصَىٰ، وَأَبَا خَرَىٰ، وَأَبَا عَوْفٍ، وَأَبَا بُولٍ، وَأَبَا فُقُوقَ، وَأَبَا دُقُوق، وَأَبَا حل، وَأَبَا حَبْلٍ، وَأَبَا فِيلٍ، وَأَبَابِيل، وَأَبَا رِيق، وَأَبَا بَرِيق، وَأَبَا حَيْف، وَأَبَا دُلَيْفٍ، وَأَبَا كَنِيفٍ.

وَمَهْمَا جَرَىٰ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ يُكَنُّونَهُ بِهِ وَلَمْ يَأْنَفُوا مِنْ تِلْكَ الأَسَامِي، وَكَذَلِكَ الدَّيَاكِلَةُ وَأَهْلُ المَوْصِلِ وَبَعْضُ العَرَبِ وَأَهْلُ نَهَاوَنْدَ وَبَعْضُ اليَمَنِ وَأَهْلُ عُسْفَانَ.

فَصْلٌ: قَدِمَ فِي أَيَّامِ سَيْفِ الإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ مَرَاكِبُ الشِّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ إِلَىٰ عَدَنَ، وَصَارَتْ مَشَايِخُ الفُرْضَةِ[2] تَسْأَلُ أَحَدَهُمْ عَنِ اسْمِهِ فَيَقُولُ: أَبَا حَجَرٍ، أَبَا حِرِي، أَبَا كُوَّة، أَبَا فَسْوَة، أَبَا شِعْرَة، فَأَبَىٰ المَشَايِخُ أَنْ يَكْتُبُوا أَسْمَاءَهُمْ فِي

---

(١) أَمَّا الآنَ فَيَقُولُونَ: «با» فَتَجِدُ فِيهِمْ «بَاحميش»، وَ«بَابصيل»، وَ«بَاجَيْدَهْ»، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ عَلَىٰ مُتَمِّمَةِ الآجُرُّومِيَّةِ» (١/ ٨٢) نِهَايَةُ الكَلَامِ عَنِ الأَسْمَاءِ السِّتَّةِ، وَقَدْ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ يَنْطِقُونَهَا «بَافُلَانٍ»، وَلَكِنَّ المُصَنِّفَ ذَكَرَهَا بِـ«أَبَا»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٢) الفُرْضَةُ: مَحَطُّ السُّفُنِ.

الدَّفَاتِرِ، وَتَخَلَّصَ كُلُّ قَمَّاشٍ هُوَ فِي الفُرْضَةِ إِلَّا مَتَاعَ الحَضَارِمِ، بَقِيَ فِي الفُرْضَةِ، يُدَاسُ تَحْتَ أَرْجُلِ الخَلْقِ، فَلَمَّا طَالَ الشَّوْطُ وَأَوْجَعَ السَّوْطُ نَادَىٰ الصَّوْتُ إِلَىٰ سَيْفِ الإِسْلَامِ فَأَحْضَرَ المشَايِخَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ تَأْخِيرِ التَّخَلُّصِ وَالتَّلَمُّصِ وَالتَّجَعْمُصِ مِنَ الحَضَارِمِ، قَالَ المَشَايِخُ: إِنَّا لَسْنَا نُوقِعُ أَسْمَاءَ القَوْمِ فِي دَفَاتِرِ السُّلْطَانِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ أَسْمَاءَهُمْ دُونَةٌ، قَالَ سَيْفُ الإِسْلَامِ: إِذَا كَرِهْتُمْ أَنْ تَكْتُبُوا أَسْمَاءَهُمْ فَكَيْفَ آخُذُ مِنْهُمُ العُشُورَ؟ فَأَطْلَقَ شَأْنَهُمْ وَخَلَّىٰ سَبِيلَهُمْ.

فَصْلٌ: قِيلَ لِرَجُلٍ مِنَ الحَاكَةِ: قَدْ رُزِقْتَ وَلَدًا فَاخْتَرْ لَهُ كُنْيَةً، فَقَالَ: كَنُّوهُ عَبْدَ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنُ مَنْ؟ قَالَ: ابْنُ عَبْدِ الكَرِيمِ، الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا يَا نِصْفَ القُرْآنِ العَظِيمِ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ العَجَمِ مَسْكَنُهُ أَذْرَبِيجَانَ سَمَّىٰ ابْنَهُ: عَبْدُ مَنِ الأَرْضُ قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ.

حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ المُقَرَّبِ بْنِ عَلِيٍّ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: إِنَّ أَصْلَ أَهْلِهَا عَبِيدٌ وَمَوَالٍ، فَلِذَلِكَ فِيهِمْ حَمَاقَةٌ وَكِبْرٌ خَارِجٌ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الرَّبْعِ المَسْكُونِ أَشَحُّ مِنْهُمْ نَفْسًا وَلَا أَقَلُّ هِمَّةً، وَقَدْ تَفَرَّقُوا فِي سَوَاحِلِ البَحْرِ جَمِيعًا وَتَشَتَّتُوا فِي أَقَاصِي الأَرْضِ وَأَدْنَاهَا يَمِينًا وَيَسَارًا.

* * *

صِفَةُ قَرْنِ أَبَا إِبْرَاهِيمَ[1]

هُوَ عَيْنٌ تَجْرِي فِي أَعْمَالِ دَوْعَانَ إِذَا جَازَ الوَادِيَ رَجُلٌ مِنْ آلِ حِمْيَرٍ جَرَىٰ العَيْنُ، وَيُقَالُ: بَلْ يُمْطِرُ فِي اليَوْمِ مَطَرُهُ، يَرْوَىٰ مِنْهُ الحِمْيَرِيُّ لَا غَيْرُ، دُونَ غَيْرِهِ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّبَاعِيُّ قَالَ: إِنَّهُ جِنِّيٌّ مُوَكَّلٌ عَلَىٰ هَذَا الوَادِي، فَإِذَا جَازَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ آلِ حِمْيَرٍ أَطْلَقَ المَاءَ وَالوَادِيَ حَتَّىٰ يَرْوِيَ مِنْهُ الرَّجُلُ الحِمْيَرِيُّ أَوْ جَمَاعَةٌ، فَإِذَا مَدَّ خَوْلَانِيٌّ يَدَهُ إِلَىٰ المَاءِ غَارَ المَاءُ فِي الرَّمْلِ، وَكَذَلِكَ لِأَهْلِ خَوْلَانَ عَيْنٌ ثَانِيَةٌ تُسَمَّىٰ عَمَل، لَمْ يَشْرَبْ مِنْهَا إِلَّا الرَّجُلُ الخَوْلَانِيُّ، وَلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ حِمْيَرِيٌّ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ نَعْتُهُ وَصِفَتُهُ، وَهَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ يَكُونُ[2].

قَالَتْ حِمْيَرُ: لَنَا التَّقَدُّمُ، قَالَتْ خَوْلَانُ: لَكُمُ التَّقَدُّمُ فِي أَجْرِ الحِرَاثَةِ، وَلَنَا التَّقَدُّمُ فِي لِقَاءِ الأَعَادِي.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الحَائِكُ قَالَ: يَنْقَسِمُ غَزْلُ[3]

---

(١) كَذَا فِي النُّسَخِ الخَطِّيَّةِ: «صِفَةُ قَرْنِ أَبَا إِبْرَاهِيمَ».

(٢) بَلْ هَذَا مِنَ الخُرَافَاتِ وَالخُزَعْبَلَاتِ.

(٣) وَيَكُونُ الغَزْلُ بِآلَةٍ يُقَالُ لَهَا: المِغْزَلُ.

نِسَاءِ اليَمَنِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: مِنْهُ الفَارِسِيُّ وَمِنْهُ الحِمْيَرِيُّ، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: الحِمْيَرِيُّ الَّذِي يُخْرِجُ الإِصْبَعَ الوُسْطَىٰ عَلَىٰ الإِبْهَامِ فِي الغَزْلِ، وَالفَارِسِيُّ الَّذِي يُدْخِلُ الإِبْهَامَ عَلَىٰ الإِصْبَعِ الوُسْطَىٰ مِنْ فَوْقِ الغَزْلِ.

* * *

مِنْ شِبَامَ إِلَى ظَفَارِ[(١)]

مِنْ شِبَامَ إِلَىٰ تَرِيمَ[(٢)] سَبْعة فَرَاسِخَ، وَفِي أَوْسَطِ [الجَبَل][(٣)] ضِرْسُ جَبَلٍ ثَابِتٌ صَاعِدٌ فِي الجَوِّ شِبْهُ مَنَارَةٍ، وَقَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ حِصْنٌ يُسَمَّىٰ المَشْرِق، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أُقَبِّـــلُ مَـــنْ أَعْشَـــقُه غُـــدْوَةً ... مِـنْ جَانِـبِ الغَـرْبِ عَلَـىٰ أَشْـهَبِ

فَقُلْـــتُ: سُـــبْحَانَكَ يَـــا ذَا العُـــلَا ... أَشْـرَقَتِ الشَّـمْسُ مِـنَ المَغْـرِبِ

فَصْلٌ: قَعَدَ الأَمِيرُ فَهْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَاشِدٍ عَلَىٰ مَنْظَرَةِ هَذَا الحِصْنِ مُشْرِفًا فَإِذَا هُوَ يَرَىٰ رَجُلَيْنِ غَادِيَيْنِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، فَأَنْفَذَ قَوْمًا وَرَاءَهُمَا فَأَحْضَرُوهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا هُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ، فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ بَصْرَةِ العِرَاقِ. قَالَ: وَكَمْ لَكُمَا عَنْهَا؟ قَالَا: ثَلَاثَةُ أَوْ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، فَقَالَ: قُولَا لِي كَيْفَ قِصَّتُكُمْ، قَالُوا: إِنَّا قَوْمٌ بَدْوٌ نَسْكُنُ العِرَاقَ وَالبَصْرَةَ، إِذْ رَأَىٰ شَيْخٌ خَلْفَنَا رَجُلَيْنِ رَاكِبَيْنِ هَجِينَيْنِ

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٩٧٣)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالعِرَاقِ وَجَنُوبِ الأُرْدُنِّ وَسَيْنَاءَ» (٥/ ٤٩٩) ط. «دَارَةِ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيزِ»، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٦).

(٢) تَرِيمُ: مِنْ قُدَامَىٰ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ، يُنْظَرُ: «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتِ» (ص٨٧١).

(٣) مَا بَيْنَ المَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ المَطْبُوعِ.

غَادِيَيْنِ فِي الفَلَاةِ، فَقَالَ لَنَا الشَّيْخُ: اقْفُوا لَنَا خَبرَ هَذَيْنِ الرَّاكِبَيْنِ، فَقُمْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا تَبِعْنَا أَثَرَهُمْ إِلَىٰ أَنْ غَلَّسَ اللَّيْلُ، فَلَمَّا أَظْلَمَ ضَاعَ مِنَّا الأَثَرُ، فَتَمَّمْنَا عَلَىٰ حَالِنَا فِي الصُّعُودِ آكَامًا وَنُزُولَ أَوْدِيَةٍ وَرَمْلًا وَحَصًىٰ، فَلَمَّا طَالَ الشَّوْطُ أَرَدْنَا الرُّجُوعَ إِلَىٰ أَهْلِنَا فَلَمْ نَعْلَمِ الطَّرِيقَ، فَمَا زِلْنَا نَسِيرُ إِلَىٰ أَنْ أَشْرَفْنَا عَلَىٰ هَذِهِ المَدِينَةِ، وَمَا هَذَا الإِقْلِيمُ؟ قَالَ: هَذِهِ تَرِيمُ، مِنْ أَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ، ارْحِبُوا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَالبَلَدُ مُسْتَدَارٌ حَوْلَ الحِصْنِ.

وَبَنَىٰ بِهَا مَلِكٌ فِي تَرِيمَ جَامِعًا، فَلَمَّا تَمَّ بِنَاهُ قَالَ لِلْمُهَنْدِسِ: تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ تَبْنِيَ خَيْرًا مِنْ هَذَا البِنَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفِي الحَالِ ضَرَبَ عُنُقَهُ، خَوْفَ أَنْ يَبْنِيَ فِي مَوْضِعٍ ثَانٍ خَيْرًا مِنَ الأَوَّلِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ سِيرَةِ القَائِدِ حُسَيْنِ ابْنِ سَلَامَةَ إِنْشَاءُ الجَوَامِعِ الكِبَارِ وَالمَنَارَاتِ الطِّوَالِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَىٰ مَكَّةَ - حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَىٰ - طُولَ المَسَافَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُهُ عَامِرًا وَمُسْتَهْلَكًا، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ النَّاسُ رِوَايَةً جَامِعَةً.

فَأَوَّلُهَا جَامِعُ شِبَامَ وَتَرِيمَ مَدِينَتَانِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، فَاتَّصَلَتْ عِمَارَةُ الجَوَامِعِ مِنْهَا إِلَىٰ عَدَنَ.

وَإِلَىٰ قَبْرِ النَّبِيِّ هُودٍ[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثَمَانية فَرَاسِخَ، طُولُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا.

وَفِي هَذِهِ النَّوَاحِي قَبْرُ ذِي نِيَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْنِ هُودٍ، طُولُهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا.

---

(١) لَيْسَ هُنَاكَ أَدِلَّةٌ ثَابِتَةٌ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا المَوْطِنَ هُوَ الَّذِي فِيهِ قَبْرُ النَّبِيِّ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّبَاعِيُّ قَالَ: إِنَّ قَبْرَ ذِي نِيَالَ بْنِ هُودٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَرْيَةِ هَارُونَ بِنَاء هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أَعْمَالِ دَوْعَانَ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَيُمْكِنُ أَنَّهُ كَانَ لِهُودٍ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَانِ ذَكَرَانِ، أَحَدُهُمَا رونِيَا، وَالثَّانِي ذَانِيَالُ.

وَقَبْرُ ابْنِ ذِي القَرْنَيْنِ طُولُهُ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَقَبْرُ العزيْزِ عَلَيْهِ السَّلَامُ طُولُهُ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا أَظُنُّ القَوْمَ كَانُوا بِهَذَا الطُّولِ وَلَكِنْ طَوَّلُوا قُبُورَهُمْ.

وَإِلَىٰ مُضِيِّ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ خَلْخَلِيجَ عَشْرَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ ظُهُور[1] عَشرُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ مهرقف[2] سَبْعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ كدنُوبَ خَمْسة فَرَاسِخَ، ذَاتُ نَخِيلٍ، وَإِلَىٰ مَأرِبَ عِشْرُونَ فَرْسَخًا، وَهِيَ ذَاتُ نَخِيلٍ[3] وَهِيَ نِصْفُ الطَّرِيقِ.

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا فِي دَارِ الإِمَارَةِ بِمَكَّةَ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَرَاضِيَ وَالجِبَالَ وَالشِّعَابَ مَوَاضِعُ كَانَتْ مَسَاكِنَ قَوْمِ شَدَّادِ بْنِ عَادٍ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ يَتَنَزَّهُونَ بِهَذِهِ الأَمْكِنَةِ، وَقَدْ بَنَوْا عَلَىٰ رُءُوسِ الجِبَالِ وَفِي بُطُونِ الأَوْدِيَةِ دِكَاكًا وَمَصَاطِبَ مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ، وَكَانُوا يُقِيمُونَ بِهَا أَيَّامَ الرَّبِيعِ يَتَفَرَّجُونَ.

---

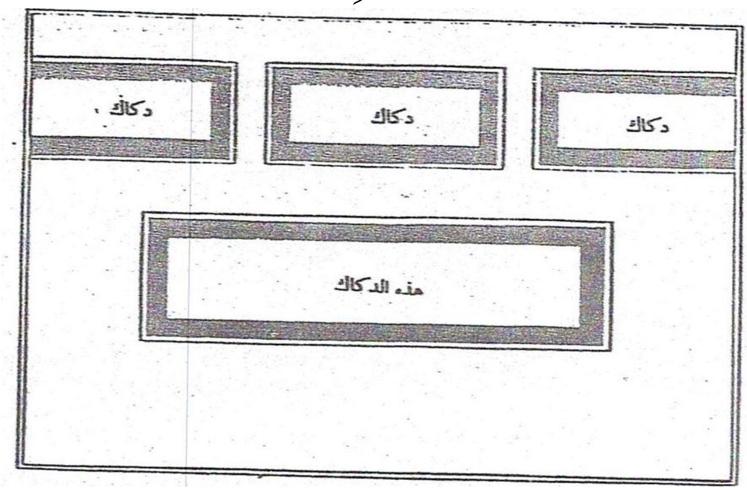
(١) قَالَ يَاقُوتُ: ظُهُورُ: بَلَدٌ بِالبَحْرِ مِنْ أَرْضِ مَهَرَةَ بِأَقْصَىٰ اليَمَنِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٦٣).

(٢) كَذَا جَاءَ هَذَا الِاسْمُ مَنْقُوطًا فِي «أ»، وَ«ب»، وَأَمَّا «ج» فَلَمْ يُنْقَطْ، وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ «مَهَرَةَ» لِأَنَّ ظُهُورَ مِنْ أَرْضِ المَهَرَةِ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِـ«مَأْرِب».

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّمَا بُنِيَتْ هَذِهِ الدِّكَاكُ وَالمَصَاطِبُ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ إِلَّا لَمَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الذَّرَّ وَهُوَ النَّمْلُ، فَكَانَ القَوْمُ يَجِدُونَ لِذَلِكَ أَلَمًا شَدِيدًا، وَحِينَئِذٍ هَجَرُوا البِلَادَ وَخَرَجُوا بِأَهَالِيهِمْ وَسَكَنُوا الجِبَالَ وَالشِّعَابَ وَالأَوْدِيَةَ وَبَنَوُا الدِّكَاكَ مُتَفَرِّقَةً فِي بُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَرُءُوسِ الجِبَالِ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِمُ الذَّرُّ أَشْعَلُوا النِّيرَانَ حَوْلَ الدِّكَاكِ لِئَلَّا يَصْعَدَ إِلَيْهِمُ الذَّرُّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ...﴾[1] تَمَامَ الآيَةِ، وَإِلَىٰ الآنَ الدِّكَاكُ عَلَىٰ حَالِهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ، وَمَوَاضِعُ النِّيرَانِ عَلَىٰ حَالِهَا.

وَهَذِهِ صُورَةُ الدِّكَاكِ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ فِي الصَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ.



رُسُومُ الدَّارِ بَاقِيَةٌ عَلَىٰ خَرَابِ	يَجُولُ بِأَكْنَافِهَا كُلُّ لَاهِجِ
مِنْ سُنَنِ سَبٍّ ذِي إِعْسَارِ	وَمَنْ ... حَبَاهُ ذَا مَخَارِجِ

---

(١) [الأَعْرَاف، آيَة: ١٣٣].

رَحَلُــوا الأَحْبَــابُ وَخَلَّفُــونِي ... بِلَيْــلٍ شِــبْهِ شَــاتٍ عِنْــدَ ذَابِــحِ

أَمْسَـــىٰ الزَّمَـــانُ بِـــدَارِ قَـــوْمٍ ... إِذَا رَحَـلَ الأَحْبَـابُ عَنْهَـا مَصَـابِحِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ فِي المَعْنَىٰ:

نُسَـــائِلُهَا أَيَّ المَـــوَاطِنِ حَلَّـــتِ ... وَأَيَّ دِيَـــارٍ أَوْطَنَتْهَـــا وَأَنَّـــتِ

وَمَـاذَا عَلَيْهَـا لَـوَ أَشَـارَتْ فَوَدَّعَـتْ ... إِلَيْنَـا بِـأَطْرَافِ البَنَـانِ وَأَوْمَـتِ

وَمَا كَـانَ إِلَّا أَنْ تولَّـتْ بها[(١)] النَّوَىٰ ... فَـوَلَّىٰ عَـزَاءُ القَلْـبِ لَمَّـا تَوَلَّـتِ

وَأَمَّـا عُيُـونُ العَاشِـقِينَ فَأَسْـخَنَتْ ... وَأَمَّـا عُيُـونُ الشَّـامِتِينَ فَقَـرَّتِ

وَلَمَّـا دَعَـانِي البَـيْنُ وَلَّيْـتُ إِذْ دَعَـا ... وَلَمَّـا دَعَاهَـا قَـدْ أَطَاعَـتْ وَلَبَّـتِ

فَلَـمْ أَرَ مِثْلِـي كَـانَ أَرْعَـىٰ لِذِمَّـةٍ ... وَلَا مِثْلِهَا لَـمْ تَـرْعَ عَهْدِي وَذِمَّتِي[(٢)]

وَحَدُّ الدِّكَاكِ مِنْ أَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ إِلَىٰ آخِرِ مُعَامَلَةِ عُمَانَ مَعَ التَّهَائِمِ وَنَجْدِهَا، إِلَىٰ جَيْرُوتَ[(٣)] أَرْبَعة فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ التَّهودِيِّ أَرْبَعة فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ الشِّعْبِ سَبْعة فَرَاسِخَ، مَعْدِنُ شَجَرِ البَانِ، وَإِلَىٰ حلُوف[(٤)] خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الغَيْلِ[(٥)]

---

(١) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «تَوَلَّيْتها»، وَالمُثْبَتُ مِنْ «دِيوَانِ المُتَنَبِّي».

(٢) «دِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (ص١٩٩) (الشَّامِلَة).

(٣) جَيْرُوتُ: مِنْ بِلَادِ مَهَرَةَ فِي أَقْصَىٰ بِلَادِ قُضَاعَةَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩٩١).

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «حلُوف»، وَلَعَلَّ المُرَادَ: «حَوْف» وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ المَهَرَةِ، يُنْظَرُ لَهَا: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٥٣٥)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٤).

(٥) هُوَ المَعْرُوفُ بِـ«غَيْل بَاوَزِير» مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَاوَزِير مَوْلَىٰ الدَّعَامَةِ، وَهُوَ وَاقِعٌ فِي شَمَالِ شُحَيْر، وَهُوَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ فِيهَا عُيُونُ مَاءٍ غَزِيرَةٌ جَارِيَةٌ عَلَيْهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ. «إِدَامُ القُوتِ» =

ثَمانية فَرَاسِخَ مُقَابِلَةً ثَلَاثَه أَعْيُنٍ تَخْرُجُ مِنْ شِعْبِ جَبَلٍ وَيُسَمَّىٰ جَبَلَ الأَسْفَلِ وَبَقِيَ[1] عَقِبَهُ، وَإِلَىٰ ظَفَارِ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَكُلُّ هَذِهِ المَوَاضِعِ ثرَارٌ وَشِعَابٌ ذَاتُ مِيَاهٍ لَيْسَ عَلَيْهَا عِمَارَةٌ إِلَّا بَعْضَ الشَّيْءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

=

(ص١٤٠)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١١٩٥)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٥).

(١) كَذَا فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ: «وَبَقِيَ».

ذِكْرُ خَرَابِ ظَفَارِ

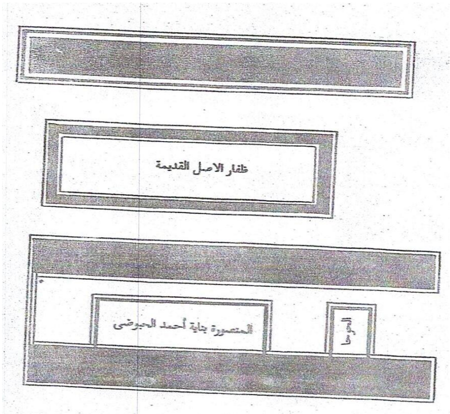
خَرَّبَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَزْرُوعٍ الحَبُوضِيُّ ظَفَارِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ خَوْفًا مِنَ المَلِكِ المَسْعُودِ أَبِي المُظَفَّرِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَبَنَىٰ المَنْصُورَةَ وَسَمَّاهَا القَاهِرَةَ وَسُكِنَتْ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَالِاسْمُ المَعْرُوفَةُ بِهِ ظَفَارِ[١] وَهِيَ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَقَدْ أُدِيرَ عَلَيْهَا سُورٌ مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ، وَيُقَالُ: مِنَ اللَّبِنِ وَالجَصِّ، وَرُتِّبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: بَابُ البَحْرِ يَنْفُذُ إِلَىٰ البَحْرِ وَيُسَمَّىٰ بَابَ السَّاحِلِ، وَبَابَانِ مِمَّا يَلِي البَرَّ وَهُمَا عَلَىٰ الِاسْمِ لِأَبْوَابِ ظَفَارِ المَهْدُومَةِ أَحَدُهُمَا مَشْرِقٌ يُسَمَّىٰ بَابَ حُرْقَةَ يَنْفُذُ إِلَىٰ عَيْنِ قَرضَ[٢]، وَالثَّانِي مِمَّا يَلِي المَغْرِبَ وَيُسَمَّىٰ بَابَ الحَرْجَاءِ يَنْفُذُ إِلَىٰ الحَرْجَاءِ، وَالحَرْجَاءُ مَدِينَة لَطِيفَةٌ وُضِعَتْ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ بِالقُرْبِ مِنَ البَلَدِ، وَمَا بَنَىٰ المَنْصُورَةَ إِلَّا لِإِحْكَامِ البِلَادِ خَوْفًا عَلَىٰ العِبَادِ، فَلَمَّا بَنَىٰ المَنْصُورَةَ وَلَمْ يُؤْبَهْ إِلَيْهِ المَلِكُ المَسْعُودُ وَلَا عَاتَبَهُ فِيمَا صَنَعَ، وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.

---

(١) أَيْ: أَنَّ المَنْصُورَةَ الَّتِي بَنَاهَا الحَبُوضِيُّ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِـ«ظَفَارِ» وَلِهَذَا لَمْ يَدُمْ هَذَا الِاسْمُ طَوِيلًا وَعَادَ اسْمُهَا إِلَىٰ «ظَفَارِ» وَهُوَ مَا كَانَ يُعْرَفُ بِهِ مِنْ قَبْلُ. وَيُنْظَرُ: «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٤٧٠)، وَظَفَارِ هُنَا هِيَ ظَفَارِ «عُمَان».

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «عَيْنِ قَرض».

وَهَذِهِ صُورَتُهَا عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ:



* * *

ذِكْرُ مُدُنٍ هُدِمَتْ خَوْفَ الأَعَادِي وَلَمْ يَصِلْهَا العَدُوُّ

خَرَّبَ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الفَتْحِ قبَاچَة السُّلْطَان فِي أَعْمَالِ السِّنْدِ قَلْعَةَ كلور وسب، رَأْسُ حَدِّ بِلَادِهِ، خَوْفًا مِنَ السُّلْطَانِ الأَعْظَمِ عَلَاءِ الدِّينِ أَبِي الفَتْحِ مُحَمَّدِ[1] بْنِ تِكَشَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَخَرَّبَ -أَيْضًا- المَلِكُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الفَتْحِ قبَاچَة فِي أَعْمَالِ السِّنْدِ أَهْرَاوَتَ وَسَاتركنكفي[2] طليبة[3] وعلنَا أوروهَام رَاوير سرور ونزوارهْ وكريونَ ودهروتَ وشَاهكَا وَرَاح بيوم ومَكتوب. خَوْفًا مِنَ السُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ منك برتي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تِكَشَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَخَرَّبَ صلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ فِي أَعْمَالِ السَّاحِلِ عَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ وَالدَّارونَ وَالرَّسينَ وَقَلْعَةَ الأَفْضَلِ وَالعَبَّاسِيَةَ خَوْفًا مِنَ الإِفْرِنْجِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَخَرَّبَ السُّلْطَانُ عَلَاءُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبُو الفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ تِكَشَ قَلْعَةَ مَرْوَرُّوذَ

---

(١) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ مِنْ «مَجْمَعُ الآدَابِ فِي مُعْجَمِ الأَلْقَابِ» (٢/ ٢٩٣).

(٢) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»، وَلَمْ تُنْقَطْ فِي «ج».

(٣) كَذَا فِي «أ»، وَ«ب»، وَلَمْ تُنْقَطْ فِي «ج».

وَرُسُوم، وَفِي أَعْمَالِ السِّنْدِ يذووبَ وَحَامَا وهَانهوز وبكىٰ ومنك رَاور قصرًا ايوب وكوب ويَاحكة ومُوسَىٰ ويكورح خَوْفًا مِنْ أَمْلَاكِهَا الأَمْهَنَة سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَأَبْقَىٰ المُدُنَ وَهَدَمَ الحُصُونَ لِأَنَّ فِي هَذِهِ البِلَادِ كُلُّ قَرْيَةٍ بِهَا حِصْنٌ مَانِعٌ بِنَاءُ الهُنُودِ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ.

وَهَدَمَ المَلِكُ المُعَظَّمُ عِيسَىٰ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ فِي أَعْمَالِ الشَّامِ الكَرَكَ وَالشُّوبَكَ وَالقُدْسَ وَأَيْلَةَ وَاللَّاذِقِيَّةَ وَهُوَ مَاتئين وستين وسقي من بون خَوْفًا مِنَ الإِفْرِنْجِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَخَرَّبَ المَلِكُ المُعِزُّ الَّذِي تَغَلَّبَ عَلَىٰ مُلْكِ السُّلْطَانِ سنْجَرَ مِنْ خُرَاسَانَ مَرْوَ وسَرْخَسَ ونَيْسَابُورَ، وَمِنَ العِرَاقِ الرَّيَّ وَهَمَذَانَ، وَمِنْ كَرْمَانَ حَرِيبَ وَبَمَّ(١) وَكَارِي، وَفِي زَاولستَان حَوَرَ، خَوْفًا مِنَ السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ حُسَيْنٍ(٢) لبك الغُورِي سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَخَرَّبَ الخَانُ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الخُلْجِيُّ(٣) الدُّيْبُولَ خَوْفًا مِنْ نَاصِرِ الدِّينِ قبَاچـة سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

---

(١) بَمُّ: بِالفَتْحِ وَتَشْدِيدِ المِيمِ، مَدِينَةٌ مِنْ أَعْيَانِ مُدُنِ كَرْمَانَ، وَمِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ البَمِّيُّ وَزِيرُ سنكري صَاحِبِ فَارِسَ، وَغَيْرُهُ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٤٩٥).

(٢) تُنْظَرُ تَرْجَمَتُهُ فِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١٢/ ١١٠) بِرَقْمِ (٢٠١) لِلذَّهَبِيِّ.

(٣) الخُلْجِيُّ: قَالَ الحَافِظُ: بِضَمِّ المُعْجَمَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا جِيمٌ، مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الخُلْجِ، وَهُوَ قَيْسُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، وَقِيلَ فِيهِ بِتَحْرِيكِ اللَّامِ. «الإِصَابَةُ» (٣/ ٢٧٤).

وَخَرَّبَ الهمين متبشر بْنُ دودَةَ[1] قَلْعَةَ الإِسْلَامِ خَوْفًا مِنَ الخُلْجِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَخَرَّبَ حَبْل خَان المر حسي جَمِيعَ العَجَمِ خَوْفًا مِنَ المُسْلِمِينَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَخَرَّبَ أَحْمَدُ[2] بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الحَبُوضِيُّ ظَفَارِ خَوْفًا مِنَ المَلِكِ المَسْعُودِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

(١) كَذَا جَاءَتْ فِي «أ» و«ب»: «الهمين متبشر بْن دودة».

(٢) يُنْظَرُ فِي «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (٢/ ٤٧٠) لِلْجَنَدِيِّ.

صِفَةُ الطَّرِيقِ القَدِيمَةِ

كَانَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَىٰ ظَفَارِ وَمِرْبَاطَ[١] الطَّرِيقُ آمِنٌ يَسْلُكُهُ البَدْوُ فِي العَامِ مَرَّتَيْنِ يَجْلِبُونَ الخَيْلَ وَيَأْخُذُونَ عِوَضَهُمُ العِطْرَ وَالبُرَّ وَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ العِرَاقِ، فَلَمَّا تَغَلَّبَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ فَتَحُوا فِي المُلْكِ وَوَقَعَ الخُلْفُ فِي البِلَادِ وَانْقَطَعَتِ الطُّرُقُ وَانْدَثَرَتْ، فَلَمَّا مَلَكَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَزْرُوعٍ الحَبُوضِيُّ المُلْكَ وَاسْتَقَامَ فِيهَا أَمِنَتِ العِبَادُ وَعُمِّرَتِ البِلَادُ انْقَطَعَتِ الطُّرُقُ خَرَجَ البَدْوُ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ فِي الطَّرِيقِ القَدِيمَةِ وَصَارُوا عَلَىٰ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ بِالخَيْلِ إِلَىٰ ظَفَارِ فَبَاعُوا وَاشْتَرَوْا، فَلَمَّا أَرَادُوا الرُّجُوعَ قَالَ لَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَكَيْفَ عَلِمْتُمُ الطَّرِيقَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: إِنِّي سَافَرْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا طِفْلٌ عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَسِرْتُ الآنَ فِيهَا بِقِيَاسِ التَّعَقُّلِ بِمَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ وَكَتَبَ اللهُ السَّلَامَةَ حَتَّىٰ بَلَغْنَا المَقْصِدَ، قَالَ لَهُمْ: فَمِنْ أَيْنَ تَخْرُجُونَ؟ قَالُوا: مِنْ مَشْهَدِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَإِذَا وَصَلْنَا إِلَىٰ المَنْزِلِ الفُلَانِيِّ افْتَرَقَ عِنْدَهُ الطَّرِيقُ طَرِيقَانِ يَأْخُذُ أَحَدُهُمَا إِلَىٰ الحَسَا وَالقَطِيفِ وَالثَّانِي يَجِيءُ إِلَىٰ مِرْبَاطَ وَظَفَارِ، فَقَالَ لَهُمْ: شَاهِدِ اللهِ عَلَىٰ بَدَوِيٍّ سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ ثَانِيَةً لَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، قَالُوا: وَلِمَ؟ قَالَ:

---

(١) سَيَأْتِي قَرِيبًا تَعْرِيفُ مِرْبَاطَ.

نَخَافُ أَنْ يَنْدَرِسَ الطَّرِيقُ لِكَثْرَةِ سُلَّاكِهِ فَتَجِيءُ خَيْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، غَائِرَةً فِي تِلْكَ البِلَادِ عَلَيْنَا وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ خَرَّبْتُ البِلَادَ وَبَنَيْتُ المَنْصُورَةَ لِأَقْطَعَ الشَّرَّ عَنِّي، فَدَخَلَتِ البَدْوَانِ مِنْ بَلَدِ ظَفَارِ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا وَمِنْهَا انْقَطَعَ الطَّرِيقُ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

صِفَةُ الرِّيَاحِ الثَّلَاثِ

رِيحٌ عَاصِفٌ قَاصِفٌ ذَاتُ شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ، فَإِذَا هَبَّ الهَوَاءُ سَدَّ الغُبَارُ جَمِيعَ الطَّاقَاتِ فِي الدُّورِ وَأَرْوَاقِ الجُدْرَانِ، وَيُقَالُ: إِذَا هَبَّتْ هَذِهِ الأَهْوِيَةُ فَمِنْ شِدَّةِ هُبُوبِهَا تُدَحْرِجُ الحِجَارَةَ مِنْ أَعْلَىٰ ذِرْوَةِ الجَبَلِ إِلَىٰ أَنْ تُوصِلَهُ البَحْرَ، وَبَيْنَ الجَبَلِ وَالبَحْرِ يَوْمُ طَرَّادٍ، وَالأَصْلُ فِيهِ أَنَّ اللهَ ﷻ أَهْلَكَ قَوْمَ عَادٍ بِهَذِهِ الرِّيحِ وَهِيَ الرِّيحُ العَقِيمُ، وَالِاسْمُ فِيهِ ثَلَاثٌ مُشْتَقٌّ مِنْ بَلَاءٍ.

وَحَدَّثَنِي رُبَّانٌ فِي عَدَنَ قَالَ: إِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الرِّيَاحِ الأَزْيَبُ، يَعْنِي الجَنُوبَ، وَحُدُودُ هُبُوبِهِ مِنْ رَأْسِ فَرْتَكَ[(١)] إِلَىٰ مِرْبَاطَ[(٢)].

* * *

---

(١) فَرْتَكُ: ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٠) قَالَ صَاحِبُ «القَامُوسِ» (ص٩٥٠): وَفَرْتَكُ، أَوْ رَأْسُ الفَرْتَكِ: قُرْنَةُ جَبَلٍ بِسَاحِلِ بَحْرِ الهِنْدِ مِمَّا يَلِي اليَمَنَ.

(٢) مِرْبَاطُ: قَالَ عَنْهَا يَاقُوتُ: فُرْضَةُ مَدِينَةِ ظَفَارٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ظَفَارٍ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ، وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ ظَفَارٍ مَرْسَىٰ تُرْسَىٰ فِيهِ المَرَاكِبُ وَكَانَ لِمِرْبَاطَ مَرْسَىٰ جَيِّدٌ كَثُرَ ذِكْرُهُ عَلَىٰ أَفْوَاهِ التُّجَّارِ، وَهُوَ مَدِينَةٌ مُفْرَدَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَضْرَمَوْتَ وَعُمَانَ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٩٧)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٧).

صِفَةُ المَنْصُورَةِ[(١)]

هَوَاؤُهَا طَيِّبٌ[(٢)] وَجَوُّهَا مُوَافِقٌ وَمَاؤُهَا مِنْ خَلِيجٍ عَذْبٍ فُرَاتٍ، يَطْلُعُ بِهَا الفَوَاكِهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ: مِنْ فَوَاكِهِ الهِنْدِ الفَوْفَلُ وَالنَّارجِيلُ، وَمِنْ فَوَاكِهِ السَّاحِلِيَّةِ قَصَبُ السُّكَّرِ وَالمَوْزُ، وَمِنْ فَوَاكِهِ العِرَاقِ الرُّمَّانُ وَالعِنَبُ، وَمِنَ النَّخْلِ جُمَّلٌ، وَمِنْ دِيَارِ مِصْرَ اللَّيْمُونُ وَالأُتْرُنْجُ وَالنَّارِنْجُ، وَمِنَ السِّنْدِ النَّبْقُ، وَمِنَ الحِجَازِ الدَّومُ وَهُوَ المقْلُ، وَجَمِيعُ سُكَّانِهَا حَضَارِمُ انْتَقَلُوا مِنْ بِلَادِهِمْ وَسَكَنُوا بِهَا، وَمَأْكُولُهُمُ السَّمَكُ وَالذُّرَةُ وَالكَنبُ، وَمَطْعُومُ دَوَابِّهِمُ السَّمَكُ اليَابِسُ وَهُوَ العَيْدُ، وَلَمْ يُزْبِلُوا أَرَاضِيَهُمْ إِلَّا بِالسَّمَكِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ يَعْقِدُونَ الهَرِيسَةَ إِلَّا بِلَحْمِ السَّمْكَ لَا غَيْرُ، وَنِسَاؤُهُمْ سَحَرَةٌ يَمْشُونَ مِنْ ظَفَارِ إِلَىٰ الجَاوَةِ المِيلَ فِي لِيلَةٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُمْ فِي قُرْبِ جَزِيرَةِ

---

(١) المُرَادُ هُنَا بِالمَنْصُورَةِ «ظَفَارِ» كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَتَقَدَّمَ قَرِيبًا أَنَّ الَّذِي بَنَاهَا هُوَ الحَبُوضِيُّ وَسَمَّاهَا المَنْصُورَةَ، وَأَنَّ اسْمَهَا المَعْرُوفَ هُوَ ظَفَارِ، يُنْظَرُ ذَلِكَ تَحْتَ عُنْوَانِ «ذِكْرُ خَرَابِ ظَفَارِ».

(٢) بِمَا أَنَّ ظَفَارِ وَاقِعَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ بَحْرِ العَرَبِ، فَإِنَّ الرِّيَاحَ المَوْسِمِيَّةَ تَتَحَكَّمُ بِفُصُولِهَا، كَمَا أَنَّ الأَمْطَارَ تَبْدَأُ مَعَ الرِّيَاحِ المَوْسِمِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَبْدَأُ عَادَةً فِي (١١) يُونْيُو، وَتَسْبِقُهَا أَحْيَانًا قَبْلَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ عَاصِفَةٌ هَوْجَاءُ تَهُبُّ مِنَ الجَنُوبِ أَوِ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ، وَهَوَاءُ ظَفَارِ فِي شَهْرَيْ دِيسَمْبِر وَيَنَاير مُنْعِشٌ وَصِحِّيٌّ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالعِرَاقِ وَجَنُوبِ الأُرْدُنِّ وَسَيْنَاءَ» (٥/ ٥٠٠) ط. «دَارَةِ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيزِ».

سُقُطْرَىٰ، وَالمَسَافَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَوْمَانِ وَلَيْلَةٌ[١] فِي البَحْرِ، وَأَهْلُ الجَزِيرَةِ يُؤَدُّونَ القِطْعَةَ لِابْنِ الحَبُوضِيِّ.

* * *

(١) وَهَذَا مِنَ اعْتِقَادَاتِ العَوَامِّ قَدِيمًا، وَقَدْ يُدَّعَىٰ ذَلِكَ لِأُنَاسٍ مُعَيَّنِينَ أَوْ لِأُسْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَلْتَفَّ حَوْلَهَا النَّاسُ حَتَّىٰ تَنَالَ بِذَلِكَ مَا تَنَالُ مِنَ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالمُصَنِّفُ يَنْقُلُ كُلَّ مَا قِيلَ لَهُ.

ذِكْرُ جَزِيرَةِ سُقُطْرَىٰ(١)

يُقَالُ: إِنَّ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ جَمِيعُ هَذِهِ الأَمْكِنَةِ بَحْرًا لَا غَيْرُ، وَكَانَتْ سُقُطْرَىٰ مَا بَيْنَ البَحْرِ وَالبَرِّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ الفَمَ مِنْ مُقَابِلِ الجَبَلِ غَرَّقَ البَحْرُ إِلَىٰ بَابِ المَنْدَبِ مَا بَيْنَ عَدَنَ وَزَبِيدٍ وَوَقَفَ المَاءُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا فُتِحَ بَابُ المَنْدَبِ وَقَفَ أَوَاخِرَ بَحْرِ القُلْزُمِ، وَجَبَلُ سُقُطْرَىٰ صَارَ الآنَ جَزِيرَةً فِي لُجَجِ البَحْرِ، يَصِحُّ دُورُ الجَزِيرَةِ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا.

حَدَّثَنِي الحَامِي قَالَ: يَصِحُّ دُورُهَا ثَمَانِينَ فَرْسَخًا وَنَيِّفٌ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ

---

(١) سُقُطْرَىٰ: جَزِيرَةٌ تَبْعُدُ عَنْ عَدَنَ حَوَالِي (٨٥٠) كِيلُو، وَعَنِ المُكَلَّا (٥٠٠) كِيلُو، وَتَبْلُغُ مِسَاحَتُهَا (٣١٠٠) كِيلُو مِتْرًا مَعَ عَدَدٍ ضَئِيلٍ مِنَ السُّكَّانِ أَغْلَبُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ المَهْرَةِ، وَأَقْصَىٰ طُولِ الجَزِيرَةِ هُوَ (١٣٥) كِيلُو مِتْرًا، وَأَقْصَىٰ عَرْضِهَا (٣٥) كِيلُو مِتْرًا، وَتَتَمَيَّزُ الجَزِيرَةُ بِتَنَوُّعِ نَبَاتَاتِهَا وَطُيُورِهَا وَحَيَوَانَاتِهَا حَيْثُ تُعْتَبَرُ مَوْطِنًا لِأَعْجَبِ وَأَغْرَبِ النَّبَاتَاتِ فِي العَالَمِ، كَمَا أَنَّ المُرْتَفَعَاتِ الجَبَلِيَّةَ البَارِدَةَ مُثْقَلَةٌ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَشْجَارِ النَّادِرَةِ عَالَمِيًّا، وَالَّتِي أَبْرَزُهَا «دَمُ الأَخَوَيْنِ» الَّتِي لَا تُوجَدُ سِوَىٰ فِي هَذِهِ الجَزِيرَةِ، وَلِزِيَادَةِ مَعْلُومَاتٍ عَنْهَا يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٧٩٧)، وَ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ فِي شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالعِرَاقِ وَجَنُوبِ الأُرْدُنِّ وَسَيْنَاءَ» (٤/ ٣٩٨) ط.«دَارَةِ المَلِكِ عَبْدِ العَزِيزِ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الجَزِيرَةَ الهَمْدَانِيُّ المُتَوَفَّىٰ قَبْلَ أَلْفِ عَامٍ فِي كِتَابِهِ «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٣-٩٤)، وَلَمْ تَجِدْ هَذِهِ الجَزِيرَةُ -بِالرَّغْمِ مِمَّا فِيهَا- عِنَايَةً لَا هِيَ وَلَا أَهْلُهَا، وَلَكِنْ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ يُصْنَعَ بِجَوْهَرَةٍ فِي يَدِّ فَحَّامٍ، وَانْظُرْ مُلْحَقَ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٨).

هَذِهِ البِحَارِ أَكْبَرُ مِنْهَا جَزِيرَةً وَلَا أَطْيَبُ مِنْهَا، وَهِيَ ذَاتُ نَخْلٍ وَبَسَاتِينَ وَزُرُوعِ ذُرَةٍ وَحِنْطَةٍ، وَبِهَا إِبِلٌ وَبَقَرٌ وَضَأْنٌ أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، وَفِيهَا مِيَاهٌ سَائِحَةٌ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، وَهُوَ عَذْبٌ فُرَاتٌ، وَهُوَ خَلِيجٌ كَبِيرٌ يَنْبُعُ أَوَّلُهُ مِنَ الجِبَالِ، طَوِيلٌ عَرِيضٌ، وَيَغْلِبُ مَا فَضَلَ مِنْهُ البَحْرَ، ذَاتُ أَسْمَاكٍ، وَيَطْلُعُ مِنْهُ شَجَرُ الصَّبِرِ السُّقُطْرِيِّ(١) وَدَمُ الأَخَوَيْنِ(٢)، وَيُوجَدُ فِي سَوَاحِلِهَا العَنْبَرُ الكَثِيرُ.

وَسُكَّانُهَا قَوْمٌ نَصَارَىٰ سَحَرَةٌ، وَمِنْ جُمْلَةِ سِحْرِهِمْ أَنَّ سَيْفَ الإِسْلَامِ جَهَّزَ إِلَىٰ الجَزِيرَةِ، وَالأَصَحُّ سَيْفُ الدِّينِ سُنْقُرُ، مَوْلَىٰ إِسْمَاعِيلَ بْنِ طُغْتِكِينَ، خَمْسَ شَوَانٍ لِيَأْخُذُوا الجَزِيرَةَ، فَلَمَّا قَرِبُوا القَوْمُ مِنَ الجَزِيرَةِ انْطَمَسَتِ الجَزِيرَةُ عَنْ أَعْيُنِ القَوْمِ وَصَارُوا صَاعِدِينَ مُنْحَدِرِينَ طَالِعِينَ وَنَازِلِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا أَيَّامًا وَلَيَالِيَ، فَلَمْ يَجِدُوا لِلْجَزِيرَةِ حِسًّا وَلَا وَقَعُوا لِلْجَزِيرَةِ عَلَىٰ خَبَرٍ، فَرُدُّوا رَاجِعِينَ، وَيُقَالُ: إِنَّ الرُّومَ المَلَاعِينَ تَكْتُبُ فِي كُتُبِهَا عَنِ الجَزِيرَةِ -يَعْنِي سُقُطْرَىٰ-: الجَزِيرَةُ المَحْرُوسَةُ بِأَرْضِ العَرَبِ.

* * *

(١) وَالصَّبِرُ السُّقُطْرِيُّ: يُعَدُّ مِنْ أَجْوَدِ أَنْوَاعِ الصَّبِرِ.

(٢) وَهَذَا الِاسْمُ يُعْتَبَرُ قَدِيمًا لِهَذِهِ الأَشْجَارِ، فَقَدْ ذَكَرَهُ الهَمْدَانِيُّ بِهَذَا فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٤) قَبْلَ أَلْفِ عَامٍ. قَالَ: وَبِهَا نَخْلٌ، وَيَسْقُطُ إِلَيْهَا العَنْبَرُ، وَبِهَا دَمُ الأَخَوَيْنِ، وَهُوَ «الأَيْدَعُ» وَالصَّبِرُ الكَثِيرُ.

ذِكْرُ السَّبْعَةِ الطُّيُورِ

قَدْ ذَكَرَ مُؤَلِّفُ كِتَابِ «الرّهمَانج»(١) أَنَّهُ إِذَا شَاهَدَ مُسَافِرٌ فِي هَذَا البَحْرِ سَبْعَةَ طُيُورٍ فِي لُجَجِ البِحَارِ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ سُقُطْرَىٰ، وَكُلُّ مَنْ جَازَ وَيَجُوزُ هَذَا البَحْرَ وَقَطَعَ جَزِيرَةَ سُقُطْرَىٰ يَرَىٰ السَّبْعَةَ الطُّيُورَ لَيْلًا وَنَهَارًا صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَمِنْ أَيِّ صَوْبٍ أَقْبَلَ المَرَاكِبُ تَسْتَقْبِلُهُ الطُّيُورُ، وَلَمْ يَجِدْهُمْ أَحَدٌ مُسْتَدْبِرِينَ، وَهَذَا دَائِمٌ، وَلَمْ يَتَوَهَّمْ أَحَدٌ لَا ثَمَانِيَةَ وَلَا تِسْعَةَ وَلَا سِتَّةَ طُيُورٍ، بَلْ سَبْعَةٌ كَامِلَةٌ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ العَجَائِبِ، وَكَمْ قَدْ فَكَّرَتِ العُلَمَاءُ فِيهِمْ فَلَمْ يُوجَدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا الحِكْمَةُ فِيهِمْ وَلَا كَيْفَ قِصَّتُهُمْ وَنَعْتُهُمْ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: سَافَرْتُ مِنَ الدُّيْبُولِ إِلَىٰ عَدَنَ فِي مَرْكَبِ النَّاخُوذَا خَوَاجَة نَجِيبِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ أَبِي القَاسِمِ البَغَوِيِّ شَرِكَةِ(٢) الشَّيْخ عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ أَبِي الفَرَجِ البَغْدَادِيِّ آخِرَ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَرَأَيْتُ الطُّيُورَ السَّبْعَةَ فِي لُجَّةِ البَحْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا رَأَيْنَا الجَزِيرَةَ، وَفِي الجَزِيرَةِ أَرْبَعُ مُدُنٍ كِبَارٍ مِنْهُ السُّوقُ(٣)

---

(١) الرّهمَانج فِي اللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ يَعْنِي: كِتَابَ الطَّرِيقِ، وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ إِرْشَادَاتٌ لِلسُّفُنِ إِلَىٰ الطُّرُقِ السَّلِيمَةِ، فَهُوَ يُعْتَبَرُ دَلِيلَ مِلَاحَةٍ كَمَا فِي «مَوْسُوعَةِ وَيْكِيبِيدْيَا».

(٢) أَيْ: مَعَ الشَّيْخِ عَبْدِ الغَنِيِّ مِمَّنْ كَانَ مُشَارِكًا لَهُمْ فِي هَذِهِ السَّفْرَةِ.

(٣) وَهَذَا السَّوْقُ قَدِيمٌ، فَقَدْ ذَكره الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩٤) فَقَالَ فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ =

وَفَاتِكُ وَمُورِي وَمَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَىٰ قَرْيَةٌ مَا شَاءَ اللهُ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ وَالجَبَلُ مُسْتَدِيرٌ حَوْلَهُ، وَقَدْ صَعِدَ ذِرْوَةُ الجَبَلِ إِلَىٰ الأُفُقِ، وَقَدْ سَكَنَ الجَبَلَ قَوْمٌ جِبَالِيَةٌ عُصَاةٌ عَلَىٰ أَهْلِ الوِطَاءِ، وَهِيَ ذَاتُ مَزَارِعَ وَعَمَائِرَ وَمُدُنٍ وَقُرًى لَمْ يَعْرِفُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَدْ عَلَّقَ كُلٌّ فِي عُنُقِهِ صَلِيبًا كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِهِ.

وَفِي أَطْرَافِ الجَزِيرَةِ سَوَاحِلُ كَثِيرَةٌ مِثْلُ بَنْدَرِ مُوسَىٰ، وَرَأْس مَا فِي سُقُطْرَىٰ، وَغَايَةُ مَعَاشِ أَهْلِ هَذِهِ السَّوَاحِلِ مَعَ السُّرَّاقِ؛ لِأَنَّ السُّرَّاقَ يَنْزِلُونَ عِنْدَهُمْ وَيُقِيمُونَ عِنْدَهُمْ مُدَّةَ سِتَّةِ شُهُورٍ يَبِيعُونَ عَلَيْهِمُ الكَسْبَ وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُجَامِعُونَ نِسَاءَهُمْ(١)، وَهُمْ قَوْمٌ جُلْحٌ قَوَّادُونَ وَعَجَائِزُهُمْ أَقْوَدُ مِنْ رِجَالِهِمْ، وَفِي رِجَالِهِمْ مَنْ أَقْوَدُ مِنْ أَسْوَدَ فِي رَأْسِ جَمَلٍ هَائِجٍ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

عَجُوزٌ لَوْ رُمِيَتْ فِي قَعْرِ بَحْرٍ ... أَتَتْ لِلْبَرِّ قَائِدَةً لِحُوتِ
تَقُودُ مِنَ السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَغْلٍ ... إِذَا جُرُّوا بِخَيْطِ العَنْكَبُوتِ(٢)

وَهَذِهِ صِفَةُ جَزِيرَةِ سُقُطْرَىٰ وَالبَحْرِ وَالمَرْكَبِ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:

=

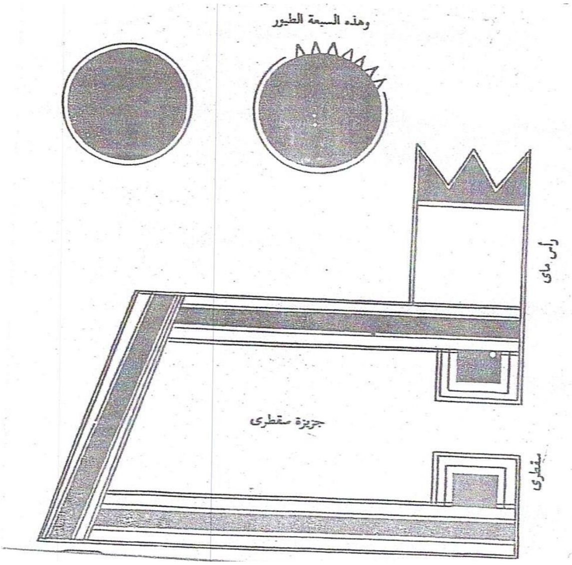
عَنْ «سُقُطْرَىٰ»: وَبِهَا مَسْجِدٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: السُّوقُ، وَعَلَّقَ عَلَىٰ ذَلِكَ مُحَقِّقُ الكِتَابِ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ بِقَوْلِهِ: مَوْضِعُ السُّوقِ وَمَسْجِدُهُ لَا يَزَالَانِ مَعْرُوفَيْنِ، كَمَا حَدَّثَنِي الأَخُ الفَاضِلُ عَبْدُ اللهِ بَامُطرف.

(١) وَإِنْ كَانَ القَوْمُ كَمَا قَالَ أَهْلَ صُلْبَانٍ، لَكِنِ اللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ.

(٢) البَيْتُ الثَّانِي وَجَدْتُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ هَكَذَا:

يَقُودُ مِنَ الفَرَاهَةِ أَلْفَ بَغْلٍ ... بِهَا حَرَنٌ بِخَيْطِ العَنْكَبُوت

كَمَا فِي «التَّذْكِرَةُ الحَمْدُونِيَّةِ» (٩/ ٣٩٨) لِبَهَاءِ الدِّينِ البَغْدَادِيِّ، أَمَّا البَيْتُ الأَوَّلُ فَلَعَلَّهُ مِنْ إِنْشَاءِ المُصَنِّفِ.



وَهَذَا جَانِبُ المَطْلَعِ مِنْ جَزِيرَةِ سُقُطْرَىٰ، وَهَذِهِ صُورَةٌ تَرَاهَا إِذَا كُنْتَ فِي أَوْسَطِهَا وَحَاذَيْتَهَا، وَأَمَّا إِذَا تُدْنِيهَا مِنَ البَحْرِ فَرُبَّمَا تَتَغَيَّرُ هَذِهِ الصُّورَةُ وَتَرَاهَا عَلَىٰ صِفَةٍ أُخْرَىٰ.

❊ ❊ ❊

مِنَ المَنْصُورَةِ إِلَى رَيْسُوت[١]

ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَتَعْبُرُ جَبَلَ رَأْسِ الحِمَارِ آخِرَ غِبِّ القَمَرِ[٢]، وَأَمَّا رَيْسُوتُ فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً وَكَانَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَيْهَا طَرِيقٌ مُطْبَقٌ مُجَصَّصٌ بِالجَصِّ وَالنُّورَةِ، وَكَانَتِ القَوَافِلُ صَاعِدَةً بِالبَرْبَهَارِ أَوِ الخُفِّ مُنْحَدِرَةً بِالبَضَائِعِ الَّتِي تَدْخُلُ الهِنْدَ مِثْلَ الصُّفْرِ وَالزُّنْجُفْرِ[٣] وَالمَاوَرْدِ وَالفِضَّةِ وَمَا يُشَابِهُ ذَلِكَ، وَخَرِبَتْ مِنْ طُولِ المَدَىٰ.

وَإِلَىٰ دخان ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حَارِبٍ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ مراوة ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حلقات أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَتَعْبُرُ جَبَلَ فَرْتَك أَوَّلَ مُبْتَدَأِ غِبِّ القَمَرِ، وَهُوَ مَنْدَخُ[٤]

---

(١) رَيْسُوتُ: ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩١) وَقَالَ: بَيْنَ عُمَانَ وَعَدَنَ. وَقَدْ عَلَّقَ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَكْوَعُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: هِيَ اليَوْمَ لَابِسَةٌ ثَوْبَ العَزَاءِ عَلَىٰ مَاضِيهَا الزَّاهِرِ، مُتَشَعِّثَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يُلْفِتُ المُسَافِرَ، ذَكَرَهَا صَاحِبُ كِتَابِ «الطَّوَافُ حَوْلَ بَحْرِ أَرِتيرِيَا» المُؤَرِّخُ اليُونَانِيُّ فِي القَرْنِ الأَوَّلِ لِلْمِيلَادِ، وَكَانَ لَهَا شَأْنٌ فِي ذَلِكَ التَّارِيخِ، كَمَا كَانَتْ مَحَطَّ أَنْظَارِ الغُزَاةِ البُرْتُغَالِيِّينَ فِي أَوَاسِطِ القَرْنِ العَاشِرِ الهِجْرِيِّ، وَوَرَدَ ذِكْرُهَا فِي الحَمْلَةِ الَّتِي جَهَّزَهَا المَلِكُ المُظَفَّرُ الغَسَّانِيُّ إِلَىٰ ظَفَارِ الحَبُوضِيُّ سَنَةَ (٧٦٨هـ)، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ مَا كَتَبَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ فِي «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ» (ص٧٢).

(٢) يُنْظَرُ: «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ» (ص٧٤).

(٣) هُوَ مَسْحُوقٌ ذُو لَوْنٍ أَحْمَرَ، نَاصِعٌ مَائِلٌ إِلَىٰ الصُّفْرَةِ، يُسْتَخْدَمُ فِي صِبَاغَةِ الأَقْمِشَةِ وَالمَنْسُوجَاتِ.

(٤) تَقَدَّمَ أَنَّ الجَمْعَ مَنَادِخُ وَمَنَاتِخُ، وَهِيَ: رَأْسٌ بَارِزٌ فِي البَحْرِ أَوْ جَبَلٌ أَوْ جَزِيرَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ.

المَرَاكِبِ المُقْبِلَةِ مِنَ الهِنْدِ، وَإِلَىٰ الحصوينِ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ خيريج سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَبِهَذِهِ الأَرَاضِي سَبْعُ قُرَىٰ مَقْلُوبَةٌ وَتُسَمَّىٰ عِنْدَ الفُرْسِ هوسكان، أَيْ مَنْكُورِينَ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الحَمَامِيُّ الوَاسِطِيُّ قَالَ: مَا بَيْنَ الشِّحْرِ وَأَحْوَرَ سَبْعُ قَرِيَاتٍ سُودٍ، أَيْ سَبْعُ قُرَىٰ مُسْوَدَّةُ الأَرْضِ، قَلَبَ اللهُ ﷻ بِهَا، وَهِيَ مِنْ قُرَىٰ قَوْمِ عَادٍ.

وَإِلَىٰ الرَّيْدَاءِ[(١)] سَبْعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ الشِّحْرِ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ مَرْسَىٰ طيب بِأَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ، وَإِلَىٰ الشُّحَيْرِ[(٢)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المُكْلَا فَرْسَخٌ، وَإِلَىٰ بِلْيٍ[(٣)] سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ نِسْعَ خَمْسة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ حِصْنِ الغُرَابِ[(٤)] أَرْبَعة فَرَاسِخَ حِصْنِ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا اليَهُودِيِّ، وَإِلَىٰ مِجْدَاحَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ

---

(١) وَلَعَلَّهُ الرَّيْدَةُ، يُنْظَرُ: «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ» (ص٢٢٩).

(٢) الشُّحَيْر: بِالتَّصْغِيرِ، وَهِيَ عَلَىٰ مَقْرُبَةٍ مِنْ سَاحِلِ حَضْرَمَوْتَ وَهِيَ مَنْطِقَةٌ أَثَرِيَّةٌ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٨٥٤).

(٣) بِلْيٌ: بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ، وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ دَوْعَنَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ١٩٥).

(٤) حِصْنُ الغُرَابِ: هُوَ فِي بِيرِ عَلِيٍّ وَكَانَ أَحَدَ مَرَائِي حَضْرَمَوْتَ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ بِالحِجَارَةِ المَنْحُوتَةِ يَبْلُغُ بَعْضُ أَحْجَارِهِ أَرْبَعَةَ أَذْرُعٍ وَسِتَّةَ أَذْرُعٍ عَلَىٰ قِمَّةِ جَبَلٍ يُحِيطُ بِهِ البَحْرُ مِنَ الجِهَاتِ الثَّلَاثِ عَلَىٰ عُمْقٍ غَزِيرٍ يُمْكِنُ لِكُبْرَيَاتِ البَوَاخِرِ أَنْ تَرْسُوَ بِقُرْبِهِ، وَلَيْسَ لَهُ طُرُقٌ مِنَ البَرِّ إِلَّا مِنْ جِهَةِ شَمَالِهِ فَقَطْ، وَهُوَ حِصْنٌ مَنِيعٌ بَاقِيَةٌ آثَارُهُ، وَحَوَالَيْهِ كِتَابَاتٌ بِالمُسْنَدِ يَظْهَرُ أَنَّهَا تَعْرِيفٌ بِهِ وَبِأَهْلِهِ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «إِدَامُ القُوتِ فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ» (ص٧١)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٧٩).

الحَوْرَاءِ[(١)] ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ أَحْوَرَ[(٢)] ثَمَانية فَرَاسِخ، وَإِلَىٰ أَبْيَنَ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ لَحْج أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ عَدَنَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخ.

* * *

(١) الحَوْرَاءُ: المَعْرُوفُ وَالمَشْهُورُ وَمَا ذَكَرَهُ المُؤَرِّخُونَ: حَوْرَهْ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «قُوتُ القُلُوبِ» (ص٤٣٧).

(٢) أَحْوَرُ: مُدِيرِيَّةٌ مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ أَبْيَنَ بَيْنَ شُقُرُهْ وَوَادِي مَيْفَعَهْ، وَهِيَ تَحْتَلُّ مَوْقِعًا إِنْتَاجِيًّا رَائِدًا مُتَمَثِّلًا بِثَرْوَتِهَا الزِّرَاعِيَّةِ وَالسَّمَكِيَّةِ وَالحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّحْلِيَّةِ، يُنْظَرُ لِذَلِكَ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ» (١/ ٣٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٠٢).

مِنَ المَنْصُورَةِ إِلَى قَلْهَات[١]

مِنَ المَنْصُورَةِ إِلَىٰ مِرْبَاطَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، بِنَاءُ الفُرْسِ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا بُنِيَ وَاشْتُقَّ الِاسْمُ مِرْبَاطُ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَرَابِطَ الخَيْلِ الَّتِي لِلْفُرْسِ مِنْ أَهْلِ سِيرَافَ.

وَآخِرُ مَنْ تَوَلَّىٰ بِهَا مِنْ نَسْلِ الفُرْسِ أَوْلَاد منجو، وَخُرِّبَتْ عَلَىٰ يَدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَزْرُوعٍ الحَبُوضِيِّ.

وَإِلَىٰ أَرْحُوبَ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ كَنْكرِي أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ النّوسِ ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَتُعْبَرُ بِجِبَالٍ عَوَالٍ، وَإِلَىٰ حَاسكَ[٢] فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ كَنْكرِي أَرْبَعة فَرَاسِخَ مُحَاذَاةَ خُوريانَ وَمُوريَانَ، وَهُمَا جَزِيرَتَانِ فِي لُجَجِ البَحْرِ.

وَإِلَىٰ مُدْرَكَةَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ المَصِيرَةِ[٣] أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَتُعْبَرُ غُبَّة

---

(١) قَلْهَاتُ: مَدِينَةٌ بِعُمَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٣٩٣) لِلْحَمَوِيِّ.

(٢) حَاسكُ: ذَكَرَهَا الهَمْدَانِيُّ فِي «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ» (ص٩١)، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ ظَفَارِ إِلَىٰ جِهَةِ عُمَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَانَ مَرْحَلَتَانِ، كَمَا فِي حَاشِيَةِ الكِتَابِ نَقَلَهُ المُؤَرِّخُ الأَكْوَعُ عَنْ كِتَابِ «تَارِيخِ الأَهْدَلِ»، وَأَمَّا «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٩٥) فَإِنَّ فِيهِ: «جَاسكُ» بِالجِيمِ، قَالَ الأَكْوَعُ: وَلَعَلَّ مَا فِي يَاقُوت تَصَحَّفَ أَوْ هُوَ غَيْرُ مَا جَاءَ هُنَا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٢).

(٣) المَصِيرَةُ: جَزِيرَةٌ ضَخْمَةٌ فِي «بَحْرِ عُمَانَ» فِيهَا عِدَّةُ قُرًىٰ. «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ أَسْمَاءِ الأَمْكِنَةِ وَالبِقَاعِ» (٣/ ١٢٨٠)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٣).

الحَشِيشِ، وَأَهْلُ هَذِهِ الجَزِيرَةِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ: المَهْرَةُ(١)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

(١) المَهْرَةُ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ تَنْتَمِي إِلَىٰ قُضَاعَةَ مِنْ حِمْيَرٍ، وَهُوَ عِنْدَ النَّسَّابَةِ، مَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرِ بْنِ سَبَأٍ، وَيُطْلَقُ اسْمُ القَبِيلَةِ عَلَىٰ «مُحَافَظَةِ المَهْرَةِ»، وَتَقَعُ فِي الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ اليَمَنِ عَلَىٰ طُولِ الأَرْضِ المُوَازِيَةِ لِلْبَحْرِ العَرَبِيِّ فِيمَا بَيْنَ حَضْرَمَوْتَ وَعُمَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ» (٢/ ١٦٧٤).

ذِكْرُ نِسْبَةِ المَهْرِيَّةِ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّاعِي[١] فِي المَفَالِيسِ[٢]، حَدَّثَنِي فِهْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَاشِدٍ، وَهُوَ سُلْطَانُ حَضْرَمَوْتَ قَالَ: إِنَّ أَصْلَ المَهْرِيَّةِ مِنْ قَرْيَةِ الدَّبَادِبِ[٣] لَمْ تَجْرِ فِيهِ صَلَاةٌ، لِأَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعَثَ بِجَيْشٍ إِلَىٰ هَذِهِ الأَعْمَالِ فَعَصَتْ أَهْلُ هَذِهِ القَرْيَةِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا انْتَصَرُوا عَلَىٰ أَهْلِ القَرْيَةِ رَكَّبُوا السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِهَا، فَلَا زَالُوا يَقْتُلُونَ فِيهِمْ إِلَىٰ أَنْ جَمُدَ الدَّمُ فِيهِمْ قَدْرَ قَامَةٍ[٤]، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ القَوْمِ إِلَّا قَدْرُ ثَلَاثِمِائَةِ بِنْتٍ بِكْرٍ مُخَلْخَلَاتٍ مُدَمْلَجَاتٍ مُلبسَاتٍ، فَتَعَلقوا بِجَبَلٍ مُقَابِلٍ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَهْلُ الجَبَلِ ذَلِكَ أَمْهَرُوهُنَّ وَتَزَوَّجُوهُنَّ فَجَاءَ مِنْ نَسْلِهِمُ المَهْرَةُ[٥].

---

(١) كَذَا هُنَا السَّاعِي، وَتَقَدَّمَ تَحْتَ عُنْوَانِ «صِفَةُ قَرْنِ أَبَا إِبْرَاهِيمَ»: «السِّبَاعِي» بِالبَاءِ بَعْدَ السِّينِ، وَلَعَلَّهُ الأَقْرَبُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٣) لَمْ أَقِفْ عَلَىٰ هَذَا الِاسْمِ.

(٤) أَيْ: قَامَةِ الإِنْسَانِ وَهِيَ طُولُهُ.

(٥) المُصَنِّفُ مُغْرَمٌ بِنَقْلِ الغَرَائِبِ، وَلِهَذَا يُنْظَرُ مَا حَصَلَ مِنْ رِدَّةٍ مِنْ أَهْلِ المَهْرَةِ وَمَا حَصَلَ مِنَ القِتَالِ فِي «تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» (٣/ ٣١٦)، وَ«البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٩/ ٤٨٢)، وَتَقَدَّمَ قَبْلَ قَلِيلٍ نَسَبُ المَهْرِيِّينَ المُعْتَمَدُ عِنْدَ النَّسَّابَةِ.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الوَاسِطِيُّ قَالَ: إِنَّ أَصْلَ المَهْرَةِ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ عَادٍ، فَلَمَّا أَهْلَكَ اللهُ تِلْكَ الأُمَمَ نَجَا هَؤُلَاءِ القَوْمُ فَسَكَنُوا جِبَالَ ظَفَارٍ وَجَزِيرَةَ سُقُطْرَىٰ وَجَزِيرَةَ المَصِيرَةِ، وَهُمْ قَوْمٌ طِوَالٌ حِسَانٌ لَهُمْ لُغَةٌ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ[١] وَلَمْ يَفْهَمْهَا إِلَّا هُمْ، وَيُسَمُّونَهُمُ السَّحَرَةَ، وَمَا اشْتُقَّ اسْمُ السَّحَرَةِ إِلَّا مِنَ السِّحْرِ؛ لِأَنَّ فِيهِمُ الجَهْلَ وَالعَقْلَ وَمِنَ الجُنُونِ، يَأْكُلُونَ نِعَمَ اللهِ بِلَا حَمْدٍ وَلَا شُكْرٍ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَهُمْ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ يُشْبِهُونَ الدَّوَابَّ سَائِرِينَ مِلْءَ تِلْكَ السُّهُولِ شِبْهَ السُّيُولِ وَالجِبَالِ شِبْهَ الخَيَالِ، وَفِيهِمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كَمْ تُوعَظُونَ وَلَا تُغْنِي مَوَاعِظُكُمْ ... فَالبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ

أَرَاكُمُ صُوَرَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمُ ... نَاسٌ وَلَكِنَّكُمْ فِي فِعْلِكُم بَقَرُ

لَوْ كُنْتُمْ بَشَرًا كَانَتْ تُنَهْنِهُكُمْ ... نَوَائِبُ الدَّهْرِ إِلَّا أَنَّكُمْ حُمُرُ

وَإِلَىٰ دَرْبِ جَعْلَانَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ صُورَ[٢] أَرْبَعَة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ العَاتِبِ فَرْسَخَانِ، وَإِلَىٰ قَلْهَاتَ فَرْسَخَانِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) وَهَذِهِ اللُّغَةُ يَتَحَدَّثُ بِهَا أَصْحَابُهَا إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا.

(٢) يُنْظَرُ لـ«دَرْبِ جَعْلَانَ» وَ«صُور» كِتَابُ «مَدِينَةُ صُورٍ العُمَانِيَّةِ المَاضِي وَالحَاضِرُ وَالثَّقَافَةُ» لِلدُّكْتُور أَحْمَدَ الجَوَارِنَةِ.

بِنَاءُ قَلْهَات

أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ السَّاحِلَ بِقَلْهَاتَ الصَّيَّادُونَ، قَوْمٌ ضُعُفٌ يَتَرَزَّقُونَ اللهَ، فَلَمَّا طَالَ مُقَامُ القَوْمِ طَابَ لَهُمْ وَالْتَأَمَ إِلَيْهِمْ بِمُقَامِهِمْ خَلْقٌ يَسْتَأْنِسُونَ بِهِمْ، فَكَثُرُوا وَازْدَادُوا إِلَىٰ أَنْ سَكَنَ فِي جُمْلَةِ الصَّيَّادِينَ شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِ العَرَبِ وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ فَهْمٍ، وَكَانَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَىٰ عَمَلِ البَلَدِ يَقِفُ عَلَىٰ السَّاحِلِ، فَأَيُّ مَرْكَبٍ يَرَاهُ يُقْلِعُ فِي البَحْرِ يُنَادِي لِأَصْحَابِهِ: قُلْ هَات! أَيْ: قُلْ لَهُمْ فِي دُخُولِ البَلَدِ، يَعْنِي لِأَهْلِ المَرْكَبِ، فَسُمِّيَ البَلَدُ قَلْهَات.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الوَاسِطِيُّ قَالَ: إِنَّمَا كَانَتْ تُسَمَّىٰ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ هَاتْ قُلْ، قُلْتُ: وَلِمَ سُمِّيَ بِهَذَا الاِسْمِ؟ قَالَ: لَمَّا هَرَبَ القَوْمُ مِنْ وَقْعَةِ النَّهْرَيْنِ[1] نَزَلُوا بِهَذَا السَّاحِلِ كَانُوا يَقُولُونَ لِخُدَّامِهِمْ: هَات! يَعْنُونَ بِهِ الزَّادَ، وَهُوَ زَاد صَحبهمْ مِنَ العِرَاقِ، فَلَمَّا قَلَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَالَ أَحَدُهُمْ لِخَادِمِهِ: هَاتِ! فَرَدَّ عَلَيْهِ الغُلَامُ: قَلَّ، فَسُمِّيَ البَلَدُ هَات قَلْ، فَلَمَّا دَارَ الدَّهْرُ دَارَ الاِسْمُ مَعَ دَوَرَانِ الزَّمَانِ قَلْهَاتُ.

---

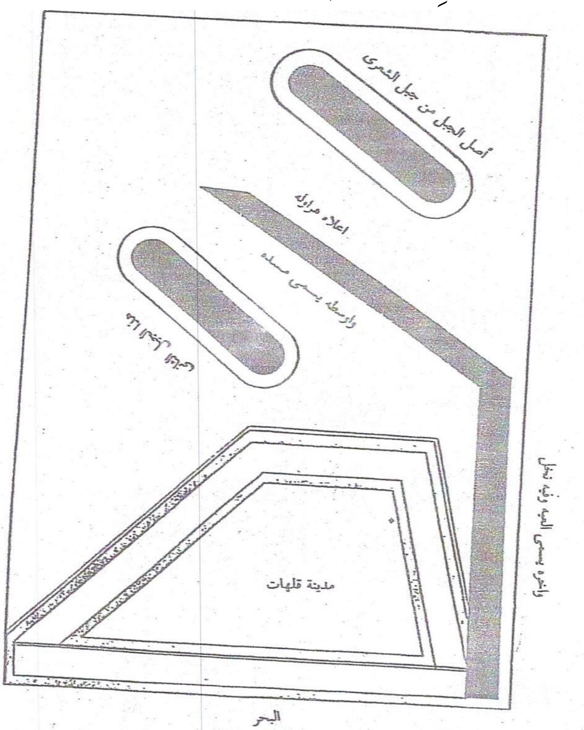
(١) أَيْ: النَّهْرَوَانِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الوَقْعَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبَيْنَ الخَوَارِجِ، وَالنَّهْرَوَانُ هِيَ مَنْطِقَةٌ بَيْنَ «بَغْدَادَ» وَ«وَاسِطٍ».

وَعُمِّرَ المَكَانُ بِمُقَامِ الشَّيْخِ مَالِكٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَ عَلَيْهِ سُورًا مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَعَدَلَ فِيهَا، وَدَخَلَتْهَا المَرَاكِبُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَخَوْرٍ وَسَائِرِ الجِهَاتِ تَأْتِي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَصَارَتْ ذَاتَ عِظَمٍ وَمَهَابَةٍ.

فَصْلٌ: وَجَدَ زَيْدٌ عَمْرًا يَمْشِي إِلَىٰ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَمْشِي مَقْلُوبًا؟ قَالَ: لِانْقِلَابِ الزَّمَانِ نُوَافِقُهُ عَلَىٰ فِعْلِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

كَانَ فِي الغَادِينَ لِي سَكَنُ	**فَنَأَىٰ فَاغْتَالَهُ الزَّمَنُ**
خَلَّفَ الغَادُونَ لِي حَزَنًا	**وَلَبِئْسَ الصَّاحِبُ الحَزَنُ**

وَهُوَ عَلَىٰ هَذَا الوَضْعِ وَالتَّرْتِيبِ:



ذِكْرُ جَبَلِ السَّعْتَرِيِّ

جَبَلٌ عَنِ البَلَدِ مِقْدَارُ فَرْسَخٍ، وَطَرِيقُهُ ذَاتُ طُولٍ وَعَرْضٍ وَسَعَةٍ فِي ارْتِفَاعٍ وَانْحِطَاطٍ، وَكُلُّ مَا يَطْلُعُ فِيهِ السَّعْتَرُ[١] مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَعَلَىٰ ذِرْوَةِ هَذَا الجَبَلِ نَجْرُ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الغَنِيِّ بْنُ أَبِي الفَرَجِ البَغْدَادِيُّ قَالَ: هُوَ نَجْرُ حَدِيدٍ يَصِحُّ مِقْدَارُ بَيْتٍ كَبِيرٍ، وَكَانَ العَقِبُ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا أُرْسِيَ السَّفِينَةُ عَلَىٰ هَذَا الجَبَلِ، لِأَنَّ مَاءَ الطُّوفَانِ كَانَ قَدْ عَلَا عَلَىٰ جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِقْدَارَ سَبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا أُرْمِيَ الأَنْجَرُ[٢]، تَعَلَّقَ الأَنْجَرُ فِي حَجَرٍ مِنَ الجَبَلِ وَأَبَىٰ أَنْ يَصْعَدَ مَعَهُمْ وَغَمَرَ الرِّيحُ قَطَعَتِ السَّفِينَةَ الأَنْجَرِيَّةَ وَبَقِيَ الأَنْجَرُ، وَالأَنْجَرِيَّةُ مَوْضِعُهُ يُزَارُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فَاضِلٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

* * *

(١) السَّعْتَرُ: عُشْبَةٌ تُسْتَخْدَمُ لِأَغْرَاضِ الطَّهْيِ وَالطِّبِّ. «مَوْسُوعَةُ وِيكِيبِيدْيَا».

(٢) الأَنْجَرُ: هُوَ الحَدِيدَةُ الَّتِي تُرْبَطُ بِهَا السُّفُنُ.

ذِكْرُ الإِبَاضِيَّةِ(١)

أَصْلُ القَوْمِ مِنْ وَلَدِ الرَّجُلِ الَّذِي أَقَرَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالإِلَهِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**يَا عَلِيُّ، يَهْلِكُ فِيكَ طَائِفَتَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ**»(٢).

وَأَوَّلُ مَنْ نَسَبَ الإِلَهِيَّةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَبُو الثَّدْيَانِ(٣) فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: كُفَّ عَنِ المَقَالَةِ وَاشْتَغِلْ عَنِ البَطَالَةِ، فَإِنِّي آكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ وَأَنْكِحُ، وَمَنْ تَتَّسِمْ فِيهِ هَذِهِ الخِصَالُ حَاشَا أَنْ يُعْبَدَ، لِأَنَّ الإِلَهَ -عَزَّ اسْمُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ- مُتَعَالٍ مُنَزَّهٌ صِفَاتُهُ عَنِ الذَّاتِ وَاللَّذَاتِ(٤)، فَكَيْفَ عَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأَكْلِ

---

(١) يُنْظَرُ: «الفِصَلُ فِي المِلَلِ وَالأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ» (٣/ ١٢٤)، وَ«الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ» (ص١٠٨).

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ مَرْفُوعًا، وَلَكِنْ وَجَدْتُهُ مَوْقُوفًا عَلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُفْرِطٌ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ» رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (٢/ ٧٠٥) بِرَقْمِ (٩٦٤)، وَحَسَّنَهُ مُحَقِّقُهُ شَيْخُنَا الدُّكْتُورُ وَصِيُّ اللهِ بْنُ مُحَمَّد عَبَّاس حَفِظَهُ الله، وَبِنَحْوِهِ فِي «المُسْنَدِ» (١/ ١٦٠).

(٣) الَّذِي وَرَدَ أَنَّهُ ذُو الثُّدَيَّةِ، كَمَا عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ (٤٧٧٠)، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ عِنْدَهُ حَلَمَةً مِثْلَ حَلَمَةِ الثَّدِيِّ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (١٠٦٦) (١٥٦)، وَلَمَّا قَاتَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخَوَارِجَ طَلَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ القِتَالِ أَنْ يَبْحَثُوا عَنْهُ فِي المَعْرَكَةِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْحَثُ عَنْهُ فَوَجَدُوهُ مَقْتُولًا، فَكَبَّرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَهَذَا عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي الرَّقْمِ المُشَارِ إِلَيْهِ.

(٤) أَيْ: أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ ذَوَاتِ وَصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ. فَلِلَّهِ ذَاتٌ وَلَهُ صِفَاتٌ، وَلَيْسَتْ كَذَاتِ وَصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ، آيَة: ١١] فَقَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ صِفَتَيِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَنَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ المُمَاثَلَةَ، وَالقَوْلُ فِي الذَّاتِ أَيْضًا كَالقَوْلِ فِي

وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ، فَلَمَّا انْكَفَّ أَبُو الثَّدْيَانِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الِاعْتِقَادِ شَرَعَ فِي هَذَا المَذْهَبِ بَيْنَ القَوْمِ، وَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ سَكَنُوا أَعْمَالَ البَطَائِحِ وَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الِاعْتِقَادِ إِلَىٰ الآنَ وَيَرَاهَا صِفَةً أُخْرَىٰ.

* * *

=

الصِّفَاتِ، فَنُثْبِتُ للهِ ذَاتًا وَلَكِنَّهَا لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتِ، ذَاتًا تَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ﷻ، إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ، وَهَذَا مَذْهَبٌ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي ذَاتِ رَبِّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ.

مِنَ المَنْصُورَةِ[1] إِلَى عَدَنَ

رَاجِعًا مِنَ المَنْصُورَةِ إِلَىٰ رَيْسُوتَ[2] ثَلَاثَة فَرَاسِخَ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِجَبَلِ رَأْسِ الحِمَارِ اخْتُرِعَتْ، وَحِينَئِذٍ خَرَجَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَصَافَفَ القَوْمَ بِالنَّهْرَيْنِ[3] وَكَسَرَهُمْ وَرَكَّبَ عَلَيْهِمُ السَّيْفَ، وَلَا زَالَ يَقْتُلُ فِيهِمْ إِلَىٰ أَنْ أَفْنَىٰ الجَمِيعَ وَرَدَّ البَغْلَةَ إِلَىٰ القَنْطَرَةِ فَوَقَعَتِ البَغْلَةُ عَلَىٰ نِصْفِ القَنْطَرَةِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: انْظُرُوا مَنْ تَحْتَ القَنْطَرَةِ، فَإِذَا هُمْ بِأَبِي الثَّدْيَيْنِ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَقَالَ: كَيْفَ أَسْلَمُ وَالبَغْلَةُ تَعْلَمُ عِلْمَ الغَيْبِ أَنِّي تَحْتَ القَنْطَرَةِ؟! فَحِينَئِذٍ جَرَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ السَّيْفَ وَضَرَبَ عُنُقَهُ[4]، وَهَرَبَ مَنْ سَلِمَ مِنَ القَوْمِ، وَلَا زَالَ السَّيْفُ يَعْمَلُ فِيهِمْ وَوَرَاءَهُمْ مِنَ الغَيْبِ إِلَىٰ أَنْ عَبَّرَهُمُ البَحْرَ فَسَكَنُوا بِهَذِهِ الأَعْمَالِ، فَبُدِّلَتْ تِلْكَ المَحَبَّةُ بِالبَغْضَاءِ، فَهُمْ فِيهِمْ مُحِبٌّ غَالٍ،

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٣) هِيَ: النَّهْرَوَانُ مَنْطِقَةٌ بَيْنَ بَغْدَادَ وَوَاسِطٍ، وَحَصَلَتْ بِهَا وَقْعَةُ النَّهْرَوَانِ بَيْنَ عَلِيٍّ ﷺ وَالخَوَارِجِ.

(٤) هَذِهِ القِصَّةُ فِيهَا نَكَارَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهَا عِنْدَ غَيْرِ المُصَنِّفِ، وَالثَّابِتُ هُوَ مَا تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَيْهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ قَرِيبًا.

وَالمُبْغِضُ القَالِي هُوَ الهَالِكُ مَا بَيْنَ المَحَبَّةِ وَالبُغْضَةِ. كَمَا قَالَ:

الحُبُّ فِيهِ مَرَارَةٌ وَحَلَاوَةٌ ... وَالحُبُّ فِيهِ شَقَاوَةٌ وَنَعِيمُ

وَقَالَ آخَرُ:

آهٍ مِنْ لَوْعَةِ التَّفَرُّقِ آهٍ ... مَا أَمَرَّ الهَوَىٰ وَمَا أَحْلَاهُ

كَتَبَ الدَّمْعُ فَوْقَ خَدِّي سَطْرًا ... رَحِمَ اللهُ مَنْ دَنَا فَقَرَاهُ

وَيُسَمُّونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﵁ أَبَا تُرَابٍ[(١)]، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ فِي الصِّغَرِ مُؤْمِنًا فَلَمَّا كَبِرَ كَفَرَ، وَيُنْشِدُونَ فِي سَمَاعَاتِهِمْ:

صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمْ ... عَلَىٰ شَهِيدِ ابْنِ مُلْجَم[(٢)]

هَذَا الَّذِي ضَرَبَ الشِّرْكَ ... بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ تَثَلَّم

وَيُنْشِدُونَ بَيْتًا مِنْ قَوْلِ ابْنِ سُكَّرَة:

سُبُّوا عَلِيًّا كَمَا سَبُّوا عَتِيقَكُمُ ... كُفْرٌ بِكُفْرٍ وَإِيمَانٌ بِإِيمَانِ[(٣)]

---

(١) هَذِهِ كُنْيَةٌ وَلَيْسَتِ اسْمًا، وَالَّذِي كَنَّاهُ بِذَلِكَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلِذَلِكَ قِصَّةٌ وَسَبَبٌ يُنْظَرُ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» بِرَقْمِ (٤٤١)، وَ«صَحِيحِ مُسْلِمٍ» بِرَقْمِ (٢٤٠٩).

(٢) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ المُرَادِيُّ قَاتِلُ عَلِيٍّ ﵁، قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (٢/ ٣٧٣): «خَارِجِيٌّ مُفْتَرٍ... وَهُوَ عِنْدَ الخَوَارِجِ مِنْ أَفْضَلِ الأُمَّةِ، وَكَذَلِكَ تُعَظِّمُهُ النُّصَيْرِيَّةُ...».

(٣) وَهَذَا بَاطِلٌ، وَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَإِنَّهُ عِنْدَمَا ذَكَرَ هَذَا البَيْتَ فِي كِتَابِهِ «الصَّارِمُ المَسْلُولُ» (٣/ ٩٢٥) قَالَ: كَمَا قَالَ بَعْضُ الحَمْقَىٰ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: وَعَنْ بَعْضِ الجُهَّالِ، كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَىٰ» (٦/ ٢٦)، فَلَا يُحْسَبُ مَا تَفَوَّهَ بِهِ الجَاهِلُ الأَحْمَقُ عَلَىٰ أَهْلِ الحَقِّ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقِلُّ حُمْقًا وَجَهْلًا عَنْ ذَلِكَ الأَحْمَقِ، فَكَيْفَ يُحَمَّلُ أَهْلُ الحَقِّ جَوْرَ أَهْلِ البَاطِلِ؟!.

عِلْمٌ مَكْنُونٌ وَسِرٌّ مَكْتُومٌ

إِذَا نَزَلُوا(١) المَرَاكِب أَوْ كَوَّرُوهَا لَمْ تَصْعَدِ المَرَاكِبُ وَلَا تَنْحَدِرُ مَعَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ الجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: يَا لَعَلِيُّ! وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَبْقَونَ فِي جَرِّ المَرْكَبِ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّىٰ يَتْعَبُوا وَيَضْجَرُوا فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْكُرُوا ذَلِكَ الرَّجُلَ! يَعْنُونَ بِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢)، فَتَقُولُ المَشَايِخُ: كَوِّرُوا مَرْكَبَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ تُكَوِّرُونَ! وَلَا يَزَالُ القَوْمُ فِي عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَصُدَاعٍ وَكَرْبٍ وَصِيَاحٍ وَشَغَبٍ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ الجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: يَا لَعَلِيُّ! فَيَجْرِي مَعَهُمُ المَرْكَبُ أَهْوَنُ مِنْ شَرْبَةِ مَاءٍ بَارِدٍ إِلَىٰ فَمِ رَجُلٍ عَطْشَانَ فَيَصْبِي المَرْكَبُ وَيَسْبَحُ فِي البَحْرِ وَيَعُومُ، قَالَ القَائِلُ:

عَلَيَّ طِلَابَاتٌ وَأَنْتَ وَسِيلَتِي ... إِلَىٰ اللهِ يَا مَوْلَايَ مُوسَىٰ بْنَ جَعْفَرِ
إِذَا جَاءَكَ المَلْهُوفُ يَطْلُبُ حَاجَةً ... تَيَسَّرَ مِنْ مَأْمُولِهِ كُلُّ مُعْسِرِ(٣)

---

(١) أَيْ: الإِبَاضِيَّةُ.

(٢) وَهَذَا غَايَةٌ فِي الضَّلَالِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، نَسُوا الخَالِقَ الَّذِي بِيَدِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَدَعَوُا المَخْلُوقَ الَّذِي لَيْسَ بِيَدِهِ رَفْعُ الضُّرِّ وَلَا دَفْعُهُ، وَصَدَقَ جَلَّ فِي عُلَاهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: آية ٧٣-٧٤].

(٣) التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ لَا يَكُونُ بِالأَشْخَاصِ، إِنَّمَا يَكُونُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. وَبِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كَمَا فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الغَارِ الَّذِينَ دَخَلُوا الغَارَ فَأَغْلَقَتِ =

وَقَالَ آخَرُ:

لَمَّا تَكَاثَرَ حُسَّادِي وَأَعْدَائِي ... بِغَيْرِ جُرْمٍ جَعَلْتُ اللهَ مَوْلَائِي

وَقَدْ تَمَسَّكْتُ بِالمِيمِ الَّتِي فِي مُحَمْـ ... ـمَدٍ وَعَيْنِ عَلِيٍّ وَبِالحَاءَيْنِ وَالفَاءِ[1]

وَقَالَ مَحْمُودٌ:

فَوَحَقِّ حُرْمَةِ خَمْسَةٍ ... مَا مِثْلُهُمْ بَيْنَ البَشَرْ

بِذَاكَ جِبْرِيلُ افْتَخَرْ

* * *

=

الصَّخْرَةُ عَلَيْهِمْ بَابَ الغَارِ، فَتَوَسَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ حَتَّىٰ انْزَاحَتِ الصَّخْرَةُ وَخَرَجُوا كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ». وَبِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ لَا مَانِعَ أَنْ تَقُولَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ: ادْعُ لِي مَعَكَ، أَوْ لَا تَنْسَنِي مِنْ دُعَائِكَ، أَمَّا التَّوَسُّلُ بِالأَشْخَاصِ كَالتَّوَسُّلِ بِالمَوْتَىٰ فَهَذَا مِنَ البِدَعِ، مَعَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ أَغْرَقَ فِي التَّوَسُّلِ المُبْتَدَعِ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ وَيُسَمِّيهِ تَوَسُّلًا، وَتَأَمَّلْ أَخِي القَارِئُ فِي البَيْتِ الثَّانِي، وَهَذِهِ نِهَايَةُ مَنْ أَغْرَقَ فِي ذَلِكَ، نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ.

(١) وَهَذَا مِنْ خُزَعْبَلَاتِ البِدَعِ وَالأَوْهَامِ الَّتِي انْحَرَفَ أَصْحَابُهَا عَنِ النَّهْجِ المُحَمَّدِيِّ السَّوِيِّ إِلَىٰ المَنْهَجِ المُعْوَجِّ الرَّدِيِّ، وَبَقِيَتْ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البُلْدَانِ وَفِي بَلَدِنَا اليَمَنِ حَتَّىٰ قَيَّضَ اللهُ ثُلَّةً مُبَارَكَةً مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، فَأَخْمَدَ اللهُ بِهِمْ كَثِيرًا مِنَ البِدَعِ، وَظَهَرَتِ السُّنَنُ، فَالحَمْدُ للهِ ذِي الخَيْرَاتِ وَالعَطَايَا وَالمِنَنِ.

ذِكْرُ الإِبَاضِيَّةِ

فَكُلُّ رَجُلٍ يُبْغِضُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحِيضُ مِنْ دُبُرِهِ رَأْسَ كُلِّ شَهْرٍ، وَيُقَالُ: مِنْ ذَكَرِهِ، كَمَا تَحِيضُ المَرْأَةُ(١).

وَفِي أَعْمَالِ صَنْعَاءَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يُسَمُّونَهُمُ السُّمَارَةَ، وَعَلَامَتُهُ أَنَّ أَحَدَهُمْ يُعَلِّقُ كِيسًا مِنَ الجِلْدِ مَلَأَهُ رَمْلًا فِي ذَكَرِهِ كُلَّمَا ابْتَلَّ الرَّمْلُ بَدَّدَهُ وَاسْتَعْمَلَ غَيْرَهُ، وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ الكِيسُ مِطْهَرَةً، فَهُمُ الإِبَاضِيَّةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ نِعْمَةِ العَقْلِ.

ذِكْرُ السِّلَقْلَقِيَّاتِ

وَكُلُّ امْرَأَةٍ تُبْغِضُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَحِيضُ مِنْ دُبُرِهَا فَهُمُ السِّلَقْلَقِيَّاتُ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكُلُّ مَنْ هُوَ نَسْلُ أَبِي الثَّدْيَانِ(١) مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ أَوْ مَنْ حَضَرَ وَقْعَةَ النَّهْرَيْنِ(٢) فَرِجَالُهُمُ الإِبَاضِيَّةُ وَالنِّسَاءُ السِّلَقْلَقِيَّاتُ، لِأَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ بِهَذِهِ العِلَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

❊ ❊ ❊

(١) تَقَدَّمَ أَنَّ المَعْرُوفَ وَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ هُوَ «ذُو الثُّدَيَّةِ».

(٢) المَعْرُوفَةُ بِوَقْعَةِ «النَّهْرَوَانِ».

ذِكْرُ بِلَادِ الخَوَارِجِ وَالإِبَاضِيَّةِ

حَدَّثَنِي الصَّفَّارُ(١) قَالَ: إِنَّ جَمِيعَ أَهْلِ أَذْرَبِيجَانَ كَانُوا فَأَسْلَمَ الجَمِيعُ وَرَجَعُوا(٢) إِلَىٰ مَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَرَجَعَتْ كِلْوَةُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ إِلَىٰ الخَارِجِيَّةِ وَهُمْ بَاقُونَ عَلَىٰ هَذَا المَذْهَبِ إِلَىٰ الآنَ.

وَفِي المَغْرِبِ نَفُوسَةُ(٣) مِثْل رَارَهْ وَالتِّمْسَاحِ وَرَأْسِ المَخْبَزِ(٤) وَتَاهَرْتَ(٥) وَسُوَيْقَةِ(٦) ابْنِ مَدْكُولَ وَجِبَالِ نُصَيْرٍ وَطَارِقٍ، فَهَذِهِ البِلَادُ قَدِيمًا عَلَىٰ هَذَا المَذْهَبِ، وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ جُدُدٌ فَمَنْ تَوَلَّىٰ مُحَمَّدَ بْنَ الحَسَنِ بْنِ تُومَرْتَ(٧) البَرْبَرِيَّ، وَعَبْدَ المُؤْمِنِ بْنَ عَلِيٍّ الكُوفِيَّ مَلِكَ المَغْرِبِ، سَاقُوا الخَلْقَ إِلَىٰ أَطْرَافِ هَذَا المَذْهَبِ،

---

(١) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ المُهَنَّا الصَّفَّارُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَحْتَ عُنْوَانِ «صِفَةُ الحَجَرِ الَّذِي فِي الثَّقِيلِ».

(٢) كَذَا فِي المَخْطُوطِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ بَعْدَ قَوْلِهِ: «كَانُوا» حَصَلَ سَقْطٌ، وَلَعَلَّهُ «كُفَّارًا» بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٣) قَالَ يَاقُوتُ: نَفُوسَةُ بِالفَتْحِ ثُمَّ الضَّمِّ وَالسُّكُونِ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ، جِبَالٌ فِي المَغْرِبِ.. وَجَمِيعُ أَهْلِ هَذِهِ الجِبَالِ شُرَاةٌ وَهْبِيَّةٌ وَإِبَاضِيَّةٌ مُتَمَرِّدُونَ عَنْ طَاعَةِ السَّلَاطِينِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٢٩٦).

(٤) يُنْظَرُ: «نُزْهَةُ المُشْتَاقِ فِي اخْتِرَاقِ الآفَاقِ» (١/ ٣٠٧).

(٥) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٧).

(٦) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٨٦).

(٧) بِضَمِّ التَّاءِ وَسُكُونِ الوَاوِ وَفَتْحِ المِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ بَعْدَهَا تَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ فَوْقِهَا، وَهُوَ اسْمٌ بَرْبَرِيٌّ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٥/ ٥٥).

وَبعْضٌ بَأَرْضِ مِصْرَ، وَبِأَعْمَالِ الشَّأْمِ دِمَشْقُ وَحَرَّانُ، وَمِنْ دِيَارِ بَكْرٍ بَغْدَادُ، وَمِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ بَاحَرْبَهْ وَاحبَارَهْ مَعَ جَمِيعِ سَوَادِ المَوْصِلِ، وَجِبَالِ الأَكْرَادِ وَالدَّبَابِلَةِ وَجَمِيعِ أَصْحَابِ الشَّيْخِ عَدِيٍّ، وَمِنْ بَغْدَادَ بَابُ البَصْرَةِ وَالحَرْبِيَّةُ[١] وَدَارُ القَزِّ[٢] وَالسُّرَيَّةُ[٣] وَبَابُ الأَزَجِ[٤] وَالحَلَبَةُ[٥] وَالبَصَلِيَّةُ[٦] وَالحَرِيمُ رِجَالٌ شَتَّىٰ، وَبَعْضُ أَهْلِ وَاسِطِ القَصَبِ[٧] وَقَرْيَةٌ بِأَعْمَالِ البَحْرَيْنِ شَذَّ عَلَىٰ الرَّاوِي اسْمُهَا.

وَمِنَ العِرَاقَيْنِ البَصْرَةُ وَهَمَذَانُ، وَمِنْ أَرَّانَ[٨] سلمَاستُ، وَمِنْ سفَاهَانَ دَرْحَوَىٰ بَاره وَدكوك وَدرليَان، وَمِنْ خُرَاسَانَ[٩] هَرَاةُ[١٠] وَاسرَاسِير مَعَ جَمِيعِ

---

(١) الحَرْبِيَّةُ: مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِـ«بَغْدَادَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٣٧).

(٢) دَارُ القَزِّ: مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ بِـ«بَغْدَادَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٢٢).

(٣) السُّرَيَّةُ: قَرْيَةٌ مِنْ أَغْوَارِ الشَّامِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢١٩).

(٤) بَابُ الأَزَجِ: مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ بِـ«بَغْدَادَ». «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ١٦٨).

(٥) الحَلَبَةُ: مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي شَرْقِيِّ «بَغْدَادَ» عِنْدَ «بَابِ الأَزَجِ» ذَكَرَهَا يَاقُوتُ فِي كَلَامِهِ عَلَىٰ «حَلَبَةَ» مِنْ «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٢٩٠).

(٦) البَصَلِيَّةُ: مَحَلَّةٌ فِي طَرَفِ بَغْدَادَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٤٤٢).

(٧) وَاسِطُ القَصَبِ: قَالَ يَاقُوتُ: كَانَ بِالقُرْبِ مِنْ وَاسِطَ مَوْضِعٌ يُسَمَّىٰ وَاسطَ القَصَبِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٥٣) فِي كَلَامِهِ عَنْ «وَاسِطَ».

(٨) أَرَّانُ: يُنْظَرُ لَهَا: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ١٣٦)، وَهُوَ اسْمٌ لِوِلَايَةٍ كَبِيرَةٍ وَبِلَادٍ كَثِيرَةٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَذْرَبِيجَانَ نَهْرٌ.

(٩) خُرَاسَانُ: هِيَ اليَوْمَ تَقَعُ ضِمْنَ مِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ فِي شَمَالِ شَرْقِ دَوْلَةِ إِيرَانَ وَجَنُوبِ تُرْكُمَانِسْتَانَ. وَيُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٣٥٠)، وَ«أَطْلَسُ دُوَلِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ» (ص٢٨).

(١٠) هَرَاةُ: هِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ مُدُنِ خُرَاسَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٣٩٦).

أَعْمَالِ تِيم(١) روركربك مَعَ جَمِيعِ أَعْمَالِ حوَادر، وَإِلَىٰ حَدِّ مَا كَانَ طُولًا فِي عَرْضٍ، وَمِنْ مَان وَادِي ردمدَ بِالطُّولِ مِنْ سَيْسَانَ(٢) إِلَىٰ وَادِي سُول وَبِهِ أَكْثَرُ مِنْ قَرْيَةٍ عَلَىٰ خَطٍّ وَاحِدٍ.

وَمِنْ أَعْمَالِ اليَمَنِ زَبِيدُ وَأَعْمَالُهَا مِجْهَرٌ، وَمِنَ الجِبَالِ الشَّرَفُ(٣)، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ زَبِيدٍ مقابِلَ قِلْحَاحٍ، وَلَيْسَ هُمُ الشَّرَفَ أَيِ الأَشْرَافَ أَهْلَ الحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَهِيَ أَعْمَالٌ تُسَمَّىٰ الشَّرَفَ كَمَا صَادَفَ الِاسْمُ الكُنْيَةَ، وَهُمْ يُؤَدُّونَ القِطْعَةَ لِآلِ الشَّرَفِ مِنْ آلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَسَكَن جَمِيع اليَمَنِ مِنْهُ كَمَا يُقَالُ: رَفَىٰ، وَهُمْ حَنَابِلَةُ المَذْهَبِ؛ لِأَنَّ الحَنَابِلَةَ يَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: لَا يَكُونُ الحَنْبَلِيُّ حَنْبَلِيًّا حَتَّىٰ يُبْغِضَ عَلِيًّا سَوِيًّا، وَمِنَ الأَدْيَانِ اليَهُودُ خِلَافُ جَمِيعِ المِلَلِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَبَّ أَبَا تُرَابٍ بِالشَّأْمِ مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَصَارَتْ عِنْدَهُمْ سُنَّةً مُؤَكَّدَةً اسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا إِلَىٰ آخِرِ دَوْلَتِهِمْ إِلَىٰ أَلْفِ شَهْرٍ، فَسَبَّهُ جَمِيعُ العَالَمِ مَا خَلَا خُوَارِزْم، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ(٤).

---

(١) تِيمُ: يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٦٧).

(٢) سَيْسَانُ: خَرَابٌ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَيُنْظَرُ لَهَا: «الرَّوْضُ المِعْطَارُ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ» (ص٣٢٧) فِي الكَلَامِ عَنْ «سقمانية».

(٣) وَجَبَلُ الشَّرَفِ ذَكَرَهُ الهَمْدَانِيُّ فِي «جَزِيرَةُ العَرَبِ» (ص١٢٦): جَبَلُ الشَّرَفِ المُطِلُّ عَلَىٰ تِهَامَةَ وَهُوَ جَبَلٌ وَاسِعٌ وَفِيهِ قُرًىٰ كَثِيرَةٌ.

(٤) هَذَا كَلَامُ مَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِالمَذْهَبِ الحَنْبَلِيِّ وَأَهْلِهِ، بَلِ الحَنَابِلَةُ هُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا يُوجَدُ عَنْ إِمَامِهِمُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ سِوَىٰ الإِجْلَالِ لِلصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، دُونَ الخَوْضِ فِيمَا حَصَلَ =

فَصْلٌ: قِيلَ: كَانَ الوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ يُذْكَرُ بِالجَهْلِ، فَذَكَرَ يَوْمًا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ المِنْبَرِ وَلَحَنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا أَدْرِي أَيُّ أَمْرَيْهِ أَعْجَبُ؛ لَحْنُهُ فِيمَا لَا يَلْحَنُ أَحَدٌ فِيهِ، أَوْ نِسْبَتُهُ عَلِيًّا -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ- إِلَىٰ اللُّصُوصِيَّةِ[(١)].

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الوَاسِطِيُّ قَالَ: كَتَبَ وهَسابُ الأَبْنُوسِ عَلَىٰ فَصِّ خَاتَمِهِ... ي وَحِيدٌ مِنَ الأَئِمَّةِ جَمِيعًا مُعَاوِيَةُ وَيَزِيدُ وَحـ... يَوْم الخَمِيسِ

=

بَيْنَهُمْ، وَالتَّرَضِّي عَنِ الجَمِيعِ، هَذَا هُوَ مَذْهَبُ الحَنَابِلَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ جَمِيعًا، وَخُلَاصَةُ مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا سَطَّرَهُ عَنْهُمْ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ» (ص٣٢٤)، وَهُوَ أَنَّهُمْ: «يَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ...».

هَذَا هُوَ خُلَاصَةُ مَا يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ جَمِيعًا مِنَ الحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، بَلْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوجَدَ هَذِهِ المَذَاهِبُ الأَرْبَعَةُ المَشْهُورَةُ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَمَا قَالَهُ المُصَنِّفُ عَنِ الحَنَابِلَةِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُ عِندَهم الحَنْبَلِيُّ حَنْبَلِيًّا حَتَّىٰ يُبْغِضَ عَلِيًّا، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَهَذَا القَوْلُ مِنْهُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ عِدَّةِ أَقْوَالٍ ذَكَرَهَا فِي الكِتَابِ لَا بُرْهَانَ لَهُ عَلَيْهَا وَلَا بَيِّنَةٌ سِوَىٰ إِلْقَاءِ الكَلَامِ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

(١) كَانَ المُصَنِّفُ فِي غِنًىٰ عَنْ ذِكْرِ مِثْلِ هَذَا فِي كِتَابِهِ، وَالأُمُورُ التَّارِيخِيَّةُ فِي مِثْلِ هَذَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ تَمْحِيصٍ وَإِلَىٰ نَظَرٍ فِي أَسَانِيدِهَا هَلْ تَثْبُتُ أَمْ لَا تَثْبُتُ.

الثَّانِي وَالعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَحَقِّ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ كَاتِبِ وَحْيِ اللهِ وَرَدِيفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ سَبُّوهُ عَلَىٰ مَنَابِرِ الإِسْلَامِ.

وَقَالَ إِمَامُ الحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِ «اللُّمَعِ»: مُعَاوِيَةُ مُخْطِئٌ، وَعَلِيٌّ مُسْتَمْسِكٌ بِالحَقِّ[(١)].

وَجَمِيعُ أَعْمَالِ عُمَان وَقَلْهَاتَ وَالفُرَاتِ وَطَيوي وَمَسْقَط[(٢)] وَحَي عَاصِمٍ وَصُحَار[(٣)] وَخَوْر[(٤)] فُكَّانَ وَكُمْزَارَ[(٥)] وَجُلَّفَارَ[(٦)] وَالَّذِينَ هُمْ فِي الجِبَالِ منح وَثروَىٰ شَمَائِل.

* * *

(١) وَالمُصِيبُ لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ الاجْتِهَادِ وَأَجْرُ الإِصَابَةِ، وَالمُخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ: أَجْرُ الاجْتِهَادِ، وَمَعْفُوٌّ عَنْ خَطَئِهِ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ خِلَافًا لِلرَّافِضَةِ الأَشْرَارِ أَعْدَاءِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(٢) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ١٢٧)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٦).

(٣) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٣٩٣)، وَمُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٧).

(٤) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ٤٠٠).

(٥) كُمْزَارُ: فِي نَوَاحِي عُمَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٧٩)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٥).

(٦) جُلَّفار: بَلَدٌ بِعُمَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٢/ ١٥٤).

ذِكْرُ اسْتِفْتَاحِ أَعْمَالِ عُمَانَ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ «مَسَالِكِ المَمَالِكِ»(١) الثَّانِي وَيَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ الغَالِبَ كَانَ عَلَىٰ أَعْمَالِ عُمَانَ الإِبَاضِيَّةُ إِلَىٰ أَنْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ، خَرَجَ مِنْهَا مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِمِ السَّأْمِيُّ(٢) إِلَىٰ الإِمَامِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ المُعْتَضِدِ بِاللهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدِ بْنِ المُوَفَّقِ، وَقِيلَ: طَلْحَةُ بْنُ المُتَوَكِّلِ، وَقِيلَ: ابْنُ المُوَفَّقِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ المُتَوَكِّلِ، اسْتَنْجَدَ بِهِ فَبَعَثَ مَعَهُ بِأَبِي النُّورِ(٣) فَفَتَحَ عُمَانَ لِلْمُعْتَضِدِ بِاللهِ وَأَقَامَ لَهُ الخُطْبَةَ بِهَا، فَارْتَحَلَتِ الإِبَاضِيَّةُ إِلَىٰ نَاحِيَةِ سرديحَةَ(٤) فَسَكَنُوهَا إِلَىٰ زَمَانِنَا هَذَا(٥)، وَلَوْ فَتَحْنَا فِي هَذَا البَابِ لَطَالَ الكَلَامُ وَكَثُرَ، وَالتَّقْصِيرُ فِي مِثْلِ هَذَا أَصْلَحُ وَأَجْوَدُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

---

(١) لِأَبِي إِسْحَاقَ الِاصْطَخْرِيِّ المَعْرُوفِ بِالكَرْخِيِّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٣٤٦هـ).

(٢) وَقَعَ فِي المَخْطُوطِ: «الشَّامِي» وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالمُثْبَتُ هُوَ مِنَ «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ»: «السَّامِي» بِالسِّينِ، وَهُوَ الصَّوَابُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: (مِنْ بَنِي سَامَةَ)، وَالنِّسْبَةُ إِلَىٰ (سَامَةَ): (سَامِيٌّ)، قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي «الأَنْسَابِ» (٧/ ٣٠): هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ سَامَةَ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ».

(٣) فِي «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ»: «بِابْنِ ثَوْرٍ».

(٤) فِي «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ»: «نَزْوَة».

(٥) «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ» (ص٢٦) ط/ «دَارِ صَادِرٍ».

ذِكْرُ اسْتِفْتَاحِ الخُوَارِزْمِيَّةِ قَلْهَات

لَمَّا تَوَلَّىٰ خَوَاجَةُ رَضِيُّ الدِّينِ قِوَامُ المُلْكِ أَبُو بَكْرٍ الزَّوْزَنِيُّ(١) مُلْكَ كَرْمَانَ(٢) وَمُكْرَانَ(٣) وَفَارِسَ قَتَلَ السُّلْطَانُ عَلَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ(٤) بْنُ تِكَشَ مَلِكَ قَلْهَاتَ بِالسَّيْفِ، وَيُقَالُ: إِنَّ مَالِكَ بْنَ فَهْمٍ مَاتَ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ رَضِيِّ الدِّينِ قِوَامِ المُلْكِ، فَفِي تِلْكَ (...)(٥) وَالعُرْضَة أَنْفَذَ رَضِيُّ الدِّينِ قِوَامُ المُلْكِ مَرَاكِبَ تُسَلِّمُ قَلْهَاتَ مَعَ جَمِيعِ أَعْمَالِ عُمَانَ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا شِحَانِي وَعُمَّالٌ وَنُوَّابٌ يَجْبُونَ دَخْلَهَا وَأَعْشَارَ السُّفَرَاءِ مَعَ الضَّرَائِبِ وَالقَوَانِينِ، وَكَانَ هُوَ يُرْسِلُ بِالإِبْرِيسَمِ مِنْ كَرْمَانَ يَبِيعُونَهُ وَيَجْمَعُونَ دَخْلَ البِلَادِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ خَيْلًا عَرَبِيَّة يُنْفِذُونَهَا إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ خَمْسُمِائَة حِصَانٍ إِلَىٰ مَا دُونَهُ وَأَعْلَاهُ، فَكَانَ يَرْكَبُ مَا كَانَ دُونَ مِنْهَا وَيُرْسِلُ نِجَادَ الخَيْلِ إِلَىٰ خُوَارِزْمَ يُقَدِّمُهَا لِلسُّلْطَانِ.

فَلَمَّا مَاتَ رَضِيُّ الدِّينِ قِوَامُ المُلْكِ فِي كَرْمَانَ خَلَّفَ فِي قَلْهَاتَ أَرْبَعَةً

---

(١) الزَّوْزَنِيُّ: هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ «زَوْزَنَ» وَهِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ حَسَنَةٌ بَيْنَ هَرَاةَ وَنَيْسَابُور. «الأَنْسَابُ» (٦/ ٣٤٢).

(٢) كَرْمَانُ: بَلْدَةٌ بَيْنَ فَارِسَ وَمُكْرَانَ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٥٤).

(٣) مُكْرَانُ: اسْمٌ لِسِيفِ البَحْرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ١٧٩)، وَ«مَرَاصِدُ الاِطِّلَاعِ» (٣/ ١٣٠١).

(٤) تَقَدَّمَتِ الإِحَالَةُ إِلَىٰ تَرْجَمَتِهِ.

(٥) بَيَاضٌ فِي المَخْطُوطِ.

وَسِتِّينَ أَلْفَ مَنٍّ، وَيُقَالُ: ثَمَانُونَ أَلْفَ مَنٍّ حَرِيرٍ مَعَ خَمْسِ مِائَةِ حِصَانٍ، فَمَلَكَ قَلْهَاتَ مِنْ أَيْدِي الخُوَارِزْمِيَّةِ مَعَ الخَيْلِ وَالإِبْرِيسَمِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَمَلَكَ قَلْهَاتَ بَعْدَ وَفَاتِهِ الشَّيْخُ مَالِكُ بْنُ فَهْمِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ (...)[1] أَدَارَ عَلَىٰ قَلْهَاتَ سُورًا مِنَ الحَجَرِ وَالجَصِّ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

* * *

(١) بَيَاضٌ فِي المَخْطُوطِ.

صِفةُ بَتَّانِ[١] العَنْبَرِ

وَجَدَ أَهْلُ قَلْهَاتَ يَوْمًا مُقَابِلَ المَدِينَةِ جَزِيرَةً كَبِيرَةً فَقَالَ الشَّيْخُ مَالِكُ بْنُ فَهْمٍ: قُصُّوا[٢] لَنَا أَثَرَ الجَزِيرَةِ وَمَا هُوَ؟ فَغَدَا الصَّيَّادُونَ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: بَتَّانٌ يَطْفُو عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ، فَقَالَ لَهُمْ: جُرُّوهُ إِلَىٰ البَلَدِ! فَرَكِبَ الصَّيَّادُونَ الصَّنَابِيقَ وَشَدُّوا الأَحْرِبَةَ فِي البَتَّانِ وَجَرُّوهُ وَأَرْمَوْهُ السَّاحِلَ، فَصَارَتِ الخَلْقُ تَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عِظَمِ خِلْقَتِهِ إِلَىٰ أَنْ جَافَ وَخَاسَ[٣]، فَظَهَرَ فِي جَوْفِهِ قِطْعَةُ عَنْبَرٍ وَزْنُهَا ثَلَاثَةُ أَبْهِرَةٍ، فَلَمَّا عَلِمَتِ النَّاسُ بِذَلِكَ قَطَّعُوهُ وَنَهَبُوهُ وَوَصَلَ العَنْبَرُ إِلَىٰ جَمِيعِ مَنْ فِي البَلَدِ مِنْ قَوِيٍّ وَضَعِيفٍ، وَوَصَلَ إِلَىٰ الشَّيْخِ مَالِكِ بْنُ فَهْمٍ بُهَار بِالكَبِيرِ عَنْ مِائَتَيْ مَنٍّ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ.

فَصْلٌ: البَتَّانُ صَادَفَ القِطْعَةَ العَنْبَرَ طَافِيَةً عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ فَابْتَلَعَهَا، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ القِطْعَةُ فِي أَمْعَائِهِ ضَعُفَتْ مَعِدَتُهُ عَنْ هَضْمِهَا فَمَاتَ فَطَفَا عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ فَضَرَبَهُ المَوْجُ وَأَسْنَدَهُ إِلَىٰ السَّاحِلِ بِقَلْهَاتَ، اسْتَغْنَىٰ بِهِ مَنِ اسْتَغْنَىٰ.

---

(١) البَتَّانُ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ سَمَكِ القِرْشِ.

(٢) أَيْ: ابْحَثُوا وَاسْتَكْشِفُوا.

(٣) جَافَ وَخَاسَ: أَيْ: أَنْتَنَ وَتَغَيَّرَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَنْدَارٍ الجَوْزِيُّ قَالَ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا العَنْبَرِ تَفَارِيقَ، صَحَّ لِي جُمَلٌ بِأَدْنَىٰ شَيْءٍ، فَأَخَذْتُهُ وَسَافَرْتُ بِهِ إِلَىٰ خُوَارِزْمَ بِعْتُهُ عَلَىٰ تُرْكَانَ خَاتُونَ[(١)] (...)[(٢)] عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ تِكَشَ عَلَىٰ سِعْرِ العَشَرَةِ مَثَاقِيلِ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا.

* * *

(١) هِيَ خَاتُونُ بِنْتُ خَاجنْكِش، مِنْ رَبَّاتِ النُّفُوذِ وَالسُّلْطَانِ، تَزَوَّجَ بِهَا تِكَشُ بْنُ أيل رَسْلَانَ، ثُمَّ لَمَّا انْتَقَلَ المُلْكُ إِلَىٰ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ وِرَاثَةً عَنْ أَبِيهِ تِكَش تَحَكَّمَتْ هِيَ فِي المُلْكِ، فَلَمْ يَمْلِكْ مُحَمَّدٌ إِقْلِيمًا إِلَّا وَأَفْرَدَ لِخَاصَّتِهَا مِنْهُ نَاحِيَةً جَلِيلَةً، وَلَهَا خَيْرَاتٌ وَمُسَبَّلَاتٌ وَمَبَرَّاتٌ فِي أَنْحَاءِ بِلَادِهَا. وَتُنْظَرُ تَرْجَمَتُهَا مِنْ «أَعْلَامُ النِّسَاءِ فِي عَالَمَي الغَرْبِ وَالإِسْلَامِ» (١/ ١٦٨) لِعُمَرَ كَحَّالَةَ.

(٢) هُنَا بَيَاضٌ فِي المَخْطُوطِ.

صِفَةُ قَلْهَات

قَلْهَاتُ بَلَدٌ وُضِعَ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ وَالجَبَلُ مُحِيطٌ بِهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا عَلَىٰ وَضْعِ عَدَنَ، مَاؤُهَا طَيِّبٌ يُجْلَبُ مِنْ مُدَّة وَبِهَا نَهْرُ سِقْرَاطَ، مَعِينُهُ(١) مِنَ الجَبَلِ يَجْرِي بَيْنَ نَخِيلٍ وَبَسَاتِينَ، خَفِيفٌ مَرِيءٌ عَذْبٌ فُرَاتٌ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: أَمَّا عُمَانُ فَإِنَّمَا سُمِّيَ بِعُمَانَ بْنِ نَعْسَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي بَنَاهَا.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا سُمِّيَ هَذَا الإِقْلِيمُ إِقْلِيمَ عُمَانَ إِلَّا أَنَّهَا تَعُمُّ بِالخَيْرِ.

مَأْكُولُهُمُ التَّمْرُ وَالسَّمَكُ، وَلِبْسُهُمُ الأَزْرَقُ مُكَشَّفُو الرُّءُوسِ، يَشْتَرُونَ كُلُّ سَبْعَةِ رِجَالٍ مِنْهُمْ جَارِيَةً، وَكُلَّمَا دَخَلَ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ وَخَلَّاهُمَا عَلَىٰ البَابِ، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُ السَّبْعَةِ رَأَىٰ النَّعْلَ عَادَ عَلَىٰ أَثَرِهِ رَاجِعًا لِعِلْمِهِ أَنَّ أَحَدَ أَصْحَابِهِ عِنْدَ الجَارِيَةِ.

وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الرَّبْعِ المَسْكُونِ أَبْغَضُ مِنْهُمْ لِلْغَرِيبِ، يَقُولُ زَيْدٌ لِعَمْرٍو: إِي بَازِقِ الغَرِيب بِالجَنْدَلِ، يَعْنِي الحَجَرَ، وَانْزِلْ عَلَيْهِ بِالرُّوبَارِ وَزَيِّدْهُ بِالعَصَا!

(١) أَيْ: جَرَيَانُهُ وَتَدَفُّقُهُ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْهُمْ، إِذَا عَايَنُوا السُّرَّاقَ فِي البَحْرِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِي بِالمَالِ مَا نُعْطِيهِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ؟ فَيُسَلِّمُونَ المَرْكَبَ لِلسُّرَّاقِ وَيَخْرُجُونَ عَرَايَا الأَسْتَاهِ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ القَبَّابِينَ أَصْغَرُ مِنْ قَبَّانِ قَلْهَاتَ.

* * *

مِنْ قَلْهَاتَ إِلَى مَسْقَطَ

مِنْ قَلْهَاتَ إِلَىٰ طَيْوِيّ(١) ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ مَسْقَطَ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، هَذَا الِاسْمُ الأَصْلُ فِيهِ مَسْكَتْ، وَيُقَالُ: لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ سَكَتَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا فَسُمِّيَتْ مَسْكَتْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

(١) طَيْوِيّ، الطَّوِيُّ: البِئْرُ المَطْوِيَّةُ بِالحِجَارَةِ، وَرُبَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ وُجُودِ آبَارِ المِيَاهِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، وَذَكَرَهَا ابْنُ بَطُّوطَةَ بِـ«طَيْبِيّ»، «مَدِينَةُ صُورٍ العُمَانِيَّةُ المَاضِي وَالحَاضِرُ» (ص١٤) (شَامِلَة)، وَ«رِحْلَةُ ابْنِ بَطُّوطَةَ» (ص٢٤٣) ط.«المَكْتَبَةِ العَصْرِيَّةِ»، قَالَ عَنْهَا ابْنُ بَطُّوطَةَ: وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ القُرَىٰ وَأَبْدَعِهَا حُسْنًا، ذَاتُ أَنْهَارٍ جَارِيَةٍ وَأَشْجَارٍ نَاضِرَةٍ وَبَسَاتِينَ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا تُجْلَبُ الفَوَاكِهُ إِلَىٰ قَلْهَاتَ.

صِفَةُ العُنَّةِ[١]

وَفِي مَسْكَتْ عُنَّةٌ وَعَلَىٰ فَمِ العُنَّةِ نَاطُورٌ[٢] لَا يَزَالُ قَاعِدًا، فَإِذَا دَخَلَ العُنَّةَ سِرْبُ سَمَكٍ عَلِمَ النَّاطُورُ كَمْ عَدَدُهُمْ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: إِذَا شَاهَدْتُ مُقَدَّمَ الأَسْمَاكِ أَعْلَمُ كَمْ يَكُونُ عَدَدُ أَشْيَاعِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَالمَخْبَرَةِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ المَدِينَةُ مَرْسَىٰ مَدِينَةِ صُحَارَ[٣]، وَفِي هَذِهِ المَدِينَةِ كَانَتْ تَرْسَىٰ المَرَاكِبُ القَادِمَةُ مِنْ أَطْرَافِ الف[٤] وَكَانُوا يَصْعَدُونَ بِالخُفِّ وَالبَرْبَهَارِ إِلَىٰ صُحَارَ يَبْتَاعُونَ وَيَتَشَارَوْنَ، وَمِنْهَا كَانَتْ تَصْعَدُ البَضَائِعُ إِلَىٰ كَرْمَانَ، وَمِنْ كَرْمَانَ إِلَىٰ سِجِسْتَانَ، وَكَانَتِ البَضَائِعُ تَتَفَرَّقُ فِي خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَزَاولسْتَانَ وَالغُوْرِ وَكِرْمِيلَ[٥]، وَإِلَىٰ حَيِّ عَاصِمٍ سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ أَسْرَار سِتَّةُ فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ صُحَارَ أَرْبَعة فَرَاسِخ.

---

(١) يُنْظَرُ: «المِصْبَاحُ المُنِيرُ» (ص٢٥٠) مَادَّةُ «عَنَنَ».

(٢) قَالَ فِي «المِصْبَاحِ» (ص٣٥٣): النَّاطِرُ وَالنَّاطُورُ: حَافِظُ الكَرْمِ... وَحَافِظُ الزَّرْعِ...اهـ. فَالنَّاطُورُ هُوَ حَارِس.

(٣) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْهَا قَرِيبًا.

(٤) كَذَا فِي المَخْطُوطِ: «أَطْرَافِ الف».

(٥) كِرْمِيلُ: بِالكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ وَكَسْرِ المِيمِ، يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٥٦).

صِفَةُ صُحَار[١]

حَدَّثَنِي أَبُو المَجْدِ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الكَمَالِ بْنِ الكَمَالِ العَلَوِيُّ الحُسَيْنِيُّ قَالَ: إِنَّ صُحَارَ كَانَتِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَصْرٍ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ نَهْرٍ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جَامِعٍ، وَكَانَ يَسْكُنُ كُلَّ نَاخُوذَةٍ قَصْرًا وَيَشْرَبُ أَهْلُهُ مِنْ نَهْرٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ يَحْتَازُ إِلَىٰ الجَامِعِ فِي تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ مِنْ خَدَمِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَقَرَابَتِهِ وَأَعْوَانِهِ، فَحَدَّثَنِي بَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ يُعَدُّ بِنَائِهَا مِائَة وَاثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ قَبَّانٍ[٢] لِوَزْنِ البَضَائِعِ لِلطَّالِبِ وَالمَطْلُوبِ.

* * *

---

(١) قَالَ يَاقُوتُ: صُحَارُ قَصَبَةُ عُمَانَ مِمَّا يَلِي الجَبَلَ... مَدِينَةٌ طَيِّبَةُ الهَوَاءِ وَالخَيْرَاتِ وَالفَوَاكِهِ، مَبْنِيَّةٌ بِالآجُرِّ وَالسَّاجِ، كَبِيرَةٌ لَيْسَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي مِثْلُهَا، وَنَقَلَ قَوْلَ البَشَّارِيِّ: لَيْسَ عَلَىٰ بَحْرِ الصِّينِ بَلَدٌ أَجَلَّ مِنْهُ، عَامِرٌ آهِلٌ، حَسَنٌ طَيِّبٌ نَزِهٌ ذُو يَسَارٍ وَتُجَّارٍ، وَفَوَاكِهَ، أَجَلُّ مِنْ «زَبِيدٍ» وَ«صَنْعَاءَ» وَأَسْوَاقٌ عَجِيبَةٌ، وَبَلْدَةٌ ظَرِيفَةٌ، مُمْتَدَّةٌ عَلَىٰ البَحْرِ، وَدُورُهُمُ الآجُرُّ وَالسَّاجُ، شَاهِقَةٌ نَفِيسَةٌ، وَالجَامِعُ عَلَىٰ السَّاحِلِ لَهُ مَنَارَةٌ حَسَنَةٌ طَوِيلَةٌ فِي آخِرِ الأَسْوَاقِ، وَلَهُمْ آبَارٌ عَذْبَةٌ وَقَنَاةٌ حُلْوَةٌ، وَهُمْ فِي سَعَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ دِهْلِيزُ الصِّينِ، وَخِزَانَةُ الشَّرْقِ وَالعِرَاقِ، وَمَغُوثَةُ اليَمَنِ، وَالمُصَلَّىٰ وَسَطَ النَّخِيلِ، وَمَسْجِدُ صُحَارَ عَلَىٰ نِصْفِ فَرْسَخٍ... وَمِحْرَابُ الجَامِعِ بِكَوْكَبٍ يَدُورُ، فَتَارَةً تَرَاهُ أَصْفَرَ وَتَارَةً أَحْمَرَ وَأُخْرَىٰ أَخْضَرَ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) أَيْ: مِيزَان.

صِفَةُ دَارِ الخَتْمَةِ

بَنَىٰ نَاخُوذَةٌ دَارًا وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ القُرْآنُ بِالذَّهَبِ فِيهَا، وَالأَصَحُّ فِي خَشَبِ السَّاجِ تَوَازِير الدَّارِ مُقَطَّعٌ مُرَكَّبٌ فِي اثْنَيْ عَشَرَ كَتْبًا، فَصَحَّ فِيهِ تَمَامُ الخَتْمَةِ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ مِنَ الدَّارِ وَسَعَتِهِ، فَسَمَّىٰ الدَّارَ دَارَ الخَتْمَةِ، وَكَانَ بِنَاءُ القَوْمِ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ وَالخَشَبِ السَّاجِ، فَخَرِبَ الجَمِيعُ وَصَارَتِ الجِنُّ تَسْكُنُ حَوْلَ القُصُورِ.

حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ البَصْرِيُّ المَحَلُّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَعْمَالَ كَانَتْ لِمُلُوكِ كَرْمَانَ مِنْ آلِ سَلْجُوقَ فَانْدَثَرُوا وَتَغَلَّبَتِ الغُزُّ[1] عَلَيْهِمْ وَخُلِّيَتِ البِلَادُ وَتَسَلَّطَتِ العَرَبُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَعْمَالِ وَأَخْرَبُوهَا.

فَصْلٌ: سَافَرَ زَيْدٌ مِنْ وَطَنِهِ وَرَجَعَ فَإِذَا هُوَ يَرَىٰ بَحَّارَةَ الحَمَّال رَجَعَ قَاضِي البَلْدَةِ، وَقَالَ القَاضِي، يَعْنِي الحَمَّالَ لِزَيْدٍ: أَبْسَطُ مَا كَانَ مِنَ الإِبِلِ الأَوَائِلِ مِنَ الرِّفْعَةِ وَمَا نَحْنُ الآنَ فِيهِ مِنَ الهُبُوطِ؟ قَالَ زَيْدٌ: كَيْفَ ذَلِكَ أَدَامَ اللهُ مَجْلِسَ مَوْلَانَا القَاضِي وَثَبَّتَ قَوَاعِدَهُ؟ قَالَ القَاضِي: فِي الدَّوْرِ الأَوَّلِ ارْتَفَعَتِ الأَوَائِلُ إِلَىٰ أَنْ كُنَّا حَمَّالِينَ لِلْقَوْمِ الحَطَبَ، وَالأَوَاخِرُ رَجَعْتُ قَاضِي حُكْمِهِمْ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: إِذَا كَانَتِ الأَوَائِلُ حَتَّىٰ سَكَنُوا تِلْكَ القُصُورَ وَمَا نَحْنُ فِيهِ

---

(١) قَوْمٌ مِنَ الأَتْرَاكِ.

الآنَ حَتَّىٰ قَنَعُوا سُكْنَىٰ(١) التَّصَارِيفِ مِنَ الخَرَابَاتِ، كَمَا قَالَ:

يَـــا بَاكِيًـــا بَعْـــدَ الأَحِبْـــ ... ـــبَـــةِ فِـــي المَنَـــازِلِ وَالـــدِّمَنْ

مِـــنْ بَعْـــدِ يَـــوْمِ فِـــرَاقِهِمْ ... أَعَلِمْـــتَ مَـــا طَعْـــمَ الوَسَـــنْ

فَأَجَـــابَنِي: لَا وَالَّـــذِي ... قَلْبِـــي إِلَيْـــهِ مُـــرْتَهَنْ

كَيْـــفَ السُّـــكُونُ إِلَـــىٰ الرُّقَـــا ... دِ وَقَـــدْ نَـــأَىٰ عَنِّـــي السَّـــكَنْ

وَمَتَـــىٰ تَقَـــرُّ دُمُـــوعُ مَـــنْ ... يَغْتَالُـــهُ صَـــرْفُ الـــزَّمَنْ

وَلِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ اليَافِعِيِّ(٢):

أَسْـــتَغْفِرُ اللهَ الَّـــذِي وَدَّعَـــا ... وَنَحْـــنُ لِلْغُرْبَـــةِ نَبْكِـــي مَعَـــا

أَسْـــبَلَ مِـــنْ أَجْفَانِـــهِ أَدْمُعَـــا ... لَمَّـــا رَآنِـــي مُسْـــبِلًا أَدْمُعَـــا

وَقَـــالَ لِـــي عِنْـــدَ فِرَاقِـــي لَـــهُ: ... مَـــا أَعْظَـــمَ البَـــيْنَ وَمَـــا أَوْجَعَـــا

وَلِلسَّيْفِ الحَكَمِيِّ:

أَحَمَـائِمَ الأَثْـلَاتِ مِـنْ وَادِي الحِمَـا ... أَنْـــتُنَّ هَيَّجْـــتُنَّ صَـــبًّا مُغْرَمَـــا

مَـا لِلْعِـــدَاةِ وَمَـــا لَكُـــنَّ وَلِلْبُكَـــا ... جَزَعًـــا وَلَكِـــنْ لَا أَرَىٰ دَمْعَاهُمَـــا

---

(١) كَذَا فِي «أ»: «سُكْنَىٰ».

(٢) وَقَعَ فِي نُسَخِ المَخْطُوطِ: «الرَّافِعِيِّ» بَدَلَ «اليَافِعِيِّ» وَهُوَ خَطَأٌ، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَهُوَ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدٍ اليَافِعِيُّ نَسَبًا وَالجَنَدِيُّ بَلَدًا، وَقَدْ تَرْجَمَ لَهُ نَجْمُ الدِّينِ عُمَارَةُ اليَمَنِيُّ فِي «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيد» (ص٢٥٤) وَمَا بَعْدَهَا، وَالجَنَدِيُّ فِي «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ» (١/ ٣٠٦) وَمَا بَعْدَهَا، وَذَكَرَا لَهُ فِي تَرْجَمَتِهِ هَذِهِ الأَبْيَاتَ.

إِنَّ الحَمَامَ إِذَا تَنَغَّمَ شَاقَنِي ... وَيَزِيدُنِي شَوْقًا إِلَىٰ ذَاكَ اللَّمَا

وَقَالَ آخَرُ:

تَشْتَاقُكُمْ كُلُّ أَرْضٍ تَنْزِلُونَ بِهَا ... كَأَنَّكُمْ لِبِقَاعِ الأَرْضِ أَمْطَارُ

فَلَمَّا خَرِبَتْ رَيْسُوتُ(١) عُمِرَتْ صُحَارُ، وَخَرِبَتْ صُحَارُ بُنِيَتِ البَيْنُ(٢) وَهُرْمُزُ، وَخَرِبَتِ البَيْنُ وَهُرْمُزُ بُنِيَتْ عَدَنُ.

وَإِلَىٰ العَقْرِ(٣) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ كَلْبَةَ(٤) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ خَوْرِ فُكَّانَ أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ دَبَا(٥) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ لِيمَةَ(٦) أَرْبَعة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ كُمْزَارَ(٧) ثَلَاثة فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ ظَفَارِ ثَمَانية فَرَاسِخَ، وَإِلَىٰ قَيْسٍ(٨) ثَمَانية فَرَاسِخ عَنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي البَحْرِ.

* * *

---

(١) رَيْسُوتُ: تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهَا.

(٢) يُنْظَرُ: «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ» (١/ ٢٤٥).

(٣) يُنْظَرُ: «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ» (٢/ ٩٤٩).

(٤) كَلْبَةُ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي عُمَانَ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٤/ ٤٧٦).

(٥) دَبَا: كَانَ سُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ العَرَبِ بِعُمَانَ. «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ» (٢/ ٥١١)، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٩).

(٦) وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٨).

(٧) كُمْزَارُ: تَقَدَّمَ قَرِيبًا، وَيُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (٨٥).

(٨) سَيَأْتِي الكَلَامُ عَنْ قَيْسٍ قَرِيبًا.

بِنَاءُ قَيْسٍ[1].. سَكَنَهَا المَجُوسُ

وَكَانَ المُوجِبُ[2] كَمَا ذَكَرَهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الأَنْصَارِيُّ أَنَّهُ هَرَبَتِ المَجُوسُ لَمَّا تَغَيَّرَتِ الدَّوْلَةُ لِتَغَلُّبِ العَرَبِ عَلَىٰ مُلْكِ العَجَمِ سَكَنُوا الجَزِيرَةَ وَبَنَوْا مَعَ طُولِ مُقَامِهِمُ الدُّورَ العَوَالِيَ الشَّوَاهِقَ بِالآجُرِّ وَالجَصِّ بِنَاءً مُحْكَمًا، فَلَمَّا دَارَ الفَلَكُ[3] دَارُوا مَعَ دَوْرِهِ وَجَوْرِهِ فَخَلَتِ الجَزِيرَةُ مِنْهُمْ وَرَجَعَتْ حَبْسًا لِلْمُلُوكِ، مُلُوكِ فَارِسَ، وَسُمِّيَتْ فِي عَهْدِهِمْ زَنْدَان انه، وَصَارَتِ المُلُوكُ يَجْرُونَ عَلَىٰ العَوَائِدِ إِلَىٰ أَنْ خَرِبَتْ سِيرَافُ[4]، فَحَصَلَ رَجُلَانِ سِيرَافِيَّانِ بِجَزِيرَةٍ سَكَنَاهَا فَأَعْجَبَهُمُ المَكَانُ فَاسْتَوْلَوْا عَلَىٰ الجَزِيرَةِ وَفِيهَا جَمَاعَةٌ صَيَّادُونَ يَصْطَادُونَ السَّمْكَ، فَتَغَلَّبَ السِّيرَافِيَّانِ عَلَىٰ الصَّيَّادِينَ فَأَخْرَجَاهُمْ مِنْهَا صَاغِرِينَ وَمَلَكُوا الجَزِيرَةَ وَبَنَوْا فِيهَا الدُّورَ الوَثِيقَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ بَنَوْا عَلَىٰ أَسَاسِ بِنَاءِ المَجُوسِ وَغَرَسُوا بِهَا النَّخْلَ وَسَكَنُوا فِيهَا.

---

(١) وَتُسَمَّىٰ كَيْش: جَزِيرَةٌ بِأَرْضِ عُمَانَ. «مَرَاصِدُ الاِطِّلَاعِ» (٣/ ١١٣٩)، وَهِيَ اليَوْمَ فِي يَدِ إِيرَانَ، يُنْظَرُ مُلْحَقُ الصُّوَرِ بِرَقْمِ (١٠٣).

(٢) أَيْ: السَّبَبُ لِتَسْمِيَتِهَا بِذَلِكَ.

(٣) أَيْ: الزَّمَانُ.

(٤) يُنظر: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٣/ ٢٩٤)، وَ«مَرَاصِدُ الاِطِّلَاعِ» (٢/ ٧٦٥).

حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّادُ قَالَ: إِنَّمَا تَكُونُ لِجَزِيرَةِ قَيْسٍ مِنْ يَوْمِ بُنِيَتْ مِائَة وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ هَذَا الحَدِيثُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَرَّرُوا عَلَىٰ كُلِّ مَرْكَبٍ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ دِينَارًا وَاحِدًا، وَقَرَّرُوا فِي العَامِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، وَهُمْ فِي الصُّعُودِ إِلَىٰ أَنْ تَقَرَّرَ الأَمْرُ عَلَىٰ العَشَرَةِ وَثَبَتَ عَلَيْهِ إِلَىٰ الآنَ.

فَلَمَّا قَوِيَ الرَّجُلَانِ وَاسْتَظْهَرَا بِالأَمْرِ وَالمُلْكِ ادَّعَىٰ السَّلْطَنَةَ أَحَدُهُمَا وَثَبَتَ فِيهَا إِلَىٰ الآنَ وَلَكِنِ اسْمٌ بِلَا جِسْمٍ، وَكَانَ يُخْطَبُ لَهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَىٰ المِنْبَرِ سُلْطَانُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مَلِكُ الأَرْضِ، فَقَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: سُلْطَانُ طَاسَ وَبيكَاسَ مَلِكُ لدوكرَان، وَهُمَا مَوْضِعَانِ طَرَفَا الجَزِيرَةِ، وَيَصِحُّ دَوْرُ الجَزِيرَةِ فَرْسَخٌ، وَيُقَالُ: ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَلَهُ فِي البَحْرَيْنِ مَرَاكِبُ تُسَمَّىٰ بِالنُّوبِيَّةِ تَضْرِبُ لَهُ فِي (آل حس نوت).

وَتُؤَدِّي العَرَبُ الَّذِينَ هُمْ مُلَّاكٌ فِي البَحْرَيْنِ كُلَّ عَامٍ عِشْرِينَ أَلْفًا لِضَرْبِ تِلْكَ النُّوبَةِ فِي بِلَادِهِمْ... وَسَكِرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَقَالَ لِرَجُلٍ غَرِيبٍ حَضَرَ مَعَهُمْ: قَدْ وَهَبْتُكَ سَفَاهَات، فَقَبِلَ الرَّجُلُ الغَرِيبُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ المَلِكُ لِلْوَزِيرِ: اكْتُبْ لِفُلَانٍ مَنْشُورًا بِتَسْلِيمِ نُوَّابِنَا لَهُ سَفَاهَات! فَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً! فَبَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامٍ صَادَفَ المَلِكُ الرَّجُلَ الغَرِيبَ فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَتَجَهَّزْ إِلَىٰ سَفَاهَات؟ فَقَالَ لَهُ الغَرِيبُ: أَدَامَ اللهُ عِزَّ المَلِكِ، أُرِيدُ نَفَقَةً أَنْفِقُ بِهَا حَتَّىٰ أَتَوَصَّلَ إِلَىٰ سَفَاهَات، فَقَالَ: أَعْطُوهُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ المَبْلَغَ وَرَجَعَ إِلَىٰ بَلَدِهِ.

* * *

وَلِمَاذَا سُمِّيَتْ جَزِيرَةَ قَيْسٍ

تَرَاهَنَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ(١) بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ صَاحِبُ الدَّاحِسِ وَالغَبْرَاءِ، مَعَ رَبِيعِ بْنِ سَاسٍ صَاحِبِ الخَطَّارِ(٢) وَالحَنْفَاءِ، وَكَانَ الخَطَّارُ وَالدَّاحِسُ حِصَانَيْنِ، وَالغَبْرَاءُ وَالحَنْفَاءُ فَرَسَيْنِ، فَغَلَبَ الدَّاحِسُ الخَطَّارَ، وَجَرَىٰ بَيْنَ القَوْمِ مَا جَرَىٰ(٣)، فَخَرَجَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ صَاحِبُ الدَّاحِسِ إِلَىٰ نَاحِيَةِ عُمَانَ لِيُطْفِيَ نَارَ الشَّرِّ، فَلَمَّا تَوَطَّنَ فِي عُمَانَ فَتَحَ دُكَّانًا وَكَانَ عَطَّارًا وَقَعَدَ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي، وَإِذَا بِأَمِيرَيْنِ مِنْ أُمَرَاءِ عُمَانَ تَرَاهَنَا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَجَرَىٰ بِهِمُ الكَلَامُ فِي سِبَاقِ الدَّاحِسِ وَالخَطَّارِ، فَحَضَرَ الأَمِيرَانِ إِلَىٰ الشَّيْخِ العَطَّارِ وَسَأَلُوهُ عَنْ قِصَّةِ السِّبَاقِ وَمَنْ غَلَبَ وَغُلِبَ، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: مَا لَكُمْ بِسُؤَالِي مِنْ حَاجَةٍ، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: الدَّاحِسُ غَلَبَ، فَلَمَّا سَمِعَ المَغْلُوبُ اغْتَاظَ مِنْ هَذَا وَشَتَمَ الشَّيْخَ وَتَفَلَ فِي وَجْهِهِ، فَحِينَئِذٍ أَغْلَقَ الشَّيْخُ دُكَّانَهُ وَجَاءَ إِلَىٰ بَيْتِهِ وَأَسْرَجَ وَأَلْجَمَ(٤) الدَّاحِسَ وَرَكِبَ وَقَالَ لِبِنْتِهِ يَاقُوتَه: اسْبِقِينِي إِلَىٰ البِئْرِ الفُلَانِيَّةِ فَاقْعُدِي عِنْدَهَا، وَقَدِمَ الشَّيْخُ إِلَىٰ مَجْمَعِ

---

(١) بِفَتْحِ الجِيمِ وَكَسْرِ الذَّالِ وَسُكُونِ اليَاءِ وَفَتْحِ المِيمِ وَبَعْدَهَا هَاءٌ سَاكِنَةٌ. «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (٦/ ١٨).

(٢) يُنْظَرُ: «الأَعْلَامُ» (١/ ٦٦٩) لِلزِّرِكْلِيِّ.

(٣) يُنْظَرُ: «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٤/ ٣٨٦).

(٤) أَيْ: شَدَّ السَّرْجَ عَلَىٰ الخَيْلِ وَأَلْجَمَهُ بِاللِّجَامِ.

القَوْمِ وَقَالَ: أَنَا قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَحِصَانِي هَذَا هُوَ الدَّاحِسُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَلْيَعْرِفْنِي، وَحَمَلَ عَلَىٰ الَّذِي تَفَلَ فِي وَجْهِهِ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَسَاقَ الدَّاحِسَ إِلَىٰ البِئْرِ وَأَرْدَفَ ابْنَتَهُ يَاقُوتَه وَرَاءَهُ فَتَبِعَتْهُ الخَيْلُ إِلَىٰ السَّاحِلِ، فَرَكَضَ الحِصَانُ فَلَمْ يَنْزِلِ البَحْرَ فَعَصَبَ عَيْنَيْهِ وَآمَاقَهُ[1] فَنَزَلَ البَحْرَ وَسَبَحَ إِلَىٰ أَنْ تَوَسَّطَ البَحْرَ فَتَعِبَ الحِصَانُ وَغَرَقَ الثَّلَاثَةُ جَمِيعًا، وَقَالَ أَهْلُ جَزِيرَةِ قَيْسٍ: سَبَحَ الحِصَانُ بِرَاكِبَيْهِ إِلَىٰ أَنْ صَعِدَ بِهِمُ الجَزِيرَةَ فَسَكَنُوا وَأَهْلُ جَزِيرَةِ قَيْسٍ مِنْهُمْ، فَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ جَزِيرَتَهُمْ بِجَزِيرَةِ قَيْسٍ، وَهُوَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ[2]، لِأَنَّهُ أَبُو القَوْمِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الجَزِيرَةَ كَانَتْ... فَلَمَّا صَعِدَ قَيْسٌ مَعَ يَاقُوتَةَ وَالدَّاحِسِ وَلَّوْهُ أَهْلُ الجَزِيرَةِ عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَأَوْلَدَ الجَاشُو، وَزَوَّجَ يَاقُوتَةَ بِأَكْبَرَ مَنْ فِي الجَزِيرَةِ فَأَوْلَدَهَا الفُرْسَ، وَإِلَىٰ الآنَ فِي رُءُوسِ الفُرْسِ حَمَاقَةُ العَرَبِ.

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ... بِهِ الجَاشُو مِنَ الدَّيْلَمِ وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الفَلَاةَ بِفَارِسَ وَأَعْمَالِهَا، وَهِيَ ذَاتُ خَيْلٍ وَنَعَمٍ وَإِبِلٍ، فَلَمَّا طَالَ السَّوْطُ فِي القَوْمِ تَعَلَّقُوا فِي الجِبَالِ وَبَنَوُا الحُصُونَ وَسَكَنُوهَا، فَعُرِفَ القَوْمُ بِسَوَاكَارَه، أَيْ مُرْخِينَ الشُّعُورَ شِبْهَ الأَكْرَادِ، فَلَمَّا عُمِرَتِ الحُصُونُ رَكِبُوا الحُصُونَ وَازْدَادَتِ العِمَارَةُ، فَسَكَنَ رَجُلٌ مِنْهُمْ جَزِيرَةَ قَيْسٍ فَطَلَعَ مِنْ نَسْلِهِ الجَاشُو، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ.

---

(١) آمَاقُ العَيْنِ: مَآخِيرُهَا. «الفَائِقُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» (٣/ ٣٤١).

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَىٰ هَذِهِ الكُنْيَةِ عِنْدَ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَهُ بِـ(قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ رَبِيعَةَ) فَهَلْ رَوَاحَةُ هَذَا يُكْنَىٰ أَبَا سُفْيَانَ؟ اللهُ أَعْلَمُ.

نِسْبَةُ الجَاشُو

ثَارَ بِمَلِكٍ مِنَ المُلُوكِ عِلَّةُ البِرْسَامِ وَوَصَفَتْ لَهُ الأَطِبَّاءُ أَنْ يَفْتَرِشَ كُلَّ لَيْلَةٍ جَارِيَةً نُوبِيَّةً بِكْرًا يَزُولُ مَا بِهِ مِنَ العَرَضِ وَالمَرَضِ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَلَمْ يَكُنْ فِي جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ أَحَرُّ مِنْ فَرْجِ الجَارِيَةِ النُّوبِيَّةِ، فَمِنْ حَرَارَةِ فَرْجِ الجَارِيَةِ النُّوبِيَّةِ يَتَحَلَّلُ البِرْسَامُ وَيَنْزِلُ فِي جُمْلَةِ المَنِيِّ إِلَىٰ الجَارِيَةِ النُّوبِيَّةِ، فَإِذَا قَامَتِ المَرْأَةُ نَفَضَتِ المَنِيَّ مِنْ فَرْجِهَا وَبَرِئَ المَعْلُولُ مِنَ العِلَّةِ، وَلَمْ يَضُرَّ الجَارِيَةَ شَيْءٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ يَضُرُّهَا.

فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ ذَلِكَ أَنْفَذَ وَزِيرًا لَهُ إِلَىٰ بَرِّ السُّودَانِ فَأَمَرَ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ مِائَةَ جَارِيَةٍ نُوبِيَّةٍ أَبْكَارًا، فَلَمَّا تَجَهَّزَ الوَزِيرُ برحم(١) الآلَةَ وَتَرَكَهُ فِي حُقٍّ وَنَاوَلَهُ المَلِكُ وَسَافَرَ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ بَلَدَ السُّودَانِ وَاشْتَرَىٰ الجَوَارِيَ الأَبْكَارَ، وَقَدِمَ بِهِمْ إِلَىٰ المَلِكِ، فَلَمَّا قَدِمَ المَلِكُ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ وَجَدَهَا ثَيِّبًا، وَكَذَلِكَ الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ وَالعَاشِرَةُ إِلَىٰ المِائَةِ وَجَدَهُنَّ رُجَّعًا عَلَىٰ نَسَقٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا دَخَلَ الوَزِيرُ إِلَىٰ خِدْمَةِ المَلِكِ قَالَ المَلِكُ لِلْحَاضِرِينَ: جَاشك، أَيْ إِنَّهُ شَكَّ فِيهِمْ، أَيْ اسْتَفَضَّهُمْ، وَقَالَ: بَلْ مَا شَكَّ، أَيْ جَاءَ مِنْ شَكٍّ فِيهِ اليَقِينُ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ الوَزِيرُ مَقَالَةَ المَلِكِ اسْتَدْعَىٰ

---

(١) كَذَا فِي «ج»، وَأَمَّا «أ» و«ب»: «يرحم»، وَهُمَا مَنْسُوخَتَانِ عَنْ «ج».

بِالحُقِّ وَفَتَحَ رَأْسَهُ فَإِذَا فِيهِ الآلَةُ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذَا الفِعْلِ؟ قَالَ: خِفْتُ هَذَا الَّذِي بَدَا وَقَضِيَّةَ الَّذِي جَرَىٰ، وَحِينَئِذٍ نَادَىٰ المَلِكُ جَمِيعَ الجَوَارِي وَسَأَلَهُنَّ عَنْ حَالِهِنَّ فَقُلْنَ: إِنَّا نَزَلْنَا فِي الجَزِيرَةِ الفُلَانِيَّةِ وَسَبَحْنَا فِي عَيْنِ مَاءٍ عَذْبٍ فَمَا عَلِمْنَا بِأَنْفُسِنَا إِلَّا وَكُلٌّ مِنَّا مَعَهَا جِنِّيٌّ يَسْتَفِضُّهَا، فَقَالَ المَلِكُ: تَرُدُّهُمْ إِلَىٰ جَزِيرَتِهِمْ، فَسَكَنُوا جَزِيرَةَ قَيْسٍ، فَبَنَوُا الدُّورَ وَتَنَاسَلُوا وَكَثُرَ النَّاسُ، فَسُمُّوا جَاشكَ، عَلَىٰ مَا جَرَىٰ مِنْ لَفْظِ المَلِكِ، فَدَارَتْ عَلَيْهِمُ اللُّغَةُ فَسُمُّوا جَاشُو.

فَصْلٌ: حَدَّثَنِي أَبُو القَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ المُرَابِطُ قَالَ: تَمَّتْ حَالَةٌ مِثْلُ هَذِهِ الحَالَةِ فِي أَرْضِ المَغْرِبِ وَأَنْفَذَ المَلِكُ بِوَزِيرٍ لَهُ يُسَمَّىٰ... بَا أي إِلَىٰ أَعْمَالِ السُّودَانِ يَشْتَرِي لَهُ جَوَارٍ، فَلَمَّا دَنَا المَلِكُ مِنَ الجَوَارِي وَجَدَ عِنْدَهُنَّ وسَاعًا، قَالَ: زنَاتَا، يَعْنِي الوَزِيرَ نَاوانَا، فَعُرِفَتِ القَبِيلَةُ بِزنَاتَا، وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ البَرْبَرِ رَجُلٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ ضَارِبِ سَيْفٍ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَمَا أَظُنُّ القَوْمَ افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا سَكَنَتْ أَرْضَ المَغْرِبِ فَعُرِفُوا بِزنَاتَا، وَالفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ سَكَنَتْ جَزِيرَةَ قَيْسٍ فَعُرِفُوا بِالجَاشُو.

* * *

صِفَةُ اللُّؤْلُؤِ

أَصْلُهُ صَدَفٌ يَتَرَبَّىٰ فِي قَعْرِ البَحْرِ المَالِحِ فَإِذَا نَزَلَ الغَيْثُ فِي فَصْلِ نَيْسَانَ صَعِدَ الصَّدَفُ يَنْفَتِحُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ بَعْدَ أَنْ يَطْفُوَ عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ لِأَجْلِ الْتِقَاطِ الغَيْثِ، فَكَمْ مَا وَقَعَ فِي أَحَدِهِمْ قَطْرَةٌ انْضَمَّ الصَّدَفُ عَلَىٰ قَطَرَاتِ الغَيْثِ الَّذِي حَصَلَ بِبَاطِنِ الصَّدَفِ إِلَىٰ قَرَارِ[1] البَحْرِ يُرَبِّيهِ، كَمَا قَالَ:

أَيلُولُ دَهْرِي مِنْكُمُ لَا يُفَارِقُنِي ... وَحَقِّ غَيْرِي آذَارُ ثُمَّ نَيْسَانُ

فَصْلٌ: قَالَ أَنُوشِرْوَانُ العَادِلُ لِوَزِيرِهِ بُزُرْجَمْهَرَ: كَمْ يُسَاوِي تَاجِي هَذَا؟ قَالَ: دَخْلَ مَطَرَةٍ فِي نَيْسَانَ. قَالَ: وَمَا المَعْنَىٰ فِيهِ؟ قَالَ: إِنْ وَقَعَ فِي البَرِّ فَهُوَ بُرٌّ، وَإِنْ وَقَعَ فِي البَحْرِ فَهُوَ دُرٌّ.

أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ الوَاسِطِيُّ:

هُوَ حُرٌّ وَإِنْ أَلَمَّ بِهِ الضُّـ ... ـرُّ فَفِيهِ العَفَافُ وَالأَنَفُ

وَالذُّلُّ لَا مرجَىٰ لِمَكْرُمَةٍ ... لِأَنَّ فِيهِ المِزَاجَ مُخْتَلِفُ

كَالقَطْرِ سُمٌّ إِنْ حَلَّ فِي فَمِ النَّـ ... ـصْلِ وَدُرٌّ إِنْ ضَمَّهُ الصَّدَفُ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ القَاضِي الرَّازِي قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ لَفْظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ

---

(١) وَقَعَ فِي المَطْبُوعِ: «قزار»، وَالمُثْبَتُ هُوَ الصَّوَابُ، وَقَرَارُ البَحْرِ هُوَ عُمْقُهُ وَغَوْرُهُ.

مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الحُسَيْنِ، المَعْرُوفِ بَابْنِ خَطِيبَةٍ بِالرَّيِّ قَالَ: لَيْسَ يَنْفَتِحُ الصَّدَفُ وَيَسْتَقْبِلُ الغَيْثَ إِلَّا فِي البَحْرِ المُحِيطِ وَرَاءَ عَالَمِ الكَوْنِ وَالفَسَادِ، فَإِذَا نَزَلَ الدُّرُّ فِي الصَّدَفِ سَبَحَ الصَّدَفُ فِي قَعْرِ البَحْرِ وَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي مَغَاصِهِ المَعْرُوفِ بِالبَحْرَيْنِ وَكَيْش وَالمَعْبَرِ وَسَيَلَانَ[1] وَفِي مَوَاضِعَ شَتَّىٰ.

وَمَا يُصَادُ الصَّدَفُ إِلَّا يَوْمَ يَطْلُعُ النَّخْلُ، وَيَبْطُلُ يَوْمَ يُقْطَعُ العِذْقُ عِنْدَ انْصِرَامِ النَّخْلِ، لِأَنَّ هَذَا الفَصْلَ هَادِئُ المَوْجِ مِنْ قِلَّةِ المَوْجِ، وَكَانَ المَغَاصُ فِي... مُبَاحًا لِلنَّاسِ كُلٌّ يَغُوصُ لِرُوحِهِ وَيَأْخُذُ مَا قُسِمَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ.

وَكَانَ اللُّؤْلُؤُ مِنْ كَثْرَتِهِ تَحْلِيَةَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ وَالمَشَايِخِ، وَهُوَ مَوْسِمٌ كَمَوْسِمِ الغِلَالِ فِي سَائِرِ العَالَمِ تَحْلِيَةَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا فِي هَذَا الوَقْتِ فَإِنَّهُ بَطَلَ جَمِيعُ ذَلِكَ وَصَارَ الصَّيَّادُونَ يَصْطَادُونَ وَعَلَيْهِمْ كَتَبَةٌ وَعُمَّالٌ وَقُبَّاضٌ يَتَسَلَّمُونَ مِنْهُمُ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ مِنَ الآخِرِ إِلَىٰ الأَوَّلِ، وَلَوْ وَجَدَ حَبَّةً فِي يَدِ رَجُلٍ لَأَخَذَ مَا تَحْتَهُ وَمَا فَوْقَهُ.

فَصْلٌ: سَفَّرَ جَمَالُ الدِّينِ بَخْتِيَارُ القَابِضُ إِلَىٰ الهِنْدِ رَجُلًا بِرَأْسِ مَالٍ مَبْلَغُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ أَخَذَ بِهِ السُّرَّاقُ وَسَلِمَ مَعَهُ مِنْ جُمْلَةِ المَبْلَغِ عَشَرَةَ مَثَاقِيلَ ذَهَبٍ، فَدَخَلَ قَيْس فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدًا فِي بَيْتِهِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَسْوَدَانِ زُنُوجٌ وَقَالَا لَهُ: تَشْتَرِي مِنَّا حَبَّةَ لُؤْلُؤَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَحِينَئِذٍ أَخْرَجَ أَحَدُهُمْ مِنْ فِيهِ حَبَّةً أَكْبَرَ مِنْ بَيْضَةِ العُصْفُورِ، فَلَمَّا شَاهَدَ الرَّجُلُ الحَبَّةَ حَارَ وَدَارَ وَلَفَّهَا فِي فِيهِ وَبَلَعَهَا، فَقَالُوا لَهُ: هَاتِ الحَبَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: وَاللهِ إِنِّي تَرَكْتُهَا فِي فَمِي لِأَنْظُرَ

---

(١) يُنْظَرُ: «مَرَاصِدُ الاِطِّلَاعِ» (٢/ ٧٦٧).

صَفَاءَهَا فَنَزَلَتْ إِلَىٰ الأَمْعَاءِ، فَقَالُوا لَهُ: فَمَا تُعْطِينَا ثَمَنَهَا؟ فَأَخْرَجَ لَهُمُ العَشَرَةَ وَحَلَفَ بِاللهِ العَظِيمِ لَا يَمْلِكُ سِوَىٰ ذَلِكَ، بَلْ خُذُوا مِنْهَا مَا شِئْتُمْ وَخَلُّوا إِلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَعَدُّوا ثَمَانِيَةَ أَعْدَادٍ وَأَعْطُوهُ عَدَدَيْنِ، وَسَافَرَ الرَّجُلُ بِالسَّلَامَةِ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ سَفَاهَاتٍ فَأَعْطَىٰ الحَبَّةَ لِجَمَالِ الدِّينِ بَخْتَيَارَ القَاضِي وَقَالَ لَهُ: تَجْعَلُنِي فِي حِلٍّ مِنْ مَبْلَغٍ كَانَ لَكَ عَلَيَّ، قَالَ لَهُ: أَنْتَ فِي حِلٍّ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَكَ مِنْ مَبْلَغِ أَلْفِ مِثْقَالٍ، وَزْنُ كُلِّ مِثْقَالٍ سِتَّةُ دَوَانِيقَ، كُلُّ دَانِقٍ أَرْبَعُ طَيَاسِيجَ، كُلُّ طَيْسُوجٍ أَرْبَعُ شَعِيرَاتٍ، وَأَعْطَاهُ فِي يَدَيْهِ مِائَةَ مِثْقَالٍ، أَيْ يَعِيشُ فِيهَا وَيَأْكُلُ فِيهَا الخُبْزَ، فَوَصَلَ خَبَرُ الحَبَّةِ إِلَىٰ بَغْدَادَ فَأَنْفَذَ الإِمَامُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، إِلَيْهِ لِيُنْفِذَ الحَبَّةَ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الحَبَّةُ إِلَىٰ عَيْنِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْفَذَ لَهُ ثَمَنَهَا سِتَّةَ آلَافِ مِثْقَالٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا قُوِّمَتْ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَصْلٌ: كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ كَشَكَ[1]، وَمَاتَ وَمَلَكَ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ المُلْكَ، فَأَبْصَرَ مِنَ البَضَائِعِ جملًا، فَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي البَيْعِ فَبَاعَ وَصَارَ التُّجَّارُ يَدْخُلُونَ حَوْفًا بَعْدَ حَوْفٍ[2] يَشْتَرِي كُلٌّ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ وَصَلُحَ لَهُ، فَدَخَلَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ، وَيُقَالُ: عَبْدُ اللَّطِيفِ وَلَدُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ التِّكْرِيتِيُّ إِلَىٰ مَخَازِنِ النِّيلِ بَقِيَ مِنْهَا اثْنَا عَشَرَ قِطْعَةً، وَوَزَنَ ثَمَنَهَا وَرَفَعَهَا وَسَافَرَ بِهَا وَكَتَبَ اللهُ لَهُ السَّلَامَةَ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ تِكْرِيتَ، فَجَاءَ يَهُودِيٌّ صَبَّاغٌ يَشْتَرِي مِنْهُ قِطْعَةً فَأَخَذَ

---

(١) تَقَدَّمَ عَنِ المُصَنِّفِ أَنَّ «كَشَكَ» مِنْ أَعْمَالِ الهِنْدِ.

(٢) الحَوْفُ: القَرْيَةُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ. «العَيْنُ» (٣/ ٣٠٧) لِلْفَرَاهِيدِيِّ ط. «دَارِ مَكْتَبَةِ الهِلَالِ».

قِطْعَةً لِيُرِيَ العَيْنَ فَإِذَا هِيَ قِطْعَةٌ مِلْؤُهَا لُؤْلُؤٌ.

فَلَمَّا أَبْصَرَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ ذَلِكَ قَالَ لِلْيَهُودِيِّ: ادْفَعْ قِطْعَةَ نِيلٍ وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْهُ وَاكْتُمْ مَا رَأَيْتَ، وَخَرَجَ اليَهُودِيُّ بِمَا مَعَهُ وَقَامَ الشَّيْخُ ابْنُ سُوَيْدٍ عَلَّمَ وَلَدَهُ ثَقْبَ اللُّؤْلُؤِ فَصَارَ الوَلَدُ يَثْقُبُ كُلَّ حَبَّةٍ تُشْبِهُ بَيْضَ الدَّجَاجِ، وَصَارَ الشَّيْخُ يَنْفُذُ بِعُقُودِ اللُّؤْلُؤِ مِنْ تِكْرِيتَ إِلَىٰ أَعْمَالِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ العُظْمَىٰ وَإِلَىٰ آخِرِ أَعْمَالِ المَغْرِبِ وَإِلَىٰ آخِرِ الهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَهُوَ يَبِيعُ مِنْهُ إِلَىٰ الآنَ.

قَالَ ابْنُ المُجَاوِرِ: وَكَانَ السَّبَبُ فِي تِلْكَ القِطْعَةِ أَنَّ المَلِكَ كَانَ يُبْقِي اللُّؤْلُؤَ فَمَا كَانَ مِنْ حَبَّةٍ غَالِيَةٍ كَبِيرَةٍ مَلِيحَةٍ تَرَكَهَا فِي كِيسٍ إِلَىٰ أَنْ كَثُرَ الشَّيْءُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا زَادَ خَيَّطَ لَهُ كِيسًا وَعَبَّىٰ اللُّؤْلُؤَ المُتَغَالِيَةَ وَخَيَّشَهُ بِخَيَشٍ وَرَكَّبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ عُرًىٰ وَجَلَّدَهُ بِجِلْدِ بَقَرٍ فَرَجَعَ يُشْبِهُ قِطْعَةَ نِيلٍ، وَعَلَّمَ فِيهَا عَلَامَةً يُعَرِّفُهَا وَعَبَّاهَا بَيْنَ النِّيلِ، فَلَمَّا حَصَلَتْ فِي نَصِيبِ ابْنِ سُوَيْدٍ فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يُعْرَفْ لِمَالِهِ قِيَاسٌ وَلَا حَدٌّ مِنْ بَرَكَاتِ تِلْكَ القِطْعَةِ، كَمَا قِيلَ:

يَفُوتُ الغِنَىٰ مَنْ لَا يَنَامُ عَنِ السُّرَىٰ ... وَآخَرُ يَأْتِي رِزْقُهُ وَهْوَ نَائِمُ[1]

❊ ❊ ❊

---

(١) وَهَذَا البَيْتُ فِي «شَرْحِ دِيوَانِ المُتَنَبِّي» (ص٦٥) لِأَبِي البَقَاءِ العُكْبَرِيِّ ط. «دَارِ المَعْرِفَةِ»، وَ«الدُّرُّ الفَرِيدُ وَبَيْتُ القَصِيدِ» (٥/ ٧٥) لِلْمُسْتَعْصِمِيِّ ط. «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ».

صِفَةُ جَزِيرَةِ قَيْسٍ

جَزِيرَةٌ يَصِحُّ دَوْرُهَا ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ مَصَارِيَّةً، طُولٌ فِي عَرْضٍ، وَهِيَ ذَاتُ نَخْلٍ وَزِرَاعَاتٍ، القَرَظُ نَخْلُ المَلِكِ، وَمَا وَالَاهَا سَاحِلٌ يَحْفُرُ الإِنْسَانُ الرَّمْلَ بِيَدِهِ فَيَنْبُعُ عَلَيْهِ المَاءُ حُلْوًا عَذْبًا فُرَاتًا. وَيُقَالُ: إِنَّ فِيهَا كَارِيزَ جَارٍ فِي بُسْتَانِ المَلِكِ، وَحَفَرَتِ المُلُوكُ بِهَا أَحْوَاضًا وَصَهَارِيجَ فِي أَوَّلِ العَهْدِ وَبَقِيَتْ تُعْمَرُ إِلَىٰ الآنَ يَمْلَؤُهَا مَاءُ العُيُونِ وَالسُّيُولِ.

مَأْكُولُهُمُ السَّمَكُ وَيَعْمَلُونَ مِنْهُ الهَرَائِسَ وَيُؤْكَلُ مَعَ التَّمْرِ، وَلَيْسَ لِأَهْلِهَا مَأْكُولٌ سِوَاهُ، وَلَمْ يَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ إِلَّا بِاليَدِ اليُمْنَىٰ، لَا غَيْرُ، وَإِذَا كَسَرَ الإِنْسَانُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ العَيْبُ العَظِيمُ[(١)].

وَبِنَاءُ القَوْمِ بِالحَجَرِ وَالجَصِّ، وَدُورُهُمْ ذَاتُ عُلُوٍّ وَرِفْعَةٍ، يَجْعَلُ أَحَدُهُمْ فِي البِنَاءِ سَبْعَةَ طَبَقَاتٍ، وَكُلُّ دَارٍ مِنْهَا شِبْهُ حِصْنٍ مَانِعٍ، وَلَا يَزَالُ بِهَا أَشْجَارٌ نُقِلَتْ مِنَ البَصْرَةِ، وَيُزْرَعُ بِهِ البُقُولُ وَسَائِرُ الخُضْرَوَاتِ.

وَفِي أَهْلِهَا عِرْقُ تَكَبُّرٍ وَعِرْقُ خِفَّةٍ وَعِرْقُ جُنُونٍ، كَمَا يُقَالُ: الجُنُونُ فُنُونٌ، يُنْسَبُونَ إِلَىٰ قَيْسِ بْنِ المُلَوَّحِ، وَيُقَالُ: إِلَىٰ امْرِئِ القَيْسِ، وَالأَصَحُّ إِلَىٰ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

---

(١) أَيْ: إِذَا كَسَرَ الخُبْزَ وَنَحْوَهُ مِنْ مَأْكُولٍ مِمَّا يُكْسَرُ.

لِبْسُهُمْ مِنْ أَعْمَالِ المَهْدِيَّةِ[(١)] بِالمَغْرِبِ، وَيَرْجِعُونَ يُرْخُونَ هُدْبَاتِ العَمَائِمِ طُوَال، وَهُمْ رِجَالُ البَحْرِ، وَلَيْسَ لِصَاحِبِهَا خَيْلٌ وَلَا عَسْكَرٌ إِلَّا الدَّوَانِيجَ وَالبُومَاتِ وَالهَاسِقَ، شِبْهَ العَقَارِبِ، وَتَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ البَحْرِ، وَقَدْ قَنَعُوا بِبَلْدَةٍ وَسَكَن، وَلِبْسُ نِسَائِهِمُ السَّوَادُ.

وَإِذَا تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأَعْطَاهَا مِائَةَ دِينَارٍ أَعْطَتْهُ المَرْأَةُ مِائَةً أُخْرَىٰ وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ قَبَالَهُ[(٢)] دَيْنٍ حَالٍّ قَارٍّ بِمَبْلَغِ مِائَتَيْ دِينَارٍ، وَكُلَّمَا زَادَ الرَّجُلُ فِي المَهْرِ زَادَتِ المَرْأَةُ فِي النَّقْدِ، وَإِذَا نَقَصَ مِنَ المَهْرِ نَقَصَ مِنَ النَّقْدِ.

وَهُمْ قَوْمٌ يُعِزُّونَ الغُرَبَاءَ، وَلَهُمْ بِهِمْ عِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَتَحْكُمُ نِسَاءُ هَذِهِ الأَعْمَالِ عَلَىٰ رِجَالِهَا، وَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ إِلَّا مَا تَقُولُ زَوْجَتُهُ مِنْ صَلَاحِ أَمْرٍ أَوْ فَسَادِ حَالٍ، وَهَذَا خِلَافُ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«شَاوِرُوهُنَّ وَخَالِفُوهُنَّ، فَإِنَّ فِي مُخَالَفَتِهِنَّ البَرَكَةَ»**[(٣)].

---

(١) يُنْظَرُ: «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (٥/ ٢٢٩).

(٢) القَبَالَةُ: هِيَ وَثِيقَةٌ يَلْتَزِمُ بِهَا الإِنْسَانُ أَدَاءَ عَمَلٍ أَوْ دَيْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

(٣) هَذَا الحَدِيثُ لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَوْدَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي بَيَّنُوا فِيهَا الأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تَثْبُتُ عَنْهُ ﷺ، مِنْهُمُ السَّخَاوِيُّ فِي «المَقَاصِدُ الحَسَنَةُ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ المُشْتَهِرَةِ عَلَىٰ الأَلْسِنَةِ» بِرَقْمِ (٥٨٥)، وَمُلَّا القَارِي فِي «المَصْنُوعُ فِي مَعْرِفَةِ الحَدِيثِ المَوْضُوعِ» بِرَقْمِ (١٦٠)، وَمَرْعِي الحَنْبَلِيُّ فِي «الفَوَائِدُ المَوْضُوعَةُ فِي الأَحَادِيثِ المَوْضُوعَةِ» بِرَقْمِ (٧٦) وَغَيْرُهُمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ عِنْدَمَا أَشَارَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخَذَ بِمَشُورَتِهَا وَلَمْ يُخَالِفْهَا، وَهَذَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالقِصَّةُ عِنْدَ البُخَارِيِّ بِرَقْمِ (٢٧٣٢).

فَكَانَتْ خُلَفَاءُ قَيْسٍ يُسَلِّمُونَ القِطْعَةَ لِلسُّلْطَانِ الأَعْظَمِ رُكْنِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبِي الفَتْحِ مَلِكِ شَاهْ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ أَلْب أَرْسَلَانَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَتَوَلَّىٰ بَعْدَهُ السُّلْطَانُ الأَعْظَمُ مُعِزُّ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبُو الحَارِثِ سنْجَرُ بْنُ أَيُّوبَ شَاهْ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ الفُقَرَاءِ لِاتِّسَاعِ المُلْكِ عَلَيْهِ وَالمَالِ لَدَيْهِ قَطَعَ ذَلِكَ، إِلَىٰ أَنْ جَدَّدَ الإِمَامُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ، النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، وَكَانَ السَّبَبُ فِيمَا ذَكَرَهُ أَنَّ تَاجِرًا مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ فِي جَزِيرَةِ قَيْسٍ وَخَلَّفَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا عَيْنًا فَأَخَذَ المَلِكُ ذَلِكَ المَالَ، وَجَاءَ الوَارِثُ بِكِتَابٍ حُكْمِيٍّ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتَهُ عِنْدَ الحَاكِمِ، فَلَمَّا وَصَلَ الأَمْرُ إِلَىٰ المَلِكِ اسْتَكْبَرَ عَنْ أَدَاءِ المَالِ وَتَغَلَّبَ عَلَىٰ الوَارِثِ، وَرَدَّ الوَارِثُ بِكِتَابِ الحُكْمِ إِلَىٰ بَغْدَادَ وَعَرَضَ حَالَهُ وَمَا تَمَّ لَهُ عَلَىٰ الإِمَامِ، فَأَمَرَ الإِمَامُ الأَمِيرَ بَادَكِينَ(١) صَاحِبَ البَصْرَةِ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُمُ المَادَّةَ، فَقَطَعَ وَضَاقَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الجَزِيرَةِ، فَلَمَّا رَأَىٰ المَلِكُ نُقْصَانَ حَالِهِ قَرَّرَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الثَّلَاثِينَ الأَلْفَ دِينَارٍ الَّتِي لِلْمُتَوَفَّىٰ إِلَىٰ وَرَثَتِهِ بِبَغْدَادَ مَعَ نِصْفِ دَخْلِ جَزِيرَةِ قَيْسٍ لِلْخَلِيفَةِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

فَفِي الجَزِيرَةِ عَامِلٌ لِلْخَلِيفَةِ وَعَامِلٌ لِصَاحِبِ كَيْشٍ، وَكَذَلِكَ فِي نَفْسِ الجَزِيرَةِ عَامِلٌ لِلْخَلِيفَةِ وَعَامِلٌ لِلْمَلِكِ، كَمَا قَالَ:

يَا قَاتِلِي جُرْمًا بِغَيْرِ مَوَدَّةٍ ... احْذَرْ عَلَيْكَ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وَهَذِهِ الجَزِيرَةُ حَصِينَةٌ طَيِّبَةٌ نَزِهَةٌ، وَغَالِبُ سَفَرِ أَهْلِهَا فِي البَحْرِ وَشِرَاؤُهُمُ البَرْبَهَارُ، وَلَيْسَ يُخْرَجُ عِنْدَهُمْ مِنَ الضَّرَائِبِ الذَّهَبُ إِلَّا أَبُو نُقْطَة، وَلَا يَشْتَرِي أَحَدٌ

---

(١) وَفِي بَعْضِ المَصَادِرِ: «بَاتَكِينَ»، يُنْظَرُ: «تَارِيخُ الإِسْلَامِ» (١٤/ ٣١٥) لِلذَّهَبِيِّ.

مِنْ هَؤُلَاءِ قُدُورَ البُرَامِ[(١)] وَقَصَبَ القَنَا إِلَّا المَلِكُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَبِعْ أَحَدٌ قُدُورَ البُرَامِ وَقَصَبَ القَنَا إِلَّا المَلِكُ وَحْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَبِعْ هَذِهِ صَاحِبُهَا عَلَىٰ المَلِكِ أَخَذَهَا عُنْفًا.

يُقَالُ: إِنَّ عِنْدَهُ مَخَازِنَ بُرَامٍ وَغَضَائِرَ مِلْؤُهَا قَصَبُ القَنَا، وَلَمْ يَقَعْ لِلْمُسَافِرِ وَقْتَ السَّفَرِ فَسْحٌ إِلَّا بِخَطٍّ سَبْعَ عَشْرَةَ عَلَامَةً لِلنُّوَّابِ وَالثَّامِنَةَ عَشَرَ عَلَامَةُ المَلِكِ.

حَدَّثَنِي جَوْشَن بَام بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الجَاشُو قَالَ: إِذَا وَقَّعَ المَلِكُ عَلَىٰ خَطِّ الفَسْحِ أَعَادَ لِلرَّجُلِ الخَطَّ، يَعْنِي الفَسْحَ، مِنْ خِلَالِ خَشَبٍ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَهُوَ خِلَالٌ يُخَلِّلُ بِهِ الإِنْسَانُ أَسْنَانَهُ عِنْدَ أَكْلِ اللَّحْمِ الحَرَامِ، فَإِنْ صَحَّ حَمَلَهُ غُلَامٌ، وَلَمْ يَصِحَّ الخِلَالُ لِمَنْ يَكْتُبُ الرُّقْعَةَ، قُلْتُ: فَمَا المَعْنَىٰ فِي الخِلَالِ؟ قَالَ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهَا رُسُومٌ جَرَتْ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، قُلْتُ: وَمَنْ يَنْحِتُ هَذِهِ الأَخِلَّةَ؟ قَالَ: المَلِكُ بِيَدِهِ.

❊ ❊ ❊

---

(١) هِي قُدُورٌ مِنْ حِجَارَةٍ.

مَا الجَزِيرَةُ فِي الأَصْلِ

دفَا وَوَادِي الأَحْجَارِ وَعطفَانُ ولوي وحوار وحصوين ومحترقة وَالعقر وكلتَا وصَاحت وليمن وكرَار وحصب وجرعَا وَالمَجزرَةُ، وَيُخْطَبُ لَهُ فِي كنبَايت وَالسومنَات ويدرِيسر، وَهَذِهِ البِلَادُ بِلَادٌ وَاحِدَةٌ، وَإِذَا وَصَلَ مَرْكَبُ القَيْسِيِّ يُحْتَرَمُ غَايَةَ الِاحْتِرَامِ لَا غَيْرُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ بِهَا اخْتَارُوا المَلِكَ مِنْ قَيْسٍ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَإِذَا خَطَبَ لِلْخَلِيفَةِ خطَبَ مَنْ بَعْدَهُ لِصَاحِبِ كَيْشٍ لَا غَيْرُ، وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ.

* * *

ذِكْرُ مَا فَعَلَ صَاحِبُ قَيْسٍ

وَقِيلَ: صَاحِبُ كَيْشٍ، وَمَا فَعَلَ مَعَهُ صَاحِبُ مُكْرَانَ.

أَنْفَذَ المَلِكُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو المَكَارِمِ بْنَ الحَسَنِ وَابْنَ الحُسَيْنِ كهرو بِمَالٍ جَزِيلٍ فَاشْتَرَيَا لَهُ مِنْ مَسْقَطَ حِصَانًا قِيمَتُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ، وَرُكِّبَ الحِصَانُ فِي مَرْكَبٍ تَعَدَّىٰ بِهِ مِنْ بَرِّ العَرَبِ إِلَىٰ بَرِّ العَجَمِ، فَلَمْ يُخْبِرِ الحِصَان مَلِك قَيْسٍ، فَأَنْفَذَ دَوَانِيجَ وَبُومَاتٍ قَطَعُوا عَلَيْهِ الطَّرِيقَ وَأَخَذُوا الحِصَانَ.

فَلَمَّا سَمِعَ تَاجُ الدِّينِ أَبُو المَكَارِمِ قِصَّةَ الحِصَانَ أَخَذَ مَرَاكِبَ السُّرَّاقِ وَمَيَّلَهَا عَلَىٰ مَنَادِخِ[(١)] القَيْسِيِّ وَقَالَ لَهُمْ: كُلَّ مَرْكَبٍ تَرَوْنَهُ لِصَاحِبِ قَيْسٍ فَخُذُوهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فَأَخَذُوا مِنْ ذَلِكَ المَوْسِمِ اثْنَيْ عَشَرَ مَرْكَبًا موسوقًا[(٢)] مِنْ سَائِرِ الأَمْتِعَةِ وَالطُّرَفِ وَالتُّحَفِ وَالأَمْوَالِ، فَأَنْفَذَ صَاحِبُ كَيْشٍ إِلَىٰ تَاجِ الدِّينِ بْنِ مُكْرَانَ رَسُولًا يَقُولُ لَهُ: قُلِ الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ، كَيْفَ رَجَعَ المُلُوكُ سُرَّاقًا يَقْطَعُونَ طُرُقَ البَحْرِ عَلَىٰ سُلَّاكِهِ؟! فَقَالَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ مُكْرَانَ لِلرَّسُولِ: وَاللهِ مَا عَلَّمَنِي قَطْعَ الطَّرِيقِ إِلَّا مَلِكُكُمْ.

---

(١) تَقَدَّمَ أَنَّهَا جَمْعُ مَنْدَخٍ، وَمَنْتَخٍ، الجَبَلُ المُرْتَفِعُ وَنَحْوُهُ.

(٢) أَيْ: مُحَمَّلًا، وَيُنْظَرُ: «تَكْمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ» (١١/ ٣٩).

فَقَالَ الرَّسُولُ عَلَىٰ لِسَانِ مَلِكِهِ: مِثْلِي يُقَاوِي مِثْلَكَ، قَالَ: لَيْسَ لَكَ طَاقَةٌ، قَالَ: أَنَا أُعَرِّفُكَ نَفْسِي، قَالَ: بِغَيْرِ الِاخْتِيَارِ، قَالَ: لَأَفْدِيَنَّكَ قَدْرَكَ، قَالَ: هَذَا شَهْوَتِي، قَالَ: إِنِّي مَبْلَغُ شَهْوَتِكَ، قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَاللهِ لَا كَلَّمْتُهُ أَبَدًا وَلَوَ انَّهُ ... كَالبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالمُكْتَفِي

وَلَأَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَرَارَةِ هَجْرِهِ ... كَيْلَا يَرَانِيَّ العَذُولُ فَيَشْتَفِي

مَنْ صَحَّ قَبْلَكَ فِي الهَوَىٰ مِيثَاقُهُ ... حَتَّىٰ تَصِحَّ وَمَنْ وَفَىٰ حَتَّىٰ تَفِي

وَقَالَ آخَرُ:

مَنْ لَا يَزُرْكَ فَلَا تَزُرْ ... هُ وَلَا كَرَامَهْ

وَامْدُدْ لَهُ حَبْلَ الجَفَا ... وَاحْفِرْ لَهُ فِي الأَرْضِ قَامَهْ

فَإِذَا بَرِي وَلَقِيتَهُ ... فَالعُذْرُ يَهْنِئَكَ السَّلَامَهْ

وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ... فَقَدِ اسْتَرَحْتَ مِنَ المَلَامَهْ

وَقَالَ آخَرُ:

سَأَلْبَسُ لِلصَّبْرِ ثَوْبًا جَدِيدًا ... وَأَفْتِلُ لِلْهَجْرِ حَبْلًا طَوِيلَا

لَعَلِّيَ بِالرَّغْمِ لَا بِالرِّضَا ... أُخَلِّصُ قَلْبِي قَلِيلًا قَلِيلَا[1]

* * *

(١) هَذَانِ البَيْتَانِ فِي كِتَابِ «البَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ» (٤/ ١٤٦) لِأَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ ط. «دَارِ صَادِرٍ».

صِفَةُ القَالِي

هِيَ عَيْنُ قِيرٍ تَنْبُعُ فِي وَسَطِ البَحْرِ، فَإِذَا كَثُرَ القِيرُ ضَرَبَهُ المَوْجُ قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ، وَزْنُ كُلِّ قِطْعَةٍ أَلْفٌ مِنْ زَائِدٍ وَنَاقِصٍ.

وَحَدَّثَنِي جَوْشَن بَام بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: إِذَا غَاصَ الإِنسَانُ عَلَىٰ يَمِين القِيرُ بِقِرْبَةٍ يَنْزِلُ فَمُ القِرْبَةِ عَلَىٰ فَمِ العَيْنِ تُمْلَأُ القِرْبَةُ مَاءً عَذْبًا شِبْهَ الزُّلَالِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: لِأَنَّ مَا يَخْرُجُ مِنَ العَيْنِ إِلَّا مَعَ المَاءِ الحَارِّ، وَالمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ القِيرِ يَكُونُ حُلْوًا شِبْهَ العَافِيَةِ.

قَالَ حَكِيمٌ: إِنَّ القِيرَ فِي مَعْدِنِهِ وَمَا يَحِلُّهُ وَيُسْلِسُلُهُ عَلَىٰ المَوْجِ إِلَّا حَرَارَةُ المَاءِ تَحِلُّهُ وَتُدَفِّقُ المَاءَ مِنْ تَحْتِهِ وَيَخْرُجُ إِلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ وَالبَحْرِ، وَكَذَلِكَ قِيَاسُ العَنْبَرِ، وَهُوَ عَيْنٌ سَيَّالَةٌ فِي بِحَارِ الخَرَابِ حَيْثُ لَا عِمَارَةَ فِيهِ وَلَا سَكَنٌ، وَتَخْرُجُ بِخَرْجِ عَيْنِ القِيرِ بِالنَّعْتِ وَالصِّفَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ(١).

* * *

(١) لِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ: «الرَّوْضُ المِعْطَارُ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ» (ص٤٨٨) ط. «مُؤَسَّسَةِ نَاصِرٍ لِلثَّقَافَةِ» بِـ«بَيْرُوتَ» ط. الثَّانِيَة (١٩٨٠م).

صِفَةُ البَحْرَيْنِ(١)

هِيَ جَزِيرَةٌ فِي صَدْرِ بَحْرِ فَارِسٍ، كَمَا أَنَّ القُلْزُمَ فِي صَدْرِ بَحْرِ الحَبَشَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا جَزِيرَةٌ فِي بَحْرٍ مَالِحٍ فَوْقَ بَحْرٍ عَذْبٍ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ البَحْرَيْنِ.

حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ البِلَادِ قَالُوا: إِذَا غَاصَ إِنْسَانٌ بَيْنَ المَاءَيْنِ وَشَرِبَ فَشَرِبَ مَاءً عَذْبًا فُرَاتًا وَأَعْلَاهُ مَاءٌ مَالِحٌ مِلْحًا أُجَاجًا.

وَقَالَ: مَا سُمِّيَ البَحْرَيْنِ بَحْرَيْنِ إِلَّا لِأَجْلِ البَحْرِ، وَأَهْلُهَا العَرَبُ شِبْهُ البَحْرِ فِي كَرَمِهِمْ، أَيْ بِلَادٌ تُسَمَّىٰ البَحْرَيْنِ: بَحْرُ مَاءٍ وَبَحْرُ خُلُقٍ.

وَتُسَمَّىٰ الجَزِيرَةُ جَزِيرَةَ أُوَالَ(٢)، وَبِهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ قَرْيَةً إِمَامِيَّةَ المَذْهَبِ مَا خَلَا قَرْيَةً وَاحِدَةً، وَمَأْكُولُهُمُ التَّمْرُ وَالسَّمَكُ مِنْ مَاذِي رَائِحَةٍ وَطَعْمٍ رفنٍ.

---

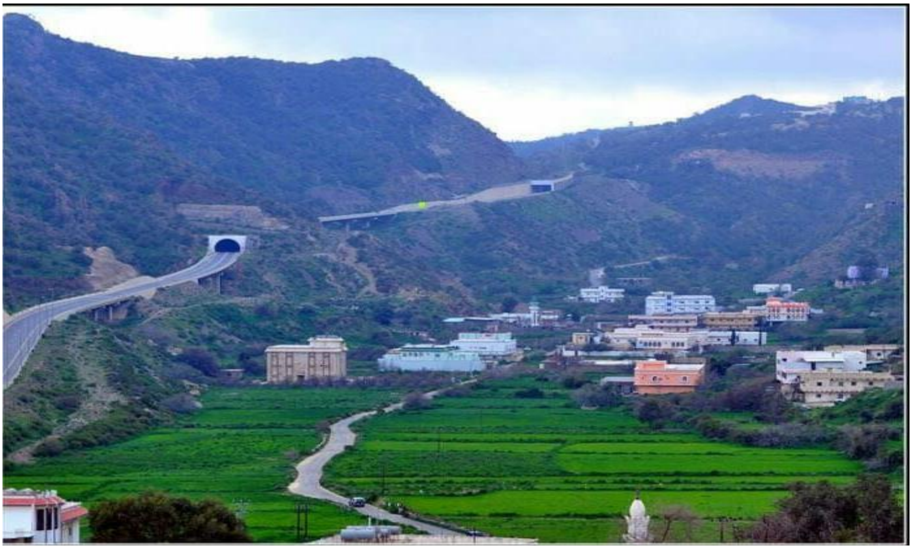
(١) البَحْرَيْنِ كَانَ اسْمًا لِسَوَاحِلِ نَجْدٍ بَيْنَ قَطَرَ وَالكُوَيْتِ، وَكَانَتْ بِلَادُ هَجَرَ قَصَبَتَهُ، وَهِيَ الهُفُوفُ اليَوْمَ، وَقَدْ تُسَمَّىٰ «الحسَا»، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَىٰ هَذَا الإِقْلِيمِ اسْمُ الأَحْسَاءِ حَتَّىٰ نِهَايَةِ العَهْدِ العُثْمَانِيِّ، ثُمَّ انْتَقَلَ اسْمُ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ تُوَاجِهُ هَذَا السَّاحِلَ مِنَ الشَّرْقِ، هَذِهِ الجَزِيرَةُ كَانَتْ تُسَمَّىٰ «أَوَالُ»، وَهِيَ مَمْلَكَةُ البَحْرَيْنِ اليَوْمَ، وَعَاصِمَتُهَا المَنَامَةُ، وَلِلْفَائِدَةِ يُنْظَرُ كِتَابُ: «مُعْجَمُ المَعَالِمِ الجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» (ص٤٠) لِعَاتِقِ بْنِ غَيْثٍ البِلَادِيِّ.

(٢) قَالَ الحَمَوِيُّ: أُوَالُ بِالضَّمِّ، وَيُرْوَىٰ بِالفَتْحِ: جَزِيرَةٌ يُحِيطُ بِهَا البَحْرُ بِنَاحِيَةِ البَحْرَيْنِ. «مُعْجَمُ البُلْدَانِ» (١/ ٢٧٣).

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ جَزِيرَةَ أُوَال فِي أَوْسَطِ مَغَاصِ البَحْرَيْنِ، وَلَا أَصْفَىٰ وَلَا أَكْثَرَ مَاوِيَةً مِنْ لُؤْلُؤِهِ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ فِي صَدْرِ الغَبَّةِ وَبَرِّ العَرَبِ وَفَارِسَ مُسْتَدَارٌ حَوْلَهَا.

* * *

مُلحَق صُور
لبَعض الأمَاكِن المذكُورة فِي الكِتَاب



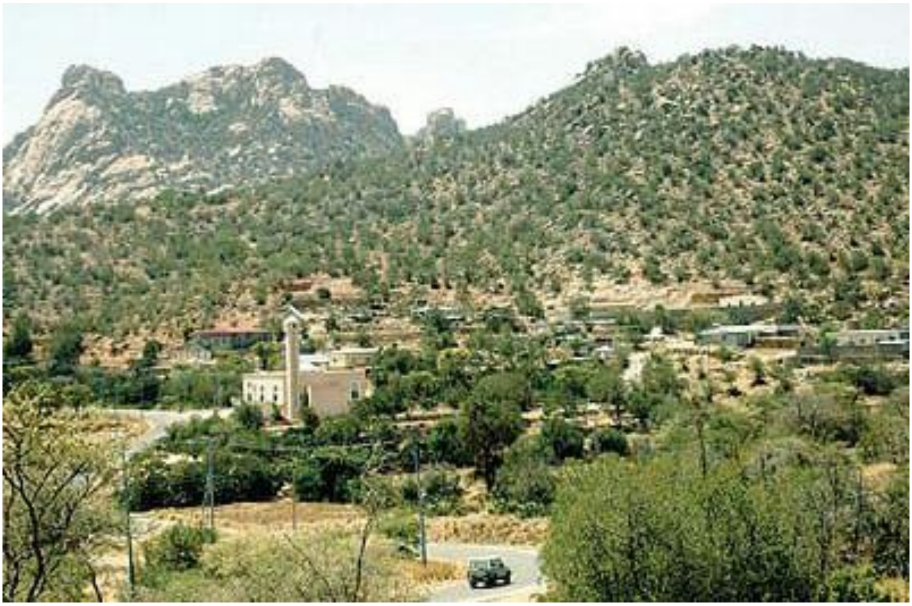
١- صورة من بلاد زهران



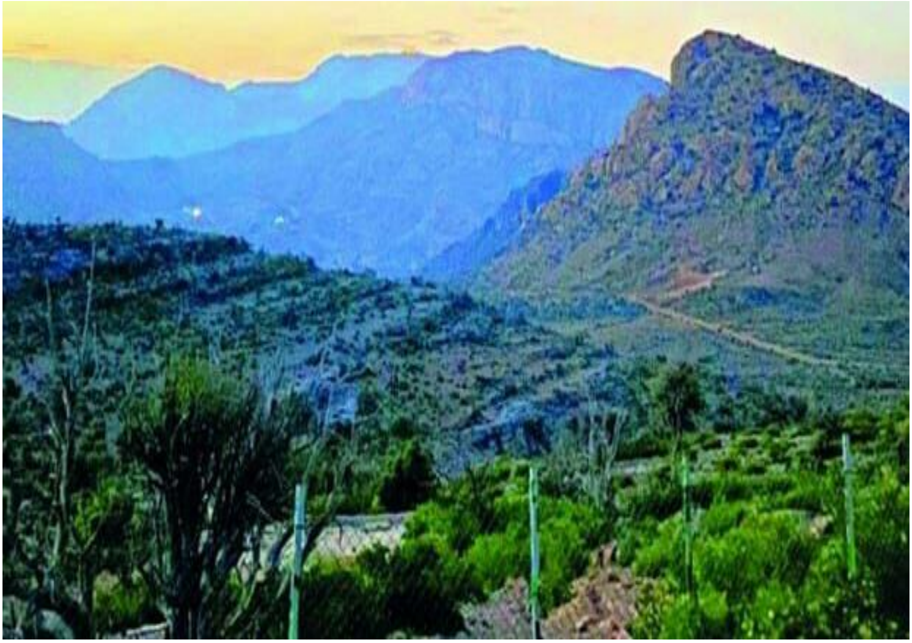
٢- حي قباء بالمدينة النبوية



٣- مسجد المشعر الحرام بمزدلفة



٤- صورة من الشفا الطائف



٥- صورة من جبال السراة



٦- صورة من وادي الدواسر



٧- صورة من وادي القرىٰ



٨- صورة من وادي أبيدة ويسمىٰ اليوم وادي بيدة



٩- صورة لتبالة



١٠- صورة لمدينة صعدة



١١- صورة من بلاد يافع



١٢-صورة لحرة واقم بالمدينة النبوية



١٣- مسجد ميقات يلملم



١٤- صورة لجزيرة دهلك





١٥ – صورتان لمدينة وميناء المخا



١٦ – صورة لجزيرة كمران



١٧ – صورة لميناء عيذاب



١٨- صورة لوادي حلي



١٩ - صورة لجبل كدمبل واليوم يسمىٰ كتنبل







٢٠- ثلاث صور من مدينة زبيد



٢١- صورة لجبل ملحان



٢٢- صورة لوادي سردد



٢٣- صورة لوادي سهام



٢٤- صورة لوادي المفاليس



٢٥- صورة لوادي مور



٢٦- صورة لوادي رمع أو رماع



٢٧- صورة لمذيخرة



٢٨- صورة من لحج



٢٩- صورة من بيحان



٣٠- قلعة حصن سمدان





٣١- صورتان لجبل صبر



٣٢- صورة لحصن الدملوة



٣٣- صورة لجبل التعكر إب





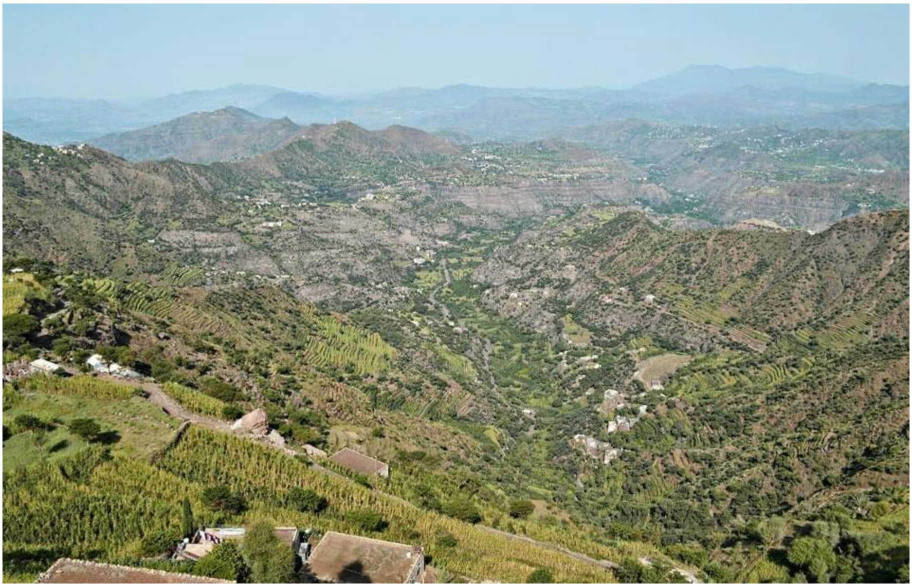
٣٤- صورتان لحصن حب





٣٥- صورتان لمسجد الجند

المعروف بمسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه





٣٦- صورتان للمعافر وتعرف اليوم بالحجرية



٣٧- صورة لموضع حصن عزان في إب



٣٨- صورة لقلعة حصن خدد





٣٩- صورتان لحصن مسار في جبال مناخة حراز

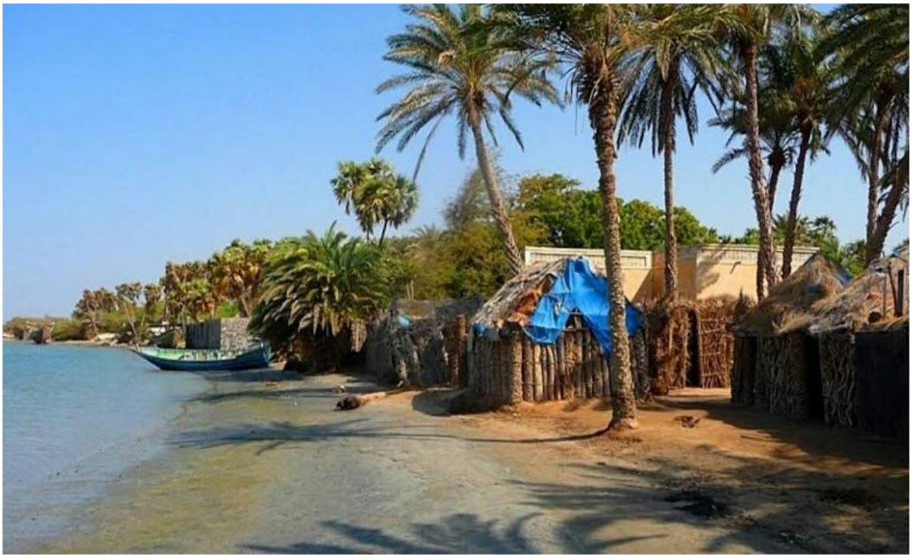


٤٠- صورة لساحل الفازة غربي زبيد



٤١- صورة لمدينة التربة بزبيد





٤٢ - صورتان من الخوهة واليوم يقال لها الخوخة



٤٣- صورة لساحل واحجة



٤٤- صورة لموزع





٤٥- صورتان لباب المندب



٤٦- صورة لمديرية صيرة



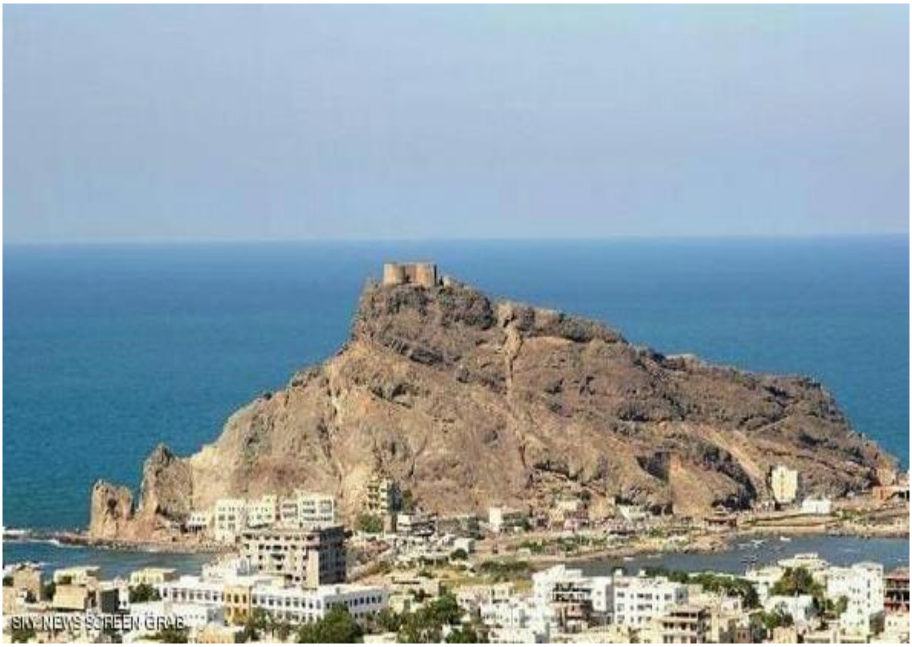
٤٧- صورة لجبل العر في عدن ويعرف اليوم بشمسان



٤٨- صورة لجبل برع شرقي الحديدة



٤٩- صورة لجبل حقات



٥٠- صورة لجبل صيرة



٥١- صورة لمملاح عدن

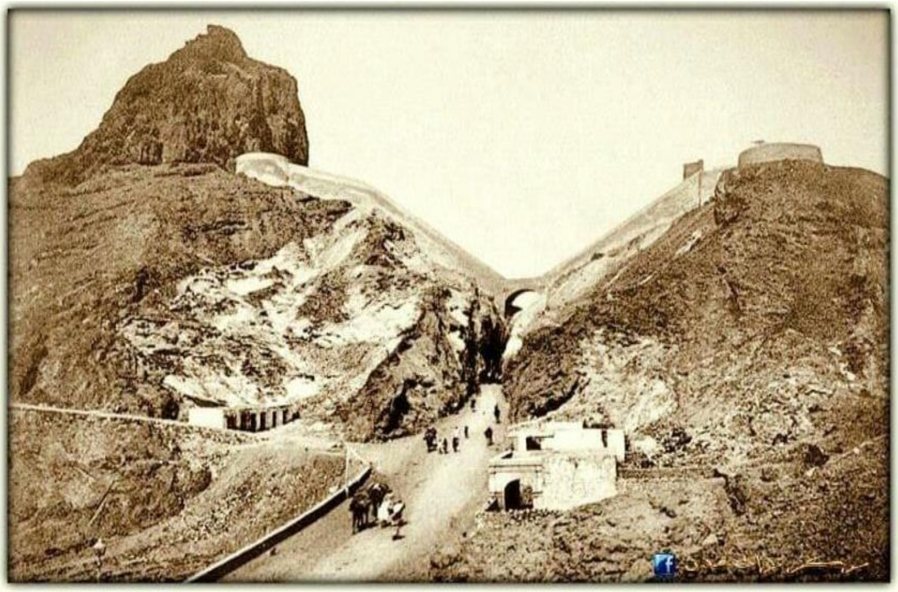




٥٢- صورتان لصهاريج عدن



٥٣- صورة لمكان مدينة الرعارع قديما



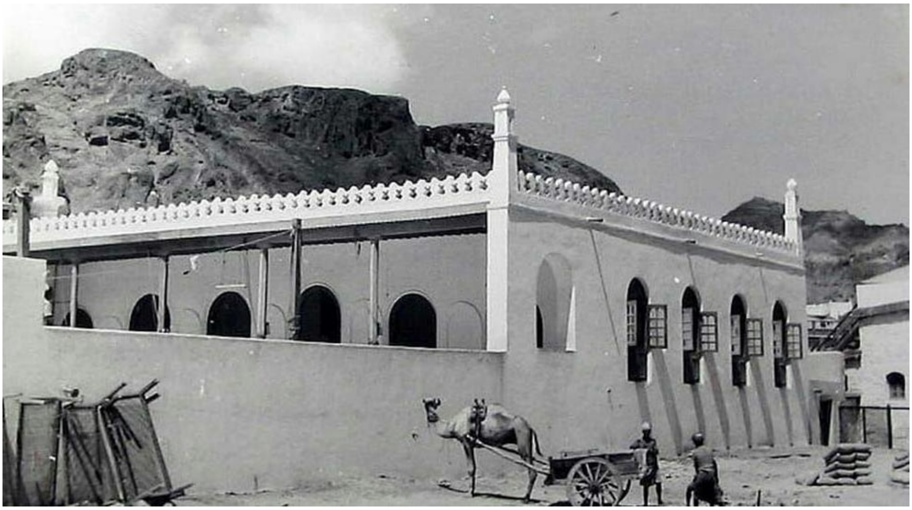


٥٤- صورتان لباب البر واليوم يعرف بعقبة عدن





٥٥- صورتان من قلهات





٥٦- صورتان لمسجد أبان قديما وحديثا في عدن



٥٧- صورة للمباه أو المباءة قديما وتعرف الأن بدكة المعلا



٥٨- صورة لمدينة جبلة





٥٩- صورتان لوادي ورزان في تعز



٦٠- صورة لنقيل صيد ويعرف اليوم بنقيل سمارة



٦١- صورة لجبل نقم بصنعاء



٦٢- صورة لوادي ظهر



٦٣- قصر الحجر بوادي ظهر



٦٤- صورة لشبام كوكبان



٦٥- صورة لمدينة ذمار



٦٦- صورة لما بقي من منارة مسجد ومدينة المهجم



٦٧- صورة لمدينة مأرب



٦٨- صورة لجزء من سد مأرب القديم



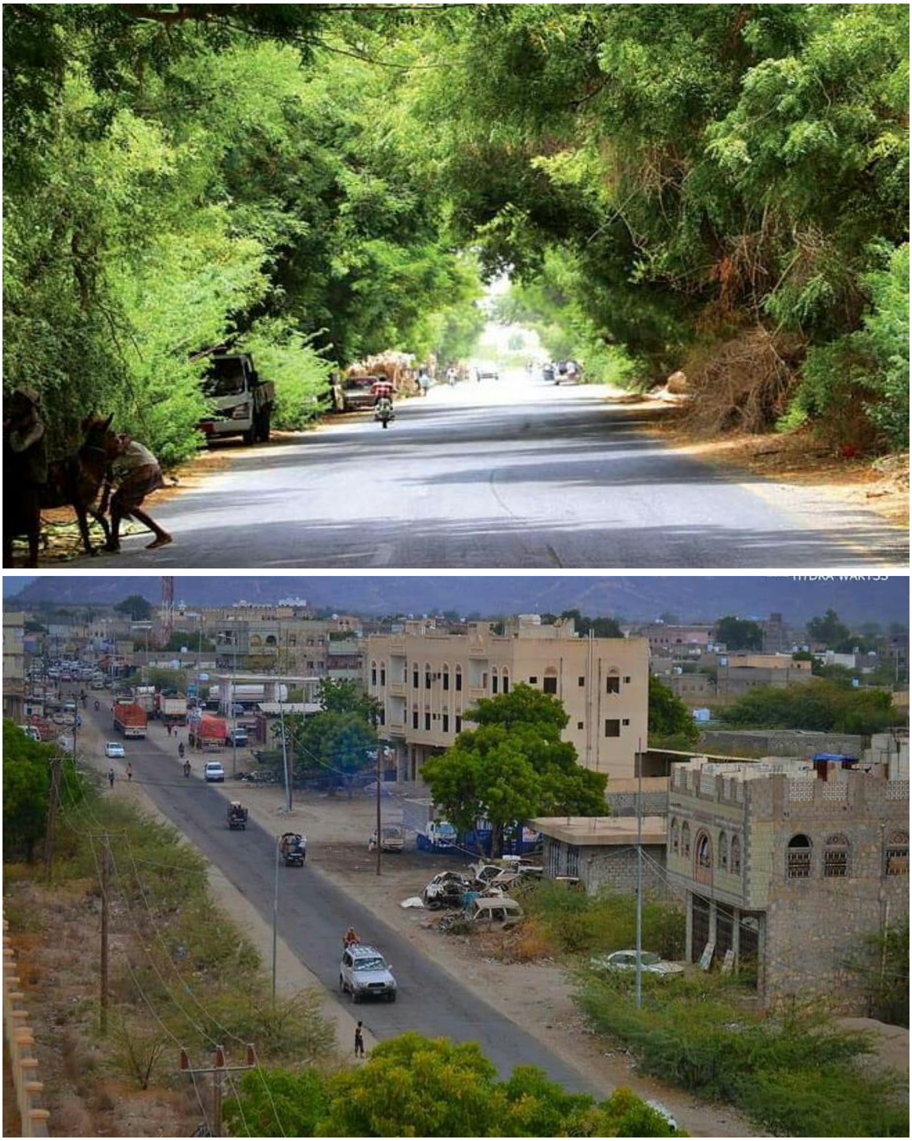
٦٩- صورة لسد مأرب الجديد



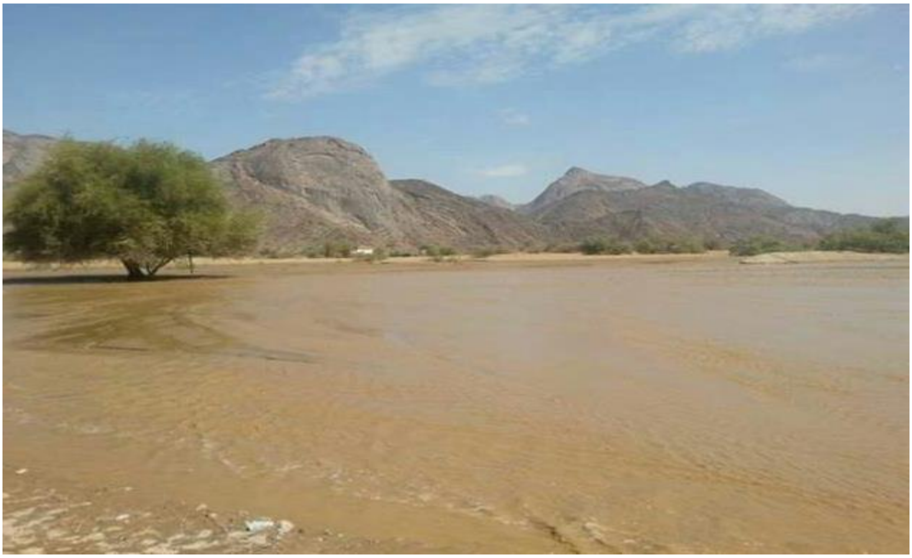
٧٠- صورة لبعض آثار مدينة السوداء المعينية



٧١- صورة لسد الخانق بالعبدين صعدة



٧٢- صورتان لمدخل ومدينة أبين



٧٣- صورة لوادي حريب بمأرب



٧٤- صورة لشبام حضرموت

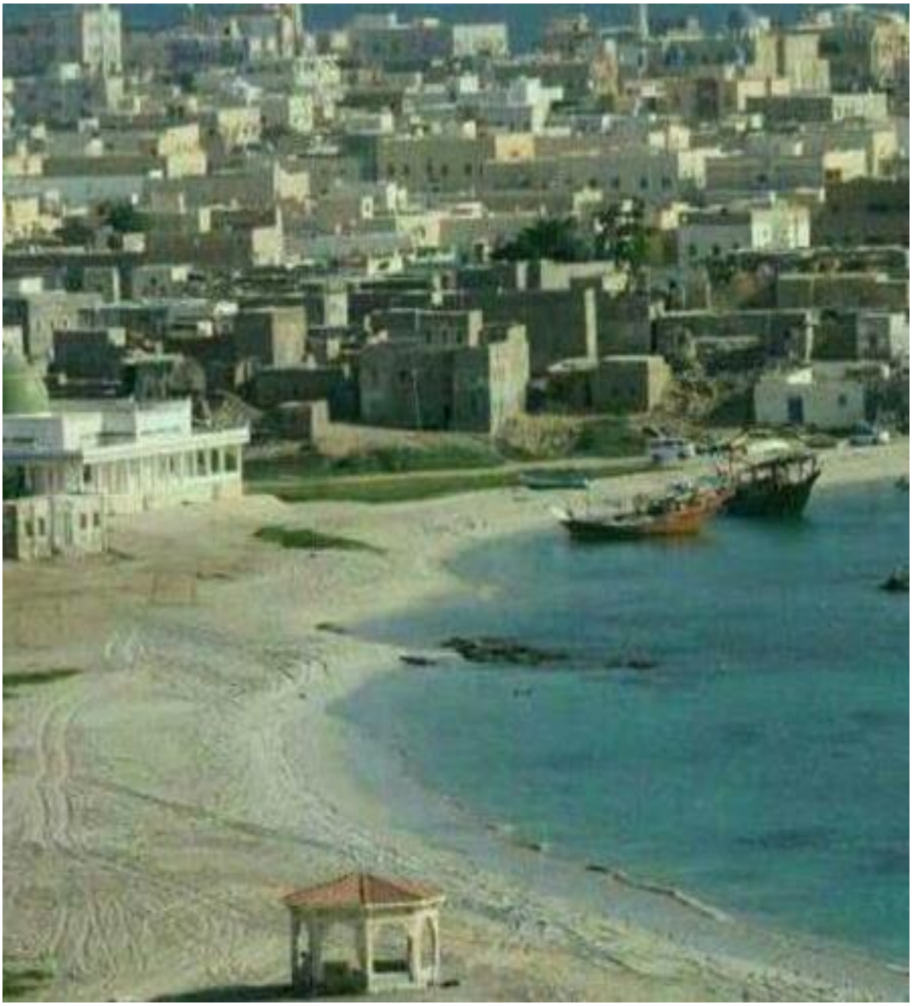


٧٥- صورة من غيل باوزير حضرموت





٧٦- صورتان من ظفار اليمن وكانت عاصمة الحميريين قديما



٧٧- صورة لساحل مرباط بعمان





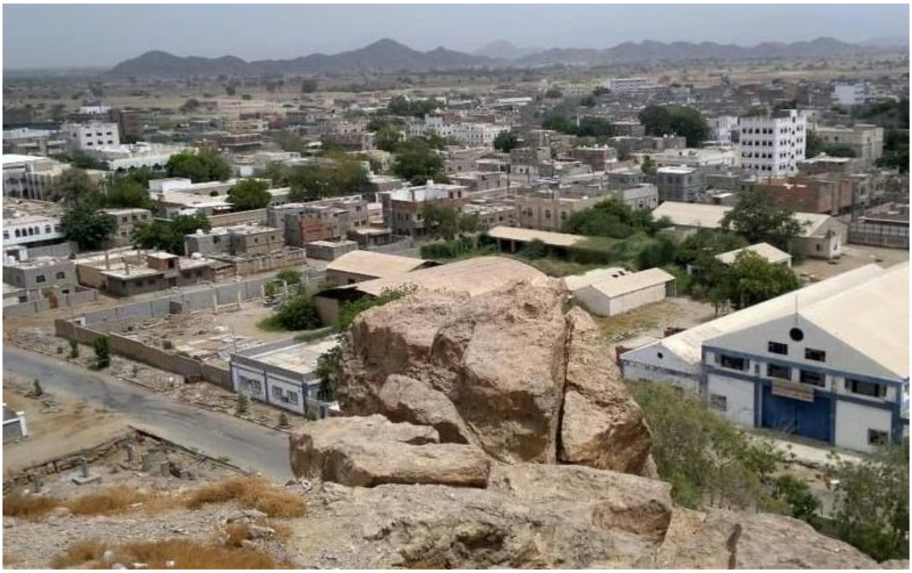
٧٨- صورتان من سقطرى



٧٩- صورة للجبل الذي كان مبنيا عليه حصن الغراب بحضرموت



٨٠- صورة لأحور أبين



٨١- صورة لخنفر بجعار



٨٢- صورة من حاسك عمان



٨٣- صورة لجزيرة المصيرة بعمان



٨٤- صورة لمحمية حوف بالمهرة



٨٥- صورة من كمزار بعمان



٨٦- صورة لمدينة مسقط بعمان



٨٧- صورة من صحار عمان



٨٨- صورة من ليمة بعمان



٨٩- صورة من دبا بعمان



٩٠- صورة لبيشة وجبلها الأبيض



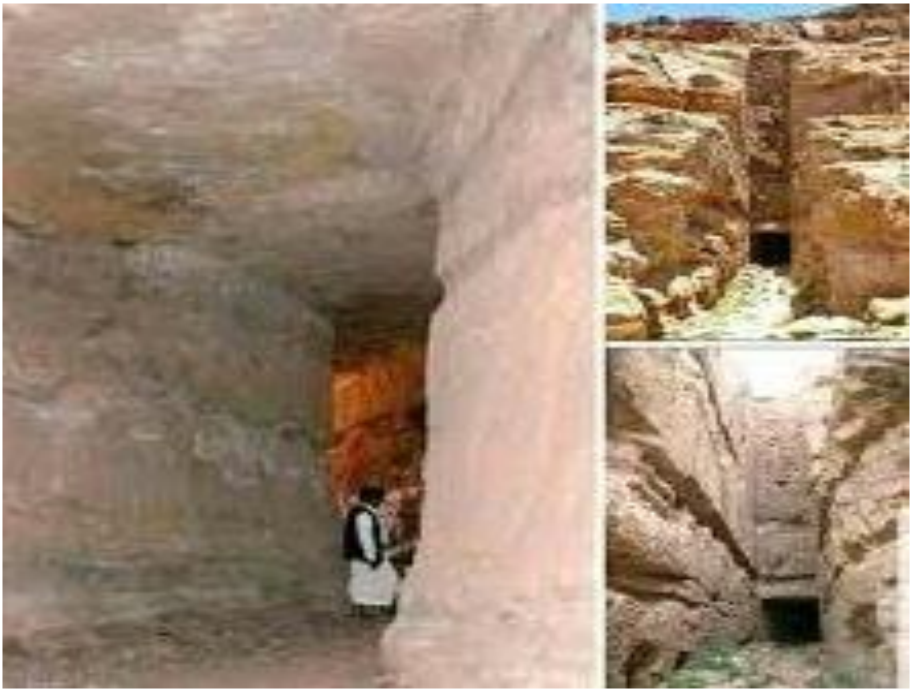
٩١- صورة للوهط بالطائف



٩٢- صورة لميناء الشعيبة



٩٣- صورة لمنطقة بحرة

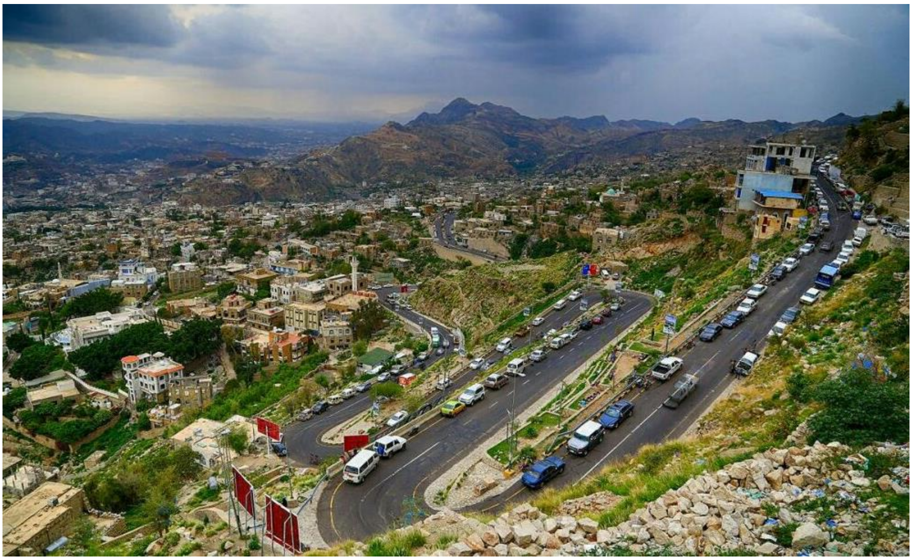




٩٤- صورة لجبل قصر بينون والطريق المؤدي اليه



٩٥- صورة لجبل حديد



٩٦- صورة لحوبان



٩٧- صورة لوادي ميتم



٩٨- صورة لنقيل يسلح



٩٩- صورة لعثر



١٠٠-صورة لقلعة الأتراك



١٠١ – صورة من جزيرة فرسان



١٠٢ – صورة من أحور أبين عن «صحيفة الأيام»



١٠٣ – صورة لجزيرة قيس وتسمىٰ اليوم كيش

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

١ - «الأَعْلَامُ»: لِلزِّرِكْلِيِّ، نَشْرُ «دَارِ العِلْمِ»، ط: (٢٠٠٢م).

٢- «إِفَادَةُ الأَنَامِ بِذِكْرِ أَخْبَارِ بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ»: لِعَبْدِ اللهِ الغَازِي، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الأَسَدِيِّ» بِـ«مَكَّةَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، تَحْقِيقُ: عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ دَهِيشٍ.

٣- «الإِكْلِيلُ مِنْ أَخْبَارِ اليَمَنِ وَأَنْسَابِ حِمْيَرٍ»: لِأَبِي مُحَمَّدٍ الهَمْدَانِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ» ط: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

٤- «الإِكْمَالُ»: لِابْنِ مَاكُولَا، نَشْرُ «دَائِرَةِ المَعَارِفِ العُثْمَانِيَّةِ» بِـ«حَيْدَرَ آبَادَ»، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ المُعَلِّمِيِّ اليَمَانِيِّ.

٥- «الأَمَالِي»: لِأَبِي عَلِيٍّ القَالِي، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦- «بُغْيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ»: لِلسُّيُوطِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَىٰ عَبْدِ القَادِرِ عَطَاءٍ.

٧- «تَارِيخُ الإِسْلَامِ»: لِلذَّهَبِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ٢٠٠٣م، تَحْقِيقُ: بَشَّار عَوَّاد.

٨- «تَارِيخ بَغْدَادَ»: لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تَحْقِيقُ: بَشَّار عَوَّاد.

٩- «أَخْبَارُ مَكَّةَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ»: لِلْفَاكِهِيِّ، تَوْزِيعُ «مَكْتَبَةِ الأسدي» بِـ«مَكَّةَ»، ط: الرَّابِعَةُ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، تَحْقِيقُ: عَبْدِ المَلِكِ بْنِ دَهِيشٍ.

١٠- «تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ»: نَشْرُ «دَارِ المَعَارِفِ» بِـ«القَاهِرَةِ»، ط: السَّادِسَةُ، دُونَ تَارِيخٍ.

١١- «التَّارِيخُ الكَبِيرُ»: لِلْبُخَارِيِّ، نَشْرُ «دَائِرَةُ المَعَارِفِ العُثْمَانِيَّةِ»، ط: الأُولَىٰ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ المُعَلِّمِيِّ.

١٢- «تَبْصِيرُ المُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ المُشْتَبِهِ»: لِابْنِ حَجَرٍ، نَشْرُ «المَكْتَبَةِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ» دُونَ تَارِيخٍ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد عَلِيٍّ النَّجَّارِ وَعَلِيّ مُحَمَّدٍ بجَاوِي.

١٣- «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ»: نَشْرُ «دَارِ هَجَرَ» بِـ«مِصْرَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تَحْقِيقُ: عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ.

١٤- «التَّمْثِيلُ وَالمُحَاضَرَةُ»: لِأَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ، نَشْرُ «الدَّارِ العَرَبِيَّةِ لِلْكِتَابِ»، ط: الثَّانِيَةُ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ.

١٥- «تَهْذِيبُ الكَمَالِ»: لِلْمِزِّيِّ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، تَحْقِيقُ: بَشَّار عَوَّاد.

١٦- «رَبِيعُ الأَبْرَارِ وَنُصُوصُ الأَخْيَارِ»: لِلزَّمَخْشَرِيِّ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الأَعْلَمِيِّ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤١٢هـ.

١٧- «رِحْلَةُ ابْنُ جُبَيْرٍ»: نَشْرُ «المَكْتَبَةِ العَصْرِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٨- «زَادُ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ»: لِابْنِ الجَوْزِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ»، ط: الثَّانِيَةُ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، عِنَايَةُ: أَحْمَد شَمْسِ الدِّينِ.

١٩- «السُّلُوكُ فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ وَالمُلُوكِ»: لِلْجَنَدِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ»، ط: الثَّانِيَةُ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: محمد بن عليٍّ الأكوع.

٢٠- «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: لِلذَّهَبِيِّ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الحَادِيَةَ عَشْرَةَ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١- «شِفَاءُ الغَرَامِ بِأَخْبَارِ البَلَدِ الحَرَامِ»: لِتَقِيِّ الدِّينِ الفَاسِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكِتَابِ العَرَبِيِّ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تَحْقِيقُ: عُمَرَ عَبْدِ السَّلَامِ تَدْمُرِيٍّ.

٢٢- «الصِّحَاحُ»: لِلْجَوْهَرِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تَحْقِيقُ: إِمِيل بَدِيع وَمُحَمَّد نَبِيل.

٢٣- «صِفَةُ جَزِيرَةِ العَرَبِ»: لِلْهَمْدَانِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ»، ط: الثَّانِيَةُ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

٢٤- «صَهَارِيجُ عَدَنَ»: لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِزٍ ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لَهُ، نَشْرُ «وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ» بِـ«صَنْعَاءَ» ٢٠٠٠م.

٢٥- «صِيرَةُ»: لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِزٍ ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لَهُ، نَشْرُ «وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ» بِـ«صَنْعَاءَ» ٢٠٠٠م.

٢٦- «الطِّبُّ النَّبَوِيُّ»: لِأَبِي نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِيِّ، نَشْرُ «دَارِ ابْنِ حَزْمٍ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ٢٠٠٦م، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَىٰ خِضر التُّرْكِيِّ.

٢٧- «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَىٰ»: لِلسُّبْكِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَىٰ عَبْدِ القَادِرِ عَطَاءٍ.

٢٨- «طَبَقَاتُ الشُّعَرَاءِ»: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ المُعْتَزِّ، نَشْرُ «دَارِ المَعَارِفِ» بِـ«القَاهِرَةِ»، ط: الثَّالِثَةُ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّتَّارِ أَحْمَدَ.

٢٩- «عَجَائِبُ الآثَارِ فِي التَّرَاجِمِ وَالأَخْبَارِ»: لِلْجَبَرْتِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الجِيلِ» بِـ«بَيْرُوتَ» دُونَ تَارِيخٍ.

٣٠- «عَدَنُ لُؤْلُؤَةُ اليَمَنِ مَعَالِمُهَا الدِّينِيَّةُ وَالتَّارِيخِيَّةُ»: لِمُحَمَّد عَلِيٍّ البَار، نَشْرُ «كُنُوزِ المَعْرِفَةِ» بِـ«جُدَّةَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣١- «العَقَبَةُ»: لِعَبْدِ اللهِ مُحَيْرِزٍ ضِمْنَ «الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ» لَهُ، نَشْرُ «وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ» بِـ«صَنْعَاءَ» ٢٠٠٤م.

٣٢- «العِقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البَلَدِ الأَمِينِ»: لِتَقِيِّ الدِّينِ الفَاسِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ»، ط: الأُولَىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد عَبْدِ القَادِرِ عَطَاءٍ.

٣٣- «الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ»: لِعَبْدِ القَادِرِ البَغْدَادِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ التُّرَاثِ» بِـ«مِصْرَ»، ط: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الحَمِيدِ.

٣٤- «القَامُوسُ المُحِيطُ»: لِلْفَيْرُوز آبَادِيِّ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ»، ط: السَّادِسَةُ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، تَحْقِيقُ: فَرِيقُ مَكْتَبِ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ بِإِشْرَافِ مُحَمَّد العِرْقسُوسِيِّ.

٣٥- «قُرَّةُ العُيُونِ بِأَخْبَارِ اليَمَنِ المَيْمُونِ»: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّيْبَعِ الزَّبِيدِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

٣٦- «قِلَادَةُ النَّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ»: لِلطَّيِّبِ بَامَخْرَمَةَ، نَشْرُ «دَارِ المِنْهَاجِ» بِـ«جُدَّةَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، عُنِيَ بِهِ: بُوجُمْعَةَ مَكرِي وَخَالِد زَوَارِي.

٣٧- «القَوْلُ الحَسَنُ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ اليَمَنِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّعكرِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الآثَارِ» بِـ«صَنْعَاءَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٨- «الكَامِلُ فِي التَّارِيخِ»: لِعِزِّ الدِّينِ بْنِ الأَثِيرِ، نَشْرُ «دَارِ المَعْرِفَةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، تَحْقِيقُ: خَلِيل مَأْمُون شِيحَا.

٣٩- «مَخَالِيفُ اليَمَنِ»: لِإِسْمَاعِيلَ الأَكْوَعِ، نَشْرُ «المُجَمَّعِ الثَّقَافِيِّ» بِـ«أَبُو ظَبْيٍ»، ط: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٠- «مَرَاصِدُ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ أَسْمَاءِ الأَمْكِنَةِ وَالبِقَاعِ»: لِعَبْدِ المُؤْمِنِ البَغْدَادِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الجِيلِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤١٢هـ.

٤١- «المَسَالِكُ وَالمَمَالِكُ»: لِابْنِ خُرَّدَاذبَهْ، نَشْرُ «دَارِ صَادِرٍ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: ١٨٨٩م.

٤٢- «مُسْنَدُ الفَارُوقِ»: لِابْنِ كَثِيرٍ، نَشْرُ «دَارِ الفَلَاحِ» بِـ«مِصْرَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، تَحْقِيقُ: إِمَام بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِمَامٍ.

٤٣- «المِصْبَاحُ المُنِيرُ»: لِلْفَيُّومِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الغَدِيرِ» بِـ«مِصْرَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، اعْتَنَىٰ بِهِ: أَحْمَد جَاد.

٤٤- «مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ»: لِلْحَمَوِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الغَرْبِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٩٩٣م، تَحْقِيقُ: الدُّكْتُور إِحْسَان عَبَّاس.

٤٥- «مُعْجَمُ البُلْدَانِ»: لِيَاقُوتَ الحَمَوِيِّ، نَشْرُ «دَارِ صَادِرٍ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الثَّانِيَةُ ٢٠١٠م.

٤٦- «مُعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ»: لِلْمَقْحَفِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكَلِمَةِ» بِـ«صَنْعَاءَ» ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م[1].

٤٧- «مُعْجَمُ قَبَائِلِ العَرَبِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَةِ»: لِعُمَرَ كَحَّالَةَ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ نَاشِرُونَ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٤٨- «مُعْجَمُ مَعَالِمِ الحِجَازِ»: لِعَاتِقٍ البِلَادِيِّ، نَشْرُ «مُؤَسَّسَةِ الرَّيَّانِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الثَّانِيَةُ ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٩- «المِلَلُ وَالنِّحَلُ»: لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ، نَشْرُ «أَضْوَاءِ السَّلَفِ» مُصَوَّرَةٌ عَنْ طَبْعَتِهَا الأُولَىٰ بِـ«مَطْبَعَةِ الأَزْهَرِ» دُونَ تَارِيخٍ.

٥٠- «المُفِيدُ فِي أَخْبَارِ صَنْعَاءَ وَزَبِيدٍ»: لِعُمَارَةَ اليَمَنِيِّ، نَشْرُ «مَكْتَبَةِ الإِرْشَادِ» بِـ«صَنْعَاءَ»، ط: الرَّابِعَةُ ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ.

٥١- «المَنَاسِكُ وَأَمَاكِنُ طُرُقِ الحَجِّ وَمَعَالِمُ الجَزِيرَةِ»: نَشْرُ «مَطْبُوعَاتِ مَجَلَّةِ العَرَبِ بِالمَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ، تَحْقِيقُ: حَمَد الجَاسِر.

٥٢- «المُنْتَظِمُ فِي تَارِيخِ المُلُوكِ وَالأُمَمِ»: لِابْنِ الجَوْزِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الأُولَىٰ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد عَبْدِ القَادِرِ وَمُصْطَفَىٰ عَبْدِ القَادِرِ عَطَاءٍ.

٥٣- «المُنْتَخَبُ المُهَذَّبُ مِنْ عُلَمَاءِ عَدَنَ وَالوَارِدِينَ إِلَيْهَا»: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّوْمَعِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الِاسْتِقَامَةِ» بِـ«مِصْرَ»، ط: الأُولَىٰ (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

٥٤- «المُؤْتَلِفُ وَالمُخْتَلِفُ»: لِلدَّارَقُطْنِيِّ، نَشْرُ «دَارِ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ»، ط: الأُولَىٰ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، تَحْقِيقُ: مُوَفَّق بْنِ عَبْدِ القَادِرِ.

٥٥- «الوَافِي بِالوَفَيَاتِ»: لِلصَّفَدِيِّ، نَشْرُ «جَمْعِيَّةِ المُسْتَشْرِقِينَ الأَلْمَانِيَّةِ»، ط: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(١) وَقَدِ اخْتَصَرَ العُنْوَانَ بِـ«مُعْجَمُ البُلْدَانِ اليَمَنِيَّةِ».

٥٦- «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»: لِابْنِ خَلِّكَانَ، نَشْرُ «دَارِ صَادِرٍ» بِـ«بَيْرُوتَ»، ط: الرَّابِعَةُ ٢٠٠٥م، تَحْقِيقُ: إِحْسَان عَبَّاس.

* * *

الفَهَارِسُ العِلْمِيَّةُ

فِهرِسُ الآياتِ القُرآنيَّة

فِهْرِسُ الأَحَادِيثِ

❊ ❊ ❊

فِهرِسُ الآثَارِ

طَرَفُ الأَثَرِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
عَلَيْكُمْ بِالطِّيبِ	١٨١
غَرَسَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ فِي الوَهْطِ مِائَةَ أَلْفِ عُودٍ	٧٠
كُفَّ عَنِ المَقَالَةِ وَاشْتَغِلْ عَنِ البَطَالَةِ	٥٠٣
لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا لَمَا اخْتَرْتُ عَلَى العِطْرِ شَيْئًا	١٨١

❊ ❊ ❊

فِهْرِسُ الشِّعْرِ

صَدْرُ البَيْتِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
وَآخِرُ عَهْدِي مِنْكَ يَوْمَ لَقِيتَنِي	١٢٧
وَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءُ قَصْرًا وَهِيَ مِنْ	٣٥٠
وَأَسْكَنْتُ العِرَاقَ خِيَارَ قَوْمِي	٣٤١
وَأُصْبِحُ فِي شِقِّ المَشُورَةِ قَاعِدًا	٣٩٤
وَاللهِ لَا كَلَّمْتُهُ أَبَدًا وَلَوَ انَّهُ	٥٤٥
وَحَمَّلْتَنِي ذَنْبَ امْرِءٍ وَتَرَكْتَهُ	٤٠٤
وَخُذِ القَلِيلَ مِنَ البَخِيلِ وَذُمَّهُ	١١٧
وَدِيكٍ أَحْمَرَ سُلَيْمَانِي مَا يَلْقَىٰ	٣٩٤
وَرَوْضَةٌ يَتْرُكُنِي زَهْرُهَا	٧٤
وَقَدْ سَلِمَتْ نَجْرَانُ فِي الطَّرْفِ لَمْ يَزَلْ	٤٠٢
وَقُلْ لِجُنَاتِهَا سَأُبْدِلُهَا	١٧٨
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَتًىٰ مُتَجَمِّلًا	١٩٨
وَلَازَوْرَدِيَّة تَاهَتْ بِزُرْقَتِهَا	٧٥
وَلَرُبَّ يَوْمٍ بِالحُصَيْبِ وَرَدْتُهَا	١٧٨
وَلَمَّا مَدَحْتُ الهِبْرِزِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ	٣٣٤
وَلَوْلَا بَنُو عَبْدِ المُدَانِ وَخَيْلُهَا	٣٩٩
وَلَيْسَ لِمَرْوَانٍ عَلَىٰ العَرْشِ غَيْرُهُ	٤٤٠
وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الطَّرْفِ مُظْلِمَةٍ	٤٠٢
وَمَا زِلْتُ أَطْوِي مَهْمَهًا بَعْدَ مَهْمَهٍ	٣٦٤
وَمَا غَرِيبٌ وَإِنْ أَبْدَىٰ تَجَلُّدَهُ	١٨٠

فِهْرِسُ الأَمْثَالِ

فِهْرِسُ الأَمَاكِنِ المُعَرَّفِ بِهَا

* * *

أَسْمَاءُ الرِّجَالِ الَّذِينَ حَدَّثَ عَنْهُمُ المُصَنِّفُ بِبَعْضِ الوَقَائِعِ وَالأَحْدَاثِ

❊ ❊ ❊

كُنى الرِّجَالِ الَّذِينَ حَدَّث عَنْهُم المُصَنِّفُ

* * *

أَسْمَاءُ الرِّجَالِ المُتَرْجَمِ لَهُمْ أَوِ المُحَالِ عَلَى تَرَاجِمِهِمْ

❊ ❊ ❊

ابْن

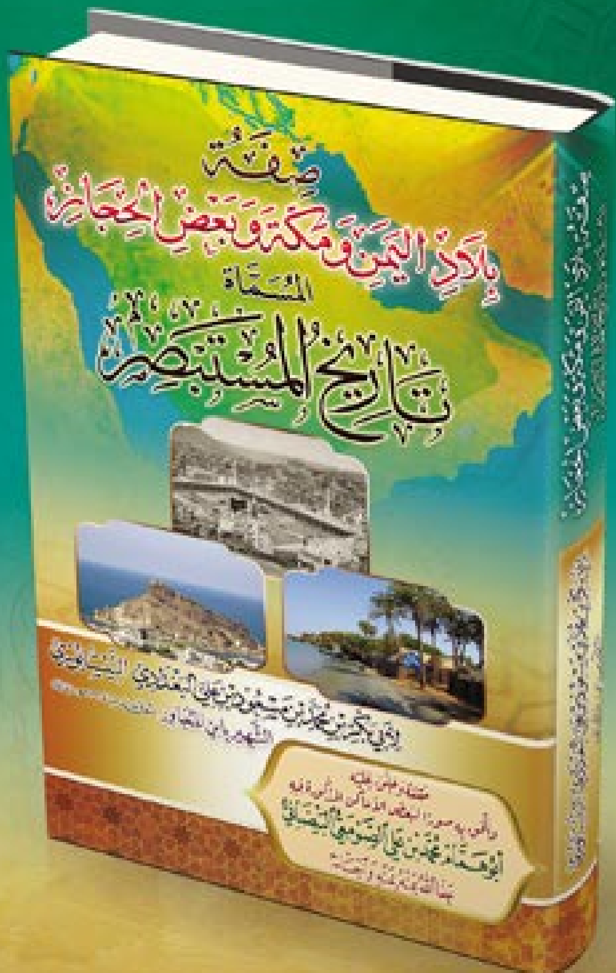
❋ ❋ ❋

الأَلْقَابُ وَالأَنْسَابُ

❋ ❋ ❋

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

* * *


صفة
بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز
المسماة
تاريخ المستبصر